الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع [illegible] هاتف [illegible]
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١، ٢ س ٢٥ رجب/شعبان ١٤١٠هـ - شباط/آذار (فبراير/مارس) ١٩٩٠م

شعر ناهض بن ثومة الكلابي

صدر للأستاذ الكريم الدكتور إبراهيم النجار - أستاذ محاضر بكلية الآداب في الجامعة التونسية - كتاب «مجمع الذاكرة» أو «شعراء عباسيون منسيون» صدر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء، وهو يقع في ستة أجزاء على ما يفهم مما ورد في مواضع منه [الأول ٢٩٣ ، والثالث ٤٥٠] وصدر سنة ١٩٨٧م و ١٩٨٩م .

وقد حرصت حين زرت مدينة تونس في شهر ربيع الأول من هذا العام ١٤١٠هـ (اكتوبر ١٩٨٩م) على الالتقاء بالأستاذ الدكتور لأنني أُمْتِعت بقراءة بعض فصول من كتابه، وأعجبت بطريقة بحثه، ونسق ترتيبه، رغبت الاجتماع بالدكتور فأخبرني الأستاذ جمال بن حَمَادة أمين المخطوطات في دار الكتب الوطنية بأنه يحاضر الآن في جامعة (السربون) في فرنسا وليس في تونس .

فرأيت أن أعبر عن تقديري لعمله بأن أُبْدِيَ ملاحظاتٍ يسيرة حول ذالك الكتاب : -

١ - جاء في الـجُزْءِ الثالث في ترجمة الأُحَيْمر السعدي (٢٣ - ٣٣) قصيدة رائية أولها :

لَئِنْ طَالَ لَيْلِي بِالعِرَاقِ لَرُبَّما أَتَى لِيَ لَيْلٌ بِالشَّآمِ قَصِيرُ

ومن هذه القصيدة أبيات ستة أوردها ياقوت في «معجم البلدان» رسم (الجوف) ولم ترد، ونص ماأورده : الجوف : أرض لبنى سعد، قال الأُحَيْمِرُ السَّعديُّ :

كَفَى حزَناً أنَّ الحِمَار بْنَ جَنْدَلٍ		عَـلِيٌّ بـأكْنَـافِ السِّتَـارِ أَمِـيرُ
وأنَّ ابْنَ مُوسَى بَائِعَ البَقْلِ بِالنَّوَى		لَـهُ بَـيْنَ بَـابٍ والسِّتَارِ خَـطِيرُ
وأنِّي أرَى وَجْهَ البُغَاةِ مُقَاتِـلا		أُدَيْـرَةَ يُسْدِيْ أَمْـرَنَـا ويُنِـيرُ
هَنِيْئاً لِمَحْفُوظٍ عَـلَى ذَاتِ بَيْنِنَا		ولابْـنِ لِـزَازٍ مَغْنَـمٌ وسُرُورُ
أناعِيْبُ يُحْوِيهِنَّ بِـالجَزْعِ الغَضَـا		جَعَـابِيْبُ فِيْـهَـا رَثَّـةٌ وَدُثُـورُ
خَلَا الجَوْفُ مِنْ قُتَّالِ سَعْدٍ فَمَا بِهَا		لِمُسْتَصْـرِخٍ يَدْعُـو الثُّبُـورَ نَصِـيرُ

٢ ــ وفي الجزء الثاني (ص ٥٢١) أورد الدكتور بائيةَ ابنِ الدُّمَيْنةِ كما هي في شعره الذي حققه الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ ، ونقل أنها ملفقة من أربع روايات ، ومن ثَمَّ كانَتْ غَيْرَ متماسكة ولا مُطَّرِدَةً في اتِّسَاقٍ .

وحبذا لو أن الدكتور اطلع على هذه القصيدة في كتاب «التعليقات والنوادر»[١] لأبي علي الهجري ، فقد أوردها كاملة في (٩١) بيتاً . وقد نَشَرْتُهَا في مَجَلَّةِ (مجمع دمشق) المجلد الـ (٣٧) من ص ١٠١ ـ ١١٢ منذ نحو عشرين عاماً ولـمَّا اطُّلِع عَلَيْهَا أُسْتَاذُنَا راتِبُ تَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ رَآها عِنْدَ تحقيق شِعْر ابْنِ الدُّمَيْنَة .

٣ ــ وإضافة إلى ماأورده الدكتور النجار عن شاعر نَجْدِيٍّ بَدَوِي ، وصفه صاحب «الأغاني» بالفروسية والفصاحة ، هو ناهض بن ثُومَة الشِّهابي الكلابي ، وشعره في هذا الكتاب (٩٩) بيتاً في سبع مقطوعات ، مَعَ أَنَّ الهَجْرِيَّ صاحبَ «التعليقات والنوادر» أورد له من الشعر نحو (١٣٣) بَيْتاً دون المكرر ، لم يرد في هذا الكتاب منها سوى سَبعة أبيات ، وبما أورد الهجري يصبح ماتم العثور عليه من شعر ناهض : ٩٩ + ١٣٣ = ٢٣٢ بيتاً وهاهو البيان :

١ ــ مقطوعة وردت في الجزء الأول المطبوع من كتاب «التعليقات والنوادر»[٢] جاء فيها :

وأنشدني أبو الميمون في كلمة ابن ثومة :

سُلَيْمَى لَـوْ شَهِـدْتِ مُـرَامِـرَاتٍ		وَقَـدْ حَشَدَ القَبَـائِلُ يَنْظران(؟)

إلى ابْنِ أَخِيهِمَا لَمَّا اسْتَهَلَّتْ ... سِبِيٌ الْمَوْتِ فِي قَلَعٍ دَوَانِ
لَطَامَنَتِ الْقِنَاعَ وَلَمْ تُرَاعِي ... وَأَسْبَغَتِ الْقَنَانَ عَلَى الْبَنَانِ

وكلمة ناهض التي منها هذه الأبيات ستأتي :

٢ ـ قصيدة طويلة على حرف الشين ، قال الهجري[٣]: وأنشدني سليمان بن يحيى بن مالك الشّهابيّ لناهض بن ثومة الشهابي كلاهما من كعب بن أبي بكر ابن كلاب :

أَمِنْ طَلَلٍ بين الكَثِيبِ وَأَخْطَبِ ... تَحُتُّهُ السَّوَافِي والرُّكَامُ الرَّشَارِشُ

وهي في القسم الذي لم ينشر من كتاب «التعليقات والنوادر» في المخطوطة التي في مكتبة (الجمعية الأسيوية) في كلكتة في الهند[٤]، ورد منها في مصورتها التي لديَّ (١٣٣) بيتاً ، منها خمسة أبيات في كتاب الدكتور النجار ، ثلاثة أبيات هي في القصيدة؛ الأول والثاني والثالث والسادس والسابع ـ وهما من القصيدة الـ (٣٦) والـ (٣٥) منها ـ أما الرابع والخامس فهما منقولان من «معجم البلدان» رسم (رمح) .

وهاهو مااستطعت قراءته من هذه القصيدة ، ومَا عَجزتُ عن قراءته وضعت مكانهُ نُقَطاً :

أَمِنْ طَلَلٍ بَيْنَ الكَثِيبِ وأَخْطَبِ ... تَحُتُّهُ السَّوَافِي والرِّهَامُ الرَّشَارِشُ
وَمَرِّ السَّوَاجِي فَارْتَمَى فَوْقَهُ الحَصَى ... يَدُقُّ النَّقَا مِنْهُ مُقِيمٌ وَطَائِشُ
وَدَقِّ السَّوَارِي فَهْوَ مِنْ طُولِ مَاعَفَا ... كَبُرْدِ اليَمَانِي وَشْهُ الحِبْرِ نَامِشُ
وَأَلِفَهُ البِيْضُ اليَعَافِيرُ والمَهَا ... وزَايَلَهُ البِيْضُ الحِسَانُ البَشَائِشُ
ذواتُ الثَّنَايَا الغُرِّ والحَدَقِ الَّتِي ... يَدُقْنَ لَنَا كَالإِثْمِدِ الجَوْنِ حَامِشُ
فَمَا تَسْتَبِينُ العَيْنُ مِنْهُ وإِنْ ثَنَتْ ... لَهَا نَظْرَةً... لِلطَّرفِ نَاعِشُ
سِوَى جُنَّحٍ سُفْعِ الخُدُودِ كَأَنَّهَا ... وقَدْ لاَحَهَا هَضْبٌ مِنَ المُزْنِ...
جَوَازِلُ غَطَّى الرِّيْشُ فَوْقَ رُؤُوسِهَا ... وأَثْبَاجِهَا وأَسْوَدُ مِنْهَا ... شَشُ
وذِي رُمَّةٍ صَكُّ الصَّلاءَ قَذَالَهُ ... بِأَيْدِي العَذَارَى فَهْوَ فِي الدَّارِ وَاحِشُ[٥]

وَنَـيٍّ كَعَطْفِ الطَّوْقِ قَدْ ذَرَّ فَوْقَهُ ... ودَوْمَ جَلاَّخٍ مِنَ السَّيْلِ خَادِشُ
خَلاَءٌ لِخِيطَانِ النَّعَامِ تَرُوْدُهُ ... كَمَطْلِيَّةٍ جِيْبَتْ عَلَيْهَا المَلاَبِشُ
بِهَا الخُنَّسُ فِي لَوْذِ الظِّلاَلِ كَأَنَّهَا ... كَوَاعِبُ فَجٌّ الخَيْمَ عَنْهُنَّ فَارِشُ
تُزَجِّي بِهَا العِينُ اليَعَافِيرُ سَخْلَهَا ... وَمَوْشِيَّةُ الأَكْتَافِ... ... ...
عَنَاجِيجُ أَمْثَالُ العَوَاهِيجِ بُدَّنٌ ... هِجَانٌ عَلَيْهَا لِلْحُلِيِّ خَشَاخِشُ
كَمَا عَصَفَتْ رِيحُ الجَنُوبِ بِعِشْرِقٍ ... تَثَنَّى عَلَيهِ نَبْتُهَا المُتَدَاوِشُ
وَغَبْرَاءَ لاَ تَجْرِي بِهَا الرِّيحُ عَاقِرٍ ... حَمَى ظِلَّهَا وَقْعٌ مِنَ الصَّيْفِ مَاحِشُ
دَؤُوبِ الصَّدَى ظَمْأَى القَطَا مُرَّةِ السُّرَى ... بِهَا مِنْ رُكَامِ البَيْضِ قِدْمًا خَرَابِشُ
إذَا العَزْفُ الغَذَّافُ أَرْجَفَ هَامَهَا ... وَقَدْ وَتَنَتْ فِي مَا يَقُولُ الغَطَامِشُ
مَرَقْتُ بِأَيْدِي العِيسِ مِنْهَا كَمَا مَضَى ... مِنَ الغَرَضِ الأَقْصَى المَرَامِي المَرَابِشُ
بِمَجْنُونَةِ الإِبْصَارِ فِي الهَامِ نُضَّبٍ ... مُبِينٌ بِهَا وَقْعٌ مِنَ المَيْسِ فَاحِشُ
صَفَقْنَ الأُنُوفَ فِي المَثَانِي فَأَعْصَفَتْ ... بِنَا مِثْلَ مَا صَفَّ الا... ... ...
عَمِينَ اللُّجَيْنَ الجَعْدَ حَتَّى كَأَنَّهُ ... عَمَائِمُ بِيضٌ أَوْ عَمِيتٌ نَفَائِشُ

عَمِي : يَعْمَى : إذَا عَمَّ الخَرَاطِيمَ الزَّبَدُ ، العَمِيتَةُ والنُّفَيْشَةُ والضَّرِيبَةُ : مَا هُيِّئَ لِيُغْزَلَ مِنَ الصُّوفِ.

ومَاءٍ قَدِيمِ العَهْدِ بِالحَيِّ آجِنٍ ... بِأَعْطَافِهِ القِرْدَانُ دَابٍ وَنَاهِشُ
وَرَدْتُ وَلَمْ أَخْشَ الظَّلاَمَ ولم تَرِدْ ... ...رِعَالٌ... ... ...
وَمَيْسٍ وفِتْيَانٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... مَصَابِيحُ، أَزْوَالُ الرَّحِيلِ ...(٦)
نَفَا عَنْهُمُ الحَوْكُ اليَمَانِي كَمَا نَفَا ... عَنِ الهِنْدِ أَجْفَانٌ عَلَيْهَا المَشَامِشُ

قال : المَشَامِشُ : خرقةٌ يجعلها في النُّورة ثم يَجْلُوْ بها السيفَ ، وقال المطرفي : هو الصَّيْقَلُ .

فَمَلُّوا أَدَاوَاهُمْ مِنَ اخْضَرَّ آجِنٍ ... غِشَاشًا وَلِلْحَيَّاتِ فِيهِ كَشَاكِشُ
فَلَمَّا وَرَدْنَا خَرَّ بَعْضُ رِكَابِنَا ... ومَاجَ العِتَاقُ المُبْرَيَاتُ الغَطَامِشُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي الرَّحِيلَ، فَمَا هُنَا ... مُنَاخٌ وَلاَ لِلنَّوْمِ تُلْقَى المَفَارِشُ

وَقَوْمٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ تَغْلِي صُدُورُهُمْ ... عَلَيَّ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ . . . . . .
لَهُمْ نَظَرٌ حَوْلِي يَكَادُ يُزِيلُنِي ... وَأَبْصَارُهُمْ نَحْوَ الْأَعَادِي مَرَامِشُ
هَمَمْتُ بِقَوْلٍ فِيهِمُ أَنْ أَقُولَهُ ... وَلَسْتُ بِمُسْتَعْدٍ وَإِنِّي لَمَارِشُ
وشَاعِرِ . . .لٍ فِي الْخَلَاءِ مُجَنَّبٍ ... صِدَامَ الْعِدَى لَمْ تَكْتَنِفْهُ الْمَنَاجِشُ
إِذَا ضَمَّهُ الْمِطْمَارُ يَوْماً وجَدْتَهُ ... ذَلِيلاً وقَدْ تُجْزَى بِهِ مَنْ يُجَاهِشُ
صَكَكْتُهُ صَكَّ الفِيلِ حتى تَرَكْتُهُ ... أَمِيماً بِهِ مُسْتَدْمِيَاتٌ مَقَارِشُ
أَنَا الشَّاعِرُ الْخَطَّارُ مِنْ دُونِ عَامِرٍ ... وَذُو الضُّغْمِ إِذْ بَعْضُ الْمُحَامِينَ نَاهِشُ
أَقَرَّتْ مَصَاعِيبُ الْقَبَائِلِ كُلُّهَا ... لِرِزِّي وَهَرَّتْنِي الْكِلَابُ الْهَوَارِشُ
وَقَرْمٌ إِذَا مَاصَكَّ بِالنَّابِ صَكَّةً ... عَلَى النَّابِ أَخلته البِكَارُ الْكَشَاكِشُ
وَكَبْشٌ إِذَا جَدُّ النِّطَاحُ اتَّقَتْ بِهِ ... بِأَكْفَالِهَا عِنْدَ النِّطَاحِ الْكَبَائِشُ
وَصَقْرٌ قَطَامِيٌّ إِذَا صَكَّ صَكَّةً ... قَفَا خَرَبٍ حَيًّا الحَصَا وهُوَ رَاعِشُ
وَحَيَّةُ قُفٍّ بَيْنَ لَهْدَيْنِ تَلْتَوِي ... لِنَهْشَةِ حَيَّاتِ الْقِفَافِ النَّشَائِشِ
وَإِنَّا إِذَا خِفْنَا لَنَنْهَضُ فِي الْوَغَى ... بِكُلِّ طِمِرٍّ لَمْ تَخُنْهُ الرَّوَاهِشُ
أَقَبَّ كَسِرْحَانِ الْغَضَا الْعَبْلِ عِنْدَهُ ... بِفَارِسِهِ مَرٌّ مِنَ الْجَرْيِ جَائِشُ
وَكُلِّ عَنُودٍ فِي الْقِيَادِ كَأَنَّهَا ... خُدَارِيَّةٌ بَلَّتْ قَرَاهَا الطَّشَائِشُ
إِذَا كَانَ يوماً لَا يَنَالُ قَذَالَهَا ... لِإِلْجَامِهَا إِلَّا الْمُعَاطِي الْمُنَاوِشُ
وإِلَّا الَّذِي يَحْمِي عَلَيْهَا ويَحْتَوِي ... سَوَامَ الْأَعَادِي، والْمُرَادِي المدايِشُ
وَمِنْ عَهْدِ دَاوُودِ النَّبِيِّ سَوَابِغٌ ... عَلَيْنَا كَمَا سَالَ النِّهَاءُ الْمَوَارِشُ[٧]
وَخَطِّيَّةٌ سُمْرٌ كَأَنَّ كُعُوبَهَا ... نَوَى الْقَسْبِ لَا يَقْتَصُّ مِنْهَا الْمُنَاهِشُ
وَبِيضٌ إِذَا مَا جُرِّدَتْ مِنْ جُفُونِهَا ... لِهَامِ الْأَعَادِي طَارَ مِنْهَا الْفَـ . . . . .
أَلَمْ يُقْصِرِ الْفَرْعَانِ عَنْ سُوءِ بَيْنِهِمْ ... وَطُولِ التَّمَادِي حِينَ طَالَ التَّجَايُشُ[٨]

قال أبو علي : هذا الذي رَويتُ منها ، وذكر رواة بعض بني كلاب أنها أكثر من هذا ، وقالها بالعراق حين قال له ابنُ السِّكِّيْتِ وابْنُ الأعرابيّ: قُلْ لنا قافية على الشين . انتهى .

٣ ــ قصيدة على حرف العين أوردها الهجري تابعة للنّونية الآتية ـ فقال[٩]:

وله في بني سُلَيْمٍ :

تَرَكْنَا بِالنُّقَيْعِ بَنِي سُلَيْمٍ ... ذَوِي ذُلٍّ لَنَا وَذَوِي خُضُوعِ
وقَدْ نَزَلُوا النُّقَيْعَ ولابَتَيْهِ ... فَمَا نَجَّاهُمُ لُوبُ النُّقَيْعِ
نَقَبْنَا الحَرَّةَ السَّوْدَاءَ عَنْهُمْ ... كَنَقْبِ الرَّأْسِ عَنْ أُمِّ الشَّمِيعِ
طَلَعْنَا مِنْ ثَنَايَاهَا عَلَيْهِمْ ... وَكُنَّا القَوْمَ أَصْحَابَ الطُّلُوعِ
بِهِنَّ خَوَانِفاً وَبِهِنَّ شُعْثاً ... يَشِكْنَ الوَقْعَ كَالْحَدَإِ الشُّرُوعِ
فَمَا غَادَرْنَ عِنْدَ بَنِي خُمَيْرٍ ... سِوَى فَقْرٍ لَهُمْ بَاقٍ وَجُوعِ
عَلَى أَنْ قَدْ نَجَا مِنَّا ابْنُ يَحْيَى ... وَعَمَّارٌ وعَمْرُو بْنُ الْمُطِيعِ
وَمَا بَالَى ابْنُ يَحْيَى حِينَ نُجِّي ... بِنَفْسِهِ مَنْ أُصِيبَ مِنَ الجَمِيعِ
رَأَوْا في اللاَّبَةِ القَضْيَاءِ مِنَّا ... نُزَاةَ العُصْمِ في الوَعْرِ المَنِيعِ
فَسَمَا مَاجُوا إلى البِيضِ الحَوالي ... وَلَا هَمُّوا إِلَيْهَا بِالرُّجُوعِ
... لله شُكْراً يَاابْنَ يَحْيَى ... وَبَالِغْ في التَّهَجُّدِ وَالخُشُوعِ
بِمَا أَفْلَتَّ مِنْ أَسْيَافِ قَوْمٍ ... ضَوَارِيَ بِالإِصَابَةِ وَالْوُقُوعِ
... ذَوَابِلَ نَاهِلاَتٍ ... وَجُرْدٍ مَا يَزِلْنَ عَلَى صَرِيعِ(١٠)

٤ ـ قصيدة نونية تقع في (٦٨) بيتاً ، جاء في مقدمتها ـ بعد إيراد القصيدة الشِّينيّة(١١) ـ: وله أيضاً في يوم مُرَامِرَاتٍ لهم على بني فزارة ، أَنْشَدَنِيهَا جماعة من بني كلاب المُطَرِّفي وأبو المُضَيِّح وغيرُهُما:

أَلَا حَيِّ المَنَازِلَ بَيْنَ رُمْحٍ ... وبَيْنَ القَهْبِ دَارِسَةَ المَغَانِي
عَفَاهَا كُلُّ أَوْطَفَ ذِي حَبِيٍّ ... وَسَافِي التُّرْبِ مِنْ ذَاتِ الزُّبَانِ
مَنَازِلُ مِنْ سُعَادَ وَجَارَتَيْهَا ... ذَوَاتِ الدَّلِّ والسَّحْلِ اليَمَانِي
وَبِجَدْوَلٍ زَهَاهُ عَلَى التَّرَاقِي ... نَظَائِمُ لُؤْلُؤٍ بَيْنَ الجُمَانِ
وَنُجْلٍ شُبَّ جَائِلُهَا بِكُحْلٍ ... غَنِينَ كَأَنَّهَا حُورُ الجِنَانِ
وَشُنْبٍ كَالأَقَاحِي غِبَّ هَضْبٍ ... كَأَنَّ رُضَابَهُ صَفْوُ الدِّنَانِ
عَدَانِي الشَّيْبُ عَنْهَا وَالعَوَادِي ... ومِثْلُ الشَّيْبِ عَنْهَا مَا عَدَانِي
وَحَرْبٌ أَجْمَعَتْ قَيْسٌ عَلَيْنَا ... فَعَمَّ الخَوْفُ مِنْ قَاصٍ وَدَانِ

كَأَنَّا فِيهِمُ رَبْعَ نَقِيلٍ ... إِلَى خَوْلاَنَ أَوْ عَبْدِ المَدَانِ
تُقَاتِلُنَا قَبَائِلُهُمْ فُرَادَى ... وَمَثْنَى ذَاتُ حَشْدٍ وَاعْتِوَانِ
صَبَحْنَا يَومُ جَوُّ مُرَامِرَاتٍ ... ... حَدُّ المندواني
تَرَكْنَا مِنْهُمُ بِمُرَامِرَاتٍ ... مَلاَحِمَ لاَ تَبِيدُ عَلَى الزَّمَانِ
تَهَادَاهُمْ ضِبَاعُ شُهُوبِ قَوٍّ ... وَمُغْرُ المَضْرَجِيَّةِ مِنْ أَبَانِ
فَلَوْ شَاهَدْتِ يَوْمَ مُرَامِرَاتٍ ... سُلَيْمَى لاَفْتَخَرْتِ عَلَى الغَوَانِي
لأَدْنَيْتِ القِنَاعَ وَلَمْ تُرَاعِي ... وَأَسْبَغْتِ اللِّبَاسَ عَلَى البَنَانِ
غَدَاةَ دَعَا المُنَادِي يَالَ غَيْظٍ ... وَأُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ لِلطِّعَانِ
وَكَانَ القَوْمُ أَنْدَاداً فَكَانَتْ ... بَنُو البَرْزَى لِحَيٍّ بَنِي سِنَانِ
وَرَهْطُ مُلاَعِبٍ وَبَنِي عَدِيٍّ ... وشمخ ... ... تَكَالَبَان
وَقَدْ رَكَدَتْ غَمَامَتُنَا عَلَيْهِمْ ... بِبِيضِ الهِنْدِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ
وَجَاءَتْ مَازِنٌ أَلْباً عَلَيْنَا ... وَبَعْدُ قَبَائِلٌ مِنْهُمْ ثَمَانِ
وَغَابَ ابْنَا رَبِيعَةَ لَمْ يَجِيئَا ... وَعَمَّانَا عَلَيْنَا جَاهِدَان(١٢)
فَلَيْتَهُمَا غَدَاةَ مُرَامِرَاتٍ ... وَقَدْ حَشَدَ الكَتَائِبُ يَنْظُرَانِ
إِلَى ابْنِ أَخِيهِمَا لَمَّا اسْتَهَلَّتْ ... سُمِيُّ المَوْتِ فِي قَلَعٍ دَوَان
إِذَنْ لَتَبَيَّنَا حَدًّا وَجِدًّا ... وَسَعْراً بِالأَسِنَّةِ غَيْرَ وَانِ
لِذُبْيَانٍ طَلاَئِعُ مِنْ نُمَيْرٍ ... عَلَيْنَا بَيِّنٌ لَهَاتِ عِيَانِ
تُقَاتِلُ مَرَّةً وَتَعِينُ أُخْرَى ... فَفَرَّتْ بِالصَّغَارِ وَبِالهَوَانِ(١٣)
فَيَاللهِ أَيُّ رَحًى رَحَانَا ... رُكُودَ القُطْبِ ثَابِتَةَ المَكَانِ
لَهَا الأَرْحَاءُ مِنْ مِئَةٍ فَحَدْرٍ ... وَلَهْوَتُهَا ثَمَانِي وَاثْنَتَانِ
وَإِنْ تَنْشُدْ بَنِي ذُبْيَانَ تُخْبَرْ ... وَمَا الخَبَرُ المُشَكِّلُ كَالبَيَانِ
أَلَمْ يَكُ جَمْعُهُمْ مِئَةً وَأَلْفاً ... كَجِلْبِ اللَّيْلِ ذَا أُربٍ وَشَانِ
عَلَى رَايَاتِ وَاحِدَةٍ وَعَشْرٍ ... عَلَى الظَّنِّ المُخَيِّبِ وَالأَمَانِي
يَقُودُهُمُ المُنَاهِبُ وَابْنُ دَهْوٍ ... وَشِمْرٌ وَالمُبَادِرُ وَاليَمَانِي
وَأَوْسٌ وَابْنُهُ وَابْنُ المُثَنَّى ... وَعَمَّارٌ وَنَصْرٌ ابْنُ البَنَانِ
وَقَعْقَاعٌ وَقَدْ حَامَتْ عَلَيْهِ ... عِتَاقُ الطَّيْرِ فِي جَزْرٍ سِمَانِ

تُوُقِّيَ مِنْهُمْ مِثْـنا كَمِيٌّ ... رَدَتْ قَبْلَ النِّدَاءِ إلَى الأَمَانِ
يَدَانِ لَنَا عَلَى غَطَفَانَ نُعْمَى ... وبُؤْسَى لاَجَزَتْ بِهِمَا يَدَان
بِرَفْعِ السَّيْفِ عِنْدَ الحَرْبِ عَنْهُم ... وَكَفٌّ بَعْدَ قَتْلٍ وَاحْتِجَانِ
... فَبِمَنْ قَتَلْنَا ... مِنَ الرُّؤَسَاءِ يَوْمَ الشُّنْزَوَانِ

وَأَفْلَتَنَا المُبَادِرُ وَالعَوَالِي ... تَنُوشُهُ هَارِباً والمَوْتُ دَانِ
وَنَجَّى ابْنَ الدُّهَمِيِّ وَلَمْ يُنَاطِرْ ... عَلَى الطَّيَّارِ تَمْرَحُ فِي العِنَانِ
وَقَاهُ المُجْحِفَاتِ مِنَ المَنَايَا ... تَحَرُّفُهُ وَتَصْمِيمُ الحِصَانِ
وَلَوْ دَانَى الأَسِنَّةَ لاَدْوَتْهُ ... كَمَا قَدْ تَدْوِي مَنْ قَدْ يُدَانِي(١٤)
شَفَانِي فِي بَنِي ذُبْيَانَ يَوْمٌ ... وَلَوْلاَ قَتْلُ مُرَّةَ مَا شَفَانِي
وَحَلَّ الحَرْبُ كَلْكَلَهَا بِغَيْظٍ ... صِيَالاً وَهْيَ مُوقِشَةُ اللَّبَانِ(١٥)
ذَوِي الأَضْغَانِ قِدْماً وَالتَّمَادِي ... عَلَى الأَوْتَارِ وَالأَيْدِي الجَوَانِي
عَفَرْنَا مِنْهُمُ بِمَرَامِرَاتٍ ... وُجُوهاً لاَ تُجَمُّ مِنَ الدِّهَانِ
مُلُوكاً غَالِبِينَ بَنِي مُلُوكٍ ... ذَوِي ضَرْبِ المَعَازِفِ وَالقِيَانِ
وَأَرْدِيَةُ العَبَنْقَرِيِّ عَلَيْهِمْ ... مُحَلاَّةٌ بِشَذْرٍ شَمَرْذَوَانِ
وَفِتْيَانَ المَلاَحِمِ وَالمَرَادِي ... وَمُخْتَصِرِي عِصِيِّ الخَيْزُرَانِ
وَكَمْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِم مِنْ خُدُورٍ ... نَوَاعِمُ مِنْ بَنِي غَيْظٍ حِسَانِ
تُرِكْنَ حَوَانِياً بَلْ هُنَّ مِنْهُمْ ... أَرَامِلُ بِالأَسِنَّةِ لاَحَوَانِي
أَقَرَّ العَيْنَ مَا لاَقَى دُعَيْجٌ ... مِنَ التَّشْمِيسِ مِنْ بَعْدِ الصُّوَانِ
وَمُخْتَلَعٌ جِبَابُ الخَزِّ عَنْهُ ... وَدِرْعُ السَّابِرِيَّةِ لَمْ يُعَانِي
وَمُلْقَى كَفِّهِ وَبِهَا خِضَابٌ ... نَجِيعٌ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ قَانِ
فَهَذَا يَابَنِي ذُبْيَانَ مِنَّا ... إِلَيْكُمْ قَبْلَ حَشْدٍ وَاعْتِوَانِ
وَقَبْلَ الحَزْمِ إِنَّ الحَزْمَ أَعْلَى ... لإِجْمَاعِ الأُمُورِ مِنَ التَّوَانِي
فَإِنْ عُدْتُمْ بَنِي ذُبْيَانَ عُدْنَا ... وَأَيُّ عَوْدَةُ الحَرْبِ العَوَانِ
لَهَا جَلَبٌ... ... وَحَفْلٌ ... وَتَخْلِيطٌ... ... وَالزَّمَانِ
وَتُنْتِجُ بَعْدَ إِثْقَالٍ تَمَاماً ... وَتُصْبِحُ لاَقِحاً قَبْلَ الصِّنَانِ

وَقَـدْ رَامَـتْ ظُـلاَمَـتَـنَـا تَمِـيْـمٌ ... فَـرَاحَتْ كَـالْعـطُوفِ عَـلَى عِـرَانِ
وَرَامَـتْـهَـا بِـنُـو ذُبْـيَـانَ ظُـلْـماً ... فَهَلْ وَجَدُوا ـ سَلُوهُمْ ـ مِنْ لَيَانِ
سَـلُوا عَـنَّـا عُـمُـومَـتَـنَـا نُمَـيْراً ... وَمَـا الخَـبَرُ الْمُجَمْجَـمُ كَـالْبَيَـانِ
غَـدَاةَ الجُـرْفِ إِذْ وَرَدُوا عَـلَيْنَـا ... بِـذِي لَجَـبٍ شَـدِيْـدِ الإِرْنَـوَانِ
كَـأَنَّ هَمَـاهِـمَ الأَبْـطَالِ فِـيْـهِ ... أَزِيْـزُ الـغَيْـثِ أَوْ ضَـرْبُ القِيَـانِ
عَـلَى أَنَّـا نُمَـارِسُ مِـنْ سُـلَيْـمٍ ... وَشِـلَّتِهِـمْ عَـرُوْضـاً ذَاتَ شَـانِ
فَـنَـحْـنُ لَهُـمْ وَنَـحْـنُ إِلَى نُمَـيْرٍ ... كَـغَـرْبِـيْ نَـاضِـحٍ يَـتَـدَاوَلاَنِ
وَنَـقْلِـبُـهـا لإِخْـوَتِـنَـا عُـقَـيْـلٍ ... فَـهُـنَّ نَـوَاعِـبٌ أَبـداً عَـوَانِي
فَـهـذِي يَـا عُـمُـومَـتَـنَـا إِلَيْـكُـم ... هَـدَايَـانَـا فَـقَـرُّوا لِـلْهَـوَانِ

ولم تتضح كلمات كثيرة منها ، وقد أورد صاحب «اللسان» البيت السادس والعشرين في رسم (عين) ـ: وعان لهم كاعتان ـ الهجري ، وأنشد لناهض بن ثومة الكلابي ـ وأورد البيت .

٥ ـ وقال الهجري[١٦]: وهم الأبون ـ مرفوعة ـ وأبين منصوبة ومخفوضة ، وزن (...) لجماعة اب ، قال الكلابي ناهض بن ثومة :

وأُبَيِّضَ مِـنْ سَرَاةِ بَـنِي نُمَـيْرٍ ... يَحْمِي الـمُـحْـجَـرِيْـنَـا
أَغَـرَّ تَـفَـرَّجُ الـظَّلْمَاءُ عَـنْـهُ ... يُـفَـدَّى بِـالأَعُـمِّ وَبِـالأَبِـيْـنَـا

والبيت الأخير أورده صاحب «اللسان» في رسم (ابي) شاهداً على (أَبِيْنَ) في الجمع .

٦ ـ ومن المناسب أن نورد خبراً يتعلق بابنه غدير ، أورده الهجري في القسم المطبوع من «نوادره» ٢/٢٢٢ بما هذا نصه : لغدير بن ناهض بن ثومة ، أبي الأسوار ، ومات بِحجْرِ اليَمامة وقد بلغ سناً عالياً ، من كلمة يمدح بعض قريش :

يعطي ويعلم حين يعطي ماله ... أن اللئيم ومـالـه لا يخلد
وتكون نافلة الغنى من مـالـه ... نقـداً، ونافلةُ اللئيم الموعد

وإذا بِـكَ المتخلقـون تشبهـوا   أبت المكـارم والفعـال الأصيـد

٧ ـ وقد أورد الهجري[١٧] أيضاً في «التعليقات والنوادر» ما نصه : وأنشدني ابنُ بَذّالٍ الكلابي وهذا ابن عم ابن ثومة .

ولقد سعيت للحصول على نسخة من كتاب الدكتور النجار «مجمع الذاكرة» حين رأيت نسخة منه مهداة لأستاذ جليل في مصر ، فبحثت عنه في المكتبات ، ثم لما زرت تونس بحثت في مكتباتها ومنها الدار التونسية ، ولولا أن الأستاذ الجليل الدكتور المنجي الشملي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية ←

الحواشي :

(١) «التعليقات والنوادر» مصورة المخطوطة الهندية ص ١٩ ومابعدها ، وجاء في مقدمتها : وأنشدني الحسن بن عامر الرويبي هلالي ، وأبو محمد البيشي ، والشهراني وغيرهم لابن الدمينة وهو : عبدالله بن عبيد الله حطيطي من عامر بن تيم خثعمي ، وكتبنا في هذه النسخة ما صح من قوله ، وتركنا ما زيد من شعر المجنون و . . . ابن غالب ، وغيرهما مما لاشك فيه ـ ثم أورد القصيدة .

(٢) ٢١٧/١ ، وفي مصورة المخطوطة المصرية : ١٤٠ .

١ ـ أبو الميمون من شيوخ الهجري الذين روى عنهم ، سماه ، وأورد نسبه يحيى بن عبادة ، وساق النسب إلى قشير بن كعب .

٢ ـ القُنان : قال أبو علي : أهل السَّهْل يسمون الكُمَّ : القُنَانَ ، والجمع أقِنَّة ، قال : ولا يعرف في كلامنا غيره . انتهى من أصل الكتاب .

(٣) من ص ٨٤ إلى ص ٨٩ . مصورة المخطوطة الهندية.

(٤) أنظر وصفها في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع»: ١٥٨ .

(٥) الصلاءُ : يريد الفِهْرَ جمع صِلاه ـ كذا في هامش الأصل ـ .

(٦) كلمة لم تتضح ، وكتب معناها في الهامش: (خِفاف) .

(٧) كتب في الهامش : يحرش الأرض .

(٨) كتب في الهامش: الفرعان : كعب وكلاب .

(٩) المصورة الهندية : من ص ٩٠ إلى ص ٩٦ .

(١٠) كتب فوق كلمة يَزِلْنَ (مَعاً) والزاي فوقها فتحة وتحتها كسرة .

(١١) مصورة المخطوطة الهندية : من ص ٩٠ إلى ص ٩٦ .

(١٢) في الهامش : ابنا ربيعة : كعب وكلاب . وعماهما : نمير وهلال .

(١٣) في هامش مخطوطة الأصل : تَعِينُ بفتح التاء تكون لهم عيوناً وطلائع ، لامن المعونة .

(١٤) فوق كلمة (لأفَوْتُهُ) و(تَدْوِيْ): كلمتا: (لأحْتَوتُه) و(تحتوي) .

(١٥) في الهامش: (الحرب يذكر ويؤنث) .

(١٦) ـ ٣٦٤ ـ المصورة عن المخطوطة الهندية .

(١٧) القسم المطبوع: ٥٤/١ .

← أفضل بنسخة منه بواسطة المندوب الدائم السعودي في منظمة التربية والعلوم الأستاذ الصديق يوسف السيف ، لما تمكنت من الإستفادة منه ، ولندرته نشرت ماجاء فيه عن هذا الشاعر النجدي الذي يحرص القراء في بلادنا على معرفة كل ما يتصل به .

وهاهو نص مافي الكتاب ، قال الأستاذ الدكتور إبراهيم النجار[1]:

ناهض بن ثومة الكلابي وما تبقى من شعره :

أهْمَلَه القُدماءُ والُمحدَثون ، فَلَا ذكرَ له في مُعجم المَرْزُباني ، ولا إشَارةَ لديوَانِه في كتاب الفهرسْت ، ولا أثر له لدى المعاصرين من دَارسي الأدب القديم[2]. وكل ما لَديْنا من أخْباره ، وهي قليلةٌ ، ومِنْ شعرِه ، ولا يتجاوزُ مئةَ بيْت ، يكاد يتفرّدُ به كتابُ الأغاني . ومّا يُسْتَفَادُ مِنْ تَرْجمته المُوجزةِ التي أوْردَها أبو الفَرج أنّه (كانَ شاعراً بَدَوياً فَارساً فَصيحاً من شعراء الدولة العباسية)[3] وأنَّ جَدَّه كان شاعراً ، وأنَّ نسبَه يَتّصِلُ برَبِيعَةَ بن عَامِر بن صَعْصَعَةَ . فهو من شُعَرَاءِ القَيْسِيَّةِ القَلاَئل في القرنْ الثاني ـ إلى جانب بشّار بن بُرد مَوْلى بني عُقَيْل ، وأشْجَعَ السلَمِيِّ ـ الّذين صَحّحَتْ الرّوايةُ أنْسَابَهم تَعَصُّباً على اليَمَنِ وربيعةَ ـ اللذَيْنِ استَأثَرَا بِفُحُولَةِ الشّعر مُذْ قيام الدّولة الجديدة[4].

وَمَعَ ذلك بَقِيَ نَاهِضٌ مَغْموراً ، وهو أمْرٌ لا نَسْتَغْرِبُه إذْ أنّنا نَعْلَمُ أنّ الشاعرَ لَمْ يَنْتَجعْ بغدادَ ولم يطرُقْ أبْوَابَ الأشْرَاف ولم يكن مِمّنْ (بِأيْدِيهِمْ الرّقَاعُ يَطُوفُونَ بِهَا)[5]، وإنّما بَقيَ عَلَى بَدَاوَتِهِ يَنْتَجِعُ باديةَ العراق بِنَواحي البصرة ، وبادية الشام بنواحي حلَب ، ثمَّ هوَ يقْدَمُ البصرةَ لِماماً فيُكْتَبُ عَنْهُ شِعْرُهُ ، وتُؤخَذُ عنه اللّغةُ ، ويَرْوي عنه أمْثَالُ الرِّياشي وأبي سُرَاقَة ودَمَاذ غُلاَمُ أبي عُبَيْدة ، ويَبْدو أنَّ صِلاَته بمُعَاصريه لَم تتجاوزْ أهلَ العلْم من الرُّواةِ[6] وبعض الأمراء من وُلْد خالد بن يزيد[7] يَفِدُ عليهم عنْد انْتِجاعِهِ فَيصلُونَهُ أمّا علاَقَتُهُ بشعراء العصر فكلُّ ما نعلَمُه هو أنّه كانت له مهاجاةٌ مع عُمَارةَ بن عَقِيل بن بَلَال بن جَرِير (توفي ٢٣٩) ـ ولا تفيدنا المصادر شيئاً عن تاريخ وفاته ، وأغلب الظَّنّ أنه أدرك القرْن الثّالث وتوفّي في عقده الأول أو الثاني[8].

يَجْري شِعْرُ نَاهِض بن ثُومةَ بمعْزَلٍ عن المدينة ، وينْغرِسُ في صَميم بادية العراق والشَّام ، وتكاد تَنْحصر أغراضُه فيما كان يَجِدُّ آنذاكَ بديَار مُضَر - ولأسبَاب تَافِهَة[٩] - من نِزَاعات هَامِشيّة بينْ القَيْسِيَّة (بني نُمَيْر وبني رَبيعةَ بن صعْصَعَةَ فيما بينها) ، يتّخِذُها الشّاعرُ مطيّةً للمفاخرة بقوْمه والإشادَةِ بمآثِرِهِمْ . وإنّ المتفحّص لشعره - والغالبُ عليه المُطَوَّلاتُ - يَلْمسُ في صَفَاءِ عِبَارته ، وبراءةِ صُوَرِهِ امتداداً لأنماط الشّعر القديم كما استقرّتْ لدى شعراء صحراء الجزيرة ، ومَنْ ارْتَسَمَ خُطَاهُم من شعراء البادية الصّعاليك في القرن الأول كعُبَيْد بن أيوب العَنْبَرِيّ ، وطَهْمَان الكلابيّ ، والقتّال ، والخطيم المحْرِزِيّ ، وعُبَيْد الله بن الحُرّ ، ممّنْ احتفظَ ابنُ مَيْمُون في «مُنْتَهَى الطّلب» (مخطوط) بمختارات من أشعارهم[١٠]. فهو شعرٌ عربيٌّ محضٌ تَتَفَجّرُ فيه ثَقَافةُ الصّحْراء حَيّةً متجدّدةً ، لـمْ تَمَسّهَا (لَوثَةُ) المدينةِ . وهو شِعْرٌ يَجْري عن بديهَةٍ ويُذَكّرنا بما تعْتملُ فيه من قيم الفخْر الذاتي والفخر القبلي[١١]، بأنّ سَنَدَ الباديةِ لـمْ ينقطعْ في خِضَم (بِدَعِ) المُحْدَثين ، وأنّ ثقافةَ البادية الحَق - لا ثقافةَ منْ تشبّهُوا بها أمْثَال عَلِـي بن عَاصِم العَنْبري[١٢]، أو العَكَوّك[١٣] من المعاصرين وأبي تمّام[١٤] من شعراء القرن الثّالث - بَاقيةٌ متجدّدةٌ وأنّ مَنْحَى الأصالَةِ المُلْتَحم بهذه الثقافة (التأسيسيّة) سَيَتَواصل حتّى القرن الرّابع ، مُتخطّياً مَدْرَسة البَديع ، لِيَجِدَ في المتنبّي وأبي فراس خيرَ التابعين . على أنّه يَنْبَغي أنْ لَا نَنْسَى أنّ ذُيُوعَ مثلَ هذا الشّعر لَـمْ يكنْ أمراً مَيْسوراً . فَنَاهض وأضْرَابهُ من شُعراء بَادِية الحِجّاز[١٥] والعِرَاق الذين لـمْ يَسْتَقِروا بالعَواصِم الجديدة ولم يَطْرُقُوا أبْوَابَ الأشْراف ، قد أغفلَهُم مَنْ تَرْجَم للمُحدَثِينَ كابن المُعْتَزّ (توفي ٢٩٦هـ) وابن الجَرّاح (توفي ٢٩٦هـ) ، لاهْتِمَام هؤلاء أساساً بشعراء الحَواضر . نُضيف إلى هذا أنّ مَا جِيكَ من أخْبَارٍ هَازلَةٍ حول الحياة بالبادية ، رَوّجَهَا (شَيَاطينُ الأعراب) بالمِرْبد اسْتجابةً لذوْق العصر ، كما سبق أنْ ذَكَرْنَا[١٦] وتَلَقّفَهَا الحَضَرُ للتفَكهِ والتّملّح ، كان مِن نتائجه أنْ بَقِـي مُعْظمُ شعرِ البادية على هامِش مُدَوّنة الشّعر الرّسْمي . فقلّتْ روايتُه وقلّ قائلُوه . ولعلّ الخَبَرَ المطوّل الذي نَقَلَهُ أبو الفَرج[١٧] والذي يُصَوّرُ بطريقَةٍ هَزَلِيّةٍ أعْرَابِيّةَ نَاهِض ، خيرُ دَليل على هذه الظّاهرة . فَهَلْ نَسْتَغرِبُ بعد هذا إن بَقِـيَ شعرُ المولّدين عُموماً بمَعْزَلٍ

عنْ ثَقافة الصّحراء الحَقّ ، تلك التي مَثَّلَ ناهضُ بن ثُومةَ ، في أعْقَابِ القرن الثاني ، إحْدى حلقاتها الأخيرة ؟!

مصادر ترجمته وشعره :

ـ «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ـ ص ١٧٥ ـ ١٨٨ .
ـ «مختار الأغاني» ج ٨ ص ٢٨ ـ ٣٤ .
ـ «الحيوان» ج ٧ ص ١١٢ .
ـ «تَبْصير المُنتَبِه بتحْرير المشتبه» ج ١ ص ١١٠ .
ـ «معجم البلدان» ط . أوروبا ج ١ ص ١٦٤ ـ ١٦٥/ ج ٢ ص ٨١٦/ ج ٣ ص ٤٨١ .
ـ «تاج العروس» ج ٥ ص ٩٦ .

المراجع الحديثة :

ـ فؤاد سزكن «تاريخ . . .» ج ٢ ص ٥٠٧ .
ـ الزركلي: «الأعلام» ج ٨ ص ٣١٩ .
ـ شارل بلا «الجاحظ . . .» ص ٢٣٣ .

ـ ١ ـ

قال يُجيبُ عُمَارةَ بن عَقيْل[١٨] وقد عَرَّض بكَعْب وكِلَاب ابنَـيْ رَبِيعَةَ في الـحَرْب التي كانت بَيْنهم وبين نُمَيْر :

[الوافر]

يُحَـضِّـضُـنـا عُـمَـارَةُ فِي نُمَـيْرٍ ... لِـيَـشْـغَـلَهُـمْ بِـنَـا وَبِـهِ أرَابُـوا
ويَـزْعَـمُ أنَّـنَـا خُـرْنَـا وَأنَّـا ... لَهُـمْ جَـارُ الـمُـقَـرَّبَـةِ الْمُـصَـابُ
سَلُوا عَنَّـا نُمَـيْرًا هَـلْ وَقَـعْـنَـا ... بِـنَـزْوَتِهَـا الـتي كَـانَـتْ تُهَـابُ
أَلَمْ تَخْـضَـعْ لَهُمْ أَسَـدٌ وَدَانَـتْ ... لَهُـمْ سَـعْـدٌ وَضَـبَّـةُ والـرِّبَـابُ
وَنَحْنُ نَكُـرُّهَـا شُـعُـبـاً عَلَيْـهِـمْ ... عَلَيْهـا الشِّـيبُ مِـنَّـا وَالـشَّـبَـابُ
رَغِبْنَـا عَـنْ دِمَـاءِ بَنِي قُـرَيْـعٍ ... إِلَى الـقَـلْـعَـيْـنِ[٢٠] إنّهَا الـلُّبَـابُ

صَبَحْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... يَدِفُّ كَأَنَّ رَايَتَهُ النُّقَابُ
أَجَشَّ مِنَ الصَّوَاهِلِ ذِي دَوِيٍّ ... تَلُوحُ البِيضُ فِيهِ وَالحِرَابُ
فَأَشْعَلَ حِينَ حَلَّ بِوَارِدَاتٍ(٢١) ... وَثَارَ لِنَقْعِهِ ثُمَّ انْصِبَابُ
صَبَحْنَاهُمْ بِهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... وَلَمْ يُفْتَقْ مِنَ الصُّبْحِ الحِجَابُ
فَلَمْ تُغْمَدْ سُيُوفُ الهِنْدِ حَتَّى ... تَغَيَّلَتِ الحَلِيلَةُ والكَعَابُ

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٧ .

ـ ٢ ـ

وقَال في وَقْعَة كانت لِبني كِلَاب على بني نُمَيْر ، اعتزلت فيها بنُو كَعْب الفريقين :

[الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى كَعْباً عَلَى نَأْيِ دَارِهِمِ ... وَخِذْلَانِهِمْ أَنَّا سَرَرْنَا بَنِي كَعْبِ
بِمَا لَقِيَتْ مِنَّا نُمَيْرٌ وَجَمْعُهَا ... غَدَاةَ أَتَيْنَا فِي كَتَائِبِنَا الغُلْبِ
فَيَالَكَ يَوْماً بِالحِمَى(٢٢) لَا نَرَى لَهُ ... شَبِيهاً وَمَا فِي يَوْمِ شَيْبَانَ مِنْ عَتْبِ
أَقَامَتْ نُمَيْرٌ بِالحِمَى غَيْرَ رَغْبَةٍ ... فَكَانَ الذي نَالَتْ نُمَيْرٌ مِنَ النَّهْبِ
رُؤُوسٌ وَأَوْصَالٌ يُزَايِلُ بَيْنَهَا ... سِبَاعٌ تَدَلَّتْ مِنْ أَبَانَيْنِ(٢٣) والهَضْبِ
لَنَا وَقَعَاتٌ فِي نُمَيْرٍ تَتَابَعَتْ ... بِضَيْمٍ عَلَى ضَيْمٍ وَنَكْبٍ عَلَى نَكْبِ
وَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ كُلُّهَا ... وَلِلْحَرْبِ أَنْبَاءٌ(٢٤) بِأَنَّا بَنُو الحَرْبِ
أَلَمْ تَرَهُمْ طُرًّا عَلَيْنَا تَحَزَّبُوا ... وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرُّدَيْنِيُّ مِنْ حِزْبِ
وَإِنَّا لَنَقْتَادُ الجِيَادَ عَلَى الوَجَى ... لِأَعْدَائِنَا من لَا مُدَانٍ وَلَا صَقْبِ
فَفِي أَيِّ فَجٍّ مَارَكَزْنَا رِمَاحَنَا ... مَخُوفٍ بِنَصْبٍ لِلْعِدَى حِينَ لَا نَصْبِ

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

ـ ٣ ـ

وقال من قصيدة عَقِبَ حربٍ بين كَعْب و[كلاب] كان مَآلها الصّلح بين الفريقين :

[الوافر]

أَمِنْ طَلَلٍ بِأَخْطَبَ(٢٥) أَبْدَتْهُ ... نَجَاءُ الوَبْلِ والدِّيَمُ النِّضَاحُ
وَمَرُّ الدَّهْرِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ... فَمَا أَبْقَى المَسَاءُ ولاَ الصَّبَاحُ
فَكُلُّ مَحَلَّةٍ غَنِيَتْ بِسَلْمَى ... لِرِيدَاتِ الرِّيَاحِ بِهَا نُوَاحُ
تُطِلُّ عَلَى الجُفُونِ الحُزْنَ حَتَّى ... دُمُوعُ العَيْنِ نَاكِزَةٌ نِزَاحُ...
هَنِيئاً لِلْعِدَى سُخْطٌ وَرَغْمٌ ... وَلِلْفَرْعَيْنِ بَيْنَهُمَا اصْطِلاَحُ
وَلِلْعَيْنِ الرُّقَادُ فَقَدْ أَطَالَتْ ... مُسَاهَرَةً وَلِلْقَلْبِ انْتِجَاحُ
وَقَدْ قَالَ العُدَاةُ نَرَى كِلاَباً ... وَكَعْباً بَيْنَ صُلْحِهِمَا افْتِتَاحُ
تَدَاعَوْا لِلسَّلاَمِ وأَمْرِ نُجْحٍ ... وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا فِيهِ النَّجَاحُ
وَمَدُّوا بَيْنَهُمْ بِحِبَالِ مَجْدٍ ... وَثَنْيٍ لاَ أَجَدُّ وَلاَ ضَيَاحُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ القَوْمِ يُخْشَى ... وَأَنَّ حَرِيمَ واحِدِهِمْ مُبَاحُ
وَأَنَّ القِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْداً ... فَيُهْصَرُ لاَ يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ
وَأَنَّكَ إِنْ قَبَضْتَ بِهَا جَمِيعاً ... أَبَتْ مَا سُمْتَ وَاحِدَهَا القِدَاحُ
أَنَا الخَطَّارُ دُونَ بَنِي كِلاَبٍ ... وَكَعْبٍ إِنْ أُتِيحَ لَهُمْ مُتَاحُ
أَنَا الحَامِي لَهُمْ وَلِكُلِّ قَرْمٍ ... أَخٌ حَامٍ إِذَا جَدَّ النِّضَاحُ
أَنَا اللَّيْثُ الذي لا يَزْدَهِيهِ ... عُوَاءُ العَاوِيَاتِ وَلاَ النُّبَاحُ
سَلِ الشُّعَرَاءَ عَنِّي هَلْ أَقَرَّتْ ... بِقَلْبِي أَوْ عَفَتْ لَهُمُ الجِرَاحُ
فَمَا لِكَوَاهِلِ الشُّعَرَاءِ بُدٌّ ... مِنَ القَتَبِ الذي فِيهِ لَحَاحُ
وَمِنْ تَوْرِيكِ رَاكِبِهِ عَلَيْهِمْ ... وَإِنْ كَرِهُوا الرُّكُوبَ وَإِنْ أَلاَحُوا

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

ـ ٤ ـ

من قصيدةٍ ضائعةٍ وَرَدَتْ فِقَرٌ منها مُتَنَاثِرَةً في «الحيوان» و«البلدان» :

[الطويل]

ـ أ ـ

أَمِنْ(٢٦) طَلَلٍ بَيْنَ الكَثِيبِ وَأَخْطبٍ(٢٧) ... عَفَتْهُ السَّوَاحِي والهِدَامُ الرَّشَائِشُ

وجرُ السّوَافي فارْعَى فوْقه[٢٨] الحَصَى   فَـدَفُّ النَّقَـا مِنْـهُ مُقِيمٌ وطَـائِشُ
وَمَرُّ اللَّيَالـي فَهْوَ مِنْ طُولِ مَا عَفَا   كَبُـرْدِ اليَمَانِي وَشْـهُ[٢٩] الحِبْرُ نَـامِشُ

معجم البلدان رسم (أخطب) .

— ب —

فَـمَا العَهْـدُ مِـنْ أَسْـمَاءَ إلاَّ مَحَلَّةٌ   كَـمَا خَطُّ في ظَهْرِ الأَدِيمِ الـرَّوَاقِشُ
بِـرُمْحَيْنِ أَوْ بِـالْمُنْحَنَى دَبَّ فَـوْقَهَـا   سَفَا الرِّيحِ أَوْ جِذْعٌ مِنَ السَّيْلِ خَادِشُ

«معجم البلدان» رسـم (رمحين) .

— ج —

أَنَـا الشَّاعِـرُ الخَطَّارُ مِنْ دُونِ عَـامِرٍ   وَذُو الضَّغْمِ إِذْ بَعْضُ المُحَامِينَ نَاهِشُ
بِخَبْط كَخَبْطِ الفِيـلِ حَتَّى تَـرَكْتُـهُ   أَمِيمـاً بِـهِ مُسْتَـدْمِيَـاتٌ مَقَـارِشُ

«الحيوان» ج ٧ ص ١١٢ .

— ٥ —

قال أبو الفرج : (نَسختُ من هذا الكتاب[٣٠] الذي فيه شعْرُهُ. . . أنَّ وَقْعةً كانتْ بَيْنَ بَنِي نُمير وبني كلاَب بنَوَاحِـي ديَار مُضرَ ، وكانت لِكِلاب عَلى بَنِي نُمَير ، وأَنَّ نُمَيراً اسْتَغاثَتْ ببني تَميمٍ ، ولجَأتْ إلَى مَالِك بن زيدٍ سَيد تَمِيم يَوْمَئِذٍ بديَارِ مُضرَ فَمَنَعَ تميماً من إنْجادِهِمْ ، وقَال : ما كنا لِنُلْقِـي بَيْنَ قَيْس وخِنْدف دمَاء نَحْنُ عَنْهَا أَغْنِيَاءُ ، وأَنْتُمْ وَهُمْ لَنَا أَهْلٌ وإِخْوَةٌ ، فإِنْ سَعَيْتم في صُلْح عَاوَنَّا ، وإن كانَتْ حَمَالَةٌ أَعَنّا فَأَمّا الدِّمَـاءُ فَلاَ مَدْخَلَ لَنا بَيْنَكُم فيها . فقال نَاهِضُ بن ثومة في ذلك :

[الوافر]

سَـلاَمُ الله يَـا مَـالِ[٣١] بْنَ زَيْـدٍ   عَلَيْـكَ وَخَيْرُ مَـا أُهْـدِي السَّـلاَمَـا
تَـعَـلَّمْ آيِـنَـا لَـكُـمُ صَـدِيـقٌ   فَـلاَ تَـسْتَـعْجِلُوا فِيـنَـا المَـلاَمَـا
وَلـكِـنَّـا وَحَـيُّ بَـنِي نُـمَيْـرٍ   عُـدَاةٌ لاَ نَـرَى أَبَـداً سَـلاَمَـا

وَإِنْ كُنَّا تَكَافَفْنَا قَلِيلاً كَحَرْفِ السَّيْفِ يَنْهَارُ انْهِدَامَا
وَهَيْضُ العَظْمِ يُصْبِحُ ذَا انْصِدَاعٍ وَقَدْ ظَنَّ الجَهُولُ بِهِ الْتِئَامَا
فَلَنْ تَنْسَى الشَّبَابَ المُرْدَ مِنَّا وَلَا الشِّيبَ الجَحَاجِحَ والكِرَامَا
وَنَوْحَ نَوَائِحٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ مَآتِمَ مَا تَجِفُّ لَهُمْ سِجَامَا
فَكَيْفَ يَكُونُ صُلْحٌ بَعْدَ هَذَا يُرَجِّي الجَاهِلُونَ لَهُمْ تَمَامَا
أَلَا قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ تَمِيمٍ وَخُصَّ لِمَالِكٍ فِيهَا الكَلَامَا
فَزِيلُوا يَا بَنِي زَيْدٍ تَمِيرًا هَوَانًا إِنَّهُ يُدْنِي الفِطَامَا
وَلَا تُبْقُوا عَلَى الأَعْدَاءِ شَيْئًا أَعَزَّ اللهُ نَصْرَكُمُ وَدَامَا
وَجَدْتُ المَجْدَ فِي حَيَّيْ تَمِيمٍ وَرَهْطِ المُذْلَقِ(٣٢) المُوفِي النِّمَامَا
نُجُومُ القَوْمِ مَا زَالُوا هُدَاةً وَمَا زَالُوا لِإِبِيهِمْ زِمَامَا
هُمُ الرَّأْسُ المُقَدَّمُ مِنْ تَمِيمٍ وَغَارِبُهَا وَأَوْفَاهَا سَنَامَا
إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ آبَ نَجْمٌ أَغَرُّ نَرَى لِطَلْعَتِهِ ابْتِسَامَا
فَهَذِي لِابْنِ تُومَةَ فَانْسِبُوهَا إِلَيْهِ لَا اخْتِفَاءَ وَلَا اكْتِتَامَا
وَإِنْ رَغِمَتْ لِذَاكَ بَنُو تَمِيرٍ فَلَا زَالَتْ أُنُوفُهُمْ رِغَامَا

التخريج :

«الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
«تاج العروس» رسم جكص (البيت ١٦) .
«تَبْصير المُنتبه بتحرير المُشْتَبِه» ج ١ ص ١١٠ (البيت ١٦) .

ـ ٦ ـ

قال أبو الفرج : كَان يَهْجُوهُ [يَعنِي ناهضاً] رجلٌ من بَنِي الحَارث بن كَعْبٍ ، يُقَال له : نَافِعُ بن أَشْعَرَ الحارثيُّ ، فَأَثْرَى عَلَيْه نَاهضٌ . فَمِمَّا قَالَهُ في جوابِ قصيدة هَجَا بها قبائلَ قَيْسٍ ، قَصِيدَتُهُ التي أَوَّلُهَا :

[الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمَا يَا أَيُّهَا الطَّلَلَانِ وَهَلْ سَالِمٌ بَاقٍ عَلَى الحَدَثَانِ

أبينا لنا حُيِّيتُما اليومَ إنّنا … مُبينانِ عن مَيْلٍ بما تَسَلانِ
متى العهدُ من سَلمى التي بَتَّتِ القُوى … وأسماءَ إنّ العهدَ مُنذُ زمانِ
ولا زالَ يَنهَلُّ الغمامُ عليكُما … يُسيلُ الرُّبى من وابلٍ ودِجانِ
فإنْ أنتُما بَيَّنتُما أو أجَبتُما … فلازِلتُما بالنَّبتِ تَرتَدِيانِ
وجُرَّ الحريرُ والفِرِندُ عليكُما … بأذيالِ رَخصاتِ الأكُفِّ هِجانِ
نظرتُ ودوني قِيدُ رُمحينِ نظرةً … بعينينِ إنساناهُما غَرِقانِ
إلى ظُعُنٍ بالعاقِرينَ كأنّها … قرائنُ من دَوحِ الكثيبِ ثَمانِ
لِسلمى وأسماءَ اللّتينِ أكَنَّتا … بقلبيَ كَنينَيْ لَوعةٍ وضَمانِ
عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويلُ تَدانياً … ويا رُبَّ هجرٍ مُعقِبٍ بتَداني
خليليَّ قد أكثرتُما اللومَ فاربَعا … كفانيَ ما بي لو تُرِكتُ كفاني
إذا لم تَصِلْ سلمى وأسماءُ في الصِّبا … بحَبلَيهِما حَبلي فمَن تَصِلانِ
فدَعْ ذا ولكنْ قد عَجِبتُ لنافعٍ … ومَغواهُ من نَجرانَ حيثُ غَواني
غَوى أسداً لا يَزدَهيهِ غُواؤهُ … مُقيماً بلَوذَيْ يَذبُلٍ[٣٣] وذِقانِ[٣٤]
لَعَمري لقد قالَ ابنُ أشعرَ[٣٥] نافعٌ … مَقالةَ مَوطوءِ الحريمِ مُهانِ
أيَزعَمُ أنّ العامريَّ لِفعلِهِ … بعاقبةٍ يُرمى بهِ الرَّجَوانِ
ويَذكُرُ إنْ لاقاهُ زَلّةَ نَعلِهِ … فَجِيءٌ لِلّذي لم يَستَبِنْ ببَيانِ
كذَبتَ ولكنْ بابنِ عُلْبةَ جعفرٍ[٣٦] … فدَعْ ما تَمنّى زَلّتِ القَدَمانِ
أُصيبَ فلم يُعقَلْ وطُلَّ فلم يُقَدْ … فذاكَ الذي تُجزى بهِ الأبَوانِ
وحُقَّ لِمَن كانَ ابنُ أشعرَ ثائراً … بهِ الطَّلُّ حتى يُحشَرَ الثَّقَلانِ
ذليلٌ ذليلُ الرَّهطِ أعمى يَسومُهُ … بَنو عامرٍ ضَيماً بكُلِّ مكانِ
فلم يَبقَ إلّا قولُهُ بلسانِهِ … وما ضَرَّ قولُ كاذبٍ بلِسانِ
هَجا نافعٌ كعباً لِيُدرِكَ وِترَهُ … ولم يَهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ
ولم تَعفُ من آثارِ كعبٍ بوجهِهِ … قوارعُ منها وُضَّحٌ وقَوانِ
وقد خَضَبوا وجهَ ابنِ عُلْبةَ جعفرٍ … خِضابَ نَجيعٍ لا خِضابَ دِهانِ
فلم يَهجُ كعباً نافعٌ بعد ضَربةٍ[٣٧] … بمَنيفٍ ولم يَطعَنهُمُ بسِنانِ

فَإِلَكَ مهْجَى يا ابن أشعَرَ فاكْتَمِمْ[٣٨] عَلَى حَجَرٍ وَاصْبِرْ لِكُلِّ هَوَانِ
إِذَا المَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ فَيَثْأَرْ بِعَمِّهِ[٣٩] فَلَيْسَ يُجَلِّ العَارُ بِالهَذَيَانِ
أَبِي قَيْسُ عَيْلَانَ وَعَمِّي خِنْدِفٌ ذَوَا[٤٠] البَذْخِ عِنْدَ الفَخْرِ وَالخَطَرَانِ
إِذَا مَا تَجَمَّعْنَا وَسَارَتْ جِذَاءُنَا رَبِيعَةُ لَمْ يُعْدَلْ بِنَا أَخَوَانِ
أَلَيْسَ نَبِيُّ اللهِ مِنَّا مُحَمَّدٌ وَحَمْزَةُ وَالعَبَّاسُ وَالعُمَرَانِ
وَمِنَّا ابْنُ عَبَّاسٍ وَمِنَّا ابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ إِمَامُ الحَقِّ وَالحَسَنَانِ
وَعُثْمَانُ وَالصِّدِّيقُ مِنَّا وَأَنْتُمَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ مَا يَعِدَانِ
وَمِنَّا بَنُو العَبَّاسِ فَضْلاً فَمَنْ لَكُمْ هَلُمُّوهُ أَوْ لَا يَنْطِقَنَّ يَمَانِ

التخريج :

«الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٨ .
«مختار الأغاني» ج ٨ ص ٢٨ ـ ٣٠ (١/ ١١ ـ ١٣/ ١٥/ ٢٣ ـ ٣٤).

التعليق : قارن الطالع الغزليّ لهذه القصيدة (الأبيات ١ ـ ١٢) بمجموعة القصائد التي وردتْ على نفس البحر ونفس الرّويّ لثلّة من شعراء الصعلكة في العصر الأموي (انظر الإحالة رقم ١٠ ص ٢٣) . في نفس السياق انظر «ديوان ابن الدُّمينة» تحقيق راتب النفاخ/ ص ١٨٠ ـ ١٨٨ .

[البسيط]

ـ ٧ ـ

يَا حبّذَا عَمَلَ الشّيْطَانِ مِنْ عَمَلٍ إِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ حُبُّهَا
لَنَظْرَةٌ مِنْ سُلَيْمَى اليَومَ وَاحِدَةٌ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[٤١]

التخريج : «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٤ .

من اخبار ناهض بن ثومة :

(أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثني ابن العباس الهاشمي من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال :

كان ناهض بن ثُومَةَ الكلابيّ يَفِدُ على جِدّي قُثم فَيَمْدَحُهُ ، ويَصِلُهُ جَدّي وغيرُه ، وكان بَدَوِيّا جافِياً كأنّه من الوَحْش ، وكان طَيِّبَ الحديث ، فَحدَّثه يوماً : أنّهم انْتَجَعُوا نَاحيةَ الشّام ، فقَصد صديقاً لَه من وَلَد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزلُ حَلَب ، فَإذا نَزَلَ نَواحيها أَتاهُ فَمَدَحَهُ ، وكان بَرًّا به ، قال : فمررتُ بقَرْية يقال لها قرية بَكْر بن عبدالله الهلالي ، فرأيت دُوراً متباينةً وخِصاصاً قد ضُمّ بعضُها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مُقْبِلون ومُدْبِرون ، عليهم ثيابٌ تَحْكِي ألوَانَ الزّهر ، فقلت في نفسي : هذا أحَدُ العِيدَيْن : الأضحى أو الفِطْر . ثم ثَابَ إليّ ما عَزَبَ عن عقلي ، فقلتُ : خرجْتُ من أهْلِي في بَادية البَصْرة في صَفَر ، وقد مضى العِيدَان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرَى ؟

فبينا أنا واقفٌ متعجّب أتانِي رجلٌ فأخذَ بِيَدي ، فأَدْخَلَني داراً قَوْرَاءَ ، وأَدْخَلَني منها بيتاً قد نُجِّدَ في وجْهِه فُرُشٌ ومُهِّدَتْ ، وعليها شَابٌ يَنَالُ فُرُوعُ شَعْرِه مَنْكِبَيْه ، والناسُ حولَه سِماطان ، فقلتُ في نفسي : هذا الأميرُ الذي حُكِيَ لَنَا جُلوسُه على الناس وجلوسُ النّاس بين يَدَيْه ، فقلتُ وأنا ماثلٌ بين يديه : السّلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله وبَرَكَاتُه . فجذَب رجلٌ يَدِي ، وقال : اجْلِسْ فإنّ هذا ليسَ بأمير . قلت : فَما هو؟ قال : عَرُوسٌ . فقلت : وَاثُكْلَ أمّاه ، لَرُبَّ عَرُوس رأيتُه بالبادية أَهْوَنُ على أَهْلِه من هَنِ أُمِّهِ . فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ دخَلَ رجالٌ يَحْمِلون هَناتٍ مُدَوَّرات ، أمّا مَا خَفَّ منها فَيُحْملُ حَمْلاً ، وأمّا مَا كَبُرَ وثَقُلَ فَيُدَحْرَجُ ، فَوُضِعَ ذلك أمامنَا ، وتَحلّقَ القومُ عليه حِلَقاً ، ثم أُتِينَا بخرَقٍ بيض فأُلْقِيَتْ بَيْنَ أيْدِينَا ، فَظَنَنْتُهَا ثياباً ، وهَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَ القومَ منْها خِرَقاً أَقْطَعُهَا قميصاً ، وذلك أنّي رَأَيْتُ نَسْجاً مُتَلاحِماً لا يَبِينُ لَهُ سَدًى ولا لُحْمَةٌ ، فلَمّا بَسَطهُ القومُ بينَ أيْديهم إذَا هُوَ يَتَمَزَّقُ سريعاً ، وإذا هو ـ فيما زعَمُوا ـ صِنْفٌ من الخُبْز لا أعْرِفُه ، ثم أُتِينَا بطعَام كثير بَيْنَ حُلْوٍ وحَامِضٍ ، وحارٍّ وباردٍ ، فأكثرْت منه وأنا لا أعلمُ ما في عقبِهِ من التّخَم والبَشَم ، ثم أُتِينَا بشرابٍ أحمرَ في عِسَاسٍ ، فقلتُ : لا حاجةَ لي فيه ، فإنّي أخافُ أن يَقْتُلَنِي .

وكان إلى جانبي رجلٌ ناصحٌ لي أَحْسَنَ الله جَزَاءه ، فإنّه كان يَنْصَحُ لي مِنْ بَيْنَ

أَهْلِ المَجْلس ، فقال : يا أعرابِيُّ إنّك قد أَكْثَرتَ من الطّعامِ ، وإن شَرِبْتَ الماءَ هَمَى بَطْنُك . فلمّا ذَكَرَ البَطْنُ تذكّرتُ شيئاً أَوْصانِي به أَبِي والأَشياخُ مِنْ أَهْلِي ، قَالوا : لاتزالُ حيًّا ما كانَ بطنُك شَديداً فإذَا اخْتَلَفَ فَأَوْصِ . فَشَرِبْتُ مِنْ ذلكَ الشّرابِ لأتَدَاوَى بِه ، وجَعَلْتُ أُكْثِرُ منه فَلا أملُّ شُرْبَه ، فَتَدَاخلَنِي مِنْ ذلك صَلَفٌ لا أَعْرِفُه مِنْ نَفْسِي ، وبُكَاءٌ لا أَعْرِفُ سَبَبَه ولا عَهْدَ لي بِمثْله ، واقْتِدَارٌ على أمري أَظُنُّ مَعَه أنّي لَو اردْتُ نَيْلَ السّقْفِ لَبَلَغْتُه ، ولَوْ سَاوَرْتُ الأَسدَ لَقَتَلْتُهُ ، وجعلْتُ أَلْتَفِتُ إلى الرّجلِ النّاصِح لِي فَتُحَدِّثُنِي نَفْسِي بِهَتْمِ أَسْنَانِه وَهَشْمِ أَنْفِه ، وأَهُمُّ أحياناً أَنْ أقولَ له : يابْنَ الزَّانِيَة ! فَبَيْنَا نَحْنُ كذلك إذْ هَجَم علَيْنَا شياطِينُ أَرْبَعَةٌ ، أحدُهُم قَد علّقَ في عُنقِه جعْبةً فارسيّةً مشنّجَةَ الطّرَفيْنِ دَقيقَةَ الوَسَط ، مشْبُوحَةً بالخُيُوطِ شَبْحاً مُنْكَراً ، ثُمّ بَدَرَ الثّانِي فاسْتَخرَجَ من كُمّه هَنَةً سَوْدَاءَ كَفَيْشلَةِ الحمَار ، فوضَعَها في فِيه ، وضَرَط ضُرَاطاً لَـم أسْمَعْ - وبَيْتِ الله - أعجبَ منه ، فاسْتَتَمَّ بها أمْرُهم ، ثمّ حرّك أصابعَه على أَجْحِرَةٍ فيها فأَخْرجَ منْها أَصْواتاً لَيْسَ كما بَدَأَ تُشْبِهُ الضُّرَاطَ ولكنّه أتى مِنْهَا لَـمّا حرّك أَصَابعَه بِصَوْتٍ عجيبٍ متلائمٍ مُتَشاكلٍ بَعْضُهُ لِبَعْض ، كأنّه ، عَلِـمَ الله ، يَنْطِـقُ . ثمّ بَدا ثالثٌ كَزٌّ مَقِيتٌ عَلَيْه قَميص وَسِخٌ ، مَعَه مِرآتَان ، فَجَعَل يُصَفِّقُ بِيَدَيْه إحْداهُما على الأخرى فَخالَطَتَا بِصَوْتِهِمَا ما يفعَلُه الرّجلان ، ثُمّ بَدا رَابعٌ عَلَيْه قميصٌ مَصُونٌ وَسَرَاويلُ مصُونةٌ وخُفّانِ أَجْذَمان لاَ ساقَ لِوَاحِدٍ منْهُمَا ، فَجعَل يَقْفِزُ كأنّه يَثِبُ على ظُهور العَقَارب ثُم التبَطَ به على الأرض ، فقلتُ : مَعْتُوهٌ وَرَبِّ الكَعبة ! ثمَّ ما بَرِحَ مكانه حتّى كان أَغْبطَ القوم عِنْدي . ورأيتُ القَومَ يَحْذِفُونَه بالدَّرَاهِم حذْفاً مُنْكَراً .

ثمَّ أَرْسَلَ النّساء إلَيْنَا : أن أَمْتِعُونَا مِنْ لَهْوِكُمْ هَذَا . فَبَعَثُوا بِهم ، وجعلْنَا نَسْمعُ أصواتَهُنَّ مِنْ بُعْدٍ ، وكان مَعَنَا في البَيْتِ شَابٌّ لا آبَهُ لَه ، فَعَلَتِ الأصواتُ بالثّناء علَيْه والدّعَاءِ ، فَخَرَج فجاءَ بخشَبَةٍ عَيْنَاهَا في صَدْرِها ، فيها خيُوط أَرْبَعَةٌ ، فاستخْرَجَ من خِلاَلها عوداً فَوضَعه خلفَ أُذُنِه ، ثُمّ عَرَكَ آذانَهَا وحَرّكَهَا بِخَشَبَة في يَدِهِ فَنَطقَتْ - وربِّ الكَعْبَة - وإذا هي أَحْسَنُ قَيْنَةٍ رأيْتُهَا قطُّ ، وغنّى عَلَيها ، فأَطْرَبَنِـي حتّى استَخَفّني مِنْ مَجْلِسِـي ، فَوثَبْتُ فجلَسْتُ بَيْنَ يدَيْه ، وقلتُ :

بأبي أنتَ وأمّي ، ما هذه الدَّابّةُ فلسْتُ أعرِفُها لِلأعْرَاب وَمَا أراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البَرْبَطُ ؟ فقلت : بأبي أنت وأمّي ، فَما هذا الخَيْطُ الأسفَلُ ؟ قال : الزِّيرُ . قلت : فالذي يَلِيه ؟ قال : المَثْنَى . قلت : فالثّالثُ ؟ قال : المَثْلَثُ . قلت : فالأعلَى ؟ قال : البَمُّ . قلت : آمنتُ بالله أوّلاً ، وبِك ثانياً ، والبَرْبَطِ ثَالثاً وبالبمّ رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقَط ، وجعَل نَاهضٌ يَعْجَبُ مِنْ ضحكِهِ ثُمّ كان بعْد ذلك يَسْتَعِيدُه هذا الحديثَ ، ويُطْرِفُ به إخْوانَه فيُعِيدُه ويَضْحَكُونَ منه)(٤٢).

«الأغاني» ج ١٣ ص ١٧٨ ـ ١٨١ .

ما جمعناه من شعر ناهض بن ثومة

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	٢	٢١
الحاء	١	١٨
الشين	١	٧
الميم	١	١٧
النون	١	٣٤
الياء	١	٢
المجموع	٧	٩٩

البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الوافر	٣	٤٦
الطويل	٣	٥١
البسيط	١	٢
المجموع	٧	٩٩

ملاحظة : الفهرس المفصّل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر ناهض بن ثُومة وغيره من المقلّين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم ، فذلك ما يجده القارئ في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة .

الحواشي :

(١) مجمع الذاكرة: ج ١ من ص ٢٦٥ إلى ٢٩٣ ـ .

(٢) نستثني إشارة المستشرق (بلا) العابرة في كتابه «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء» ص ٢٣٣ .

(٣) الأغاني/ ط . دار الكتب ج ١٣ ص ١٧٥ .

(٤) انظر باب (تنقل الشعر في القبائل) «العمدة» ج ١ ص ٨٦ ـ ٩٠ وكذلك كتاب الأوراق/ قسم أخبار الشعراء ص ٧٤ .

(٥) انظر «مختار الأغاني» ج ص ٤٢١ : ترجمة يوسف الصيقل .

(٦) كقثم بن جعفر (الأغاني ج ١٣ ص ١٧٨) .

(٧) انظر الخبر الذي أوردناه في الذيل ص ١٦٥ ـ ١٦٨ . «مجمع الذاكرة» .

(٨) يجعل الزركلي (الأعلام ج ٥ ص ٣١٩) وفاة ناهض سنة ٢٢٠ ، ولا يذكر مصدره في ذلك .

(٩) انظر الخبر بالأغاني ج ١٣ ص ١٨٢ .

(١٠) لقد جمعنا بمشاركة الأستاذ محمد عبدالسلام أشعار هؤلاء وحققناها وقدمنا لها بدراسة ، وذلك ضمن عمل جامع لشعر الصعلكة في العهدين الجاهلي والأموي نعتزم نشره قريباً . (انظر في هذا السياق قصيدة طهمان الكلابي التي طالعها : (البلدان ٢/٥٨٦) .

ألا يا اسلما بالنير من أم واصل ومن أم جبر أيها الطللان

ووازن بينها وبين قصيدة ناهض رقم ٦ بهذا المجموع) .

(١١) من ذلك الإشادة بقيم الفتوة والفروسية وسيادة العشيرة .

(١٢) انظر قصيدته اللامية التي ذيلنا بها شعر ناهض ، وهي المطولة الوحيدة التي احتفظت بها له المجاميع القديمة ، مع الملاحظة أن المزرباني قد وقف على ظاهرة التكلف التي تسم شعره عندما قال : « علي بن عاصم . . . جبلي متكلف» (معجم الشعراء ص ٢٩١) .

(١٣) علي بن جبلة الملقب بالعكوك (توفي ٢١٣هـ) ـ جمع شعره ونشره الدكتور حسين عطوان/ دار المعارف ١٩٧٢ .

(١٤) انظر التعليق المطول الذي ذيلنا به نونية أبي الشيص ص ٣٣٨ «مجمع الذاكرة» .

(١٥) نذكر منهم ابن الدمينة توفي ١٨٣هـ ؟) انظر ديوانه تحقيق راتب النفاخ/ دمشق ١٩٥٩ (أدرجنا مطولته المشهورة ـ البائية ـ بالمجلد الثاني/ ٣٥٨ ـ ٣٦٧) «مجمع الذاكرة» .

(١٦) انظر ص ٤٨ ـ ٤٩ ج ١ «مجمع الذاكرة» .

(١٧) انظر هذا الخبر في ذيل شعر ناهض ص ١٩ ـ ٢٢ ـ أنظر كذلك خبر أبي الزهراء «العقد الفريد» ج ٣ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٦ ، حيث نقف على أنموذج ثان لهذه الأخبار الهازلة الموضوعة .

(١٨) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير من شعراء العصر ، توفي ٢٣٩هـ . جمع شعره ونشره شاكر العاشور/ البصرة ١٩٧٣ .

←

«جمهرة اللغة» لابن دريد

بتحقيق الدكتور رمزي البعلبكي

لم أكُنْ قد عرفتُ أيام الطلب قبل أربعين عاماً كتابَ «الجمهرة» إلا فيما نقله عنه وتكلم عليه السيوطي في «المزهر»، ولم تكن «الجمهرة» المطبوعة في حيدر آباد موجودة في الخزائن العامة في بغداد .

وذكر السيوطي : وقال بعضهم: كان لأبي علي القَالي نسخة من «الجمهرة»

---

(١٩) القلعان : هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبدالله بن الحارث بن نمير .

(٢٠) واردات علم لمواضع ، منها : [هضاب حمر تقع شرقا من بلدة نفي ، وغرباً جنوبياً من أضاخ وترى منها رأي العين ، وواردات هذه هي أقرب ما يسمى بواردات إلى بلاد بني نمير] - «العرب» .

(٢٢) الحمى القريب من أبانين هو حمى ضَرية (انظر تحديده في «معجم مااستعجم».

(٢٣) أبانان : جبلان معروفان غرب منطقة القصيم - العرب - .

(٢٤) بالأصل «أبناء» وهو تصحيف. والصواب ما أثبتناه (النجار) وكلمة (أبناء لها وجه من الصحة).

(٢٥) أخطب : اسم جبل بنجد «معجم البلدان» - رسم أخطب -.

(٢٦) في الأصل (لمن) وهو تحريف .

(٢٧) أخطب: تقدم ذكره .

(٢٨) في الأصل (قومه) ولا وجه له .

(٢٩) وشه : أراد وشاه أي خَبْرَةٌ «معجم البلدان» .

(٣٠) كتاب فيه شعر ناهض ، نسخ منه أبو الفرج ، لمؤلفه أبي الحسن الأسدي علي بن محمد المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلب (انظر «الأغاني» ج ١٣ ص ١٨٢ - «نور القبس» ص ٣٣٦) .

(٣١) لاحظ الترخيم في (مالك) .

(٣٢) يعني بالهذلق بن بشير ، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب وابنيه علقمة وصباحا تعليق أبي الفرج) .

(٣٣) يذبل: جبل . [ويعرف الآن باسم صبحا - العرب].

(٣٤) ذقان : جبل ببلاد بني كعب . [لايزال معروفاً في عالية نجد - العرب -].

(٣٥) في «مختار الأغاني»: ٣٠/٨ (ابن أصمر) .

(٣٦) جعفر بن علبة الحارثي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه انظر «الأغاني» دار الكتب ج ١٣ ص ٤٥ وما يليها) .

(٣٧) في «مختار الأغاني»: ٢٨/٨ : فلم يُلْم كعبا نافع منه ضربةٌ .

(٣٨) في «مختار الأغاني»: ٢٨/٨ : (ابن أصعر فالتقم).

(٣٩) في «مختار الأغاني»: ٣٠/٨ (بثأر لعمه).

(٤٠) في «مختار الأغاني»: ٣٠/٨ (ذوو) .

(٤١) البيتان من «مختار أصوات الأغاني» .

(٤٢) ورد هذا الخبر مع اختلاف جزئي في الرواية في مختار الأغاني ج ٨ ص ٣٠-٣٤ .

بخط مؤلفها ، وكان قد أُعطي بها ثلاث مئة مثقال فأبى ، فَاشْتَدَّتْ به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالاً ، وكتب عليها هذه الأبيات :

أَنِسْتُ بها عشرينَ عاماً وبعتها　　وقد طال وجدي بعدها وحنيني
ومـاكـان ظنّي أنّني سَـأَبِيْعُهَـا　　ولَوْ خَلَّدَتْنِي في السُّجُونِ دُيُونِي
ولكنْ لِعَجْـزٍ وافْتِقَـارٍ وَصِبْيَـةٍ　　صِغَـارٍ عَلَيْهِم تَسْتَهِـلُّ شُؤُوْنِي
فَقُلْتُ ـ ولم أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَتِي　　مَقَـالَـةَ مَكْـوِيُّ الفُؤَادِ حَـزِينِ
وقد تُخْرِجُ الحاجَاتُ ـ يَاأُمَّ مَالِكٍ ـ　　كَـرائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِـنَّ ضَنِـينِ

قال : فأرسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعَينَ دِيْنَاراً أخرى ، رحمهم الله[1] .

قلت : لقد أُعْجِبتُ بهذه المقطوعة كما أُعْجِبَ بها الجلال السيوطي ، وجَعلْتُها من «مختاراتي»[2] .

وقد زادت هذه المقطوعة من شوقي لرؤية «الجمهرة» .

وقد أفدتُ مما ذكره السيوطي من أقوال أهل العلم في «الجمهرة» وخصائصها وعيوبها ، وماقيل من أمر الموازنة بين «الجمهرة» وكتاب «العين» للخليل بن أحمد .

ثم وصل إلينا كتاب «المعجم العربي» للأستاذ الدكتور حسين نصار في طبعته الأولى فأفادنا وأغنانا بما ذكره من خصائص «المعجم» دراسة وتدقيقاً[3] .

ثم كان للكتبي الألمعي السيد قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ أن أعاد إخراج «الجمهرة» مصوَّراً طبعة حيدر آباد . وقد كان ذاك وقوفي أول مرة على هذه الطبعة .

أقول : حسنةً كانتْ صَنْعَةُ الدكتور البعلبكيّ في تَحْقيقه الجديد ، فقد أجاد ، وأدرك الغاية التي صبا إليها . ولكني مع إعجابي بصنعته أودّ أن أثني على صنعة الشيخ محمد السورتي الهنديّ وصاحبه المستعرب فريتس كرنكو الألماني صاحبي

المطبوعة في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤ ـ ١٣٥١ .

ومن حق محققي الطبعة الأولى أن يثني الدارسون عليهما أكثر مما جاد به الدكتور البعلبكي ، وإني في ثنائي عليهما أقول : إن نشر المخطوط أول مرة عمل كبير من الأعمال التي لا يَتَصدَّى لها إلاّ أولو العزم والجد ، وقد كان هذَانِ ٱلْأَعجميَّانِ السورتي وكرِنْكو من أولي الْـجد ، ذالك أنَّ الذي اضطلعا به معجم ذو خصوصية خاصة ، في تصنيفه وترتيبه وموادّه ، وظروف تأليفه .

ولم يكن في الحقبة[٤] التي نشرا فيها «المعجم» شيْءٌ من هذه «المعجمات» ذات النظام الخاص ، ذلك أن المعجمات التي سبقت «الجمهرة» في نشرها وهي «تاج اللغة وصحاح العربية»[٥] و«لسان العرب»[٦] و«تاج العروس»[٧]، و«القاموس المحيط»[٨] جميعها تجري في نظام واحد . إن هذه المعجمات قد قدمتْ فائدة جليلة لمحققي «الجمهرة» ولكنها ليست الفائدة العظمى ، ولو أنهما كانا قد عرفا كتاب «العين» وكتاب «التهذيب» للأزهري ، و«المحكم» لابن سِيْدَه و«العباب» للصاغاني لكان لهما أن يجدا عملهما سهْلاً مُيَسَّراً . ومن هنا كان علينا أن نقرَّ بالجهد الكبير الذي بذلاه .

وليس شيئاً أن يعرض لهما السهو والغلط الذي نَبَّها عليه في المجلد الرابع ، والذي لم ينبّها عليه .

أقول : إن للمحقق أَنْ يَزْهَى ويَمْلأَ مَاضِغَيْهِ فَخْراً ان تَصَدَّى لعمل كبير لم يسبق نشره ، ذلك أن المحققين اللَّذَيْنِ كان لهما نصيب وافر في التحقيق قد قاما بتحقيق كتب كانت قد نُشِرت غير مرّة .

إن كتب الجاحظ مثلاً نشرتْ غير مرة أولها نشرة مصرية قديمة تبعها نشرات المستشرقين ثم نشرة السندوبي ، ثم جاء الأستاذ هارون ـ تغمّده الله برحمته الواسعة ـ فأعاد نشرها وأحسن كل الإحسان . ولي أن أقول : إن ما أصابه من الإحسان قد أعانه عليه ما قام به السابقون الذين شقُّوا بِنَقْل المخطوط إلى المطبوع ، فإن زلَّت بهم قدمٌ ، وعرض لهم الغلط والتصحيف وما أشبه ، دفعت

اللاحق أن يَتَحَامَى الطريق الذي سلكوه . ومثل هذا يقال في كل كتاب تصدَّى له محقق ثانٍ وثالث . . .

وقد قيل : إن الفضل للمتقدم ، وهل لنا أن نتأسَّى بما صنعه جمال الدين بنُ مالك صاحب «الألفيَّة» حين قال في فاتحة «خلاصته» :

وتَقْتَضِي رِضاً بِغَيْرِ سُخْطِ فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي

وقيل أن ابن مالك رأى في نومه (ابن معطي) فعتبه لقوله هذا ، وذكَّره بما كان له من سبق ، فلما أصبح ابن مالك أعقب قوله الذي أشرنا إليه بقوله :

وَهْوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلاً مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِيَ الجَمِيلاَ

نعم : إن «الجمهرة» في طبعتها الأولى حفلتْ بالخطإ والتصحيف ، وماكان من سهو المحققَيْن ، ومن غير شكٍّ أن الطبعة الثانية قد أدركت هذا ، فوقف منها الدكتور رمزي مصححاً مبيناً ما عرض للنصِّ في مواضع كثيرة من خطإ أخرج الألفاظ عن أصولها .

ثم نالت الطبعة الثانية من فوائد المحقق ماجعل النصَّ غنياً كل الغنى ، فقد اشار إلى ما أخذه ابنُ دريد عن كتاب «العين» كما خَرَّجَ الأبياتَ ونسبها إلى قائليها ذالك أن ابن دُرَيْدٍ لم ينسب شواهده إلى أصحابها . وكأن الدكتور رمزي قد رأى في خلو الطبعة الأولى من التخريجات نقصاً . وله أن يقول ذالك ، ذالك أن في تخريج الشواهد زيادة فائدة ، ولكني قد أعتذر لمحقّقي مطبوعة حيدر آباد فأقول : إن توشية النصوص المحققة بالتَّعليقات والتخريجات للشواهد وغيرها من صنعة عصرنا في العقود الأخيرة ، ولم يعرف المحققون هذه الزِّيْنَةِ المفيدة قبل نصف قرن . والدكتور رمزي حَفِيٌّ بصنعته ، وحُقَّ له أن يحتفي ويحتفل بل يُزْهَى ، وأهل صنعة التصنيف والتأليف[٩] يُزْهون بما أنجزوا وإن كان لنا أن نقول : (لا تعدم الحسناء ذَاماً) ، ولكن (كل فتاةٍ بأبيها معجبة) .

ولكننا في عصرنا هذا نؤمن بالعلم ، وبالمنهج العلمي ، وهذا يفرض علينا أن

نكون (موضوعِيِّينَ) لا نتجاوز حد العلم .

أقول هذا لأن الكثير من الدارسين في عصرنا ، ولا سيما الذين يتصدون لطلب (الدرجات الجامعية) تَسْتَفِزُّهم حماسة عارمة فيما يكتبون ، فإذا كان الأمر درس شاعر ما ، فهو الشاعر المفلق المبدع ، وإذا عُرض لبحث آخر كتحقيق كتاب ، فإن ذاك العلق النفيس ، وهو واسطة العقد .

لا أريد أن أقول: إن صديقي الدكتور رمزي ، قد احتفى بما أنجز فراح يشيد بصنعة ابن دُرَيْدٍ على نحو ما ذهب فيه الدارسون في رسائلهم وأطاريحهم ، ولكني أقول : ربما غلبته الحماسة حين خبر جودة ما صنعه وأنجزه .

لقد أحسن الدكتور نصّار في كلامه على «الجمهرة»: (أما ابن دريد فيوزّع صيغ المادة الواحدة على أبواب مُتَبَاعدة ، ويحاول أحياناً أن يربط بين الصيغ الفرعية والأصلية فيخلط بينها ، ولا نجد عنده الانتظام الداخلي في المواد أو الميل إلى الانتظام عند الخليل ، ولا يصل في تفسيراته إلى الدقّة التي وصل إليها سابقه . والحق أن الباحث يتملّكه العجب كيف يسبق كتاب «العين» «الجمهرة» في الزمن ويحتوي على هذه المزايا[١٠].

أشار الدكتور رمزي إلى كلام الدكتور نصار فقال : (أما قول نصار: إن «الجمهرة» لا يصل في تفسيراته[١١] إلى الدقّة التي وصل إليها سابقه ، فدعوى تحتاج الى بيّنة ودليل)[١٢].

وكأني أقول لصديقي الدكتور رمزي : إن الكلام في «الجمهرة» كثير ، وأنت مع بضع نفر آخر قليل في مدحك واطرائك لابن دريد وصنعته في «الجمهرة» لقد قلت : (ونحن نجد ابنَ دريد في مجمل كتابه دقيق الشرح حسن التفصيل منبهاً في مواطن كثيرة على الفروق الدقيقة في المعاني . ولن أَضَعَ نفطويه مع الناقدين ، ذلك أن بينه وبين ابن دريد منافرة معروفة[١٣]، وأنت تحسّ هذا في قوله[١٤]:

ابنُ دُرَيْدٍ بَقَره وَفِيْهِ عِيٌّ وشَرَهْ
وَيَدَّعِي مِنْ حُمْقِهِ وَضْعَ كِتَابِ «الجمهرة»

وهـو كـتـابُ «الـعَـيْـنِ» إلاّ أنّـهُ قَـدْ غَـيّـرَهْ

إن هذا ليس من العلم ، فهو محض شتيمةٍ وهجاء ، ويعضد هذا ان ابن دريد ردَّ عليه بأبيات ثلاثة معروفة[١٥].

ولكني سأركن إلى أقوال اللغويين من أهل العلم ممن لم يُعرف عنهم شيْء من بُغْض ٍ لابن دريد ، ومن هؤلاء الأزهري الذي رماه بالكذب فقال[١٦]: (وممّن ألف في عصرنا الكتب فَوُسم بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب «الجمهرة» . وحضرته في داره ببغداد غير مرّة ، فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي . فسألت إبراهيم ابن محمد بن عرفة الملقّب بنفطويه عنه فاستخفَّ به ، ولم يوثقه في روايته . . وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفاً كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابي في مواقعها منه ، لأَبْحث عنها أنا أو غيري ممن ينظر فيه ، فإن صَحّتْ لبعض الأئمة اعْتُمِدَتْ ، وإن لم توجد لغيره وقفت) .

وذهب إلى مثل هذا أحمد بن فارس ، ومن المفيد أن نشير إلى أن أبا علي القالي ، وهو تلميذه ، قد قلل من الرجوع إلى «الجمهرة»، وقد ذكر ذالك .

قد يقول الدكتور رمزي : إن الأزهري هذا قد أكثر القول في غير «الجمهرة»، فقد تناول كتاب «العين» بالنقد والتجريح ، وزعم أن «العين» من صنع الليث ، ولذالك حين يرجع إليه يشير بقوله : قال الليث ، وزعم الليث ، وأخطأ الليث . ولكني حين أجد القَالي يقوّي قولَةَ الأزهري في ابن دريد و«الجمهرة»، وهو تلميذه ، أحمل ما قاله الأزهري على الصدق .

وقال المسعودي : أورد (ابن دريد) أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين .

وأفاد من هذا السيوطي في «المزهر»[١٧].

على أن السيوطي دافع عن ابن دريد بعد ما ذكر كلام الأزهري فيه فقال :

(معاذ الله هو بَرِيْءٌ مّمّا رُمِي به ، ومن طالع «الجمهرة» رأى تحرّيه في روايته)[١٨].

وقال أبو الفتح عثمان بن جنّيّ في (باب في سقطات العلماء)[١٩]: (وأما كتاب «الجمهرة» ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أَعْذُرُ واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر . ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ماٱسْتَحْيَيْتُ من كثرته، ثم إنه لَـمَّا طال عليّ أومأتُ إلى بعضه وأضربت عن بعضه) .

وجاء في «المعجم العربي»[٢٠] فيما دعاه (الاضطراب) الواقع في «الجمهرة»: (إكثاره من الألفاظ المريبة والمولدة : فقد عقد السيوطي في «المزهر» أنواعاً وفصولاً لما روى من اللغة ولم يصحّ ولم يثبته ، والمصنوع ، والضعيف والمنكر والمتروك من اللغات ، والرديء منها ، والمولّد . ولم يجد من المعجمات ذخراً فيها «كالجمهرة» فعَبَّ منها عبًّا) . غير أن ابن دريد في إيراده لهذه الألفاظ كان ينبّه على ضعفها ورداءتها .

وعابُوا على ابن دريد ماجاء في «الجمهرة» من تصحيف ، قال الأزهري : (وتصفحت كتاب «الجمهرة» فلم أره دالاًّ على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها)[٢١].

وأشار ناشر «التهذيب» إلى مواضع مصحفة من «الجمهرة» وفيها : قال ابن دريد : قال امرؤ القيس :

لِمَنْ زُحْلُوفَةٌ زُلٌّ بِهَا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ
يُنَادِي الآخِرَ الأُلُّ أَلاَ حُلُّوا أَلاَ حُلُّوا

قال الناشر : (قال الصاغاني: قوله: حلّوا بخط الأرزني في «الجمهرة» بالحاء المهملة المضمومة ، وبخط الأزهري في «التهذيب»: ألا خَلّوا ألا خَلّوا ، بفتح الخاء المعجمة . وقال ابن الأعرابي عن المفضّل بالخاء ، ومن رواه بالحاء المهملة فقد صحّف)[٢٢]. وورد في مادة (زفزف): (والزفزف: نَبْت أخضر مسترخٍ ناعم..) فقال الناشر: (كذا الأصول بالزاي ، وهو تصحيف وصوابه بالراء

(الرفرف) . وكأنه وقع بهامش بعض النسخ فأدخله الكاتب في هذا الباب وحقه التقديم)[٢٣] .

وذكر من عيوبه أنه قال في فاتحة «الجمهرة» : إنه أرجأ الغريب والمستنكر ، وقصد للجمهور الشائع ، وختم الكتاب بقوله : (إنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشيّ المستنكر) ، ولكنه أورد في كتابه الغريب والنادر ، وأشار إلى ذالك في عنوانات الكتاب .

ومما وُجِّهَ إليه قوله (معروف) في طائفة من الألفاظ التي ظنها معروفة وذالك فيما كان مُتّصِلاً بالحيوان والنّبات والشجر والآلات وغيرها .

وأود أن أشير إلى أن «الجمهرة» هي المعجم الثاني في الترتيب الزمني بعد كتاب «العين» ولذالك كثر مقابلتها بـ «العين» في المنهج والمواد ، وطرائق المعالجة والتفسير . وإذا كان كتاب «العين» لم يسلم مما قيل فيه من الخصائص محاسنَ وعيوباً ومما فات الخليل ، وماقيل في تصنيفه أَهُوَ الخليل أم الليث ، وإذا كان الليث فأين مادة الخليل ، أما إذا كان للخليل فما أثَرُ الليث فيه ، كل هذا وغيره كان مادة بَحْثٍ مستفيض تكلم فيه اللغويون على مسائل كثيرة تتّصل بكتاب «العين» ذكرها السيوطي في «المزهر»[٢٤] .

وقد كان الدكتور رمزي في هذا الذي جرى عليه المتحدّثون عن «الجمهرة» فقد قال في مقدمته في التعريف بكتاب «الجمهرة» وضع الخليل أساساً متيناً للتأليف المعجمي العربي . . .

وقال : تقوم خطة الخليل في حصر اللغة على مبادئ ثلاثةٍ ، أولها أن الحروف محدودة ، وقد جعلها تِسْعاً وعشرين[٢٥] ، إذْ عدّ الألِف اللينة والهمزة كلاًّ على حِدَة فزاد الثمانية والعشرين المعهودة[٢٦] .

والمبدأ الثاني أن الحروف والأفعال والأسماء إنّما تكون من أصول محدودة ، فأقلّها ثُنائي ، وأكثرها خماسي[٢٧] . وعلى ذالك قسم الخليل الأبنية كما يلي :

(أ) الثنائي الصحيح . . . وكذلك ماشُدّدَ ثانيه نحو غزّ . . .

(ب) الثلاثي الصحيح . . .

(جـ) الثلاثي المعتل . . .

(د) الثلاثي اللفيف . . .

(هـ) الرباعيّ الصحيح . . .

(و) الخماسيّ الصحيح . . .

(ز) الرباعيّ والخماسيّ المعتلان . . .

أما المبدأ الثالث . . . فقد حصر الخليل التّقليبات . . .

ثم قسم الخليل الحروف إلى حلقية ، وحرفين لهويين ، وثلاثة أحرف شجرية ، وثلاثة أَسَليّة ، وثلاثة نِطْعِيَّة ، وثلاثة لثوية ، وثلاثة ذلقية ، وثلاثة شفوية ، وأربعة هوائية(٢٨). ومضى الدكتور رمزي في سرد تصور الخليل للأصوات العربية ، وحصر الكلمات العربية في نطاق تقسيماته وفقاً للثنائي فالثلاثي الصحيح ، وهكذا . . .

وكأنَّ ابن دريد قرأ هذا واستوعبه ، فوقف منه وقوف المستفيد الذي يريد أن يجد فيها مادة يستعين بها على مخالفته والوصول إلى جديد يبتعد به قليلاً عن خطة الخليل .

وكان أبرز ماخالف به الخليل تأليفه «الجمهرة» على الحروف المعجمة ، (إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة ، مشفياً على المراد)(٢٩).

قال الدكتور رمزي : وكأنَّ هذا نقد مُهَذَّبٌ لطريقة الخليل ، فهي طريقة مُتْعِبة لا يَتِمُّ بها الاهتداء إلى مظانِّ الأَلْفَاظِ إلا بعد جهد . ولئن كان ابنُ دُريد قد اتبع طريقةً أسهل في ترتِيْب الحروف ، فإن في تقسيمه مواد معجمه على النَّحْو الذي سنبينه ما يفوِّتُ الاستفادة من التسهيل الحاصل بهذا التّرتيب . فالأبواب الرئيسة التي يتألف منها الكتاب هي التالية :

(ب) الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر (ص ١٧٣) نحو بجبج . . .

(جـ) الثنائي المعتلّ وما تشعّب منه (ص ٢٢٩) نحو تَوَى. . . ومعه ماكان منتهياً بالهمز نحو بواء ووثاء .

(د) الثلاثي الصحيح وما تشعّب منه (ص ٢٥٢) .

(هـ) الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع الفاء أو العين واللام أو الفاء واللام (٩٩) نحو بلل. . .

(و) الثلاثي الذي عين الفعل منه أحد حروف اللين (ص ١٠١٥) نحو باب وبَيْب وسوس ، ومنه ماهو مهموز أيضاً نحو خبأ وأبد .

(ز) باب النوادر في الهمز (ص ١٠٨٦)، وألحق به باب اللفِيف في الهمز ، والمقصور في الهمز (ص ١١٠٦).

(حـ) الرباعي الصحيح (ص ١١١٠) .

(ط) الرباعي المعتل (ص ١١٦٢) وذكر أشياء غير معتلة كالرباعي الذي فيه حرفان مثلاً ، نحو دَرْدَق وكركم ، والثلاثي المضعف الآخر نحو عِكِبٌ وخِدَبّ[٣٠] .

أقول: وهذا الشيء الخاص الذي ذكره وألحقه بالرباعي المعتل هو أقرب للرباعي الصحيح ، وكأن هذا شيء من اضطراب المنهج لديه ، أو أنه تذكر به بعد انتهائه من الرباعي الصحيح ، ومباشرته للرباعي المعتل .

(ي) الخماسيّ ، وماألحق به من الحروف الزوائد (ص ١١٨٤) .

(ك) أبواب لغوية متفرقة ، منها ألفاظ يجمعها وزنٌ مًا ، وألفاظ يجمعها موضوعٌ مًا ، وألفاظ تمثل ظاهرة لغوية ، كالإتباع والاستعارة (من ص ١٢٤٧ حتى آخر الكتاب)[٣١] .

أقول : وهذه الأبواب اللغوية المتفرقة في (ك) دليل على اضطراب خطته التي لم تجمع ألفاظ العربية كما كان الأمر في خطة الخليل ومنهجه في تقليباته الثلاثية والرباعية والخماسية . تلك الخطة التي كان من شأنها أن تحصي العربية إحْصَاءً أقرب مايكون إلى التمام .

لقد ذكر ابن دريد في (أبوابه اللغوية المتفرقة) ألفاظاً كان ينبغي أن يجد لها

مكاناً في الثلاثي مع زيادة ، أو الرباعي مع زيادة أو الخماسي مع زيادة ، ولكنه سها عن هذا فعقد له هذا الباب الأخير .

ثم ما علاقة الألفاظ التي يجمعها موضوع مَّا ، على حد تعبير الدكتور رمزي ، بمعجم لغوي مادته الألفاظ ، وليس التّصنيف بحسب (الموضوعات) والمعاني ، كالمخصص لابن سيده مثلاً ؟! ثم ما علاقة «الجمهرة»، وهي معجم لغوي ككتاب «العين» بحشر (ألفاظ تمثل ظاهرة لغوية) كالإتْباع والاستعارة ؟

ألم نعرف أن من جاء بعد ابن دريد من أهل اللغة قد قصروا كتباً على (الاتباع)، وكتباً أخرى على المجاز والاستعارة ، وكأنهم أدركوا أن هذا ليس من خصوصيات المعجم اللغوي الذي يحصي الألفاظ ويحصرها لا يفرق بين حقيقة ومجاز ، ويذكر (الإتباع) و(الإبدال) وغيرهما في حشو الألفاظ المدرجة في المعجم ، وهذا هو الشأن في «الصحاح» و«معجم مقاييس اللغة» وغيرهما .

أقول : إن اضطراب ابن دريد في «الجمهرة» ولاسيما في المنهج كما ألمعنا إليه يتأتّى من أنه لم يحكم منهجُه ، واستعان بحافظته ، وظنها على وفائها له لا تخونه وتسعفه بالعلم المرتّب المنظّم .

لقد ذكر ابن دريد في فاتحة «الجمهرة»: (وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش . .)[٣٢].

وقال في آخر الثلاثي : (وإنما أملينا هذا الكتاب ارتجالاً لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذالك فيعذر ، إن كان فيه تقصير ، أو تكرير إن شاء الله)[٣٣]. وقد أدرك ابن دريد اضطراب منهجه وتقصيره فقال في خاتمة «الجمهرة»: (فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم ينكر علينا إغفاله لأنا أمليناه حفظاً ، و(الشذوذ في الإملاء لا يدفع)[٣٤].

وقد أشار الدكتور رمزي محقق الكتاب إلى هذا الاضطراب فقال : إنه خلط بين المعتل الواوي والمعتلّ اليائي في المثنّى ، وأنه خلط بين الثلاثي الصحيح ، والمعتل ، ثم أفرد باباً للمعتل والمهموز من الثلاثي ، وأنه لم يلتزم ترتيباً دقيقاً في

إيراد التقاليب ، ولاسيما في الرباعي[٣٥].

أقول : وهذا شأن من ينطلق في (إملائه ارتجالاً)، وإنَّ عملاً ضخماً كـ «الجمهرة» لابُدَّ أنْ يكون له منهج محرّر ، يليه موادّه مرتبة في كل باب ،ليسلم من غائلة السهو في الإملاء والارتجال . وليس له أن يُزْهَى فيقول : إنه أملاه إملاء . . .

وقد جاء في «المزهر» : وقال بعضهم : أملى ابن دريد «الجمهرة» في فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلاّ في الهمزة واللفيف ، فلذالك تختلف النسخ[٣٦].

وقال السيوطي : قلت : ظفرت بنسخةٍ منها بخط أبي النمر أحمد بن عبدالرحمن بن قابوس الطرابلسي اللغوي ، وقد قرأها علي ابن خالَوَيْهِ بروايته لها عن ابن دريد ، وكتب عليها حواشي من استدراك ابن خالويه على مواضع منها ، ونبّه على بعض أوهامٍ وتصحيفات[٣٧].

ومن هنا ألف أهل اللغة كتباً تناولت «الجمهرة» ومنها :

١ ــ فائت الجمهرة لأبي عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ .

٢ ــ جوهرة الجمهرة للصاحب بن عباد ، وهو اختصار للجمهرة ، وكأنه أشار إلى ما في «الجمهرة» من سهو وغيره ، نلمح هذا في إطرائه لصنيعه في رجز له في آخر كتابه هذا . وكتب أخرى غير هذا .

نعم ، لقد استدرك أهل العلم على «العين»، وكما كان لأبي عمر الزاهد «فائت الجمهرة» فقد تصدّى غير واحد لكتاب «العين» فأشاروا إلي (فائته) والى خطإ الخليل فيه ، والى تصحيفه وإلى مسائل أخرى ، وقد أوعب جميع ذالك السيوطي في «المزهر»[٣٨]، وحسب هذا كله أن الخليل نفسه قد عاد إلى كتابه فصنف «فائت العين»[٣٩].

وجاء في «المعجم العربي»: (ولكن عدم إتمام الخليل كتاب «العين»، فيه

الدلالة الكافية على أنه لم يطل به العمر لاستدراك مافاته . ويؤكد هذا أيضاً عدم إيراد (القفطي)[٤٠] اسم هذا الكتاب في ثبت الكتب التي تحقّق أن الخليل صنفها)[٤١].

أقول : إذا كان هذا قد وقع لكتاب «العين» وصاحبه هو من هو ، ومهما قيل فيه ، فكيف بابن دريد وقد أملى كتابه إملاءً من حفظه ؟ لابد أن يعرض له الخطأ والسهو والنسيان وغير ذالك ، وهذا ما كان كما بيّنّا .

وقد يحمل الدارسون ومنهم المحقق كلام الأزهري في ابن دريد على التحامل والتجني ، وهو قوله : (وتصفّحت كتاب «الجمهرة» فلم أره دالاًّ على معرفة ثاقبة ، وعثرتُ منه على حروفٍ كثيرة أزالها عن وجوهها)[٤٢].

وقال في الرباعي الذي أورده ابن دريد : (هذه حروف لا أثق بها لأني لم أحفظها لغيره ، وهو غير ثقةٍ ، وجمعتها في موضوع واحد لِأُفَتِّشَ عنها فَـمَا صحّ منها لإمام ثقة أو في شعر يحتج به فهو صحيح ، ومالم يصحّ توقّف عنه إن شاء الله)[٤٣].

أقول : إذا كان ابن دريد نفسه قد أشار إلى اضطرابه ، وإلى ما عرض له من السهو ، وما كان منه من الخروج على (منهجه) في إضافاته وملاحقه ، فهل لنا أن نَحْمِل كلامَ الأزهري فيه على التجني والتحامل ؟ وإذا كان هذا محمولاً على التَّحَامل ، فكيف نقول في كلام ابن خالويه وهو تلميذه ، فيه؟

كلمة أخيرة : لابد من الإشادة بصنْعةِ الدكتور رمزي البعلبكي في تَحْقيقه الذي جاء مكملاً لنواقص طبعة حيدر آباد ، ذالك أنه أفاد منها وتجاوزها باعتماده على أصول لم تكن بين أيدي المحقّقين السورتي وكرنكو .

ثم إنه وشّاها بتعليقات مفيدة نَسب فيها الشواهد الشعرية إلى أصحابها ، وخرّج الآيات والأحاديث . وقد أشار إلى ما أخذه عن كتاب «العين» ، وإلى ما خالف صاحب «العين» . ومن هنا كانت نشرته مادّة دَرْسٍ جاد ، وهي تُهَيِّءُ للدارسين مصدراً يفي بالأغراض العلمية .

غير أني أجد أن الأمر يقتضي أن أشير إلى مسألة مهمة هي أن (مقدمة) ناشر أي كتاب ينبغي أن تكون مناسبة لمادة الكتاب ، والذي أريده هنا في (مقدمة) الدكتور رمزي أن تكون مستحقة لما يجب أن يكون الكلام على معجم لغوي قديم . فهل كانت هذه (المقدمة) قد استوفت ، كما أرى ، هذا الشرط ؟

أقول : كانت لغة (مقدمته) كلغة أي مقدمة أخرى ، فهي عربيّة حديثة معاصرة ، وما كان له أن يفعل ذالك .

وهل لي أن أغضّ الطرف عن قوله : (. . . ولئن كان ابن دريد قد اتبع طريقة أسهل في ترتيب الحروف فإن تقسيمه موادّ معجمه على النحو. . .)[٤٤].

قلت : هي عربية حديثة معاصرة ، وهذه لغة جهل فيها المعربون الدقائق اللغوية ، فالتجاوز في عبارة المحقق هو في جواب (لئن) . إن هذه الأداة مركبة من (اللام) و(أداة الشرط) (إنْ) . وقال النحويون : إن اللام هي الموطئة للقسم ، وهي سابقة على أداة الشرط ، ويكون من ذالك اجتماع للشرط والقسم في الجملة ، ولما سبق القسم ، والدليل عليه اللام ، كان الجواب للقسم ، وهو مجزيءٌ عن جواب الشرط ، قال تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرتُمْ لأَزِيْدَنَّكُم، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لشديد ﴾[٤٥].

والجواب في الآية للقسم ، واللام في ﴿ لأزيدنكم ﴾ لام القسم ، وكذالك في جزء الآية الثاني ، كان الجواب للقسم ، وهو جواب مؤكّد بـ (إنّ) .

أقول : إن هذا الأسلوب لم يبق له باقية في العربية المعاصرة ، والمعربون يغلّبون الشرط دون إحساس منهم بسبق القسم ، ويجعلون الجواب جواب شرط بدليل اقترانه بالفاء . ومن العلم أن نقول : إن هذا الأسلوب جَدَّ في العربية منذ عدة قرون ، ذلك أني أحصيت بضع دواوين مُبْتَدِئاً بالفرزدق وجرير فأبي تمام فوجدت لديهم أن الجواب للقسم جرياً على الفصيح ، ولكني وجدت الخطأ عند البُحتري ثم شاع لدى الشعراء والناثرين ، على أنك لا تعدم أن تلمح الفَصيح عند متأخر عن هؤلاء . أقول : إن هذا التجاوز في العربية المعاصرة كان من

سماتها ، ولستُ مطالِباً الكاتِب أو الشاعر بشيء من هذا ، وأجعله من الدارج الذي ألفه المعربون فبدا لهم الأصل الصحيح غريباً .

ولكني أطلب لأخي رمزي أن يلتزم بالفصيح لأنه في حرم العربية يكتب في (معجماتها) ثم إني لا أرْضى لأخي رمزي ، وهو يُقدِّم لـ «الجمهرة» أن يستعمل في الصفحة (٣٣) وفي فهارس الكتاب لفظ (الجذر) ويريد الأصل أو المادة .

أقول : ليس (الجذر) من مصطلح أهل العربية ، ولا يعرفه العرب ولا يستعملونه إلا في (جذر) النبات أو الشجر .

و(الجذر) في لغة المعاصرين بمعنى أصل الكلمة أو مادتها تَسَرَّبَ في العربية المعاصرة ترجمة ، ترجمه الدارسون الجدد في الانكليزية (Rooz) أو الفرنسية (Racine) .

وما أرضى لأخي رمزي أنْ يُعِير صاحبَه ابن دريد هذه (العجمة) .

كلمة ثانية أخرى :

لا أريد لأخي المحقق المجتهد أن يتلمس الأعذار لصاحبه ، وكأنه في تلمّسه أراد أن يَرُدَّ على قولة ابن جني في صاحبه التي ذكرناها . قال الدكتور رمزي بعد أن ذكر كلام أبي الفتح في صاحبه : (. . . وأن تكون التاء زائدة أمر لا يخفى على المبتدئ ، فكيف يخفى على لغوي كابن دريد ؟ لقد نبّه ابن دريد نفسه على هذا الأمر (أي الرباعي) فأغنانا من التنقيب والاعتذار ، فهو يورد هذه الألفاظ في الرباعي لأن التاء لازمة فيها لا تفارقها ، إذ ليس لهذه الألفاظ من مذكر . ودليل ذالك الشواهد المختارة التالية :

(أ) والقربة : معروفة وليس لها ذكر ، ولذلك أدخلناها في الرباعي مع هاء التأنيث[٤٦] .

(ب) والحَجْمة : العين ، لغة يمانية . قال أبو بكر : وإنما أدخلناها في هذا الباب لأنه لا مذكر لها ، فالهاء كالحرف اللازم[٤٧] .

(جـ) وحَردة : اسم موضع ، وهذه هاء التأنيث وليس له مذكر في معناه فاستجزنا ادخاله في هذا الباب[٤٨].

(د) والحَسَكة والحسيكة : الحقد في القلب ، وأدخلناه في هذا الباب لأنه لا مذكّر له من لفظه إلاّ أن نقول (حَسَك) تريد جمع حَسَكَة[٤٩].

أقول : وإذا لم يكن مذكر لهذه الألفاظ فليس لنا أن نضع هذه الألفاظ ونظائرها في باب الرباعيّ . وهل لنا أن نضع (الحكمة)، في باب الرباعيّ لأن (الحكم) ليس مذكراً لها ، وغير ذالك من الألفاظ كما ذهب ابن دريد ! وبعد فقد غلب الوفاء على أخي رمزي ـ وهو طبع فيه ـ حتى صار يُقيْلُ عثرة صاحبه وأين مثل صاحبي رمزي في هذا العصر ! وقليلٌ ماهم !؟

د. إبراهيم السامرائي ـ كلية الآداب ـ صنعاء

الحواشي :

(١) المزهر ٩٢/١ .

(٢) صنعت «مختاراتي» من الشعر العربي ، واجتهدت أن تكون غير الذي ورد في كتب «الحماسة» و«كتب الاختيارات» ، و«المفضليات» و«الأصمعيات»، ومازال عملي هذا (مخطوطة) .

(٣) «المعجم العربي» للدكتور حسين نصار من خير ماظهر في العربية في نشأة المعجم وتطوره ، وقد طبع غير مرة .

(٤) نشرت «الجمهرة» سنة ١٣٤٤ ـ ١٣٥١هـ في حيدر آباد الدكن .

(٥) نشر معجم «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري سنة ١٢٨٢هـ (في القاهرة) .

(٦) نشر «لسان العرب» لابن منظور سنة ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧هـ (في القاهرة).

(٧) نشر «تاج العروس» للزبيدي سنة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧هـ (في القاهرة).

(٨) نشر «القاموس المحيط» للفيروز آبادي سنة ١٣٣٠هـ (في القاهرة).

(٩) وأذكر من هذا أني قرأت كتاب «الاقتراح» للسيوطي ، ووجدت المصنف جلال الدين مَزْهُوًا برسالته هذه ، معجباً بها مشيراً إلى أنه لم يسبق إلى هذا الذي أوعبه فيها مما يدخل في (أصول) نحو العربية ، حتى إذا كان لصديقي الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني أن ينشر كتاب أبي البركات الأنباري وهو «لمع الأدلة وجدل الإعراب» وقفت على سلخ السيوطي لهذا الكتاب ، وقد أخذ منه جل مادة «اقتراحه» دون أن يشير إليه .

(١٠) المعجم العربي ٤٢٧/٢ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) الجمهرة (مقدمة المحقق الدكتور رمزي البعلبكي) ص ٢٤ .

(١٣) المصدر السابق .
(١٤) معجم الأدباء ١٣٨/١٨ ، والمزهر ٩٤/١ .
(١٥) المزهر ٩٣/١ - ٩٤ .
(١٦) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(١٧) المزهر ٩٣/١ .
(١٨) المصدر السابق .
(١٩) الخصائص ٢٨٨/٣ .
(٢٠) المعجم العربي ص ٤٣٢ ، وانظر المزهر ٥٢/١ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤٥ .
(٢١) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(٢٢) المصدر السابق ١٩/١ .
(٢٣) المصدر السابق .
(٢٤) المزهر ٧٧/١ - ٨٦ .
(٢٥) كتاب «العين» ٥٧/١ .
(٢٦) المصدر السابق ٤٨/١ .
(٢٧) المصدر السابق ٤٨/١ - ٤٩ .
(٢٨) الجمهرة ص ١٦ - ١٧ .
(٢٩) الجمهرة ص ٤٠ .
(٣٠) الجمهرة (مقدمة المحقق) ص ١٧ - ١٨ .
(٣١) المصدر السابق ص ١٨ .
(٣٢) الجمهرة ص ٤٠ .
(٣٣) الجمهرة ص ١٠٨٥ .
(٣٤) المصدر السابق ص ١٣٣٩ .
(٣٥) الجمهرة (مقدمة المحقق) ص ١٨ .
(٣٦) المزهر ٩٤/١ .
(٣٧) المصدر السابق ٩٥/١ .
(٣٨) المزهر ٧٩/١ - ٩٢ .
(٣٩) الفهرست ص ٤٣ ، ومعجم الأدباء ٧٥/١١ ، وبغية الدعاة ص ٢٤٥ .
(٤٠) إنباه الرواة ٣٤٦/١ .
(٤١) المعجم العربي ٢٩٧/١ .
(٤٢) تهذيب اللغة ٣١/١ .
(٤٣) المصدر السابق ٣٣٤/٥ - ٣٣٥ .
(٤٤) الجمهرة (مقدمة المحقق) ص ١٧ .
(٤٥) من سورة إبراهيم .
(٤٦) الجمهرة ص ١١٢٤ .
(٤٧) المصدر السابق ص ١١٣٥ .
(٤٨) المصدر السابق ص ١١٤٠ .
(٤٩) المصدر السابق ص ١١٤٢ .

سبعة كتب عُمانية ... وملاحظات

١ ــ «عُمان في المحافل الدولية» :

تأليف اللجنة التي ألفتها هيئة الأمم المتحدة لقضية عُمان ، رئيس اللجنة عبدالرحمن بزواق ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، عن اللغة الفرنسية د.ت (تقرير اللجنة في ٨ كانون الثاني ١٩٦٥ ، ٣٧٦ ص).

١ ــ ص ٥٥ : الدورة الخامسة عشر . . . عشرة دول ـ الصحيح : الدورة الخامسة عشرة ، عشر دول .

ــ ص ٥٦ : الدورة السادسة عشر : السادسة عشرة .

ــ ص ٥٨ : دورتها السابعة عشر : السابعة عشرة .

ــ ص ٩٩ : المشيخات السبعة : السبع .

ــ ص ٣٠٧ : النقاط الأربعة : النقاط الأربع .

٢ ــ ص ١٠٠ : في مؤلف سليل بن زريق ذكر أنه .

ــ ص ١٠١ : وحسبما جاء في كتاب سليل بن زريق ، وفي الهامش : أن هذا الاستشهاد في كتاب سليل بن زريق ترجمة ج.ب برج وتنشره شركة (هكلويت للنشر) تحت اسم «تاريخ الأئمة وأسياد عمان» وسنسمي هذا الكتاب باسم المترجم برج . وأرقام الصحائف قدمت بالأرقام الرومانية والأرقام العربية . أما الأرقام الرومانية فتدل على ماجاء في مقدمة (بادجر) بينما الأرقام العربية تعود إلى نص المؤلف سليل بن زريق .

وتنظر ص ١٠٣ ، ١٠٤ ـ وعلى ص ٣١٧ ـ ٣١٨ «الملحق الرابع» ـ قائمة بالمؤلفات التاريخية الأكثر أهمية : سليل بن زريق ـ تاريخ أئمة وسادة عمان : مترجم ومنشور من قبل (جورج بيرسي بادجر) بورت فرانكلين، نيويورك ١٩٦١م .

اسم الكتاب كما يتحقق عربياً ويطبع : «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» .

اسم المؤلف: ابن رزيق: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (توفي سنة ١٢٩١هـ) .

٣ ـ ص ١٤٩ : إن الطرفاء المختلفين . . . قبلوا : إن الأطراف المختلفة .

٤ ـ ص ٣٦٦ : لقد أوْكد أن المملكة المتحدة كانت خصماً للإمام عزان : لقد أكّد .

٥ ـ ص ٣٧٤ : الأجوبة على الأسئلة : عن ـ وتكررت قبل ذالك .

٢ ـ «مذكرات أميرة عربية» :

بقلم السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان ـ سلطان مسقط وزنجبار ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ـ سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، تاريخ مقدمة المترجم : أبوظبي في ١٩٧٤/٨/١ ـ ٣٢٠ صفحة مصورة .

١ ـ يقول المترجم في مقدمته : أميرة شرقية عربية ، وابنة سلطان عربي كبير ، تَخْرُجُ قبل أكثر من مئة عام على تقاليد قومها فتتزوج شاباً ألمانياً ، وتهجر من أجله وطنَها ومُلْكَ أبيها ، وتترك حياة العز والقصور ، لِتُطَوِّحَ بها الأقدارُ في ديار الغربة بين لندن وبرلين ، وتستبدل حياة الاختلاط والسفور في أوربا بحياة الحرم والحجاب في الشرق ، وباسمها العربي السيدة : سالمة بنت سعيد اسماً أعجمياً هو (البرنسيس أميلي روث) ثم تضيق بها الحياة بعد عشرين عاماً ، أو تضيق هي ذرعاً بالحياة الأوربية فتحن إلى الرجوع إلى وطنها الأول ، ولكن أبواب العودة تُغْلَقُ في وجهها ، فتعكف تكتب باللغة الألمانية قصة حياتها وتجاربها ، وتستعيد ذكريات بلادها وبني قومها .

وتقول المؤلفة في مقدمتها القصيرة ، المؤرخة (برلين ١٨٨٦) : أنهيت منذ تسع سنوات كتابة قصة حياتي هذه . . .

ويقول المترجم : صدرت هذه المذكرات في الألمانية أول مرة عام ١٨٨٦ وترجمت عام ١٨٨٨ إلى اللغة الانكليزية ثم تلتها بعد عام واحد ترجمةٌ فرنسية ،

وأعيدت ترجمتها إلى الانكليزية ثانية ونشرت في نيويورك عام ١٩٠٥م ـ وهذه الطبعة هي التي وقعت بين أيدينا أول مرة ، ثم تفضل أخ زميل مفضالٌ فأرسل لنا مشكوراً نسخة مصورة من الطبعة الأولى . وعن هاتين الطبعتين ترجمنا ترجمتنا العربية هذه .

الكتابة وثيقة عن دقائق الحياة في زَنْجَبار (وعُمَان) في عاداتها وتقاليدها ونظام بيوتها وأفراحها وأحزانها . . وأخلاق السلطان وأفراد أُسرته . . تجمع الفائدةَ إلى المتعة إلى البساطة واللهجة التي تقنعك بصدقها .

ولكي أكونَ صَريحاً أقول لك : إني لم أكتب هذا من أجل الأميرة أو مذكراتها ، وإنما من أجل المترجم الذي أبدع في عمله ، وكأنه المؤلف أو كأن المؤلفة في قلمه ، لقد بذل جُهْداً وصَبْراً وأطال المعايشة ، عمل عملاً لاشك في أنه كان راغباً فيه مُحِبًّا ، لا يفكر من ورائه بكسب مالي .

وياحبذا لو شفع هذه الترجمة بأختها وأختها .

ثم إنه أشار في حاشية له إلى مخطوط كتاب «جهينة الأخبارَ في تاريخ زنجبار» وأنه حَقَّقَهُ . . ويأمل في نشره قريباً ، فمتى يتحقق الأمل ؟ لقد كان ذالك عام ١٩٧٤م .

ونذكر من جهود الأستاذ عبدالمجيد حسيب القيسي تحقيقه كتاب «تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» تأليف سرحان بن سعيد الأَزْكويُّ العماني . والكتاب المنشور هذا هو جزء من أجزاء وعد المحقق بإِكْمَال تحقيقها ونشرها في مستقبل قريب .

٣ ـ «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» :

تأليف : حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (سنة ١٢٧٤هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر ، د. محمد مرسي عبدالله . الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٦١٤ صفحة ـ سلطنة عمان ـ وزارة التراث القومي والثقافة .

١ ــ التحقيق مشكور ـ المحققان مصريان .

٢ ــ لم يذكر الطبعة الأولى ـ ونعرف أنها للمحققين وعن الوزارة : القاهرة ، مطابع سجل العرب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .

٣ ــ الطبع قد تم بالقاهرة ، ورقم الإيداع فيها ، والتجليد كذالك ، رقم الإيداع ٨٣/٤١٩٧ ـ أمون للتجليد والطباعة . القاهرة .

٤ ــ هل الطبعة الثانية تصوير للأولى ؟ ربما .

٥ ــ جاء في مقدمة المحققين : (أما كتاب «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» المخطوط فهو محفوظ حالياً في مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا تحت رقم ٨٢٩٢ . وقد صار هذا الكتاب المخطوط إلى هذه المكتبة ضمن مجموعة كتب القس (برسي بادجر) الذي تبرع بمكتبته من بعد موته إلى جامعة كمبردج (. . .).

وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة أخرى خطية لكتاب «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» . وقد اعْتُمِدَ تحقيق الكتاب على النسخة الخطية بجامعة كمبردج بعد تصويرها ، وتقع مصورة هذه المخطوطة في ثلاث وستين ومئتي ورقة (. . .).

«الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (. .) قام القس بادجر بترجمته ونشره في لندن بعنوان: «تاريخ أئمة وسادة عمان» .

أ ــ كان المناسب أن يُنْتَفَعَ ـ لدى التحقيق ـ بنسخة باريس (المخطوطة) أو أن يطلع عليها وتوصف في الأقل . لاسيما أن التأليف جرى إملاءً ، ويعترف المحققان بأن الناسخ ليس مكتمل الشروط .

ب ــ جاء كلام المحققين على نشرة بادجر مختصراً جداً .

٦ ــ جاء في مقدمة المحقِّقَيْن: «ابن رزيق (. . .) له مؤلفاته العديدة في الأدب وفي التاريخ ، وقد أورد ذكرها في كتابه «الفتح المبين» (. . .): الصحيفة اليمنية ، والصحيفة القحطانية ، وجوهرة الأشعار وفريد الأفكار ، وهو ديوان

شعري ، وكتاب «علم الكراسات المنسوب إلى نسق المقامات» وكتاب «سبائك اللُّجَيْن» ، و«إشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، وما لهم من العدل والشأن» وهو قصيدة طويلة تضم سيرة خمسة وعشرين إماماً أولهم الجَلَنْدَا بن مسعود وآخرهم سلطان بن مرشد اليعربي ، وكتاب «السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية» .

صحيح ماقاله المحققان . وكان المناسب أن يَدُلَّ القارئَ على مابقي من هذه المؤلفات ، وماطبع ، ونعلم مما طبع لابن رزيق : «جوهرة الأشعار» و«سبائك اللُّجَيْن» - وربما طبع له غيرهما .

وأهم من هذا أن يُستفاد من مؤلفات ابن رزيق في تحقيق «الفتح المبين» وهذا مالم يحصل كما كان الممكن أن يستفاد لدى التحقيق - من مصادر ابن رزيق في تأليف كتابه هذا .

٧ - ورد في المقدمة: ثقاة وصحيحها : ثقات .

ورد (هما . . . ثقاة في الحديث والرواية) والصواب: هما ثقتان، أو من الثقات .

٤ - «كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأئمة وعلماء عمان» :

تأليف الشيخ العالم أبي بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي النِّزواني (من علماء مابين القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تحقيق الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف . القاهرة ، مطبعة دار احياء العربية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م - ٢٧٧ صفحة + ١ منشورات وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان :

١ - حققت سيدة كاشف عدة كتب من التراث العُماني حتى كادت تختص بعمان إلى جوار اختصاصها .

٢ - ذكرت في آخر الكتاب أهم المراجع . وجاء في المراجع المطبوعة: ابن أبي

الحديد : (الشريف الرضي محمد بن أحمد الحسيني : ت ٤٠٤هـ) كتاب «نهج البلاغة» أربعة مجلدات ، طبعة القاهرة ١٣٢٩هـ - وطبعة بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

والصحيح : ابن أبي الحديد : (عزالدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله . . ت ٦٥٦هـ) «شرح نهج البلاغة» أما السر في ورود اسم الشريف الرضِيّ فلأنه جامع «نهج البلاغة» والأشهر في نسبة نسبه : المُوْسوي .

٥ - «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» :

تأليف الشيخ سعيد بن علي المغيري ، تحقيق محمد علي الصليبي . الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م - د.ت، ٥٨٩ صفحة - منشورات وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان .

١ - الكتاب قيم ، والمؤلف شاهد عيان قريب جدًا من صانعي التاريخ ، وله مكانة في زنجبار وإقامة .

٢ - الطبعة الثانية تعني الطبعة الثانية للكتاب «جهينة الأخبار . .» وإلاّ فهي الأولى بتحقيق محمد علي الصليبي بعد الأولى التي بتحقيق عبدالمنعم عامر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣ - وضع المحقق مقدمة المحققين الأول والثاني في الباب الأول من الكتاب ، وهذا غير صحيح لأنهما مقدمتان خارج الكتاب ، والباب الأول حيث يبدأ الكتاب بتبويب المؤلف .

٤ - تحدث المحققان وأفادا - عن المؤلف والكتاب ، ونصا على ميلاد المؤلف (سعيد بن علي المغيري) مكاناً وزماناً : ولد بعمان في فلج المشايخ (. . .) في سنة ١٣٠٠هـ .

ومضى المحقق الأول في سيرة المؤلف حتى سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٧م .

ومضى المحقق الثاني حتى سنة ١٣٥٦هـ .

ويمضي المؤلف في أحداث الكتاب فيعاصر الحرب العالمية الثانية ، ويصل بالسنوات حتى ٢٨ يونيه ١٩٦١م .

ولكن المحققَيْن لم يذكرا نهاية المؤلف حتى كأن الكتاب قد حقق في حياته ، وهذا غير صحيح ، وقد ذكر المحقق الثاني (ص ٣٤): وقد احتفظ بمخطوط هذا الكتاب ولدُ المؤلف وهو جمعة بن سعيد بن علي المغيري بعد وفاة والده ، وجاء به إلى عمان عام ١٩٧١م ، وقدمه إلى وزارة التراث القومي والثقافة .

٦ ـ «ديوان الستالي» :

(أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي العماني ـ من القرن السابع) صححه وشرحه وعلق عليه عزالدين التنوخي ـ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ طبع على نفقة سليمان وأحمد ابني محمد السالمي ، دمشق ، المطبعة العمومية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ـ ٤٧٠ صفحة + ١ .

١ ـ من (فاتحة) المصحح :

أ ـ ص-ج : إن شَعْبَ عُمَان يضرب المثل بفصاحته العربية فهذا عمرو بن بحر الجاحظ يقول : لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أَيْنَ لأهل عمان البيان ؟ قال : وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء البلغاء ما يعدون لأهل عُمَان ؟ منهم مصقلة بن رقبة أخطب الناس قائماً وجالساً ، ومفرداً ومنافساً ، ومجيباً ومبتدئاً ، ثم ابنه من بعده كرب بن صقلة ، ولها خطبتا العرب : العجوز في الجاهلية والعذراء في الإسلام .

يحيل الأستاذ التنوخي على الجاحظ فيقول : انظر «البيان» ١/ ٩٧ . رجعنا إلى «البيان» تحقيق عبدالسلام محمد هارون ١/ ٩٧ فما رأينا النص كالذي أورده الأستاذ الصحيح ، وإنما جاء يروي خبر بلاغة عبدالقيس ، وفرقة منهم وقعت بِعُمَان . . : ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان . . . ومنهم صُحار بن عياش . . . ومنهم مصقلة بن رقبة ، ورقبة بن مصقلة ، وكرب بن رقبة .

وجاء على ١/٣٤٨ : ومن خطباء عبدالقيس مصقلة بن رقبة (ورقبة) بن مصقلة ، وكرب بن رقبة ، والعرب تذكر من خطب العرب : «العجوز» وهي خطبة لآل رقبة . . . والعذراء وهي خطبة قيس بن خارجة .

١ ــ ونفهم من هذا أن المسألة ليست في الأساس مسألة بلدةٍ قَدْرَ ماهي مسألة قبيلةٍ (عبدالقيس) .

٢ ــ كلمة (مغرداً) غير منسجمة فيما يبدو ، ولعلها : منفرداً .

٣ ــ صحيح كرب بن صقلة : . . . بن مصقلة .

٤ ــ (لها) قلقة في مكانها ، ولو وردت في النص (عبدالقيس) لعادت عليها أي ولعبد القيس .

٥ ــ وَنَدَّخِرُ ضبط الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ـ وهو جديد بالاتِّبَاع : صُوحان بضم الصاد ، صُحار بضم الصاد كذالك ، لأن الأستاذ التنوخي (ص-ج) يفتح الصادين .

٢ ــ ص ٢٣ :

وأسعد الله بالإقبال سيِّدنا تاج المفاخر والعُليا أبا العرب

كذا وردت (العُليا) بضم العين . والأنسب ـ عندي ـ فتح العين من العَلياء مخففةً : العليا .

٣ ــ ص ٤٢ :

وعَفى الصبى ورأى النُّهى أزكى له وقلَى الهوى ورأى التقى أولى به

يريد بـ (عفا) : ترك .

وصحيح رسم (الصبى): الصبا ، والشاعر يريد ما يتصل به من عبث وطيش . ويتكرر رسم (الصبا) على (الصبى) ص ٨ وتنظر حاشية ص ٢٧ ، ١٠٢ ، ٣٢ .

٤ ــ ص ٩٢ :

وتبسمت عن ذي غروب أشيب ومـؤشر كـالأقحـوان مـفـلّج

الصحيح : أشنب ـ وهو من الخطأ المطبعي الذي لم يدخل جدول الخطأ والصواب . ومن الخطأ المطبعي ص ٣٣ : وجيت : وجبت .

٥ ــ ص ١١٩ :

وداويّـة لـو أنها دون مَـيَّـةٍ وحـاولها غيلان أهلك صيدحـا

مية وغيلان : وهو ذو الرمة ، وصيدح : ناقته : المناسب أن توضع بين أهلة .

٦ ــ ص ١٥٦ : وله يهجوا أحمد القصبي : (يهجوا) نذكرها لمن يؤرخ لمثل هذا الخطأ في الرسم .

٧ ــ ص ٢٠٥ :

حـيـث الـغـواني والأغـانـي والمـثـانـي والمـزاهـر

المزاهر : جمع مزهر وهو العود يضرب به . وبالضم من نار القرى للضيفان . واسم كتاب في اللغة «جليل» للسيوطي ، لا يستغني عنه طالب علم اللغة .

هذا مثل ـ له نظائر عند الشيخ التنوخي ولدى عدد آخر فيهم شباب ـ على الشرح السيء لمفردات الشعر . وكان اللازم أن يُكتَفَى بالثلث الأول ـ ولا علاقة بعد ذالك للضيفان والسيوطي بالبيت .

٨ ــ ص ٢٤١ :

حجـازيـة هيهـات منـك وأُمهـا ومن دونها درب العزيز وسوره

وردت أُمها بضم الهمزة ، والصحيح الفتح .

٩ ــ ص ٢٥٩ : وقال يرثي السلطان أبا محمد بن نبهان بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان سنة ٤٧٤هـ العدد غير صحيح ، لأن الشاعر وممدوحيه من القرن

السابع . وورد في المقدمة : الستالي (٥٨٤ - ٦٧٦هـ) .

١٠ - ورد على ص ٣٧ : يمدح أبا عبدالله محمد بن عمر : ولعل الصحيح : أبا عبدالله محمد بن معمر . كأنه : محمد بن معمر بن محمد بن عمر بن نبهان - تنظر الصفحات ٩١ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢١٩ .

١١ - ص ٣٩٤ :

فلو أنَّ في عصري جميل معمَّر تشكّى الهوى علمتُه كيف يعشق

البيت موزون : ولابد أن يكون هكذا ورد عن الشاعر . وكان يمكن أن يقول : جميل بن مَعْمَر - بِسكون العين ، وفتح الميم ، ويكون صواباً في لفظ اسم مَعْمَر ، وصواباً في أن جميل هو ابن معمر ، وكان يمكن أن يقول : جميل بثينة .

١٢ - ص ٤٢٠ :

والنْور في نسق من كلّ متَّفقٍ من أبيض يقق أو أحمـر قاني

ورد النور بتسكين النون ، والصحيح أنها مشددة مفتوحة .

١٣ - ص ٤٥٧ : هذه المقطوعات الثلاثة .. نسينا إدخالها في الديوان حسب ترتيبها : الصحيح المقطوعات الثلاث . . . ادخالها . .

١٤ - ومن الخطأ المطبعي ص ٥٤ : (أوخال نفسي): وإخال نفسي ص ١٢٤ (تبهاً) : تيهاً .

١٥ - ص ١٩٧ :

وقد يبقى في الغبيين من لا تظنّه تَقِيًّا ويعصي نـاسـك متزهـد

ربما كان الأصل : وقد يتقي في الغيب . .

١٦ - ص ١١٢ : وله أيضاً يمدحهم حرس الله معاليه : . . . يمدحه . .

١٧ ـ ص ١٦٥ :

ألا إنما صيد القلوبِ لمن لـه تُـراقٌ صقيـلات عليهـا عقـوده

وردت تراق بضم التاء والقاف وكأنها الفعل المضارع المبني لما لم يُسَمَّ فاعله (المجهول) ووردت صقيلات بكسرتين تحت التاء .

والذي أراه : تراقٍ صقيلاتٌ : تراقٍ بكسرتين تحت القاف جمع الترقوة مُنَوَّنٌ ، وصَقِيلات صفة لها . . .

١٨ ـ ص ١٧٢ :

بـين البـوادي ونحن نحضُرهـا بمحكـيات القـريض ننشِـدُهـا
بـديعـة من عـويص شـاعـرهـا سـائـرة في البـلاد سرمـدهـا

قال المحقق (سرسرها) لعله محرفة عن (سرمدها) أي دائمها وخالدها . وأقول لعل أفضل من ذالك أن يريد (شرَّدُها) .

٧ ـ «عمان تاريخ يتكلم» :

تأليف محمد بن عبدالله السالمي وناجي العساف . طبع على نفقة سليمان وأحمد ابني محمد السالمي . دمشق ، المطبعة العمومية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ـ ص ٢٦٧ .

١ ـ ص ١٢ : رأس موسندام ، وتتكرر . يـرد في أطالس وخرائط حديثة على (مسندم).

٢ ـ ص ١٤ : ومن لبخه إلى بندر عباس (٩٦ ميلًا) : ص ١٦٨ لنجة كما صححها جدول الخطأ والصواب ينظر الجدول لأخطاء أخرى .

٣ ـ ص ٤٩ : شاطيء : شاطئٌ . ص ١٩١ : مباديء : مبادئ ـ لا موجب لنقاط الياء لأنها هنا رسم الكرسي تستند إليه الهمزة .

٤ ـ ص ١١٢ : قطري بن الفهاجأة : قَطَرِيُّ بن الْفُجَاءَة .

٥ ــ ص ١٣١ : (.. سيما وأن خلافة المسلمين..) : لاسيما أن .

٦ ــ ص ١٦٦ : (مماسا) ، ص ١٨٣ : (مماسة) ـ وأحسب أن الثانية هي المطلوبة المألوفة .

٧ ــ ص ١٦٨ : (سالم بن ثويني) (..) ثار عليه كذالك أخوه تركي واستولى على صحار .

الصحيح : ثار عليه ابن عمه تركي بن سعيد (تنظر ص ٢٦٥) وفي العربية ثار به ، ثار به الناس أي وثبوا عليه.

٨ ــ ص ١٤٦ : من قصيدة لأبي اسحق الحضرمي ... يصفها (غراء) وماهي غراء ، إنها ركيكة لا تدل على أية شاعرية ومنها :

وقصوا لنا ماكان من أمركم وما   لديكم فيا لله دَر الذي يهدوا

يريد : يهدون ، فجزمها بغير جازم .

٩ ــ ص ٢١٨ : في شهر جمادى الأول من عام ١٢٣١ (١٩١٣م) : جمادى الأولى ١٣٣١ لأن جمادى مؤنثة .

١٠ ــ ص ٢٥٣ : بناء على طلب احدى عشر دولة عربية : احدى عشرة .

١١ ــ يعتمد الكتاب كثيراً على كتاب الشيخ أبي عبدالله نور الدين محمد بن عبدالله السالمي (١٢٨٦ ـ ١٣٣٢) «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» مرة بنص على المؤلف والكتاب ، ومرة أو مرات بـ(قال) فقط ، ويفهم أن القائل هو الشيخ نورالدين في «تحفة الأعيان» .

بغداد ـ الدكتور علي جواد الطاهر

من معالم عالية نجد :

ـ ١ ـ وَجْرَةُ ، وغَمْرَةُ

وَجْرَة : ـ بفتح الواو وسكون الجيم المعجمة ، ثم راء مهملة مفتوحة ، ثم هاء : قال امرؤ القيس في معلقته :

تَصُدُّ وتُبدِي عَنْ أسِيلٍ وتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ من وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وقال لَبِيْدُ بْنُ رَبِيعة في معلقته :

زُجُلَا كأنَّ نِعاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً آرَامُهَا

وقال النابغة الذُّبيانيُّ في معلقته :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُهُ طَاوِي المَصِيْرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

قال التِّبريزيُّ : خَصَّ وحش وجرة لأنَّها فلاةٌ يقال إن فيها ستين ميلاً ، والوحش يكثر بها ، ويقال : إنّها قليلة الشرب فيها(١) .

وقال ياقوت وَجْرَة : بالفتح ثم السّكون :

قال الأصمعيُّ : وجرة بين مكة والبصرة ، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلاً ، ليس فيها منزل فهي مَرَبٌّ للوحش .

وقيل : حرَّةُ لَيْلَى وَجْرةُ والسِّيُّ : مواضع قرب ذات عِرْقٍ ببلاد سُلَيم ، قاله السّكري في قول جرير :

حُيِّيْتَ لست غداً لَهُنَّ بِصَاحِبٍ بِحَزِيْزِ وَجْرَةَ إِذْ يَخِدْنَ عِجَالاَ

وقال بعضُ العشاق :

أرْوَاحَ نَعْمَانٍ هَلَّا نَسْمَةً سحراً ومَاءَ وَجْرَةَ هَلَّا نَهْلَةً بِفَمِي

وقال : وجرة دون مكة بثلاث ليال .

وقال محمد بن موسى : وجرةُ على جادّة البصرة إلى مكة بإزاءِ الغمر الَّذي على جادّة الكوفة ، منها يحرم أكثر الحاجّ ، وهي سُرَّةُ نَجْدٍ ستون ميلاً لا تخلُو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير .

قال أبو عبدالله السكونيُّ : وجرةُ منزل لأهل البصرة إلى مكة بينه وبين مكة مرحلتانِ ، ومنه إلى بستان بن عامر ثم إلى مكة ، وهو من تهامة .

وقال البكريُّ : وجرةُ ـ بالراء المهملة ـ قال الأصمعي : هو موضع بين مكة والبصرة على ثلاث مراحل من مكة ، طولها أربعون ميلًا ، ليس فيها منزل ، فهي مَرَبٌّ للوحش .

وقال الطوسيُّ : وجرة في طرف السيِّ ، وهي فلاةٌ بين مَرّان وذات عرق، وهي ستون ميلاً ، يجتمع بها الوحش ، لا ماء بها ، قال النّابغة :

من وَحْشِ وجْرَة مَوْشيٍّ أكارِعُهُ طَاوِي المصِير كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

وقال عُمَارَة بن عَقِيلٍ : السيُّ : ما بين ذات عرق إلى وجرة ، على ثلاث مراحل من مكة ، إلى البصرة ، دون ركبة ، على يسار طريق مكة لمن يخرج من ضَرِيَّة ، وزعم عمارة أنّه ماء لبني سُلَيم ، على ثلاث مراحل من مكة كما قال الأصمعي ، وأنشد لجَدِّهِ :

حُيِّيتِ لَسْتَ غَدًا لهُنَّ بصاحبٍ بِحَزِيْزِ وَجْـرَةَ إذ يَخِدْنَ عِجَـالاَ

الحَزِيْزُ من الأرض ما غَلُظ واسْتدقّ .

وقال ابْنُ حَبيب : وجرةُ : من ساترٍ ، وساترُ ، قريب من عَيْنِ مَلَل .

وقال غيره : وجْرةُ بإزاء غمرة ، عليها طريق حاجّ الكوفة والبصرة .

وقال الحارث بن ظالم يمدح قريشاً :

مَلأْتِ الأرضَ مكـرُمَـةً وخَـيراً إلَى مَـا بَيْنَ وَجْـرَةَ فَـالْـجَنَابِ

وقال عَبَدَةُ بْنُ الطَّبيب :

حَلَّتْ سُلْمَى بَطْنَ وَجْرَةَ فَالرِّجَا   واحْتَلَّ أَهْلُكَ بِالسِّخَالِ إِلَى القُرَى

الرجاء : موضع دَانٍ من وجرة ، والسِّخال ، موضع في ديار بني سعد بن زيد مناة ، وهو من العالية .

وقد ذكرها الأصفهانيُّ وجعلها حدُّ نَجْدٍ من الناحية الغربية حيث قال : إذا جُزْتَ ذَاتَ عِرْقٍ إلى البحر ، فأَنْتَ في تهامة ، وإذا جُزْتَ وجرةَ وغمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العُذَيْب ، وغمرة في طريق الكوفة ، ووجرة في طريقة البصرة[٢] .

وقال في موضع آخر من كتابه : مَرَّان : وهو ماء وقرية غناء كبيرة ونخل[٣] ثم تجوز مرَّانَ فتردُ الشُّبَكة ، وهي ماء عليه تجار ، ثم ليس دون وَجْرة إلا مَتَعَشيٍّ يقال له بُسْيَان فيه من ماء السَّماء[٤] ثم أوطاس ، ثم إذا جُزْتَ أوطاسَ أشْرفْتَ على غور تهامة[٥] .

وفي موضع آخر قال : وأهل الكوفة يُحرمون بِغَمرة ، وأهلُ البصرة بوجرة ، وهو منهلٌ من مناهل طريق البصرة ، وهما يتراءان ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ ، وبينهما جبل يقال له الكراع[٦] .

قلت : في هذه العبارة أوضح قُرْبَ غمرةَ من وجرة ـ يُرَى أحدهما من الآخر ، بينهما جبل الكراع .

والكراع مازال معروفاً باسمه ، وسيأتي تحديده .

وقال أيضاً : ويجتمع طريق البصرة والكوفة بأمّ خُرْمَان ، وهي أوطاس ، وفي أمّ خرمان يقول الشاعر :

يَـا أُمَّ خُزْمَـانَ ارْفَعِـي الوَقـودَا   فَقَـدْ أطَـالَتْ نَـارُكِ الـخُمُـودَا
أَنِمْتِ ، أَمْ لا تجِدِيْنَ عُودَا ؟

قال : ومنهل يقال له الغُمير : إذا خرجتَ من غمرة أو وَجْـرة فأردتَّ أن تجعل إلى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغمير ، ومن جعلها ثلاثا فمرحلة ذات عرق ثم البُستان ، ثم مكة[٧] .

قلت : كل ما تقدم من الأقوال في تحديد وجرة ، لا يختلف بعضها عن بعض ، وهو تحديد واسع ، لا ينصُّ على معالم مميزة لوجرة ، إلاّ ما أورده الأصفهاني ، حيث وصفها ووصف غمرة بأنها منهلان من مناهل طرق الحج ، وأنّها يتراءان ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ ، وبينهما جبل يقال له الكراع .

في هذه العبارة وصفهما وصفاً جغرافياً وحدّد ما بينهما من المسافة بالرؤية وبالفراسخ ، ثم في عبارة تالية حدّد المراحل بينها وبين مكة .

ومادام أن جبل (الكراع) مازال معروفاً ، ومعالم طرق الحج مازالتْ واضحة ومعروفة ، فإنّ على ضوء ذالك يسهل تحديد وجرة تحديداً صائباً .

وقد تَبع المتقدمين في توسعهم في التحديد محمد بن بُلَيْهد ـ رحمه الله ـ فقال :
وَجْرة : معروفة بكثرة الظباء ، وقد أطال الكلام عليها أهل المعاجم ، وهي رُكْبَةُ الشمالية . وأما ركبـة الجنوبية فهي التي يسلكها طريق السيّارات من عشيرة إلى الـمُوَيْه .

وَوَجْرَة : التي يسلكها اليوم طريق السيارات من عُشيرة إلى المهد ، وهي التي يقول فيها جرير :

حُيّيت لسْتَ غداً لهُنَّ بصاحب   بِحَزِيْزِ وجْرة إذْ يَخِدْنَ عجالا[٨]

قلت : رُكْبَـة اسم قد توسّع النّاسُ في مسماه فشمل ركبة كلها ووجرة وبلاد السيِّ ، ولم يعد اسمُ وجرة معروفاً في هذا العهد ، وكذلك السيِّ .

وقد علق الشيخ حمد الجاسر على كتاب «بلاد العرب» فقال في تحديد وجرة : هي في عالية نجد ، وهي الطَّرف الشمالي من فلاة ركبة ، الممتدة من شمال الطائف إلى حرّة كُشُب ، ومن عشيرة والبركة والعقيق غرباً إلى حَضَن وكشب شرقاً(٩) .

قلت : وفي هذه العبارة تحديد قريب لوجرة أدق مما تقدم . إذ هي في الطّرف الشمالي الغربي من فلاة ركبة ، يمرّ بها طريق (المُتَقّى) طريق حاج العراق القديم ، وفيها هدام قصر قديم يُسمّى (الخرابة) لأنه قد أصبح خَرِباً .

وهي كما وصفها محمد بن موسى فيما تقدم : واقعة على جادة البصرة نجديّة ، ستون ميلاً ، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير .

وقال صاحب كتاب «المناسك» : ومن الشبيكة إلى وجرة أربعون ميلاً ، وبوجرة ماء كثير(١٠) .

وقال أيضاً : وجرة ، منزل . أي من منازل طرق الحج ، وأورد من أجوزة في رسم طريق الحج :

ثُمَّ مَضَتْ تَؤُمُّ حَوْضَ وجْرَهْ فـاتِـرَةَ الـبـغـامِ أيَّ فَـتْـرَهْ
ما قَصَعَتْ مُذْ أصْبَحَتْ بِجِرَّه

فـوردتْ فَشَـرِبَتْ عَـلَى ظَـمَـا مِنْ بارِدٍ عَذْبٍ رَقِيْقٍ قَدْ صَفَا
يشْفي به الحائِمُ حَرَّاتِ الصَّدَى(١١)

وقد تحدث عاتق بن غيث عن البركة وعن الخرابة فقال : الخرابةُ بركة لزبيدة بنت جعفر ، أمّ الأمين ، فوقها قصر رُمِّمَتْ هي والقصر سنة ١٣٩٣هـ . تقع على طريق الحاج العراقي القديم شمال شرقي عشيرة على (١٤٠) كيلاً ، وأصبح اليوم القصر بحالة حسنة رغم مرور أكثر من ألف سنة على إنشائه . . . وكانت أرض الخرابة تعرف بوجرة .

والخرابة : بركتان تفصل بينهما بقايا قصر قديم ذي قبتين في سَقْف واحد ، ومجرى البركتين واحد ، يمرّ بالأولى ثم ينسـاب الزائد من تحت القصر فيصُبُّ في الأخرى ، وهي الأكبر ، وشكلهما شكل بركة زبيدة مع اختلاف في الحجم ، والكبيرة يقارب قطرها (٥٠) متراً ، تقع الخرابة شرق بركة زبيدة على نفس طريق الـمُنقّى بحوالي ستة أكيال تفصل بينهما حرّة الكراع ، ولقصر الخرابة شهرة هناك(١٢).

قلت : هذا التحديد والوصف يتفقان تماماً مع ما ذكره الأصفهاني وتقدم فيما سبق .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول أنّ الموضع الذي ذكره عاتق بن غيث باسم البركة هو غمرة ، وأنّ (الخرابة) هي وَجْرَة ، وإن الاسم كان يطلق على الماء الذي هو - منزل من منازل الحاج - وما حوله من البلاد ، كما هو الحال في هذا العهد فإنّ اسم (الخرابة) يطلق على كل ما يحيط بها من تلك النّاحية .

الرياض سعد بن عبدالله بن جُنَيْدِل

الحواشي :

(١) «شرح القصائد العشر» ٣١٢ .
(٢) «بلاد العرب» ٣٣٦ .
(٣) مَران : مازال معروفاً ، وقد أعيد عمران قريته .
(٤) بسيان : مازال معروفاً باسمه ، في غربي وسط ركبة .
(٥) المصدر السـابق ٣٧٣ .
(٦) المصدر السابق ٣٧٦ .
(٧) «المصدر السابق» : ٣٧٦ - ١٧٣ .
(٨) «صحيح الأخبار» ١/ ٢٠ .
(٩) حاشية «بلاد العرب» ٣٧٣ .
(١٠) «المناسك» ٦٠٢ .
(١١) نفس المصدر ٦٣٦ .
(١٢) «معجم معالم الحجاز» رسم الخرابة ٣/ ١٠٨ .

الحنيفية وشعراؤها في العصر الجاهلي

إنَّ مَنْ يبحث في أخبار العرب ، قبل الإسلام ، يجد كثيراً منهم قد أشركوا بالله ، وأضحى تعدد الآلِهة لديهم اعتقاداً متيناً . ولكن هل يعني ذلك أن دين إبراهيم عليه السلام قد نُسِـيَ تماماً ؟ وأن عقيدته التوحيدية تلاشت ، فلم يبقَ في العصر الجاهلي إلا الوثنية والشرك ؟

لقد أمدتنا المصادر القديمة بروايات وأخبار وأشعار تنص على أنه قد وُجِدَ نفر من العرب الجاهليين رفضوا عبادة الأوثان ، ولم يقبلوا بتعدد الآلِهة ، واتجهوا إلى عبادة الله وحده ، ذلك الذي كان متفرداً بالعبودية قبل انتشار الشرك وعبادة الأصنام . وقد دُعي هؤلاء بالحنفاء ، وظهر منهم شعراء عبروا عن عقيدتهم أصدقَ تعبير ، وعن تمسكهم بما تنامى إليهم منها عن إبراهيم الخليل .

ولكن علينا ـ قبل أن نعرض لأولئك الشعراء ـ أن نعرف ما المقصود بالحنيف والحنيفية ، لكي ندرك المعاني والصور التي أتى بها الشعراء الحنفاء .

ـ الحنيفية والحنفاء :

جاء في «اللسان» أن الحنيف لغةً هو المائل من خير إلى شر ، أو من شر الى خير ، والجمع : الحنفاء . وحَنَفَ عن الشيء وتحنَّفَ : مال ، والحنيفية : الميل[1].

وقد تعددت أقوال العلماء في المعنى الاصطلاحي للحنيف ، غير أن معظمهم اجمع على أن الحنيف هو من بقي على دين إبراهيم ، فحجَّ البيت ، واعتزل الأصنام ، وتعبّد لله[2]. وقد ورد ذكر الحنيف ، بهذا المعنى ، في قول أبي ذُؤيب الهُذَلي[3]:

أقـامتْ بـه كمقـام الحنيـ ـفِ شَهرَيْ جُمَادَى وشَهْرَيْ صفَر

كما ذُكر التحنّف بمعنى التعبّد عند جِران العَوْد ، في قوله[4]:

وأدركْنَ أعجازاً من الليل بعدَما أقـام الصلاةَ العـابِدُ الـمُتَحَنِّفُ

وورد أيضاً أن الحنيفية هي الميل عن اليهودية والنصرانية والتمسك بدين إبراهيم عليه السلام[٥]. وجاء في «السيرة» أن اليهود كانت تدّعي أن إبراهيم كان على دينها، وأن النصارى كانت تدّعي أنه على دينها[٦]، فنزلت الآيات القرآنية لتنفي ادعاء الفريقين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ماكانَ إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين ﴾[٧]. وفضلاً عن ذلك فإن الآية تنفي أيضاً أن يكون إبراهيم عليه السلام من عبدة الأوثان الذين أشركوا بالله.

ويبدو أن بعض الجاهليين كانوا يعدُّون عبادة الأوثان انحرافاً عن دين إبراهيم الحنيف، فمن ذلك ما نُسِب إلى أمية بن أبي الصلت[٨]:

كُلُّ دِيْنٍ يومَ القيامةِ عند الله إلّا دينَ الحَنيفةِ بُورُ

ولما قامت قريش لمحاربة الرسول ﷺ انبرى أبو قيس بن الأَسْلَتِ يدافع عنه، على الرغم من عدم إسلامه، مذكراً قريشاً بحرمة مكة التي يأمن فيها الإنسان والحيوان، وداعياً إياهم إلى العودة إلى دين إبراهيم الحنيف[٩]:

أعيذكم بالله من شرِّ صُنْعِكُمْ وشرِّ تَباغِيكُمْ ودَسِّ العَقَارِبِ
فذكّرهم بالله أولَ وَهْلَةٍ وإحلالِ أحرامِ الظباءِ الشوازبِ
أقِيمُوا لنا دِيْناً حنيفاً فأنتم لنا غايةٌ قد يُهْتَدَى بالذّوائبِ

وتؤكد أكثر الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر الحنيف أنه من كان على دين إبراهيم عليه السلام، وأخلص في عبادة الله وحده، فلم يشرك به شيئاً[١٠].

ومما تقدم نجد أن الحنفاء ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا وثنيين مشركين، وإنما هم أولئك الذين بقوا على عقيدة التوحيد التي دعا إليها إبراهيم الخليل، فرفضوا عبادة الأوثان وأخلصوا التعبد لله وحده، وقد ظهر ذالك جليًّا لدى أبرز شعرائهم زيد بن عَمْرِو بن نُفَيْل، وأمية بن أبي الصلت، وأبي قيس بن الأَسْلت.

– **زَيْدُ بن عمرو بن نُفَيْل:**

لقد أجمعت معظم الروايات على أن زيداً كان في مقدمة الحنفاء الذين اعتزلوا

عبادة الأوثان ، وتعبّدوا لله وحده . ورُوي أنه بحث عن عقيدة التوحيد في اليهودية والنصرانية ، فلم يطمئن إليهما ، وظل متمسكاً بما ورد إليه من دين إبراهيم عليه السلام ، حتى قُتِل قبيل الإسلام ، بعد أن لقي أذى كثيراً من قومه[١١] .

وأهم ملامح عقيدة التوحيد تظهر فيما تبقى من أشعاره ، فمن ذلك قوله[١٢] :

أربّـاً واحـداً أمْ أَلْـفَ ربٍّ ... أدِيـنُ إذَا تَـقَـسَّـمـتِ الأُمُـورُ؟
عَـزَلْتُ الـلاَّتَ والعُـزَّى جميعـاً ... كـذالِـك يفعـلُ الجَلْدُ الصَّبُـورُ
فـلا العُـزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْهَـا ... ولاَ صَنَمَـيْ بني عَـمْـرٍو أزورُ
ولا هُـبَـلاً أدِينُ وكـان رَبَّـا ... لنا في الدهر إذْ حِلْمِي صغيرُ

فهو يعتقد أن الله رب واحد لا نِدَّ له ولا نظير ، لذلك اعتزل عبادة الأوْثان والأَصْنام ، سواء أكانت اللات أم العُزّى أم هُبَل ، أم سائر الأصنام الأخْرى . وفي البيت الأخير يشير إلى أن العقل هو الذي هداه إلى اليقين ؛ وذلك حينما بلغ أشده ، ونضج تفكيره ، وتعمق نظره ، فرفض تَعَدُّدَ الآلِهة ، ورفض أن يخضع لما عليه القومُ والآباءُ ، ولجأ إلى عبودية واحدة لله تعالى .

ويَبْدُوْ أنَّ ديانة إبراهيم عليه السلام لم تكن واضحة تماماً في ذهنه ، بما تنطوي عليه من عبادات ومناسك وشعائر ؛ لذلك كان يُسلم أمره لله رب الكعبة ، قائلاً[١٣] :

عُـذْتُ بمـا عـاذَ بِـهِ إبـراهِمُ ... مُسْتَقْبِـلَ الـقِبْـلَةِ وَهْـوَ قَـائِم
أَنفِـي لـك اللَّهُمَّ عـانٍ راغِمُ ... مهـما تُجَشِّمْنِي فـإنِي جـاشِم

كما رُوي عنه أنه كان يقول : (اللهم ، لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه) ، ثم يسجد على راحته[١٤] .

ــ أمية بن ابي الصَّلْت :

من الشعراء الحنفاء أيضاً أمية ، وهو شاعر من ثَقِيف ، نظر الكتب وقرأها ،

وتجنّب عبادة الأوثان ، وتمسك بالحنيفية ديانةِ إبراهيم الخليل ، ومن المعتقد أنه ظل حتى مجيء الإسلام ، وبقي متمسكاً بعقيدته فلم يسلمْ[١٥]، ومات على الأرْجح في السنة الثانية للهجرة[١٦].

وملامح الحنيفية ظاهرة في شعر ابن أبي الصَّلت ، الذي كان له حظ وافر من الحفظ ، أكثر من سائر شعر الشعراء الحنفاء . ولا شك في أن شعراً كثيراً قد نُحِلَ عليه ، بَيْدَ أننا إذا بحثنا في شعره ، المرجح أنه موثوق ، نجد مادة تشير إلى أنه كان رافضاً الوثنية ، مؤمناً بإله واحد لا شريك له ، معتقداً أنه باقٍ على دين إبراهيم التوحيدي ، وذلك على شاكلة قوله[١٧]:

الحَمْــدُ لله مُمْسَانــا ومُصْبَحَنَــا   بـالخـيرِ، صَبَّحَنـا ربِّي ومسَّـانَــا
ربُّ الحنيفـةِ لم تَنْفَدْ خَـزائِنُهـا   مَمْلُوءَةً طَبَـقَ الآفــاقِ سلطانــاً

فالله جلَّتْ قدرته هو الذي ينبغي أن يحمد على آلائه ونعمه التي يسبغها على المرء صباح مساء ، وهو تعالى رب الحنيفية التي عمّت الدنيا بنورها وهديها .

ويُنَوّهُ أيضاً بعظمة الله الكبير المتعالي الذي له البقاء الدائم ، والخلود المستمر ، فالكل سيفنى ويبقى الله الواحد الأحد[١٨]:

ألا كُلُّ شيْءٍ هالِكٌ غيرَ ربِّنـا   ولله مـيراثُ الذي كـان فـانيـاً
وإنْ يـكُ شيْءٌ خالِـداً ومُعَمَّراً   تأمَّلْ تَجِدْ منْ فَوْقِهِ الله باقيـاً

وإذا كان المشركون يعتقدون في آلِهَةٍ عِدَّةٍ ، تمتلك قدرات مختلفة ، فإن الشاعر لا يرى فوق الله تعالى أيَّ شيء كان ، كما لا يرى أيَّ إله يشاركه في العبودية والربوبية[١٩]:

إلى الله أُهْـدي مِدْحَتي وثنـائِيا   وقولاً رَصيناً لا يَنِـي، الدهرَ، باقياً
إلى الملكِ الأعلى الَّذِي ليس فوقه   إلــهٌ ولا رَبٌّ يكــون مُــدَانيـاً
وأشهدُ أن الله لا شيْءَ فوقـه   عليًّــا وأمسى ذكْــرُهُ متعــاليــاً
رضِيتُ بك اللّهمَّ ربًّا فلنْ أُرى   أدِينُ إلهـاً غيرَك، الله، ثـانيـاً

ولئن كان الحجُّ إلى بيت الله الحرام أهم مشاعر الحنيفية المتبقية من عهد إبراهيم الخليل فإنَّ الشاعر لايزال مُتَمَسِّكاً به ، ومُعْتَقَداً أنه يوجد في العرب من يخلص في حجه لله وحده ، لا يبتغي بذلك سوى غفرانه ورضوانه[٢٠] :

إنّي أعوذُ بِمَنْ حَجَّ الحَجِيجُ لَهُ والرافعونَ لدينِ الله أَرْكانا
مُسَلِّمِين إليه عِنْدَ حَجِّهِمُ لَمْ يَبْتَغُوا بِثَوابِ الله أَثْمَانَا

ويبدو أن أمية قد قابل زيدَ بن عَمْرٍو ، أو أنه قد سمع به وبتمسكه بالحنيفية ، وإخلاصه العبادة لله وحده ، ولعل ما يرجِّحُ هذا الأمْرَ وجودُ شعرٍ منسوب إلى أمية يرثي فيه زيداً ، ويشيد بإيمانه وعقيدته[٢١].

ـ أبو قيس بن الأسْلت :

أما أبو قيس فهو ثالث أولئكم الحنفاء ، واسمه صَيْفِيُّ بن الأسْلت بن جُشَم ، من الأوْس[٢٢]، وكان يَتَأَلَّهُ في الجاهلية ، ويَدَّعِي الحنيفية ، كما كان شاعراً من شعراءِ الأوْس ، وزعيماً من زعمائهم إذ أسندوا إليه حربهم يوم بُعاث[٢٣]. وقد أدرك الإسلام، بَيْدَ أنه اخْتُلِفَ في إسلامه، فقيل : إنه أسلم عند احتضاره، وقيل: إنه لم يسلم، كما اخْتُلِفَ في وفاته، فجعلها بعضهم في السنة الأولَى للهجرة ، وأخرها بعضهم إلى عام الفتح[٢٤].

وقد أوردنا في الفقرة الأولى بعضاً من شعره الذي دافع فيه عن الرسول ﷺ ، ودعا فيه قريشاً أَنْ تَكُفَّ عن غيها وضلالها ، وتتبعَ الدين الحنيف الذي يوافق ماجاء به المصطفى عليه السلام .

ومن ثَمَّةَ فإننا نجد لديه عقيدةَ التوحيد نفسها التي وجدناها عند الشاعرين السابقين ثم هو أيضاً ـ شأنه شأن زيد بن عمرو ـ يرفض اليهودية والنصرانية ، ويتمسك بالحنيفية ، ويراها الدين الحق ، فيعبر عن ذلك شعراً[٢٥]:

أربَّ النَّاسِ أشياءُ أَلَمَّتْ يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذُّلُولِ؟
أربَّ الناس أمّا إذْ ضَلِلْنا فَيَسِّرْنَا لمعروفِ السَّبِيلِ

فلولا ربُّنا كُنّا يهوداً ... وما دِيْنُ اليهودِ بذِي شُكُولِ
ولولا ربُّنا كُنّا نصارى ... مع الرُّهْبانِ في جَبلِ الجليلِ
ولكنّا خُلِقْنا إذْ خُلقنا ... حنيفاً دِينُنا عن كلِّ جيلِ
نسوق الهَدْيَ تَرْسُفُ مُذْعِنَاتٍ ... مُكَشَّفَةَ المناكبِ في الجُلُولِ

ولعل الشاعر في هذه الأبيات قد أعطى الصورة الصادقة عن جماعة الحنفاء ، التي أَنِفَتْ من عبادة آلِهَة متعددة ، تمثلها أوثانٌ صَمَّاءُ لا تملك ضراً ولا نفعاً . كما عبّر عن بحث هذه الجماعة في الديانتين اليهودية والنصرانية ، وعدم اقتناعها بهما ، لتركن أخيراً إلى دين إبراهيم ، الداعي إلى توحيد الله وعدم الشرك به . ويلاحظ أن الشاعر هنا أيضاً يشير إلى الحج الذي هو أهم مناسك الحنيفية المتبقية ، بل لعله المنسك الوحيد المعروف والمشهور بين العرب ، من تلك الديانة القديمة .

ونخلص مما مر بنا أن الحنفاء في الجاهلية جماعةٌ لها منهج واحد ، تسير عليه ، واعتقاد واضح تؤمن به ، إذ نرى أنها تسير على نهج إبراهيم الخليل، وتعتقد في إلهٍ واحد لا شريك له هو الله ، وتقوم بما وصل إليها من شعائر حجّ إبراهيم ومناسكه .

وفضلاً عن ذالك فإن ثَمَّة أمراً جديراً بالاهتمام ، ينبغي لنا أن نذكره ، وهو أن الحنيفية لم تكن مقتصرة على قبيلة معينة من قبائل العرب ، وإنما كانت معروفة في أنحاء عدة من الجزيرة العربية ، ولا أدل على ذالك من أن شعراءَها الذين عرضنا لهم كانوا من قبائل مختلفة ، فزيد من قريش ، وأمية من ثَقِيف ، وأبو قيس من الأَوْس .

وسرعان ماجاء الإسلام فأثبت عقيدة التوحيد ، وقضى على كل ما يناقضها من الشرك وتعدد الآلهَةِ ، ليبقى الدينُ كلُّه خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد .

كلية الآداب ـ جامعة حلب ـ الدكتور عبدالغني زيتوني
مدرس الأدب القديم

الحواشي والمصادر :

(١) «لسان العرب»: مادة (حنف)، لابن منظور، ط بيروت ١٩٥٦ .

(٢) المصدر نفسه: مادة (حنف). و«تاج العروس»: مادة (حنف)، للزبيدي ط بيروت. و«جمهرة اللغة»: مادة (حفن)، لابن دريد، ط حيدر آباد ١٣٤٥هـ .

(٣) «لسان العرب»: مادة (حنف). وشهرا صفر: يقصد صفر والمحرم. والضمير يعود على الناقة، وأراد أنها قد أقامت بهذا المكان إقامة المتحنف على هيكله مسروراً بعمله وتدينه لما يرجوه على ذلك من الثواب .

(٤) «تاج العروس»: مادة (حنف) .

(٥) «الروض الأنف»: ٢٩٢/١ ، للسهيلي ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ط القاهرة ١٩٦٧ . و«جمهرة اللغة»: مادة (حفن) .

(٦) «السيرة النبوية»: ٥٥٣/١ ، لابن هشام ، تحقيق السقا والأبياري وشلبي ، ط مصر ١٩٥٥ .

(٧) (آل عمران): الآية ٦٧ . و«تفسير الطبري»: ٣٠٦/٣ ، ط مصر ١٩٥٤ .

(٨) «ديوان أمية بن أبي الصلت»: ص ٣٩٣ ، تحقيق د . عبدالحفيظ السطلي ، ط دمشق ١٩٧٧ .

(٩) «السيرة النبوية»: ٢٨٤/١ . وأحرام الظباء : هي التي يحرم صيدها ، والشوازب : جمع شازبة ، وهي ضامرة البطن ، يصف الظباء . والذوائب : الأعالي .

(١٠) (البقرة): الآية ١٣٥ ، وآل عمران : الآية ٩٥ ، والنساء : الآية ١٢٥ ، والأنعام : الآية ١٦١ و(يونس): الآية ١٠٥ ، و(النحل): الآية ١٢٠ و(الحج) : الآية ٣١ ، و(البينة): الآية ٥ .

(١١) «السيرة النبوية»: ٢٣١/١ . و«صحيح البخاري»: ٥٠/٥ ، ط مطابع الشعب مصر ١٣٧٨هـ . و«تفسير الطبري»: ٣٠٦/٣ .

(١٢) «السيرة النبوية»: ٢٢٦/١ . ووردت بعض هذه الأبيات في «نسب قريش»: ص ٣٦٤ ، لمصعب الزبيري ، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، ط القاهرة ١٩٥٣ و«جمهرة نسب قريش» ص ٤١٧ ، للزبير بن بكار ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط بيروت ١٣٨١هـ .

(١٣) «السيرة النبوية: ٢٣٠/١ . (١٤) المصدر نفسه: ٢٢٥/١ .

(١٥) «خزانة الأدب»: ٢٤٦/١ ، للخطيب البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط القاهرة ١٩٦٨م .

(١٦) مقدمة «ديوان أمية بن أبي الصلت»: ص ٤٣ ، وفيها دراسة مسهبة عن حياته وشعره .

(١٧) «ديوان أمية»: ص ٥١٦ . (١٨) المصدر نفسه: ص ٥٢٨ .

(١٩) المصدر نفسه: ص ٥٣٨ . (٢٠) المصدر نفسه: ص ٥١٨ . (٢١) السيرة النبوية: ٢٣٢/١ .

(٢٢) المصدر نفسه: ٥٨/١ . و«الاشتقاق»: ص ٤٤٨ ، لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط مصر ١٩٥٨م .

(٢٣) يوم بعاث: هو يوم للأوس على الخزرج ، وكان قبل الهجرة بخمس سنين .

(٢٤) «خزانة الأدب»: ٤١١/٣ .

(٢٥) «السيرة النبوية»: ٤٣٨/١ . وترسف : تمشي مشي المقيد . ومذعنات : منقادات . والجلول : جميع الجُلّ ، وهو ماتُلْبَسُهُ الدابة لتصان به .

رحلة (تاميزيه) و(كومب)
الى الجزيرة العربية
- ٣ -

[«العرب» س : ٢٤/٤٥٠ و ٦٥٥]

انتهت الحملة المصرية على عسير بانسحاب الجيش المصري ، فعاد (تاميزيه) إلى جدة، مع أفراد البعثة الطبية الأوروبية . وكان التقاؤه هناك بـ(أدوار كُوْمْبْ)، وهو أيضاً شاب فرنسي استهوته المغامرات وحب الأسفار ، فرحلا سعاً إلى الحبشة عبر تهامة الحجاز واليمن وطالتْ رحلتهما سنتين ، من شباط ١٨٣٥ إلى اذار ١٨٣٧ .

كان بوسع (تاميزيه) وصاحبه (كومب) أنْ يُغادِرَا جدة منذ أوائل سنة ١٨٣٥ ، لأنهما كانا على أُهْبة السفر ، لكنهما آثرا البقاء في جدة إذْ كان أهلَّ شهر رمضان فحرصا على المكوث ليتم لهما مشاهدة صيام المسلمين وعيد فطرهم ، وما يصحب هذا العيد من حفلات، فوصفاها بأمانة (وعلقا عليها بعبارات لا تَخْلو من التّحامل والشناعة نضرب عنها صفحاً) فقالا :

يصوم المسلمون خلال هذا الشهر ، من وقت طلوع الشمس إلى غيابها ، وهم يقضون نهارهم في شبه عزلة ، ويمتنعون خلال هذه الساعات عن الأكل والشرب والتدخين ولا يقربون نساءهم . ولاشك أنَّ هذا الصيام صَعْبٌ جدّاً بسبب حرارة الجو الشديدة ، ولذا يعمل المسلمون على تفادي كل ماقد يَتَأَتَّى عنه تعب ، فالأسواق مغلقة وكذالك المقاهي ، ولولا أنَّ الفقراء منهم مضطرون إلى العمل ، وإلا لزادتْ عليهم أيام الصوم ، ولظن مَن يزور جدة أنها أقفرتْ وخلتْ من سكانها . ولكن المدينة تعود إلى نشاطها بعد غياب الشمس .

ولَا جَرَمَ أنَّ لجوار مكة أثره في هذه التّقوى الشديدة ، غير أن جدة نالتْ حظها من التطور الفكري على الرغم من هذا الجوار ، والدليل على ذالك تطور العلاقات بين الانجليز والعرب في هذه المدينة ، إذْ كان الأوربيُّ لا يستطيع أنْ

يتَعَدَّى سوق جدة ، أما اليوم فبوسعه أنْ يتجول في المدينة كلها دون أن يعترضه أحدٌ بسُوءٍ ، وأنْ يتجاوزَها فَيصلَ قرب مكة دون أن يخشى على حياته ، وأن يأتي [. . . . .] إلى داره ولا يُرْغَمُ على اعتناق الإسلام إذا كشف أمره .

أقمنا في جدة خلال كل شهر رمضان ، وما أن طلع علينا هلال شوال حتى ضَرَبتِ المدافع معلنةً نهاية الصيام ، وقيامَ الأعياد والحفلات أربعة أيام متوالية . وكانتْ شوارع جدة مكنوسة مرشوشة من النظافة بمكان . وخلال هذه الأيام تتمتع المرأة بقسط وافر من الحريّة إذْ بوسعها أن تغادر منزلها ، وهي فيْ أجمل حُلَلِها الشرقية ، فتقوم بالزيارات وتخرج متنزهة في شوارع المدينة ، وتذهب إلى ساحة المدينة حيث تقام الألعاب وتغصّ هذه الساحة الرئيسة بالنِّسَاء ، وهُنَّ أَتَيْنَ خاصَّةً لمشاهدة الرقص الشعبي ورؤية الألعاب ، والمشاركة فيها أحياناً ، إذْ من النِّسَاءِ اللاتي يركبن المريحات ويَجْلِسْن على أسِرَّةِ الأرجوحات .

وما كادتْ أن تنتهي أيام الراحة والحبور حتى أخذنا أُهْبَتَنَا للسفر ، وكنا حصلنا على (فرمان) من محمد علي باشا ، فاستطعنا بواسطة هذا الأمر العالي من الحصول على جميع رسائل التوصية التي نريدها .

غادرنا جدة بَحْراً يوم الحادي عشر من شهر شباط ، فَدَفَعَتْنا ريح الشمال التي تعصف عادة في هذا الجزء من البحر الأحمر نحو الليث (El-lit) فنزل بعض البحارة إلى هذا المرفأ الصغير ، ومنه ذهبوا إلى قرية تبعد عنه نحو نصف ساعة ، حيث وجدوا طحيناً وحليباً وتمراً ودجاجاً جيِّداً . وهكذا قطعنا دون أُدْنَى عناءٍ نَحْو ثلثي المسافة إلى القُنْفُذة . ولكن الأمور تعقدت بعد ذالك بسبب رياح الجنوب التي تَهُبُّ بشدة في هذا المكان بدلاً من الرياح الشمالية ، فصعب تقدم المركب ، وأصبحت الملاحة خطرة جداً ، ثم ثارتْ عاصفة قوية دفعتْ بالسفينة نَحْوَ الصخور ، فكادتْ أن تتحطم ، فخاف معظم الركاب ، وآثروا السفر على ظهور الجمال . أما نحْنُ فتابعنا سفرنا بحراً ووصلنا إلى القنفذة في السابع عشر من الشهر نفسه .

القنفذة مرسى صغير لا أهمية له ، خَطِرٌ جداً بسبب الرياح الجنوبية التي تعصف فيه بشدة . وإنْ كان بوسعنا أنْ نؤكد أنَّ مرفأ جدة أحسن مرافيء الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، فلا جرم أنَّ القنفذة من أشدِّها خطراً ، فلا تصل إليها رأساً بضائعُ الهند وسلعُ الهند ، وتباع فيها المواد الغذائية بأسعار أعلى من أسعار جدة ، أما الفواكه والحبوب ، فتأتيها من داخل البلاد للاستهلاك المحلي فقط .

بيوت القنفذة مصنوعة من القش ، ويحيط بالبلدة سورٌ من الحجر . ومن النادر جداً أن يقع النظر على امرأة في الشوارع أو في الأسواق . وهي تأتزر عادة بفوطة تستر جسمها من أعلى الخصر إلى أَخْمَصِ القدم ، وتضع على أكتافها غطاء وفوقه ملاية ، إلا أن صدرها قد يظل مكشوفاً ، ويظهر أنها تحرص على تغطية وجهها أكثر من تغطية صدرها .

ولما وصلنا القنفذة كانت المعداتُ الحربية على قدم وساق ، والجيش بانتظار أحمد باشا الذي أُسْنِدت إليه الحملة الجديدة على عَسِير ، يُساعده على ذالك أخوه إبراهيم باشا قائد الحملة على اليمن ، إلاَّ أنَّ والي مصر طلب منه أوَّلاً أن يعمل على تدويخ بلاد عَسِير .

غادرنا القنفذة في الثاني من آذار ، ووصلنا إلى جازان في الرابع منه . قد فقد هذا المرفأ كثيراً من أهميته التجارية بعد أنْ وضع محمد علي باشا يده على أكثر موارد الجزيرة العربية . والبلدة مع أنها وضيعة تمتدُّ على مسافات شاسعة لأن بيوتها مبعثرة هنا وهناك . ولها من جهة الجنوب قلعة كبيرة هامة يحيط بها عدد من المباني المتهدمة غير المسكونة . ويعيش أهلها في أكواخ من القش ، اسطوانية الشكل ، تعلوها سقوف مستديرة ، قممها على شكل طيلسان وحيطانها من الطين الغليظ . وتكاد تخلو هذه البيوت من الفرش والأثاث ولا يجد المرء فيها سوى بعض الأسرة وعدد من القفف والأواني الفخارية التي لا بُدَّ منها في كل مطبخ . ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه البيوت تنقسم إلى مجموعات صغيرة ، تضم كل واحدة منها عدداً من البيوت ، ويحيط بها سياج من الحطب ، ويخال أنَّ العائلات التي تعيش داخل هذا السياج تشكل مجتمعاً صغيراً منعزلاً عما سواه .

أمّا النساء البدويات اللاتي يحضرن إلى جازان فإنهن أحسن حالاً من اللاتي رأيناهنّ سابقاً ، ويبدو للناظر أنهن سعيدات . وهن لا يعرفن الغطاء ويَلْبَسْنَ فقط ثوباً أزرق ويضعن على رؤوسهن قُبعَةً من القش مستديرة الشكل . والحضريات كذالك مكشوفات الوجه ، ويَلْبَسْنَ مثل ألبِسَة نساء القنفذة . ولكن منهن من يزدْن على ذالك القميص . ومن عادتهن أن يقسمن شعورهن إلى أربَع جدائل ، تقع على أكتافهن ، ويَضَعْنَ على مقدمة الرأس نصف إكليل من الزهر والرياحين ، وهُنَّ يُبَدِّلْنَهَا طول النهار . والرجال ليسوا أقَلَّ اعتناء بشعورهم من النّساء فإنهم يُجَعِّدُونَها ويُسْبِلُون عليها الزبدة . ويضعون على أكتافهم أغطية صوفية يلتحفون بها .

ويتعامل أهل جازان بالقروش الفضية النّمساوية ، والقروش المصرية ، والربية اليمنية ، ولا يُتَعَامل بغيرها ولا بالذهب . وليس في سوق جازان سوى ثلاثة أو أربعة حوانيت فيها القليل من السلع ، ويجد المشتري أحياناً قليلاً من الفواكه والأسماك والدجاج بأبخَسِ الأثمان .

لم تطل إقامتنا في جازان إلا ساعات قلائلَ ، ثم غادرناها إلى اللُّحَيَّة حيث وصلنا في السادس من شهر آذار . ومنذ مرورنا برأس اللحية دخلنا اليمن ، وكنا قبل ذالك في الأراضي الحجازية . قد أشاد الكتبة الأقدمون بخصب اليمن وخضاره ، والواقع أنه لا يَسْتَحِقُّ هذه الشهرة إلا بالنسبة إلى ماحوله من البقاع مثل الحجاز . وشمالي الجزيرة العربية المعروف بالعربية الحجرية . ولاشك في أن الأراضي اليمنية تنتج شتّى الحبوب والأثمار والبن ، وتكثر فيها الأزهار العطرية ، وسماء اليمن زرقاء صافية ، ونساؤه جميلات ، ولكن شتّان مابين اليمن والبقاع الأروبية . ونرى أنَّ الفنَّ المعماري العربي حقير الشأن ، لاسيما في الحجاز حيث لم نجد بناء واحداً يستحق الذكر . أما في العربية السعيدة ، فإن سكانها حرصوا على رفاهية العيش ورخائه ونرى أثر ذالك في الأبنية .

لِلُّحيَّةِ ـ كما لجازان ـ قلعة ، وسور من اللبن ، يحرس نَحْو نصف بيوتها ،

وبعض هذه البيوت من الحجر ، وأخرى من القش ، وغيرها من القصب المتشابك بعضه ببعض بشكل فني رائع . وفي وسط المدينة دار سكن تزينها المشربيّات كما نراه في دور الاسكندرية .

لا أثر للترتيب في أبنية اللُّحَيَّة بل إنَّ الفوضى تعمها ، إلاَّ أنَّ هذه الفوضى تضفي على المدينة حلة من الطرافة ، نساؤها جميلات فتّانات ، يرتدين ألبسة تبهر النظر ، ويتبرّجْن دون تَصَنُّع ، وهُنَّ دائماً أنيقات ظريفات . أما الرجال فإنهم يلبسون القمصان الواسعة والعريضة الأكمام ، ومنهم من يغطي جسمه بقطعة من القماش القطني . أما سوق اللحيَّة فإنه يأخذ بمجامع القلوب ، على الرغم من ضيقه ، إذْ يُخَيَّلُ لمن يراه أن هذا الضيق مُتَعَمَّد لكي تفوح فيه الروائح العطرية ، المنبعثة من الزهور والفواكه لا سيما من الموز . وهو أطيب وأحلى مما نجده في الغرب . ولاشك في أنَّ اللّحيَّة تبدو جميلة لمن يراها بعد زيارة القنفذة وجازان ، ولكنها تفقد من روعتها لمن يزورها بعد المخا والحديدة .

الحُديدة بلدة ناصعة البياض ، تمتاز بيوتُها بفنها المعماري على الرغم من بساطة أبنيتها عامة ، ولكن منها الدوز الكبيرة حتى يظن مَنْ يراها أنها من بعض القصور . وهي مدينة مترامية الأطراف ، تحيط بها حيطان من الآجُرّ . وفي خارجها ـ من جهة الصحراء ـ عدد من الأكواخ المصنوعة من القش ، ولها عدد من القِلاع الجميلة صُنِعَتْ على شكل هندسي رائع إذْ جَمَعَتْ بين أناقة الفن المعماري ومناعة البناء الحربي ، وسوقها واسع ، وفيه شتى أنواع السلع من منتجات اليمن وأقمشة الهند ، ومنسوجاتها الفاخرة .

الحديدة مرسى بيت الفقيه ، وأكبر تجارتها على البن . يلبسُ الأثرياء من رجالها سروالاً عريضاً وقميصاً أبيض ، وقفطاناً ، ويضعون على رؤوسهم العمائم ، ومنهم من يكتفي بعراقية من الصوف ، متعددة الألوان يضعها على رأسه ويُجَلِّلُها بمحرمة من صنع مكة ، ويحتذون النعال الأنيقة . أما النساء فإنهن يَتَبَرَّجْنَ ما استطعن ، غير أن ألبستهن لا تختلف عن الألبسة النسائية التي تكلمنا عنها آنفاً ، وإن كان لها صبغة خاصة تميزها عن غيرها . ونلاحظ أن القميص الذي

ترتديه بدويات جازان قد اختفى وحلّ محله ثوب حريري رائع ، ضيِّق الجسم عريض الأكمام . ولكن من نساء الحديدة اللاتي يَلْبَسْنَ السراويل ، ويتحجّبن تحجب القنفذيات .

وفي ظاهر الحديدة عدد من أشجار النخل ، تزين ضواحي المدينة وتظللها ، وكانت المدينة ـ عند وصولنا ـ بين أيدي علي باشا ، وقد سيطرت علَيها قواته بعد أن طردت منها البدو ، إلا أن الأمن لم يَسُدْ فيها تماماً .

أقمنا في الحديدة أربعة أيام ، وفي الرابع عشر من آذار غادرناها إلى المخا ، وبعد أن اجتزنا مقبرة رحبة مشينا في أرض رملية ، ثم وصلنا إلى مفترق تتفرع منه ثلاث طرق : الواحدة تؤدي إلى زبيد ، والثانية إلى البادية عند القبائل ، والثالثة تذهب جنوباً إلى بيت الفقيه وهي الطريق التي أخذناها .

مشينا نحو سبع ساعات إلى أن وصلنا إلى قرية الدُّرَيهمي يسكنها البدو ، وهم يعيشون في أكواخ من القش ، ولكن دار الشيخ مبنية بالآجر وكذالك الأمر بجوامعها [كذا] التي تعلوها ثلاث قبب . وفي القرية عدد كبير [كذا] من الآبار الكثيرة العمق ، وفيها أيضاً مصانع للقطن يملكها البدو .

غادرنا الدريهمي ومشينا في أحراش خضراء كثيفة ، تعيش فيها الغزلان والأرانب تناولها الذعر عند وصولنا . وكانت الطريق صعبة ، والأراضي رملية ، وهي متجعدة مثل سطح البحر . ثم اختفت الأحراش وحل محلها الأراضي المزروعة ، على مسافة ثلاث ساعات من بيت الفقيه ، ورأينا بعض المواشي وكانت الثيران تحرث الحقول .

لجامع بيت الفقيه قبب أنيقة ومِئْذَنَةٌ كأنها برج ، يراها المسافر من بعيد ، إنَّما أجمل مافي هذه البلدة قلعتها ، أما بيوتها فمن الآجُرّ ، ولكن ليس لها مشربيَّات كما جرت عليه العادة في أكثر البلدان الإسلامية ، وهناك أيضاً عدد من الأكواخ . أما ألبسة سكان بيت الفقيه فهي ماعرفْناه ووصفناه ، ولكن ليس لألبسة نسائها زهوة ألبسة نساء الحديدة . وليس لبيت الفقيه أسوار ، إنما تُحَدُّ هذه المدينة شرقاً

سلسلة من الجبال العالية .

غادرنا بيت الفقيه في الساعة التاسعة مساء ، غير أنَّ صفاء سماء الجزيرة العربية وبريق نجومها بَدَّدَا غياهب الظلام ، على الرغم من غياب القمر ، ثم مشينا وسط غابة جميلة خلال عدة ساعات ، وكانت الطريق سهلة ومستقيمة .

وقبيل وصولنا إلى زبيد مشينا في أرض رملية قاحلة ، وفي الساعة الثامنة صباحاً من اليوم السابع عشر من شهر آذار كنا أمام زَبيد قصبة تهامة سابقاً .

بيوت زبيد مبنية بالآجُرّ ، وأسوارها كذالك ، وليس فيها إلا القليل من الأكواخ . وفي شوارعها عدد من الآبار جيدة البناء ، يُسْتَقَى منها ماء عذب وصافي وليس هناك مايميز أهلها عن غيرهم من سكان اليمن سوى أنَّ رجالها من أجمل من رأينا في البلدان التي ذكرناها . إنما تمتاز زبيد بقلعتها لأنها كبيرة جداً حسنة البناء . أما مَآذِنُ زبيد فتشبه مآذن بيت الفقيه ، ويرى الناظر في الشمال الشرقي من المدينة خرائب جامع ، كان هدمه الأمير علي عسير . وسكانها نشيطون وهم أصحاب صَنائع ، وعندهم العديد من المصابغ ومصانع الأسلحة حيث تدقُّ السيوف والجنبيات . ولهم اهتمام بالزراعة أيضاً ، وفي بساتينهم تُغْرَسُ شجرة النيلة[1].

غادرنا زَبيد مساء يوم الثامن عشر من آذار ومَرَرْنا بحقول خصبة جدًّا هي أبعد مايكون عن جفاف الصحراء . واجتزنا عدداً من الأودية ، وقد نضب معينها . وبعد أن مشينا مدة ساعتين ونصف ساعة وصلنا إلى شرجة (Dcherdje) حيث كان مبيتُنا ، ومنها ذهبنا إلى موشج (Mauchid) قرية على مسافة عشر دقائق من ساحل البحر ، تحيط بها الحقول الغناء وأحراش القتات (؟) والنخل . ولسكان هذه القرية مايميزهم عن غيرهم لأن أشكالهم تحاكي الجنس الأوربي ونساءهم يُشْبِهن الأروبيات .

غادرنا موشج في العشرين منه ، وسرنا على الطريق الذي يُؤدِّي إلى الـمَخَا وهو طريق مستقيم لطيف ، يحاكي بجماله بعض طرق فرنسا ، ومررنا بثلاث

قرى : شاريه (Charie)، ورواس (Rouas) ويختل (Iakhtil) وهي أكبرها وفيها جامع فخم .

وصلنا إلى المخا في اليوم التالي عند طلوع الشمس ، وضربنا خيمتنا عند مدخل المدينة ، وأخذنا نبحث عن دار لإقامتنا لأنّنا سنقضي عدة أيام فيها .

المخا مدينة مترامية الأطراف ، وبيوتها رحبة ، وعليها طابع الثراء من داخلها وظاهرها ، على الرغم من الأكواخ الحقيرة التي إلى جوانبها . وهي مفروشة على الطريقة التركية والأوروبية ، إذ نجد فيها الدواوين والحصر والسجاد الشرقية ، والكراسي والمقاعد ، والموائد الغربية ، المستوردة من بومباي . وقبيل وصولنا إلى المخا كان نهبها بَدْوٌ عسير ، ومع ذالك فإنها عادت إلى ماكانت عليه من بحبوبة العيش ، مما يدل على غناها ونشاطها التجاري . ويرى الناظر من أعلى سطوحها غابة نخل كبيرة في جنوبي البلد ، وهي تضم عدداً من المشاتل تفصل بينها سياجات من الحطب ، ويملك هذه المشاتل أثرياءُ المخا ، وهم يقضون في هذه الدور الريفية أيام الحر الشديد . وفي هذه المدينة أيضاً مكتبات هامة ، ورجال يدّعون العلم [كذا] وعدد من الجوامع نخص بالذكر منها الجامع الكبير ، وجامع شدلان ، وجامع صندل ، وهناك جوامع أخرى دونها أهمية منها جامع ستي زينب ، وتمتاز أيضاً المخا بأنها البلدة الوحيدة على البحر الأحمر التي فيها حمامات . ولها ورشات كثيرة النشاط تصنّع فيها السفن والقوارب .

للمخا سبعة أبواب : باب الساحل ، وباب النصر ، وهما يؤديان إلى البحر ، وباب الحمود ومنه تدخل القوافل الآتية من زبيد ، والباب الصغير ، وباب الصندل في الجهة الجنوبية ، والباب الشاذلي شرقاً ومنه تصل إلى المخا احمال البن اليمني ، وهناك باب سابع يسمى باب الدار يظل مفتوحاً ليلاً ونهاراً يقع في الجنوب الغربي .

أمّا نساءُ المخا فإنهن يَعْشَقْن الحلى الفضية فَيَضَعْنَ عدداً من الأساور حول معصمهن ويحلين جيدهن بالأطواق ، وأذانهن بالأقراط ، ومنهن من يضعن خاتماً

في أنفهن ، ومن عادة أهل المخا أن يضعوا الخلاخل في أرجل الأولاد الصغار .

وقد أسعدنا الحظ فدخلنا مراراً بيوت المخا ورأينا النساء دون حجاب فوجدنا عندهن من حصافة الرأي وعلو النظر ما لم نره عند غيرهن من نساء اليمن .

تجارة المخا هامة وهم يستوردون خاصة الأسلحة النارية والسيوف والسكاكين والمرايا والزجاج والخرز . ويصل إلى هذا المرفإ سنويًا خمس مئة سجادة (ايران) عن طريق البصرة وبغداد ، وثلاثة آلاف قُفّة من التّبغ ، تصدرها أيضاً هذه البلاد ، وأربعة آلاف قفة من التنباك البنّي السراقي (من السراة) وثمن كل قفة يتراوح بين أربعين وخمسين ريالاً نمْساوياً ، ويصله أيضاً من الهند بحْراً الأقمشة والسكر والشاي ، وهم يشربونه قليلاً . والواقع أنَّ هذه المدينة تمتاز بنشاطها ويظهر على أهلها سيماء النعمة والرخاء ، وهي تصدر البن والصبر والمرّ والبخور والصدف والعطور .

ووجدنا في المخا جِنْساً من الناس يسمونهم (البنيان) وهم من الهند يعبدون الأصنام ، وقد طردهم أهل جدة وجميع البلاد المجاورة للحرم ، ولكن سكان المخا يثقون بهم ويسندون إليهم جُلَّ الأمور الإدارية . ويعتقد هؤلاء (البنيان) بالتقمص ولا يذبحون الحيوانات ، ولا يقتلون حتى الحشرات ، ويعيشون على الحليب والخُضَر ، إذْ يقولون : أن ليس لها نفس حيّة ، ومع ذالك فإنهم يشترون اللحوم من السوق ويطعمونها الكلاب الجائعة ، وهم يعتنون اعتناء فائقاً بالبقر .

ومن عادة (البنيان) أن يتزوجوا وهم صغار السِّنّ جدًّا ، وإذا غادروا بلادهم فإنْ زوجاتهم لا تصحبنهم . ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الناس مشهورون بالبخل ، وهم ينفقون مع ذالك الأموال الطائلة في حفلات الزواج .

ووجدنا أيضاً في المخا عدداً كبيراً من اليهود ، وهم يعيشون في ظاهر المدينة ويتعاطون خاصة التجارة والصناعة .

وكانت إقامتنا سعيدة في المخا وكنا نقضي سهراتنا غالباً عند أمين بك ، حاكمها التركي .

←

رجـال الحَـجْـر

هذا الاسم يطلق على أربع قبائل من مجموعة القبائل العربية القديمة ، التي ظهر عليها الإسلام ، وهي في مواقعها على سطح سلسلة جبال السراة ، وفي أغوارها الغربية وهي :

١ ـ بنو شِهْرٍ ٢ ـ بنو عَمْرٍو ٣ ـ بَالْلَّسْمر (بنو الأسمر) ٤ ـ بَالْلَّحْمر (بنو الأحمر) .

وتنتشر هذه القبائل الأربع في مساحة تَمْتَدُّ من الجنوب من وادي عِبِل بكسر العين والباء حتى بلاد بَلْقَرْن (بني القرن) في الشمال، وهذا الامتداد الطوليُّ يقدر بحوالي مئة وتسعين كيلاً تقريباً وتنداح شرقاً إلى وادي تَرْج ، فحدود بِيشَة الجنوبية ، كما تنحدر غرباً حتى تلتقي بحدود القبائل التِّهاميَّة : قبيلة العُمُور ، وقبيلة رَبيعة المقَاطِرة، وقبيلة بَارق ، وقبيلة الرِّيش ، وقبيلة آل مَشْوَل ، وقبيلة بني ثُوعة آل الحارث .

← وفي ٣٠ آذار صعدنا على السفينة التي ستنقلنا إلى الشاطيء الغربي من البحر الأحمر ، ومررنا أثناء سفرنا بعدد من الجزر منها جزيرة العجوز وجزيرة النّموس ، ودهلك وهي أعظم جزر البحر الأحمر ، وفي الرابع من شهر نيسان نزلنا سواحل الحبشة .

وهكذا انتهت رحلة (تاميزيه) و(كومب) في تهامة الحجاز واليمن[٢]، وقد أتينا على تعريب أهمّ ماجاء فيها من وصف للبلاد والعباد ، نزولاً عند طلب علامتنا الشيخ حمد الجاسر حفظه الله .

باريس د. يوسف شُلْحد

الحواشي :

(١) أثناء اقامة (تاميزيه) و(كومب) في زبيد تحدثنا مع علمائها في مجلس ترأسه المفتي ، وقد أتينا على ذكر هذه الزيارة في القسم الأول من هذا المقال (العرب ج ٧/٨ ، س ٢٤ ، ١٤١٠/١٩٨٩ ص ٤٥١) .

(٢) (تاميزيه) و(كومب) ، «رحلة إلى الحبشة» ج ١ من ص ٢٧ إلى ص ٨٢ ، باريس ، سنة ١٨٣٩ .

وتنقسم إلى قسمين رئيسين : القسم الأول يسكن شِعَاف مرتفعات السراة والقسم الثاني : يسكن أغوار تهامة ، وترجع هذه القبائل الأربع التي يطلق عليها رِجَال الـحَـجْـر ـ بفتح الحاء وإسكان الجيم ـ في نَسَبِها إلى جدها الأعلى الْـحَجْـر ابن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

والأزد ـ كما هو المعروف ـ من كُبْرَيَات القبائل العربية ، وهي جرثومة العرب ، وقد أورد النسابة محمد بن أحمد الأشعري في كتابه «التَّعريف بالأنساب» حديثاً : أن قال فيه النبي ﷺ قال : « الأزد جرثومة العرب فمن أَضَلَّ نَسَبَهُ فليأْتهم» والأزد إحدى القبائل الكبرى ، وقد هجرت مواقعها القديمة التي كانت بأرض سَبَإٍ بعد انهيار سدّ مأرب واتجهت إلى شمال الجزيرة العربية ووسطها وشرقها وعراقها ونجدها وعُمانها واختلطت بالقبائل العدنانية ، بل ذاب بعضها في القبائل العدنانية مثل الأنصار وخزاعة وغيرها ، ولم يحتفظْ بترابطها القَبَلِيِّ سوى أزد السراة ، ومنهم رجال الـحَجْرِ الذين نَحْنُ بصدد تدوين بعض أصولها وذكر مواقعها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة تفرق تلك الأمة القديمة على سبيل العِظة والادِّكار في قوله تعالى من سورة سَبَإٍ : ﴿ لقد كان لِسَبإٍ في مَسْكَنِهِم آيَةٌ ، جَنَّتَانِ عَنْ يمينٍ وشمال ، كُلُوا من رِزْق رَبِّكُم ، واشْكُرُوْا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَالك جَزَيْنَاهُمْ بما كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الكَفُور ﴾ .

وقد حَمَلَتْ إلينا كتبُ السير والتاريخ أخبار تلك الأمة وتفرقها في الآفاق (أيدي سبأ) واستقرارها في مواقع كثيرة في بلدان الجزيرة العربية منها مَنْ ذهب إلى عُمَان وهُمْ أزد عُمان وهم اليَحْمد وحُدَّان ، ومالك والحارث وعَتِيك وجُدَيد ومنهم من ذهب إلى المدينة (يثرب) وهم الأوس والخزرج ومنهم من استقر في الشام وهم آل الحارث مُحَرّق وآل جَفْنة ومنهم من استوطن مكة المكرمة وضواحيها وهم خزاعة ومنهم مَنْ ذَهَبَ إلى اليمامة والعراق ومنهم من استقر في السروات : بنو الحجر بن الهنو ـ مدار بحثنا ـ وألمع (رجال ألمع) وبارق وبلقرن وغامد وزهران والبقوم أمّا

مَنْ استقر منهم في تهامة فهم ألمع وبارق ، وقد ذاب أغلب تلك القبائل الأزدية في السكان الأصليين ، ومنهم الأوس والخزرج وخزاعة وغير هؤلاء ولم يبق منهم من تَرْبِطُهُ رابطةٌ قَبَلية متماسكة سوَى أزد السراة .

ومما يؤسف أن بعض الباحثين في تاريخ قبائل هذه المنطقة وأنسابها يلحق قبيلة عَسِير بالأزد وهذا غلط فاحش ، ونشأ عن جهل عراقة هذه القبيلة العدنانية الأصل إذْ أن قبيلة عسير من القبائل العدنانية التي سكنتْ على سطح جبل عَسِير ، وهو جبل تَهْلَل ، وما حوله من الجبال الشامخة كجبل رَهْمة - بفتح الراء والهاء والميم آخرها هاء - وحاضِرَتُها أبها ، وليست من القبائل الأزدية - كما أوضحته في موضع آخر ولم يرد فيما نعلمه وما اطلعنا عليه من كتب الأنساب أو المعجمات الجغرافية أنَّ قبيلاً من الأزد سكن المناطق المحيطة بجرش عَدا قبيلة شَهْران الكهلانية التي هي رأس خثعم وقبيلها الكبير وإنما المعروف أن القبائل المحيطة بجرش قديماً وحديثاً هي قبائل عدنانية فمنها قبيلة عَنْزُ بن وائل التي كان لها حروب ، ووقائع مع العواسج آل ذي مقار من حِمْيَرَ ملوك جرش قبل البعثة ، والتي كانت السبب في دحر العواسج وإجلائهم من مدينة جرش وتدميرها ، وقد أَتَيْنَا على طرف من أخبار تلك الحروب في كتابنا التاريخ الكبير بعنوان «عسير بين الجغرافيا والتاريخ» .

ثم يأتي بعد عنز بن وائل من الشمال قبيلة عسير وهي عدنانية كما أسلفنا .

ثم يأتي بعد عسير من الشمال قبيلة بَلَّحْمَر وهي في الطرف الجنوبي بالنسبة إلى بني الحَجْر ، وهي قبيلة حَجْرية أزدية كما مر بك تفاصيل ذلك ومن المرجح أن صرد بن عبدالله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ وفاتح جرش من أزد السراة ، وهم ممن أسلفنا القول عنهم .

ومن الملاحظ أن أصحاب السير والمغازي لا يعتنون بذكر الأماكن عندما يؤرخون لأية غزوة أو معركة ، بل يؤرخون للغزوة أو الواقعة دون ذكر موقعها أو جهتها ، وهذا ما جعلنا نقع في حيرة في معرفة الأمكنة التي اشتهرت في الغزوات

الإسلامية بل إن أغلبها يكاد يكون من حيث الموقع أو المكان في حكم المجهول ، هذا وإن ورد ذِكْرٌ لجبل أو ميدان من ميادين المعارك فإنه خال عن التحديد ، فيبقى إلى الأبد مدار شَكٍّ وأَخْذٍ ورَدٍّ من حيث التحديد .

ولم يهمل شعراء الأزد ذكر هجرتهم ومانالهم من العناء والتفرق في الآفاق بعد إنهيار سدهم فمن ذالك قول عائذ بن عبدالله الأزدي(١) في قصيدة مطلعها :

عَلَامَ ارتحالُ الحيِّ من أرض مأرب ... ومأربُ مَأْوَى كلِّ راضٍ وعاتبِ
أَمَا هي فيها الجنّتان وفيهما ... لنا وَطَنٌ فيها فُنُونُ الأطايبِ
ألم تَكُ تَغْدُو خُورُنَا مُرْجَحِنَّةً ... على الحَرَجِ المُلْتَفِّ بين المشارِبِ
أأَنْ قال قولاً كاهنٌ لمليكنا ... فما هو فيما قال أوَّلُ كاذِبِ

ومن ذالك قول أحد رواد الأزد من قصيدة هذا مطلعها(٢):

أَلَمَّا تعجبُوا منّا وَمِمَّا ... تعَسَّفَنَا به رَيْبُ الليالي
تركنَا مأرِباً وبه نَشَأْنَا ... وقد كنا بها في حسن حال
فوسوَسَ رَبُّنَا عمْرو مقالا ... لكاهنه المُصِرُّ على الضلال
فأقبلنا نَسُوقُ الخُوَرَ مِنها ... إلى أَرْضِ المجاعة والهُزَال

ومن ذالك قول جماعَةَ البارقي وهو أَزْدِيُّ الأصل من قبيلة بارق ، التي تسكن في الأغوار الغربية عن منازل بني شهر التّهامية وتبعد عن مدينة أبها في الشمال الغربي بمئة وثلاثين كيلاً عن طريق عقبة شِعَار ، من قصيدة هذا مطلعها(٣):

خَلَّتِ الأَزْدُ بعد مأربها الْغَوْ ... رَ فأَرْضَ الحِجَازِ فالسَّرَوَاتِ
ومضت منهم كَتَائِبُ صِدْقٍ ... مُنْجدَاتٌ تَخُوضُ عرضَ الفلاة
فأَتَتْ ساحةَ اليمامة بالْـ ... أَظْعَانِ والخيلِ والقنا والرماة
وَاتْلأَبَّتْ تَؤُمُّ قافية البحـ ... ـرينِ بالخُورِ بَيْنَ أَيْدي الرعاة
فأَقَرَّتْ قرارها بِعُمَانٍ ... فَعُمَانٌ محلُّ تلك الحُمَاة

وهي قصيدة طويلة أتت على وصف تفرق الأزد في الآفاق ونقلنا نصها كاملاً في

التاريخ الكبير ، وعلى تَمرِّ الزمن وتكاثر النسل وتزاحم السكان أختصَّتْ كل قبيلة من هذه الأربع القبائل بِصُقْعٍ من تلك المساحة التي استقرت على سطحها فصار لقبيلة بَلَّحْمَرِ المساحة التي تمتدُّ من الجنوب من وادي عِبِل حتى حدود بَلْسْمَرِ شمالاً ، وما يصاقبها شرقاً وغرباً حتى حدود آل مشول وبني ثوعة وآل الحارث واستقرت قبيلة بَلْسْمَر على أرض المساحة التي تمتد من الجنوب من حدود قبيلة بَلَّحْمر حتى مشارف سَدْوَانَ الشمالية المصاقبة لحدود جبيهة من بني شِهْرٍ ، ومايصاقبها من الشرق والغرب حتى حدود الرَّيْش ، واستقرت قبيلة بني شِهْرٍ على أرض المساحة التي تمتد من مشارف سَدْوَانَ الشمالية حتى مشارف صدر أَيْد ، في شمال النَّماص ، وما يصاقبها من الشرق والغرب حتى حدود قبيلة بارق ، أما المساحة التي تمتد من وادي صدر أيد إلى المَطْلَ وجبال الشيْخ خَلْفَ وادي العدوة وأكرم شمالاً فقد بقيتْ مشتركة منذ القدم بين بني شهر وبني عمرو بحيث إذا تَجَوَّلْتَ فيها فَإِنَّك تجد أنَّ هذه القرية شهرية والتي تليها عَمْرِيَّة وهكذا دَوَالَيك ، والكُلُّ يعرف ما يختص به من المزارع والمناشر .

أما الأودية وهي وادي صدر أَيْدَ ، ثم يليه من الشمال وادي آل زيدان ، ثم وادي زيد ، ثم وادي الغرة ، ثم وادي السرو ، ثم وادي العدوة ، ثم وادي آل زمام ، فإنك تجد أن قُرى ومزارع القبيلتين تَتَقَاطر على جوانب تلك الأودية وعلى سفوح جبالها في شِبْهِ نسبٍ مُوَزَّعَةٍ تكاد تكون متساوية نوعاً ما ، ولكنهم كإخوة متحابين تربطهم رابطة وشائج القربى في النسب ، وكلهم يدرك هذه الرابطة العرقية ولا ينكرها منهم أحد ، مع ما يربطهم أيضاً من روابط المصاهرة القديمة والحديثة ولم أجد أحداً يختلف منهم في أن هذه القرية أَثْلِيَّة وتلك سلامانِيَّة ، بصرف النظر عما كان يحدث من نزاع فرديٍّ أو جماعي بين أفراد القبيلتين المختلطتين يسببه خلاف على ساقية أو حَدٍّ في جبل كما هو الواقع بين أمثالهم في المنطقة فإنه سرعان ما يحتكمون إلى منطق العقل ، ويتذكرون ما بينهم من وشائج القربى والنسب ، وهم بلا شك يدركون أنهم أبْناءُ رجل واحد ، وهو الحَجْرُ بن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد [. . . . .] بن كهلان، بحيث

ينطبق عليهم من حيث وشائج القربى قول الشاعر العربي :

إذا احْتَرَبَتْ يوماً فَسالتْ دِمَاؤُها تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَسَالَتْ دموعها

ومن الملاحظ أن هذه الأربع القبائل الحجريَّة يطلق على قسم منها أيضاً اسم بني أثْلة والقسم الآخر اسم سَلاَمان ، بحيث أن المتجول بين قراها وأَوْديتها وحاضرتها وباديتها بَدْءًا من بلَّحْمر في الجنوب إلى بني عمرو في الشمال يجد أنَّ هذه القرية أثلية والأخرى سلامانية ، وجماعهم رجال الْـحَجْرِ [بنو الحجر الهنو بن الأزد] وعندما نرجع بالذاكرة عبر التاريخ نجد أنَّ وفداً من سلامان ، كانوا من ضمن وفود العرب الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وذالك في شوال في السنة العاشرة للهجرة وقد أورد ذالك كثير من علماء السير جاءَ في «الطبقات الكبرى» للإمام محمد بن سعد البصري ، أن حبيب بن عمرو السلماني كان يحدث قال قدمنا وفد سلامان على رسول الله ﷺ ونحن سبعة فَصَادَفْنَاهُ خارجاً من المسجد إلى جنازة دُعي إليها فقلنا : السلام عليك يا رسول الله فقال : « وعليكم من أنتم» ؟ قلنا : نحن من سلامان قدمنا نبايعك على الإسلام ، ونحن على من وراءِنا من قومنا فالتفت إلى ثوبانَ غلامِه فقال له : «أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد» فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته فتقدمنا إليه فسألناه عن أمر الصلاة وشرائع الإسلام ، وعن الرُّقَى ، وأسلمنا وأعطى كل رجل منا خمس أواق ورجعنا إلى بلادنا وذلك في شوال سنة عشر . انتهى . والجدير بالذكر أنه يوجد بطن من بطون مالك بن زهران يحمل اسم سلامان بن مُفْرج بن مالك بن زهران . ولِئِلاَّ يلتبس على بعض القراء التوافق بين الاسمين فيظن أن هذه القبيلة الشهرية الحجريَّة من قبيلة زهران والصحيح أن قبيلة سلامان مدار البحث من بني شِهْر بن ربيعة بن الأواس بن الحجْر بن الهنو بن الأزد .

ابها في ١٤١٠/٤/٧هـ هاشم بن سعيد بن علي النعمي

الحواشي :

(١) «صفة جزيرة العرب» : ٣٧١ ط : دار اليمامة .
(٢) المصدر السابق : ٣٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ٣٧٢ .

امرأة عربية تقود النضال
دفاعا عن الدعوة السلفية

الباحث في تاريخ المرأة العربية دائماً يتجشم المشقة في بحثه ، ويتعرض للعقبات الكأداء التي لا يذللها إلا التنقيب في بطون الأسفار ، سواء أكانت المطبوعة أم المخطوطة لعله يصل إلى حاجته .

وتاريخ غالية البقميّة[١] ـ تلك المرأة العربية التي خرجت في وقت المحن ، تثير حَمِيَّة الرجال المدافعين عن وطنها ، وتنفق الغالي والنفيس من أجل مواجهة قوات محمد علي الغازية لبلادها ، لدرجة أنها كانت تثير الرعب والخوف بين صفوف هذه القوات عند سماعهم باسمها[٢] ـ هذا التاريخ لهو جدير حقاً بالتعريف به ، وإبراز دور صاحبته حتى يتعرف أبناء هذه الأمة حقيقة البطولات الضخمة والمواقف الحاسمة التي لم تقتصر على الرجال بل شملت النساء أيضاً .

وللتعريف بتلك السيدة نقول : إنها من عرب البقوم ، من بادية ما بين الحجاز ونجد ، كانت أرملة رجل من أثرياء البقوم ، وأحد مشايخ سبيع[٣] الذين كانوا أسبق أهل الحجاز إلى موالاة نجد ، ومساندة للدعوة الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والذين كانت لهم مواقف معروفة في أثناء محاربة العثمانيين وقوات محمد علي للدعوة ورجالاتها[٤] .

وكانت غالية من سراة قومها أوتيت من الثروة حظاً كبيراً فكان لديها من الثروة ما يفوق ما لدى أية أسرة عربية في منطقتها ، واشتهرت بالكرم حيث كان بيتها مقصداً للمحتاجين ، فكانت توزع نقوداً ومؤناً على فقراء قبيلتها الذين كانوا على استعداد لقتال الغزاة الطامعين في بلادها . كما كان بَيْتُها مَلْجأً لكل رجالات الدعوة المخلصين الذين يعقد زعماؤهم مجالسهم في بيتها[٥].

وكانت هذه السيدة سديدة الرأي نافذة البصيرة ، على معرفة بأمور القبائل المحيطة بها .

وبالرغم من أن البقوم كان لهم زعيم رسمي اسمه ابن جرشان[٦] فقد كان صوت (غالية) مسموعاً في كافة المجالس تشارك أبناء وطنها في تصريف الأمور ، كما كان لها في معظم الأحوال الكلمة العليا والرأي المطاع[٧] لدرجة أن بَالَغَ أبناءُ بلدتها في تقديرها فَنَعَتُوها بالأميرة[٨]، كما بالغ الأعداءُ في التَّشْهير بها فوصفوها بالساحرة الذين أصبح قادة الدعوة بفضل وسائلها لا يغلبون[٩].

وعن قصة بطولة هذه السيدة نقول : إن اسمها ذاع في معظم أنحاء الجزيرة العربية بعد أنْ أنفذ طوسون باشا جيشاً بقيادة مصطفى بك أحد قواده لمهاجمة رجالات الدعوة الذين اتخذوا من تُربة[١٠] معسكراً لهم ، وأحاطوها بالخنادق[١١] وشاركت هذه السيدة المدافعين في الدفاع عن بلدتها[١٢] وضَاعَفتْ من هِمَمِهِمْ وأثارتْ فيهم الحمية والحماسة[١٣] وألهبتْ فيهم روح الانتقام من الغزاة مما زاد من مخاوف الجنود الأتراك ، وثَبَّط من هممهم ، وزادتْ من ثقة الأهالي بأنفسهم[١٤] وانْتَهى الأمر بهزيمة قوات مصطفى باشا وقتل معظم أفرادها ، وارتداد الباقين منهم على أعقابهم[١٥] بعد أن تركوا مدافعهم وذخيرتهم[١٦].

ونتيجة لفشل هذه الحملة صمم محمد علي على قيام قواته بهجوم آخر في ذي الحجة ١٢٢٨هـ/ نوفمبر ١٨١٣م فأرسل ابنه طوسون على رأس قوة مؤلفة من ألفي جُنْدِيٍّ من أجل الاستيلاء على تربة[١٧]، وغسل عار الهزيمة التي لحقتْ بقواته ولكنه لم يتمكن من ذالك بل مُنِيَتْ قواتُه بأفدح الخسائر .

وعن هذه الواقعة نعرض لما ذكره بعض المؤرخين . يقول المؤرخ النجدي عثمان بن بشر : أقبل طوسون ومن معه من العساكر والجموع ، ونازلوا أهل بلدة تُرَبة وحاصروها نحو أربعة أيام ، ونَصبوا على قُصورها المدافع والقنابر ، ورموها رَمْياً كثيراً فلم يؤثر فيها شيئاً ، وأنزل الله الرعب فيه وفي عساكره ، ورحل عنها بعدما قتل من قومه قتلى كثيرة[١٨].

ويقول المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي : (إن طوسون باشا وعابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية ، فوَقَعتْ بينهم

حروب ثمانية أيام ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل)[١٩].

ويقول محمود فهمي المهندس: ففي أوائل نوفمبر ١٨١٣م (ذي الحجة ١٢٢٨هـ) سافر طوسون من الطائف ومعه ألفا نَفْس ، للغارة على تربة وأمر عساكره بالهجوم . وكان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود (غالية) معهم وهي المقدمة عليهم فَصدُّوا طوسون وعساكره ، واضطر هؤلاء إلى ترك خيامهم وسلاحهم وقتل منهم في ارتدادهم نحو سبع مُئة نفس ، ومات كثيرون جوعاً وعطشاً[٢٠].

أما عن الرحالة السويسري بوركهارت فيقول إن طوسون (أمر جنوده بمهاجمة البلدة فَوْراً ، ولكن العرب دافعوا عن أسوارها ببسالة تشجعهم جهود غالية)[٢١].

ولما أصدر طوسون أوامره بإعادة الهجوم على تربة مرة أخرى أعلن جنوده صراحة أنهم يرفُضون محاربة غالية كما أعربوا عن خشيتهم من الهزيمة مرة أخرى ، وحثوه على الانسحاب إلى الطائف .

وخلال انسحاب قوات طوسون خرج البدو الذين شعروا بالوضع الحرج للقوات المهاجمة ، وهاجموها بِعُنْفٍ ، واستولوا على الممرات التي في طريقها لدرجة أن هذه القوات اضطرت في نهاية الأمر إلى الهرب تاركة أمْتِعَتَها وخيامها وأقواتها ومدافعها[٢٢].

ونتيجة لذالك أُرسل طوسون إلى أبيه يطلب النجدة فاعتزم محمد علي أن يسير بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتّال ، وكان أول ما فعله أن اعْتَقَل الشريف غالب أمير مكة لارتيابه في اخلاصه ، وعهد إلى ابنه طوسون أن يتخذ من الطائف مقرًّا لقيادته .

وعلى كل حال فإنه نتيجة للهزائم المتكررة التي لحقت بقوات محمد علي في تربة أرسل زعماء هذه المنطقة برسالة إلى محمد علي يتهكمون عليه ومضمونها : إنَّ

أعقل خطة له هو أن يعود إلى مصر ، ويتمتع بماء النيل ، أما إذا رأى أن يعاود الكرة معهم مرة أخرى فينبغي عليه أن يأتي بجنود أفضل من أولئك الذين يقودهم الآن[٢٣] .

واستمر انتصارُ أهالي تُرَبة أمام قوات محمد علي ماثلاً للعيان ، وحافزاً لأهالي الجزيرة العربية على المقاومة والنضال حتى تمكنَتْ قواتُ محمد علي من الانْتصار في بِسْل[٢٤] والوصول إلى تربة ، ونتيجة لذالك لجأت (غالية) إلى البدو ولما كان محمد علي يطمع في القبض عليها وإرسالها إلى عاصمة الدولة العثمانية تذكاراً لانتصاره ، فقد حاول إقناعها بالعودة إلى بلدتها ، وبذل لها الوعود والأماني ولكنها لم تثق فيها عرض عليها من وعود[٢٥] ، وظَلَّتْ بعيدة عن أنظار محمد علي وقواته .

ومما سبق يتّضِحُ أن غالية البقمية قد نجحت في إثارة الحمية والحماسة في أبناء وطنها حتى نجحوا في رَدِّ مطامع القوات الغازية لبلادها ، ورَدِّ كيدها إلى نحورها . فقد خرجتْ في وقت المحنة تثير حمية الرجال ، معرضة نفسها للموت ، ولا سبيل أمامها سوى النّصر أو الشهادة ، مستعذبة في ذالك كل المشاق والمَتاعب .

د. عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية
اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بابها

المصادر والمراجع والحواشي :

(١) البقوم من القبائل العربية الكبيرة مقرها جبل حضن وأطرافه حتى تربة والخرمة وأصل البقوم من الأزد ، وهم أهل قوة وبأس .
انظر . فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٩٥١ ص ٢٦ .
(٢) جامعة الرياض : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ٢ ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٤٦٠ .
(٣) بيير كرابيتيس : إبراهيم باشا ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٤) عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، بيروت ، الرسالة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، جـ ٤ ص ٤ (العرب : كيف يكون من البقوم وشيخاً لقبيلة سبيع ؟!) . ←

المعجم الجغرافي لمواضع في فلسطين
النقب الجنوبي
(١)

أ ـ النقب في اللغة العربية :

يعني النقب وجمعه النُّقابة عند البدو الطريقُ والمسلك والدُّرُب الضيقة في الجبال والمرتفعات ، يمرّ بها البدو وتمرّ عبرها قوافلهم ، والتي مهدوها ، وأحياناً مهّدتها الدولة ، ووضعوا لها علاماتٍ ليستدل بها المارُّ أثناء عبوره فيها لكيلا يضلَّ

← (٥) جوهان لودفيج بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ـ ترجمة د. عبدالله الصالح العثيمين ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ١٤١ .

(٦) نفسه . (٧) كرابيتيس : المرجع السابق ص ٢٢ .

(٨) خيرالدين الزركلي : الأعلام ـ قاموس تراجم ، المجلد الخامس بيروت ، دار العلم للملايين ص ١١٥ .

(٩) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤١ .

(١٠) على مسافة ٨٠ ميلاً من الطائف ، وتعتبر مفتاح نجد إلى الشرق واليمن إلى الجنوب .

(١١) عبدالرحمن الرافعي : «عصر محمد علي» ، القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ص ١٣٩ .

(١٢) كرابيتيس : المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢ .

(١٣) عبدالرحمن زكي : «التاريخ الحربي لعصر محمد علي» ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٠م ص ٥٠ .

(١٤) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤١ .

(١٥) للتفاصيل انظر ، عبدالرحمن الجبرتي : «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» جـ ٣ ، بيروت ، دار الجيل ، حوادث شهر صفر يوم الأحد ١٢٢٩هـ ص ٤٤٧ .

(١٦) الرافعي : المرجع السابق ص ١٤٠ .

(١٧) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(١٨) انظر «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ١ ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ ص ٢٠١ .

(١٩) الجبرتي : المصدر السابق جـ ٣ حوادث شهر جمادى الأولى ١٢٢٩هـ ص ٤٥٣ .

(٢٠) انظر «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» جـ ١ ص ١٨٣ .

(٢١) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٢٢) نفسه . (٢٣) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٢٤) تقع بين الطائف وتربة ، وقد تمكنت قوات محمد علي من احتلالها في ٢٨ من محرم ١٢٣٠هـ الموافق ١٠ يناير ١٨١٥م وذلك بعد معركة عنيفة مع قوات الأمير فيصل بن سعود . لتفاصيل ذلك انظر ، عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٢٥) بوركهارت : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ويذكر محمود فهمي المهندس أن محمد علي تكدر كثيراً من هرب غالية ونجاتها من يده لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية انظر «البحر الزاخر» وأيضاً مجلة «العرب» س ١٥ رمضان وشوال ١٤٠٠هـ ص ٢٦٣ .

طريقه ويظلُّ يدور في المنطقة ذاتها على غير هدى .

قال في «معجم البلدان» في رسم النقاب : جمع نَقْب ، وهو الخرق في الجبل وغيره . وقال ابن منظور : النقب الثقب في أي شيء كان ، النَّقب والنُّقْب : الطريق وقيل الطريق الضَّيِّق في الجبل ، والجمع أنقاب ونقاب أنشد لابن أبي عاصية .

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن عَلَيَّ بأنْقَابِ الحِجَازِ يَطُولُ

وفي «التهذيب» في جمعه نِقَبَة قال : ومثله الجُرْفُ وجمعه جِرَفَة والمَنْقَبُ والمَنْقَبَةُ كالنُّقب والمَنْقَب والنِّقاب الطريق في الغلظ قال :

وتَراهُنَّ شُزَّباً كالسَّعالي يَتَطَلَّعْنَ مِنْ ثُغُورِ النِّقَابِ

يكون جمعاً ويكون واحد ، والمَنقبةُ الطريق الضَّيِّقة بين دارين لا يستطاع سلوكه . وقال ابن الأثير هي جمع نَقْبٍ وهو الطريق بين الجبلين .

وقال عارف العارف : إن النَّقب يعني الطريق الضَّيِّقة التي يمكنك السير فيها والمسلك الوحيد الذي يمكنك أن تسلكه عبر جبل أو تَلٍّ مرتفع من الجبال والتلول المطلة على (وادي عَرَبة) إذا ما أردتَّ أن تقطع ذالك الوادي في طريقك بين (بئر السبع) بفلسطين و(معان) و(الكرك) بشرقي الأردن ، هذه الطريق الوعرة والضيقة التي لابُدَّ من سلوكها عبر الجبال وهي جزء من دِيرة السَّبع ، يسميها البدو (نقب) وجمعها النِّقاب ، أو كما يسميها بدو السبع أنفسهم نِقابة[1].

ب ـ النقب في اللغة العبرية :

يعني النقب في اللغة العبرية الجنوب[2] ذلك أنَّ هذا الإقْليم كان يقع إلى الجنوب من مملكة إسرائيل التي أقيمت على أرض فلسطين هذا الإقليم الذي لم يكن فيه يهوديٌّ واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ[3].

جـ ـ النقب في اللغة السامية :

يرى بعض الباحثين أن (النَّقب) تحْريف للكلمة السامية (نَجْب) بمعنى الأرض

الجافة وتطلق اليوم على عموم قضاء (بئر السبع) في جنوبي فلسطين[٤] التي كانتْ على رأيهم تعرف باسم (النجب) بمعنى الأرض الجافّة[٥] ويظهر أن هذا الاسم قديم جداً بدليل ظهوره على نقوش مصرية يرجع تاريخها إلى ١٥٠١ ـ ١٤٤٧ ق.م[٦].

رأي للعارف حول تسمية النقب :

يرى عارف العارف أنَّ اليهود (يقصدون بقولهم : نقب جميع الأراضي الواقعة في جنوب فلسطين من جنوب جبال الخليل في الشمال من الشرق وجنوب غزة وقطاعها في الشمال من الغرب ، حتى خليج العقبة في جنوب (وادي عَرَبَة) ويهدف اليهود من وراء تفسيرهم هذا إلى نفي التسمية التي أطلقها العرب على دِيرة السبع ، نسبة إلى المدينة التي هي مقرّ هذه الدّيرة وهي (بئر السبع) ذالك لأنهم يريدون أن يوهموا العالم أن هذه الديرة كانت على مر التاريخ يهودية وأن اسمها كان ولايزال على مر التاريخ (نقب) وهذا خطأ مَحْضٌ ، وافتئات على التاريخ قال : (ومن المؤسف أن نلاحظ أن بعض الدول العربية وحكامها لم يفطنوا لهذه الحِيلة واللعب بالألفاظ والتسمية ، فراحوا هم أيضاً يسمون ديرة بئر السبع (النقب) وكلما ذكروا الحروب التي وقعت في مدينة (بئر السبع) أو ماحولها من ديار قالوا : معارك النقب ، وكلما ذكروا قبائل السبع قالوا : أبناء النقب . . . إلى آخر ما هنالك من تسميات تُنسينا أن هناك ديرة عربية بَحْتة وقبائل عربية الأصل ترجع بالنسب إلى عدنان وقحطان وأضاف يقول : مع العلم أننا ما سمعنا من قبل بكلمة (النقب) تطلق على ديرة السبع إلا بعد حرب التّقسيم سنة ١٩٤٨ ، وازداد هذا الاسم انتشاراً بين الناس بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واليهود هم الذين يعملون على نشر هذا الاسم (النقب) بدلاً من بئر السبع ، وفوق كل ذي علم عليم[٧].

ملاحظات لابد منها :

* لا نخالف العارف فيما ذهب إليه من أن اليهود يهدفون إلى طمس الأسماء العربية وإبدالها بأسماء عبرية يهودية .

* نوافق العارف أن هذه الديرة لم تكن تُعرف باسم (النقب) في المصادر العربية كإقليم ، وإنْ ورد اسم النِّقاب للجزء الجنوبي منها مع الإشارة إلى أن المصادر اليهودية والغربية تسمي هذه الديرة باسم (النقب) اعتماداً على أخبار التوارة .

* أن هذا الإقليم كان يعرف بالتِّيه ذالك الإقليم الذي امتدَّ حتى مصر غرباً ، وسلسلة جبال الشراة شرقاً ، ونواحي القدس والخليل في الشمال الشرقي كما سيجيء .

* أن اسم (النقابة) كان يطلق على المنطقة التي تصل شرق الأردن عبر الجبال الغربية لوادي (عربة) إلى الديار المصرية وديار (غزة) و(السّبع) و(الخليل) والتي تتصف ـ أي هذه المنطقة ـ بوجود نِقَاب كثيرة ذات أهمية عسكرية عالية جداً قال العارف : (يسميها البدو النِّقابة ، ومفردها (نَقَب) وفي استطاعة مَنْ يَحْتَلُّ أي نقب من هذه النقابة أن يصدَّ العدو الذي تحدثه نفسه بالمجيء إليه مهما كان عدده[٨] .

* أن قضايا الأمة يجب ويفترض انطلاقاً من العقيدة الإسلامية أن لا تهتم بقناعات العالم بعدالة قضاياها بصورة أساسية فحسب ، لأن هذا العالم يرى أن الغاية تُبرِّرُ الوسيلة وأن البقاء للأقوى ، وأن العلاقات العالمية تقوم على المصالح لا المبادئ ، ومن هنا فَلَنْ يؤثر على عدالة قضايا المسلمين كفلسطين مثلاً أن يعتقد العالم أنها أرض يهودية ، فالإسلام يفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة ، إذا احْتُلَّ شِبْرٌ من أرض المسلمين ، اقتنع العالم بهذا أم لم يقتَنِع ، وهم كما وصفهم الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ ولاَ النَّصارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ـ البقرة الآية الـ (١٢٠).

الجغرافيا التاريخية :

لم تذكر المصادر الجغرافية العربيّة ـ المتوفرة للباحث ـ منطقة جنوب فلسطين باسم (النِّقب) وإن كان صاحب «معجم البلدان» قد ذكر أحد نقاب هذه الديار

وهو نقب غاربٍ قال في رسم نقب : نقب عازب موضع بينه وبين بيت المقدس مسيرة يوم للفارس من جهة البرية بينها وبين التيه انتهى و(عازب) هذا ماهو إلا تصحيف (غَاربٍ) وهو أحد النقاب المعروفة حتى يومنا هذا إلى الجنوب الغربي من البحر الميت ، وقد ذُكرت المنطقة الجنوبية من النقب - أي النقب الجنوبي - باسم النِّقاب كما ورد في شعر أبي الطيب المتنبي قال البكري في «معجم ما استعجم» رسم النقاب : النِّقَابُ - بكسر أوله على لفظ جمع نَقْب : موضع بين المدينة ووادي القرى وهو الذي عنى أبو الطيب بقوله :

وأمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بالنِّقَا ... بِ وَوَادِي المياهِ ووادِي القُرَى
وقُلْنَا لَهَا: أيْنَ أرْضُ العِرا ... قِ؟ فَقَالَتْ ونَحْنُ بِتُرْبَانَ: هَا
وهَبَّتْ بِحِسْمَى هَبُوبَ الدَّبُو ... رِ مُسْتَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا
رَوَامِي الكِفَافِ وكِبْدِ الوِهَادِ ... وَجَارِ البُوَيْرَةِ وَادِي الغَضَا
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ... ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ المَهَا
إلَى عُقْدَةِ الجَوفِ حتّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَا
ولاحَ لها صَوَرٌ والصَّبَاحِ ... وَلَاحَ الشُّغُورُ لَهَا والضُّحَا
ومَسَّى الجُمَيْعِيَّ دِئْدَاؤُهَا ... وغَادَى الأضارِعَ ثُمَّ الدَّنَا
فيالَكَ لَيْلاً على أعْكُشٍ ... أحَمُّ البِلادِ خَفِيُّ الصُّوَى
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ في جَوْزِهِ ... وبَاقِيهِ أكْثَرُ مِمَّا مَضَى

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: النِّقَابُ - بالكسر بلفظ نقاب المرأة الذي تَسْتُر به وجهها أوْ جَمْعُ نَقْبٍ ، وهو الخرق في الجبل والحائط وغيره - موضع في أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه ذكره أبو الطيِّب فقال :

وأمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بالنِّقَا ... بِ وَادِي المِيَاهِ وَوادي القرى

قلتُ : لم يُوفَّق البكريُّ ولا ياقوت الحموي فيما ذكراه عن النقاب ، ذالك أن النقاب هي المواضع الشمالية من منطقة أَيْلة وكلامُهُما لا يسنده دليل فقبل الأبيات المذكورة كما في «ديوان المتنبي» قال :

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ القِمَا   رِ فإمّا لِهَذا وإمّا لِذَا
فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وفي رَكْبِهَا   عن العالمينَ وَعَنْهُ غِنَى

ومن خلال استعراض قصيدة المتنبي نجدُ أنه مَرَّ أولاً بِالتِّيهِ فَنَخْل ـ وهو موضع في التِّيهِ ، ثم مَرَّ بالنُّقاب فَتُرْبان فَجِسْمَى . . . الخ أي إن النقاب يقع بين نخل في التِّيه غَرْباً وبين تربان شرقاً ، وتُرْبَانُ هذا ذكره ياقوت بقوله : تُربان أيضاً في قول أبي الطيب المتنبي يخاطب ناقته حيث قال :

فقُلْتُ لها: أَيْنَ أرْضُ العراق؟   فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ: هَا
وهبَّتْ بِجِسْمَى هَبُوبُ الدَّبُو   رِ مُسْتَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا

قال شرّاح ديوان المتنبّي : هو موضع من العراق غَرَّهُمْ قوله (ها) للإشارة، وليس كذالك ، فإن شعره يدل على أنه قبل جِسْمَى من جهة مصر ، وإنما أراد بقوله : (ها) تقريباً للبعيد ، وهو كما يقول مَنْ بِخراسان : أين مصر ؟ أي هي بعيدة فكأن ناقته أجابته : إنّي بِسُرْعَتِي أَجْعَلُها بمنزلة ماتُشِير إليه ، وفي أخباره أنه رحل من ماء يقال له البَقْع من ديار أبي بكر ، فصعد في النقب المعروف بِتُرْبان ، وفيه ماء يعرف بعُرُنْدل ، فسار يومه وبعض ليلته ، ونزل وأصبح فدخل جِسْمَى وجِسْمَى فيْما حكاه ابنُ السِّكِّيت بين أيلة وَتِيْه بَني إسرائيل الذي يلي أيلَة وهذا قبل أرض الشام ، فكيف يقال : إنه قَريب من العراق وبينهما مسيرة شهر وأكثر ؟ وقال نَصْرٌ : تُربان صقع بين سماوة كلب والشام . انتهى . وتُرْبَانُ هذا يقع في الجزء الشرقي من وادي عَرَبَة على نحو ٦٠ كيلاً شمالي العقَبةِ (أيلة) وعَرَنْدَلُ المذكور تصحيف غَرَنْدَل ـ بالغين المعجمة ـ الواقع إلى الشمال من تُرْبانَ ، على بعد بضعة عشر كيلاً .

وقد ذكر ياقوت النِقَابَ فحدده تحْديداً صائباً إلاّ أنه حرف الاسم إلى (النُّقَار) فقال : النقار موضع في البادية بين التِّيهِ وجِسْمَى ، في خبر المتنبي لما هرب من مصر انتهى . والذي ورد في شعره كما سبق هو النُّقَاب ، وهكذا نجد أن هذه المنطقة عُرِفتْ ولاتزال تعرف بالنقاب .

والكلام حول النقب الجنوبي مدار البحث ـ بين بدو هذه الديار منذ عهد المتنبي الذي مر بالمنطقة سنة ٣٥١هـ وليس الأمر كما اعتقد العارف أن اسم النقب أو النقاب تسْمِية يهودية حديثة .

سبب التسمية :

نرى ـ وهذه وجهة نظر ـ أن ثَمّة عوامل تُجمعَتْ وجعلتْ من هذا الإقليم ـ جنوب فلسطين ـ يحمل اسم النقب وهي :

١ ــ أن النقب وفقاً للغة العبرية يعني الجنوب ، وهو أمر واقع .

٢ ــ أن النقب وفقاً للغة السامية يعني الأرض الجافّة وهو الوصف الدقيق لهذه المنطقة .

٣ ــ أن النُّقُب ـ بضم النون والقاف ـ وفقاً للغة العربية مفرد نَقْب ـ بإسكان القاف بعد نون مفتوحة ـ وهو الطريق في الجبل ، وهذه المنطقة لا تشتهر بشيء أكثر من اشتهارها بوجود عشرات النِّقَاب فيها ، فإذا كان اليهود يعنون بالنقب الجنوب فإننا نعني به المعنى اللغوي العربي الذي سبق ذكره ، وقد يحمل اشتهار منطقة بشيء لأن تسمى باسم ما اشتهرت به .

* علاقة النُّقْب بالتِّيْه :

يُعَدُّ النقب جزءاً لا يتجزأ من بلاد التِّيْهِ فقد كان ـ ولايزال ـ اسم التِّيْهِ يعمُّ هذه المنطقة ونواحيها قال في «معجم البلدان» عن التِّيهِ : هي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم ، وجبال السراة من أرض الشام ، وأضاف : يتَّصل حدٌّ من حدودها بالجِفَار وحدٌّ بجبل طور سيناء ، وحدٌّ بأرض بيت المقدس ، وما اتصل به من فلسطين ، وقد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حدّ القلزم ويوافقه على هذا أبو الفداء في كتابه «تقويم البلدان» حيث قال عن التِّيهِ : يحيط به الجفار وحدود القُلْزم وحدود بيت المقدس[٩].

وتشير الدراسات الحديثة إلى الترابط الطبيعي بين النقب والتيه ، ومن ذالك

ماذكره الدكتور محمد السيد غلاب الذي قال : فليس النقب إقليماً قائماً بذاته بل هو جزء من وحدة (فيزيوغرافيّة) تشمل شبه جزيرة سيناء[١٠].

كما أشارت «الموسوعة الفلسطينية» إلى ذالك ووفقاً لما جاء فيها فإن : سيناء هي استمرار غربي للنّقب ، دونما انقطاع ، تضريسي أو حَافَات صخرية فاصلة[١١].

وهذا يعني أن النقب كان يشكل الجزء الشرقي من بلاد التّيه حيث تشكل جبال الشراة الحدود الطبيعية الشرقية لهذه المنطقة .

* علاقة النقب بالحجاز والجزيرة ومصر :

وقد كانت هذه الديار جزءاً من بلاد جزيرة العرب[١٢] من الإقليم الحجازي الذي كما - يذكر أبو إسحاق الحربي - أنه كان يشمل فلسطين أيضاً[١٣] وبتحديد أكثر دقّة فإنها من بلاد مَدْيَنَ ، وهي القسم الشمالي من بلاد الحجاز ، (ومدين من أعراض المدينة)[١٤] فقد ذكر المقريزي أنه (كان بأرض مَدْيَنَ عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها ، وخربتْ ، وبقي منها إلى يومنا هذا وهو سنه خمس وعشرين وثمان مئة نحو الأربعين مدينة قائمة ، منها ما يعرف اسمه ، ومنها ماقد جُهل اسمه ، فمما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عَشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة ، والسنيطة ، والمدرة والمنية ، والأعوج ، والخويرق والبئرين والماءين ، والسبع والمعلق ، وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيراً ما تنقل حجارتها إلى غَزَّة ويُبْنَى بها هناك[١٥].

وقد كانتْ مَدْيَنُ والقسم الشمالي من الحجاز تعد من كور مصر القبلية ، ذالك أن النفوذ المصري كان ممتدًا حتى هذه الديار ، فقد ذكر القاضي أبو عبدالله القضاعي أن (مدين وحيِّزها من كورة مصر القبلية)[١٦].

كما ورد أيضاً أن مدين من الشام فقد ذكر البكري أن مدين (بلد بالشام معلوم تلقاء غزة)[١٧].

وهذا يشير إلى تلك الأجزاء من الشَام التي عُدَّتْ من مدين ، وإلا فمدْيَنُ حِجازية تقع إلى الجنوب من أيلة آخر حدود الشام جنوباً كما سيأتي .

ونخلص مما سبق إلى القول :

- أن النقب جزء من بلاد التّيه .
- أن التّيه بما فيه النقب ـ عُدَّا جزءاً من جزيرة العرب .
- أن النقب خاصة وفلسطين عامة عُدّتْ من الحجاز أحد أقاليم جزيرة العرب .
- أن النقب كان جزءاً من شمال الحجاز الذي عرف باسم مَدْيَن .
- أن مدين وهي القسم الشمالي من الحجاز كانَتْ تُعَدُّ من بلاد الشام هذا فيما يتعلق بأجزائها الشامية .
- أن البلاد المصرية امتدَّ نفوذها فشمل شمال الحجاز بما في ذالك النّقب حتى عدّت من كور مصر القبلية .

النقب إقليم فلسطين :

قلنا إنَّ الإقليم الجنوبي في فلسطين ـ أي النقب ـ كان يعرف تاريخياً بالتِّيه ، فقد كان النقب هو الجزء الشرقي والشرقي الشمالي من التِّيهِ ، يحدُّه شرقاً سلسلة جبال الشراة شرقي وادي عَرَبَة الذي يفصله عن بلاد الأردن . ويحد هذا الإقليم جنوباً خليج العقبة الذي تلتقي فيه حدود الشام مع الحجاز ومصر غرباً التي كانت ـ ولاتزال ـ حدودها تمتد من الخليج إلى نواحي رفح .

تحديد جنوب فلسطين :

قال ياقوت الحموي في تحديده لفلسطين : وزُغَر ديار قَوْم لُوطٍ ، وجبال الشراة إلى أيلة كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك[١٨].

وأيلة هي آخر الحجاز وأول الشام[١٩] فيما يذكر المقدسيُّ أن هناك خلافاً حول أيلة أهي من الحجاز أم من الشام أم من مصر قال : وفي أيلة تنازعٌ بين الشاميين والمصريين والحجازيين كما في عَبّادان ، وإضافَتُها إلى الشام أصوب لأن رسومهم

وأرطالهم شامية ، وهي فرضة فلسطين ، ومنها يقع جِلاَبُهم وعنده فإن أيلة خزانة الحجاز[٢٠] وقال الحازميُّ : أيلة آخر الحجاز وأول الشام[٢١] وقال أبو عبيدة : أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطيء بحر القلزم تُعَدُّ في بلاد الشام[٢٢].

وقال النوويُّ : هي بلدة معروفة بطرف الشام[٢٣] وقال ياقوت الحموي : هي آخر الحجاز[٢٤].

وتقع على فَمِ وَادي عَربة العظيم[٢٥] وهو موضع في ديار فلسطين ذكره بعض العلماء الجغرافيين ومنهم : الطبري ونصر الاسكندري وياقوت وابن كثير وابن الأثير وغيرهم .

ويحد وادي عربة شرقاً بل يحد القسم الجنوبي من فلسطين سلسلة جبال الشراة ، وقد ذكر صاحب «معجم البلدان» أن الشراة صُقْعٌ بالشام بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ ، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة[٢٦] معقل الدعوة العباسية وقد ذكره في السراة فقال : جبل السراة الذي يصل مابين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد وإنما هو جبال مُتَّصِلة على شق واحد ، من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام وهذه الجبال هي الحد الشرقي للتّيه كما أسلفنا .

تحديد النقب في المصادر الحديثة :

ذكر الدكتور محمد السيد غلاب في تحديده : منطقة النقب : تلك المنطقة التي تشغل نصف فلسطين الجنوبي حسب الإصطلاح السياسي الحديث والتي تبدو في الخرائط على هيئة مثلث ، قاعدته تمتدُّ في الشمال من البحر الميت إلى البحر الأبيض المتوسط على خط عرض حبرون (الخليل) - غزة تقريباً ، ويتْبع ضلعاه الآخران خطي الحدود الفلسطينية الأردنية من الشرق والفلسطينية المصرية من الغرب ، ويكاد يلتقي هذان الضلعات عند خليج العقبة[٢٧] وتابعه على هذا التحديد (أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون) وجاء فيما كتباه: (تمتد الحدود الشمالية للنقب إلى خط يبدأ من نهر غزة ، ويسير شرقاً على محاذاة السفوح الجنوبية

لجبال الخليل ، وينتهي بالبحر الميت ، وتتكون الحدود الشرقية من شاطيء البحر الميت ووادي عربة نزولاً من البحر الأحمر ، ويحد النقب من الجنوب الحدود الدولية بين (فلسطين) ومصر ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط[٢٨]. قال الدباغ صاحب موسوعة «بلادنا فلسطين» وهو يحدد النقب: (يحده من الشمال قضاء الخليل ومن الغرب قضاء غزة ، ومن الشرق شرق الأردن ، وجنوبي البحر الميت ووادي العربة وخط الحدود هذا يمتد من نقطة واقعة على خليج العقبة وشبه جزيرة سيناء ويمتد الخط الفاصل بين البلاد المصرية والفلسطينية من رأس طابا إلى رفح على مسافة طولها نحو ١٥٠ ميلاً)[٢٩] وتكاد تتّفق المصادر العربية أن الحدود الشمالية للنقب هي أراضي الخليل ابتداءًا من البحر الميت شرقاً وحتى الديار الغزية غرباً[٣٠]. وهذا يكاد يتفق مع ماذكره السابقون أن حدود بيت المقدس التي تشمل الخليل كانت هي الحدود الشمالية للتيه في فلسطين[٣١]. وتشكل الحدود الغربية للنقب الحدود التاريخية بين الديار المصرية وبلاد الشام التي تبدأ على هيئة خط مستقيم ابتداءً من أيلة وانتهاءً برفح ـ قال الهمذاني وهو يحدد حدود مصر الشرقية مع بلاد الشام: (وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة وهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة)[٣٢].

وقال أبو الفداء في «تقوم البلدان» وهو يحدد مصر : (والحد الشرقي من بحر قلزم المذكور قبالة أسوان إلى عيذاب إلى القُصير إلى القلزم الى تِيْه بني إسرائيل ، ثم ينعطف شمالاً إلى بحر الروم إلى رفح العريش حيث ابتدأنا)[٣٣].

* الحدود السياسية بعد التدخل الأوروبي :

الحدود الشرقية للنقب : بعدما تم للاستعمار البريطاني ما أراده في المنطقة قام بتقسيم البلاد إلى عدة أقسام ذات حدود حملتْ أسماء فلسطين وشرقي الأردن ، فيما كانت بلاد الشام الشمالية قد قسمت إلى قسمين وهما سوريا ولبنان ، وقد قام الإنجليز بتحديد الحدود بين فلسطين وشرقي الأردن فكان الجنرال اليهودي (ينج)

والمندوب السامي البريطاني (هربرت صموئيل) ـ من البريطانيين الذين لعبوا دوراً حاسماً في رسم حدود فلسطين[٣٤] ـ وقد قال (الجنرال ينج) في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠م : إن الحد الغربي لولاية سوريا جنوب البحر الميت قبل الحرب العالمية الأولى كان يتبع وادي عربة حتى خليج العقبة)[٣٥].

وقد تَبنَّى (هربرت صموئيل) تحديد الجنرال (ينج)[٣٦] فأصبح هو المرجع الذي اتخذ وادي عربة الحد الغربي لشرق الأردن أي الشرقي لفلسطين[٣٧] وكان ذالك عندما أرسلت وزارة المستعمرات البريطانية «برقية رقم (E8709/592/65) إلى (هربرت صموئيل) المندوب السامي في فلسطين تستفسر منه عن الحد الغربي لشرق الأردن وذكر (صموئيل) في رده على وزارة المستعمرات البريطانية نفس الحد الذي أشار إليه الجنرال (ينج): (من الطرف الجنوبي للبحر الميت فوسط وادي عربة حتى رأس خليج العقبة: قبل ذالك بسنتين ، ويمر الحد السياسي في أخفض أجزاء وادي عربة المحصور بين حافَتَيْنْ جبليتين لذالك فهو يلازم جانبه الغربي ومن ثم أصبح لفلسطين ثلث الوادي وشرق الأردن ثلثيه)[٣٨].

وهكذا أصبح وادي عربة وخط الهدنة الممتدّ عبره الحد الشرقي لفلسطين ، والحد الغربي للأردن في القسم الجنوبي من البلاد وقد وصفت «الموسوعة الفلسطينية الحدود الشرقيّة بأنها واضحة فـ(للنقب) حدود واضحة في الشرق حيث يرسم وادي عربة وحافات النقب الصخرية العالية المطلة على أرضه حَدًّا تضريسياً واضحاً)[٣٩].

الحدود الغربية الجنوبية للنقب :

عندما دبّ النزاع بين الدولة العثمانية والإنجليز في مصر حول الحدود بين العثمانيين ومصر تَمَّ الاتفاق بعد مشكلة دولية كادت تؤدي إلى حرب شاملة على الحدود التالية بصيغتها النهائية . كما جاء في المادة الأولى حيث يبدأ الخط الفاصل بالاستقامات التالية : ـ من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتدُّ إلى قمة جبل فورت ، مارًا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على

وادي طابا ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات التالية من جبل فورت إلى نقطة لا تتجاوز مئتي متر إلى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها إلى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعمود المقام من نقطة على مئتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة إلى العقبة بطريق نخل إلى العقبة) ومن نقطة التلاقي المذكورة إلى التلة التي إلى الشرق من مكان يعرف بثميلة الردادي والمطلة على تلك الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط) ومن هناك إلى قمة رأس الردادي المدلول عليها بالخارطة المذكورة أعلاه بـ (A3) ومن هناك إلى جبل الصفراء المدلول عليها بـ (A4) ومن هناك إلى القمة الشرقية لجبل أم قف المدلول عليها بـ (A5) ومن هناك إلى نقطة مدلول عليها بـ (A7) إلى الشمال منه ثميلة سويلمة ، ومنها إلى نقطة مدلول عليها بـ (A8) إلى غرب الشمال الغربي من جبل سماوة ، ومن هناك إلى قمة التّلة التي إلى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي مايين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل) ومن هناك إلى (A9) ومنها إلى (A9 bis) غربي جبل المقراة ، ومن هناك إلى رأس العين ، المدلول عليه بـ (A10 bis) ومن هناك إلى نقطة على جبل أم حواويط ، المدلول عليها بـ (A11) ومن هناك إلى منتصف المسافة بين عمودين قائمين تحت شجرة على مسافة (٣٩٠) ثلاث مئة وتسعين متراً إلى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليه بـ (A13) ومن هناك إلى نقطة على التلال الرملية في اتجاه (٢٨٠°) مئتيْن وثمانين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٨٠° إلى الغرب) وعلى مسافة أربع مئة وعشرين متراً في خط مستقيم من العمودين المذكورين ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه (٣٣٤°) ثلاث مئة وأربع وثلاثين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٢٦° إلى الغرب) إلى شاطيء البحر المتوسط ماراً بتلة خرائب على ساحل البحر[٤٠] .

وقد بقي لفلسطين نافذة ضيقة على خليج العقبة تفصل بين الحدود السياسية لشرق الأردن والحدود السياسية لمصر .

* أقسام النقب :

ينقسم النقب إلى ثلاثة أقسام[٤١] استناداً إلى فروق الارتفاعات المتوسطة فيها .

وهذه الأقسام هي :

١ ــ النقب الشمالي .
٢ ــ النقب الأوسط .
٣ ــ النقب الجنوبي .

وقد اختص بحثنا هذا بالقسم الجنوبي من النقب ، ذالك القسم الذي لم يَنَلْ اهتماماً كالذي ناله كل من النقب الشمالي والنقب الأوسط ، فعارف العارف لم يدرس هذا القسم ولم يشر إلى سكانه من قبيلة (الاحيوات) والدباغ لم يشر إليه إلا إشارات طفيفة لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهذان هما أهم من كتب - من العرب - عن جنوب فلسطين ، أي النقب بلا نزاع باستثناء جغرافية النقب التاريخية للدكتور محمد سيد غلاب الذي لم أطلع عليها وقد ظهرت دراسات أخرى اهتمت بشمال ووسط النقب مع إشارات طفيفة لجنوب النقب مثال «مأساة البدو في النقب» و«قطاع بئر السبع» للعارف و«بئر السبع والصحراء الفلسطينية» لأبي سمّور و«المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته» لـ(أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون) و«جغرافية الاستيطان» ج١ لصبحي يوسف عيد ، مع مقالات صحفية بين فترة وأخرى لا تفيد في موضوع بحثنا هذا إلا ما ندر .

ومن هنا كان لابُدَّ من دراسةٍ توفي هذا القسم المجهول من فلسطين حقه من الدراسة والبحث والتعريف . فكان عملنا هذا هو إعداد تأليف معجم شامل يشتمل على كل المواضع من جبال وتلال ووديان وشعاب ورياض ومياه وتلاع ونقاب وكثبان وديار ومساكن عربان وسدود وثمايل ومزارع ودروب ، مع تاريخ كل ما يتعلق بهذه الديار مما تيسر لنا مما لم يشر إليه أحد من شعر وأدب ودين ومعتقدات شعبية وسكان وقبائل ونباتات وأشجار ، فتناولنا اسم كل موضع

وشرحناه مفسرين معناه حتى قد يرى البعض في ذالك تطويلاً لا داعي له لكن يشفع لنا انه لم يسبقنا أحد ـ فيما أعلم ـ في دراسة خاصة شاملة حول هذا الجزء من فلسطين ونحن هنا نغطي هذا الجزء من البحث تعريفاً عاماً بمنطقة الدراسة قبل البدء في ذكر وسرد مواضعها فنقول وبالله التوفيق .

* الموقع والحدود الشمالية :

يقع النقب الجنوبي في جنوبي النقب ، وشمالي خليج العقبة ، ويشكل وادي الجراقي الحد الشمالي للنقب الجنوبي(٤٢) وعلى رأي بعضهم هو من جنوب الرامان حتى أيلات(٤٣) ونرى أن الجراقي هو الحد الطبيعي الذي يفصل النقب الجنوبي عن النقب الأوسط ، ذالك أنه وادٍ عظيم يفصل جنوب النقب عن وسطه فيما يقع الرامان إلى الشمال من هذا الفاصل الطبيعي .

وسكان هذه الديار ـ النقب الجنوبي ـ هم عشائر (الاحيوات) حيث أن جبال ومرتفعات عِرِّيف الناقة إلى الشمال الغربي من جبل سماوة تفصل قبائل (العزازمة) شرقاً ، وقبائل (التّياها) غرباً ، و(الاحيوات) جنوباً(٤٤). وتمتد حدود (الاحيوات) شرقاً حيث يفصل جبل سماوة بين (الاحيوات) و(العزازمة) وتسير الحدود عبر الجراقي شرقاً وتشكل منطقة المليحة شرقاً ، ملتقى حدود (الاحيوات) مع (السعيديين) (الحويطات) ومن منطقة المليحة تتجه الحدود إلى الجنوب الشرقي حتى تصل إلى قاع (السعيديين) الجنوبي حيث أن المنطقة من القاع إلى خليج العقبة للاحيوات(٤٥) بل لقد كانت للاحيوات مطالب قوية وحقوق مدّعاة في القاع(٤٦) قال العبّادي: (كان الاحيوات يطالبون به)(٤٧) ونشير إلى أن سيل الجراقي واللحيانة والقاع كاملاً في ديار قبيلة (السعيديين) (الحويطات) الذين وجدت ديارهم كخاصرة في ديار الاحيوات ، فتمنعهم عن الوصول إلى وادي عربة ، ولا يصلون إليه إلا عند نهاية القاع جنوباً ، وسنوضح هذا عند حديثنا عن الحدود القبلية بين (الأحيوات) و(السعيديين الحويطات) وبين (الأحيوات) و(العزازمة) في موضعه من البحث .

الأهمية الاستراتيجية والمطامع اليهودية :

تعتبر منطقة النقب أهم جزء (استراتيجي) في فلسطين ، والشرق الأوسط، لموقعها الفريد الذي يصل بين آسيا وافريقيا عبر سيناء ، وحول ذالك يقول الدكتور محمد السيد غلّاب : (هذه المنطقة بالإضافة إلى امتدادها الطبيعي في سيناء تحتل جزءاً هامًا من العالم العربي ، ونستطيع أن نقول بدون أدنى تحفظ : إنها أخطر منطقة (استراتيجية) في العالم العربي، (لاسيما في فترات الأزمات التي مَرَّ بها هذا الجزء من العالم أيام الحروب الصليبية وفي الوقت الحاضر) وأضاف يقول : (هذه المنطقة هي المعبر البريُّ الوحيد بين شمال شِبْه جزيرة العرب وبين دلتا النيل ، وبعبارة أخرى بين مصر وبقية العالم العربي في آسيا ، ومن ثَمَّ كانت مكانتها الممتازة في تاريخ تعمير فلسطين وتاريخ مصر وعلاقته بالعالم العربي خلال التاريخ القديم والوسيط ، وهاهي المنطقة تكشف عن أهميتها مرة أخرى لنا ولبقية العالم العربي) وقال: (إن الصهيونيين قد نجحوا في تأسيس أول محلاتهم ومستعمراتهم المحصَّنَة في النقب ، وعلى حدود سيناء ، وعملوا على استخلاص النقب لهم في معاهدات الهدنة سنة ١٩٤٨م وقد اتّبعوا في سبيل ذالك أسلوبهم التقليدي وهو إيهام العالم الغربي أنهم بِفَنِّهِمْ وعلمهم ومقدرتهم هم وحدهم القادرون على تحويل قفار الصحاري إلى أراضٍ تفيض بالخيرات ، وأحاطوا هذه الدعاية بعاصفة تذرُّ التراب في العيون ، سُدَاهاً ولُحْمَتُها أنصاف الحقائق المشوهة فقالوا : إن هذا الإقليم كان يفيض خيراً أيام بني إسرائيل ، وأن النقب وسيناء كان مزدهراً بحقوله وبساتينه ، ومُدُنه وقُراه أيام الرومان ، وأن العرب وهم أهل بدواة حطموا المدن البيزنطية ، هذا إلى أن النقب وسيناء هي المجال ـ في زعمهم ـ لأفواج اليهود العائدة إلى أرض الميعاد) ، وتابع يقول : (هذا هو زعمهم : مجرد إعادة تعمير ما خرّبه البدو ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على النقب وسيناء لسبب واحد هو أهميته (الاستراتيجية) في عزل مصر عن بقية العالم العربي . أما تاريخ النقب وسيناء وتعميرها فَهُوَ قصّة أخرى لم يكن لبني إسرائيل فيْها أي فضل يذكر ، بل كان الفضل فيْها للعرب وحدهم ، مستقلين أو تحت

الحماية البيزنطية)[٤٨].

ويشير الزعيم اليهودي (بن غوريون) لأهميته فيقول: (إنني أعتقد أن كيان إسرائيل يتوقف على النقب ، ولا كيان لها بدونه)[٤٩] وقد كان لـ(بن غوريون) اهتمام خاص بالنقب ، جعله يحلم به ، ويعد المشاريع والخطط لاستغلاله .

وقد جاء في رسائله مايشير إلى اهتمامه الخاص هذا ، فقد كتب في ١٧ أيلول ١٩٣٥ يقول : (أنا أناقش المندوب السامي أكثر من عام بشأن النقب ، وهي مساحة من الجنوب تمتد من غزةإلى العقبة تبلغ أحد عشر ألف دونم ، جزء منها صحراوي وغير صالح ، ولكن هناك أيضاً أرض طيبة في النقب ولو وجد فيها الماء فستفتح أمامنا مساحات شاسعة وفارغة ـ ليس هناك في النقب غير القليل من العرب)[٥٠] ثم جاء زمان أصبح لليهود فيه دولة ليصرح (بن غوريون) لصحيفة «نيويورك تايمز» حول مشروع جرّ المياه إلى النقيب قائلاً : (إن تنفيذ مشروع النقب سيمكن اليهود من إنشاء ٢٠٠ قرية على طول الحدود المصرية يسكنها مليون على الأقل من شباب منظمات (الحالوتيسم) العسكرية الصهيونية تمهيداً لمعركة حاسمة مع العرب)[٥١] وجاء في رسائله حول النقب ماكتبه بتاريخ ٤ حزيران ١٩٣٧ مُتسائِلاً عن مصير النقب: (ماذا سيحدث للنقب؟ المساحة بأكملها حتى العقبة والتي زرناها منذ عامين ، لا آمل في الوقت الحالي بحصولنا على العقبة والنقب ، ولكن من المحتمل أن يبقى هذا الجزء من البلاد تحت إشراف بريطانيا ، ولن نتمكن من الاستيطان فيه في المستقبل)[٥٢] وأضاف يقول فيما كتبه في ٢٢ حزيران ١٩٣٧م متسائلاً عما ستقرره اللجنة الملكية بشأن فلسطين : (ولسنا ندري ما سيقررون بالنسبة لحيفا أو القدس ، ولا ماذا سوف يكون مصير الجزء الجنوبي من البلاد ـ أي النقب ـ هل سيعطى للعرب أم اليهود أم الانجليز ؟ (وايزمان) متفائل ، ولكنني للأسف لا أستطيع مشاركته ذالك التفاؤل)[٥٣] وقد ظل (بن غوريون) غير متفائل بشأن ضَمِّ النقب للوطن اليهودي ، حيث أن برنامجه أشار لضم نصف النقب فقد كتب في ٢٧ تموز ١٩٣٧م : (وسوف تضم الدولة حسب برنامجي صَفَدَ والناصرة وطبرية وحيفا

وبيسان وطول كرم ، حتى الجبل ، ويافا والرملة ونصف النقب)[٥٤] وكتب مرة أخرى في ٢٧ تموز ١٩٣٧م يقول : (حسب مخططي كان يجب أن نأخذ نصف النقب من بئر السبع جنوباً وحتى الحدود المصرية وخليج إيلات ، أما اللجنة فهي ستسلم هذا الجزء إلى الدولة العربية)[٥٥] وفي تلك الأثناء (كان اليهود يعلمون يقيناً استحالة الاستيلاء على كل فلسطين لذالك فقد كانوا يحسبون للنقب حساباً جديًّا ، ولم يأت تمسك اليهود بالنقب عبثاً فهو يتّصل بسيناء والأخيرة بمفهومهم وطنهم القومي الأول ، ومكان تلقي ديانتهم وتعاليمها)[٥٦] ولحرص (بن غوريون) على النقب فقد سعى لأخذ النقب وفقاً لقرارات التقسيم ، وإلا فإنه سيسعى لأخذه بلغة أخرى فكتب في ٥ أكتوبر ١٩٣٧م يقول : (وإذا افترضنا أن منطقة النقب لن تعطى للدولة اليهودية فسوف تبقى جَرْدَاء بكل بساطة ، فالعرب ليسوا قادرين على استثمارها كما أنهم ليسوا في حاجةٍ إلى ذالك ، فلديهم صحاري كافية بينما ليس لديهم التّعداد البشري الكافي ، ولا الإمكانيات أو الحوافز ، ومن المحتمل جدًّا أن يوافقوا على استثمارنا ، وبنائنا للنقب مقابل العون المادي والعسكري والإداري والعلمي من جانبنا ، وربما لن يقبلوا ، فإن الشعوب لا تَتَصرف دائماً بدافع من المنطق والعقل والمصلحة العملية ، لذالك يحتمل أن ينطلق العرِب من واقع قومي ، ويقولون لنا : لا نريد عسلكم ولا شوككم ، فنحن نفضِّل أن يبقى النقب صحراء على أن يستوطنها اليهود ، وحينئذ علينا أن نحاربهم بلغة أخرى ، وسوف يكون لنا فيها لغة أخرى لن نكون قادرين عليها دون دولة ، لأننا لا نحتمل أن تبقى مساحات واسعة غير مأهولة وهي قادرة على استيعاب عشرات الآلاف من اليهود وفي حالة حدوث ذالك فسوف نضطر إلى مواجهة أكثر من عرب فلسطين فليس من المستبعد أن يَهُبَّ العربُ في الدول المجاورة لنجدتهم في مواجهتنا ، ولكننا سوف نكون أقوى حينذاك ، لا لأننا سوف نكون أفضل تنظيماً وتسليحاً ، ولكن لأن وراءنا قوة أعظم نوعاً وعدداً فلدينا في المهجر احتياطي من بلايين اليهود ، فإن الجيل الجديد من اليهود في بولونيا ورومانيا وأمريكا وغيرها من البلاد سوف يهرع إلينا بكامله في حالة أي

خلاف بيننا وبين العرب ، الذي آمل وأرجو ألاّ يحدث ، فالدولة اليهودية لن تعتمد على اليهود القاطنين فيها فحسب ، بل على الشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم ، على الملايين الذين يرغبون في الاستيطان في فلسطين والذين يجب أن يستوطنوا فيها)[٥٧].

هذا الاهتمام اليهودي بالنقب جعلهم يطبّقون مقولة (الغاية تبرر الوسيلة) طالما أنّها تحقق الهدف ذالك أنه (عندما عُرِضَ مشروع تقسيم فلسطين في الأمم المتّحدة تمسّك اليهود بإصرار بأن تكون منطقة النقب من ضمن دولتهم المزعومة ، وهذا يفسر بما لا يدع مجالاً للشكّ إقدام عصابة (شيترن) الصهيونية الارهابية على اغتيال وسيط الأمم المتحدة (الكونت فولك برنادوت) الذي اقترح ضم صحراء النّقب إلى الدولة العربية فيما إذا تم التقسيم)[٥٨].

● السياسة الإسرائيلية في النقب :

من أمثال الصّينْ القديمة : إن طريق الألف ميل يَبْدَأ بالخطوة الأولى ، وهذا ما تبنّاه الزعيم اليهودي (ديفيد بن غوريون) الذي كتب في ٥ أكتوبر ١٩٣٧م يقول : (أنا واثق من أن إنشاء دولة يهودية ولو في جزء من البلاد سيجعل ذالك ممكناً لذالك فأنا لست أشعر بأيِّ تناقضٍ بين عقلي وقلبي ، فكلاهما يقول لي : قم بإنشاء دولة يهودية فَوْراً حتى ولو في جزء من البلاد ، وليس كلها ، فالبقية ستأتي مع الزمن ، وذالك سوف يتم حتماً)[٥٩] وهذا ما تم تطبيقه على أرض الواقع (فقد احتل اليهود في ١٤/١٠/١٩٤٨ بعض الأراضي في النقب واتخذ (مجلس الأمن) بعد شهر قراراً يأمر اسرائيل بالانسحاب وراء الخطوط المحددة وكُلِّفَ (الكونت برنادوت) برسم الخطوط التي لا يجوز لأيٍّ من الفريقين العرب واليهود أن يتعدّاها ولكن إسرائيل لم تنفذ)[٦٠] ولم تلتزم بهذا القرار ، وظل اليهود يسعون سعياً حثيثاً لتنفيذ مخططهم بشتى الأساليب من استخدام القوة والتآمر مع بعض الأطراف العميلة لهم ، إلى أن استولوا على موقع (المرشش) على خليج العقبة في ١٠/٣/١٩٤٩م وتمت الموافقة الخائنة على بقاء (المرشش) في حوزة إسرائيل في اتفاقية المدنة المعقودة في ٣/٤/١٩٤٩م[٦١].

* تهجير العرب والممارسات اليهودية :

لم ينتظر اليهود طويلاً في تنفيذ خططهم (فالنّقب الذي يملكه العرب يَخْلُو الآن من سكانه العرب المتنقلين (البدو) تماماً فقد طوّحت بهم الصهيونيّة في أماكن خاوية ، وأسكنَتْ مكانهم مهاجرين جدداً في سلسلة من القرى الزراعية العسكرية ورَصَدَت الصهيونية العالمية وأمريكا مبلغاً أولياً قدره ٣٠٠ مليون دولار لمشروع تعمير النّقب في خمس سنوات)[٦٢] وقد صرّح (بن غوريون) لصحيفة «نيويورك تايمز» قائلاً : (إن تنفيذ مشروع النقب سيمكن اليهود من إنشاء ٢٠٠ مئتي قرية على طول الحدود المصرية ، يسكنها مليون على الأقل من شباب منظمات (الحالوتيسم) العسكرية الصهيونية تمهيداً لمعركة حاسمة مع العرب)[٦٣] عامة والمصريين خاصة ذالك أنه (في سنة ١٩٦٠م قام (الجنرال الفرنسي كاربينيه) بزيارة لمنطقة النقب وميناء (ايلات) وقال ضمن تقرير له : إنني بعد زيارة النقب مقتنع بأن المعركة بين إسرائيل والجيش المصري هي معركة صحراء النقب)[٦٤] لذالك فإن كيان إسرائيل الهش يعتمد على النقب بسبب أهمية موقعه ، ويشير إلى ذالك (بن غوريون) ففي ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٠م أكد (أن كيان إسرائيل يتوقف على النقب ولا كيان لها بدونه)[٦٥] لهذا كان لابد من تعمير النقب واستيطانه ، وقد خطب في القدس في ٣٠/١٠/١٩٦٠م فقال مؤكداً : (وبعد عشرة أعوام ستجدون البلاد مزدهرة وعامرة بالسكان من القدس إلى ايلات)[٦٦] وهو مانراه اليوم على أرض الواقع فعلاً حيث انتشرت المستعمرات اليهودية كالسَّرطان في شتى أنحاء النّقب شمالاً ووسطاً وجنوباً .

* الممارسات اليهودية :

قام اليهود بعدد من الاجراءات لتفريغ النقب من أهله ، وإخلائِهِ من السكان ليتَسنّى لهم إنشاء المستوطنات واستجلاب اليهود وتوطينهم في النقب ومن اجراءاتهم التي قاموا بها :

١ ــ القيام بطرد السكان العرب : استخدم اليهود القوة العسكرية لطرد

البدو من ديارهم في النقب ، من خلال إعلان الحرب الشاملة عليهم ، وقد ذكر (أوري ديفس) و(جون ريتشارد سون): (أن السلطات الإسرائيلية قامتْ خلال عام ١٩٤٨م وفي أوائل الخمسينات بعملية طرد جماعية لِبَدْو النقب وألقت بهم خارج حدود ما أصبح يعرف باسم إسرائيل ، وبلغ عدد الذين تَمَّ طردهم مابين ٤٠ و ١٠٠ ألف بدوي)[٦٧] وتحدد بعض المصادر عدد الذين طردوا من البدو بـ ٩٨٦ و ٨٤)[٦٨] فيما تعترف مصادر إسرائيلية (بأن عدد الذين طردوا بلغ ٧١,٠٠٠ ألف نسمة)[٦٩].

٢ ــ محاولة إعادة تشكيل ما تبقى من عرب النقب وصياغتهم صياغة يهودية . وهو أسلوب يهودي ، ذو أهداف بعيدة المدى ، أشار إليه (أوري ديفس وجون ريتشارد سون) حيث قالا : (نودُّ أن نذكر هنا ولو بطريقة عابرة أن قَادةَ الحركة الصهيونية وخاصة (ديفيد بن غوريون) فكروا جدياً في حل صهيوني لما أسموه بالمشكلة البدويَّة ، وينطوي الحل الذي فكروا به على تَحْويل البدو عن ديانتهم ، وإعادة تشكيلهم ، ويقول الجنرال احتياط (جوزيف جيفع) : أن (بن غوريون وبن زفي) درسا امكانية تنفيذ هذه الخطة في إطار ما يعرف باسم عملية (يوهانان) وكان ذالك في بداية الخمسينات إلا أن الخطة تمَّ تأجيلها ثم ألغيت فيما بعد ، وذالك بسبب اعتراض أجهزة المخابرات الإسرائيلية)[٧٠].

* ارتباط القبائل العربية بالنقب :

تمهيد : في عام ١٩٥٠م زار (G. Burg) مدينة الناصرة التي احتلَّها اليهود في عام ١٩٤٨م وكان ممن التقاهم أحد يهود الناصرة ومما قاله ذالك اليهودي : (لستُ أدري فيما نزرعه هنا سنحصده يوماً ما ، ولستُ أودُّ أن أشهد هذا)[٧١] ذالك أن وجود اليهود طاريء حديث لا يقوم على أسس راسخة كوجود العرب في هذه الديار ، وإذا كان العرب ـ بسبب إقصائهم للإسلام كنظام حياة ـ قد ذَلُّوا حتى قامت على جزءٍ من ديارهم دولة للذين لم تَرْضَ شعوب العالم التي كانت تشاركهم في العقيدة ـ نصارى أوروبا ـ أن تجْعلهم يعيشون معهم وبينهم كجزء منهم بل نبذتهم واحتقرتهم وجعلت لهم أماكن خاصة يعيشون فيها منبوذين من قبل أفراد

تلك الشعوب ، فكانت أحياء (الجيتو) اليهودية المعروفة هي أماكنهم الخاصة بهم ويوم ابتغى العرب العز والنصر بغير الإسلام أذلّهم الله ، فانطبقت مقولة الخليفة الفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أن قال : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلّنا الله) والحاضر بما فيه دليل على صدق مقالته رضي الله عنه ويعود الحديث إلى الارتباط العربي القبلي بالأرض وارتباطهم بالنقب ذالك الارتباط التاريخي القديم ، فالنقب عربي إسلاميٌ لم يقطنه عبر التاريخ يهودي واحد ، وإن كانوا قد قطنوا وسط وشمال فلسطين ، ويشير إلى ذالك القائد البريطاني الذي سهل بإيعاز من بريطانيا لليهود احْتِلال النقب يوم أمر بسحب الجيش الأردني من النقب عندما كان في ذالك الوقت ـ عام ١٩٤٩م ـ قائداً للجيش في الأردن ، وهو (كلوب باشا) الذي قال : (إن أفظع ظلامة في مشروع الأمم المتحدة هو أن النقب الذي يمتد من بئر السبع إلى العقبة مسافة مئتي ميل أعطى لليهود في حين أنه لم يكن فيْه يهودي واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط)[٧٢] فمملكة إسرائيل وحسبما ورد في «التوراة» امتدت جنوباً حتى بئر السبع فقط)[٧٣] ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة كيف تمت المؤامرة على سلخ النقب وضمه إلى إسرائيل حتى فضل زعيم عربي شهير احتلال اليهود للنقب من أن يكون تحت سيطرة المصريين فقد تركنا هذا لنناقشه في باب التاريخ عند حديثنا عن تاريخ النقب فيما بعد بإذن الله ونستطيع القول أن النقب أرض عربية لم يقطنها اليهود حتى يوم أن قامتْ لهم دولة في فلسطين وقد كان العرب أهل هذه الديار يقدسون الأرض ويولونها اهتماماً كبيراً وكثيراً ما كانت قبائلهم تقوم بالحروب والنزاعات الدموية بسبب الخلاف على قطعة من الأرض وهذا يؤكد لنا مدى الاهتمام القبلي العربي بالأرض اهتماماً أصلياً ذالك أن البدو الأعراب يحبون الأرض ويتشبثون بها وأنّها سبب رئيسي من أسباب خلافاتهم وحروبهم ، فكلٌ يريد أن يعرف أرضه في ديرته ، وحدود الآخرين كي لا يتجاوز حدوده إلى غيره ، ولا يسمح لغيره أن يتجاوز إليه أو عليه)[٧٤] ذالك أن الولاء عند البدو للقبيلة وديارها دون المبالاة بالحدود السياسية المصطنعة القائمة بين العرب وآثار ذالك باقية إلى يومنا هذا (فالبدو في خلاف مستمر بشأن حدود أراضيهم وملكيتها وطالما جَرَّ الخلاف بينهم

إلى حرب)[٧٥] وقد دفعهم اهتمامهم بديارهم وحدودهم أنه كان (لكل قبيلة جهة محدودة من الجهات الأربع معروفة عندهم بعلامات طبيعية بارزة وفي الجهات التي ليس فيها علامات بارزة يضعون رجوماً من الحجارة للدلالة على الحدود)[٧٦] بل إنه (كثيراً ما تقع صدامات تصل إلى مستويات الحروب بين القبائل على ملكية الأرض ، أو تجاوز الحدود . وحول ذالك يقول (غرانون) خبير الأراضي اليهودي: (إنه كان لكل قبيلة من قبائل بدو النقب أراضيها المحددة ولم تكن تبرحُها أبداً إلاّ مرغمة حتى في أوقات السلم أيضاً وكانت لا تسمح لأحد بالتعدي على حدودها ، حتى ولو لأغراض الرعي بدون اتفاق مسبق على ذالك) وأنه إذا ما رغب شخص ما في بيع حيازته من الأرض فلجاره الحق أولاً ثم لأي من المجاورين الأمر بين من الحمولة نفسها ثم لأي شخص من الحمولة وهَلُمَّ جَرًّا في هيكل التركيب القبلي)[٧٧] وحول شكل هذه الملكية يقول الخبير اليهودي (غرانون) إن ملكية هذه الأراضي تأكدتْ بالتقادمية وأنه حتى الأراضي الصحراوية التي لم تكن صالحة للزراعة كانتْ تقسم بين المُلاّك إذا لم تكن ملكيتُها عامة ، وكانتْ حدودها ترسم بعلامات فارقة غير مرئيَّة في عين الأوروبي المجردة لكنها كانت بيّنة في عين ابن الأرض)[٧٨] ويضيف (بي. شمعون) اليهودي أن (الفرد الواحد من عرب النقب كان يملك قبل عام ١٩٤٨م نحو ٤٠ دونما من الأراضي الزراعية في النقب)[٧٩] ويؤكد (غرانوفسكي) أنه (كان لكل قبيلة أراضيها المحددة ولم تكن تبرحها أبداً)[٨٠] وأضاف يقول بصدد ملكية الأراضي : إنه (حتى الأراضي الصحراوية كانت تقسم بين المالكين إن لم تكن عامة ، وكانت حدودها ترسم بعلامات فارقة وكان السكان في محافظة بئر السبع يحافظون بدقة على حقوق التقسيم والحدود الإقليمية وكان التوسع ممنوعاً منعاً باتًّا وعقوبته شديدة وفقاً للقواعد المقدسة التي كرَّستْها تقاليد عرب المنطقة)[٨١] ليس ذالك فقط بل (كان البدو يسيطرون سيطرة تامة على شؤون النقب قبل وخلال الثلاثة قرون ونصف القرن الأولى من الحكم العثماني ، وكانت صلاتهم بالدولة قليلة أو حتى معدومة وكانت السيطرة على موارد المنطقة وعلى الفوائد المتَحَصِّلة من التّهريب وإرشاد المسافرين والقوافل ومن السيطرة على الطرق عبر الصحراء كانت

تتقاسمها القبائل ثم يعاد تقسيمها تبعاً لنتائج الحروب بين هذه القبائل)[٨٢] وهنا لابُدَّ من الحديث عن استغلال القبائل العربية للأرض في النقب .

* **الزراعة البدوية في النقب :**

إن الحديث عن الزراعة البدوية في النقب وأنماطها يقودنا إلى الحديث عن مناخ هذه المنطقة وطبيعة الأمطار فيها ، ومصادر المياه وفرص التنمية الزراعية ، والمواد التي يزرعها البدو ، ويهتمون بها عندما أخذوا يظهرون اهتمامهم بالزراعة فنقول :

١ ــ **المناخ** : يتصف مناخ النقب بأنه مناخ صحراوي جاف صيفاً ، بارد قليل الرطوبة شتاءًا ويتراوح معدل درجات الحرارة بين ١٧° إلى ١٨° أي بمعدل ٣-٤ درجات أعلى من الساحل الفلسطيني ، وأما في الشتاء فإن الطقس يميل إلى البرودة نوعاً ما ولكنه قليل الرطوبة ، ومعدل النهاية الكبرى للحرارة في النقب يومياً تتراوح ١٣°-١٦° مئوية - أي بمعدل ١-٢ أقل منها على الساحل ومعدل النهاية الصغرى ينخفض عن معدلها في الساحل بنحو درجتين وتنخفض إلى تحت الصفر[٨٣] وتصل عدد الأيام التي تزيد فيها درجة الحرارة عن ٣٠° مئوية إلى ١٢٢ يوماً في السنة أي أكثر من ثلث مجموع أيام السنة أما عدد الأيام التي تقل فيها درجة الحرارة عن ٥° مئوية فإن عددها يصل إلى ٤٤ يوماً أي حوالي ١١٪ من مجموع السنة ، وقد سجلت أدنى درجة حرارة في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) وكانت ١,٧° مئوية أما درجة الحرارة العظمى فقد سجلتْ في ٨/١ وكانت ٣٨° مئوية ، ويبلغ معدل درجة الحرارة اليومي الوسطى ١٨,٦° مئوية ومعدل درجة الحرارة الصغرى ١٢,١° مئوية أما معدل درجة الحرارة العظمى فيبلغ ٢٥,١° مئوية[٨٤] هذا في النقب عامة أما في النقب الجنوبي خاصة فإن المتوسط السنوي للحرارة يتراوح بين ٢١° إلى ٢٤° ويبلغ متوسط أشد الأشهر حرارة من ٢٩°-٣٢° في حين أن متوسط أشد الأشهر برودةً يتراوح مابين ١٠°-١٥° مئوية[٨٥].

ب ــ **الأمطار** : يصل معدل الأمطار السنوي في شمال النقب إلى ٣٠٠ ملم ،

وهو في الجنوب يقل عن ٢٠٠ ملم[٨٦] وحتى هذا المعدل الضئيل يأخذ في الانخفاض التدريجي كلما تباعدت تدريجياً باتجاه الجنوب نحو رأس خليج العقبة ، وفي أحيان كثيرة تتساقط الأمطار بدرجة قوية لتشكل فيضانات مدمرة ، ويبلغ عدد الأيام الممطرة نحو ثلاثين يوماً كحدٍّ أقصى وعشرة أيام كحد أدنى[٨٧] وفي النقب الجنوبي فإن كميات الأمطار تتراوح بين ٥٠ و ٧٥ ملم[٨٨].

جـ ـ الزراعة : اتسمت نظرة البدو للزراعة بالإهمال واللامبالاة ومن هنا كان اعتمادهم بالدرجة الأولى على المواشي من إبل وأغنام وغيرها بسبب الحل والترحال المستمر ، سعياً وراء الكلإ والماء ، وعندما أخذت قبائل العرب بالاستقرار أخذت تلتفت إلى الجانب الذي طالما أهملته ، وهو جانب الزراعة ، وكانوا في بادئ الأمر يتركون هذا العمل للنساء والأطفال ، وفيما بعد أخذ أفراد القبائل وجماعاتهم يهتمّون بالزراعة ، وحول ذالك يتحدث الأستاذ أحمد وصفي زكريا فيقول في حديثه عن أعمال البدو (. . . أما الزراعة فقد كانوا أيضاً يزدرونها ويمتهنون أهلها ويدعونهم (فلاليح) جمع فلّاح ـ لأنها فيما زعموا تربطهم بالأرض ، وتجرهم إلى الخنوع والذل ، وتفقدهم الحريّة والإنطلاق اللذين هما غاية مناهم)[٨٩] حتى قال قائلهم :

لشرط البداوة كل يـوم مغزَى   وعزُّ البداوةِ كل يوم رحيل[٩٠]

ويضيف أحمد وصفي زكريا قائلاً : (ومن أقوالهم في ازدراء الزراعة : الذل بالحرث والمهانَة بالبقر ، ويقابلون هذه الأقوال بكلمة : العز بالإبل ، والشجاعة بالخيل ، إلا أنهم منذ أن انقطعت سبل الغزو ونضب معين السلب والنهب وتوالت سنو المحل والجدب ، وكثر موت الحلال (الماشية) وأكرهوا على الميل نحو الزراعة وشرع رؤساهم وكبراؤهم . . يقتنون الأرضين ، ويتوسعون بالمساحات ، ويتنازعون على الحدود ، ويعنون بالحرث والزرع والري ، ومن ثم صاروا يعتبرون الزراعة ، ويعتبرون أهلها إلى حَدٍّ مّا ولو أنهم لم يوفقوا بعْدُ بِتَعْوِيْد أعرابهم على أعمالها وأتعابها فاعتمدوا في الغالب على سواعد الحضر من أرباب

القرى[٩١] ويقول (أوري ديفس وجون ريتشارد سون) في حديثهما عن زراعة البدو: (كانت الزراعة لدى البدو لا تتطلب إلا القليل من الجهد البدني فإذا ما سقط المطر للمرة الأولى في تشرين الثاني عادةً قام المزارعون من البدو بحرث الأرض وبذرها بالبذور ، وبعد ذالك تترك الأرض إلى أن ينتهي فصل الشتاء حيث يعود مالك الأرض لجني المحصول ، وفي هذه الأثناء التي تمتد من زراعة الأرض إلى جني المحصول يذهب الرعاة مع قطعان ماشيتهم بحثاً عن المراعي ويعني ذالك أنهم كانوا يتركون محاصيلهم دونما رقابة أو حراسة وهو أمرٌ إن دل على شيء فإنما يدل على اعترافهم الجماعي بحقوق الملكية العرفية ، وثقتهم باحترام الأملاك ، وهو الاحترام الذي يعززه نظام المحاكم التقليدية ، ويقوم البدو بقطف محاصيلهم في فصل الربيع حيث يقومون بخلع النباتات من جذورها طلباً لجمع أكبر كمية من العلف ، ويتم قطف المحاصيل عادة في شهر آذار ، وكان البدو يزرعون أرضهم ثلاث سنوات ، ثم يتركونها بلا زراعة مدة سنة ، وكان محصول الحبوب الرئيسي عندهم هو الشعير[٩٢]. وتشير تقديرات الجغرافيين أنه في كل دورة زراعية مؤلفة من سبع سنين في المناطق الزراعية يكون الموسم خِصْباً في سنتين منها ، وموسماً وسطاً في واحدة منها ، وموسماً ضئيلاً في اثنين منها ، وموسماً ممحلاً في السنتين الأخيرتين[٩٣] ويقول (أوري ديفس وجون ريتشارد سون): (كانت الزراعة البدوية تعتمد على مياه الأمطار والتي تتفاوت كمياتها تفاوتاً كبير للغاية ، بين سنة وأخرى ، وكان الحصول على محصول جيِّد لا يحدث إلا بمعدل مرة واحدة كل ثلاث سنوات ، وكان البدو يستخدمون أساليب بدائية في جمع مياه الأمطار ، وأحد هذه الأساليب هو بناءُ السدود في الوِدْيان ، بحيث يتم حبس مياه السيول وراءها ، ولما كانت التربة في النقب مكونة من مزيج من الرمل والطين فإن قدرتها على الاحتفاظ بالماء كانت عالية لذالك فإن الأراضي الواقعة خلف السدود كانتْ تصبح أكثر خصوبة أثناء موسم الزراعة ، وكان إنشاء البرك والخزانات هو الأسلوب الأكثر شيوعاً في جمع الماء ، وكان الماء المتجمع في هذه البرك يستخدم فيما بعد من قبل الإنسان والحيوان ، وكانت البرك ملكاً خاصاً لمن يبنيها ، مع أنه كان يجري تأجيرها أحياناً لموسم واحد ، وخاصة تلك البرك

الكائنة في المراعي ، وأما الآبار فإنها كانت تعتبر ملكاً للجميع[٩٤] وقد كانت هناك مناطق واسعة تقع على جانب الأودية كانت في الماضي تسقى بتحويل مياه السيول من تلك الوديان إلى الحقول بواسطة إقامة السدود ويمكن أن تتوقع حركة زراعية نشيطة إذا استفيد من السدود كما استفاد الأقدمون[٩٥] ويبلغ من درجة تحول البدو واهتمامهم بالزراعة أنه كان لكل عشيرة أراضيها الزراعية والتي كانوا يسمونها (مزارع) يتقاسمها أفراد العشيرة فيما بينهم ، ويشير (ي. شمعوني) أن (الفرد الواحد من عرب النقب كان يملك قبل عام ١٩٤٨م نحو ٤٠ دونما من الأراضي الزراعية في النقب)[٩٦] (فقد واصلوا زراعتهم للأرض وامتلكوها وفق التقليد الإسلامي ، ووفق القوانين العثمانية ، ومن بعدها البريطانية)[٩٧] وقد وصل عدد الذين كانوا يمارسون الزراعة في النقب قبل عام ١٩٤٨م وفقاً للمصادر الإسرائيلية نحو ٧٠ ألفاً كانوا يزرعون نحو مليون ونصف المليون دونم)[٩٨] وفيما يتعلق بالوقت الذي بدأ فيه البدو يزاولون الزراعة فإن هذا يظل من الأمور التي يصعب تحديدها بدقة ويقول بعض المراقبين : إن الزراعة عند البدو بدأت مع قدوم الصهاينة ولكن معظمهم يرجعها إلى ما قبل ذالك .

وتعود أنظمة حفظ الماء في النقب إلى القرون الأولى بعد الميلاد وأما الزراعة فإنها بدأت كما يقول أحد الكتاب خلال القرون القليلة الماضية ، فيما يرى كاتب آخر أنها بدأت خلال السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وقد ازداد النشاط الزراعي عند البدو ازدياداً ملحوظاً ، مع وصول البريطانيين)[٩٩] والصحيح أن في هذا تجنٍّ على استغلال عرب هذه الديار لأراضيهم من الناحية الزراعية واستغلالِ ثروات أشجارها ذالك أن شأن البدو مع الزراعة هو الاهتمام بها ووفق إطار ضَيِّقٍ بسبب ماهم عليه من حَلّ وتَرْحال ، ومن هنا نجد أن بعض الرحالة يذكر شيئاً عن زراعة البدو ، أو استغلال البدو للنواحي النَّباتية فالجزيري مثلاً (٩١١ - ٩٧٦ تقريباً) يذكر أن قبائل العرب هي التي زرعت وتملك أشجار النخيل في عقبة ايلة كما سيجيء في الحديث عن (المرشش) فيما بعد ، ومن ذالك ما ذكره (بيركهات) الذي مَرَّ بالنقب الجنوبي عام ١٨١٦م حيث ذكر أن عربان

(الأحيوات) يجمعون الصمغ العربي من وادي اللحيانة الغني بهذه الأشجار ، ويبيعونه في القاهرة ـ كما سيجيء في الحديث عن اللحيانة في موضعه في هذا البحث والتساؤل المطروح : هل تصلح الزراعة وهي عمل يحتاج للاستقرار لقوم يرون أن الحل والترحال دَيْدَنُهُمْ اللهم إلا في فترات استقرار قليلة غير دائمة ، ولعل وجود أشجار النخيل واحتفاظ البدو بملكيتها على بعض العيون القليلة المنتشرة في نواحي صحراء النقب تدلك أن البدو إذا ما أقاموا واستقروا فإنهم سيجيدون الزراعة كما أجادوا الغزو والسلب والنهب ، لهذا وانطلاقاً من وضعهم وظروفهم تلك كانوا كما وصفهم الدكتور محمد السيد غلّاب الذي قال حول الزراعة: (لا يهتم البدو بها مطلقاً ، بل يكتفون بالهبوط إليها ـ يعني الأرض الزراعية ـ ويحدقون في قنواتها كأنما شقت بيد ساحر ، وقد يزرع بعضهم الذرة ولكنهم يكتفون من الزراعة بوضع البذور في الأرض ، والعودة إليها وقت نضوج المحصول ، وإذا بدأت الحشائش الطفيلية تُزَاحِمُ البذور غذاءها لا يكلفون أنفسهم مشقة تنظيف الأرض من هذه الحشائش بانتزاعها وحرث الأرض : هؤلاء هم البدو يعزفون عن الزراعة ، وإذا اضطروا إليها فإنهم يبذلون فيها أَقَلَّ جُهْدٍ ممكن ، ولكنهم يستطيعون أن يجوبوا الصحراء لَيَالي تتلوها ليالٍ ، بحثاً عن ناقة شردتْ ، ويستطيعون التعرف عليها بسهولة ، ويحفظون طرق الصحراء ودروبها ، وهم عنصر يجب أن تنتفع به البلاد ، وتستفيد من خبراته . . . والوسيلة إلى ذالك رفع مستوى هذا العنصر)[١٠٠].

* الوصف العام وطبيعة تكوين النقب الجنوبي :

يعتبر النقب الجنوبي صحراءً بالمعنى الحقيقي[١٠١] حيث (تتميز هذه المنطقة بصحراويتها المتطرفة)[١٠٢] كما يعتبر هذا القسم منطقة جبلية بوجه عام ويتّصف بالأنحدارات الشديدة ، والوديان العميقة بين الجبال، وتَنتهي نحو الشرق بانحدارات حادّة تؤدي إلى وادي عَرَبة ، وينحصر إمكان السير فيه على الشعاب)[١٠٣] كما يتصف بأنه (لا يوجد به عنصر واحد من العناصر التي تقوم عليها الحياة الزراعية والرعوية فهو أراضي صخرية تندر فيها التربة المناسبة

وتتضاءل فيها فرصة الحصول على الماء(١٠٤) ولهذا فإن الفيضانات نادرة الحدوث في كل من وادي الجرافي ورافده وادي أُصَيْحر ، وكذالك في وادي اللحيانَة ، ولا تستطيع هذه الأودية أن تساهم في حركة الاستيطان الزراعي إلا في أضيق الحدود المحلية ، كما أن الأرض الصخرية تندر فيها التربة الصالحة للزراعة إلا في بقع متفرقة على طول الأودية(١٠٥) ويتألف النقب الجنوبي : (من هضاب واسعة تحتلها هضبة الجرافي ، وجبل السِّناف ، وتنتهي هذه الهضاب في الشرق بغورِ العِجْرم منخفضة من علو متوسطه ٥٠٠ متر عن سطح البحر إلى متوسط ارتفاع لغور العِجْرم قدره ٢٥٠ ـ ٣٥٠ متراً عن سطح البحر ويسود الانبساط المتموج هذه الهضاب التي تتألف من صخور رسوبية شبه أفقية ، مكونة من الحجر الكلس والحواري والرملي مع الصّوان والمارن ، وتظهر أيضاً ترسبات رباعية العمر من الأنقاض واللحيقات والحصا في بطون الأودية ، الخارقة للهضبة من الجنوبي الغربي إلى الشمال الشرقي كوادي الجرافي ووادي اللحيانة كما تظهر في سهل العقفي وبعض المنخفضات الصغيرة ، وتُعَدُّ هضبة الجرافي منطقة هادئة نسبياً من الناحية البنائية [التكوينية] بالرغم من تأثرها ببعض الحركات البنائية التي كونت أسنمة صغيرة ضعيفة الارتفاع والنهوض وبعض خطوط الصدوع ذات المحاور الشرقية ـ الغربية في حين اتجهت محاور الأسنمة نحو الشمال الشرقي منسجمة في ذالك مع المحاور الرئيسية لأسنمة النقب بصورة عامة ، ولكن هذا الهدوء النسبي المميز لهضبة الجرافي ينقلب في أقصى جنوب النقب إلى تشويش وتخلّع للأرض بعدد متزايد من الصدوع الصغيرة جنوب سهل العقفي وحوله أيضاً ، وتعود الأرض فترتفع لتشكل جبالاً وهضاباً ترتفع إلى متوسط قدره ٦٠٠-٦٥٠ متراً عن سطح البحر ، وتساير قممها الحدود الفلسطينية المصرية حيث ترتفع في جبل أمّ قُفّ إلى ٨٦٣ متراً وفي جبل (أبو علاليق) إلى ٨٣٣ متراً ، ومن خط الحدود تتناقص الارتفاعات شرقاً لمسافة قصيرة حتى حافات هذه الجبال والهضاب التي تشرف بجروف قاسية ، وجوانب محددة بعدد كبير من الأودية العميقة القصيرة على منخفض وادي عَربة الجنوبي ، وسبخة طابا ، وكثيراً ما تكون هذه الجروف متتالية على شكل درجات واضحة في تضاريس المنطقة إلى أن تنتهي على ساحل

خليج العقبة بين المرشش [إيلات] ورأس طابا نقطة الحدود الفلسطينية المصرية على خليج العقبة)[١٠٦] وهكذا فالنقب صحراوي وشبه صحراوي في ظروفه الجغرافية الطبيعية التي تجعل منه امتداداً طبيعياً لصحراء شبه الجزيرة العربية وسيناء في الجنوب والجنوب الغربي من النقب[١٠٧].

ويمكن تقسيم النقب الجنوبي إلى منطقتين اثنتين وهما :

أولاً : هضبة الجرافي :

يطلق اليهود على هضبة الجرافي اسم هضبة فاران (Paran)[١٠٨] التي ذكرها (جورج بوست) في «قاموس الكتاب المقدس» (١٤٦/٢) بأنها من بَرِيَّة فاران بمعنى موضع المغائر[١٠٩] وقد دُعِيتْ باسم الجرافي نسبة إلى وادي الجرافي الذي يخترقها من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي ، ويبلغ عرضها نحو ٣٠ كيلاً ويتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ متر (نحو ٢٠٠٠ قدم) عند الحدود المصرية و ١٠٠ (نحو ٣٧٠ قدماً) عند دخول الجرافي في وادي عَرَبَة)[١١٠] ومعظم أراضي الهضبة منبسط سهلي تتألف من صخور كلسية وفرنية[١١١] وهضبة الجرافي (تمتد في منطقة متسعة تبدأ في شبه جزيرة سيناء على ارتفاع نحو ٦٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، ثم تنحدر بالتدريج نحو الشمال الشرقي حتى تنتهي في سهل البها (على مشارق وادي عَرَبة) بحافة جبلية متقطعة ، لا يزيد ارتفاعها على مئة متر فوق سطح البحر ، وتحيط بها من الشمال أودية فالقية ، تطل عليها الهضبة بخط متقطع من الحافات الجبلية الوعرة يبلغ ارتفاعها النسبي ٤٠٠ ـ ٧٥٠ متراً وتفصل هذه الأودية بين هضبة الجرافي في الجنوب وبين أطراف كتلة الرمان (جبال عوريف) والمغارة وسماوة في الشمال وهضبة الجرافي عبارة عن سهل تحاتيّ متموج قليلاً، تغطيه حمادات حصوية لا يفصلها سوى بقايا جبلية متقطعة متباعدة يتراوح ارتفاعها ٤٠٠ ـ ٦٠٠ متر فوق سطح البحر ، وأهمها جبل السناف (تصنيفيم) وجبل وادي (أبو حمضة) وجبل أم فروث ، (فاروت) وجبل الأبْيرق ـ الخريج (بيرخ) وجبل أم بطمة (بسمت) وجبل القطّار (اراحوت) وجبل القَريق (ميشار) ويتكون سطح الهضبة في معظم الجهات من رواسب الحجر الرملي النوبي القارية ،

بينما تغطي صخور الحجر الجيري الطباشيري والمارلي الجزء الباقي منها ، وتقع القاعدة الصخرية تحت السطح مباشرة بل تظهر فوقه في بقع متفرقة من جبل الحُمرة على حدود سيناء ووادي المنيعية (تيمناع) في الوسط ويوجد وسط هذه المسطحات مشَبكة من الأودية الجافة أهمها وادي الجرافي (ناحال فران) أطول أودية النقب جميعاً (طوله حوالي ١٤٠ كيلاً وكثيراً ما يصل اتساع مجراه إلى نحو ثلاثة أكيال ، وروافده وادي أُصيحر (ناحال تصيحور) الذي يجري في غوم العجرم ، وقد تكونت الأجراف الوعرة والحافات على جانبي وادي الجرافي في المجرى الأوسط ، وعملت روافده العديدة على جرف التربة من جهات واسعة ، كما يجري في الهضبة وادي اللحيانة (ناحال حيون) وروافده وادي العقفي (عوفدا) وينتهي هذا الوادي أيضاً في غور العجرم ثم إلى وادي العربة ، ويبلغ اتّساع مجراه أحياناً حوالي ستة أكيال وقد ملأته الرمال ، وتوجد في شمال الهضبة قاعة القريق (هاميشار)[١١٢] .

ثانياً : جبال ومرتفعات المرشش :

تمتد هذه المنطقة من البحر الأحمر نحو ٤٠ كيلاً (٢٥ ميلاً) شمالاً ويتراوح عرضها بين ٣ ـ ٦ كيلات (٢ ـ ٤ أميال) وترتفع التلال نحو ٩٠٠ متر عن سطح البحر[١١٣] وتتألف من مجموعة من الكتل الجبلية الصغيرة تقع في منطقة طولها حوالي ٣٤ كيلاً من خليج العقبة في الجنوب حتى جبال غضيان ـ المنيعة في الشمال ، وتصل بعض القمم الجبلية في ارتفاعها إلى ٨٠٠ ـ ٩٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وهي ذات سفوح وعرة شديدة الانحدار تحيط بها الأودية الخانقة[١١٤]، وتقترب هذه التلال من مرتفعات جنوب شرق شبه جزيرة سيناء ومنطقة الجبال الغربية السعودية المطلة على سواحل خليج العقبة الشرقي وكأنّها امتداد لهذه الجبال . . . ويبدو أن هذه السلسلة الجبلية كانت مغطاة بمياه البحر لفترة (جيولوجية) قصيرة ، ثم تعرضت للحركات الأرضيّة التي أدت إلى ما يدعى بالانهدام الأسيوي الأفريقي ، حيث ساعدت عمليات التُعرية عن طريق وادي عربة وروافده على نحت السطح ، وإظهار الصخور النارية وتظهر الصخور

المتبلورة على السطح شمال المرشش بـ ٣٤ كيلاً ولكن هذا الامتداد يتميز بعرض ضيق يتراوح بين ٣ ـ ٥ أكيال وأن حطام الصخور التي شكلت طبقة (جيولوجية) قد التجمت بمادة (اسمنتية) متخذة ألواناً متعددة من الصخر الرملي النوبي الذي شكل دائرة أخرى حول صخور (الكمبري) الأسفل وتبدي الصخور الجوفية والمتحولة في تلال المرشش اختلافاً كبيراً بين (الجرانيت) الفاتح إلى (الديوريت) الداكن و(الإياباز) المخضر و(الدلولايت) السكني و(الكوارتز) القاسي ويؤثر المدى الحراري على تشظي الصخور حيث يزيد المدى الحراري السنوي على ٤٠° مئوية بينما يزيد المدى الحراري اليومي في الشتاء على ١٠° مئوية ، ويزيد في الصيف على ١٥° مئوية مما يؤدي إلى تقلص وتمدد الصخر ، ونتيجة حدوث هذه الظاهرة لفترات زمنيّة طويلة فإن سطح الصخر يأخذ بالتشقق والتشظي ، وتأخذ عوامل التّعرية وخاصة الريحية على إكمال دور تعرية هذه الصخور ، فنلاحظ تكون ترسبات من الحصا والرمل المختلف الأحجام تساقطت من على سفوح المنحدرات ، وغطت أقدامها ، ولكن الكميات المنقولة من هذه المواد إلى البحر قليلة ، وذالك لقلة كميات الأمطار التي تؤدي إلى نقلها إلى البحر[١١٥] وأهم جبال ومرتفعات المرشش .

١ ــ نقب الحاج : الذي عرف تاريخياً باسم (عقبة أيلة) .

٢ ــ الرِّياحِيَّة . ٣ ــ المَصْري . ٤ ــ القُرَيْقَرَة .

٥ ــ أمْ قُف . ٦ ــ المنيعيّة . ٧ ــ أم بُطْمة

٨ ــ الأُبَيْرِق . ٩ ــ غِضْيان . ١٠ ــ السُّوَيْدِي . ١١ ــ حَنْدَس .

١٢ ــ أبو علاليق . ١٣ ــ الشّنانة . ١٤ ــ الرَّدَادِي . ١٥ ــ رَخَمَة .

وترتكز جبال المرشش على قاعدة (جرانِيْتِيَّة) طفحية ومتحولة كثيراً ما تظهر على السطح في شريط يبلغ عرضه ٣-٥ أكيال كما توجد الصخور الجيرية الصلبة و(الدولوماثية) (الكامبرية) في منطقة صغيرة من وادي المنيعية وتحتوي الصخور

(الجرانيتية) على عدة أنواع من المواد المعدنية مثل (الكوارتز) و(الاورتوكليز) و(المايكا) إلا أن استغلالها غير اقتصادي كما توجد رواسب النّحاس في جبل غضيان ، وخام (المنغنيز) في وادي المنيعية بين تكوين (الدولومايت) وقد عملت التجوية الصحراوية الحادة والتعرية المائية على شق عدد من الأودية والفجوات في رواسب الحجر الرملي ، وأهم هذه الأودية وادي المصري (ناحال شلومو) ووادي السويدي (ناحال شيحوريت) ووادي العِمْراني (امرام) ووادي المنيعية (تيمناع) ونتج عن ذالك بعض الأشكال (المورفولوجية) الجذّابة مثل أعمدة سليمان وأعمدة العمراني (امرام) ورسبت المواد المنقولة في خوانق الأودية والمسطحات فأغلقتها كما غطى الجزء الباقي ومنها الحافات الصخرية الغاطسة في خليج العقبة ، وقد تخلف عن عوامل النحت عدد كبير من القمم الجبلية (الجرانيتية) المدببة والتلال الدائرية المخروطية ، وعدد كبير من الشقوق والمسطحات الصخرية المصقولة[١١٦].

(للبحث صلة العقبة: راشد بن حمدان الاحيوي

الحواشي :

(١) أوراق عارف العارف المجموعة الثامنة: مأساة البدو في النقب وقطاع بئر السبع الصادر عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، تموز ١٩٧٣م/ بيروت/ لبنان ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ . مصطفى مراد الدباغ ط ٢/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م عن مطابع الجمعية العلمية الملكية ـ عمان ـ الأردن . ص ٤٥٩ ، موسوعة سيناء عدة مؤلفين عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ص ٢٨ .

(٣) بلادنا فلسطين ج ١ قسم ١ . مصطفى مراد الدباغ ط ٢/ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م . منشورات دار الطليعة بيروت لبنان ص ١٢٢ .

(٤) (٥) المصدر السابق ص ٣٩٢ ، حاشية ص ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق ج ١ ق ٢ ص ٤٥٩ .

(٧) أوراق العارف ص ٥ ـ ٦ .

(٨) تاريخ بئر السبع وقبائلها . عارف العارف عن مطبعة بيت المقدس ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ص ١٥٩ .

(٩) تقويم البلدان لأبي الفداء ص ١٠٩ .

(١٠) موسوعة سيناء ص ٣٠ .

(١١) الموسوعة الفلسطينية المجلد ٤ ط ١/١٩٨٤م ص ٤٩١ .

(١٢) معجم البلدان ياقوت الحموي . رسم جزيرة ، ومعجم ما استعجم للبكري .

(١٣) معجم البلدان ج ٢ رسم حجاز .

(١٤) معجم ما استعجم ج ٤ رسم مدين .
(١٥) الخطط المقريزية للمقريزي ج ١ عن دار صادر بيروت ص ١٨٨ .
(١٦) معجم البلدان ج ٤ رسم مدين .
(١٧) معجم ما استعجم ج ٤ رسم مدين .
(١٨) معجم البلدان ج ٤ رسم فلسطين .
(١٩) المصدر السابق ج ١ رسم ايله .
(٢٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي عن مكتبة خياط/ لبنان. ص ١٧٨ .
(٢١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ القسم الثاني صادر بمصر ص ١٩ .
(٢٢) معجم البلدان ج ١ رسم ايله .
(٢٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢ ص ١٩ .
(٢٤) المشترك وضعا والمفترق صقعا . رسم ايله .
(٢٥) تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها. نعوم بك شقير. مطبعة المعارف بمصر ١٩١٦م ص٢٠٠.
(٢٦) معجم البلدان رسم الشراة .
(٢٧) موسوعة سيناء ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢٨) المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته . ادوي ديفس + جون ريتشارد سون ط ١/ ١٩٨٥م . دار الكرمل عمّان ص ٢٧ مجلة صامد الاقتصادي سنة ٦ عدد ٥٠/ ٥١ ص ٨٦ .
(٢٩) بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .
(٣٠) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٠ ، وسنة ٥ عدد ٣٩ ص ١٢٢ ، بئر السبع حسن أبو سمّور صادر عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية/ ١٩٨٨م ص ٧ ، أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨م . قسطنطين خمار ص ٢٣٨ ، جغرافية فلسطين العسكرية . محمد الشاعر/ ١٩٧٠م ص ٩٣ . . . الخ .
(٣١) معجم البلدان ج ٢ رسم التيه، تقويم البلدان ص ١٠٩ ، الانتصار لواسطة عقد الامصار القسم الثاني لإبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي الشهير بابن دقماق تحقيق لجنة احياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة ببيروت ص ٥٤ .
(٣٢) تاريخ سيناء ص ١٩ .
(٣٣) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٣٤) حدود فلسطين د. محمد الديب/ ١٩٧٩م ص ١٠٤ .
(٣٥) المصدر السابق ص ١٠٦ .
(٣٦) المصدر السابق ص ١٠٨ .
(٣٧) المصدر السابق ص ١٠٨ .
(٣٨) المصدر السابق ص ١٠٦ .
(٣٩) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩١ .
(٤٠) تاريخ سيناء ص ٦١٢ ـ ٦١٣ .
(٤١) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩١ .
(٤٢) جغرافية فلسطين العسكرية ص ١٣٤ .
(٤٣) جغرافية الاستيطان رسالة ماجستير ج ١ صبحي يوسف عيد ص ٧٠ .
(٤٤) المدخل الشرقي لمصر . د. عباس مصطفى عمار القاهرة ١٩٤٦م ص ١٧٤ .

(٤٥) تاريخ سيناء ص ٢٠١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١١٥ وج ١ ق ٢ ص ٤٧٤ .
(٤٦) مقدمة لدراسة العشائر الأردنية . د. أحمد العبادي ط ١ ص ٣١٠ و ٣١٥ .
(٤٧) المصدر السابق ص ٣١٥ .
(٤٨) موسوعة سيناء ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٤٩) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ ، مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ .
(٥٠) رسائل بن غوريون ترجمة دينا عبدالحميد ط ١ ص ٧٤ .
(٥١) خليج العقبة ومضائق تيران . عبدالباري النجم ط ١ الوصل العراق ص ٨٠ .
(٥٢) رسائل بن غوريون ص ١١٠ .
(٥٣) المصدر السابق ص ١١٢ .
(٥٤) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٥٥) المصدر السابق ص ١٢٢ .
(٥٦) خليج العقبة ص ٦٩ .
(٥٧) رسائل بن غوريون ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٥٨) خليج العقبة ص ٧٠ .
(٥٩) رسائل بن غوريون ص ١٤٥ .
(٦٠) خليج العقبة ص ٧٠ .
(٦١) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٦٢) المصدر السابق ص ٧٦ ـ ٧٧ .
(٦٣) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٦٤) المصدر السابق ص ٨٥ .
(٦٥) المصدر السابق ، مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ .
(٦٦) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٠٦ .
(٦٧) المجتمع البدوي في النقب ص ٧٦ .
(٦٨) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٦ .
(٦٩) المصدر السابق ص ٩٨ .
(٧٠) المجتمع البدوي في النقب ص ٧٥ .
(٧١) الارهاب الإسرائيلي . فرانتز شايدل . ترجمة محمد جديد . دمشق ١٩٧١ ص ١٢٦ .
(٧٢) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٢ .
(٧٣) تاريخ بئر السبع وقبائلها ص ١١ و ٢٨ .
(٧٤) مقدمة لدراسة العشائر الأردنية ص ٣١١ .
(٧٥) تاريخ سيناء ص ٣٥٩ .
(٧٦) المصدر السابق ص ٤٠٤ .
(٧٧) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ .
(٧٨) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٧٩) المصدر السابق سنة ٥ عدد ٣٩ ص ١٢٥ .

(٨٠) (٨١) المصدر السابق ص ١٢٥ .
(٨٢) المجتمع البدوي في النقب ص ٨ .
(٨٣) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٤ .
(٨٤) بئر السبع ص ٢٠ .
(٨٥) الموسوعة الفلسطينية ج ٤ رسم النقب ص ٤٩٣ .
(٨٦) المجتمع البدوي في النقب ص ٧ .
(٨٧) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧٠ و ٧١ .
(٨٨) الموسوعة الفلسطينية ج ٤ رسم النقب ص ٤٩٣ .
(٨٩) عشائر الشام . أحمد وصفي زكريا . ط ٢ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م . ص ٢٣٦ .
(٩٠) تاريخ سيناء ص ٣٨٧ .
(٩١) عشائر الشام ص ٢٣٦ .
(٩٢) المجتمع البدوي في النقب ص ١٧ .
(٩٣) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٤ عدد ٢٤ ص ٧١ ، بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٦ .
(٩٤) المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ .
(٩٥) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٢٦ .
(٩٦) مجلة صامد الاقتصادي سنة ٥ عدد ١٣٩ ص ١٢٥ .
(٩٧) (٩٨) المصدر السابق .
(٩٩) المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ .
(١٠٠) موسوعة سيناء ص ٣٤ .
(١٠١) المجتمع البدوي في النقب ص ٧ .
(١٠٢) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٥٤ .
(١٠٣) جغرافية فلسطين العسكرية ص ١٣٤ .
(١٠٤) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٧٠ .
(١٠٥) المصدر السابق ص ٥٤ .
(١٠٦) الموسوعة الفلسطينية مجلد ٤ رسم النقب ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .
(١٠٧) المصدر السابق ص ٤٩٤ .
(١٠٨) من هنا وهناك . مصطفى مراد الدباغ ط ١ ١٩٨٦م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ص ١٥ ، وجغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٢ .
(١٠٩) من هنا وهناك ص ١٥ .
(١١٠) المصدر السابق ص ١٣ .
(١١١) المصدر السابق ص ١٥ .
(١١٢) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢١ - ٢٢ .
(١١٣) من هنا وهناك ص ١٠ .
(١١٤) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٢ .
(١١٥) بئر السبع ص ٢٦ .
(١١٦) جغرافية الاستيطان ج ١ ص ٢٣ - ٢٤ .

شاعر من القطيف :

علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي

الذين ترجموا هذا الشاعر نسبوه إلى البصرة ، وهكذا ينسب كثير من شعراء الجزيرة إلى البصرة ، كجرير والفرزدق وغيرهما ، ولكن نسب هذا الشاعر ومقطوعات من شعره توضح صلته بهذه البلاد .

هذا الشاعر هو علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي ، قال القفطي في «انباه الرواة»[1] : يتصل نسبه بعامر بن الحارث بن انمار بن وديعة من عبدالقيس ، ولد سنة ٥٢٤ بالبصرة وتوفي بها سنة ٥٩٩ ، له معرفة في الأدب والعروض ، وله في ذالك مصنفات ، وتصدر ببلدة البصرة ، وأقرأ الناس الأدب والحديث والعروض ، ونعم الشيخ كان ، فضلاً وثقة . وترجمه ياقوت في «معجم الأدباء» كما ترجم في مؤلفات أخرى ككتاب «خريدة القصر وجريدة العصر»[2] ومما جاء في الترجمة : شاب من أهل العلم وأصحاب (الحَدِيث) ، متوقّد الذكاء ، وله يد في علم العَروض والقوافي . كان خدم بـ (بغداد) سنة سبع وخمسين وخمس مئة ، فلمّا انحدرتُ ، في نيابة الوزير ، إلى (البصرة) في شوّال من السَّنَة ـ رافقني إليها ، وكنا نتناشد الأشعار ، ونتذاكر طُرَف الأخبار ، ومُدَّة مقامي بـ (البصرة) إلى أن خَرَجت منها ، في جُمادَى الآخرة سنة ثمان وخمسين ، ماكان يُخِلّ بمحاضرتي .

فمما أنشدني لنفسه ، أبيات له في ذمّ (تارُوتَ) جزيرةٍ بـ (البَحْرين) عند كونه بـ (القَطيف) سنة أربع وخمسين وخمس مئة :

قَبَّح الله ليلتي ومَبِيتي ... أتلَوى للجوع في (تاروتِ)
ليس عندي سِوى ثيابيَ شيءٌ ... مثل مَيْت قد حلَّ في تابُوتِ
وحِصاني نِضْوٌ من الجوع مثلي ... فاقِدٌ قتَّه كفقديَ قُوتي

وأنشدني أيضاً مما كتبه إلى والدته ، وكتبت هي في جوابها ، وتَرِد في شعرها . ووالدته هي الفقيهة أمُّ علي الرشيدة ، بنت الفقيه أبي الفضل بن محمد بن علي بن المؤمل بن تمام التميمي المالكي ، كانت تعيش في البصرة ، وهي مؤدبة . وكان

ولدها الأديب علي العبدي يتردَّد إليَّ ، فقال لي : كنت غائباً عن والدتي في بعض أسفاري ، فكتبت إليها قصيدة طويلة :

سِيّانِ إنْ عذَرُوا فيكم وإنْ عـذَلُوا ... لأنّـني عن هـواكـم لسـتُ أنتقـلُ
لا أكذِبُ الله ، مالي - غير حُبكُمُ ... والاسـتزادةِ من وجدٍ بكم - شُغُلُ
وليس في الناس لي - لو كان ينفعكُم ... أنْ تَعلموا ذاك مني - غيركم أملُ
أشتـاقكم ، ويـودي لـو يـواصلُني ... خيالكُم، لـو بنـومٍ كنت أكتحـلُ
وقد صحِبْتُ أناساً، واشترطت لكم ... قلبي، ويصحبهم جسمي وقد قَبِلُوا
قـلبي يميـلُ إليكم دونَ غيـركُمُ ... وإنْ صدَدْتُم، وإنْ صافَوْا وإنْ وصَلُوا
ورُبّمـا قـلتُ لـلواشي إليَّ بِـكُـمْ: ... هم الأحِبّةُ إنْ جاروا وإنْ عـذَلُـوا
صِلوا، وصُدوا، وجُوروا، واعدلوا، وقِفُوا ... عـما أحِب، فعنـدي بعـد مُحْتَمـلُ
مهـما فعلتم فـمحمـولٌ ومغتفـرٌ، ... ومـا أمـرتـم فمسمـوعٌ، ومُمْتَثَـلُ

قال: فأجابت والدتي عنها بقصيدة منها :

لـولا الأماني والتّسـويف والأمَلُ ... مـاكان يكنفي سهـلٌ ولا جَبَلُ
وكلما اشتـد بي نـارٌ تُعَـذبني ... فليس إلا دمـوع العينِ تَنهمـلُ
وقـد تعلَّلْتُ أسبابـاً لـرؤيتكم ... فكيف بي وبكم إن فاتتِ العِلَلُ؟
أَهْذي بِكُمْ حَسْب، مالحيا؛ فإن حضَـرتْ ... مني الـوفاةُ وأوفَى دُونيَ الأجَـلُ
ناديتُ: لا تأخذوا ثأري بهم هبةً ... هُم الأحبة إن جاروا وان عَدلُوا
قد ضاع لُبي، وهامت همَّتي ولَهاً ... ياغايةَ السُّؤل قد ضاقت بيَ الحِيَل
لأظهِرنَّ هوىً قد كنت أكتُمُه، ... فليس لي في هوى أمثالِكم خجلُ

قال : ولها أيضاً جواب شيء كتبته إليها ، فأجابت :

وَصَـلَ الكتـاب وسِره وضميـرُهُ ... فـظَللتُ أسْرحُ نـاظري وأدِيـرُه
.. فيها تضَمنه، لأجلو ناظري ... وأقـول: يامَنْ عـز فيه نـظيـرُهُ

بأبي وأمي ما اشتكيتَ من الأسى فاشتدَّ في قلبي، فُدِيتَ، زفيرُهُ

ومنها :

فَسَلِ المُتَيَّمَ بَعْدَ بُعْـدِ ديارِكم من غير سوءٍ: كيف كان مصيرُهُ؟
كلفتَه، صَـدًّا وبُعْـداً عنكم، أمراً يَهُدُّ قُـوَى الجبالِ عَسِيـرُهُ
يـامَن تـآمـر في الفؤاد تحكُّمـاً مـاذلَّ من كـان الجمـالَ أميـرُهُ
مـاكـان تـأخيـرُ الجـواب تثبُّـطاً لا، بل لأِسباب جرتْ تأخيرُهُ

قال : وكتبتْ إليَّ أيضاً ، وأنا بـ(البَحْرين) من قصيدة :

تحيـة ربي كـل يـوم مجـددٍ على رَبْعِ ذاتِ الخالِ ماهبتِ الصبًّا
إذا كنتم في الرَّبْع قرتْ بقربه، وقلت له: يارَبْع (مَيَّة) مـرحبا
ولا مرحباً بالربعِ لستم حُلُولَه ولو كان مُخْضَل الجوانبِ مُعْشِبا

ومنها :

صَبَوت إليكم غيرَ طالبِ ريبةٍ، ولا غَرو إنْ قال العَواذل: قد صبَا
وألفْتُ بين الشوقِ والصَّبرِ عَنكُمُ فما اجتمعا، بل كان شوقُك أغلبا
ولما سألت القلبَ سلوةَ حُبكم، وشـاورتُـه فيـها أُحـاوِلـه، أبى!

ومنها :

وما استطعمتْ نفسي طعاماً بلذة ولا استعذبتْ من بعد بُعْدِك مَشْرَبا
فيا منتهى الآمالِ، يا منتهى المُنَى أُرددُهـا حـتى أَهِيـمَ وأطْـرَبـا
تَوخَّي كتابي، وابْعَثي لي رسالةً كتاباً بليغاً عن كتابـك مُعْرِبـا

وأنشدني أيضاً لوالدته (الرشيدة) هذه، من قصيدة أولها :

عُوجا على أرضهم غداً، ولِجا والْتَمِسـا لي من حبهم فَـرجـا
ثُم اسـألا عنهم الدِّيـار، عسى تُـظْهِرُ لي من جـوابهـا حُجَجـا

ومنها :

لا تمـدَحَنَّ غيـرَ من تُجَـرِّبُـهُ فـرُبمـا يستحقُّ منـك هِجَـا

فكم دخيلٍ بغيرِ معرفةٍ غيرِ عليمٍ بأنّه خَرَجَا
واصْبِرِ لصَرفِ الزَّمانِ محتسِباً بما طواه الزمانُ وانْدَرَجا
لا تُؤكَلُ القِدرُ غيرَ ناضجةٍ وجادَ أكلُ الطعامِ إنْ نَضِجا

ولها أنشدني ولدها علي العبدي :

تضايقتِ الأمور، فَدَتْكَ نفسي بلا شكوى، ويُوشِك أن تَضيقا
إذا أعياك أمرٌ في مهمٍ، ولم تلحقْ لمخرجه طريقا
فثِقْ بالله فارجِ كل هَمٍ، وسَلْ من بَعْد ذالِكم الصَّديقا

وأنشدني أيضاً ولدها علي لها :

دَعْ سالفَ الأمواتِ، لا تَبكْهِم وابْكِ على نفسك ياجاهلُ!
ماأنت بالخالد من بعدهم، أنت على آثارهم راحلُ!

وأنشدني لها ولدُها مَرثِيَةً:

أقولُ، ولم أبلُغ نهاية فضلها: بكاك، ويبكي الوالدُ المتندِمُ
تشيرُ، فلا يَعْيا الصَّواب برأيها يَعِزُّ علينا كيف تُنسَى وتعدمُ
وإن تَك قد ماتت، لنا أسوةٌ بمَنْ مضى قبلَها فيها يُظَن ويُعلَمُ
و(فاطمة الزهراءُ) بنت (مُحَمَّد) عليها سلامُ الله ماتت، و(مَرْيَمُ)

انتهى مافي «الخريدة» ويظهر أن مؤلفها العماد الأصفهاني استقى معلوماته عن شاعري القطيف اللذين تقدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُمَا[٣] قد تلقاها عن هذا الشاعر، وقد صرح بذالك في مواضع عند ذكر ترجمتها .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) ٢٤٢/٢ .
(٢) «خريدة القصر وجريدة العصر» المجلد الثاني ـ الجزء الرابع ـ ص ٦٨٣ قسم العراق .
(٣) انظر «العرب» س ٣ ص ٣٧٩ .

٢٧٧ ـ بَابُ حَفِيْرٍ ، وحُفَيْرٍ ، وَجَفِيْرٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْحِ الحاءِ وكَسْرِ الفَاءِ ـ : نَهْرٌ بالأُرْدُنِّ ، نَزَلَ عِنْدهُ النُّعمانُ بْنُ بَشِيْرٍ ، قَالَهُ ابْنُ حَبِيْب ، وقَالَ النُّعْمَانُ :

إنَّ قُـيْـنِـيَّـةً تَحُـلُّ مُحِـبَّـا   فَـحَـفِـيْـراً فَـجَـنَّـتَيْ تَـرْفُـلَانِ

وقَالَ الأَزْهَرِيُّ : حَفِيْرٌ وَحَفِيْرَةُ اسْمَا مَوْضِعَيْنِ ذَكَرَهُمَا الشُّعَرَاءُ القُدَمَاءُ .

وَاسْمُ بِئْرٍ بِمَكَّةَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وحَفَرَتْ بَنُو تَمِيْمٍ (؟) الحَفِيْرَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

اللهُ سَـخَّـر لَـنَـا الحَـفِـيْـرَا   بَـحْـراً يَجِيْشُ مَـاؤُهُ غَـزِيْـراً

وأَيْضاً : مَاءٌ لبني الهُجَيْم كانَتْ به وَقْعَةٌ .

وأَيْضاً : مَوْضِعٌ بالشَّامِ في دِيَارِ بَلْقَيْنِ(٢).

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ، (بَابُ حَفِير ، وحُفَيْرٍ ، وحَفِينٍ) .

(٢) قال نَصْرٌ ، اما بِفَتْحِ الحاءِ وكَسْرِ الفاءِ : مَوْضِعٌ في دِيَارِ بَلْقَيْنَ مِنَ الشَّامِ ، ومَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ ، وَمَاءٌ لِغَطَفَانَ ، كَثِيْرُ الضِّبَاعِ ، وقيل : أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنَ البَصْرَةِ إلى مَكَّة ، وقِيلَ : بِضَمِّ الحاءِ وفَتْحِ الفاءِ ، انتهى . وَقَالَ في «معجم البُلْدان» الحَفِيرُ ـ بالفَتْحِ ثُمَّ الكَسْرِ ـ : وهُوَ القَبْرُ في اللُّغة ، وهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مكَّةَ والمَدِيْنَة . . وقِيْلَ الحَفِيرُ والحَفَرُ مَوْضِعَانِ بينَ مَكَّة والمَدِيْنَة ، وعَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ : بَيْنَ مَكَّةَ والبَصْرَةِ ، وأَنْشَدَ :

قَـدْ عَـلِمَ الصُّهْبُ المَهَـارِي والعِيْسْ   الـنَّـافِـخَـاتُ في الـبُرَى المَـدَاعِـيْسْ
أَنْ لَيْسَ بَيْنَ الـحَفَرَيْنِ تَعْرِيْسْ

ثُمَّ أَوْرَدَ الحَمَوِيُّ مَاذَكَرَهُ الحازِمِيُّ ونَصْرٌ إلاَّ أَنَّهُ أَضَافَ عَنِ النَّهْرِ الذِي بالأُرْدُنِّ : بالشَّامِ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي القَيْنِ بْنِ جَسْرٍ . وزَادَ على ماذَكَرا : والحَفِيرُ أيضاً : ماءٌ بالدَّهْنَاءِ لبني سَعْدِ بْنِ زَيْد مَنَاة ، عَلَيْه نُخَيْلَاتٌ لَهُمْ ، وحَفِيْرُ العَلَجانِ ـ والعَلَجَانُ بالتَّحْرِيْك نَبْتٌ بالبَادِية ـ : ماءٌ لبَني جَعفَرِ بْنِ كِلَاب ، وحَفِيْرٌ أيضاً : =

وأمَّا الثَّاني : بِضَمِّ الحَاءِ وفَتْحِ الفَاءِ ــ : مَنْزِلٌ بَيْنَ ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ ، يَسْلُكُهُ الحَاجُّ(٣).

= قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : حَفِيرٌ وحَفِيرَةُ مَوْضِعَانِ ذَكَرَهُمَا الشُّعَرَاءُ القُدَمَاءُ في أَشْعَارِهِمْ ـ ثم أَوْرَدَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : وحَفَرَتْ بَنُو تَمِيمٍ (؟) الحَفِيرَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

قَدْ سَخَّرَ اللهُ لَنَا الحَفِيرَا … بَحْراً يَجِيشُ مَاؤُهُ غَزِيرَا

وَقَالَ : والحَفِيرُ أَيْضاً : مَاءٌ لِبَنِي الهُجَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ كانَتْ عِنْدَهُ وَقْعَةُ حَفِيرٍ . وحَفِيرُ زِيَادٍ عَلَى خَمْسِ لَيَالٍ مِنَ البَصْرَةِ وأَوْرَدَ فيه شِعْراً لِلْبُرْجِ بْنِ خِنْزِيرٍ التَّمِيمِيِّ ، وكَانَ الحَجَّاجُ قَدْ أَلْزَمَهُ البَعْثَ لِقِتَالِ الأَزَارِقَةِ مَعَ المُهَلَّبِ فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى الشَّامِ وقال ـ في شعره الذي أَوْرَدَهُ :

وَمَاذَا عَسَى الحَجَّاجُ يَبْلُغُ جُهْدُهُ … إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ

وفَرَّقَ البَكْرِيُّ في «معجم مااسْتُعْجِم» بَيْنَ حَفِيرٍ والحَفِيرِ فَقَالَ عَنِ الأَوَّلِ : حَفِيرٍ . . مَعْرِفَةٌ لاَ تَدْخُلُهُ الأَلِفُ واللَّامُ ــ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ بالحِيرَةِ ــ وأَوْرَدَ الشَّوَاهِدَ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِ الأَخْطَلِ وَعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وغَيْرِهِما ثم قَالَ : الحَفِيرُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ ـ : هُوَ حَفِيرُ زِيَادٍ في أَقْصَى حُدُودِ البَصْرَةِ ، وأَوْرَدَ شَاهِدَهُ بَيْتَ البُرْجِ ، مَنْسُوباً إِلَى الفَرَزْدَقِ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ عن الحُفَيْرِ : وبالضَّمِّ أيضاً : مِنْ مَنَازِلِ الحَاجِّ عَلَى طَرِيقِ المَدِينَةِ ، بَيْنَ ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ ـ انتهى وقَالَ الحَمَوِيُّ في «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» : الحُفَيْرُ ــ بالتَّصْغِيرِ ــ : مَنْزِلٌ بَيْنَ ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَل يَسْلُكه الحاجُّ . والحُفَيْرُ ــ أيضاً ــ : مَاءٌ لِبَاهِلَةَ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ البَصْرَةِ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ ، يَبْرُزُ الحاجُّ مِنَ البَصْرَةِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ المَنْجَشَانِيَّةِ ثَلاَثُونَ مِيْلاً . وقال الحَفْصِيُّ : إِذَا خَرَجْتَ مِنَ البَصْرَةِ تُرِيْدُ مَكَّةَ فَتَأْخُذَ بَطْنَ فَلْجٍ فَأَوَّلُ ماءٍ تَرِدُهُ الحُفَيْرُ قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَقَدْ ذَهَبْتُ مُرَاغِماً … أَرْجُو السَّلاَمَةَ بِالحُفَيْرِ
فَرَجَعْتُ مِنْهُ سَالِماً … وَمَعَ السَّلاَمَةِ كُلُّ خَيْرِ

والحُفَيْرُ ـ أَيْضاً ـ : مَاءٌ بِأَجَإٍ ، يَقُولُ فيْهِ شَاعِرُهُم :

إِنَّ الحُفَيْرَ مَاؤُهُ زِلاَلْ … أَبْحَرَهُ تَرَاوُحُ الرِّجَالْ

يعني تَرَاوُحَهُمْ في حَفْرِه .

وَقِيلَ : هُوَ مَاءٌ لِبَنِي فَرِيرٍ من طَيِّءٍ .

وبَيْنَ الحُفَيْرِ والنُّخَيْلَةِ والمُغِيثَةِ ثَلاَثَةُ أَمْيَالٍ . انتهى كَلاَمُ يَاقُوتِ الحَمَوِيِّ .

الأَصْلُ في أَسْمَاءِ المِيَاهِ والمَوَاضِعِ الَّتِي تَقَدَّم ذِكْرُهَا اشْتِقَاقُها مِنَ الحَفْرِ : حَفَرَ البِئْرَ فَهِيَ حَفِيرٌ ، بِمَعْنَى مَحْفُور ، ثُمَّ تُوَسِّعَ في إِطْلاَقِ الاسْمِ عَلَى المَوْضِعِ الَّذي جَرَى فيه الحَفْر ، وصُغِّرَ ما كَانَ مِنَ المَحْفُور صَغِيراً ، ومَعَ كَثْرَةِ الاستعمالِ أَصْبَحَ عَلَماً لِمِيَاهٍ عِدَّةٍ ، ومِنْ أَشْهَرِهَا مِمَّا كانَ واقِعاً عَلَى طُرُقٍ يَكْثُرُ سُلُوكُهَا أَوْ وَرَدَ في الشِّعْر ، ومنها : النَّهْرُ الذي في الأُردنِّ في بلادِ بني القَيْنِ القَبِيلة القُضَاعيَّة الَّتِي كانَتْ بِلاَدُها عِنْد ظُهُورِ الإِسْلاَمِ فِيْمَا بَيْنَ شَمَالِ الحِجَازِ ، إلى أَطْرَاف الأُرْدُنّ فَوادِي السِّرْحَان ، وَوَرَدَ في شِعْر النُّعْمَانِ بْنِ =

وأمَّا الثَّالِثُ : أَوَّلُهُ جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ فَاءٌ مَكْسُورَةٌ ــ : مَوْضِعٌ فِي الشِّعْرِ :

= بَشِيْرِ الأنصاريِّ الصَّحابيِّ الجَلِيْلِ المَوْلُود في السَّنة الثَّانية مِنَ الهِجْرة ، المتوفَّى سَنة خَمْسٍ وستِّيْنَ ، وتَرجَمَتُهُ مُفَصَّلَةٌ في كُتُب الصَّحابَة ، «الاسْتِيعَاب» و«الإصَابَة» و«أُسْدُ الغابَة» وغَيْرِها . ويظهَر أنَّ الحفيرَ هَذا بِقُرب مَعَانٍ فقَدْ عَدَّهُ صاحِبُ «المناسِكِ» المَرْحَلة الأخِيْرة من الزَّرْقاءِ إلَى مَعان : الزرقاء ، القسطل ، بالعة ، الحَفِير مَعَان ـ ص ٦٥٣ ـ ويلاحظُ أنَّ صاحِب «مُعجم البلدان» جَعَلَ النَّهرَ الَّذي في الأرْدُنّ ، والمَوْضِع الذي في بلاد بَنِي القَيْنِ واحِداً والحازِميُّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا ، مَعَ اسْتِشْهَادِهِ عَلَى النَّهْرِ بِقَولِ النُّعمانِ الَّذي نَصَّ عَلَى أنَّ القَيْنِيَّةَ مَحلُّهُ ، مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ عَدَمُ التَّفْرِيقِ ، والتَّوَسُّع بإطْلَاق اسْم النَّهْرِ عَلَى المكانِ الَّذِيْ بِقُرْبِهِ وقَوْلُ الأَزْهَرِيِّ وَرَدَ بِنَصِّه في كِتَابِهِ «تَهْذِيبِ اللُّغةِ» ـ ج ٥ ص ١٦ .

أمَّا البِئْرُ الَّتي بِمَكَّة فَهِي لِبَنِي تَيْم بْنِ مُرَّةَ بن كَعْب القَبِيْلَةِ القُرَشِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا أَبُو بَكْر الصِّدِّيْقُ ـ رَضِي الله عنه ـ وتَصْحِيفُ الاسْم (تَيْم) إلى (تَمِيْم) وَقَعَ في مَخْطُوطَة كتَاب الحازِمِيِّ الأولى ومَطْبُوعَةِ كِتَاب «مُعْجَم البُلْدان» والخَلَلُ في صَدْرِ الرَّجَزِ وَقَعَ في كِتَابِ الحَازِمِي ومِثْلُهُ في «أخْبَار مَكَّة» للفاكِهِيِّ ـ ١٠٨/٤ ـ وفيه : وحَفَرَتْ بَنُو تَيْم الحَفِيْرَ ، وَهِي بِئْرُ عبدالله بْنِ جُدْعَانَ بمكَّة ، وسَاقَ الخَبَرَ إلَى أبي عُبَيْدة ، وفيه : الله سَخَّر لَنَا الحَفِيرا ـ الخ ـ وَلَكِنْ صَاحِبَ «معجم البلدان» أَوْرَدَهُ مُسْتَقِيماً : قَدْ سَخَّرَ الله لنا الحفيرا ـ الخ ـ وفي «فُتوح البُلْدان» لِلْبَلاذُرِيِّ : نَحْنُ حَفَرْنَا بِئْرَنَا الحَفِيْرَا ـ البَيْتَ ـ ولَكِنَّ البَلاذُرِيَّ أغْرَبَ حِيْنَ قَالَ : وحَفَرَتْ بَنُو عَديٍّ الحَفِيْرَ . ورِبَاعُ بَنِي تَيْم كانَتْ تَقَعُ عَلَى فُوهَتَيْ سُكَّتَيْ أجْيَادَيْنِ الكَبِير والصَّغير ـ «أخبار مكة» للأزرقي ج ٢ ص ٢٥٧ ـ وآبارُ مَكَّةَ دَرَسَتْ سِوَى زَمْزَمَ .

والمِيَاهُ والمَوَاضِعُ الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ الحُفَيْر ـ تَصْغِيْر الحَفِيْر ـ كَثِيرَةٌ مِنْ أشْهَرِهَا :

١ ــ المَنْزِلُ الَّذِي بَيْنَ الحُلَيْفَةِ ومَلَلٍ ، وقَدْ حَدَّد المُتَقَدِّمُونَ مِنَ العُلَمَاءِ المَسَافَةَ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ بِسِتَّةِ أمْيَالٍ «المناسِك» ص : ٤٤٠ ـ أيْ بِنَحوِ ٢٥ كِيْلاً ، والحُلَيْفَةُ مَحَلُّ الإحْرَام مِنَ المَدِيْنَةِ ويُعْرفُ بِآبَارِ عَلِيٍّ ، ومَلَلٌ وادٍ لاَ يَزَالُ مَعْرُوفاً .

٢ ــ وَالحُفَيْرُ ـ الَّذي بِقُرْبِ البَصْرَةِ مَعَ الاخْتِلَافِ في ضَبْطِ اسْمِهِ ـ هُوَ أَوَّلُ المَنَازِل في البَرِّ مِنَ البَصْرَة ، والمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا ثَلاَثُونَ مِيْلاً ـ عَلَى مَافِي كتاب «المناسك» ـ ٥٧٦ ، ٦١١ ـ أمَّا قَوْلُ صَاحِبِ «مُعجَمِ البُلْدان» المُتَقَدِّم فَأَوْضَحُ مِنْهُ وأدَقُّ في التَّحْدِيْدِ مَاجَاءَ في كتاب «المناسِك» ـ ٥٧٥ ـ ونَصُّهُ : المَنْجَشَانِيَّةُ أَوَّلُ مَنَازِلِ البَصْرة . . عَلَى ثمانية أمْيَالٍ منهَا وهِي مُتَبَرَّزُ النَّاسِ وبها يَجْتَمِعُونَ ، والرُّبُوَةُ عَلى اثْنَي عَشَرَ مِيْلاً مِنَ المَنْجَشَانِيَّةِ ، وَهِي على ثَمانية أمْيَالٍ مِنَ الحُفَيْرِ . فَالحُفَيْرُ ـ على طَرِيق المنجشَانِيَّة يَبْعُدُ عَنِ البَصرة (٨ + ١٢ + ٨ = ٢٨ مِيْلاً) وقَالَ في «المناسك» أيْضاً : ـ ٥٧٦ ـ : الحُفَيْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ البَصْرَةِ في البَرِّ ، مِنَ البَصْرَةِ إلى الحُفَيْرِ أَحَدٌ وثلاثُونَ مِيْلاً والميلُ الأَوَّلُ مَسْجِدُ البَصْرَة . انتهى .

فصاحِبُ «مُعجم البُلدان» عَكَسَ الأَمْرَ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ ، فَجَعَلَ الحفير هُوَ الَّذي يَلِي البَصْرَة ، وجَعَلَ المَنْجشانِيَّة على ثلاثين مِيْلاً مِنْهُ (٣٤ مِيْلاً مِنَ البصرة ، على أنَّهُ في رَسْمِ المَنْجشَانِيَّةِ نَقَلَ عَنْ أبِي عَمْرِو بْنِ العَلاَءِ : كَانَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُود الشَّيْبَانيُّ على الطَّفِّ مِنْ قِبلِ كِسْرَى ، فَهُوَ اتَّخَذَ المَنجشانِيَّة عَلَى سِتَّةِ أمْيَالٍ مِنَ البَصْرة ، وجَرَت عَلَى يَدِ عُضْرُوْطٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ مَنْجَشَانُ فَنُسِبَتْ إلَيْهِ . انتهى .

والحُفَيْرُ المَاءُ الَّذي في أجَإٍ أَصْبَحَ الآن قَرْيَةً أهلُها السَّلْمَانُ مِنْ سِنْجَارَةَ من شَمَّر مِنْ سُكَّانِ أجَإٍ القُدَماءِ .

وكَمَا سَبَقَتِ الإشَارة عَن أصْلِ التَّسْمِيَة الدَّال عَلَى كَثْرَةِ المُسَمَّياتِ بـ (الحَفَرِ) و(الحَفِير) و(الحُفَيْر) و(الحُفَيْرة) قَدِيْماً وحَدِيْثاً ، ولكِنْ يَنْبَغِي أنْ يُلاَحَظَ أنَّ كَثِيراً مِنَ الآبَارِ القَدِيْمَةِ قَدْ غَارَتْ مِيَاهُهَا فَدَرَسَتْ وجُهِلَتْ مَوَاقِعُهَا .

عَفَـا رَبْـعٌ بِـرَامَـةَ فَـالتِّـلاَعِ   فَـكُثْبَـانِ الجَـفِـيْرِ إلَى لُـفَـاعِ

قال أَبُو عُبَيْدَةَ: والشِّعْرُ لِسَهْمٍ ، وقِيْلَ لِبِشْرِ بْنِ أَبِي خازِمٍ(٤).

---

(٤) الجَفِيْرُ : ـ لَمْ يَذْكُرْهُ نَصْرٌ في البَابِ ، وقَالَ يَاقُوتُ في «مُعْجَم البُلْدان» : جَفِيْرٌ ـ بِالفَتْحِ وَالكَسْرِ ويَاءٍ سَاكِنَةٍ ورَاءٍ : مَوْضِعٌ في شِعْرِ حُجْرِ المَلِكِ آكِلِ المُرَارِ ، قَالَ :

لِمَـنِ النَّـارُ أُوْقِـدَتْ بِـجَـفِـيـرِ   لَـمْ يَـنَـمْ عَـنْـكَ مُـصْـطَـلٍ مَـقْـرُوْرِ

في أَبْيَاتٍ وقِصَّةٍ عَجِيْبَةٍ ذَكَرْتُها في أَخْبَارِ امْرِئِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ، مِنْ كِتَابِي في أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : الجُفَيْرُ : ـ تَصْغِيْرُ الجَفْرِ ـ : قَرْيَةٌ بالبَحْرَيْنِ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ القَيْسِ . انتهى وانظر عن هذا الاسم (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» .

وَفي «معجم ماسْتُعجِم» : الجَفِيْرُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ فَعِيْلٌ من لَفْظ الَّذي قَبْلَهُ (جفار) مَاءَةٌ مَذْكُورَةٌ في رَسْمِ ضَرِيَّةَ في مَوْضِعَيْنِ . وفي رَسْمِ ضَرِيَّةَ وَرَدَ الاسْمُ في مَطْبُوعَةِ الكتابِ (الحفير) والحاء غير معجمة ـ في مَوْضِعَيْنِ أَحَدُهُمَا عِنْدَ ذِكْرِ أَمْوَاهِ بَنِي أَسَدٍ الدَّاخلة في حِمَى ضَرِيَّةَ ـ ٨٦٤ ـ والثَّاني : عِدَّةٌ مِنْ مِيَاهِ فَزَارة ـ ٨٦٩ ـ ولم يُورِدْ شِعْراً . وَالبَيْتُ الَّذي أَوْرَدَهُ الحازِميُّ وَرَدَ في دِيْوَانِ بِشْرِ بْنِ أَبي خَازِمٍ الأَسَدِيِّ ـ ١٠٩ ـ :

عَـفَـا رَسْـمٌ بِـرَامَـةَ فَـالتِّـلاَعِ   فَـكُـثْـبَـانِ الحَـفِـيـرِ إلـى لُـقَـاعِ

ـ والحَاءُ مُهْمَلَةٌ في مَطْبُوعَةِ الدِّيوانِ ، ولكنَّها وَرَدَتْ مُعْجَمَةً في بَيْتٍ آخرَ لِبِشْرٍ في دِيْوَانِهِ ـ ٩٤ ـ :

عَـفَـتْ أَطْـلاَلُ مَـيَّـةَ بِـالجَـفِـيرِ   فَـهَـضْـبِ الـوَادِيَـيْنِ فَـبُـرْقِ إِيْـرِ

وَوَرَدَ هذا البَيْتُ في «معجم ماستعجم» رَسْمِ إير : . . . مِنْ حَفِيرٍ وَلاَ أَدْرِي سَهْماً هذا الَّذي نَسَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَيْهِ البَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الهُذَلِيَّ ـ سَهْمَ بْنَ أُسَامَةَ ـ ولَيْسَ في شِعْرِهِ الوَارِدِ في «شرح أَشْعَارِ الهُذَلِيِّيْنَ» ، ومَاأَرى اسْمَ الجَفِيرِ إِلاَّ تَصْحِيفَ (الحَفِيْرِ) مَالَمْ يَرِدْ نَصٌّ مُحَقَّقٌ في ضَبْطِهِ ضَبْطاً لاَ يَحْتَمِلُ اللَّبْسَ .

(٥) حَقِيْنٌ : زَادَهُ نَصْرٌ وَقَالَ في تَعْرِيْفِهِ : وَمَا بَعْدَ الحَاءِ المَفْتُوحَةِ قَافٌ ثُمَّ يَاءٌ ثُمَّ نُونٌ ـ : مَنْهَلٌ بِبَطْنِ الخَالِ مِنْ أُنُوفِ مَخَارِمِ جُفَافٍ ، لِطُهَيَّةَ مِنْ حَنْظَلَةَ . انتهى . وَنَقَلَهُ صَاحِبُ «تاج العَرُوس» عَنْ نَصْرٍ ، ولَمْ يَزِدْ . وأَوْرَدَ يَاقُوت هَذَا غَيْرَ مَنْسُوبٍ وأَضَافَ بَعْدَ طُهَيَّةَ ـ : نسبوا إِلَيْهَا : كذا ـ وطُهَيَّةُ مِنْ بَنِي مالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيْمٍ نُسِبُوا الى أُمِّهِمْ . وَجُفَافُ عَلَى مانَقَلَ يَاقُوتُ والبكريُّ عن السُّكَّرِيِّ عن مُحَمَّد بْن حَبِيب : أَرْضٌ واسِعَةٌ لأَسَدٍ وحَنْظَلَةَ ، فِيْهَا أَمَاكِنُ يَكُونُ الطَّيْرُ فِيْهَا فَنَسَبها جَرِيْرٌ إليها فَقَالَ : جُفَافُ الطَّيْرِ ، وعَدَّ يَاقُوت الثُّعْلَبِيَّةَ مِنْ جُفَافٍ ، والثُّعْلَبِيَّةُ مَنْهَلٌ شَرْقَ الدَّهْنَاءِ في طَرِيقِ الحَجِّ الكوفيِّ القَدِيْمِ ، لايَزَالُ مَعْرُوفاً ـ انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» ـ والمَخَارِمُ جَمْعُ مَخْرِمٍ ، وهي : أُنُوفُ الجِبَالِ ، والطُّرُقُ فيها وأَفْوَاهُ الفِجَاجِ .

جَنّاد وابن الجصّاص
وملاحظات أخرى

[انظر «العرب» س ٢٤ ص ٤٤٥]

أخي الفاضل : لقد رجعت بعد هذه الفترة إلى مجلتي الحبيبة « العرب » الغرّاء . أطالعها وأجول في رياضها النضرة ، ولطالما أمتعتنا بالممتع المفيد . ولفت نظري بعض الملاحظ في (ج ٧ ، ٨ ، س ٢٣ محرم/صفر ١٤٠٩هـ) ص ٤٤٥ فأحببت أن أرسلها لكم :

قلتم : قال أبو حاتم : وما يُحْمَلُ على امرئِ القيس من الشعر أكثر من الصحيح ، فنون المحمول (؟) عليه قال : أهل الكوفة مثل حماد وجُنادة وابن الخصاص » .

وقلتم تعليقاً على هذا الخبر ص ٤٧٨ ج ٧ .

كلمة (مثل) ليست واضحة . وجُنَادة قال عنه ياقوت في «معجم الأدبا» : جُنَادة بن واصل الكوفي : . . لاعلم له بالعربية ، كان يُصَحِّفُ ، ويكسر الشعر ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة . . من علماء الكوفة القدماء ، وكان كثير الحفظ ، في قياس حمّاد الرَّاوِية . انتهى والجصاص - لم أميز اسمه هل هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل الضاد مهملة أو معجمة ، فَضْلاً عن معرفته .

وأقول : هو جَنَّادٌ - بتشديد النون ، وبلا تاء - الكوفيّ الراوية .

جاء في «الفهرست» ١٤١ ، و«نور القبس» ٢٧٢ ، و«لسان الميزان» ٢/١٤٠ ، و«الوافي بالوفيات» ١١/١٨٩ — : جنّاد بن واصل ، الكوفيّ أبو محمد ، ويقال أبو واصل ، مولى بني غاضرة من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية . وكان يُصَحِّفُ ، ويكسر الشعر ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة فيخلط

بعضها ببعض وهو من علماء الكوفيين القدماء ، وكان كثير الحفظ في رتبة حمّاد الراوية . وقال المرزباني : قال عبدالله بن جعفر ، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن علي الطوسي قال : ماكانوا يَشكّون بالكوفة في شعر ، ولا يَغْرُبُ عنهم اسم شاعر إلاّ سألوا عنه جَنّاداً فوجدوه لذالك حافظاً به وعارفاً على لحن كان فيه . وكان كثير اللحن جدًّا ، فوق لحن حماد ، وربما قال من الشعر البيت والبيتين . وقال الثوري : اتّكل أهل الكوفة على حمّاد وجنّاد ففسدت رواياتهم من رجلين كانا يرويان ولا يدريان ، كَثُرتْ رواياتُهما وقَلَّ عِلْمُهما . علماً أن ياقوتَ الحَمَوِيَّ أورده في الجزء السابع ص ٢٠٦ من «معجم الأدباء» : ضمن رسم (٤٩ ـ جَنَّادُ بنُ واصِلٍ الكُوفِيُّ) .

وانظر أيضاً «الفهرست» للنديم ، تحقيق رضا ـ تجدّد ـ ص ٥٠ و ١٠٤ .

وأما ابن الخَصّاص فهو ابن الجَصّاص الراوية ـ وهو بالجيم وليس بالخاء ـ وهو اسحاق بن عمار أبو يعقوب المعروف بابن الجصاص ، من موالي اليمن . كان صاحب عيسى بن موسى في أول الدولة ولم يزل معه ، وكان الناس يقرءون عليه الشعر في دار عيسى . ومات في آخر أيام المنصور وقال ابن الكلبي : ابن الجصاص الراوية مولى لبشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان . وقال غيره غير ذالك ، فاختلف في ولائه .

انظر «معجم الأدباء» ٧٤/٦ ، و«الوافي بالوفيات» ٤١٩/٨ ، و«إنباه الرواة» ٢٤٣/١ ، و ١٤٧/٤ ، و«نور القبس» ٢٣٥ و ٢٦٩ و ٢٧٢ .

ـ وجاء في الصفحة نفسها أي ص ٤٤٥ :

(وقرأت عليه خمسة أبيات من واحدة على الباء، زعم أنها مما يحمل عليه ، وهي ثلاثون بيتاً أولها :

لِـمَـنِ الدِّيَارُ تَعَفَّتْ ذُو حُقُبْ ....) .

والصواب : [لمن الدّار] حتى يستقيم وزن البيت . علماً أن رواية الديوان ص ٢٩٣ هي :

لِمَنِ الـدَّار تَعَفَّتْ مُـذْ حِقَبْ   فجنُـوبُ الفَرْدِ أقْوَتْ فالخَـرِبْ

ومنها أيضاً : (قال أبو عبيدة : ويُرْوَى لامريْ القيس قصيدة مصنوعة زعم الناس أنها لحَمَّاد ، أولها :

ذَكَـرْتَ نَفْسَـكَ مَـا لَنْ يَعُـودا   فَهَـاجَ التَّـذَكُّـرُ قَلْباً عَمِيْـداً).

والبيت على هذا الشكل مكسور ومُختلّ الوزن إلا إذا كان مخروماً .

وروايته في الدِّيوان ص ٢٥١ هي :

أأذكَـرْتَ نَفْسَكَ مَـا لَنْ يَعُـودَا   فَهَـاجَ التـذكُّـر قلبـاً عَمِيـداً

وفي الصفحة نفسها أيضاً :

أبْلَغَ بَني زَيْـدٍ إذا مَـا لَقِيْتَهُمْ   وأبْلِغْ بَني لُبْنَى وأبْـلِغْ تُمَـاضِرَا

والبيت على هذا الشكل مختل الوزن مكسور .

والصواب :

أبْلِغْ بَني زيـد إذا مَـا لَقِيْتَهُمْ   وأبلغ بَني لُبنَى وأبْـلِغْ تُمَـاضِرَا

كما في ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣٤٨ .

وجاء في الصفحة ٥٦١ من مجلتنا الغرّاء :

(وأمّا الثّاني : أوَّلُهُ خاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ - : بَلْدَةٌ مِنْ نَوَاحي طُوْسَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أبُو الفَضْلِ بْنُ الـمُظَفَّرِ بْنِ مَنْصُورٍ الخِيَنيُّ ، ذَكَرَهُ الإِدْرِيْسِـيُّ في «تَارِيخ سَمَرْقَنْد» وَرَوَى عَنْهُ أَبْيَاتاً مِنْ شِعْرِه) .

ــ والصواب : هو أبو الفضل المُظَفَّرُ بن مَنْصُور الخِيَني .

وفي «الأنساب» ٢٣٥/٥ : « والمشهور بالنسبة إليها (الـخِيْنِي) أبو الفضل المظفر بن منصور الطوسي الخيني ، قال أبو سعيد الإدريسي : الفقيه أبو الفضل الطوسي من أهل خين - بلده من بلاد طوس ، سكن سمرقند ، وكان فقيهاً

فاضلاً أديباً شاعراً ، كتبنا معاً في الكتب ، وتفقه بسمرقند . . . وخرج من سمرقند قبل الثمانين والثلاثمائة ، وأقام بجرجان ، وتولى قضاء آبسكون وأوقاف أستراباذ ، وخرج منها إلى جبال طبرستان فمات بها ، كتب عنا وكتبنا عنه من الحكايات والأشعار - وانظر أيضاً «اللباب» ١/ ٤٧٩ ، و«تبصير المنتبه وتحرير المشتبه» لابن حجر العسقلاني ١/ ٣٠١ .

وفي الصفحة ٥٦٢ تكلمتم عن : عبدالرحمن بن محمد بن محمد الإدريسيّ السمرقنديّ الاستراباذي المؤرخ ، ومحدّث سمرقند . وقد ترجم له أيضاً : الذهبي في «السير» ١٧/ ٢٢ ، والسهمي في «تاريخ جرجان» ٢١٩ ، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٣٠٢ ، وابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ٢٧٣ ، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٤/ ٢٣٧ .

وانظر أيضاً «اللباب» ١/ ٣٧ ، و«تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٦٢ ، و«العبر» ٣/ ٩٠ ، و«البداية والنهاية» ١١/ ٣٥٤ ، و«شذرات الذهب» ٣/ ١٧٥ ، و«طبقات الحفاظ» ٤١٥ ، و«هِدْية العارفين» ١/ ٥١٥ ، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٣٢٥ ، وقد ترجم له أيضاً الزركلي في أعلامه ٤/ ١٢١ ضمن رسم (عبدالله ابن محمد الاستراباذي السمرقندي) . وهذا خطأٌ مَحْضٌ واضطرابٌ في الاسمين وهما واحد .

وسوف أزودكم بملاحظاتي الأخرى في رسائل أُخَر .

دير الزور - مروان عطية

عدي بن الرقاع وشعره

عَمَلُ الأُستاذين الجليلين الدكتورين نوري حَمُّودي القيسي ، وحاتِم صالح الضامن ، في جَمْع شِعر عَدِيِّ بن الرِّقاع العاملي بما أضافاه إلى ديوانه - عملٌ أوفى على الغاية ، بتتبع المَظَانِّ والمصادر ، إلا أن التراث العربي بحرٌ لا ساحل له ، فهناك من المؤلفات مالا يزال مغموراً أو مجهولاً .

وقد سبق أن أشرتُ إلى أنَّ ما جمعه ثعلب في ديوان ابن الرقاع ليس كُلَّ شعرهِ ، كما يتضح مما ذيل به المحققان الفاضلان الديوان - «العرب» ٨٤٩/٢٢ - .

١ - وقد اطلعت مما لم يرد في الديوان على ثلاثة أبيات وردت في كتاب «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول ص ٢٧٥ - وأربعة أخرى في كتاب «حدائق الأدب» للأبهري ص ٢٠٣ ، وهذه الأبيات السبعة لاشك أنها مرتبطة بالأبيات الواردة في ذيل الديوان - ٦٠/٥٩ :

تَـودَّقَتْ شَمْسُهُ حتَى إذَا حَمِيَتْ ... منها الجَمَاجِمُ كادَتْ يَوْمَهَا تقِفُ

والبيتان التاليان له .

وهاهي الأبيات الواردة في «مختصر جمهرة النسب» في الكلام عَلَى رَبيعةَ بن حصْنِ بن عَدِي بن كعب [من قبيلة كلب] كان شاعراً ، وابنه هَوْبَرٌ بن ربيعة ، وله ولأخيه مُرَيٌّ بن ربيعة ولابن أخيهما فِراس يقول ابنُ الرِّقَاع :

فـما سَقاهَـا فِـرَاسٌ مِنْ رَكِيَّتِـهِ ... وَلَا بَنُو هَوْبَرٍ ما يَمْـلأُ الصَّدَفُ
حَتّى أتَيْتُ مُـرَيًّا وَهْـوَ مُتَّكِـئٌ ... كَاللَّيْثِ يَغْشَاهُ دُونَ الْغَابَةِ السَّعَفُ
وَمَـالَهُ مِنْ شَفِيـعٍ غَـيْرُ طَلَّتِـهِ ... وغَـيْرُ أبْنَـائِـهِ والْـخَـيْرِ يَـأْتَلِفُ

٢ - أما أبيات «الحدائق» - ٢٠٣/١ - فهي في وصف طلوع الأَنْوَاءِ وسُقُوطِها :

وأبْصرَ النَّـاظِـرُ الشِّعْـرَى مُبَيِّنَـةً ... لما دَنَا مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ
في حُمْرةٍ لَا بَيَاضُ الصُّبْحِ أغْرقَهَا ... وقَدْ علا الليلُ عَنْهَا فَهْوَ مُنْكَشِفُ
تَمَهْـلَ اللَّيْلُ لَمْ يَلْحَقْ بِـظُلْمَتِهِ ... فَوْقَ النَّهارِ قَلِيـلًا فَهْيَ تَزْدَلِفُ
لَا يَيْأَسُ اللَّيْلُ مِنْهَا حِينَ تَتْبَعَـهُ ... وَلَا النَّهَـارُ بِهَـا لِلَّيْـلِ يَعْتَـرِفُ

وفي كتاب « حدائق الأدب » لم تنسب لعدي ولكن محقق الكتاب الدكتور محمد ابن سليمان السُّدَيْس نسبها له ، وأحال إلى كتاب «الأنواء» ١٣ و«الأزمنة

والأمكنة» ١/ ١٨٠ .

٣ ـ وفي كتاب «الحدائق» ١/ ٤٠ أيضاً ثلاثة أبيات ، نسبها المؤلف لابن الرِّقاع وهي :

رَوْضَـةٌ ظـاهَـرَ الـرَّبِيـعُ ثَـرَاهـا ... بِـسُـيُـولٍ وَزَانَهَا الـنُّـوَّارُ
حُصِرَ النَّاسُ أنْ يَنَالُوا حِمَاهَا ... وَأَرَبَّـتْ بِـرَوْضِـهَـا الأَمْـطَارُ
فَهْيَ حَـوَّاءُ تَكْتَسِي كُلَّ لَـوْنٍ ... زِيْـنَـةً كُـلَّمَا اسْـتَـقَـلَّ الـنَّـهَـارُ

٤ ـ وكان أستاذنا الدكتور حاتِم قد اطلع على ما تقدم فكتب بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٩هـ موضحاً أنه بصدد إعادة طبع الديوان وإضافة أبيات عثر عليها أخيراً من شعره ، منها قوله يهجو :

سواءٌ عَلَيْكَ القَفْرُ أَمْ أنتَ نازِلٌ ... بِأَهْلِ القِبَابِ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرِ

المصدر : «الدر الفريد وبيت القصيد» ٣/ ٣٦٨ .

٥ ـ ومنها ماجاء في كتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» ٢/ ١٦ : لما بنى الوليدُ مسجدَ الجامع بدمشق وفرغ حضره فصلى فيه ، ثم استقبل الناس بوجهه ، فأتاه عَدِيُّ بنُ الرِّقَاعِ الشاعر ، فَمثُلَ بين يديه وأنشأ يقول :

لَعَمْـرِي لَقَـدْ أَجْـرَى الإمـامُ لِغَـايَـةٍ ... مِنَ الفَضْلِ مَا أَجْرَى إلَى مِثْلِها مُجْرِي
أفـادَ بِها مَجْـدَ الحَيَـاةِ وذِكْـرَهَـا ... وأَبْقَى بِهَا حَمْداً وفَخْراً إلَى فَخْرِ
فَـما مَسْجِـدٌ بَعْـدَ الثَّـلاثَـةِ مِثْلَهُ ... وَلَوْ طُفْتَ عَرْضَ الأَرْضِ قُطْراً عَلَى قُطْرِ
وَخُصَّ بِـأَبْهَـى مِنْـبَرٍ بَعْـدَ مِنْـبَرٍ ... بِـطَيْبَـةَ مَبْنِيٌّ إلَى جـانِبِ الْقَـبْرِ
إِذَا مَا الإمامُ استشْرَفَ النَّاسَ فَوْقَهُ ... تعـالَى أَعَالِي الجِسْمِ أبيضَ كَـالْبَدْرِ
إذَا قَـالَ لَمْ يَتْـرُكْ مقـالاً ولَمْ يَقِفْ ... لِعِيٍّ ولَمْ يَثْنِ اللِّسَـانَ عَـلَى هُجْـرِ
يُصَـرِّفُ بِالقَوْلِ اللِّسانَ كَـمَا انْتَحى ... وَيَنْـظُرُ فِي أعْـطَافِـهِ نَـظَرَ الصَّقْـرِ
وَإِنْ هُـزَّ لِلْمَعْـرُوفِ أَشْرَقَ وَجْهُـهُ ... وجَـادَ بِـعُـرْفٍ لا بَكِـيْءٍ ولا نَـزْرِ

فقال الوليد : أحسنتَ بارك الله عليك ، إنك لتسرُّنا وإنك أهلٌ لأَنْ تُسَرَّ ،

وأمر له بأربعة آلاف درهم .

٦ ـ جاء في «الدر الفريد» ٤/٢٢٤ مع البيتين الثالث والرابع من القطعة الـ(٣٥) في الصفحة ٢٦٦ بيتان هما :

بَكَتْ شَجْوَهَا تَحْتَ الدُّجَى فَتَنَاجَمَتْ إِلَيْهَا غروب الدمع مِنْ كلِّ مَسْجَمِ
أَمُوتُ لِشَكْوَاهَا أَسـىً إنَّ لَوْعَتِي وَوَجْدِي بِسُعْدَى قَاتِلٌ لِيَ فَاعْلَمِي

٧ ـ وفي كتاب «نسب معد واليمن الكبير» ص ٦١٨ تحقيق الدكتور ناجي حسن في الكلام على نسب ثُبَيت بن هبيرة الكلبي : وثُبَيْتُ بن رَبيعَة بن هبيرة الذي يقول له ابن الرقاع :

ولَا تَنْتَهِـي حَتَّى تُبَلِّغَ مِدْحَتِي ثُبَيْتاً رَمَاد النَّارِ كالوَزَعِ الأَشَبْ

وقال صاحب «التاج» ـ رسم (رقع) ـ : عدي بن الرقاع الشاعر فيه يقول الراعي يهجوه :

لو كنت من أحد يُهْجَى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

نقله الجوهري والصاغاني . قلت : وقد أجابه ابن الرقاع بقوله :

حدثت أن رويعي الابل يشتمني والله يصرف أقواماً عن الرشد
فإنك والشعر ذو تزجي قـوافيه كمبتغي الصيد في عِرِّيسة الأسد

وفي «منتهى الطلب» قصيدة لبشر بن علَيق الطائي هجا فيها عاملة ومما ورد فيها قوله :

بُنَيَّ الـرِّقاع مـا لِقولـك ينتمي وكنتَ أحقَّ النـاس ألَّا تـكَلَّما

ولا أستبعد أن يكون قصد الشاعر عدي بن الرقاع مع أن أستاذنا الدكتور يحيى الجبوري عد هذه القصيدة من القصائد الجاهلية ـ ص ١٨٨ ـ ونشرها فيما نشر من «منتهى الطلب» .

عبدالله بن همام السلولي

[انظر «العرب» ٢٣/١٥٠ ومابعدها]

مما لم يرد في شعره الذي جمعه الأستاذ المحقق الدكتور نوري حمّودي القيسي ، ونشر في مجلة « العرب » س ٢٣ ص : ١٥٠ ومابعدها ـ أربعة أبيات أوردها ابن أعثم الكوفي في كتاب « الفتوح »: م ٤/٢٠٩ ـ حين ذكر أن يزيد بن المهلب لمّا ولي خراسان أهان وكيع بن أبي سود التميمي وحبسه ، قال : فأنشأ عبدالله بن همّام السّلولي يقول في ذلك :

خذ العفو واصفح يايزيد فإنني ... رأيت ثواب الله خيراً وأفضلاً
ولا تسمعن قول الوشاة فإنهم ... يودون لو تسقى الذُّعاف المثملا
خف الله في قوم تووا منذ خفتهم ... يرجون عَدْلاً من لدنك مؤملاً
وأنت ثِمَالٌ يايزيد فلا تكن ... عليهم عذاباً بالبلاء موكلاً

وأورد البلاذري في نسب ثقيف في ترجمة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل من كتاب «أنساب الأشراف» ـ مخطوطة ـ (دار الكتب المصرية رقم ٤٨٥٦ تاريخ) مانصه : كان المغيرة إذا كني أبا صفية غضب ، وكان بخيلاً فقال ابن همام السلولي فيه :

رَمَاكَ الله ياابن أبي عقيل ... بداء لا يقوم له جليل
إذا حضر الخوان فأنت ليث ... بصير بالثريد وبالنشيل
وعند البلس بهكنة رداح ... لها حجلان كالرشإ الكحيل
فليتك ياملطيرة من تنوخ ... أو الشُّغر السواعد من بكيل
وليت الله صيّر بين داري ... ودارك يا مغيرة ألف ميل

وهذه الأبيات لم ترد في شعره المنشور في «العرب» وكلمة (يقوم) كذا وردت في المخطوطة ، وهي سقيمة الخط ، ولعلها (يقام) .

الدّوشان ليسوا من حرب

لقد اطلعت على كتاب «نسب حرب» فاستغربت ما ورد في صفحة ٤٣ ـ ٤٤ ونصه : ومن بني السُّفْر هؤلاء الدُّوشان أمراء مُطَير في وقتنا الحاضر ، وقصتهم باختصار : فَرَّ رجل من بني السفر من حرب باتّجاه الشرق نحو ديار مُطَير ، فلجأ إليهم وظل معهم وتزوج منهم ، ثم حَنَّ إلى دياره ، فأنشأ قصيدة وصلت إلى بني السُّفر ، فاجتمع منهم قوم وذهبوا إلى مُطير ، فوجدوا الدُّويش هذا أولد ثلاثة ذكور فدعوه للرجوع معهم . فوافق ولكن المرأة قالت : إنّها لن تترك قومها ، فقال الأبناء : إنهم لن يتركوا أمهم فقال الرجل : إنه لن يترك أبناءه . فظل مع مُطير ، فظهر بنوه فرساناً فَأَمَّرتهم مطير لشجاعتهم وحسن تدبيرهم .

وهناك رواية أخرى ليست بعيدة عن هذه ولكن هذه هي الشائعة مع بني السفر وغيرهم . انتهى .

تعقيب :

١ ـ لقد ذكر المؤلف بأن الدويش أنجب ثلاثة أولاد . والصحيح أن الدويش واسمه (محمد) أنجب ولدَيْنِ هما وطبان وحشر وليس كما ذكر .

٢ ـ القصيدة الواردة في كتاب «نسب حرب» على لسان الشيخ محمد الدويش ليست كافية كشاهد بأن الدويش من بني السفر من حرب ، إذ باستطاعة أي شاعر أن ينظم بيتاً واحداً فقط ويذكر فيه نسب من يريد إضافته إلى نسبه من العرب .

٣ ـ لم نسمع بهذه الرواية كما ذكر إلاّ في هذا الكتاب ، وأخيراً أرجو التَّحري والتثبيت خاصة في مثل هذه الأمور وعدم الاعتماد على الروايات التي لا تدعمها الحقائق التاريخية والمصادر الموثوق بها .

٤ ـ ذكر الشيخ هزاع بن بدر بن محمد بن الحميدي بن فيصل بن وطبان بن محمد الدويش في مجلة «العرب» ج ١١/١٢ السنة الثامنة عشر جماديان ١٤٠٤هـ

ص ١٠١٥ ذكر تسلسل أبناء محمد الدويش ، فيحسن الرجوع إلى ما ذكر .

وبهذه المناسبة يسعدني أن أذكر من تولّى الشّيخة من الدوشان على قبيلة مطير :

١ ـ الشيخ وطبان بن محمد الدويش .

هو أول من تولى الشيخة في قبيلة مطير ، ونزل بهم في بلاد نجد في أوائل القرن الثاني[١] عشر الهجري وقال فيه الشاعر الشهير محسن الهزاني المعاصر له قصيدة طويلة منها هذه الأبيات :

وَطْبـان زَينَ أعيـادهن المشـافيق   إلاّ وله نفسٍ طموحٍ عن الدُّونْ
رِيْفَ القوايا بـالسنين المـاحِيق   وان جوه أهل عيرات الأنضا يحثونْ
مع ذا وهو معطي طوال السـاحيق   ورث النّدى ليس العطا منه ممنونْ

٢ ـ الشيخ فيصل بن وطبان بن محمد الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده ودامتْ فترة شيخته وقتاً طويلاً ، وفيها اتّسعتْ رقعة مضارب القبيلة حتى شملت من غربي مهد الذهب (حرة بني عبدالله) إلى حدود دولة الكويت من الجهة الغربية في الشرق ، وتوفي فيصل (الأعور) عام ١٢٤٨[٢] في أرض تسمى (دكيكة) شرق الدهناء وغرب العوشزيات في الصّمّان ، ولا تزال تحمل اسم فيصل .

٣ ـ الشيخ محمد بن فيصل بن وطبان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٢٤٨هـ إلى ١٢٦٢هـ[٣] .

٤ ـ الشيخ الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة أخيه محمد عام ١٢٦٢هـ إلى ١٢٦٧هـ[٤] توفي في الدهناء .

٥ ـ الشيخ ماجد بن الحميدي بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٢٦٧هـ - .

٦ ـ الشيخ سلطان بن الحميدي بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة أخيه ماجد وتوفي عام ١٣٢٧هـ[5] بسبب تقدم سنه .

٧ ـ الشيخ فيصل بن سلطان بن الحميدي الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٢٧هـ حتى عام ١٣٤٩هـ[6] وتوفي عام ١٣٥٠هـ .

٨ ـ الشيخ بندر بن فيصل بن سلطان الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٥٠هـ وتوفي عام ١٣٩٧هـ .

٩ ـ الشيخ فيصل بن بندر بن فيصل الدويش :

تولى الشيخة بعد وفاة والده عام ١٣٩٧هـ ولايزال حتى الآن ١٤١٠هـ شيخ شمل قبيلة مطير (عِلْوَى وبُرَيْه وبني عبدالله) .

عبدالعزيز بن سعد المطيري

المراجع :

(١) «تاريخ اليمامة» ٢٨٢/٣ ، عبدالله بن محمد بن خميس .
(٢) «عنوان المجْد» ٥٨/٢ ، لابن بشر .
(٣) «عنوان المجد» ١٤٧/٢ .
(٤) مجلة «العرب» ج ٩ ، ١٠ الربيعان ١٤٠٦هـ ص ٦٩٥ ماجد بن طاهر المطيري و «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» : ١٧١ .
(٥) «رسائل من صخر» : ٣٦ شاهر بن محسن الأصقه .
(٦) «السعوديون والحل الإسلامي» ص ٦٨٤ ، جلال كشك .

حميدان الشويعر ونسبه

وأتحفَ الأخُ الشاعر عبدالله بن علي بن صُقَيْهٍ التميمـيُّ ، أتحف «العرب» بنسخة من كتاب «الموسوعة النبطية الكاملة» الذي ألفه طلال بن عثمان المزعل السعيد ، وصدر عن (ذات السلاسل) في الكويت سنة ١٤٠٧هـ ، في جزءين يحوي الأول : أعلام الشعراء ، والثاني : بحور الشعر النبطي وأوزانه على ما وُضع في طُرَّة كل جُزْءٍ .

ويحوي الكتاب تراجم موجزة لأشهر الشعراء العاميين ، ونماذج من أشعارهم ، والكلام حوله ذُو شُجُونٍ لما يحويه من آراء متطرفة ، فهو بحاجة إلى من يقوم بدراسته دراسة تَقَصٍّ وتَعَمُّقٍ .

وقد لفت الأخ الشاعر ابنُ صُقَيْهٍ النظرَ أولَ ما لفت إلى ترجمة الشاعر (حُمَيْدَان الشُّويعر) الواردة ـ ص ١١١ ـ وماجاء فيها مما لا يتفق مع الواقع ومنه : (أما نسبه فمن الرواة من يقول : إنه من صُنَّاعِ قبيلة بني خالد ، وجُلُّ الرواة أجمعوا على أنه (صَلَبيٌّ) من قبيلة (الصَّلَبة) لذا لم يهتم الرواة باسمه ، أو نسبه ، وقد أكَّدَ هو نفسه على نسبته إلى (الصلبة) حينما نظم قصيدة في هجاء زوجه بعد أن طردته يقول :

إنْ جِيْتَ اطْلُبْ مِنْهَـا لُـقْمَـهْ . قَـالَت: يْخَلِـي يَاهَـا (الصَّلْبِـي)

واسترسل المؤلف في الحديث عن هذا الشاعر فأتى بأمور لا يدري الباحث من أين استقاها ـ إذْ لم يذكر مصدرها ـ كقوله : إنه طُرِدَ من نجد بسبب نظمه لقصيدة شتم فيها قرى نجد وأهلها ، فالتجأ للبصرة ثم الزبير إلى آخر ما ذكر ، مما يحسن لمن يُعْنَى بدراسة أحوال هذا الشاعر أن يتتبعه فَيُبَيِّنَ زَيْفَه .

ولا يتسع المجال إلا للحديث عن نسبه الذي زعم المؤلف ـ وبئس ما زعم ـ إجماعَ جُلِّ الرواةعليه مما يتنافى مع ماهو معروف عند عامة أهل نجد وعند المثقفين ممن لهم عناية بالشعر العامي ، وهم أعرف بجميع أحوال ذالك الشاعر من غيرهم . فهم يتفقون على أنه قَبَلِـيٌّ من قبيلة (بني خالد) القبيلة المشهورة من فرع

يعرف بـ (الدَّعم) من (الجُبُور) وأسرته السَّيَابِرَة ، واحدهم سَيَّاري ، وهي من أشهر الأسر المعروفة في نجد ، ولا يزال للشويعر أسرة تنتسب إليه معروفة ومنتشرة في حائل وفي الرياض وفي غيرهما من بلدان المملكة .

وكان الأولى بمؤلف ذالك الكتاب أن يكون أكثرَ عُمْقاً وبحثاً وتَحَرِّياً للحقيقة ، وخاصة فيما يتعلق بالأنساب ، فالبحث فيها شائك وحسَّاس ، وقد يكون ذَا أَثَرٍ سيءٍ في النفوس ، لَاسِيمَّا وأَنَّ أُسْرَتَهُ لا تَرْضَى بِأَنْ تُوصَمَ بِتِلْكَ الوَصْمَةِ الْبَاطِلة .

أما الاستدلال بالبيت الذي وردت فيه كلمة (الصلبي) فإن هذه الكلمة يطلقها أهل نجد على كل إنسان دَنِـيء حقير الهِمَّة ، ولو كان رَفِيع النسب ،وَإِنْ لم يكن من الصلبة . وهذا من الأمور المدرك بداهة .

من أسر بني زيد

نشرت «العرب» عن بني زيد وأسرهم مما أفضله الاخوان الكريمان : الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد والأستاذ أحمد بن محمد اليحيا وقد ذكرا من عشائر بني زيد ، الجهيم بأنهم من الصالح .

والحقيقة أن الجهيم من أولاد فياض كما أن سويد ابن لفياض والاثنان أخوان ولم يذكرا من الأسر التي خلفها جهيم : الحشاش ، والمخيرش ، والطلاحا ، والطليمس .

الحشاش وقد انقسموا إلى ثلاث أسر هي :

١ ــ الحشاش الذين بقوا على اسمهم الحشاش .

٢ ــ أولاد صقير .

٣ ــ الدرابا ويسكنون الدوادمي وحرور مفردهم دريبي ومنهم الأمير عبدالله الدريبي وهو حي يرزق محال على التقاعد وقد خدم ما يقرب الخمسين سنة محارباً وأمير مركز ، وغيره من أعيان هذه الأسرة .

الدريبي ولد حشاش وحشاش ولد جهيم وجهيم ولد فياض وفياض من عطوى علماً بأن جهيم أخ لسويد والله الموفق .

الدوادمي : سعد بن عبدالله بن سعد الدريبي

آل حوتان في الحوطة والحلوة

فيما يتعلق بنسب أسرتنا «آل حوتان» فهم من عبدل من ذرية عبدالله بن دارم التميمي . وأما أماكن سكناهم فهو ماذكرته في «العرب» ج ٣ ، ٤ س ٢٢ والعدد ٥ ، ٦ س ٢٢ . أمّا ما ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» الطبعة الثانية من إضافة آل حوتان الذين في الحلوة إلى أسرتنا فهذا غير صحيح ، ويبدو لي أن المؤلف حفظه الله قد نقل هذا عن الدكتور محمد بن سعد الدبل من كتابه «الحريق» ص ٧٥ وهذا الكتاب عليه بعض الملاحظات . والأمر ليس سوى تشابه في الأسماء ، فنسب أسرتنا هو ما أوضحته ، وأما آل حوتان الذين في الحلوة فهم على ما أعلم من آل غنام من قحطان .

وأود أن أشير إلى أنه لم يرد في كتاب «الجمهرة» ـ الطبعة الثانية ذكر آل حوتان الذين في الكويت وهم من أسرتنا مع أنني ذكرت هذا في مقالاتي المنشورة في مجلة «العرب» .

وأود كذلك أن أذكر أن آل شعلان من العبادل (عبدل) من تميم وهم في الخرج والرياض .

الدلم : عبدالرحمن بن عبدالله بن راشد آل حوتان

اليماني في شعر النابغة الذبياني

ورد في كتاب «تأريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي» للدكتور شوقي ضيف ـ ص ٢٧٨ ـ ما نصه : وأيضاً : إننا نشكُّ في قصيدته ـ يعني النابغة الذبياني ـ :

لَعَمْـرُكَ ما خشيت عـلى يزيـد   من الفخـر المضلل مـا أتـاني

لأن الرواة يقولون انه هجا بها يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، حين أصاب ابلا للنعمان، وكلاب عشيرة من عشائر بني عامر وهي قيسية مضرية ، ومع ذالك نجد النابغة يدعوه فيها يمنياً ، إذ يقول في نهايتها : (ولكن لا أمانة لليمان) .

←

* حدائق الأدب :

تبدو أهمية هذا الكتاب من احتوائه على نصوص اقتبسها مؤلفه من كتب أوائل المتقدمين من أئمة اللغة كأبي عبيدة والأصمعي وأبي عَمْرو وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، ومع أن المؤلف عبيد الله بن محمد شاهمردان الذي وصف في إحدى المخطوطات بـ (الأبهري) إلا أنَّ تاريخ حياته لا يزال غامضاً ، وقد أبان المؤلف عن غايته من تأليف هذا الكتاب في المقدمة بأنه وجد ما ألَّفَهُ المتقدمون من كتب اللغة كثيرة وعزيزة المنال ، فأراد أن يجمع ما تفرق في تلك الكتب مما يحتاج إليه

← وماكان ليضل عنه أنه مضري لا يمني ، وكأنما القافية أعوزت في البيت منتحله بل منتحل القصيدة فدعاه يمانياً ونسبه إلى اليمن . انتهى .

فهل لي أن أتوجه إلى الدكتور شوقي الأستاذ الجليل الذي لا يجهل أحد منزلته ومبلغ ما يتمتع به من ثقة وتقدير من جميع المعنيين بدراسة أدبنا العربي ، أتوجَّه سائلاً : ألا يكون معنى قول النابغة : (ولكن لا أمانة لليمان) هو ما ذكره أبو عبيدة مَعْمَرُ بن الـمُثَنَّى في «نقائض جرير والفرزدق» ـ ص ١٧٩ ـ إنما يعني النابغة يزيد ابن الصعق الكلابي ، وكان منزله قريباً من منازل الحارث بن كعب انتهى ثم أتى الأعلم الشنتمريّ ، شارح شعر النابغة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم فقال : ـ ص ١١٣ ـ : إنما قال ذالك لأن بعض بني عامر مما يلي اليمن ، وكل من كان يلي اليمن فهو يمانٍ عند العرب ومنه قولهم (الركن اليماني) وهو بمكة فَنُسِب إلى اليمن لأنه يقابلها . انتهى .

ولا يزال هذا التعبير سائراً في عرب زماننا ، فقبيلة هذيل تنقسم إلى قسمين يطلق على من يسكن شمال مكة هُذَيْل الشام ، وعلى من يسكن جنوب مكة هذيل اليمن .

إنه تساؤل يحمل الإعجاب والتقدير لأستاذنا الجليل وله أطيب تحية .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الكتاب والمتحلُّون بالأدب ، فتتبع كتب الأصول فنقلها واختار لُبَّها ، وألف هذا الكتاب المشتمل على غررها تاركاً الوحشيَّ المستثقل ، والعاميَّ المسترذل ، فجمع في هذا الكتاب ثلاثين كتاباً هي الأصول التي يحتاج إليها المتأدب للتعلم ، والأديب للتذكر ، وقد سرد هذه الكتب في المقدمة فابتدأها بكتاب « أسنان الحيوان » وختمها بكتاب « العروض » .

وميزة هذا الكتاب أنه يضم - فيما يضم - أكثر النصوص الواردة في كتب علماء اللغة الأقدمين مما تعرض لذكره ، ولهذا يعد من المصادر التي يحتاج إليها المعنيون بالدراسات اللغوية .

وقد قام الأستاذ الدكتور محمد بن سليمان السُّدَيْس الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية في كلية الآداب (جامعة الملك سعود) بتحقيق الكتاب ، فصدر قسمه الأول في نحو ٣٠٠ صفحة ، ويليه القسم الثاني حاوياً للفهارس المفصلة للكتاب .

والواقع أن جهد الدكتور المحقق يبدو في كل صفحة من صفحات هذا الجزء ، الذي صدره بمقدمة اعتمد فيها على ما جاء في كتاب « معجم الأدباء » من نسبة الكتاب إلى من سماه ، وذكر أنه توفي نحو سنة ٦٠٠ في طرة الكتاب ، ولكن المحقق الفاضل عاد في المقدمة - ص ١٠ - فرجح أنه عاش مدة بعد عام ٦٠٠ ، واستدل على ذالك بمعاصرته لعبد الله بن شعيب أحد ملوك الدولة المرينية في المغرب المتوفى سنة ٧٠٩ ، ولم يُعِرّ تاريخ إحدى مخطوطات الكتاب وهو سنة ٥٨٨ اهتماماً ، كما لم يلاحظ ما بين البلاد التي نُسِب إليها المؤلف ، وموطن ابن شعيب من البُعْدِ ، مما يحمل على الظنّ بأن مؤلف الكتاب لم يقصد ابن شعيب هذا ، ومهما يكن فإن عصر مؤلف هذا الكتاب لا يزال غامضاً ، وهذا لا يقلل من قيمة الكتاب نفسه ، ولا من الجهد المشكور الذي بذله محققه الفاضل الدكتور محمد السُّدَيْس .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الجزء سنة ١٤٠٩هـ في الرياض بدون ذكر المطبعة .

العنوان
حي الورود - شارع محمد الياسر - هاتف ٤٦٨١٢٢٢
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٣ ، ٤ س ٢٥ رمضان/شوال ١٤١٠هـ - نيسان/آيار (أبريل/مايو) ١٩٩٠م

الشّعْـرُ وَالشّعَـراء
في «النوادر والتعليقات» للهجري

- ١ -

لَـمْ يَصِلْ إلينا كتاب «التعليقات والنوادر» للهجريُّ كامِلاً ، وإنما وصلتْ قطعتان منه ، لايُدْرَى هل هما من أول الكتاب أو من آخره ، إحداهما في مكتبة (الجمعية الأسيوية في كلكتة في الهند) والأخرى في (دار الكتب المصرية) ويظهر من استقراء النصوص فيهما أن الهجري يسجل مايجمعه من نصوص في أجزاء غير مرتبة بحيث لا يمكن تمييز ما قدم وما أخر ، يوضح هذا :

١ ـ انه أورد في المخطوطة الهندية[١] قصيدة لحاتم الطائي مطلعها :

إِذَا أُزِّرُوا بِالشَّوْكِ أَعْجَازَ نَخْلِهِمْ ... رَأَيْتَ عِـذَاقِي بَيْنَهَـا مَـاتُـؤَزَّرُ

في أربعة عشر بيتاً وقد تكون في الأصل أكثر إذ تنتهي الصفحة بالبيت الرابع عشر والصفحة التي تليها في المصورة قد تكون ليست تابعة لها .

وفي المخطوطة المصرية قال : زيادة لحاتم[٢]:

دَعِيْنِيَ أَنْفَـعْ فِي حَيَـاتِي فَـإِنَّنِي ... مَتَى مَا أَمُتْ لَا تَبْكِ نَابٌ وَلَا بَكْرُ

فالبيت كما ترى من القصيدة التي تقدم مطلعها .

كما أورد في المخطوطة الهندية ـ ١٨ ـ قصيدة ابن الدمينة البائية في احدى وتسعين بيتاً مطلعها :

اميم امنك الدار غيرها البلا وهيف بحيلان التراب دعوب
ثم أورد في المخطوطة المصرية - ٢٦٥ - ما نصه : (زيادة في قصيدة ابن الدمينة :
وقولي إذا قالوا سلا عنك وانطوى دعوه فمنكم حاسد وكذوب)

فهو كما ترى من تلك القصيدة البائية الواردة في المخطوطة الهندية .

٢ ـ أورد في المخطوطة المصرية[٣] قصيدة جاء فيها : وأنشدني أبو كُلَيْبٍ حُمُرٌ ابنُ الأشهب من بني عامر بن ربيعة للتميمي في ماعز بن مالك البكّائِي وهي تامة هاهنا :

أَتَاني نَعِيٌّ لِلأَغَرِّ ابْنِ مَالِكٍ فَبِتُّ وَلَيْلِي بِالْعِرَاقِ طَوِيْلُ

في ١٨ بيتاً .

وفي المخطوطة الهندية[٤]: زيادة في مرثية :

بَني مَاعِزٍ مَاذَا تُجِنُّ قُبُورَكُمْ عَنِ النَّاسِ مِنْ ذِيّ هَيْبَةٍ وَقَبُول

٣ ـ وقد يكرر إيراد القصيدة في المخطوطتين ، فقد قال في المخطوطة المصرية[٥]:

وأنشدني العَمْرِيُّ من عَمْرِو بن عامر بن ربيعة :

لَعَمْرُ ابْنَةِ الفَهْمِيِّ خَوْلَةَ إنَّني لَهَا بَعْدَ مَنْسِيِّ الهَوَى لَذَكُوْرُ

ثم أورد القصيدة في أحد عشر بيتاً .

وفي المخطوطة الهندية[٦] قال: وأنشدني أبو سليمان الهذليُّ وغيره ـ وهي هاهنا أتَمُّ منها في كل موضع :

لَعَمْرُ ابْنَةِ الْفَهْمِيِّ خَوْلَةَ إنَّنِي لَهَا بَعْدَ مَنْسيِّ الْهَوَى لَذَكُورُ

ثم أورد ثلاثة عشر بيتاً من الشعر ، مع اختلاف في كثير من كلمات الأبيات الواردة في الموضعين .

٤ ــ وأورد في الهندية[٧]: وأنشد للعائذيّ ورأى جاريتين رُوميّتَيْنِ :

فَلَمْ أَرَ كَالرُّوْمِيَّتَيْنِ بِبَلْدَةٍ جَمِيْعاً وَلَاشَقَّ إِذَنْ فَعَمِيْتُ
وَمَالِيْ ولِلرُّوْمِيَّتَيْنِ وَشَعْبُنَا إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا المُنَاخ شَتِيْتُ
وَإِنَّكِ مِنْ رُوْمِيَّةٍ لَمَشْؤُومَةٌ تَبَيَّنَ مِنْكِ الشُّؤْمُ يَوْمَ لَقِيْتُ
رَمَتْنِي بِسَهْمِ الحُبِّ يَوْم لَقِيْتُهَا وَعَادَتْنِي العُوَّادُ يَوْمَ رُمِيْتُ

وفي المخطوطة المصرية[٨]: زيادة :

رَأَيْتُ وَحُجَّاجَ البَنِيَّةِ وُقَّفٌ بِبَطْنِ مِنًى رُوْمِيَّةً فَرُمِيْتُ
فَلَوْ مَارِضَا نَفْسِي بِدِيْنِ مُحَمَّدٍ أَخَذْتُ بِدِيْنِ الرُّوْمِ ثُمَّ رَضِيْتُ
فَلَم أَرَ كَالرُّوْمِيَّتَيْنِ بِبَلْدَةٍ جَمِيْعاً وَلَاشَقَّ إِذَنْ فَعَمِيْتُ

ولا ارتباط بكلمة (زيادة) تلك بما قبلها ، إذ ماقبلها شعر لزيد بن سلمى الحريدي مختلف المعنى والقافية .

ولقد حاول أحدهم نشر هذا الكتاب ، فبدأ بالنسخة المصرية ، ولكنه لم يكن ذا دِرَايَةٍ ومعرفة تمكنانه من تقديم دراسة مفيدة ، لما في الكتاب من نصوص هي بحاجة إلى ضليع في اللغة والأدب ، وواسع الاطلاع على القديم من أشعار العرب[٩].

يضاف إلى هذا أن المخطوطة قد تأثرت كتابتها لقدم عهدها ، فأصبحتْ قِرَاءَتُهَا صعبةً ، كما أن ترتيب صفحات النسخة لم يكن في الأصل سليماً ، مع وقوع خروم (سقط) بين الصفحات فلم يهتد الناشر إلى ترتيبها على الوجه الصحيح .

إن كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري كغيره من كتب النوادر ، يحوي علوماً جمة في الشعر العربي ، وفي الأنساب ، وفي تحديد المواضع ، وفي ذكر أدواء الابل ، مع مباحث لغوية وصرفية ، وغير ذالك مما تحفل به عادة كتب النوادر القديمة .

ولعلّ من أبرزِ مايحويه هذا الكتاب أشعار كثير من الشعراء المغمورين ، مما لم يصل إلينا فيما بين أيدينا من الكتب ، وكأنّ المؤلفَ عُنِيَ عنايةً خاصةً بتدوين أدب الجزيرة ومعارفها عن معاصريه من أهلها ، ولهذا قَلَّ - إن لم يكن ندر - ما ينقل عن غيرهم ، وَوَجَّهَ عنايتَهُ لتدوين أشعار معاصريه ومن قاربهم في الزمن ، وإذا تعرض لشعر أحد من الشعراء المشهورين فإنه يقتصر على مقطوعات قليلة ، إلا نادراً ، كما فعل مع ابن الدُّمَينة ، حيث أورد قصيدته البائية في إحدى وتسعين بيتاً ، وفائية مزاحم العقيلي التي بلغت عنده أربعة ومئة من الأبيات ، والمليح بن حكيم الهذلي الذي أورد له قصيدة مطلعها :

أَجَدَّ الْخَلِيْطُ الْيَوْمَ وَشْكَ التَّزَايُلِ فُجَاءَةَ فَجَّاعٍ مِنَ الْبَيْنِ عَاجِلِ

في ٦٣ بيتاً وهي في كتاب «شرح أشعار الهذليين» - ص ١٠٢٠ - في ٦٠ بيتاً مع اختلاف يسير في بعض الكلمات . وقال بعد إيرادها : لم يقل إلا ثلاث قصائد ، هذه اللامية والدالية :

بان الخليط الذي ما دُونه أَحَدُ

والرائية :

أشاقتْكَ مِنْ لَيْلَى الحمُولُ البواكرُ

- كذا قال ، ولكن ورد في كتاب «شرح أشعار الهذليين» - ٩٩٩ إلى ١٠٦٣ - شعر منسوب للمليح غير الثلاث .

ومع أن المخطوطتين اللتين وصلتا إلينا يعتريهما كثير من الخلل من حيث السقط بين الصفحات ، ومن حيث عدم وضوح كثير من الصفحات عند التصوير ، لانطماس الحروف ، فإن ما بقي منهما يحوي ذخيرةً طيبةً من الشعر العربي القديم ، يزيد على ستة آلاف وست مئة بيت ، إذ نجد في المخطوطة الهندية - مما اتضح في الصفحات الواضحة نحو ثلاث آلاف وتسع مئة بيت .

ونَجِدُ في المخطوطة المصرية نحو ألفين وسبع مئة بيت .

ويكون الرجز من هذا نحو أَلْفٍ ومئتي شطرة .

ومعروف أن الهجري عاش أثناء تأليف كتابه في العقيق بقرب المدينة ، وكان رؤساء القبائل وشعراؤهم يَغِدُوْنَ على أمراء تلك البلدة ، فكان يتلقفهم ، ويتلقى عنهم ، ويسجل ما يملون عليه ، ولهذا نجد كتابه يحوي شعر كثير من القبائل التي كانت ذات صلةٍ بالمدينة ، وأورد لقبائل أخرى أشعاراً قليلة ، وهذه القبائل كما اتضح لنا مما بين أيدينا من شعرها هي :

١ ــ بنو عامر :

ولكثرة فروع هذه القبيلة ولِصِلة كثير من تلك الفروع بالمدينة ، فإن شعرها يربو على شعر غيرها من القبائل ، إذ يبلغ نحو ألفي بيت .

أ ــ لبني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر :

من ذالك الشعر نحو سبع مئة وواحد وأربعون بيتاً لثمانية وأربعين شاعراً ، هم :

الأعنق بن الباهلية	٦ أبيات	حماد بن مهدي	٢ أبيات
امرأة حماد بن مهدي	٤	الخزيمي أحد بني قرة	١٣
بشير بن عطي	٥	خليفة بن عاصم	١٦
بطال بن معاوية	٣	رزام بن قشير	٣
بهيج بن سرور	٧	سلم بن رماح الأسدي القشيري	٣
ابن الثغاء القشيري : (نوال)		سمرة بن زيد	٢
جعفر بن الربيع العبيدي	٥	صاحب جمل : (حبيب بن زيد)	
حباب بن بكير	٢	الصمة بن عبدالله القشيري	٤٥
حبيب بن يزيد (صاحب جمل)	٥٠	عائذ بن نُمَـيٍّ	٤
الحسين بن جابر المريجي	٢٥	عبدالله بن طفيل	٢

العداء بن مضاء	١٣
عيسى بن عمير الليبني	٧
الفارعة بن معاوية	٣
القرطي القشيري	٧
قشير بن عطي العبيدي	٤
قشيري	٢٣
لبيني	١٢
محرز بن قرة	٢
محمد بن حكيم	٨
المختار بن وهب	٦٨
المريحي	٢٢
مريزيق بن صالح الليبني	٧٠
مزيد بن حارث	١٠
مسكر بن عسكر	٣
مسلم بن عسكر الليبني	١٣
مصقع بن حسين	٤
مضاء بن مضرحي القشيري	٥٣
معروف بن قدامة	٣
مكرمة بنت الكحيل	٢٥
المتجع الليبني	٢
منقذ بن عطاء	٥
منقذ بن عليج	٤
موسى بن عيسى	٧
أبو الميمون القشيري: (يحيى بن عبادة)	
ميمون بن عامر القشيري	٧٦
نوال بن الثغاء	٣٥
الورد بن علي المريحي	٢
ابن الوهل المريحي	١٤
هردان بن الوازع	٢
يحيى بن عبادة	٨
يزيد بن الطثرية	٣٩

ب ــ ولبني عقيل بن كعب :

من ذالك الشعر ٣١٨ (ثلاثة مئة وثمانية عشر بيتاً) لثمانية عشر شاعراً ، هم :

بزيع بن علي	١٣ بيتاً
أحد بني الغثاء	٨
ابن بغيض المعرضي	٣
الخويلدي	٢
الخويلدية	٢
زهير بن أحمد الحمالي	٤٩
زهير بن سليم الحمالي	٦
الضحاك بن كلثوم (صاحب أم مسلم)	٢٢
العائذي العقيلي	٢٢
عبدالله بن عاصم الغيلاني	٨
عذود بن عازم	٤
العقيلي	١٦
أبو الغطمش المعرضي	٥
القبيصي الخويلدي	٣
المختار الخويلدي	١٢
مزاحم العقيلي	١٣٥

معرضي: (أبو الغطمش)		ميمون بن شيخ العائذي	٥
أبو المهدي: (عذود بن عازم)		نزار النعامي العقيلي	٣

جـ ــ ولبني نمير:

سبعة شعراء، شعرهم أربعة وتسعون بيتاً، وهم:

سرج بن نافع الصلائي	٤ أبيات	أبو فايد المحرشي النميري	٥
سعيد بن أشلح	٢٢	نميري	١٩
صاحب جَذْوَى النميري	١٩	نميرية	٩
صاحب حبي: (عسكر بن فراس)			
عسكر بن فراس النميري	١٦		

د ــ ولبني هلال:

اثنان وثلاثون ومئة بيت لستة شعراء، هم:

حُمَيْدُ بن ثور	٥٩	مرزوقة المنافية	٣
زهير بن الضبيب	١٥	المنتصر بن عبدالله الهلالي	٣٠
سفيان الزغبي	١٨	هلالي	٧
الماجنة: (مرزوقة المنافية)			

هـ ــ وللضباب:

تسعة وثمانون بيتاً لثلاثة شعراء، وهم:

جحيفة الضبابية	٢٣	الشهاق الضبابي (نهار بن سنان)	٥٢
شريقة الضبابية	١٤		

و ــ جعدة:

ومنهم أربعة شعراء، شعرهم واحد وخمسون بيتاً، وهم:

أبو ثمامة الجعدي	٢٣	جعدي (بعض بني جعدة)	٧
الجعدي الفاتك	٣	عبادة بن البراء	١٨

ز ـ سلول :

ثلاثة شعراء شعرهم خمسة وعشرون بيتاً ، وهم :

سلولي	١٠	الوليد بن سليمان السلولي	٦
العجير السلولي	٩		

حـ ـ ثم لبعض فروع بني عامر ممن لم تسم فروعهم ٤٩١ أربعة مئة وواحد وتسعون لخمسة وعشرين شاعراً ، هم :

أحمد بن يربوع (أبو عبس)	٧	عمران بن مكنف الحرملي	٤١
أبو الأخطب بن علي بن مشوذ	٢	غدير بن ناهض بن ثومة (كلابي)	٣
الأعمش بن عطاف	٤	قيس بن محرز	١٤
بزيع بن جبهان	٩٨	كاهل المعاوى صاحب سلمى	٦٠
توبة صاحب ليل	٥	الكلابي	٢١
حبيب بن كثير العامري	١٥	الكلابية أخت وهب بن العملس	٦
خثيم بن لمي الحريشي	٥	ليل العامرية	٢
ابن سرج الكلابي	٢	المجنون	٧
العامري	٢٤	محمد بن القضم البكائي	٤
عبادة بن مجيب (القتال الكلابي)	٩	مسعود بن حمزة	٨
عبدالعزيز بن زرارة الكلابي	٥	ناهض بن ثومة (كلابي)	١٣٧
عريف بن عنجد	٣	الهتيمي	٣
عطية بن العليج الأَرْطَوى	٦		

٢ ـ بنو سليم :

بلغ شعراء هذه القبيلة ثمانية وثلاثين شاعراً ، لهم في كتاب الهجري من الشعر ـ مما اتضح في المخطوطتين ـ ١٢٩٥ (ألف ومئتان وخمسة وتسعون) بيتاً ، وهاؤلاء الشعراء هم :

أحمر الرأس السبيعي	٤٧	عبدالله بن هبة المرادسي	٢٤١
الأدرع بن مخارق العتّبي	٩	عسكر بن عقبة المرداسي	١٥٠
الأزرقي	١٥	عطية بن أبي شجرة الأزرقي	٢٥
الثرير بن قريز الزريري	٦	عمرو بن المُسَلَّم الرياحي	١٥٢
جبر بن عقبة الأزرقي	٦	عود الحرب الزّغْلِيّ	٨
حاتم بن مدوك الحبشي	٣٦	غزلان الشامي	١٢
الحارث بن سباع الخفافي	٧	قرة بن عياض الليبدي	٣
حصين الفوارس	٢٢	ابن قند المرداسي	٩
أبو الحواس الخزيمي	١٩	مجالد بن وهب	١٠
حية الجلمي السلمي	١٠	محمد بن شهاب الأرطائي	٨
الخنساء	٢٧	محمود الرياحي	٣١
الدبابِي	٨	المرداسي السلمي	١٥
ذؤابة المرداسي	٩	أبو مُصْلح البهزي	٢٢
أبو الزكركر الشريدي	٥	مطلي بن عميرة	٤
سُلَميٌّ (بعض بني سليم)	٧	معن بن فهيرة	١٤٠
أبو شجرة الأزرقي	١٠٢	مكرم بن قرة	١٧
أبو صالح السّمالي	١٨	نصيحة بنت المسلم	١٦
عباس بن مرداس	١٦	واصل بن محمد الأزيدي	١٠
عبدالحميد المرداسي	٦	يحيى بن ربيق السلمي	٤٧

٣ ــ ثم هذيل :

فقد دون من شعرها خمس مئة وثلاثة وستين بيتاً لواحد وعشرين شاعراً ، وهم :

ثابت بن عبدالله الهذلي	٧٠	أبو خراش الهذلي	١١
خالد الهذلي	٢	الدعدي بن عابدل	٥

دعدي	٩٩	عليقة الدعدي	٨١
أبو ذؤيب الهذلي	١٨	عمارة بن راشد	٨١
رافع بن عبدالله الهذلي	٣٧	عياض العاتري	٣٤
أبو سليمان الهذلي	١٢	أبو المثلم الهذلي	٨
صاحب ميثاء الأراشية	٩	أبو المسيب: (ثابت بن عبدالله)	
أبو صخر الهذلي	٣	مطرف بن محمد الخثمي	٣
العاتري: (عياض العاتري)		معقل بن خويلد شاعر هذيل	٦
عبد مناف بن ربع الجربي	٢	مليح بن حكيم الهذلي	٦٥
		موسى بن طارق	٦
		نوفل بن أبي الزمن الهذلي	٢
		هذلي	٩

٤ ــ اما هوازن :

فشعراؤهم اثنى عشر، وشعرهم مئتان وواحد وعشرون بيتاً، لبني جشم منهم سبعة شعراء لهم مئة وخمسة وستون بيتاً، وللهوازنيين الأربعة الباقين بقية الشعر، وهم :

أحمد بن الأعرج السعدي	٤١	الزهيرية الجشمية	٢٢
أبو الأحول السعدي (أحمد بن الأعرج)		سَرِيّ بن عَبْدِ رَبٍّ	٨
جُشَمِيّ	٤٠	طارف بن ظهر الخِصَافِي	١٠
حجاج بن مرداس	١٩	الوَقْدَانِيّ	٣
حنبل العَصَمِيّ	١٠	النصري	٦
ابن رعلاء العُرْوِيّ	٣١		
رفاعة بن دُرَّاج العَصَمِيّ	٣١		

٥ ــ أشْجَع :

شعراؤها ثلاثة، لهم خمسة وعشرون بيتاً، والشعراء هم :

أُطَيْطُ الأشجعي[١٠]	٢٢	جبهاء بن حيمة الأشجعي	٢

مدرك بن عبدالملك	٢		

٦ ــ مُزَيْنَــــة :

خمسة شعراء وتسعون بيتاً ، وهم :

الـجِعَالي المزني	٥	عبدالله بن أبي صبح المزني	٤١
خارجة بن فُلَيْحٍ الـمَلَلِيُّ	٣٥	المزني	١٠
ابن شهاب	٤		

٧ ــ غَطَفَــان :

ثلاثة عشر شاعراً ، لهم اثنان وتسعون بيتاً ، وهم :

الثعلبي	٦	الفزاري	١٧
ابن الدُّهَـيُّ المازني	١١	لاحِقُ بن الضُرِيس الشَّمْخِـي	٢
رَمْلَة أُخْتُ مُشَيعٍ	٣	محمد بن هرير	١
زيد بن سُلْمَى الحريدي	١	المري	١٠
السِّنانية (سنان مرة)	٥	مُسَاور بن صالح القِتَالي	٧
شعواء الـمُرِّيُّ صاحب خَوْلَةَ	١٠	ابنة مُشَيْع بن لاَحِقٍ	٦
عُلْبَةَ الـمُرِّيُّ	١١	هَيْذَامُ المازنيُّ	٢

٨ ــ بَاهِلَــــة :

أربعة شعراء وخمسون بيتاً ، وهم :

ابن أحمر (عَمْرو بن أحْمَر) باهلي	٢٠	سَبَّاقُ الباهلي	٢٩
		عَمْرو بن أحْمَر	٤
زِرْبِيُّ بن سَبَّاق	٢		

٩ ــ فَهْـــم :

ثلاثة شعراء ، لهم ثمانية وأربعون بيتاً ، وهم :

أَعْشَى طَرُود (إياس)	١٣	النُّمَلْيح بن زيد الفَهْمِي	٢٦
الفَهْمِـي	٩		

١٠ ــ ضَبَّـــةُ :

شاعرانِ ، لهم خمسة وثلاثون بيتاً ، وهما :

أبو السمح الضَّبِّي	٤	ضَبِّـيٌ	٢٦

١١ ــ تميـــم :

شاعر واحد هو : عُمارة بن عقيل له ثلاثة أبيات .

١٢ ــ عـــدي (من الرِّباب) :

شاعر واحد هو ذُو الرُّمَّةِ له ٢٥ بيتاً .

١٣ ــ عَــذْوان :

شاعر واحد هو محمد بن بَشِير الخارجي ، له أربعة عشر بيتاً .

١٤ ــ عَضَـــلُ :

شاعر واحد أيضاً له ٨٠ شطراً من الرجز وهو أبو الغمر العضلي .

١٥ ــ محـــارب :

شاعران لهما سبعة أبيات وهما :

غبطة المحاربية	٣	مخلف زوج غبطة	٤

ومن القبائل اليمانية :

١ ــ خَثْعَــــم :

أربعة شعراء ، شعرهم ثلاث مئة وثلاثة عشر بيتاً ، وهم :

الـجَلَجِيُّ : (كعب بن مشهور)		عبدالله بن الدُّمَيْنَة	١٧٤
صاحب جنوب القلب	٧	كعب بن مشهور	١٣١
		النـسعي الخثعمي	١

٢ ــ خزاعــــة :

أربعة شعراء ومئة وسبعة وثمانون بيتاً ، والشعراء هم :

الحصيب الخزاعي	١٠	يوسف بن عبدالرحمن الحللي	١٣٨
الغاضري من أهل تربة	٣		
كُثَيِّــر	٣٦		

٣ ــ نَهْــــد :

ستة شعراء ، شعرهم مئة واثنان وخمسون بيتاً ، والشعراء هم :

جابر بن حوثرة	٣٠	نهــدي	٢٨
حبش بن سعيد (أزرق نهد)	٧٩	موسى بن هبيرة	٤
سليمان بن زيد العمري	٦		
عبدالله بن العجلان النهدي	٥		

٤ ــ بَلِــــيٌّ :

أربعة شعراء ، لهم تسعة وثمانون بيتاً والشعراء هم :

أمامة المريدية	٢	القُحَيْفُ الجعْلي البَلَوِيُّ	٥٧
الأُمَيْلِسُ	٢٦	ميمونة بنت عبدالله الـمُرَيْدِيَّة	٤

٥ ــ طَــيء :

سبعة شعراء ، وشعرهم ثمانون بيتاً والشعراء هم :

حاتم الطائي	١٥	زيد الخيل	١٠

سِنْبِسِيَّةٌ (جارية)	١٧	عبدالله بن عون (من بني جوين)	٥
طائي	١٦	الـمَغْنِيَّـةُ	١١
الطائية أخت شبيب	٦		

٦ ـ عُـــذرة :

شاعران ، وشعرهما ثمانية وسبعون بيتاً ، وهما :

جَميل بن مَعْمَرٍ (جميل بثينة)	٦٩	العُـذْرِيُّ	٩

٧ ـ بنو الحارث بن كعب :

ستة شعراء ، وشعرهم ثمانية وأربعون بيتاً ، وهم :

نافع بن أصغر المعاوِيُّ	١٣	ابن ذِي العُرْقوب	٢
جعفر بن عُلَبَةَ	٨	عُفَيْرُ بن جَندل	١٠
الحارثـي	٨	نِيَارُ بن عبدالعزيز	٧

٨ ـ الأزد :

ثلاثة شعراء ، شعرهم سبعة وعشرون بيتاً ، وهم :

السَّرَوِيُّ أَحَدُ بني شَكَرٍ	٦
قريش بن عبدالرحمن القَذَمِـي	٧
اللَّهَبِـيُّ	١٤

٩ ـ النخَـــع :

شاعر واحد هو أبو البقرات النخعي له تسعة عشر بيتاً .

١٠ ــ كَلْــب :

شاعران لهما اثنا عشر بيتاً ، وهما :

عُمارة الكلبي ابن البولانية	٩	الكلبية	٣

١١ ــ وهناك شعراء لم ينسبوا إلى قبيلة ، وهم :

بدوية	٣	أم عمرو	٥
جنــاح	٢	أبو كليب[١١]	٩
الحادي في جادة البصرة	٥	مريم	٣
صاحب أم طيب	٥	ابن نعمة	٢
صاحب أم عائذ	٤	الوليد بن موسى آل بني موسى[١٢]	١٣

١٢ ــ شعر غير منسوب :

يضاف إلى ماتقدم أشعار لم تنسب إلى قائل وهي نحو ثلاث مئة وثلاثون بيتاً .

وهناك أيضاً رجز غير منسوب نحو ثلاث مئة وعشرون شطراً .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

الحواشي :

١ ــ ٢٥٤ . ٢ ــ ١٠ . ٣ ــ ٢٣٨ . ٤ ــ ٢٠٥ .

٥ ــ ١٠ . ٦ ــ ٢٤٩ . ٧ ــ ٢١٥ . ٨ ــ ٤٥٤ .

٩ ــ انظر مجلة «العرب» س ١٦ ص : ٨٠٧/٦٥٤/٤٨٥/٣٢١ وس ١٧ ص : ١٠٣/٢٦١/٤٢٨/٥٨٤/٧٥٩/٨٤٢ وس ١٨ ص : ١٠٦٢/٥٠١/٣٨٢/٢١٤/٧٠ وس ١٩ ص : ٦٨ .

١٠ ــ قد يكون الشعر من انشاده وليس له ، والأشجعي الذي يروي عنه الهجري هو أُطيط بن سعد الأشجعي تكرر ذكره كثيراً في الكتاب .

١١ ــ قد يكون أحد من أكثر النقل عنهم وهو أبو كليب: نَمِرٌ بن الأشهب العقيلي الذي روى عنه طائفة من أشعار عقيل وجيرانهم «أبو علي الهجري» ـ ٤٥ ـ .

١٢ ــ هذا مولى وسادته بنو موسى هم أهل الجار ، ولعلهم جعفريون .

مع «معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب»

لمجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة لبنان ١٩٨٤م

أُتيح لي أن أرى هذا العِلْقَ النَّفيسَ في طبعته الثانية الأنيقة ، فأقبلت عليه إقبالَ المستفيد . وإنّي لواثقٌ كُلَّ الثقة أن «المعجم» موطن فوائد سَنِيَّة عكَف عليها عالمان جليلان . وأشهد أني وقفتُ فيه عَلى علم جَمٍّ أجتهد فيه العالمان الجليلان فكان لهما ما أرادا .

ومن الخير أن يكون هذا المعجم شُغْلَ المعنيين ، وكنت أحد هؤلاء الذين استوقفتهم هذه الفوائد ، فكان لي فيه وَقَفَاتٌ أبسطُها بين يدي القاريْ لا تخلو من فوائد ، بل قل : هي بعض إضاءة تزيد مافي المعجم على حسنه وكماله .

وقبل أنْ أقِفَ على ما أريد بسطه أودُّ أن أقول : كأنَّ العالمَيْن الجليلين قد اسْتَقَلّا موادَّ المعجم فَرَامَا يُلْحِقان بها ماليس منها إلا في صلة بعيدة يبعدها التقيد الدقيق بالاختصاص ، كما تبعدها حقيقة (المصطلح) في خصوصيته وإحكامه .

ومن هذا لا أرى وجهاً في إدراج (الإباضية) ، وهي من الفرق الإسلامية في مواد المعجم . وحق (الإباضية) أن تكون في كتب الفرق . إذا كان للإباضية وسائر الفرق أدب خاص ، فليس هذا بمسوغ لنا أنْ نلحقها بمواد معجم انصرف إلى المصطلح الأدبيْ واللغوي . ويندرج في هذا من غير شك (الإباضية). . .

ومثل هذا أيضاً إدراج مادة (الأزارقة) في مواد «المعجم» والأَزَارِقَةُ أيضاً من تلك الفرق ، فَأَنَّى لها أن تكون من مصطلحات الأدب واللغة !

أقول : لو كان للإباضية والأزارقة مصطلح خاص في الأدب واللغة لكان للمؤلفين الفاضلين أن يدرجاه في موضعه من «المعجم» مع الإشارة إلى خصوصيته في كل من الإباضية أو الأزارقة .

وقد يكون شبيهاً بهذا إدراج (الأفلاطونية) و(الأفلاطونية الجديدة) في صلب المعجم ، وهما مصطلحان فلسفيان ، ولهما مكان أيّ مكان في كل معجم فلسفي .

ومثل هذه المواد التي حقها أن تندرج في غير هذا «المعجم» مسائل أخرى سأشير إليها وأنا استقري (وقفاتي) هذه .

ولابُدَّ لي أن أعودَ إلى المعجم مستقرياً المواد التي استوقفتني فأقول :

١ ــ الابتكار (Invention) :

أقول : إن (الابتكار) قد اكتسب في عربيتنا المعاصرة شيئاً من هذا المعنى ، وشاع . والأصل فيه البكور ، وابتكر بمعنى خرج في البكور ، وهو أكثر من المضاعف (بكّر) الذي شاع في عصرنا . ولم يستعمل أهل العربية فيما خلا عصرنا الفعل (ابتكر) بالمعنى الذي أشارا إليه المؤلفان الفاضلان .

لقد كان كتاب «المثل السائر» من مصادر المؤلفين ، وقد أشارا إليه غير مرة ، ومؤلفه ضياء الدين بن الأثير قد استعمل الفعل (اخترع) ، وقال غير مرة : وهذا المعنى (مخترع) لي . وربما جاء في كلامه (مبتدع) .

وعندي أن (الاختراع) أولى بأن يكون مقابلاً للمصطلح الأجنبي .

وماكان لنا أن نترك المصطلح القديم الذي يقابل المصطلح الأجنبي الذي تواجهه في هذا «المعجم» ونلتزم بكلمة أشاعها المعاصرون ، وذهبوا بها إلى هذا المعنى .

ولست بالقائل : إن استعمال المعاصرين للابتكار هذا الاستعمال من الخطأ ، ولكني أُشِير إلى هذا الاستحداث من الناحية التاريخية .

وأنا أستظهر بسندٍ لي مما أثبته المؤلفان ، فقد جعلا مقابلاً لـ : Poetic invention مصطلح (الإبداع) فأين كانا عن هذا حين أثبتا (الابتكار) ؟

٢ ــ ابن قيس الرقيّات :

وهو شهرة ، ولا أقول (لقب) كما أثبت المؤلفان ، عُرِف بها الشاعر عبدالله بن قيس . . . (نحو ٨٥هـ) ، شاعر الزبيريّين .

قال المؤلفان : وإنما (لُقب) بذلك لأنه كان يُشبِّبُ بأكثر من فتاة تُسَمَّى رُقَيَّةَ . انتهى كلام الأستاذين الجليلين .

أقول : إذا كانت هذه (الشهرة) أو قل هذه (الخصوصية) قد سوغت للمؤلفين أن يُدرجَاهَا في باب (المصطلح الأدبي) فأين هما عن الكثير مما اشتهر شهرة للشعراء والأدباء واللغويين ، إذا كانت هذه (الشهرة) قد سوغت هذا ، أفلا يكون لهما أن يدرجا سلاّمة القَسّ ، ومجنون بني عامر وغير هذا في هذا الباب ؟

٣ ــ ابو الشَّيْصِ :

هو (لقب) للشاعر العباسي محمد بن عبدالله بن رَزِين . . .

أقول : ليت صاحِبيَّ المؤلفين قد أبعداً كلمة (لقب) واستبدلا بها كلمة (شهرة) ، ذالك أن اللقب مدح أو ذمّ ، وانصرافها إلى الذم أشيع ، وهي هنا غير الكنية التي تنصرف لا المدح ، قال :

أُكْنِيْهِ حِيْنَ أُنَادِيْهِ لِأُكْرِمَهُ ۔ وَلَا أُلَقِّبُهُ، والسَّوْأَةُ اللَّقَبَا

هذه زيادة لا أطلب من المؤلفين أن يقفا عندها كثيراً ، ولكني أسألهما لِمَ ذكرا (أبا الشَّيْصِ) في «معجم المصطلحات» ، ولم يذكرا : (أبا نواس) و(أبا الشمقمق) و(أبا دُلَامَةَ) وغيرهم ! وإذا كان هذا ، فإنَّ «معجم المصطلحات» سيغدو معجماً للشهرة والكنية واللقب .

٤ ــ أَبُو العَتَاهِيَة :

هو (لقب) لإسماعيل بن القاسم . وقد ذكر المؤلفان سبب هذا (اللقب) وهو معروف . أقول : وليس هذا السبب مسوغاً لنا أن نجعل من (أبي العتاهية) مصطلحاً في الأدب . ولابُدَّ لي أَنْ أُثْبِتَ أَني جَرَيْتُ مع المؤلفين الفاضلين وأَغْضَيْتُ عن مصطلحات الفن الروائي والمسرحي وما يتصل بالسينما والرسم ، وقلت : لابُدَّ لي أَنْ أقبل ما قبله المؤلفان على السعة .

٥ ـ الإجماعية Unanimism :

أقول : لقد جاء في شرح المصطلح الفوائد المطلوبة ، وليس لي أن أقول فيها شيئاً ، ولكني أتردد في هذا المصدر الصناعي (الإجماعية) الذي صُنِعَ ليكون وافياً بالمصطلح الأعجمي Unanimsm ، ذلك أن أهل العلوم الإنسانية عامة لا يستعملون (الإجماعية)، بل يقولون : نحن إجماع ، أو إن أهل الرأي مجمعون ، مثلاً . . .

٦ ـ اختزال صورة الكلمة Haplology :

قال المؤلفان : هو حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصاراً لبنيتها ، وتيسيراً (كذا ، ولعلها تيسيراً) للنطق بها ، ومثال ذلك قولهم في المصرية العامية (سِنْيا) بدلاً من (سينما)، (الدكتور ابراهيم أنيس): «من أسرار اللغة» . انتهى كلام المؤلفين .

أقول : رحم الله الدكتور إبراهيم أنيس ، لقد كان في طوقه أن يأتي بشيء من فصيح العربية للتمثيل على (الاختزال). ألا ترى أن (النموذج) من (الأنموذج) ومثل هذا كثير .

٧ ـ الأخطل :

هو لقب لأحد شعراء النقائض المشهورين . . .

أقول : الأخطل صفة تتصل بعيوب الكلام والرأي ، فقالوا خطل الرأي مثلاً ، أوصفه تتصل بـ (خلق الأذن) وأذن خطلاء ، ومن هنا وصفت العَنْز بخطلاء بسبب صفة أذنيها .

ولكني أتساءل : إن كانت هذه الصفة هي التي استحقّتْ أن تكون مصطلحاً لاتّصالها بالشاعر الأموي المعروف ، فَلِمَ ترك المؤلفان صفات أخرى اشتهر بها رجالٌ من أهل العلم ، كالأعرج وهو عبدالرحمن بن هرمز من أوائل النحويين ، والأعمش ، وهو سليمان بن مهران ، من أهل القراءات ؟!

وأَيْنَ (المتلمس) من شعراء الجاهلية وهو جرير بن عبدالعُزَّى ، وأَيْنَ المتنبي وأين المعري وأين جمهرة أخرى ممن اشتهر بشهرة غَطَّتْ على اسمه كأبي نُوَاس مثلاً ؟!

٨ ـــ الأخلاط Humours :

لنظرية الأخلاط أصْلٌ في علوم الطب . . . . كما قال المؤلفان الفاضلان .

أقول : كيف لي أن أدرج (الأخلاط) هذه ويدخل فيها الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، في باب (المصطلحات الأدبية واللغوية)؟

٩ ـــ الأدب :

أقول : ذكر المؤلفانُ معاني (الأدب) ، وقد أُدْرَجَا ثمانيةَ مداخِل .

وأضيف إن (الأدب) قد عَنَى (العقوبة) في كتب التعليم القديمة كما في كتاب «سياسة الصبيان» وغيره . وهي العقوبة التي يُنزلها المعلّم (المؤدب) بالولد إذا قصَّر في شيء .

١٠ ـــ الأدب التافه أو الرخيص Literary Trash :

أقول : وصف (الأدب) بـ (التافه) أو (الرخيص) مأخوذٌ من العربية المعاصرة التي تأثرت باللغات الأجنبية ولاسيما الفرنسية والانجليزية فَنُقِلَتْ طائفة من المجازات في هاتين اللغتين إلى العربية .

إن (التافه) في العربية لا يتجاوز الطعوم ، و(الرخيص) لصيقٌ بالأسعار ، وليس من ضَيْرٍ أن نتوسَّعَ قليلاً فنفيد من هذا النقل .

غير أنَّ المؤلفَيْنِ الفاضلين قَدْ عرَّفَا هذا (الأدب التافه أو الرخيص) بقولهما : هو ماكان بَذيئاً . . .

أقول : ليس شرطاً أن يكون هذا الأدب (بَذِيْئاً) ، ذلك أن كثيراً مما ينشر في صحف عصرنا هو (تافه) وهو (رخيص) ، ولكنه ليس (بذيئاً) .

١١ ـ الأدب المكشوف Erotic Literature :

أقول : إن مصطلح (المكشوف) في وصف الأدب معروف لما هو مُجُوْنِـيٌّ أو قريب منه . و(المكشوف) مصطلح جديد قد وفى بالغرض وشاع .

غير أني لا أستطيع أن أقصر المصطلح (Erotic) على المجون فأجعلها تقابل في العربية (المكشوف) إن هذه الكلمة الأجنبية تفيد ماهو (شهواني) من الأدب كما تفيد ما يتصل بالعشق .

١٢ ـ ادب الهروب :

أقول : مصدر الفعل (هَرَبَ) في معجمات العربية هو (الهَرَب) ، وهو الشَّائع في الاستعمال في كتب الأدب ، ولم يذكر (الهروب) من أصحاب المعجمات إلا الفِيُّومي في «المصباح المنير» ، وكأن الصيغة جَدَّتْ في القرن الثامن الهجري ، وربّما ارتضاها «مجمع اللغة العربية» .

١٣ ـ الأرتقيات :

قال المؤلفانِ : هي تسع وعشرون قصيدة نظمها صفي الدين الْـحِلِّيُّ في مدح آل أرتق في مَارِدِين بالجزيرة . . . وكل قصيدة تسعة وعشرون بيتاً . ويبدأ كل بيت بحرف من حروف الهجاء ويختم به . . .

أقول : إن هذه القصائد على خصوصيتها ، وما مُيِّزتْ به من خصائص لا يمكن أن تكون (مُصْطَلَحاً) ، وإذا كان لنا أن نتوسع في حدّ المصطلح ليشملها ، كان علينا أن نضع في «المعجم» (سيفيّات) المتنبي التي خصّها الشاعر بمدح سيف الدولة بن حمدان ، وقد أطلق عليها (السيفيّات) . كما نضع في «المعجم» المسائل التي وسمها أبو علي الفارسي بـ (الشيرازيات) وهي مسائل في النحو واللغة ، وكذلك (البَصْرِيَّات) و(الحلبيات) من مسائل أبي عليّ .

١٤ ـ الإرداف Parataxis :

وقد استشهد للإرداف بقول عمر بن أبي ربيعة :

بَعِيْدَةُ مَهْوَى الْقِرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ   أبُوهَا وإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ

وعدّه ابن الأثير من الكناية .

أقول : وكان يحسن أن يحال على (الإرداف) في مادة (الكناية) .

١٥ ــ الازدواج الصوتي Diaeresis :

فصل الصوتين المكونين صوتاً واحداً بعضهما عن بعض . مثال ذلك : ردّ (آمن) إلى أصلها (أأمن) .

أقول : ولا ترد (آمن) إلى (أأمن) إلا في ضرورة شعرية ، وتُعَدُّ من الضرورات القبيحة كَفَكُ الإدغام في بيت المتنبي :

فَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الذِي هُوَ (حَالِلٌ)

١٦ ــ الاستنطاء :

هو قلب العين نوناً عند قبائل هُذَيْلٍ وقَيْسٍ والأَزْدِ والأَنْصار في يثرب مثل : (أعطى وأنطى) .

أقول : وقد احتفل اللغويون الأوائل بهذه المسألة ، وجاء المعاصرون ، وأدخلوها في باب اللهجات . والغريب أن أولئك وهؤلاء لم يستشهدُوا على هذه (اللهجة المزعومة) إلا بالفعل (أعطى) الذي يتحول إلى (أنطى) . ولو كان للمسألة أساس أو علة صوتية ، وهي مَجِيء العين ساكناً سابقاً للطاء ، لكان لنا أن نرى في هذه المسألة ظاهرة متكررة في (أعطَبَ) و(أعطَشَ) و(أعطَلَ) وغيرها ، ولكننا لم نجد فيها أثرَ أنَّ هذه الأفعال قد أُبْدِلَتْ فيها العين نوناً فتكون بذالك ظاهرة لغوية .

١٧ ــ الأسطورة Legend; myth :

لقد أورد المؤلفان فوائد جميلة في الأسطورة ولاسيما عند اليونان ، ثم ذيَّلاَ هذه المادة بقولها : والأسطورة عند العرب سَرْدٌ قَصَصِيٌّ لا يمكن اسناده إلى مؤلف

معين يتضمن بعض المواد التاريخية إلى جانب مواد خرافية شعبية . . . مثال ذالك قصص الزِّير سالم وعنترة .

أقول : هذا صحيح ، ولكن هذه النماذج (الأسطورية) بعيدة عن مفهوم الأسطورة عند اليونان والرومان ، بل هي حكايات صنعها القُصَّاصُ في أزمنة متأخّرة .

وكأن (الأسطورة) قد اشتقها اللغويون من الجمع (أساطير) و(الأساطير) كما في الآيات الكثيرة (أساطير الأوَّلين) تعني كتابات الأولين التي ليس فيها دين حق ، بل هي أكاذيب .

و(الأساطير) هنا كأنَّها جمع الجمع لـ (سطر) ، وجمعه سطور وأسطار وجمع هذا (أساطير) .

وكثير من جمع الجمع على (أفاعيل) قد اتجه فيه المعربون فأخذوا منه مفرداً على (أفعولة) ، فمن (أناشيد) أخذوا (أنشودة) ، ومن (أماديح) : (أمدوحة) ولم يرد في استعمال العرب (أنشودة) مفرداً ، ولا (أمدوحة) . وربما كان من هذا (أقصوصة) و(أسطورة) ، وإن وردت (الأسطورة) في معاجم اللغة غير بعيدة عن مفهوم ما يكتب من الأسطار .

١٨ ــ الاسم المستعار Nom-de-plume; Pseudonym :

لقد مثّل المؤلفانِ للاسم المستعار بـ (أدونيس) الذي اتخذه الشاعر السوري وليس اللبناني كما أثبت المؤلفان وهو علي أحمد سعيد .

وكذالك (بنت الشاطىء) الذي التزمت به الدكتورة عائشة عبدالرحمن المصرية .

أقول : أيْنَ هما عن (باحثة البادية) وهو ماالتزمت به ملك حفني ناصف ، وهذا أسبق من الاسم الأول والاسم الثاني .

١٩ ــ الإسماعيلية :

أقول : كان حقها ومكانها في كتب الفِرق ، وليس من علاقة ولو ضئيلة بالمعجم اللغوي .

٢٠ ــ أصل المشتقات :

هو المصدر عند البصريين . . . أما الكوفيون فيقولون بأن أصل المشتقات الفعل . . .

أقول : وهذا من (مسائل الخلاف) بين الفريقين . والذي أراه أن هذا ليس من مواد الخلاف ذات القيمة اللغوية التاريخية ، ذالك أن المصدر والفعل مادتان متشابهتان يحل أحدهما محل الأخر ، ولاسيما في (العمل) . ومن أجل ذالك عَبَّر أصحاب المعاجم عن (المصدر) بمصطلح (الفعل) كثيراً .

والذي أراه أيضاً أن أصل الاشتقاق هو المواد الحسية ، ولكن المشقَّة أنَّنا لا نستطيع الوصول إلى كثير من الأصول الحسيَّة للكلمات ذات الدلالة المعنوية . قد نستطيع مثلاً أن نرد طائفة من الدلالات المعنوية إلى أصول حِسِّية كما هي واضحة في ألفاظ (خلق الانسان) نحو : الرأس والعين والأذن واليد والرجل ونحو ذالك فنقول : إن الأيد والتأييد والفعل أيّد من (اليد)، وأن الفعل عاين وعيَّن من (العين)، والفعل أذن وتأذَّنَ من (الأذن) ورأس يرأس من (الرأس) وهكذا في سائر المواد .

٢١ ــ أصلي وأصيل :

وكلاهما كانا مقابلاً لـ Original .

أقول : وقد فرّق الفرنسيون في هذا فكان لما هو (أصلي) Originel ، وما هو (أصيل) من (الأصالة) Original .

٢٢ ــ الاطّراد Regular Sequence :

وهو أن تذكر أسماء الممدوح أو غيره وأسماء آبائه مرتبة حسب الولادة من غير

تكلف ، ومثال ذلك قول الشاعر :

إنْ يَقْتُلُوكَ فَقَد ثَلَلتَ عُرُوشَهُم بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

أقول : هذا صحيح كما قالوا ، ولكن (الاطراد) اللغوي هو مَجِيْءُ المسألة اللغوية من غير شذوذ ولا استثناء فيها ، مثال ذلك :

ضَمُّ أولِ المضارع الرباعي نحو : يُدَحْرِجُ ويُكْرِمُ . . . .

٢٣ ـ الأعشى :

لأعشى قَيْس أبي بَصير الشاعر المعروف .

أقول : إذا جاز أن يدرج اللقب أو الشهرة في حَيِّز المصطلح الأدبي واللغوي ، فكان الأولى أنْ يُشَارَ إلى سائر (الأَعْشَيْنَ) هنا ، وهم :

أعشى همدان ، وهو عبدالرحمن بن عبدالله .

وأعشى باهلة ، وهو عامر بن الحارث .

وأعشى تغلب ، وهو ربيعة بن يحيى .

٢٤ ـ إفراد الفعل :

مَتَى كان الفاعل أو نائبُه اسماً ظاهراً وجَب أنْ يبقى الفعل مفرداً .

أقول : إنَّ هذا «المعجم» خاص بالمصطلح ، وليس في (المصطلح) النحوي (إفراد الفعل) ولا (الفعل المفرد) ، بل إنَّ الفعل لا تلحقه الإشارات أو الضمائر إنْ كان الفاعل أو نائبه اسماً ظاهراً جمعاً أو مثنًى كما مثل المؤلفان نَحْو : قام المسلمون للصلاة ، وسِيْقَ اللِّصَّانِ إلى مركز الشرطة . . .

٢٥ ـ التقاء الساكنين :

نعم يلتقي الساكنان في فعل الأمر من المضعف (مَدَّ) فيقال (امدُد أو مُدَّ) وفي هذا تَخَلُّصٌ من التقاء الساكنين ، وذلك بتحريك الأول بحركة من جنس حركة المضارع منه ، وإضافة همزة وصل في أول الفعل ، أو بتحريك ثاني الساكنين بالفتح من غير إضافة شيء .

ومواضع أخرى ذكرها المؤلفان ، ولكنهما جعلا في هذه المواضع أَحْرُفَ المدّ ساكنةً ، وهذا هو قول الأقدمين الذي مازلنا عليه ، ومنه عندهم ماورد في قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿ فإذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى ﴾ .

أقول : والذي يقرره علم الأصوات في عصرنا أن ألف المد وواوه وياءه من الأصوات المصوتة ، وكأنه مطيلٌ للحركات ، وكأن ابن جِـنّي من القدماء أدرك هذه الحقيقة وإن لم ينص على حركة أحرف المد .

والذي جعله القدماء من التقاء الساكنين في (عامّة) و(طامّة) و(مُدهامّتان) ونحو ذالك هو في الحقيقة أن هذه الكلمات العربية قد احتوت على مقطع طويل تجاوز حَدَّ الطول المعتاد في سائر الكلمات الأخرى .

٢٦ ــ الف النسب :

وهي الألف التي تكون في (بنهاوي) المنسوب إلى (بَنها) ، وفيه يقال أيضاً : بَنْهِـيٌ وبَنَهَوِيٌ .

أقول : لا نعرف في المصطلح النحوي (أَلِفَ النَّسَب) وذالك لِأَنَّ النَّسب فيما آخره ألف ينظر إلى ألفه إن كانت ثالثة فترد إلى أصلها ، وإن كانت رابعة فأكثر فتقلب ياء . هذه هي القاعدة ، غير أن في العربية ما يشذ عن القاعدة المطردة ، فقد نسبوا إلى (طنطا) فقالوا : طنطاويّ ، وحقُّها أن تكون طنطيّ ، ولكن هذا لم يجر به استعمال ، وغلب الشذوذ .

وقالوا في النسب إلى (يافا): يافاويّ ، على أن القاعدة سمعت أيضاً في هذه النسبة التي جاء منها (يافيّ) .

وقد يكون الشاذُّ هو الأصل ليس غير وذالك كالنسب إلى صنعاء وبهراء فقالوا : صنعانيّ وبهرانيّ ، كلاهما بالنون ولم يقولوا : صنعاويّ وبهراويّ مع أنَّ الهمزة للتأنيث وحقها أن تقلب واواً كما في صحراء وصحراوي .

٢٧ ـ الألفاظ العامية :

ومثّل المؤلفانِ بشواهد من كلام العامة في مصر وبغداد ، وقالا منها : (اتنَمْرَد) وجعلا الفعل هذا من الفصيح (تَمرَّد) .

والذي أراه أنَّ الفعل العاميّ أُخذ من (نمرود) و(النمرود) في كثير من الألسن الدارجة هو المحتال البغيض .

٢٨ ـ الألمعية :

هو الذكاء المتوقد . . .

أقول : وهو أيضاً (اليلمعية) ، وقد بني هذا المصطلح من الفعل (يلمع) ، ثم حُوِّل إلى (الألمعية) ، وهما بمعنى .

وحَقٌّ هذا أن يشار إليه في (اليلمعية) في حرف الياء إلى (الألمعية) .

٢٩ ـ الأمالي :

وقد عرَّف المؤلفان (الأمالي) فقالا : (في الأدب العربي : حقائق يلقيها الشيخ على طلابه بإعداد سابق ، أو من غير إعداد ، فيقيِّدها الطلاب في دفاترهم . . .

مثال ذالك : «أمالي أبي على القالي» و«مجالس ثعلب» .

وأضيف فأقول : و«أمالي اليزيدي» و«أمالي الزجاجي» ، و«أمالي ابن الشجري» ، و«أمالي الخالديَّيْن» وغيرهم .

٣٠ ـ الإمامية :

قال المؤلفان : انظر (الإثنا عشرية) :

أقول : وليس الإمامية (الإثنا عشرية) من مصطلح هذا «المعجم» ، فهي فرقة شيعية كبيرة .

٣١ ـ الأمدوحة Panegyric :

أقول : (الأمدوحة) من صنع المؤلفين الفاضلين، وقد أخذاها من الجمع

(أماديح) فقالوا : أمدوحة نظير الأعيب ، ومفردها ألعوبة . وليس لنا في العربية (أمدوحة) .

جاء في كتب اللغة : مِدْحة ومَدْح ، ومديح ، والجمع المدائح ، والأمادِيْحُ ، والأخيرة على غير قياس . ومن هنا كانت (الأمدوحة) ممّا ولّده المؤلفان .

٣٢ ــ امرؤ القيس :

وهو لقب الشاعر المعروف. . . .

وجاء فيه : ويلقّب أيضاً بذي القُروح والملك الضلّيْل .

أقول : ولم يورد المؤلفان (ذو القروح) في باب الذال ولا (الملك الضليل) في الميم .

٣٣ ــ أمُّ الرَّجَز :

هي لامية أبي النجم العجلي (من أشهر رُجّاز الدولة الأموية) . . .

أقول : إذا جاز أن تذكر (أمّ الرجز) فلِـمَ لم تذكر (لامية العرب) وهي قصيدة الشَّنْفَرَى المشهورة التي شرحت غير مرة ، وترجمت إلى لغات عدة بما فيها اللاتينية ، ولِـمَ لم تذكر (لامية المعجم) وهي قصيدة الطغرائي المشهورة وغير هذا مما يدخل في هذا الباب . كما لم يذكر (الطغرائي) في باب الطاء بعد مادة (الطغراء) .

٣٤ ــ البشريّـة :

هي شعبة من شعب الاعتزال منسوبة إلى بشْر بن الـمُعْتَمِر . . . .

أقول : كان الأولى أن تبعد (البشرية) من «المعجم» ومكانها كتب الفِرق .

وربّما فات المؤلفين صاحبي «المعجم» أن يفسحا مكاناً لـ (البَشَرِيَّة) وهو مصطلح على طريقة المصدر الصناعي . و (البشريّة) نظير (الإنسانية) و(الأنوية) وغيرها .

٣٥ ــ ويبدا باب التاء في المادة الأولى (التابع) :

أقول : ولم أجد في هذا الباب (تأبَّطَ شرًّا) وهو اللقب الذي غلب على الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر .

وذكر هذا الشاعر ملزم ذالك أن طريقة صاحبي المعجم تشتمل على ذكر الألقاب التي اشتهرت بخصوصية خاصة . وتأبَّطَ شرًّا من الصعاليك ، وحكاية لقبه مشهورة .

٣٦ ــ تانيث الفعل :

مع الفاعل أو نائب الفاعل إذَا كانا اسمين ظاهِرَيْن حَقِيْقَي التَّأْنِيْث . . .

أقول : ربما كان (تأنيث الفعل) من باب التساهل والتوسع ، إذ ليس الفعل مؤنثاً أو مذكراً ، بل تلحقه تاء التأنيث للفاعل أو نائبه المؤنث في الشروط المعروفة .

٣٧ ــ التدهور :

مصطلح يطلق على أي عصر في تاريخ الأدب ينحط الأدب فيه بعد أن ازْدَهَرَ في العصر السابق له . مثال ذالك تدهور الأدب العربي بعد سقوط بغداد . . .

أقول : لم يرد (التدهور) وَصْفاً أو مصطلحاً للأدب العربي بعد سقوط بغداد .

لقد كان الأوْلَى أنْ يذكر الاستاذان الفاضلان مصطلح (الفترة المظلمة) في باب الفاء لتشمل (التدهور) ، وقد غاب هذا عنهما .

٣٨ ــ الترجمة :

لقد أفاد المؤلفان في هذه المادة ، وعرضا لجملة فوائد ، ولكن فاتهما أن يشيرا إلى الأصل التاريخي لهذه المادة ، وهي (الترجوم) التي تعني (الـمِشْنَا) و(الجَمارا) ، وهما شروح بالآرامية لنصوص العهد القديم في الحقبة التي كانت فيها اللغة العبرانية لغة منْسِيَّة ، فاضطر أحبار اليهود إلى تعليم اللغة الآرامية التي هي لغة

(الترجوم) ، وكان ذلك في عصر السيد المسيح ونقلوا إلى تلك الآرامية نصوص العهد القديم التي كانت في العبرانية .

٣٩ ــ الترجمة الذاتية Autobiography :

أقول : وقد عرف عند العرب (فن السيرة) وتدخل فيه (السيرة الذاتية) . ومن هذا «السيرة النبوية» ، و«سير أعلام النبلاء» وغير ذالك .

٤٠ ــ التصويب :

ورقة مطبوعة مستقلة تُبَيِّنُ صوابَ الأخطاء الموجودة في النص والتي لم تلاحظ أثناء الطبع .

أقول : والذي أعرفه أن (التصويب) هو الحكم أو الإقرار بالصواب ، تقول : يرى فلان أن تأويل البيت هو كذا وكذا . (فصوّبَهُ) أهل العلم مَثَلاً .

وقد نشر الأستاذ صبحي البصّام في «مجلة مجمع اللغة العربية» منذ سنوات مقالاً صحح فيه المعنى الشائع للتصويب مستدلاً بأقوال أهل العلم في ترسُّلِهم وكتاباتهم .

٤١ ــ التَّلْتَلة :

هي كسر حرف المضارعة عند قضاعة وبهراء فيقولون : تِكتبون في تَكتبون .

أقول : إن (التلتلة) مصطلح يخص تاء المضارعة كما في الشاهد ، وأما كسر أحرف المضارعة الأخرى فقد عرفتْ في قبائل هُذَيْل وقَيْس وأسد وتميم .

٤٢ ــ وقد بدأ باب الجيم بمادة (جامعي) .

أقول : وقد فات صاحبي المعجم أن يبدَءَا الباب بـ(الجاحظ) .

٤٣ ــ جزم المضارع :

أقول : مثّل صاحبا «المعجم» للمضارع الناقص المجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة بقول (الشاعر) عبدالحميد الديب في نقد مشروع (الحفاء) أيام الملك فاروق :

الشَّعْبُ جَوْعَانُ لَمْ يشْكُ الحَفَا أبَدا   ولَمْ يَمُدَّ لكُمْ رِجْلاً لإنْصَافِ

وكأنَّ جزم المعتل الناقص محتاج إلى دليل شاهد ، والكلام كثير في الأيات والأبيات والترسُّلُ ، ولكن لم يجد المؤلفان حاجتهم في هذا الكثير ، ووجداها في البيت الضعيف الكسيح لعبد الحميد الديب .

وكأنهما لم يفطنا إلى موطن الخطأ فيه ، بَلْهَ سُوْءَ تأليفه . والخطأ هو استعمال (أبداً) للزمان الماضي والصواب أنه للمستقبل ، قال تعالى : ﴿ ولَنْ يَتَمنَّوْهُ أبَداً ﴾ ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ خَالِدِيْنَ فيها أَبَداً ﴾ .

٤٤ ــ حاضريّ ، راهنيّ ، جارٍ Topical :

أقول : كأنَّ المؤلفَين قد وَجَدَا أن (حاضر) و(راهن) من غير نسبة لا يكفي في الوفاء بمعنى الكلمة الأعجمية فأضافا الياء على طريق النسب إلى (الحاضر) و(الراهن) ، فإذا كان هذا فلِمَ أبقيا (جارٍ) عارياً عن الياء ، وحقّها حق (حاضر) و(راهن) !

٤٥ ــ الحبكة Intrigue :

ضبطت (الحاء) بالضم وحقها الفتح ، وقد وردت مفتوحة الحاء في مصطلح (العقدة) المرادف للحبكة فقال المؤلفان : (حَبكة) معقدة لمسرحية . . . . وكان عليهما أنْ يُشيرا في (العقدة) إلى (الحبكة) فيثبتا : انظر (الحبكة) .

٤٦ ــ الحرورية :

أقول : هي فرقة خرجت على الإمام علي - عليه السلام - . . . .

وليس موضعها هذا «المعجم» كما أشرنا إلى مواد مشابهة لها .

٤٧ ــ الحماسة :

لقد عرَّف المؤلفان بـ(الحماسة) على أنها من أبواب الشعر . . .

وكان جديراً بهما أن يذكرا كتاب «الحماسة» لأبي تمام ، من كتب الأدب

المشهورة . ومن المعلوم أن ذكر مصادر الأدب يدخل في طريقة صاحبي «المعجم» فقد ذكرا «الأمالي» و«الأغاني» و«المفضليات» وغيرها .

ومن كتب الحماسة «حماسة البحتري» و«الحماسة البصرية» و«الحماسة الصغرى» ، و«حماسة الظرفاء» وغيرها ، وكل هذا لابُدَّ أَنْ يذكر مع مادة (الحماسة) .

٤٨ ـ الـخِطاطة Palaeography :

وهي الدراسة العلمية لكتابة قديمة يحقق فيها تاريخ كتابة المخطوط بوساطة فحص الأسلوب . . .

أقول : وهذا مصدر جديد لا أدري أولّده المؤلفان الفاضلان أم صَنَعه (مجمع) من المجامع ؟

وكان عليهما أن يُشِيرا إلى شيء من هذا .

٤٩ ـ الخط المسند :

أقول : ويرى أهل العلم بالخطوط القديمة أن الصواب هو (المسنَد) لا (الخط المسند) .

٥٠ ـ ذو الرُّمَّة :

شاعر أموي معروف . . . .

أقول : إذا حق للمؤلفين إيراد (ذي الرمة) فلم لم يذكرا (ذَا الإصبع العدواني) من الشعراء ولا (الذوين) الآخرين ، وهم كُثْر ؟

٥١ ـ الرسالة :

وهي مادة وافية جاءت في «المعجم» مع مواد أخرى صُدِّرَتْ بـ (الرسالة) نحو : (الرسالة الإنجيلية) و(رسالة الخط والقلم) و(رسالة الخميس) وغيرها .

أقول : إذا كان هذا فلم أغفلا «الرسالة» من كتب الإمام الشافعي المشهورة وقد طبعت غير مرّة ؟

٥٢ ـــ رُعائي ، رَعَويّ :

أقول : (رَعَويّ) منسوب إلى المصدر (الرَّعْي) . وكأنّ (رُعائي) بضم الراء منسوب إلى (الرُعاة) . وكأنهما أبدلا التاء بالهمزة استحساناً منهما .

ولكنهما لو قالا : (رِعائي) بكسر الراء لأصابا الغرض ، ذلك أن هذه النسبة إلى (الرعاء) بكسر الراء وهو جمع (راع) كالرُعاة . قال تعالى : ﴿ حتى يصدُرَ الرِعاء ﴾ .

٥٣ ـــ الشكل Form; Figure :

في المنطق الصوري (الشكل) هو الصورة التي يمكن أن يأخذها القياس . . . . و(الشكل) في الأدب هو طريقة الأديب في التعبير . . .

أقول : و(الشكل) في الأدب يرد مع مصطلح آخر هو (المضمون) Contenue في النقد الحديث ، ولكن صاحبي «المعجم» لم يُشيرا إلى (المضمون) عند الكلام على الشكل ، ولم يُفردا له مادةً خاصة .

٥٤ ـــ كنت اتوقع بعد ذكر (الشنشنة) في باب الشين ان ياتي (الشَنْفَرى) صاحب اللامية المشهورة التي شُرحت غير مرة ، وترجمت إلى لغات عدة بما فيها اللاتينية منذ عدة قرون ، وهو من أشهر الصعاليك .

٥٥ ـــ الشويعر ، والشعرور ، والمتشاعر .

لقد عرَّف المؤلفان بهذه الألفاظ ، ولو أنهما أوردا قول المتنبي :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ

وقوله :

أَرَى المُتَشَاعِرِيْنَ غُرُوا بِذَمِّي

أقول : لو أنهما أوردا هذا لأتما المادة .

٥٦ ــ الشيطان :

لقد تحدث المؤلفان عن (الشيطان) في الأدب القديم ، ولم يُشيرا إلى ماورد عنه في لغة التنزيل العزيز ، وهو كثير جداً ، وماقال المفسرون للآيات التي جاء فيها (الشيطان) ، وماقال أهل الرأي لدى المسلمين .

وقد فاتهما (شيطان الشعراء) وأن الشاعر القديم كان له شيطان يلهمه الشعر كمسحل شيطان الأعشى ، وأبوهدرش وغيرهما ، قال الراجز :

إني وكلُّ شاعرٍ من البَشَرْ شيطانه أُنْثى وشيطاني ذَكَرْ

٥٧ ــ وفي مادة (الصحيفة) لم يذكر المؤلفان (صحيفة ابي الأسود الدؤلي) التي قال عنها أصحاب طبقات النحويين إنها اشتملت على ما أخذه أبو الأسود من الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ .

٥٨ ــ وقد جاء في «المعجم» مادة (الطبعة) فتكلما عليها ، ثم اردفاها بـ (الطبعة الأصلية) و(الطبعة المحققة) ، و(الطبعة الموسعة) وغيرها .

أقول : ولدى الفرنسيين (الطبعة النقدية) Edition Critique .

٥٩ ــ الطُرفة :

بفتح الطاء ، والصواب : الضم ، وقد وردتْ مضمومة الطاء في مادة (مُلْحة) .

٦٠ ــ العجرفيّة :

هي التقعر وطلب الغريب الوحشيّ . . .

أقول : وقد نُسبت (العجرفية) إلى ضَبَّة من القبائل ، كذا ورد في «المزهر» للسيوطي ، وفي غيره من مصادر اللغة .

٦١ ــ وقد جاء (العَكَوَّك) في باب العين ، وهو لقب علي بن جبلة الشاعر العباسي . . .

أقول : وقد فاتهما ذكر (عَريب المغنية الجارية) . ثم إنهما لم يذكرا (علقمة الفَحْل) من شعراء الجاهلية المشهورين[١].

٦٢ ــ علم الأساطير :

أقول : كان يمكن أنْ يُشار إلى هذا عند الكلام على الأسطورة مثلاً .

٦٣ ــ الفاتحة :

قال المؤلفان : هي ذالك الكلام الذي تُستَهلُّ به قراءة القرآن الكريم والأثر الأدبي وخاصة الـخُطَب.

أقول : إن هذا الكلام مُعْوِزٌ ، وكان خليقاً بهما أن يشيرا باديءَ ذِيْ بَدْءٍ إلى سورة الفاتحة ، وهي أمّ الكتاب كما جاء في الأثر .

٦٤ ــ الفترة ، الزمان :

أقول : وكان أولى بالمؤلفين أن يُشيرا إلى (الفترة المظلمة) بعد سقوط الخلافة في بغداد ، وهي من العصور التاريخية في الأدب .

٦٥ ــ الفحفحة :

هي - في لهجة هذيل -: جعل الحاء عيْناً كقولهم :

(أعَلَّ الله العَلال) أي (أحلَّ الله الـحَلال) .

أقول :

١ ــ صواب (لهجة هذيل) هو (لغة هذيل) ، ولم تعرف (اللهجة) مصطلحاً في العصور المتقدمة عند الكلام على (لغات) القبائل .

٢ ــ ان العبارة التي استُشْهِد بها عبارة مصنوعة ، وليست نَصًّا لُغَوِيًّا منسوباً في مصدر .

٣ ــ نسبت هذه الفحفحة إلى هذيل ، وجاء في كتب القراءات أن عبدالله بن مسعود قد قرأ بها في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ عَتَّى حِينٍ ﴾ بدلاً من ﴿ حتى حين ﴾ وجاء في خبر هذه القراءة أنَّ عمر بن الخطاب قد سمع أعرابياً يقرأ بها فزجره ونهاه وكتب إلى عامله بالكوفة أنْ يمنع عبدالله بن مسعود أن يقرأ بلغة هُذيل لأن القرآن قد نزل بلغة قريش .

أقول : كأني غير حفيّ بهذا الخبر ، ذالك أنَّ القرآن قد اشتمل على غير لغة قريش والأمر مبسوط في المصادر اللغوية (انظر «الاتقان» للسيوطي) .

ثم إن عبدالله بن مسعود من كتّاب الوحي ، وقراءته عالية . ثم إذا جاز أن يكون عبدالله بن مسعود قد أبدل الحاء عَيْناً في هذه الآية على لغة هذيل فلِمَ لم يبدل الحاء في (حين) في الآية نفسها ؟

٦٦ ــ وردت مادة (الفساد) وهي في البلاغة وتعني فساد التَّشبيه ....

أقول : وكان مناسباً أن يأتي بعدها مادة (فساد التأليف) وهو مما ورد في كتب النقد عند الكلام على بيت من الشعر .

٥٧ ــ وردت مادة (الفلسفة) وأعقبتها مواد أخرى هي (الفلسفة الإسلامية) و(فلسفة الجمال) و(فلسفة اللغة) و(الفلسفة المدرسية) .

أقول : ولم أجد (الفلسفة المسيحية) .

٥٨ ــ القوافي المسبَّقة Bouts-Rimes :

مجموعة من الكلمات المقفَّاة تقدّم للشاعر لينظم قصيدة على حسبها .

أقول : ومن هو هذا الشاعر الذي تقدّم له الكلمات حتى يقمّش منها قصيدة ؟ ثم ان (المسبّقة) كلمة عامية ، إذ لم يرد في مادة (س.ب.ق) هذه الصيغة الفعْل المضعّف .

٥٩ ــ كاتب المقال :

من تخصّص في كتابة المقالات النثرية على اختلاف أنواعها ، مثال ذالك : الدكتور حسين فوزي والدكتور لويس عوض . . .

أقول : غفر الله لكما صاحبيَّ المؤلفين ، ألم تفكّرا قبل أن تكتشفا حسين فوزي ولويس عوض ، في الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد ، والمازني والزيات والبِشري وغيرهم وغيرهم .

٦٠ ــ وردت مادة (الكشّاف) وهو قائمة هجائية تظهر عادة في آخر الكتاب المطبوع ، وبها أسماء أشخاص (أرادا أعلام الرجال) أو أماكن أو موضوعات ، . .

ثم أردفاها بمادة (كشاف الألفاظ) (المعجم المفهرس) ومادة (الكشاف الخاص) وفاتهما أن يذكرا «الكشاف» للزمخشري وهو من كتب التفسير المشهورة ، كما فاتهما أن يذكرا «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي ، وهو شيء من المعجم الفلسفي ، وطبع غير مرة .

٦١ ــ الكلمة (المفردة) :

قال المؤلفان : وهي في علم اللغات التقليدي صوت أو مجموعة أصوات متصلة . . .

أقول : كان ينبغي أن يبدأ بـ (الكلمة) وهي (كلمة الله) عيسى بن مريم .

٦٢ ــ اللَّحْــن :

تكلم المؤلفان على (اللحن) وذكرا فوائد عدة .

أقول : وكان مفيداً لو أشارا (اللّحن) بالتحريك وهو الفطنة .

٦٣ ــ اللُّطف (النعمة) :

وتكلم المؤلفان على (النعم) في المعنى والمصطلح الفلسفي .

أقول : وكان يحسن أن يُذكر (اللُطف) بفتحتين ، وهو الخفة والحذق ، قال أبو نواس :

مَازِلْتُ اسْتَلُّ رُوْحَ الدَّنّ في لَطَف   واسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوْحِ

٦٣ ـ اللُّفاظة Lexicology :

قال المؤلفان: علم دلالة المفردات . . .

أقول : (اللفاظة) كلمة جديدة مولّدة ، لعلها مجمعية ، كان ينبغي أَنْ يُنَصَّ على مصدرها .

٦٤ ـ لم أجد في باب الميم (المتنبي) ولا (المعري)[٢].

٦٥ ـ المذهب البغداديّ :

هو في النحو العربي خليط من مذهبي البصريين والكوفيين .

أقول : هذا غير صحيح ذلك أن صفة البغداديين قد اطلقت كثيراً على الكوفيين لسُكْنَاهُمْ في بغداد ، ومن هؤلاء أبو العباس ثعلب الذي نُعِت أحياناً من البغداديين .

وكانوا لا يصفون من خلط بين المذهبين بـ(البغدادي) ، بل قالوا عن ابن كيسان : إنه كان يخلط بين المذهبين ، وكذلك ابن شقير (أبو بكر) .

٦٦ ـ مذهب الشيعة :

قال المؤلفان : الشيعة فرقة كبيرة من المسلمين تعتقد أن الخلافة حق شرعي لأبناء علي بن أبي طالب وأحفاده من بعده ، وأنَّ الأمويين اغتصبوها منهم بعد مقتل علي . . .

أقول : ينبغي أن أصحح فأقول : ان الخلافة حق شرعي ـ بحسب رأي الشيعة ـ لعلي بن أبي طالب ، وأن الرسول ـ ﷺ ـ قد خَوَّلَهُ الوصايةبعده في خطبته في حجة الوداع ، ثم لأبنائه من بعده .

٦٧ ــ المصدر :

وقد تكلم المؤلفان على (المصدر) في العربية في السماع والقياس ، ثم تكلما على (المصدر الميمي) وجعلا (مادة من المواد) وقد فاتهما المصدر الصناعي نحو الكيفية والنوعية والمثاليّة والماديّة .

وذكر هذا المصدر مُهِمٌّ ، ذالك أنه يَدْخُل في مادة مصطلحات العلم في عصرنا .

٦٨ ــ المقتضب :

هو أحد البحور في الشعر العربي . . .

أقول : وكان ينبغي أن يذكر (المقتضب) من كتب المبرد الكبيرة في النحو[٣] .

٦٩ ــ مدمن القراءة (الأَرَضة) Bookworm :

قال المؤلفان : هو من يغالي في قراءة الكتب دون أن يمارس أي نشاط آخر .

أقول : لم أجد هذا النعت بحسب ما أفاد المؤلفان من استعماله ، وكأنهما ولّداه دون أن يكون له في الاستعمال أثر ، وذالك ليقابلا به المصطلح الأعجمي المثبت .

على أن من المفيد أن أشير إلى أن كلمة (المدمن) غلبت في العربية المعاصرة على (مدمن) الخمر والتدخين والمخدّرات ونحو ذالك .

٧٠ ــ النّظاميّة :

قال المؤلفان : هي شعبة من شعب الاعتزال تنسب إلى النّظام . . .

أقول : كان ينبغي أن تسبق هذه المادة بـ(النظامية) وهي مدرسة شهيرة أسسها نظام الملك الوزير السلجوقي في بغداد ، كما كان (نظاميات) أخرى في حواضر أخرى .

٧١ ـــ وجهة نظر الراوي :

يراد بها أحياناً الموقف الفلسفي الذي يتخذه مؤلف أثر أدبي . . .

هذا ماقاله المؤلفان ، وهو جَيِّدٌ ، إلاَّ أنِّي أَوَدُّ على (وجهة نظر) التي نقلها العرب في عصرنا من الفرنسية Le point de vue ، وما أظننا محتاجين إلى هذا النقل ذلك أنها ليست مصطلحاً ولا قريباً منه .

٧٢ ـــ يوم حليمة :

يوم من أيام العرب . . . .

أقول : و(أيام العرب) كثيرة فَلِـمَ اقتصر المؤلفان على (يوم حليمة) ؟

لقد كان أجدر بهما أن يجعلا المادة (أيام العرب) ويشار فيها إلى (يوم حليمة) .

خاتمـــة :

هذه جملة ماوقفت عليه مما بدا لي أنْ أقُول فيه شيئاً ، و«المعجم» مع كل هذا عمل يستحق الإعجاب والتنويه به ، وبما بذله المؤلفان الفاضلان من عمل مشكور .

صنعاء : الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي :

(١) فات صاحبي «المعجم» ذكر (أمير الشعراء) شوقي في باب الهمزة ، كما فاتها ذكر حافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، وآخرين من شعراء البلاد العربية الأخرى المشاهير . كالزَّهاوي والرصافي والكاظمي وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) .

(٢) ولم أجد في باب الشين الشريف الرضي ، ولا في باب الباء «البحتري» ولولا أن ذكر الاعلام كان من طريقة صاحبي «المعجم» ماكان لي أن أطالبها بذلك .

(٣) كان على صاحبي «المعجم» أن يذكرا في باب الميم «مقدمة ابن خلدون» الشهيرة ، وكتاب الكامل للمبرد ، و«الكامل في التاريخ» لعزالدين ابن الأثير في باب الكاف .

● الضاحك الباكي - فكري أباظة

المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر - الاسكندرية ١٩٧٣ ، ٣٨٧ ص
الثمن: ٧,٥٠ ليرات لبنانية .

١ ـ فكري أباظة كاتب، محام، سياسي مصري، انطباعيْ الأوّلُ عنه أنه كاتب مقالة ، وكانت مقالاته تنتشر في العالم العربي عن طريق مجلات دار الهلال (كما أتذكر) متميّزة بالعنف والسخرية والمعارضة وهذا الانطباع عنه هو الانطباع عن «الضاحك الباكي» ولعلي اطلّعْتُ على الكتاب - أو اطلع عليّ - في طبعته الأولى ، وربما كان ذالك عن دار الهلال . .

هذا هو الانطباع ، وجَذْرُهُ قديم . . وظَلَّ مُسْتَمرًا . . . وفي عهد من عهود الاهتمام بدراسة المقالة أو تدريسها (١٩٨١) وقعت العين مجدَّداً على طبعة غير الطبعة التي وقعت عليها أول مرة - في الثلاثينات . وليكن ، ألم يكن كتاب مقالات ؟ وصاحبه كاتب مقالة . . .

كانت هذه طبعة ١٩٧٣م (وأحسبها الأخيرة ، وأشكّ في أن يطبع الكتاب مرة أخرى في العصر الحديث. .) قال صاحبها في مقدمتها : (صدر هذا الكتاب - «الضاحك الباكي» - لأول مرة منذ (أربعين عاماً) - ثم أعيد طبعه بعد خمسة أعوام - ثم أعيد طبعه بعد عشرة أعوام - ثم أعيد طبعه بعد عشرة أعوام. . .)

وعلى هذا ، تكون طبعة ١٩٧٣م (الخامسة) وكان صاحبها في شك من أن تلقى (الرواج الذي ظفرت به الطبعات العديدة السابقة)، - وأحسبُه على حقٍّ .

وقال في (المقدمة) الثانية الجديدة : (أضفنا إلى المرحلة الأولى من قصة «الضاحك الباكي» المرحلة الثانية من حياته حتى نشبت الحرب العظمى الثانية في سنة ١٩٣٩م . . . ونعود فنؤكد أنّ هذه القصة قصة واقعية حقيقية [. . .] في هذه القصة الواقعية الحقيقية غرام وهيام ، ومآسي (يقصد مآسٍ) وأوجاع ،

وسياسة داخلية وخارجية ـ وبرلمانية عمرت أكثر من ربع قرن ـ وتاريخ حيّ للمجتمع المصري في جميع نواحيه ، ومختلف بيئاته وطبقاته . . .

فهي قصة وليست قصة . . .

إنما هي سرد غير متكلف لتاريخ حياة شاب مارس المحاماة ، والصحافة ، والسياسة ، والنّيابة عن الأمة ، والرحلات والسياحات ، والحب وملحقاته . . .

إن هذه القصة عبارة عن (اعتراف) في بعض نواحيها . . .) .

وهكذا تختلط في «الضاحك الباكي» الأنواع ـ ولا أقول تمْتَزِجُ ـ ولا غَرْوَ أَنْ وَلَّدَتْ في ذهن قارئٍ مَّا ، في عهد ما . . . انْطباعَ المقالة . . .

أسلوب السرد الغالب قصصي ، ويمكن عَدُّ المادتين الأولى (ثروت) والثانية (إلى أسيوط) قصتين قصيرتين مع صفة تدخل القاص على وجهٍ لم يَعُدْ مقبولاً في الفن القصصي . . . ـ ويمكن أن تُصَدِّقَ واقعيتهما على مافيهما من (رومانتيكية) . . .

وإذْ تختلط الأنواعُ يصعب تصنيف العمل الأدبي ، وقد أحسَّ بذالك المؤلف نفسه ، وأحسب أن المطاف ينتهي بَعِدِّهِ كتاب مُذَكَّراتٍ يرجع إليه من يؤرخ لمصر ، وقد يجد في الصفحات التي عرض بها مقابلته ـ في باريس للخديوي المخلوع (عباس) ما لا يجده في غيره (تنظر ص ٢٩٣ ـ ٢٩٦) .

٣ ـ قال المؤلف في ختام مقدمته الثانية (وبعد نشر هاتين المرحلتين ـ الأولى والثانية ـ يعد كاتب هذه السطور قصة «المرحلة الثالثة» ـ والأخيرة ـ إلى أن يشاء الله ما يشاء) .

ولا أحسب أن هذا قد تحقق .

٤ ـ ص ٩ «تخرج الأستاذ شكري . . . في مدرسة الحقوق . . .». استعمل «تخرج في . . .» استعمالاً صحيحاً . وقد فسد الاستعمال بعده فقالوا : تخرج من (وهو خطأ) .

٥ ــ ص ٢٢ «باكر»: بمعنى غداً ـ وتنظر ص ٣٨٤ .

٦ ــ ص ٢٥ «ذكرى الصبىٰ» : الصبا .

٧ ــ ص ٣١ «تمجيد الطهي» : الطهو .

٨ ــ ص ٣٩ «أطلت سنة ١٩١٩م بوجهها اللعين على مصر البائسة . . .» يمكن أن يعد هذا من التعبيرات النادرة فيما يطلق على سنة ١٩١٩م التي تعد في أمجاد مصر الوطنية . .

٩ ــ ص ٢٨٣ ، استعمل لوكانده بدلاً من فندق أو «أوتيل» والاستعمال في أصله إيطالي .

١٠ ــ ورد «الرأس» في مكان ما من الكتاب . . . مؤنثاً . . . والتأنيث خطأ شائع على الأقلام المصرية .

١١ ــ لنذكر أن المرحلة الأولى من الكتاب سنة ١٩١٧م وينتهي بسنة ١٩٣٢م ص ١٧٦ .

● **احمد حسن الزيات ـ في ضوء الرسالة :**

الطبعة الأولى ١٩٣٦م، القاهرة، مكتبة نهضة مصر :

١ ــ ص ٣ : (بعد صلاة الضحى أو بعد صلاة العصر) لا توجد صلاة للضحى . . ولعله يقصد (الظهر).

٢ ــ ص ٧٣ : (قصة الشعر المرسل . . . بدأ ذالك الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنشر في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣م استفتاء في الشعر المرسل كانت مادته ترجمة بالشعر المرسل لخطبة انطونيو في رواية يوليوس قيصر لشكسبير ، فاسْتطار حولها الجدل وتقسم فيها الرأي ، ومضى يؤيد رأيه بالعمل فنظم بالشعر المرسل : «مقتل سيدنا عثمان» و«خسرو وشيرين» و«زهراب ورستم» : وحذا حذوه المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي فترجم لهذا الشعر رواية «ممنون» لفولتير و«ترنيمة أتون» لبرستيد .

ومن قبل هذَيْن الرائِدين عالج الشعر المرسل السيد توفيق البكري في قصيدته «ذات القوافي» وجميل صدقي الزهاوي في «المؤيد» وعبدالرحمن شكري في «الجريدة». ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة واستمسكت القافية. . .).

٣ ـ ص ٨٦ : (عاد الشعر في العالم كما بدا . . . بدأ الشعر غِنَائِيًّا في كل أمة . . . الملهاة الإِلْهية للطليان . . . وهنرباد للفرنسين . . . ولقد جاء دور الأدب العربي في الشعر المسرحي بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه. . .) .

أ ـ الملهاة الإلهيَّة : يقصد الكوميدية الإلهية لدانتي . .

ب ـ هنرباد ـ فيها خطأ مطبعي ، صحيحه : هنرياد ، وهي لفولتير .

٤ ـ ص ٩٧ : ذكر الثورة العراقية فكان مما قال : (. . . وأنت أعلم مني بما صنعت هذه القوة بالإنجليز حين ثارت عليهم في سنة ١٩٢١) الصحيح ١٩٢٠ ـ وقد عُرِفتْ بثورة العشرين .

٥ ـ ص ١٨٧ : قال الجاحظ : (. . . أهديت كتاب «البيان والتبيين» إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار. . .) . أحمد بن أبي دُوَاد بغير همزة .

٦ ـ ص ٢٤٢ : (أول ماعرفت جورجي زيدان. . .). الصحيح جرجي زيدان . . كما ورد في صلب المقالة .

٧ ـ ص ٣٤٠ : (أحمد لطفي السيد كما عرفته . . . ففي صحيفة (الجريدة) التي كانت لساناً لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الإسلامية .

وفي هذه الجريدة ابتكر أسلوباً للكتابة ، لفظه قدر معناه ، ووصفه طبق لموصوفه ، وسبيله قصد لغايته ، فكان مذهباً جديداً جرى عليه الكتاب والصحفيون إلى اليوم . . . منذ أن صدرت (الجريدة) في عام ١٩٠٨م كان فيها وفي ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية . . .).

٨ ــ ص ١٨٦ : (شخصية البحتري ككل شخصية إنسانية...) لا أدري كيف استساغ الزيات هذه: (ككل)، وهو المرهف الحس الذي يرعى الصوت والموسيقى أقصى حدود الرعاية فيما يكتب !

٩ ــ في «ضوء الرسالة» مادة عن حياة صاحبها «الزيات» لا يستغنى عنها الدارس . منها الأسئلة التي أجاب عنها في الافتتاحية : (قبل أن تقرأ)، ومنها (أول ماعرفت الأدب) و(قرآن الفجر)، ومنها (نورا) وقد استغرقت خمسين صفحة عرض فيها تجربة (وجدانية) له في بغداد : (في سنة ١٩٣٢م وهي السنة الأخيرة من سني الثلاث في بغداد كنت أعيش في أسرة مسيحية...) .

وهو يذكر أكثر من مرة صَدِيْقَيْهِ في الأزهر طه حسين ومحمود زناتي ، ص ٩١ ، ص ١٠١ ، وقال ص ٣٤٣ . (... كان أول يوم اتصلت فيه أسبابي بالفقيد العظيم ـ يقصد أحمد لطفي السيد ـ يوم زرته في مكتبه بالجريدة أنا وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكو إليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطلاب في درس أستاذنا المرصفي ... رفع سماعة التليفون وقال لـ ... شيخ الأزهر ... لعل من الخير ألاَّ تَقْتُلوا في الشباب حرية الرأي ... وسأله أن يلغي قرار الفصل ففعل ...) .

وقال ص ٢٤٥ : (كنت... طالباً... بالجامعة المصرية الأولى بجانب صديقي طه حسين ومحمود زناتي ، فتَرامَى إلينا أن مجلس إدارة الجامعة قد قرر تعيين الأستاذ جرجي زيدان أستاذاً لكرسي التاريخ الإسلامي بالجامعة ، فهزنا هذا الخبر وسرّنا أن نكون تلاميذَ للمؤرخ الكبير عن طريق المحاضرة ، بعد أن تلمذنا إليه طويلاً عن طريق القراءة ، ولكن بعض الآراء المُتَزَمِّتَة الرجعية قد ساورت بعض الأذهان المتخلفة الغبيّة فحملت الأستاذ الكريم السمح على أن يعتذر من قبول هذا المنصب ، بعد أن أعد المحاضرات وصور الخرائط ! واستمر على الكرسي الجامعي الوثير ، تردد ماقاله الطبري وابن الأثير) .

١٠ ــ من رأيه في الأسلوب ص ٣٢٧ : (إن الأسلوب مركب فني من عناصر

مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة والموسيقية المعبرة . والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي في صورة مُحَسَّةٍ ، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه . والأسلوب بهذا المعنى لا يكتسب بالتعليم ولا بالتقليد . وإنما هو هندسة روحية وملكة ذهنية تتمثلان في قالب معنوي غير موصوف ولا معروف ، تخرج منه الفكرة والعاطفة والخيال والصورة متسقة على الوضع الذي ارتضاه الذوق الرفيع في الإنسان الذي علمه الله البيان وآتاه الحكمة) .

١١ ــ مما أخبر به عن حياة حافظ إبراهيم ص ١٨٠ : (. . . فلما عطف عليه الوزير الأديب أحمد حشمت فأكرمه سنة ١٩١١م بالعمل في دار الكتب رئيساً للقسم الأدبي . . حمل الوظيفة على محمل المكافأة الواجبة وظل أكثر النهار قاعداً في قهوة الكتبخانة ، فإذا طلب إلى الدار لعمل تقتضيه الرياسة قال للجرسون : إذا سأل عني واحد قل له : راح الكتبخانة شوية وجاي) .

١٢ ــ وعد في مطلع الكتاب بأن يصدر كتاباً بعنوان «ذكرى عهود» ربما دل عنوانه على أنه ضرب من السيرة الذاتية ، ولكنه مضى ولم يصدر له مثل هذا الكتاب .

١٣ ــ الزيات في كتابه «في ضوء الرسالة» أقل إبداعاً في الفن المقالي منه في كتابه «من وحي الرسالة» . وربما استعان بالمبالغة للتعويض عن الضبط الفني . وهو فيه - أي في «في ضوء الرسالة» أكثر تديناً .

وقد يكون لتقدم العمر وللمجلة التي ينشر فيها وهي (مجلة الأزهر) الأثر في ذلك وتلتقي لديه المبالغة مع التدين ، وربما ادّاه ذالك إلى الانفعال الذي يبدو مفتعلاً ، وإلى التسرع وتصديق أخبار تصل إليه ولا يسأل عن مصدرها .

بغداد د. علي جواد الطاهر

أضواء على عادات عربية قديمة

تناولت الدراسات (الأنثر بولوجية) الكثير من المجتمعات القبلية في شتّى بقاع الأرض ، وأسفرت هذه الدراسات عن قدر هائل من المعلومات عن عادات وتقاليد ونظم هذه المجتمعات ، وأصبح بالإمكان في ضوء هذه المعلومات الوافرة إعادة النظر في بعض العادات والمعتقدات العربية القديمة ، التي كانت تبدو حتى الآن عسيرة الفهم ، صعبة التفسير.

وسنحاول في الصفحات التالية الاستفادة من المعلومات التي أتاحتها لنا الدراسات (الانثر بولوجية) العديدة في إلقاء مزيد من الضَّوْء على بعض العادات العربية القديمة وهي : النسب الأُمِّيّ ، اجتناب الأَصْهار ، أكل الدم المسفوح .

اولاً ـ النسب الأُمّـيّ :

رُوي أن تَأَبّط شرًّا كان يثأر لخاله ، وتوقع أن يثأر له ابنُ أخته ، إذا ماهلك وفي ذلك يقول :

إنَّ بالشِّعْب الذي دُوْنَ سَلْعٍ   لَقَتِيلاً دمُه ما يُطَلُّ
خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى   أنا بالعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ
وَوَرَاء الثَّأْرِ منِّي ابنُ أُخْتٍ   مِصْنَعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سُمًّا كَمَا أَطْـ   ـرَقَ أَفْعَى يَنْفثُ السُّمَّ صِلُّ(١)

كذالك روي أن ريحانة بنت مَعْدِي كرب قالت لِدُريد بن الصِّمَّة بعد حول من مَقْتَلِ أخيه : يابُنَيَّ إنْ كنْتَ عجزتَ عن طلب ثأر أخيك ، فاستعن بخالك وعشيرته من زُبَيْد . فأنف من ذالك وحلف لا يكتحِل ولا يدّهن ولا يمسُّ طِيْباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ، حتى يدرك ثأره . فغَزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بِجَبَائِهَا . وقال : هل بلغت مافي نفسك ؟ قالت : نعم مُتِّعتُ بك(٢).

فتأبّط شرًّا يأخذ بثأر خاله ، ويتوقع إن هو قتل أن يأخذ بثأره ابن أخته ، وأم

دريد بن الصمة تطلب من ابنها الاستعانة بخاله وعشيرته للأخذ بثأر أخيه .

ويثير هذانِ الخبران شيئًا غير قليل من الدهشة . ذالك أننا اعتدنا أن يكون الأخذ بالثأر عند العرب بين العصبة يأخذ بعضهم بثأر بعض لا بين ذوي الأرحام . فالأقارب الأبويون ، وليس الأقارب الأُمّيُّون ، هم الذين يقع على عاتقهم واجب الثأر لقريبهم . فالرجل يثأر لابنه أو أبيه ، والأخ لأخيه الشقيق أو لأبيه ، وابن الأخ لعمه ، والعم لابن أخيه ، وابن العم لابن عمه وهكذا . أما أن يثأر الخال لابن أخته وابن الأخت لخاله فأمر يحتاج إلى تفسير .

ولكي نتفهم ثأر ابن الأخت لخاله وبالعكس ، ينبغي لنا أن نعلّم باديُ ذي بَدْءٍ ـ أن كل قبيلة تنقسم إلى عدة وحدات ، وتنقسم كل وحدة إلى وحدات أصغر وهكذا . فالحياة القبلية تقوم على أساس الانتهاء إلى جماعات قرابيَّة تبدأ ضيقة ثم تَتَّسع إلى أن تستغرق القبيلة بكاملها . وأساس الانتهاء إلى جماعة قرابية معيّنة هو الانتهاء إلى أصل مشترك . وحيث يكون الأصل المشترك من الذكور نكون بصدد جماعة قرابة أبويه . وحيثما يكون الأصل المشترك من الإناث نكون بصدد جماعة قرابة أمّيّة . فالمجتمعات الأبوية هي التي تقيم القرابة على أساس الانتهاء إلى أصل مشترك من الرجال . وفي هذه المجتمعات يُعَدُّ قريباً وعضواً في الجماعة كل من نزل من هذا الأصل المشترك . والمجتمعات الأمية هي التي تقيم القرابة على أساس الانتهاء إلى أصل مشترك من النساء وفي هذه المجتمعات يُعَدُّ قريباً وعضواً في الجماعة كل من نزل من هذا الأصل المشترك .

وتترتب على الانتهاء إلى جماعة قرابة واحدة حقوق وواجبات مُتَبادلة . فإذا كانت جماعة القرابة أبويَّةً ترتَّبتْ هذه الحقوق والواجبات في العلاقة بين الأقارب الأبويين . وإذا كانت جماعة القرابة أمية ترتبت هذه الحقوق والواجبات في العلاقة بين الأقارب من جهة الأم .

وإذا كانت الغالبية العظمى من القبائل على مستوى العالم تتبع الآن مبدأ القرابة الأبوية فمازالت هناك قبائل تتبع مَبْدأ القرابة الأمية ـ غير أن ظروفاً عدة

تدفع في عصرنا الحاضر القبائل الأمية إلى التّخلي تدريجياً عن هذا النوع من القرابة والأخذ بالقرابة الأبوية .

والأمثلة على القبائل التي كانت أو مازالت تأخذ بالقرابة الأمّية كأساس لتكوين جماعة القرابة أو العشيرة كثيرة نَجْتَزِيءُ منها بما يلي :

وصفَ المقريزي قبائل البُجَةِ (في مصر والسودان) بقوله : (وهم بادية يتبعون الكلأ حيثما كان بأخبِيَةٍ من جلود ، وأنسابهم من جهة النساء ، ولكل بطن رئيس ، وليس عليهم متملك . ولا لهم دين . . وهم يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصُّلب . ويقولون : إن ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح ، فإنه إن كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال)[٣] .

ويصف ابن بطوطة الطوارق بقوله : (وشأن هؤلاء القوم عجيبٌ ، وأمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم . ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله ، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه : وذالك شيء ما رأيته في بلاد الدنيا إلا عند كفار المليبار من الهنود)[٤] .

وفي القرن العشرين يتحدث أحد الباحثين الغربيين عن وضع الخال لدى إحدى القبائل الأمية ، وهي قبيلة (الجوكون) في شمال نيجيريا ، فيقول : (للخال لديهم مكانة ممتازة تتَضاءل إلى جانبها مكانة الأب . فالرجل منهم يهاب خاله أكثر مما يهاب أباه أو عمه ، وكان العرف يُقِرُّ للخال بالحق في بيع أحد أولاد أخته ، أو رهنه ضماناً للوفاء بدين عليه ، في الوقت الذي لم يكن يعترف فيه للأب بشيء من ذالك . وكان الخال يتولى تأديب أولاد أخته وعقابهم ، بينما كان الأب يجد حرجاً في عقاب أولاده . بل إن الأب إذا أساء معاملة ابنه كان الخال يستدعيه ويُعَنِّفُه قائلاً له : أتظن أنك بزواجك من أختي قد اشتريتها وذريتها ؟ وإذا تكررت الإساءة استدعى الخال أخته وأولادها للإقامة في بيته . وعندما كان الثأر شائعاً كان الخال يثأر لابن أخته لا الأب لابنه . فإذا قُتِل رجلٌ كان أبوه يبلغُ خاله بخبر قتله ، وكان على الخال أن يثأر من القاتل ـ وإذا لم يعثر عليه قَتَل ابن أخته .

وكانت التركة تؤول إلى ابن الأخت دون الابن . وكان ابن الأخت ملزماً بدفع ديون خاله . وكان من الممكن اجبار الخال على دفع ديون ابن أخته)[٥].

ويثور التساؤل عن موقف القبائل العربية قبل الإسلام من القرابة المتخذة أساساً لتكوين الحمولة أو العشيرة ، وهل كانت هي القرابة الأبوية أم القرابة الأُمّيَّة ؟

لقد أثارت الإجابةُ على هذا التّساؤل خلافاً بين الباحثين ، فقد ذهب البعض منهم إلى أن القرابة التي كانت سائدة أصلاً في شبه الجزيرة العربية هي القرابة الأمية ، واستند هذا الفريق في تأييد رأيه إلى عدد من الشواهد والقرائن . وذهب البعض الآخر إلى أن القرابة التي سادت بين القبائل العربية كانت على الدوام القرابة الأبوية . وحاول هذا الفريق تفنيد الشواهد والقرائن التي استند إليها الفريق الأول .

وفي اعتقادنا أن كلاًّ من الرأيين قد جانبه الصواب في الإصرار على التعميم . إذ لا ينبغي أن نتصور أن جميع قبائل شبه الجزيرة على اتّساعها هذا الاتّساع الشديد قد كان لها نفس العادات ، ونفس النُّظُم ، ونفس التّقاليد . فثمة شواهد عديدة على أن قبائل شبه الجزيرة قد كان لها في كثير من الأحيان عادات مختلفة وتقاليد متباينة .

ولهذا لم يكن ثمة مايحول دون وجود قبائل عربية تأخذ بالقرابة الأبوية ، وأخرى تأخذ بالقرابة الأمية . ولنا على ذالك برهان نستمده من أحد الشعوب التي تقطن جبال (كردوفان) في جمهورية السودان وهم شعب النوبا (Nuba) فشعب (النوبا) ينقسم إلى عدة قبائل ، بعضها يأخذ بالنسب الأمي ، والبعض الآخر بالنسب الأبوي رغم أنهم من أصل واحد ، ويعيشون حياة اقتصادية متشابهة ولهم عادات وتقاليد متماثلة[٦].

وإذا صح ما ذهبنا إليه فإن معنى الخبرَيْن ، اللذين سُقْنَاهُمَا في بداية الحديث وهما من ناحية أن تأبط شرًّا كان يثأر لخاله ، وان ابن أخته كان يثأر له إذا قتل ،

ومن ناحية أخرى ان أم دُريد بن الصِّمَّة طلبتْ إلى ابنها أن يستعين بخاله وعشيرته للثار لأخيه ، يَبْدُو وَاضِحاً للغاية . فلابد أن تأبّط شرًا كان ينتمي إلى عشيرة تأخذ بالقرابة الأمية ومن ثمَّ فهو وخاله وابن اخته أعضاء في جماعة قرابة واحدة . ولابُدَّ كذالك أن دريد بن الصِّمَّة كان ينتمي إلى عشيرة أُمِّية بحيث أنه وأخاه وخاله أعضاء في جماعة قرابة واحدة . ولما كان الأخذ بالثار يشكل أهمَّ واجبات القرابة ، كان طبيعياً أن يثار تابط شرًا لخاله وأن يتوقع ـ إن قتل أن يثار له ابن أخته ، وكان طبيعيًا أن تطلب أمُّ دريد بن الصِّمَّة من ابنها عندما رأت عجزه عن أن يثار بنفسه لأخيه أن يستعين بخاله وعشيرته .

ومما يؤكد أن بعض القبائل العربية كانت ـ قبل الإسلام ـ تأخذ بالقرابة الأمية كثرة الأخبار التي انتقلتْ إلينا والتي تفيد إقامة الرجل مع أخواله واهتمام الأقارب من جهة الأم بعضهم ببعض .

من ذالك مثلاً ما روي من أن الزِّبْرِقَانَ بـن بَدْر كانت أمه عُكْلِيَّةً وكان الزبرقان في أخواله يرعى ضبْيْناً ، فقال خاله يوماً : لأنْظُرَنَّ إلى ابن أختي إذا راح ممسيًا أعنده خير أم لا(٧).

وما روي من أن جُبيلة بن عبدالله اغار على إبل جُرَيَّة بْن أوس بن عامر يوم مسلوق ، فاطردُوا إبله غير ناقة كانت فيها مما يحرم أهل الجاهلية ركوبه ، وكان في الإبل ابن أخت جُرَيَّة(٨).

وما روي من أن جَذيمة استخلف على ملكه عَمْرَو بن عَدِيٍّ اللَّخْمِـيَّ ، وهو ابن أخته(٩).

وما جاء في بعض الروايات من أن أمَّ خارجةَ تزوجتْ في بعض أحياءِ العرب وأنَّ ابن أُخْتِها خَلَعَها(١٠).

ثانيا ـ اجتناب الاصهار :

يستتبع الزواج لدى كثير من القبائل في مناطق متفرقة من العالم نُشوءُ نَمَطٍ من

السلوك في العلاقة بين الأصهار . يتَميّز بالتحفظ والتَّقْيِيْدِ ، وهو ماجرت عادة الباحثين الغربيين بتسميته تقليد الاجتناب أو المحاشاة (Avoidance Custom) ويقضي هذا التقليد بتقييد حُرِّيَّةِ كل من الزوجين في الاختلاط بأقارب الزوج الآخر الأقربين وفي مقدمتهم والدة الزوجة بالنسبة للزوج ، ووالد الزوج بالنسبة للزوجة ، ويغلب أن يكون الاجتناب في العلاقة بين الأشخاص من جنسين مختلفين . ومع ذالك قد نجده في بعض القبائل مطبقاً حتى في العلاقة بين أشخاص من جنس واحد . ويغلب أن تخف صرامة هذا الاجتناب مع تقدم السن ، وبعد إنجاب الزوجين أولاداً .

ونذكر فيما يلي بعض الأمْثلة لقبائل تمارس هذا التَّقليد نستقيها من افريقية وآسيا وأمريكا :

ففي افريقية نجدهذا التقليد شائعاً عظيم الشيوع، يأخذُ به العديدُ من القبائل ، منها قبائل رعوية وأخرى زراعية ، ومنها قبائل أبوية وأخرى أُمِّيَّة .

فلدى الشيلوك (في جمهورية السودان) يتحاشى الرجل أهل زوجته جميعاً وفي مقدمتهم والدة زوجته . ويقتَضي واجب الاجتناب عدم دخول الرجل بيت حماته واحتياطه لعدم مقابلتها وجهاً لوجه خارج البيت . وإذا التقى الرجل بحماته في الطريق كان عليه أن يتخذ مساراً آخر ، وأن يبعث بصديق لتحِيّتها باحترام[١١] .

ولدى اللانجو (في أوغندة) توضع أم العروس موضع تبجيل عظيم . ولذالك فليس لزوج ابنتها أن يراها أو يتحدث إليها . وإذا أراد زوج البنت المرور خلال القرية التي تعيش فيها حماتُه كان عليه أن يبعث إليها بكلمة حتى تخْلي له الطريق ، أو حتى تبقى داخل كوخها . وإذا حدثتْ غارة على قرية المرأة أخذها أقاربها إلى قرية زوج ابْنتها لكي تجد فيها مكاناً آمناً . وتحمل المرأة في محفَّةٍ . وعند الاقتراب من قرية زوج ابنتها ، يغطيها حاملوها بجلد بقرة ، إلى أن يتمَّ إعداد بيت لاسْتقبالها وإلى أن يتمكن زوج ابنتها من مغادرة القرية[١٢] .

ووصف الرحالة العربي محمد بن عمر التونسي (في أوائل القرن التاسع عشر)

هذه العادة لدى الغور (في جمهورية السودان) بقوله : (لأن عادتهم أن الشاب متى أحبَّ صَبيَّةً وعلمتْ أمها بذالك لا تُقابله أبداً ولا يقابلها ، وإذا رأتْهُ في الطريق ولم تر لها مخلصاً منه بركت في الأرض ، وسَدَلَتْ ثوبَها على رأسها ووجهها حتى يمرّ ، وهو كذالك يفعل ، يعني إن رآها وعرفها يرجع على عقبيه هرباً إن أمكنه ذالك ، وإلا أدار وجهه لنحو حائط أو شجرة ، حتى تمرُّ ، ثم يرسل إليها السلام إن كان معه أحد . وكذالك تفعل بعد مروره ، إن لم يكن معه أحد ، ترسل له السلام إن كان معها أحد . وهذا كله من نوع الحياء والتعظيم . . . وهي مثله في ذالك إذا رأت أمه أو أباه فَرَّتْ ، وسلكت طريْقاً غير طريقها ، وترسل السلام أو يرسل إليها ، ولا تواجه أحداً منهم[١٣].

ولدى اليوكاغير (في سيبريا) لا ينبغي لزوجة الابن أن تنظر ، وجها لوجه ، إلى والد زوجها أو أخيه . كما ليس لزوج البنت أن ينْظر إلى وجه والد زوجته أو والدتها . وإذا أراد الحما أن يأمر زوج ابنته بشيء فعليه أن يفعل ذالك بطريقة غير شخصية وبالتلميح . وليس لزوجة الابن أن تكشف عن جسدها أمام حماها ، ولا الحما أمام زوجة ابنه[١٤].

ولدى الكرو (Crow) (من الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية) لاينبغي للرجل أن يتحدث إلى والدي زوجته ، كما ليس لِهَذَيْن أن يتحدثا إليه . والخطر الخاص بالحما أقل شدة ، أما الخطر الخاص بالحماة فيراعى بصرامة ، فزوج البنت لا يستطيع الحديث إلى حماته إلا عن طريق زوجته ولا ينبغي له أن يتفوه باسمها ، أو بأي كلمة تشكل جزء منه . لكن ليس ثمة خطر مماثل في علاقة زوجة الابن بحماها[١٥].

ورغم عدم وجود أدلة مباشرة على وجود هذه العادة عند العرب قبل الإسلام ، فإننا نميل إلى الاعتقاد بوجودها لديهم .

ومن الممكن أن نستدل على هذه العادة بتفسير اللفظ الذي جرت العادة بإطلاقه على زوجة الابن أو الأخ .

فقد جاء في «تاج العروس» أن الكِنّ بالكسر وقاءُ كل شيْء وستره ، وكَنّ أمره عنه أخفاه . وفي التنزيل العزيز : ﴿ أو أكننتم في أنفسكم ﴾ أي أخفيتم . والكَنَّةُ بالفتح امرأة الابن أو الأخ ، وفي الشريف المرتضى : «الكنَّةُ امرأة ابن الرجل أو امرأة ابن أخيه» .

وجاء في «لسان العرب»: واسْتكَنّ الرجل صار في كِنّ . واكتنَّت المرأة غطت وجهها وسترته حياءًا من الناس ، والكَنَّة بالفتح امرأة الابن أو الأخ . وقال الزبرقان بن بدر أبغض كنائني إليّ الطُّلعَةُ الْـخُبَأَةُ ، أي التي تطلع ثم تدخل رأسها في الكنة .

مما سبق يتضح أن العرب كانوا يطلقون على زوجة الابن وزوجة الأخ لفظ الكنّة .

وقد نتساءل عن السبب الذي من أجله أطلق العربُ على زوجة الابن وزوجة الأخ لَفْظاً يفيد التخفّي والاستتار وهو لفظ (الكنَّة) ولن نَجد لهذا التساؤل من جواب إلا إذا افترضْنا أن العرب كانوا يأخذون شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتمعات القبلية ـ بعادة اجتناب الأصهار وبخاصة في علاقة زوجة البنت بوالد زوجها ففي تسمية زوجة الابن بـ (الكنة) دليل واضح على وجود هذه العادة . إذ أن أول مقتضياتها أن تستتر زوجة الابن من حماها . ومن الطبيعي أن يؤدي جريان العادة باستتار زوجة الابن من حماها ـ في نهاية الأمر ـ إلى اطلاق اسم (الكنّة) عليها .

ثالثاً ـ اكل الدم المسفوح :

تلعب الماشية في حياة القبائل الرعوية دوراً بالغ الأهمية ، بل إن من الممكن القول بأن حياتهم كلها تدور ـ على نحو أو آخر ـ حول ما يملكون من قطعان الحيوانات . فهم يتَغَذون بألبانها ومنتجات هذه الألبان وهم يأكلون لحومها ، ويصنعون من جلودها وأشعارها وأوبارها الأَمْتعة والأواني . وهم يستخدمونها وسيلة للنقل والانْتقال . وهي وسيلة التبادل أو بديلة النقود .

ومن الفوائد التي يجتنيها الرعاة من ماشيتهم شرب دمائها أو أكلها ، وهي بَعْدُ حية . فلدى كثير من القبائل الرعوية ـ في إفريقية ومناطق أخرى من العالم ـ يأكل الرعاة الدم المسفوح من الحيوان الحي . وهم يأكلونه طازجاً أحياناً ، وأحياناً أخرى يعالجون به طعامهم ، وأحياناً ثالثة يأكلونه بعد أن يتجمد ، ويصير كما لو كان لحماً .

فالنوير (في جنوب جمهورية السودان) يستخرجون الدم من رقاب حيواناتهم وهو مادة مكملة لطعامهم في فصل الجفاف . ويتم استخراج الدم من البقرة بربط حبل ربطاً محكماً حول رقبتها حتى تنتفخ أوردتها ، ثم يطعنون أحدها من جهة الرأس . ويستخدمون لذالك سكيناً صغيرة ، ملفوفة بحبل أو عشب ، حتى لا يظهر من نصلها سوى نصف بوصة تقريباً ، لكيلا يحدث الطعن بعمق أكثر من اللازم وعندما ينبثق الدم يستقبلونه بقرعة كبيرة ، وعندما تَمْتَلِئُ يفكُّون الحبل ويطلقون سراح البقرة ، التي يصيبها شيء من الدوار وقد تترنَّح قليلاً . وتقوم النساء بغلي الدم حتى يتماسك ، ويستعملنه مع الثريد كمادة لها نكهة اللحم . وقد يتولى الرجال إعداد الدم بتركه حتى يتبخّر في كتلة صلبة ، ثم يضعونه فوق قطعة من الصخر لشوائه . وبعد تنظيفه من الرماد يقسمونه إلى أجزاء ، ويستخدمونه كاللحم[١٦].

ولدى الماساي (قبيلة رعوية في كينيا وتنزانيا) يشكل الدم عنصراً هاماً ومفضلاً في غذائهم . وهم يحصلون عليه من الأبقار وبخاصة من الثيران ، وذالك بشدّ حبل من الجلد حول رقبة الحيوان شداً وثيقاً حتى ينتفخ أحد الأوردة الكبيرة ، وعندئذ يطعنون الوريد بسهم خاص ذي نَصْلٍ عريض ، يطلقونه من قوس مَشْدُوْدٍ شدًّا رفيقاً . فينبثق قدر كبير من الدم يتلقونه في إناء ويشربونه طازجاً أو يأكلونه متخثراً ، أو يشربونه ممزوجاً باللبن . وكذالك يفعلون بالنسبة للغنم ، فيشربون ألبانها ويأكلون دماءها ولحومها[١٧].

كذلك يُـحِبُّ الجلا (في أثيوبيا) الأطعمة التي يحبها الرعاة وهي دم الثيران الساخن ، واللبن الطازج أو الحامض ، واللحم النيء[١٨].

وثمة شواهد عدة على أن هذه العادة كانت معروفة لدى البدو من العرب قبل الإسلام ، حيث كانوا يأكلون الدم المسفوح من الحيوانات وهي مازالت على قيد الحياة .

قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُوْنَ مَيْتَةً أو دَمًا مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيْرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾ ـ سورة الأنعام الآية ١٤٥ .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ دَمًا مَسْفُوحاً ﴾ يقول الطبريُّ : معناه دمًا مُسَالاً مُهْرَاقاً ، يقال منه : (سفحت دمه) أي أَرَقْتُهُ .

وفي «تفسير الفخر الرازي» قال ابن عباس : يريد ماخرج من الأنعام وهي أحياء ، وما يخرج من الأوداج عند الذبح .

وجاء في الأخبار أن العرب كانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فَيُشْرَب ، يفعلونه أيام الجوع . كما كانوا يأخذون ذالك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى ، فيطعم به الضيف في شدة الزمان ، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقريه ، ويشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها . و(الفصيد) دم كان يوضع في الجاهلية في معًى من فصد عرق البعير ويشوى . وكان أهل الجاهلية يأكلونه ، وتطعمه الضيف في الأزمة[١٩]. وجاء في «القاموس المحيط» : وبات رجلان عند أعرابي ، فالتقيا صباحاً ، فسأل أحدهما صاحبه عن القرى ، فقال : ماقُرِيْتُ ، وإنما فُصِدَ لي ، فقال : (لم يُـحْرَمْ مَنْ فُصِدَ له)أي لم يُحرم الْقِرَى من فُصِدَتْ له الراحلة ، فحظي بِدَمها .

يتضح مما سبق أن البدو من العرب كانوا ـ قبل الإسلام ـ شأنهم في هذا شأن غيرهم من الرعاة ، يأكلون الدم المسفوح من الحيوانات وهي بَعْدُ حَيَّة . وقد حرم الإسلام أكل الدم المسفوح ، ولعل تحريم الإسلام أكل هذا الدم يرجع إلى ←

أسماء مواضع التعدين
لاتزال بحاجة إلى ضبط وتصحيح

كنت قد أَشَرْتُ في كثير مما كتبت إلى أَنَّ أسماء مواضع المعادن في بلادنا قد اعتراها التحريف في الآونة الأخيرة ـ أي منذ اكتشافها والبدء بتعدين بعضها في منتصف القرن الماضي ـ وقد اتجهت بالرجاء إلى الجهات المعنية بهذا الأمر ، وإلى المهتمين بشؤون الإعلام بمراعاة الدقة والتثبت عند ذكر أسماء المواضع ، لأن التحريف اعتراها حينما بدأ بالبحث عن المعادن وبرسم المصورات الجغرافية (الخرائط) أَعَاجِمُ يكتبون الاسم كما يسمعونه من العامة ، بدون تَثَبُّتٍ من

← طريقة الحصول عليه ، وما تنطوي عليه من قسوة بالحيوان .

الدكتور/ محمود سلام زناتي

الحواشي :

(١) دكتور أحمد الحوفي : «الحياة العربية من الشعر الجاهلي»، نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٢٨٠ .
(٢) أبو الفرج الاصفهاني : كتاب «الأغاني» جـ ٩ ، ص ٧ .
(٣) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» جـ ١ ، ص ١٩٤ .
(٤) «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار» ج ٢ ، ص ١٩١ .
(٥) Meek, A Sudanese Kingdom, London 1931, P. 110 .
(٦) Nadel, The Nuba, London 1947 .
(٧) الميداني: «مجمع الأمثال» جـ ١ ، فقرة ١٠٦٢ .
(٨) الضبي : «أمثال العرب» فقرة ٢٠ .
(٩) المصدر السابق فقرة ٦٠ .
(١٠) (١١) Seligman, Pagan tribes of Nilotic Sudan, London 1922, P. 57 .
(١٢) Driberg, The Lango, London 1923, P. 159 .
(١٣) «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» باريس ١٨٥٠ ، ص ٢٣٩ .
(١٤) Lowie, Traite de sociologie primitive, Paris 1935, P. 97 .
(١٥) المصدر السابق، ص ٩٤ .
(١٦) Evans-Pritchard, Economic life of the Nuer, Sudan Notes and Records, Vol. XX. 1937 .
(١٧) Daryll Forde, Habitat, Economy and Society, London 1964, P. 295 .
(١٨) Baumann et Westermann, Les peuples et les civilisations de l'Afrique, Paris 1957, P. 283 .
(١٩) دكتور جواد علي : «المفصل في تاريخ العرب» جـ ٥ ، ص ٥٩ .

صحته ، وتكون الكتابة في أول الأمر بحروف لاتينية ، ثم تنقل إلى العربية ، فيعتريها التحريف من ناحيتين ، الأولى : نقلها عن عامة بواسطة أعاجم لا يستطيعون التثبت من صحتها .

الناحية الثانية : نقلها من الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية ، والناقلون غالباً ما يكونون ممن يجهل تلك الأسماء ، فيكتبها محرفة ، وقد نشرت تصحيحاً لكثير من الأسماء التي من هذا القبيل ، وأذكر أنني كتبت في إحدى المرات في جريدة «اليمامة» حينما كنت أرأسُ تحريرها منذ نحو ثلاثين عاماً (١٨ جمادى الآخرة ١٣٨١هـ): جاء في العدد الثاني من مجلة «أخبار البترول والمعادن» التي تصدرها وزارة البترول والثروة المعدنية : (رواسب الحديد المغناطيسي في جبل ادساس : يقع جبل ادساس في خط عرض ١٧َ و٢٣° شمالاً ، ويقع في خط طول ٩ً و٤٥° شرقاً على بعد ٦٥ ك.م. شمال شرق جدة ، تقريباً) .

وجاء في العدد الخامس من صحيفة «الثقافة الأسبوعية» التي تصدرها المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر ـ في الصفحة السادسة : (حديد في جبال أوساس : استطاعت وزارة البترول والثروة المعدنية أن تعرف من تقاريرها الفنية أن في جبال ـ أوساس ـ جنوب القويصية بمسافة ٢٠٠ كيلو متر من نجد توجد خامات الحديد (المغنانايت) تتراوح نسبة الحديد الموجود فيها بين ٦٠ و٦٦٪ تجري الدراسات حول امكان استغلال هذه الخامات الحديدية من وجهة تجارية ، فتدرس عوامل المواصلات وبعدها عن الساحل ووجود القوة الكافية لفصل الحديد من خامات الحديد) .

هذان النصان الواردان في مرجعين رسميين من جهتين حكوميتين يحتاجان إلى تصحيح :

١ ــ فاسم الجبل قُسَاس ـ بقاف مضمومة بعدها سين مفتوحة مخففة ، فألف ، فسين ـ لا (أدساس) كما جاء في نشرة الوزارة ، ولا (أوساس) ـ كما في صحيفة المديرية العامة للصحافة والإذاعة .

٢ ــ تقع المسافة بين الجبل وبين مدينة جدة مئات الأكيال لا ٦٥ كيلاً كما جاء في النشرة ، التي نرجح أن ما ورد فيها تطبيع ـ خطأ مطبعي ـ وصوابه ـ ٦٥٠ كيلاً

٣ ــ القويصية ـ الواردة في الصحيفة صوابها ـ القويعية ـ بالعين بدل الصاد وهذا اسم بلدة تُعَدُّ أشهر بلدان العِرْض ـ المعروف قديماً بِعِرْضِ شَمَامٍ ، وبِعِرْض باهِلَة .

٤ ــ المسافة بين القويعية وبين ذلك الجبل لا تبلغ ٢٠٠ كيل ـ كما جاء في صحيفة المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر ، بل تنقص عن نصفها . . وكلمة (من نجد) لم يتضح متعلقها لأن الجبل في قلب نجد ، وكذا بلدة (القويعية) .

كيف نشأ تحريف الاسم ؟ مر التحريف بمراحل :

١ ــ القاف ينطقها كثير من العرب في نجد من مخرج يقرب من مخرج السين ، كما ينطقون كاف المخاطب المؤنث .

٢ ــ كثير من العرب يسكنون الحرف الأول من الاسْم إذَا كان محركاً ، فيقولون (امحمد) و(اسليمان) و(ابقيق) بدل (محمد) و(سليمان) و(بقيق) .

ومن ذالك (قساس) نقلوه إلى (اقساس)، فإذا سمعهم السامع الذي لا يدرك كيفية نطقهم القاف ظنَّ أنهم يلفظونها دالاً ساكنة ، فكتبها كما سمعها ، وهكذا وقع (قساس) فأصبح (ادساس) في الخارطة التي رسمتها المديرية العامة للزيت والمعادن ـ وزارة البترول والثروة المعدنية (أس ـ ٢٠٣) .

ثم كان أن قرأت في جريدة «عكاظ» بتاريخ ١٠/١٠/١٤٠٩هـ ذكريات للأستاذ غازي سلطان وكيل وزارة البترول والثروة المعدنية ، علقت عليها بملاحظات نشرت في جريدة «عكاظ» (العدد ٨٣٤٩ تاريخ ١٨/١٠/١٤٠٩هـ) جاء فيها : ولقد وقفت أثناء قراءتي لتلك المعلومات الطريفة التي نشرتها الصحيفة عن كفاح الأستاذ غازي وتحمله مشاق الحياة واجتيازه كثيراً من صعابها بجلد

وصبر ، وقفت عند نقطتين ، تتصلان بالتعدين في بلادنا .

استثمار المعادن : النقطة الأولى : قول الأستاذ غازي : (المعادن لا تحقق عائداً ربحيًّا وما تحقق هو العائد الصناعي) .

وقد أوضح هذا في الإجابة على سؤال مندوب الجريدة : هل تتوقع أن تشكل الثروة المعدنية مورداً هامًّا لاقتصادنا الوطني ؟

فكان جواب الأستاذ غازي : لا تحقق المعادن عائداً ربحياً كبيراً صافياً ، وإنما العائد الصناعي هو الذي سيتحقق ، حيث ستتاح الفرصة للعديد من شركات النقل والمباني والصناعة لممارسة أعمالها وأنشطتها . إلى آخر ما ذكر .

إنني أقف أمام جواب الأستاذ موقف المستفهم المستزيد من المعرفة ، فقد فهمت منه أن المعادن في بلادنا قد استنفدت جميع ما تحويه من معادِنَ ثَمِينة كالذهب والفضة ، ولهذا فإن ما يستفاد منها هو ما يتعلق بأمور الصناعة ، إمَّا باستخدام أيْدٍ عاملة من المواطنين ، أو باستثمار موادَّ معدنية صناعية ، فهل ما فهمته هو ما أراد الأستاذ ؟

وهل معنى هذا أن مستثمري المعادن القدماء قد استنفدوا كُلَّ مخزون تلك المعادن ؟

ثم هل كان لديهم من الوسائل المستخدمة في التعدين ما يمكنهم من ذالك ؟

لاشك أن الحفر لاستخراج المعادن قديماً يتطلب امكاناتٍ وآلات لم تكن متوفرة في ذالك الوقت ، إذ عروق الـمَرْوِ (الكوارتز) التي تحوي التِّبر تمتد مسافات عميقة في غورِ الأرض أو في ظاهرها ، وقد لا يتمكن المعدنيون في تلك العصور من الانحدار في جوف الأرض أغواراً بعيدة متتبعين لعروق الذهب .

وقد كان فيما قرأْتُ أن أحدَ المعادن وقف نَيْلُهُ حين كثر الماءُ الذي لم يستطع المعدنيون نَزْحَهُ . حقاً لقد بُذِلت جهودٌ كبيرة في التنقيب في معدن بني سُلَيم (مهد الذهب) ومعدن ظَلم ، وَعُلِمَ من التقارير التي نشرت حول هذين المعدنين أنَّ

البحث فيهما سيقتصر على النفايات ، لأن العروق التي كانت تحوي التبر وهي عروق المرو (الكوارتز) قد نفدتْ في هذين المعدنين ، ولكن هناك معادن أخرى تعد بالعشرات لم تُسْتَثْمِر بَعْدُ ، بل لم يَجْرِ تنقيبٌ وافٍ لمعرفة الكمية التي تحويها من المعادن .

لاشك أن الأستاذ غازي أدرى وأعرف من غيره في هذا الأمر ، ممن لم تكن معرفته مبنية على دراسة ، ثم على تجربة وعمل .

تاريخ التعدين في بلادنا : وخاطرة خطرات لي وأنا أقرأ جواب الأستاذ غازي على سؤال : إلى أي عهد يرجع تاريخ أقدم منجم في المملكة ؟ فكان الجواب : هناك منجم منذ عهد الخلفاء الراشدين . - وهذه هي النقطة الثانية - .

لاشك أن العلماء الفنيين أي الذين يُعْنون بالشؤون الفنية العملية قد تكون اتجاهاتهم واهتمامهم بالنواحي التاريخية ليست على درجة من التعمق ، إذ ليس ذالك من شؤونهم وإنما هو من شؤون المؤرخين الذين عُنُوا بتاريخ أحوال هذه البلاد اقتصادية كانت أو غير اقتصادية .

لقد كان كلام الأستاذ غازي صحيحاً فأشهر معدن استغل في عصرنا من المعادن القديمة وهو معدن بني سُلَيْم (مهد الذهب) كان هذا المعدن معروفاً في عهد الخلفاء الراشدين (انظر كتاب «الجوهرتين» ص ٣٦٢ إلى ٣٧٢) .

ولكن هذا المعدن أيضاً قد استُغِلَّ قبل عهد الخلفاء الراشدين ، فقد أُهْدِيَ إلى الرسول ﷺ من تبره ، كما ذكر متقدمو العلماء أن أبي الحُصين السلميَّ قدم على رسول الله ﷺ بذهب من معدنه - انظر «الاستيعاب» لابن عبدالبر و«أُسْد الغابة» لابن الأثيرو «الإصابة» لابن حجر - ترجمة أبي الحُصين السلمي في الكُنَى - ولاشك أنه كان مُسْتَغَلاً قبل ذالك كغيره من المعادن الكثيرة المنتشرة في بلادنا ، ومن أشهرها معادن العِرْضِ - عِرْض شَمَام (عرض القويعية) ، فقد ذكر الهمداني أنه كان في العهد الجاهلي يستغل من قبل المجوس وأن فيه ألوفاً منهم ، ولهم معبدان هناك - انظر «صفة جزيرة العرب» ص ٢٩٤ ، ٢٩٩ - .

وكذا ذكر معدن العقيق عقيق تمرة (وادي الدواسر) ، فقد جاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» ص ٣٢٩ بوصفه أنه أغزر معدن في جزيرة العرب .

ومعدن الرضراض جنوب نجران كان الذين يقومون بتعدينه من الفرس .

ولعل احتقار العرب للصناعات هو الذي حملهم على عدم العناية بما يتعلق بالتعدين ، ومن هنا جهل الكثير من أحوال المعادن وعُدم معرفة أزمان استثمارها .

تحريف أسماء المعادن : مما يؤسف حقاً أن أسماء المناجم وأمكنة التعدين في بلادنا لم تلق عناية تامة من المهتمين بأحوال التعدين ، لضبط تلك الأسماء ضبطاً يمكن من ربطها بالمسميات القديمة ، واضرب مثلاً لذالك :

قساس : ادساس ـ اوساس ـ اوناسس :

أنت ترى أمامك أيها القارئ الكريم اسماً لموضع واحد ، ولكنه ورد في أربع صور ، ليس صحيحاً منها سوى واحدة هي (قُساس) بالقاف المضمومة بعدها سينان مهملتان بينهما ألف ـ ومعدن قساس هذا معدن حديد مشهور منذ العهد الجاهلي في بلاد العرب ، قال فيه الراجز يصف فأساً :

أَخْضَرُ من مَعْدِنِ ذِي قُسَاس كأنه في الْحَيْدِ ذِي الأَضْرَاس
يُرْمَى به في البَلَدِ الدَّهَاس

لقد ظنه بعض المتقدمين الذين يجهلون بلاد العرب خارجاً عنها ، ولايزال الجبل الذي كان يستخرج منه الحديد وهو قُسَاس الذي لايزال معروفاً ، وقد عثر في الأيام الأخيرة على آثار التعدين فيه ، وورد في كلام الأستاذ غازي ، ولكن الاسم جاء مصحفاً ونصه : واجهتنا مخاطر في (ادساس) بالدوادمي التي قتلنا فيها تسع عقارب وثلاثة ثعابين في إحدى الأمسيات .

كيف نشا تحريف هذا الاسم ؟

كان الذين رسموا المصور الجغرافي الأول لبلادنا من موظفي (شركة الزيت

العربية الأمريكية) وكانوا يتلقون أسماء المواضع من مرافقيهم ، وهم في الغالب من العامة ، الذين يتكلمون باللهجة العامية ، ومن هاؤلاء من ينطق القاف إذا كانت في أول الاسم نطقاً لا يميز سامعه هل هي قاف أم سين أم دال في مثل كلمات : (قبلة) في القاف المكسورة و(قساس) ، والعامة يسبقون الحرف المتحرك بألف فيقولون في مثل قساس : اقساس ، وينطقون القاف غير فصيحة ، فلما سمع راسِمُو الخريطة الاسم توهموه دالاً ، فكتبوه في أول خريطة رسمت (ادساس) ، ولما نشرت هذه الخريطة نبهت إلى هذا الخطأ في كلمة نشرتها في إحدى الصحف ، ثم حدث أن قرأت الاسم لكاتب في صحيفة أخرى مكتوباً بصورة (ادساس) وبعد مدة قرأت في مجلة كانت تصدرها وزارة الاعلام قرأت الاسم في الحديث عن المعادن في بلادنا بصيغة غريبة حقاً هو (أوناسس) ، فكتبت كلمة في إحدى الصحف قلت فيها : لقد كان حظ هذا الاسم بين القراء حظاً سيئاً . ثم ذكرت مامر به من صنوف التحريف ، حتى قلت : أما الآن فقد قفز قفزة فأخذ اسم الثري اليوناني الجشع المليونير (أوناسس) ، ولكن من يدري فقد يفتح فاه قائلاً : إن هذا مما خلفه لي أجدادي القدماء من اليونان والإغريق الذين ملؤا الأرض بحكمتهم وعلمهم وفلسفتهم !!

ولكن بعد مدة وكنت في بيروت مدعواً في السفارة لحفلة عشاء أحد رجال النفط في بلادنا ولعله الأستاذ هشام ناظر ، وبينما نحن على المائدة إذ قال لي : هل رأيت الطبعة الجديدة من الخريطة ، لقد رسمنا الاسم كما قلت . وفعلاً برز في الطبعة الثانية (قساس) ولكن كثيراً من المصورات الجغرافية سارت على الخطإ ، ومن ذالك ماورد في كلام الأستاذ غازي .

وليس هذا الاسم هو الاسم المحرف من أسماء المعادن ، فقد قرأت فيما قرأت مما نسب إلى الأستاذ غازي في هذه الصحيفة الكريمة مانصه : (بشرايد) لتصنيع الطائرات . . . عدة مناجم ستبدأ عملها قريباً في منطقة (ذمار) . . ومعدن آخر يسمى (بشرايد) يتواجد في أرضنا بكميات هائلة يستعمل في صناعة الطائرات . .

لقد رجعت إلى المصور الجغرافي الصادر عن (مديرية التعدين والثروة المعدنية) فلم أستطع معرفة هذين الاسمين ، لأن المصور قد كتب أسماؤه بلغة عجمية . وانظر البيان الذي أصدرته المديرية عن أسماء المعادن في بلادنا في كتاب «الجوهرتين» ص ٣٢٢ إلى ٣٣٠ تَرَ العجب العجاب .

أليس من الواجب على هذه الجهة الكريمة التي تعنى بأهم مقوم من مقومات الحياة في بلادنا وهي الثروة ، أن تقدم لمواطنيها كل ما تنشره عن هذه البلاد واضحاً صحيحاً بلغة الأمة نفسها ، وماالذي استفيده أنا وأمثالي إذا أردت أن أعرف ما تحويه بلادي من ثروات ، وأن اهتدي إلى المواطن التي تختزن تلك الثروات ، لأحَدِّدَها وأعرِفَها ، وليتمكن من يريد معرفتها من ذالك ، إنني أثق ثقةً تامة بأنَّ إخواننا القائمين على ذالك المرفق الحيوي العظيم يتصفون بالغيرة الوطنية ، وبالإخلاص لبلادهم ، وبالحرص على أن يفهم كل مواطن عن هذه البلاد ما يريد أن يفهمه) .

وبعد ذالك قرأت خلاصة تقرير عن التعدين نشر في جريدة «الشرق الأوسط» بتاريخ ١٤١٠/١/٢٦هـ دفعني إلى ما لاحظت فيه من تحريف بعض أسماء مواضع التعدين إلى أن أكتب لمعالي الأستاذ إبراهيم بن أحمد خبيري وكيل وزارة البترول والثروة المعدنية للشؤون المعدنية مستوضحاً عن صحة بعض الأسماء لاهتمامي بهذه الناحية ، إذ قد نشرت أوفى كتاب عنها خلفه لنا سلفنا الصالح وهو كتاب «الجوهرتين» .

ولقد أفضل الأستاذ إبراهيم فأجاب بكتاب أثبته كاملاً بنصه لما يحويه من بشارة أثق ثقة جازمةً بأنَّ كل مَعْنِيٍّ بهذا الجانب الحيوي في بلادنا وهو التعدين سيكون من بواعث سروره واغتباطه ـ أعني قيام الوزارة بوضع فهرس كامل للمعادن المكتشفة في البلاد يوضح مواقعها وأسماءها وما يتصل بها من تقارير ، بحيث يصبح مرجعاً يسهل بواسطته الحصول على أية معلومات محددة عن معدن أو منطقة بعينها :

سعادة الشيخ العلامة / حمد الجاسر — الموقر

تحية طيبة وبعد:

لقد سعدت كثيرا بتلقي رسالتك المؤرخة في ١٤١٠/١/٢٦هـ والمتضمنة رغبة سعادتكم في الحصول على نسخة وافية من ,,التقرير,, الذي نشر في صحيفة الشرق الاوسط، العدد ٣٩٢٥ بتاريخ ١٤١٠/١/٢٦هـ والخاص بالمسح الجيولوجي المتعلق بالمناجم والمعادن .

وقد زاد من سروري بتلك الرسالة , اهتمام سعادتكم الشخصي بقطاع التعدين وحرصكم المتواصل على متابعة ما ينشر من نشاط ومنجزات المديرية العامة للثروة المعدنية .. وأود أن أنتهز هذه المناسبة لأؤكد لسعادتكم أن اهتمامكم بهذا المجال سيظل دائما محل تقديرنا جميعا في المديرية العامة للثروة المعدنية .. أما ما نقل على لساني في جريدة الشرق الاوسط فلا يعدو في الواقع أن يكون لقاء أو مقابلة صحفية عابرة ومختصرة للادلاء ببعض المعلومات العامة جدا من نتائج وثمرات المسح الجيولوجي الذي تم انجازه في المملكة .

لذلك، فانني أخشى ألا يكون هنالك ,,تقرير,, واحد شامل من الثروات المعدنية بالمعنى الذي يتطلع سعادتكم للتزود به .. لان المديرية تحتفظ في هذا العدد، بكم هائل من التقارير الفنية والخرائط المحتوية على معلومات كثيرة عن الثروات المعدنية المختلفة التي تم التعرف عليها أو أمكن الحصول على بيانات عنها .. الا أن معظم هذه التقارير قد صدرت باللغة الانجليزية لان المديرية قد استعانت على أعدادها وتجهيزها بخبرات العديد من الخبراء والفنيين الاجانب المؤهلين في مجال الكشف والمسح الجيولوجي .. ويسعدني أن أزف لاستاذنا الفاضل الشيخ حمد الجاسر أن المديرية العامة للثروة المعدنية قد بذلت جهدا كبيرا بفضل جهود فنييها , أمكن معه اعداد فهرس فخم ومتكامل بالمعادن المكتشفة في المملكة والتقارير والمنشورات أو المطبوعات الصادرة منها بحسب مواقعها , ويقع ذلك الفهرس في حوالي ألفي صحيفة . وقد تم ادراجه

في برنامج خاص بالحاسب الآلي . ويعتبر ذلك العمل في حد ذاته انجازا ضخما لان هذا الفهرست يعد بمثابة ,, المرجع ,, الذي يسهل بواسطته الحصول على أية معلومات محددة من معدن أو منطقة بعينها .

وتحضرني أيضا وأنا أتطرق لموضوع تحريف مسميات المناطق الذي أشرتموه سعادتكم في رسالتكم لي، ملاحظات سعادتكم السابقة التى نشرت في جريدة عكاظ بعددها ٨٣٤٩ في ١٨/١٠/١٤٠٩هـ، حول المعلومات التى أدلى بها سعادة الاستاذ غازي سلطان وكيل الوزارة السابق للثروة المعدنية . وقد اطلعت وتابعت باهتمام تلك الملاحظات القيمة سيما ما كان متعلقا بموضوع ,,تحريف أسماء ومواقع بعض المعادن في المملكة ,, والذي لا ننكر وجوده .. بل ونتفق مع استاذنا الجليل، ان من المؤسف أن هذا الامر لم يلق العناية والاهتمام اللازمين .. الا انه يسعدني الآن، أن أطمئن سعادتكم بالجهود التى تبذل حاليا لمعالجة هذا الوضع من قبل نخبة من الفنيين والمختصين ذوي الكفاءات العالية من أبناء هذا البلد العاملين في المديرية العامة للثروة المعدنية حيث اعتمدت المديرية برنامجا خاصا يجري تنفيذه على مدى السنوات القليلة القادمة لاصدار جيل جديد من الخرائط العلمية المنقحة والمصححة التى يعكف الخبراء السعوديون على استكمالها .. ومن المنتظر أن تغطي تلك الخرائط كافة أنحاء المملكة ويستفاد عند اعدادها، من المحاولات التى تمت في السابق للتحقق من مسميات المواقع الصحيحة كالابحاث التي قمتم بها سعادتكم في هذا العدد والابحاث التى أجراها الدكتور أسعد عبده من جامعة الملك سعود .. هذا، وسوف تحل المطبوعات الجديدة محل الجيل الاول من الخرائط القديمة المحتوية على بعض الاخطاء أو التحريف .. وسنعمل على أن تكون جميع الخرائط والمنشورات الجديدة في متناول الجميع حتى تعم الفائدة .. وكما لا يخفى على سعادتكم فان السواد الاعظم للاخطاء والتحريفات التى لازمت أسماء المعادن أو مواقعها في الاصدارات السابقة، كان بسبب الخرائط والمصورات الجغرافية التى أعدت في الاصل من قبل أجانب أو بمساعدتهم وبلغة غير العربية ,، وان هؤلاء قد اعتمدوا في كتابتها على ما سمعوه من مرافقيهم من العامة من أهالي

وسكان تلك المناطق والذين يتكلمون، كما تعلمون سعادتكم، بلهجات متعددة ويختلف نطقهم من منطقة لأخرى .

وفي الختام، نأمل أن نكون قد أوضحنا لأستاذنا الفاضل الشيخ حمد الجاسر بعض الملابسات المتصلة بموضوع التقارير الخاصة بالثروات المعدنية .. مع تأكيد استعدادنا لتزويد سعادتكم بأي تقرير أو دراسة محددة خاصة بمنطقة أو معدن بذاته في أي وقت ترغبونه سعادتكم .. شاكرين لسعادتكم التفاتاتكم الكريمة واهتمامكم بهذا القطاع الهام .. وراجين ألا تبخلوا علينا بآرائكم السديدة كلما سنحت الفرصة لذلك .

مع خالص تقديري وتحياتي ...

وكيل الوزارة للثروة المعدنية

ابراهيم بن احمد خبيري

(صورة الكتاب)

ولا يسعني إلا أن أتقدم للأستاذ الكريم معبراً عن عميق تقديري وجزيل شكري على اهتمام (الثروة المعدنية) بهذا الجانب وما أتوجه به إلى تلك الجهة الكريمة هو الحرص ما أمكن على أن لا يحدث في الأسماء العربية القديمة تغيير ، ليتمكن الباحثون من معرفة ما يتعلق بالتعدين في بلادنا ، منذ أن عرفته هذه البلاد ، وفي الوقت نفسه فصيانة الأسماء العربية القديمة يُعَدُّ حفاظاً على جانب من جوانب تاريخنا الذي لا تقتصر العناية به على جهة دون أخرى أو فرد دون آخر، بل هو من الأمور المطالب بها كل معني بتاريخ أمته وبلاده .

والله الموفق ،

حمد الجاسر

رَأْيٌ في كتاب :

«تاريخ (مادبا) الحديث»

فرحت ـ حَقًّا ـ عندما أهدى إليَّ المؤلف الفاضل سامي النحاس نسخة من كتابه هذا ، وطلب إليَّ أن أُبْدِي رَأْيِي فيه . وزاد فرحي لما رأيت الأستاذ الدكتور: (صالح الحمارنة يتوجه بمقدمة ، لكنّي توقفت عند كتابة اسم (مادبا) مهموزاً هكذا (مأدبا) وعند القول : إن اسم (مأدبا) ـ بالهمز ـ مشتق من الآرامية ـ الربانيّة ـ من كلمتين (ميا دأيبا) الكلمة الأولى تعني المياه ، والكلمة الثانية (أَيْبا) تعني الفاكهة والدّال أداة إضافة . فيكون معنى الكلمتين (مياه الفاكهة) .

عجبت من هذا التخريج ، فلما زارني الدكتور الأستاذ صالح الحمارنة ، في منزلي سألته عن المرجع الذي اعتمده في قوله هذا ؟ فأجاب: (إنه لم يقل هذا ، فالمؤلف هو الذي قَوَّلَهُ هذا القول . وقال لي : إن المقدمة التي كتبها هو تنتهي في السطر الأخير من الصفحة السابقة التي ختمها بقوله : (أجل أحسن المؤلف الذي التقط هذه الصورة عن (مادبا) المكافحة في سبيل الأرض والإنتاج والتقدم ، قبل أن يمحوها الزمن المعاصر ، ولا تعود الذاكرة تقوى على استرجاعها !) .

فالذي أُريد أَنْ أقوله : إنّ (مادبا) ـ بلا همز ـ حديقة وُجدَتْ قبل أن تصل اللغة الآرامية إلى ديارنا[1]. لأن اللغة (الآرامية لم تصل إلى بلادنا إلا في المئة السابعة قبل الميلاد ، وحلت محلها اللغة العربية بعد الميلاد بسبع مئة سنة . على أكثر تقدير . وقد تكلم السيد (المسيح) الآرامية وبها كتب (سفر دانيال) من «التوراة» و(مادبا) أقدم من هذا التاريخ بزمن بعيد . فقد ورد ذكرها في (سفر العدد) في الفصل الحادي والعشرين[2] نحو سنة ١١٨٠ ق.م . وقد وجد عند تلّ (مادبا) قبرٌ يعود تاريخه إلى العصر الحديدي الأول (١٢٠٠ ـ ١١٦٠) ق.م.[3] و(مادبا) بلا همز مدينة كنعانية ، معنى اسمها (مكان طيب) أو (مياه هادئة) . وقاريُّ المقدمة التي تنتهي في الصفحة الثانية والعشرين ، يتوهم أن الخطأ في كتابة اسم (مادبا) ـ بالهمز ـ ونسبة الاسم إلى الآرامية ، وتخريجه ذاك التخرج كلها من

قلم الدكتور الحمارنة ، في حين أنه من صنع المؤلف الذي أوهم الناس أن مقدمة الدكتور الحمارنة تنتهي في الصفحة الثانية والعشرين ، لا في الصفحة السابعة ـ وهو إيهام مرفوض ! . .

وبعد المقدمة ، انتقل إلى الكتاب نفسه ، ولا أُريد أن أذكر ما فيه من أوهام في اللغة ، وهي كثيرة ، لا يجوز أن تقع في كتاب يقدم اطروحة للماجستير بل أذكر واجبات المؤلف ، يوم يذكر مصادره ومراجعه ، فإن عليه أن يذكرها بأقصى الدقة . فيذكر : اسم المؤلِّف ، واسم الكتاب ، ومكان طبعه ، وزمانه ، وطبعة الكتاب إن كان مطبوعاً ، والجزء الذي رجع إليه من الكتاب إذا كان مؤلفاً من أجزاء هذا إذا كان الكتاب مطبوعاً . أما إذا كان مخطوطاً فعليه أن يذكر مؤلفه ، كأن يقول ـ مثلاً «إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب» لِـ (السيوطي) مخطوط بدار الكتب المصرية. تحت رقم ٣٢ مع ابن الحاج «المدخل» القاهرة سنة ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م ج ٢ ص ٢٧٢ فلا يجوز أن يقول : (Peake. PHSHA) و (Ibio) و(سابا) كما وضع في الصفحة الـ ٦٨ فالقاريءُ يحتاج أحياناً إلى الاطلاع بنفسه على المصادر والمراجع . وهذا كله لم يُرَاعَ !

ثم توقفت ـ بذهول ـ عند بعض الرواة الذين جعل أحاديثهم دعائم لكتابه التاريخي ، وهم لم يعاصروا الحوادث التي فرضت على العشائر التي تديَّرت (مادبا) بعد أن أقطعتهم إياها الدولة العثمانية بهمة (مدحت باشا)(٤) وهؤلاء الرواة لم يذكروا عمن تلقوا رواياتهم التي تَبنَّاها المؤلف حقائق لا يأتيها الباطل لا من أمامها ولا من خلفها ولا من جانبيها ! . .

حتى مراجعة المطبوعة ، لنا عليها مآخذ ليست قليلة . ولولا خوفنا من نبش القبور لقلنا : إن بعضها ادعاه طابعوه ـ وحرفوا بعض معلوماته وهو ليس لهم ! .

ضحكت لما رأيت أحد رواة «تاريخ مادبا الحديث» يتصرف برواية المخطوطة الكرمليَّة التي رواها المرحوم العلامة (الأب انستاس ماري الكرملي) لي تصرفاً ، اشنع من تصرف كتاب «العزيزات في مادبا» أجل تصرف بالرواية من غير أن

ينسب روايته إلى أحد ، وحسناً فعل ، لأنه بصنيعه هذا ، يشير إلى أنه شَاهِدُ عِيَانٍ !

وزاد تعجبي لما رأيتُ السيد (فرح المعاعية) وهو من رواة «تاريخ مادبا» ومن دعائمه ، يَدَّعي أن اسم عشيرة المعاعِية جاء من (المايا) أو (المعايا) وهو تخريج غاية في الدقة التاريخية ، وفلسفة اللغات فـ(المايا) من شعوب (أميركا الوسطى) فمن أين جاءوا إلى الكرك ؟ وبأية وسيلة من وسائل السفر جاءوا ؟ ومتى كان وصولهم إلى ديارنا ؟ وعلى أي مرجع اسْتَنَد السيد فرح ـ أمَا يسره أن يقول مؤلف «تاريخ شرقي الأردن وقبائلها» ـ اللفتنت كولونيل فردريك ج بيك : (أما العزيزات والمعاعية ، فإنهم من سكان (الكرك) القدماء ، ويغلب على الظن أنهم غساسنة[٥] ص ٢٥٢ تعريب (بهاء طوقان) الطبعة الأولى ـ مطبعة الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس) أما يَسُرُّهُ ذالك ؟ فيقفز قفزة واحدة إلى أميركة ؟ فيعلِّم (المايا) العربية ، ولا يبقى لهم من لغتهم الأم ولا كلمة واحدة ؟ لا بأس فكل شيء عند الله ممكن !

ومن رواة «تاريخ مادبا الحديث» حبيبنا السيد (يوسف بن جمعة الطوال) يصفه المؤلف بكونه حادّ الذهن ذكي ، وأزيد على ذالك أنه يرث عن والده الكرم . وكل هذا لا شأن له برواية أمور لا علم له بها . يدلنا على ذالك قوله : إن المرحوم والده مات في ساحة القتال . وهذا غير دقيق لأن خصومات مادبا انتهت كلها سنة ١٩٢٠ يوم أزال المغفور له (فيصل الأول) الضغائن والإحن من القلوب بصلح الحفار[٦] والدُّفَان بين أهل مادبا والقبائل المناوشة لهم . والمرحوم والد يوسف تُوفي وفاة كريمة على فراشه سنة ١٩٢٧[٧] وقد اشتهر أبوه ـ يرحمه الله ـ بالأمانة وصدق التَّعامل مع الناس ـ وبالكرم ، وبأن متجره كان ديواناً لعشيرة (العزيزات) ولم يُعرف عن هذا الوجيه أنه كان رجل قتال . فعلى هذا الأساس تكون روايات السيد يوسف الطوال غير واردة . أقول هذا على كل محبَّتِي له ـ لأنَّ الحقيقة أولى أن تُحَبَّ !

بقيت قضية الشجرات للأسر ، التي أثبتها ـ واعتمدها المؤلف مراجع كتابه ،

أرجو أن يسمح لي الأستاذ بأن أسأله مستفيداً : ١ ــ من الذي نظّم تلك الشجرات ؟ ٢ ــ متى نظمت ؟ ٣ ــ إلى أيّ عهد ترتقي ؟ ٤ ــ رواتها، من هم ؟ ماعمر كل منهم ؟ وما سند تلك الروايات ؟ ٥ ــ هل سبق أن سجلت تلك الشجرات في إحدى الدوائر الرسمية ؟ كما يفعل الذين يحتفظون بشجرات أنسابهم ، ويحافظون عليها ؟ فقد عُرِضَت علي شجرات نسب مصدقة بأختام المحاكم الشرعية ، أما الشجرات المثبتة في الكتاب فخالية من كل الشروط التي ذكرت ، إذَنْ فليس بي من حاجة إلى التوقف عندها !

لعل المرجع الذي يستحق أن يعتمده الباحث ، هو مؤلّف الأب (جوسان) - الذي كان يلقّبه أهالي مادبا، بـ (الخوري انطون الأبيض) ولاسيما الأمور التي حققها هو بنفسه ، أما ما سمعه من الروايات ففيه نظر . أقول هذا لأنه نقل عنه قوله : (إن العزيزات لجأوا واستجاروا بالشيخ (سالم أبو ربيحة) فهذا القول غير صحيح ، لأن (العزيزات) جاوروا الشيخ (لافي بن سرّاح) قبل أن يستقروا في (مادبا) ، فالجوار شيء واللجوء شيء آخر ، وكذالك الاستجارة . والحق الذي لا مراءَ فيه ، أن المؤلف خلط في الفصل الرابع خلطاً غير موفق ، ولا سيما في الصفحة الـ ٥٢ ومن ذالك الخلط عدم تفريقه بين عقوبة السارق من الصاحب - الأصدقاء - وعقوبة تقطيع الوجه - أي الاعتداء على الكرامة . كما حدث في قوله : إن جماعة اختطفوا نعجة . والحقيقة أن ثلاثة رجال من بني حميدة أخذوا عنزاً من معز لرجل من (العزيزات) اسمه (مسعد الطوال) وكان مسعد هذا قد أوصى راعي غنمه قائلاً : إذا حاول أحد أن يعتدي ويأخذ منك شيئاً فقل له : (إن هذه الرعيَّة إمْشَهِّدِه[٨] على الشيخ لافي بن سرّاح) أي أنّها في جواره . فلما غَصَب الرجالُ عَنْزاً وادَّعوا أن عندهم ضُيُوفاً لجأ مسعد الطوال إلى الشيخ لافي بن سراح) وأخبره بأنَّ رجالاً اعتدوا على كرامته في اصطلاح أهل الأردن : (قطعوا وجهه !) فثار ابن سراح لكرامته وسأل عن هؤلاء الرجال فلما عرفهم ادَّعى عليهم عند الشيخ القاضي (إبراهيم أبو ربيحة) - لا سالم أبو ربيحة - فأصدر حكمَه عليهم بهذه الصيغة :

١ ــ تقطع يد الذي أمسك العنز ، وتؤخذ (بَارُودَتِهِ) وتسلم لصاحب العنز ، وله أن يشتري قطع يده من صاحب العنز .

٢ ــ تُدَقّ أوتاد من المكان الذي أمسكت العنز فيه إلى البيت الذي ذبحت فيه العنز ، وتربط بتلك الأوتاد ريوق ، معزى ، بحيث تملأ عروة ، وتترك عروة فارغة ، وتدفع هذه المعزى بالغةً مابَلَغَتْ إلى صاحب العنز ترضيّةً له ، وتكريماً لوجه (لافي بن سراح) .

٣ ــ يُقدم البيت الذي ذبحت فيه العنز ، والبيت الذي قدم لحمها فيه إلى صاحب العنز الذي أُهِينَ باختطافها الشيخ (لافي بن سراح) ، وهذا جزء من الغرامة .

٤ ــ تعطي الشّبْرية[٩] التي ذبحت بها العنز ، والقدر التي طبخت فيها ، والمنسف الذي قدم لحمها فيه لصاحب العنز التي اختطفت !

٥ ــ ترفع راية بيضاء على بيت الشيخ (لافي بن سراح) ثلاثة أيام بياضاً لوجهه ، وهذا الحكم غير قابِلٍ لسَوْمِ الحق ـ أي لا يخضع لاعتراض ولا لاسْتِئْناف ولا تمييز !! والأب (جوسان) ـ يرحمه الله ـ خلط بين هذه العقوبة وعقوبة السارق ، وجعل المخطوفة نعجة وهي عنز ، وجعل القاضي (سالم أبو ربيحة) وهو (إبراهيم أبو ربيحة) .

وقد خلط في قصة (العُصيفي) خلطاً غريباً . إذ قال انها وقعت و(العزيزات) في خيامهم عند (بني حميدة) والحقيقة أنها وقعت[١٠] في (مادبا) بعد أن بنى العزيزات لهم بيوتاً وسكنوا فيها ، وكان (العصيفي) هذا يَجْبِي (خاوة)[١٠] من الكرك ، فلما ارتحل أهل (مادبا) جاء يطالب بـ (خاوة) وحل ضيفاً عند (سليمان الخزوز العزيزات) ـ لا سلمان كما ذكر المؤلف ـ فعلم به (إبراهيم الطوال العزيزات) فدخل عليه وهو في دار (سليمان الخزوز) قاصداً قتله ، وأفرغ في رأسه قربينته[١١] لا مسدسه ـ لأن المسدسات لم تكن قد عرفت بعد ـ فجُرح (العصيفي) ونجا من الموت، وخرج (إبراهيم) فتبعه (سليمان الخزوز) ورماه بحجر فشج رأسه دفاعاً عن ضيفه ، ولم يطلق (سليمان الخزوز) على إبراهيم عياراً

نارياً كما ذكر المؤلف . وقد ثار لقضية (العصيفي) هذا : ١ ــ الخزوز لأن بيتهم أمين . ٢ ــ وعشيرة (الهواوشة) من (بني حميدة) لأن (العصيفي) كان جاراً لهم . فلما علم (الشيخ لافي بن سرّاح) انتصر لعشيرة العزيزات ، لأنهم كانوا جيراناً له ، فاحتج قائلاً لِـ (الهواوشة) و(الخزوز) : (لا يجوز لكم أن تطالبوا جيراني بدعويين ، فإما أن تطالبوا بكرامة البيت ، وإما أن تطالبوا بحق جوار العصيفي . فبعد التشاور ، قر رأيهم على أن يطالبوا بكرامة البيت ، وكان القاضي (إبراهيم أبو ربيحة) لا (سالم أبو ربيحة) وفي مجلس القضاء احتج (شيخ الهواوشة عن الخزوز) قائلاً للقاضي : (اذكر الله في الرجل الذي أذلني وداس كرامة بيتي ، وحاول قتل ضيفي على فراشي ، فاطلب انزال أقصى الغرامات به . واحتج (لافي بن سراح) مدافعاً عن جيرانه قائلاً : (أذكر الله في الرجل الذي أخذ حقه بيده إذ ضرب جاري حجراً كادَ يقتله بها فهذا لا يحق له المطالبة بحقّ . فأصدر القاضي حكمه قائلاً : (أنا أقول من عندي ، ومن عند العوارف قبلي ان الذي أخذ حقه بيده ما يحق له أن يطالب بغرامات ! ـ راجع الجزء الثاني من كتابنا «معلمة للتراث الأردني» الصفحة الـ ٢٣١ ـ ٢٣٤ .

ومن الخلط قوله : (إن مجير العزيزات (سالم أبو ربيحة) هو القاضي : في قضية العُصَيْفيّ . وقد نبّهتُ على أن القاضي (هو إبراهيم أبو ربيحة) وأن أبو ربيحة لم يكن مجيراً للعزيزات . لأنهم كانوا في جوار (لافي بن سرّاح) .

ولعل من أغرب الأوهام قوله : (أقام صالح الصوالحة) ـ زعيم العزيزات ـ حِلْفاً مع (المرار) و(الطوال) لست أدري مانوع هذا الحلف الذي يقيمه زعيم عشيرة حلفاً مع أسرتين من عشيرته ؟ وأغرب من هذا الخلط قوله : ووضع (صالح) زعيم العزيزات نفسه والعزيزات تحْت حماية (أبو ربيحة) فكيف يكون هذا ، وصالح والعزيزات جيران لِـ (الشيخ لافي بن سرّاح) ؟ إن المؤلف معذور لأنه لا يعرف شيئاً من عادات البادية وتقاليدها التي تقول : (من دخل دخلَيْن عاب)[١٢] على افتراض أن العزيزات استجاروا بـ (أبو ربيحة) ـ وليس الأمر كذالك ـ فإن الأعراف ، والتقاليد لا تسْمح لهم بهذه الاستجارة ، لأنهم

يصبحون منبوزين من كل القبائل ! . . لأنهم من أول الأمر ـ لما هجروا الكرك ـ جاوروا (لافي بن سراح) وكان بحكم الجوار يشُدُّ أزرهم كما رأينا في قضية (العصيفي) .

ومن أوهامه التاريخية قوله : (ان زواج مريم ابنة خليل مرار)[١٣] كان في أيام الحرب العالمية الأولى ، في حين أن هذا الزواج كان قبل الحرب ، وكاد يتحول كارثة لمادبا ، وهذا الزواج جرى والخوري (يوحنا بونفيل) في مادبا ، وتوقيع المضبطة التي طالبت الطائفة بها انشاء مشفى تمّ قبل الحرب في عهد الأب (يوحنا) المذكور وكانت هذه المضبطة أساساً لإبعاد جماعة من أهل (مادبا) إلى (أنقرة) فكيف يكون الزواج قد تم هو وتوقيع المضبطة وهما في عهد الأب (يوحنا بونفيل) الذي سافر من مادبا فالقدس قبل وقوع الحرب العالمية الأولى .

ومن الأوهام المخالفة للحقيقة قوله في الصفحة الـ ١١١ : (وقد قام سكان (مادبا) بجمع المواد الغذائية ووضعها في دير اللاتين لتوزع بمعرفة الكنهة والراهبات على المهاجرين الفلسطينيين) . إن هذا لم يحدث لأن دير اللاتين والكنيسة ، والمدرسة استولت عليها الدولة العثمانية عند وقوع الحرب مباشرة ، وحولت الكنيسة (أنباراً) للحبوب والأبرشية ثكنة ، ودير الراهبات اتخذته مقراً لمدير المبيعات ـ التي كانوا يسمونها (مبايعات) . والمدرسة حولت مدرسة حكومية تعلّم كل الدروس بالتركية . فعلت ذالك لأن طوائف اللاتين كانت تتمتع بالحماية الفرنسية . أما المهاجرون فقد كان الذي يطلب العون فيهم يلقاه بسخاء . أما المتسوِّلون فقد كان الناس يوزعون عليهم الخبز في كل مساء بكثرة . ويقول في الصفحة نفسها : إن جمال باشا كان والياً على (دمشق) والصحيح أن (جمال باشا) ـ الملقب بالسفّاح ـ كان حاكماً عسكريًّا مقره (القدس) وكان رئيساً لمجلس الحرب العرفي .

ولما ذكر صناديق المالٓ التي خلفها الترك العثمانيون في دير اللاتين ، قال : إنها ثمانية ، وأنها كانت تحتوي على نقود فضية ، والحقيقة أنها كانت خمسة صناديق تحتوي على نقود ذهبية . رفض أهل مادبا أن توزع وإن كانوا قد اتفقوا على

توزيعها إذ ثبت هزيمة العثمانيين . كما أن أهل مادبا لم يسمحوا بنهب الحبوب التي في كنيسة اللاتين . وقد كانت صناديق المال عند مدير المشتريات لا عند مدير الناحية . وقد ذكر المرحوم (سالم القنصل) أن أهل مادبا سلموا صناديق المال للحكومة ، وتلقوا كتابْ شكر من ولاية دمشق .

ولما ذكر (الخوجة) محمد كنجو - وهو عربي من حمص قال : إنه كان قاسياً جداً - والحقيقة ، أني لم أشاهده قاسياً إلاّ في موقفين :

الموقف الأول لما عاكسهُ وشتمه المدعو (يوسف بن عبدالله الصوالحة العزيزات) فقد رأيت (الخوجة) يمسك بأذني هذا الشاب ويضرب رأسه بالجدار . وماهي إلا لحظات حتى أفلت (يوسف) منه ، وهرب إلى داره القريبة جدًّا من المدرسة ، وعاد ومعه أخوه لأبيه واسمه (جريس) وكان عنيفاً - فألقى الخوجة على الأرض ووطأ على بطنه .

والموقف الثاني يوم أشيع أن الجيْش العثماني قد استرد (ترعة السويس) من الانكليز ، فأقام هذا المعلم ومدير الناحية احتفالاً شعبيًّا جمع إليه الناس عند دار الحكومة وكتب لي هذا المعلم خطابا ختمه بهذه العبارة : (لتسقط فرنسا وانكلترا وجميع حليفاتهما . ولْتَعِشِ الدولة العلية العثمانية بارشاهم چوف يشا)(١٤) فما كان مني إلاَّ أن قلت: لِتَسْقط الدولة العلية العثمانية ، ولتعش فرنسا وانكلترا وجميع حليفاتهما ! فما شعرت إلا (والخوجة) ينقَضُّ علي ويأخذ برقبتي ويبدأ بخنقي ، وقد كاد يجهز علي لولا أن مدير الناحية تدخل وأنقذني ، وكاد موقفي هذا يدمر أسرتنا كلها لو لــمْ يتدارك الأمر أخي المرحوم (عبد الأحد) ، ببضع ليرات ذهب وتنكتين من السمن البلقاوي وقد كان وهو يخنقني يقول: قتلك يا معلون دمك عربي ! في حين أنه هو حمصي عربي !..

ومن أوهام المؤلف الكبار جدًّا قوله في الصفحة الـ ٢٠٦ : (تعاون الأب (الحيحي) مع الأب (زكريا الشوملي ! وأخرجا مسرحية (هملت) . فالأب الحيحي والأب الشوملي لما يلتقيا في (مادبا) للآن الأب الشوملي جاء بعد أن تحول الأب من

مادبا . والنقطة الثانية أن مسرحية (هملت) لم تمثل في دير اللاتين ، لكنها مثلتْ في دار المرحوم (توما الحمارنة) ومثل هو دور هملت يوم كان يعلم اللغة الانكليزية في مدرسة الروم الأرثوذكس .

لا أُريد أن أثْبِتَ أوهام المؤلف اللغوية لأنها كثيرة . فأنا أُصحح هنا أوهامه في أسماء القبائل والأشخاص :

١ ـ قال : (الطواقا) وقد وردت مراراً كثيرة والصواب (الطّوِقَة) ويراد بها (بنو صخر) أو الصخور وفروع الطوقة : أ ـ الاغبين ـ الفايز والحامدْ . ب ـ الغِفل ـ العامر والهقيش ، جـ ـ الأخاضرة أو خضير ، والنضول ، والانضوّة .

٢ ـ وقال الهوازن ـ والاسم يذكر من غير الـ التعريف (هوازن) فهناك هوازن الدروز ، وهوازن بني سالم وهوازن بني أسلم ـ وهوازن بني منصور .

٣ ـ ووهم في قوله (الدرابعة) وهم الضرابعة وقد نقل هذا الوهم عن مؤلف «خمسة أعوام في شرقي الأردن» من غير أن يذكر مرجعه .

٤ ـ بني عيّار ـ والصواب عبّاد ، والعبابيد .

٥ ـ التوابية ـ الصواب الثوابية بالثاء ، لا بالتاء .

٦ ـ الطوالى ـ وهم الطوال ـ غير طوال العزيزات ، وهم فرع من (ثمالة) .

٧ ـ ارميحة ـ والصواب (رْميح أبو صِبب) من بني صخر .

٨ ـ وقال اللهاوي ـ وهو اللحاوي وهو زعيم الشرارات ، وأصله من عشيرة الشهوان ـ العجارمة .

٩ ـ ومن أوهامه الكبرى التي لا تغتفر : أنه أثْبَتَ الوثيقة التي كتبتها ووقعتها بتوقيعي قبل ان يتطور سنة ١٩١٩م كتبها باسم (جمعية الناشئة الكاثوليكية)[١٥] . من أجل إلغاء المهر . فجعلها المؤلف من أجل تعليم البنات في حين أن تعليم البنات بدأ في مادبا سنة ١٨٨٦ لما جاءت راهبات الوردية . وكان من أوائل البنات اللواتي تعلمن القراءة والكتابة : ١ ـ شقيقتي الراهبة المرحومة مارِيْنا أول راهبة من (مادبا) . ٢ ـ والمرحومة (نديّة الصوالحة العزيزات) . ٣ ـ والمرحومة

ابنة المرحوم سلامة بن سعد الطوال العزيزات . ٤ ـ والمرحومة (خضرة) زوجة المرحوم سالم القنصل الشاعر الشعبي المشهور .

١٠ ـ ومن أوهامه قوله : إن (توما الحمارنة) كان حاكماً لمادبا ، الذي لم يحصل . هذا هو رأينا المواضع بهذا الكتاب .

عمّان : روكس بن زايد العزيزي

الحواشي :

(١) سميت (مادبا) باسمها هذا قبل أن يظهر الشعب الآرامي في بلادنا . فلم يصل الآراميون إلى الشام إلا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وأسسوا ممالك أهمها (حماة) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأسسوا دولة في (دمشق) في القرن العاشر . ومادبا ورد ذكرها في «التوراة» بسفر العدد الـ ٢١ هلكت (حشبون) إلى (ديبوت) واقربنا إلى نوضح التي إلى (ميدبا) دار الكتاب المقدس في العالم العربي . تاريخ مادبا وضواحيها ـ جورج سابا وروكس العزيزي الصفحة الـ ٥ ط ١ وص ٧ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها (1) The World Book Encyclopedia Volvme 1.P. 551, P. 257-261.

(٣) مادبا وضواحيها ص ٣ .

(٤) وثائق بالفرنسية .

(٥) «شرقي الأردن وقبائلها» (فردريك بيك باشا) الصفحة الـ ٢٥٢ تعريب بهاء طوقان .

(٦) الحفار والدُّفان وبعضهم يقول حفرة ودفنة ! اصطلاح في البادية يطلق على الصلح يتغاضى فيه عن كل ماسبق .

(٧) سجلات دير اللاتين أي أنه تال لشهوز : إن الأمر الفلاني مُجَارٌ على فلان عندما يكون المجير غائباً .

(٨) امشهد عليه .

(٩) الشبرية ، هي الأداة المعروفة بالخَنجر .

(١٠) خاوة : هي إتاوة يفرضها القوي على الضعيف لكي يحافظ على حقوقه من الاعتداء .

(١١) سلاح قديم أقصر من البندقية يحشي بملح البارود وقطع الرصاص المعروفة بـ(الرِّش) .

(١٢) (مَنْ دخل دخلين عاب) الذي يستجير برجل أو بعشيرة ، ثم يستجير بغيرهما ، يعتبر ساقطاً من معاني الرجال ـ أي منبوزاً ـ لأنه يَعْتبر من استجار به أولاً غير أهل لاستجارته .

(١٣) خليل بن مرار العزيزات، وجيه من وجهاء العشيرة كان لابنته شقيقان أحدهما لاتيني والثاني رومي ارثوذكسي طلبها رجلان أحدهما لاتيني والثاني رومي فرجحت كفه اللاتيني على الرومي بهمة الأب (يوحنا بونفيل) رئيس طائفة اللاتين ، فأبرق أخوها الأكبر لوالي الشام ، فأرسلت قوة لتأديب مادبا ، وكان هذا قبل الحرب العالمية الأولى .

(١٤) بادشاهم جوف يشا ـ اصطلاح تركي معناه : (يعيش سلطاننا كثيراً) .

(١٥) كتبت هذه الوثيقة ووقعت من أجل إلغاء المهور ! وكان ذالك في ١٩ شباط ١٩١٩م لا من أجل تعليم الفتاة لأن تعليم البنات بُديء به من سنة ١٨٨٦ عندما جاءت راهبات الوردية .

أسماء المواضع بين الخرمة ورنية

[كثيراً ما أقف عند القراءات التاريخية التي تستهويني، وأعيش معها في لهفة المشتاق، لأني تواصلت بتضاريس بلادي، ورُحْت في رحلة أدبية بين الأطلال، والآثار، والمواضع .. لأرسم في جوانحي بوابة هذا العشق، الذي هو طموح بعيد المنال، يستطيب بطيوف الأمجاد، وعبق الذكرى وقصائد المبدعين.

فيا أجمل الحديث عن الماضي! وعن روعة العصور الخوالي، وحسبي مما أطالع في مجلة «العرب» من دراسات ومتابعات تاريخية.

وقد كنت أهديت لشيخي وأستاذي الفاضل حمد الجاسر كتاباً من الشعر الشعبي وقوّى عزيمتي بكلمة قصيرة قال فيها: أتمنى أن تقوم بدراسةٍ تتصل بتاريخ أمتنا وجغرافية بلادنا وخاصة أن المنطقة التي أنتم فيها تحتوي أماكن أثرية وردت في الأشعار القديمة).

وأنا هنا أكتب عن بعض المواضع والأودية الواقعة بين الخرمة ورَنْية، حسب التسلسل المكاني وذلك في عدة حلقات...

أملي أن أكون موفقاً في تقديم ذلك].

● وَادِي سُبَيْــع:

قال ياقوت: تصغير سَبُع .. قال غيلان بن ربيع اللصُّ:

أَلَا هلْ إلَى حَوْمانةٍ ذَاتِ عَرْفَجٍ ... وَوَادي سُبَيْــعٍ يَـاعَلِيــلُ سَبيــلُ
ودَوِّيَّــةٍ قَفْــرٍ، كـأَنَّ بهَـا القَـطَا ... بِرِيٌّ لها فَوقَ الـجِدَابِ يَجُـولُ

ووادي سُبيع هو نهاية وادي تُربة الكبير قال ياقوت:

وللضباب تُرَبَة وهو وادٍ طوله ثلاث ليال، به النخل والزرع والفواكه والأشجار، يشاركهم فيه هلال وعامر بن ربيعة.

سبيع من بني عامر بن صعصعة وقال حمد الجاسر في تعليقه على شرحه لكتاب «بلاد العرب»: وادي تربة من أشهر الأودية وفيه قرى وسكان كثيرون، وأعلاه يدعى أُبيدة، وهو من أشهر أودية جزيرة العرب التي تخترق قسماً من سراة الحجاز منحدرة صوب نجد، مارَّة بمدينة تُربة فالخرمة ثم يجتمع بالأودية التي تحول دون استمرارها في الصحراء رمال نفود سبيع(1).

وجاء في «صحيح الأخبار» : تربة وادٍ عظيم يأتي من الغرب منحدراً إلى جهة الشرق ثم يمر تربَةَ المعروفة بهذا الاسم ثم يقسمها نِصْفَيْنِ فما ترك منها على شماله فهو لبني محمد وما كان على يمينه فهو لوازع وهم بطن من البقوم ، ثم يتجه إلى جهة الشرق فيمر الغَريف ، ثم يتجه إلى جهة الخرمة فيمرها حتى يصل إلى قريب عرق سبيع ، ولكن لفظة تربة التي تطلق على هذا الوادي من أعلاه تنقطع إذا وصل الغريف[٢].

وقال : بأن وادي الخرمة في عالية نجد الجنوبية وسكانه سبيع وبعض الأشراف وغيرهم .

وذكر فؤاد حمزة بأن قبيلة سُبيع تقيم في الوادي المعروف باسمها وادي تربة ، وفي وادي رنية .. وفي أطراف حرَّة سُبيع وعِرقُ سبيع[٣].

ووادي تربة يسير حتى يصل الغريف فيسمى بعد ذالك وادي سبيع ، ثم يمر بقُرَى الخرمة حتى يصل إلى الـحُنْوِ[٤] ثم يتجه شرقاً بعد أن كان شمالاً ويمر بالشُّظْوِ[٥] والحجَيف ، حتى يغور في الفَرْشَة والخَضرِ (الأخضر)[٦] الملاصق لعرق سبيع المعروف ، وبجواره القُنْصُليَّة وآبار كُتَيْفان ، ووادي الخشْبِي وأورد فؤاد في كتابه قائلاً[٧] : كان يجب أن يطلق اسم (وادي سبيع) على وادي رنية لأنه ملك لسبيع من منبعه في بلاد غامد إلى مصبه في رَغْوة على حين أن الوادي المعروف باسم وادي سبيع هو القسم الأخير من امتداد وادي تربة بعد دخوله في حدود بلاد سبيع .

وقال : وادي تربة أو وادي سُبيع هو أحد الأودية الستة الرئيسة ، التي تتجمع فيها مياه الشعبان والسيول المتكونة من الأمطار التي تهطل على السفوح الشرقية لسلسلة جبال السراة[٨].

وطول الوادي من بدايته إلى نهايته حوالي ٤٠٠ كيل .

قال الهمداني : تربة ورنَيْةُ وبيشة هذه الثلاثة أودية ضخام مسيرة كل منها عشرون يوماً أسافِلُها في نجد وأعاليها في السراة .

ومن الأودية التي تصب فيه لَسْلَسان[٩] وكَرَا[١٠] والكرَاعَانِ[١١] وضرا وصَنْهاء والبَحَرة[١٢]. وعُمْق وعَرَنَة ومُهْوَر ومَثَان والسُّلَيْم والـحَشْرَج ورَيْحَان ، وحَثَاق ، ومَفْحَل ، وقد أقيم على الوادي سدٌّ على بعد ٢٥ كيلاً من تربة بسعة تخزينية من الماء يزيد على ٢٠ مليون متراً مكعباً .

قال الشاعر غالب بن منصور بن لؤي :

وَادِي فيـه المـزَارِعْ والنَّخيـلْ وَاسِعْ الأَطْرَاف مِـدْهَال الجَهَـامْ
وادْي مَنْ شَافْ جَالَهْ ما يروخ لاَ عَجَاجْ وَلاَ هَمَاجْ.. ولاَ وَخَامْ

وقال ماجد بن ناصر بن جروة في قصيدة عن الخرمة :

بَـاطْـرَاف وَادِيْـهـا حَدَايْقِ غِنيٍّ ومزَارِع يَطْرَبْ لَهَـا من دَخَلْهَا
خُضْـرَهْ وبِرْسيم وحُلْوْ الفَـاكِهَـهْ وأكْثَرْ مِنْ الـمَلْيُونْ حِسْبَةْ نَخَلْهَا

وقال الهلالي :

تَرَىٰ اللّي ذَبَحْني يَاهَلِي يَنْزِل الوَادِي بْوَادِيْ هَلَ الخُرْمَهْ هَوَىٰ البَالْ نَزَّال

وقال مناحي بن نمشان من الـمُلُوْح أهل رنية :

نَزَلْت وَادِي مِرْذِيَةْ عُوْص الاَطْلاَب وَادٍ سَقَـاهْ مِنَ الثُّـريَـا غَضِيـنْ
مَرْبَىٰ العَوَاني.. قَوْم هَاجِدْ وشَبَّابْ أَهَلْ نِعمْ.. يَوْم المَوَاقِفْ تَبِينْ[١٣]

وقال سعود بن مزيد :

سَلاَمي عَلَى الوادِي عَدَدْ مايَذْرِي الهوا واعْـدادْ مَـا تَـطْلَعْ نُجُـوم اللَّيْـل
واعْدَاد مِنْ يَمْشي عَلَى الخَدْ.. مَاشي واعْـدَاد بِـنّ بَهَـرُوه بْهَـيْـل

إلى أن قال :

ومِنْ بَعْدَ ذَا يَا رَاكِب فَوْق عَجْلَه حُـرَّة عَـرِيبَـه مَـالَهـا مَثِيـلْ
تَمْشِي مِنَ الوفره تعجّل مَسِيرَهَا تَبْغِي (الوادي) وغَرْسَه الظَّلِيلْ

وقال عائض بن محمد العتيبي :

أجْنبوا يم وادي سُبيع مِجْذِين المقلين يومْ الكَيْل فَاضْ
من قَديم الزّمَان اللّي مضى دَايمْ يَضِيْف الخَلاَ جِصْنٍ حصين

وفي إشارة لوقعة تربةَ يقول ابن بليهد :

فَساروا لأرْضِ الوَادِيينْ وأصْبَحُوا رُكَاماً عَلَيْهم سَبْعُ ظَلْم تَبَخْتَرا

ويقول الشاعر: فرّاج بن طَمّاح السبيعي (الصنادلة) .

عَسَى النَّوْ لاجَاء دِيرَتْك خَذْ عَلَيْها دَوْر علـى فَرْعَـة العِرْقَينْ تمـطر حَبَـايلْها
تَسِيلْ الشَّعَابْ ويُرْجع (الوَادِي) المأثور عَسى دِيرتَكْ تِـرْجِعْ عَلَيْكم مَسَـايلْها

● أمّ رَاكَـةْ :

واحدة الراك (الأراك) الشجر المعروف أوله راء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم كاف مفتوحة بعدها هاء ـ : وادٍ يبدأ من أعالي حزم الشقيق ، ومفحل ، وجبال القوس ، ويصب في وادي سبيع بالقرب من الجسر الذي يمر من الوادي إلى رنية .

وفي أعلى أمّ راكة شعاب كثيرة بعضها يصب في الوادي من جهة الـحَرْف والدُّبَيْلَة والصُفَيَّة(١٤) .

تكثر به الحزون التي تشتهر بأشجارها الكبيرة كالسرح مثلاً كما في (أبو شُجَيْرَة) المطل على الدُّبَيْلة .

أما وسط أمّ راكة فتوجد فيْه أشجار مختلفة من بينها راكة (أراكة) قديمة قد ماتت فروعها وتكاثفت الشجيرات حولها كالـخَضْب (العوسج) والسلم وغيره ، وسمي الوادي باسمها وحين التقاء الواديين تكثر المزارع والنخيل والمنازل الحديثة ويسكن أم راكة قبيلة الصُّمَلة (واحدهم صُمَيْلي) من بني عمر ، سُبيع . وأمّ راكة أرضها حصباء رملية تتغيّر إلى قاع رِخْوٍ ، وأودية وشعاب ومرتفعات عليها حجارة من

بقايا الحرة السوداء النخرة ، فجعلتها شبيهة بأرض الحرة إلّا أنها ليست منها قال الشاعر الشعبي :

عَسَى المَطَرْ يسِيّ لَنَا.. أم رَاكَهْ لـيِنْ المَزَارِعْ تِمْـلا مِنْ جَوَابِيهـا

● الشُّقَيْــــقُ :

بعد أن نَجْتاز أم راكة يكون على يميننا حَزْنٌ مستوٍ ممتدٌّ طوله ١٠ أكيال وعرضه خمسة أكيال بجوار العشاشة ، يتصل بوادي (حَثَاق) يسمى الشُّقَيْق . والشُّقيق هو ما انشق من الأرض نتيجة للسيول ، خال من السكان . والبادية تسمى ما اتسع من الأرض واخترقته السيول والشعاب بالشقيق وتنطقها العامة على لغة نجد بقلب القاف الأخيرة فقط بين القاف والزاي .

أما الجهة الشمالية فهي حَزْنٌ ممتد تكثر فيه الشجيرات والـجِرَاج والشُّعاب يسمى المشقوق ، وهو جزء من الشقيق تسيل منه أودية أم الحور . والقيعة والسُّلَمِيّة .

● العَشَاشَــةُ :

وبعد الشُّقيق نصل إلى وادي العَشَاشة الذي يمتدُّ من أعلى الشُّقيق من تجمّع أودية صغيرة حتى حثاق بطول ١٣ كيلًا تقريباً ، وأرضها رخوة ناعمة كَسَا سطحها بطحاءُ وحصباء تكثر فيها أشجار السرح والسلم مثل سرحة (أبو عويشجة) وبها ملزم ماءٍ يدوم أشهراً بعد نزول الأمطار ، ويُعَدُّ منتزهاً لأهالي المنطقة في أيام الإجازات .

وسميت بهذا الاسم لكثرة أعشاشِ الطيور في شجيراتها المتكاثفة ، والتي تكوِّنُ جِرَاحاً وتلاعاً : قال الشاعر الشعبي :

حَتّى أيْش لَوْ سَالَ اللُّوى والعَشَاشَة مَهُوبْ مِذْهَالٍ لِعُوجْ العَرَاقِيب(١٥)

لأن هذا الوادي قريب من المنازل ولا ترغبه الإبل حيث أن رغبة الشاعر الغضا والأرض الرملية كالعِرْق مثلاً(١٦) .

أما اللوى فهو وادٍ يجاور الحرّة من جهة الغرب ، ويصبُّ في وادي حثاق .

وقالت امرأة من العرب :

أَلاَ قَـاتَلَ الله اللّوى مِنْ مَحَلةٍ   وقَـاتَلَ دُنْيَـانَـا بِهَـا كَيْف ولَّتِ
أَلاَ مالِعَيْنْ لا تَرى قُلَلَ الحِمَى   ولا جَبَـل الريَّـان إلا اسْتهلّتِ

والشاعرة هذه توافق الشاعر الشعبي في عتابه لوادي اللوى أما الريان فهناك جبل بالقرب من اللوى باسم رايان لا يفصلهما سوى البرث وسوف يأتي الحديث عنه في مكانه .

● حَثَــاقْ :

واد يبدأ من الحرة بجوار الأكدر والسليم ، يمر مع الْـجُويف ، حتى يصبب في قرية صغيرة على وادي سبيع الجنوبية تسمى باسمه ، بها مزارع وبيوت ، ويمر بِحِشْةٍ من الجبيلات المتلاصقة ، تكون واسعة أحياناً ويتخللها أودية وطرق ومسالك كما أنها أحياناً متداخلة بالقرب من الحجيف ، وهي سوداء يساراً عن الطريق العام من الخرمة إلى رنية وتبعد الحشة مسافة كيلين حتى تصل إلى الوادي متجهة شمالاً في حزون وجبيلات وأودية تقابلها أودية السليم . .

وحثاق يبعد عن الخرمة ١١ كيلاً شرقاً شمالياً ، والحشة تتضاعف كلما اتجهنا شمالاً وحثاق كانت مياهه بثوراً قبل عام ١٣٩٤هـ حيث حفرت فيه آبار وشرائع وأُحْسِية ـ جمع حسي ـ لكنها الآن وبعد أن قلّت المياه اندثرت وجرفها السيل قال الشاعر سعود بن سعد بن مَزيد من قبيلة بني ثور من سبيع :

والْقِيعَـةْ معَ الفَـرْشَةْ وجَلْسَـه بمِرْوَان   واسْفَل حَثَاقْ وكُـلّ مَنْ بهْ مُقيمـينْ
دِيـرَةْ عِيَـال العَـوْد فَـرِيْس الأكْـوَان   مُـرْوِين حَـدْ العُـوجِ سُقْمَ المَعَـادين
آلأد . . الأجْرَب[١٧] بين حَضْرٍ . . وبِدْوَان   الـلِّي مَعَ الخَلْفَـات وأهـل البَسَـاتِـين

وقال أحد شعراء قبيلة البعاجين من بني ثور :

مغباشْهُم من حَـرَّة القَـوْسْ ويْسَـار   والْعَصْر في حِشَّـة حَثَـاق وظَلِيمِ[١٨]

أما الأكدر الذي مر بنا فهو غدير ماءٍ بجواره الأكيدر في أعلا وادي حثاق وملاصق لحرة الناصفة والقوس .

والأكدر هو الماء الذي يخالطه الطين فيتغيّر لونه قال البحتري :

الشَّمْسُ مَائِعَةٌ تَوَقَّدُ بِالضُّحَى طَوْراً ويُطْفِئُهَا العَجَاجُ الأَكْدر

وهما يمكثان أكثر من أربعة أشهر ، بعد نزول الأمطار تحيط بهما الجبال من كل جهة وماؤهما بارد زلال ينطبق عليهما قول ابن المعتز :

غَدِيرٌ تُرَجْرِجُ أَمْوَاجَهُ هُبُوبُ الرِّيَاحِ ومَرُّ الصَّبَا
إذَا الشَّمسُ مِنْ فَوقِهِ أَشْرَقَت تَوَهَّمْتَهُ جَوْشَناً مُذْهَبا[١٩]

وبالقرب من الأكدر خباري وغدران أمثال عذبة[٢٠] . . وعذبان وأبو المراغ وآبار صندود وهناك لثلثان والشديد وهما يمكثان شهوراً ، ومياههما صافية .

قال أبو البلاد الطهوي وكان قد خطب امرأة فزوجت من بني عمرو بن تميم فقتلها وهرب ثم قال في (أبو المراغ) والكدر - (الأكدر) - :

ألا أيُّها الرَّبْعُ الّذي لَيْسَ بَارِحاً جَنُوبَ المَلاَ بَيْنَ المَرَاغَةِ والكُدْر
سُقِيْتَ بِعَذْبِ المَاءِ هَلْ أَنْتَ ذَاكِرٌ لَنَا مِنْ سُلَيْمَى إذْ نَشَدْنَاكَ بالذكرِ[٢١]؟

● الجَعَدَةُ :

تتصل الجعدةُ بوادي حثاق من الجهة الشرقية ، وسميت بهذا الاسم على الجَعْد نوع من العشب أصفر اللون .

والجعدة طولها ١٠ أكيال تتميز تربتها بسواد لونها وأشجارها الكثيفة المتجعدة ولهذا كان الاسم ، وقيل بأن هناك مجموعة من قبيلة (الجُعدة) استقروا بخيامهم فيها سنوات فسميت باسمهم .

وتكثر في الجعدة الضِّبَاب - جمع ضَبْ - وما أمتع منظرها وهي تتهادى إلى جحورها في خوف من أهل المنطقة الذين يفضلون أكلها ، ولحم الضب لذيذ

الطعم عند من تعوّد أكله ، وقد أكلته مراراً بحكم العادة يقول الهذلي أبو كبير :

أكَلْتُ الضِّبَابَ وَمَا عِفْتُها   وإنّي اشْتَهيتُ قَدِيدَ الغَنَمْ
ومكْنُ الضِّبَابِ طَعامُ العَريبِ   وما تَشْتَهِيهِ نُفُوسُ العَجَمْ

وفي وسط الجعدة خبراء تسمى خبراء الجعدة ، وبالقرب منها إلى الجنوب خبراء العير ، في طرف الجويف من جهة الجعدة ، والجويف هو المنطقة المحصورة بين البرثين ، برث اللحم وبرث رايان .

أما البَرْث فهو شمال الحرة وإليه تنتهي .

تمتد من بعده الأرض وينطلق النظر إلى شجيرات الجعدة وبجواره الجويف بين البرثين .

والبرث يبعد عن الجعدة كيلين وعن جسر حثاق من ٨ ـ ١٠ أكيال ، قال الشاعر :

يَتْلُون زَمْلٍ يَبَا المِخْدَار   حَطٌ ابْرَقَ البَرْثِ مِنْ دُونِه

والأبرق هي الجبال المكسوة بالرَّمل ، والبرث هو ارتفاعٌ لونه أبيض متصل بحجارة تحيط به الأراضي الهشّة والسبخات قال الشاعر سعود بن مزيد :

بَرْثَ اللَّحَمَ ثُم قَوْسٍ شبيع   يَزْمِي عَلَى البُعْد فالْحرَّة

والبرث الآخر يسمى برث رايان ، نسبةً إلى جبل رايان(٢٢) الذي يراه المسافر إلى رَنْيَة على يمينه معترضاً وبجواره جَبَلاَ القوس وشثران(٢٣).

ويقع بالقرب من رايان خبراء كبيرة تسمى خبراء ابن تشيم نسبة إلى هذا الرجل ، وخبراء أخرى كبيرة تسمى خبرا الرُّوَيْبي ، نسبة إلى رجل من الرُّوَيَة ـ الزكور ـ أهالي رنية ، وهذه الخبراء يمكث الماء فيها فترة طويلة تحيط بها الأشجار الكبيرة والجبال العالية . وهي موازية لوادي المَشْقَر ، في جهته الجنوبية .

أما الجَعْدَة فيسيل منها عدة أودية مثل (المَدْيسِمْ) الذي يجاور وادي الجعدة

ويوازي وادي حثاق ، على بعد ١٠ أكيال قال أحد شعراء الخرمة :

سَالْ مَشْقَر شعِيب النَّاصِفَهْ مع حَثَاقْ   وَزَادَهُم وَادِي المَدْسِمْ مَعَ اللِّي وَرَاه[٢٤]
ثُمْ تَعَلّ عَلَى مَفْحَلْ[٢٥] وذِيك.. البِرَاقْ   زَانْ بَرْقُهْ مَعَ الغُبْشَهْ وهَيِّضْ سَنَاه
رَوَحِ الوَسْمِ.. للحرَّة.. وضِلْعَانْ سَاق[٢٦]   زِيْن مِرْبَاعْ خِلِّي وَسْط جَوّ نَفَاه

وبين المدسم وحثاق وادي الرُّضم على بعد ٥ أكيال من حثاق، تكثر به الأحجار المختلفة الأحجام ، وتسمى رضم ، وبه مرتفعات ، وتربته تتغير عن التربة الرملية الحمراء كما في حثاق .

وبعد المدسم تكثر على يمين الطريق وشماله الأشجار الكثيفة ، والمرتفعات ، والأرض هنا تختلف عن الشقيق ، إذْ أن بها أودية وحِشَّة ، وشعاب مختلفة ، مثل العويجاء[٢٧] على يسار المسافر إلى رَنْيَة يراها على شماله تُجاور الطريق من فرشةً حشة حثاق بجوارها شعيب الشنابري نسبة إلى رجل من الشنابرة ـ الأشراف ـ لدغه ثعبان في هذا الشعيب فمات فسمي باسمه .

ثم نصل إلى شعيب حَسْنَا وادٍ يتجه إلى الشرق ويفيض في المشقر ، فيه أشجار كبيرة يُعَدُّ منتزهاً للمسافرين ، وتبعد حسنا عن الخرمة ٣٠ كيلاً وبجوار حسنا برقة ومرتفعات تسمى باسمها .

وتكون الأرض بعد حسنا إلى اليمين حزوناً وقفافاً منبسطة ومتداخلة ، كثيرة النَّبْت ، ولتضاعيفها وتداخلها يلجأ إلْيها العرب عند الخوف حيث تتصل بالحرة عن طريق برث رايان[٢٨]، والضلع وحرة الجوهرية ، وخبرا الرويبي ، التي تبعد ٢٠ كيلًا من حسنا .

● بَـــــرَامُ :

ـ بباء موحدة مفتوحة بعدها راء مهملة مفتوحة ثم ألف بعدها ميم ـ : جبل أسود مرتفع يقع في أسفل وادي الخرمة شمالاً شرقياً من مدينة الخرمة وشمالي جبل تين في بلاد قبيلة سبيع معروف بهذا الاسم[٢٩] قديماً بعد أن تترك حسنا

وتضاعيفها ترى عن شمالك على بعد ٣٥ كيلاً جبلاً هرمياً هو جبل برام .

قال البكريُّ : بَرَام بفتح أوله على وزن فَعَال موضع في ديار بني عامر قال عمرو بن معدي كرب :

يُسَيِّرُ بَيْنَ خطم اللُّوذ عَمْرو فَلَوْذِ القَارَتين إلى بَرَامِ
فَصَفْح حَبَونَنٍ فَخَلِيفِ صُبْح فَنَخْل إلى رَنين إلى بَشَام[٣٠]

وأسفل وادي الخرمة وادي السدري وآبار السديرية وقال أبو براء :

وفي أسْرَى هَوازِنَ أدركتهم فَوارسُ طَيِّءٍ بلوى بَرَام[٣١]

قال الشاعر الشعبي سعد بن مارق بن دعيج الثوري السبيعي :

يالله في نَوِّ لَيلٍ تَرْكِدِ ارْفِيّه يَاطَا بَرَام وَمخيلَه يَمْلُك الوادي

وقال الشاعر سعد بن مَزْيد من قبيلة الظروف ـ بني ثور ـ وقد توفي سنة ١٣٨٣هـ في قصيدة شعبيّة طويلة :

مَرْبَاهْ وَادٍ بَيْنْ تِينْ وبَرَامِ مَادَاجْ بالحرّهْ معْ اشْنَاف ثَلَّاب[٣٢]

وجبل برام يقع شمال وادي سُبَيع ـ تربة ـ بقربه قرية الحجيف[٣٣] وحوله شعاب الخثث ، وأم البطحاء ، وأم الرمث .

● المَشْقَر :

ـ بميم مفتوحة ثم شين معجمة ساكنة ، ثم قاف مثناة مفتوحة ثم راء مهملة : وادٍ كبير ، منبعه من جبال الحرة . . والجوهرية ، ورايان ، وله ثلاثة رؤوس ـ شعاب ـ من منبعه تأتي من الشرق ، وتلتقي بالوادي مقابل حَسْنَا ومرتفعاتها ثم تتجه جميعاً إلى الشمال ويبعد المَشْقَرُ عن الخرمة ٤١ كيلاً .

ويسير وادي المَشْقَر إلى جهة الشمال الشرقي متجهاً إلى الغَضَا ليلتقي مع بعض الأودية القادمة من الشرق كالسدري ، ويصب في وادي الخرمة ـ الذي هو امتداد لوادي تربة ، والمسمى في تلك الناحية وادي سبيع ـ بالقرب من الحجيف

وطول الوادي من بدايته حتى نهايته ٥٥ كيلاً تقريباً .

● حُمُــــرَّة :

ـ بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم مضمومة وراءٌ مشددة ثم هاء ـ قال ابن بليهد في «صحيح الأخبار»(٣٤) : هذا الموضع حزون حُمُرّ ، قريب بلد الخرمة ، يقال لها في هذا العهد حُمُرَّة . وهي بعد المشقر في جهته الشرقية . . عبارة عن جبيلات حُمْر ، تتصل حزونها بجبال العُقُر ودونها دحلة المصابيحة(٣٥) .

قال الشاعر براك بن سحيان :

يَاحُلُو خَبْطْ ارْقَابْها بالمشَاعِيبْ لا غَـاوَرَتْ مِتْنَحْـرَاتٍ حُمُـرَّهْ
ياطُولْ مانِزْكي عَلِيْهـا العَرَاقِيب مَعَ الخَلاَ . . مَرَّاتْ ماهِيْبْ مَرَّهْ
أَسُوقها . . وآصَلْ بْلاَدَ الأَجَانِيْب ومُتْحَمِّـلٍ لِلْبَرّ خَـيْرِه وشَـرَّهْ

وقد أوردها ياقوت باسم (حِمِر) بكسرتين وتشديد الراء بوزن جِبِرٍ وفِلِزٍّ موضع بالبادية(٣٦) . ويقول ناصر بن بندر ويلقب (عور المقرن)(٣٧) يخاطب صاحبه :

فَـالـقَيْظْ بِـقْيَـاظِـهْ طُـوَارِفْ حُمُـرَّهْ وعَنْ خَشْمْ (هَكْرَان العِفَن)(٣٨) مَايْرُوحِ
ولْيَـا حَـدَرْ خَشْم (اليَنْـوفي)(٣٩) تمَـرَّهْ لَـيَـا قَـام بِـرْاق الثُّريـا يْـلُوحِ

وقالت إحدى شاعرات سبيع حينما تزوجت وذهبت مع زوجها إلى منطقة أخرى بعيدة عن الخرمة وصحرائها وطبيعتها الخلابة :

وُجُودِيْ عَلَى شَوْف الغَضَى والعَدَامْ وبَين وجُودِي عَلَى شَـوْف الغَرَامِيـلْ وحُمُرّه(٤٠)

وبعد مسافة ٤٨ كيلاً من الخرمة نكون قد وصلنا إلى جبال العاقر والتي سوف نبدأ منها حديثنا في المرة القادمة إن شاء الله .

الخرمة/ عبدالله بن سعد الـحُضْبي السبيعي

الحواشي :

(١) مرآة غامد وزهران ـ حمد الجاسر ص ٢١ .
(٢) صحيح الأخبار ج ٥ ص ٢٦٧ .

(٣) فؤاد حمزة في بلاد عسير ص ٢٨ .

(٤) الحنو : بحاء مهملة مكسورة ثم نون موحدة ساكنة وتنطق أحياناً مضمومة ثم واو - : قرية زراعية . . وكان قديماً منهل ماء ترده الأعراب يبعد عن الخرمة ٢٥ كيلاً في جهة الشمال الشرقي ووقعت به معركة في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ (أغسطس ١٩١٨م) بين الشريف شاكر ، ومعه بعض المقطة برئاسة شليويح وبين ابن لُؤَيّ ومن معه من سبيع (انظر كتابنا الخرمة - بلد النخيل ص ١٢) .

قال الشاعر :

حَلَّتْ سُلَيْمى بِذَاتِ الجِزْعِ من عَدَنٍ   وَحَلَّ أَهْلُكَ بَطْنَ الحِنْوِ مِنْ حَضَنِ

وقال محمد بن بليهد في «ابتسامات الأيام» ص ٢٠٤ يصف معركة تُرَبة التي حدثت بها في شعبان سنة ١٣٣٧هـ ويذكر بعض المواقع في الخرمة فيقول :

قُـرَيْـنٌ وحَـوْقَـانٌ وحُـنْـو مُـصَـارِعٍ   وجَـبَّـار لِلْـبَـاغِـيـنّ لَـيْـس بِـجَـابِـرِ

ومن أودية الحنو : أبو رمث . . والعلقاء . . وشعاب الحرملية والدحوة والمعيزيلة والصوان ووادي تربة ، حين يصل إلى الحنو يتجه شرقاً إلى عرق سبيع والأخضر والقنصلية .

(٥) الشظو : ماء ومزارع في أسفل وادي الخرمة شرقاً شمالياً يقع بعد الحنو يقول سعد العضياني :

الـلَّيْلَة الـقَلْب بـأطـرافـه مُـنَـادِيـبْ   هِـنْـذَابْ قَـوْمٍ تَقَفُّـوْا حَـاكِم عَـادِي

سَارِيْن مِنْ ثُرْبْ وأَيْمَنهم وطى الذِّيبْ   يَبْـغـونْ جَبَّـار ولا الـشَّـظُـو مِـيْرَادِ

● وثرب : واقع على الطريق من عفيف إلى المدينة وهو وادٍ وقرية لقبيلة مطير .

● وَطى الذيب : أي مَرَّ جبل الذيب التي تقع هجرة ثرب شمالاً منه وعلى بعد ٥ أكيال قال عمرو بن بَرّاقة الهمداني (انظر عالية نجد ص ٥٦٥) .

وهـم يـكـسـلُون وأيّ كـدٌّ   مِـنْ دَارَةِ الـذِّئْـبِ بِـمُـجْـرَهِـدُّ

وقال عسكر الصعلوك :

لاَبُـدّ مِـنْ يَـوْمٍ عَـلَـيـكـم نَـغِـيـره   يَشِـيـكْ نَقْلُهَا عَلَى أيمن دَالَغَة للذِّيبْ

● أما جبار فهو قرية زراعية تقع جنوب الخَرمة يربطها بالخرمة طريق زراعي مبلط بطول ٨ أكيال به مزارع وبيوت ومدارس وقعت به معركة في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٦هـ (يونيو ١٩١٨م) .

قائد الاخوان فيها ابن لؤي وقائد جند الشريف حمود بن زيد ، ولكن جند الشريف يمتازون بسلاح المدافع والرشاشات ، وقد انكسرت قوة الشريف وسَبَقَتْها معركة حوقان يوم ٢٥ شعبان والتي انكسر الشريف فيها كذلك .

وبالقرب من هذه المعركة وقعت معركة الجوفاء غرباً من جبار في شعيب الجوفاء .

وقال أحد الشعراء الشعبيين :

يـاراكب الـلِّي مَـابَعْـدْ غَـيَّـر الـمِشْـيَار   جَـدِيـد عَـلَى الـمطْلُوب والعَـيْنْ مِشْـتَرَهْ

يُسَوِّدَيْنِي الـلِّي سَـاكِنٍ في وَطَنْ جَبَّـار   سَكَنْ في ظِلاَل الغَرْس ومْقَابَل الحَرَّهْ

وجَبّار نسبة إلى النخيل الطويلة الجبابير والجبار من النخل ماطال وفات اليد يقال نخلة جبارة وناقة جبارة أي عظيمة سمينة قال أحيحة :

مُـعْـرَوْرِفٌ أَسْـبَـلَ جَـبَّـارُهُ   أَسْـوَدُ كَـالْـغَـابَـةِ مُـغْـدَوْدِقُ

وجبار بالقرب من القرين بينهما ١٥ كيلاً ، مياهه وفيرة ، ونخيله كثيرة .

يقول فهد بن عُنيزان :

عَسَى رَايْحْ الوَدَّانْ يُسْقِي وَطَنْ جَبَّارْ   يُبَـدِّيـه رَبِّي عَنْ جَمِيْعَـاتْ الأَوْطَـانْ

(٦) الـخَضَر (الأخضر) : تنطقه العامة غير مهموز ويحركون الخاء منخفض من الأرض واسع ينتهي إليه

سيل وادي تربة (سبيع) ويستقر ، ويكون بهيا غزيراً يرده البدو بمواشيهم ، وتكون فيه أحساء تورد واقع في ناحية رمل عرق سبيع من الغرب شمال شرق بلدة الخرمة ـ «عالية نجد» ص ١٠٢ ـ .
وقد ذكره الهمداني باسمه وحدده تحديداً صائباً فقال : تقع في رملة عبدالله بن كلاب ، ثم ترد الأخضر ، بأسفل وادي تربة .
ويعني برملة عبدالله بن كلاب رملة عرق سبيع .
وقد ذكره ياقوت فقال : يُهْيُ تُرَبَة وهو الأخضر ، ومسيرته طولاً ثلاثة أيام وعرضه مسيرة يوم قال أبو زياد : وفيه يقول القائل :

فَـإِنَّ الأَخْضَرَ الـهَـمْـجِـيَّ رَهْـنٌ ... بِـمَا فَـعَـلَتْ نُـفَـاثَـةُ والصُّـمُـوتُ

وفي الخضر آبار تسمى الهماج وهو لقبيلة بني ثور من سبيع .
قال الشاعر الشعبي :

يَـارَاعِ الجِمْسْ لأمِنْكْ تَـوَيْتَ السِّفَـر ... حَدِّرْ على فَرْشَةَ الوَادِي وَمُرّْ الخَضَرْ
تَلْقَى بْـلَادٍ تَسُرُّ البَـادِيَـهْ وَالْحَضَرْ ... وِتْمَتَّـعْ اللِّيْ بِعَيْنِـهْ شَـافْ وِذْيَـانَها

وقد وهم الأستاذ محمد بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» ج ٥ ص ٢٥٤ قوله : بأن أخضر تربة والذي أضافه ياقوت إلى تربة فلا يكون إلاّ الوادي الذي يشق عكاظاً نصفين يقال له الأخيضر .
فأين الأُخَيْضِر من الأخضر المعروف في أسفل وادي تربة .

(٧) فؤاد حمزة في بلاد عسير ص ٥٨ .

(٨) فؤاد حمزة في بلاد عسير ص ٢٦ أما الأودية الرئيسة الستة فهي أودية تربة ، ورنية ، وبيشة وتثليث وحبونة ونجران .

(٩) لسلسان : وادٍ بالقرب من الغُرَيْف شرقاً ، يسيل من جبال الحرة والقوس ، ولسلسان يوم لبني سليم على بني عامر ، وهو أول أيامهم ويسمى أيضاً يوم الغيامة . ذكره الهجريُّ وقال بأنه وادٍ من وراء تربة .

(١٠) كَرَا . . وادٍ كبير يأتي من جبال غامد بالقرب من العقيق ، ويصب في وادي تربة ، بين شعر . . وتربة وقال الهجريُّ : للضباب وادٍ يقال له كرا . وهو وادٍ رَغيب في عليا دار بني هلال ، يفلق الحرة دونه منها أربعة أميال ، ووراءه مثلها ، وهو كثير النخل .
ومن كرا إلى تربة ١٥ ميلاً قال الشاعر :

حَـرَّةَ نَـجْـدٍ لا سُـقِـيـتِ المَـطَرَا ... مِـنَ الـكُـرَاعَـيْنِ إلى وَادِي كَـرَا

(انظر العرب ٢٣/١١١).
ويوجد بين وادي كرا ووادي تربة موقع سكني قديم ، على قمة المرتفع البركاني يسمى (شَنْقَل) ويقع على شمال الطريق المؤدي إلى وادي كرا ، وهو قلعة حصينة تسمى (الـمُرَبَّعة) وتتناثر حوله المنازل الأثرية : وجاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني : أن كرا وَادٍ في الحرة عميق فيه نخل وماء ، وهو من معاوض الحمير وقال الرداعي :

ثُـمَّ عَـلَ الـرُّقْـضَـةِ تَـأْتِـمُّ كَـرَا ... ثُمَّ بِـشْـرِيَـانَـةَ لأحَـيْـثُ الْـقِـرَى

(١١) الكراعين ، واحدهما كراع قال الرّداعي :

ثـم الـكُـرَاعُ وَلَـهُـنَّ رَيْـدَةٌ ... يَـنْـسِـلْنَ لِلْمَـعْـلَفِ مِـنْ أَبِـيْـدَهْ

والكراع الثاني من جانب الحَرَّة وقال :

بِمَارِنٍ عَـافٍ مِـنَ الأَنْـقَـابِ ... ثُـمَّ كُـرَاعِ الـبَـابِ أَيُّ بَـابِ

(١٢) البَحَرَة : وادٍ كبير يبدأ من جهة تربة واللبان ، على جهة وادي تربة الغربية ، وينتهي في الغريف بجوار جبال الزرب والذراعين والمروة المجاورة لقرية شعر ، ويبعد عنها شمالاً ١٤ كيلاً وسميت بهذا الاسم

لأنها عريضة المجرى تشبه البحر إذا سالت ، ولا تقطعها السيارات .
ووادي البحرة يمتد من حضن ويقربه وادي شطاط وريع الثُنَيَّة والعوجاء .

(١٣) ماجد وشباب : أما ماجد فهو ماجد بن ماجد بن جروة من شجعان قبيلته شارك في العديد من المعارك مع مؤسس هذه الجزيرة . وشبّاب أخوه شيخ قبيلة الصُّمَلَة من بني عمر سبيع حالياً . . يسكن في قرية الدغمية على طريق الخرمة ورَنية .

(١٤) الصُّفَيَّة : قرية زراعية تقع على ضفة وادي سبيع من الجهة الشرقية بين قرية الدبيلة وقرية أم راكة ، تربتها تميل إلى القاع الصلب ، وفي وسطها بعض الأحجار الصلبة ، وآبارها الزراعية في قاعها صفاة صلبة ، وكذالك كان الاسم . . وعمرت هذه القرية في التسعينات بها مزارع نخيل وخضروات ، وآبارها في جهة الوادي .
وأم راكة وادٍ آخر غرباً من قرية نخيلان فيه آثار ومناجم .

(١٥) عوج العراقيب هي الإبل .

(١٦) المقصود نفود عرق سبيع .

(١٧) أولاد الأجرب هم قبيلة بني ثور من سبيع ويعتزون بهذا الاسم .

(١٨) ظَلِيم بفتح أوله وكسر ثانيه والكسر لها أصبح وهو ذكر النعام ذكره ياقوت بأنه وادٍ بنجد عن نصر وقال أبو داود الإيادي :

مِـنْ دِيَـارٍ كـأنَّهُنَّ رُسُـومُ لِـسُـلَـيْـمَـى بِـرَامَـةٍ فَـتَرِيـمُ
أَقْـفَـرَ الْخُـبُّ مِـنَ مَـنَـازِلَ اسْـمَـا ءَ فَـجَـنـبـا مُـقَـلَّـصٍ فَـظَـلِـيـم

وبرام جبل بجوار تلك القرية أما ظليم فهو وادٍ بالقرب من الخنو فيه مَزارع ومدارس بالقرب منها أبرق يسمى (أبرق المدفع) وهذه التسمية حديثة حيث كانت قوات الشريف شاكر متمركزة في هذا الجبل يوم وقعة الخنو في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ وقد ركز في هذا الأبرق أربع مدافع و ٦ رشاشات انظر كتاب «في بلاد عسير» ص ٣٦ لفؤاد حمزة .
ومن أوديته ظليمة وهو في جهة الوادي الجنوبية والشرقية .

(١٩) الجوشن هو الدرع .

(٢١) صحيح الأخبار ج ٤ ص ٩٩ الطبعة الثانية .

(٢٢) جبل رايان داخل الحرة بينها وبين جبال العاقر بجواره بئر الجوهرية وآبار أخرى للصملة من بني عمر ، وحوله آثار بيوت دائرية ومربعة من الأحجار ، كما توجد آبار مرصوصة من الأحجار . . قال الهلالي :

بـالـرُّبْـع يَلِّـيْ نَـزَلْـتُـوا يَمّ رَايَـانْ لاَ والله اللِّي غَدَيْتُوا في حَصَىَ الحَرَّهْ

(٢٣) القوس وشثران من جبال الحرة ، وعلمان بارزان سوف نتحدث عنهما في حديثنا عن حرة القوس والناصفة .

(٢٤) اللي وراه يعني الذي وراءه وهو وادي المشقر وبينهما ١٣ كيلاً .

(٢٥) مفحل : وادٍ كبير يسيل من الحرة ، متجهاً غرباً ، ويصب في وادي سبيع بالقرب من قرية الحجف وقد ورد اسم مفحل في معجم ياقوت وقال أنه في نواحي المدينة (ج ٥ ص ١٦٣) .
وقرنه الشاعر عرعرة النميري بحرة القوس التي يسيل منها يقول :

بـحـرَّةِ الـقَـوْسِ وَخَـبْـتِي مَحْـفَـلِ بَـيْنَ ذُرَاه كـالحـريـق الـمـشـعـل

ومحفل تحريف مفحل بدليل أنه يبدأ من حرة القوس .

(٢٦) جبل ساق بين السُّدَيْرة وتُرَبَة ، من السديرة مسافة ساعة وربع تقريباً بالسيارة وهو من مساكن بني هلال بن عامر بن صعصعة ، وحذاؤه جبل فاس ، وبجوارهما جبل عُنُّ أما ساق وفاس فيعرفان قديماً باسم

القفا وبس، وقد اندرس اسمها وحل محله فاس وساق ، وأهل تلك الأماكن من اليقوم وبني الحارث يسمونها بهذين الاسمين (انظر نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب لعلي العبادي ص ١١٦) .
قال الشاعر :

فَقَالُوا هِلَالِيُّون جِئْنَا من أَرْضِنَا إِلَى حَاجَةٍ جُبْنَا لَهَا اللَّيلَ مِدْرَعَا
وقَالُوا خَرَجْنَا م (القفا) وجَنوبه وَنَحْنُ فَهَمُّ القَلْبِ أَنْ يَتَصَدَّعَا

وقالت الشاعرة هيام بنت مبارك الشَّدَّادِيَّة من الدماشقة وهي شاعرة مجيدة ، كان لها أخ شجاع ، معدود في فرسان عشيرته ، وحدث أن وقعت معركة قتل فيها هذا الفارس فقالت تتوجد عليه :

هَيِّض عَلَيَّهْ يَوْمَ عَدَّيْتْ في عِنَّ بِمَّا بقلبي وقْتْ بِهْ عَشْرٍ وِنْفَات
قَامَتْ هَوَاجِيس الضَّمِير يْتْلَافَنّ لَا رَاحْ مَايَه زَارَني عَشْر مَايَات

(انظر جريدة الرياض عدد ٧٢٧٣ في ٧ شوال/ ١٤٠٨هـ).
كما أن هناك جبل آخر يحمل نفس الاسم في الجواء معروف عند عامة أهل نجد وهو منفرد من جبال الجواء وانظر صحيح الأخبار جـ١ ص ١٥١) قال الحطيئة :

فَأَتْبَعْتُهم عَيْنِي حَتَّى تَفَرَّقَتْ مَعَ اللَّيلِ عَنْ (سَاق) الفَرِيدِ الجَمَائِلِ

(٢٧) العُوَيْجاء : ماء يقع شمالاً غربياً من مدينة رنية بمسافة ٥٢ كيلاً وهو من مياه قبيلة سبيع .
(٢٨) الضلع هو جبل رايان .
(٢٩) «معجم عالية نجد» ص ٢١٩ .
(٣٠) اللُّوذ : ماء .. حيونن واد .. والخليف الطريق خلف الجبل .
(٣١) رسم (برام) .
(٣٢) سناف ثلّاب من الجبيلات الصغيرة داخل الحرة ، بالقرب من القوس وشثران وثلاب من قبيلة القريشات .. سبيع .
أما السناف فهو تكوين جبلي يكون له ظهر محدّب .
(٣٣) الحُجَيْف : منطقة زراعية كثيرة ووفيرة المياه آبارها قصيرة المنزع ، وقديماً عبارة عن أحساء تقطن عليها البادية ، وكانت مورداً للإبل .. وإذا سألت أحدهم يقول : نحن قطين على الحجيف به مزارع كثيرة من النخيل والأعلاف الخضراء ، وبالقرب منه جبل برام ومركز (أبو مروة) وهو اثنان الحجيف الشمالي .. والحجيف الجنوبي تقام فيه الجمعة ، وبه أسواق ومحطة للبنزين . وكان قديماً طريقاً بريًا للسيارات القادمة من نجد إلى رنية والجنوب والعكس تسكنه قبيلة بني ثور سبيع .
(٣٤) صحيح الأخبار ج ٣ ص ٦٨ .
(٣٥) دحله : من أسماء مجاري السيول وهي وادٍ رغيب تكثر فيه الأشجار كالثمام والرمث ومجراه أقصر من الوادي وأقل انحداراً وجمعها دِحَال .
ـ والمصابحة فخذ من قبيلة بني ثور من سبيع مكثوا في هذه الدحلة سنوات طويلة فسميت باسمهم .. وبالقرب من دحلة المصابحة : حُرَّة وجبيلاتها والمشقر .. وأوديته .
(٣٦) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٨ .
(٣٧) معجم عالية نجد ص ٤١١ .
(٣٨) هكران جبل أسود غير مرتفع ، واقع على طريق حاج نجد القديم ، شرقاً جنوبيًا من قرية الْمُوَيْه القديم ، شمال بلدة المحازة المويه الجديد .
يقول الشيخ نافع بن فَضْلية من كبار قبيلة حرب :

كريمٍ بَمَابَرْقٍ غَشَى ضِلْع هَكْرَان كِنّ الهَنَادِي سُلّلَتْ في رُكُونَه ←

هذيل: من فروعها القديمة

عندما أتاح لي الشيخ حمد الجاسر الفرصة وقام بنشر بحثي حول قبيلة هذيل وأصولها القديمة في مجلة «العرب» في سنتها ٢٣ ابتداءًا من الصفحة ١٨٩ ـ ٢٤٣ دفعني بهذا التشجيع للمضيّ قُدُماً في البحث حول قبيلة هذيلْ فكان أن قمت بجمع المادّة المتعلقة بهذيل في «معجم البلدان» ثم قمت بتصنيفها وإرجاعها إلى الأقسام التالية :

الشعراء ـ الأيام ـ الشعر ـ الديار ـ المعتقدات. . . الخ وهو ما أنْويه مع الموسوعة الكبرى لابن منظور في كتابه اللغوي الكبير «لسان العرب» وأحببت قبل أن أدفع ببعض هذه المباحث إلى «العرب» أن أقدم هذه المقالة حول فروع هذيل القديمة التي لم يرد لها ذكر في بحثي المنشور في «العرب» وهذه الفروع هي :

اولاً : مُزَيْنَة : بطن من بني الرِّمْداء الـخُناعيين من بني سعد بن هذيل جاء في «ديوان الهذليين» أن صخر الغيّ كان قد قتل جاراً لبني خُناعة من بني سعد بن هذيل من بني الرِّمْداء من مُزَيْنَة ، فحرّض أبو المثلَّم قومه على صخر ليطلبوا بدم المزني (ديوان الهذليين قسم ٢ ص ٥٧) قال صخر الغي :

أَبْـلِغْ كـبـيـراً عـنِّي مـغـلـغـلةً ... يَـبرق فيهـا صحـائفٌ جُـدُدُ
في المزنيِّ الـذي حَشَشْتُ بـه ... مـال ضريـك تِـلاده نَـكِـدُ

→ مِتْحَسدّرٍ بامْـر الـولي رَافـعَ الشّـان ... يَسْقِي القصيم ومَاوَطى مِنْ عُيُونـه
يِسْقِي من الحَبْـلا إلَى حَـدْ جُمْـرَان ... ووادي الـرُّمَهْ عَجْـزُوا هَلهْ يَقْـطعُـونـه

وقال محمد بن بليهد :

يَوْم انصَرَف كَنّه عَلَى حَزْم هكْـران ... حُـرٌّ إلى فَـوّزْ لـه الـرِّزْقْ مَضْمـونْ

وقال عبدالله بن دويرج :

وعَلَى مُوَيْه هكْران تُحفِلْ من الشَّجر ... مُسَبَّان قِـدْم الشَّمْسْ تَـاهَـلْ مَغِيبَهـا

(٣٩) الينوفي : جبل أسود جنوباً من عفيف عنها ٤٦ كيلاً قال الشاعر بخيت العطاوي :

قـلْبي يُحِـبّ المـرْدَمَـهْ والْـيَـنْـوفي ... أحِـبُّـهـا مِـنْ حـبّ حَيٍّ وَرَاهـا

(٤٠) هذه القصيدة على وزن القصيدة الشعبية المعروفة والتي تقول صاحبتها :

وْجُودِي عَلَى بَيْتْ الشَّعَـرْ عُقْب بِيت الطّيِنْ ... وْجُـودِي عَـلَى شَـوْف الـمَـفَـاتِـيرْ مِـنْـفَـرْة

قال السكري : يقول جاءت كبير في أمر هذا المزني الذي أخذت منه ماله فقوّيت به مالي . والضريك : المحتاج الضرير . يعني الرجل صاحب المال ضرير عند ربّه فأخذ إبله فزادها على إبله .

وقوله تلاده نكد : يقول لا تناسَلُ ولا تُنمى «ديوان الهذليين» (قسم ٢ ص ٦٢) وفي موضع آخر من الكتاب نرى أن مزينة من بني الرمداء من بني خناعة ابن سعد بن هذيل قال أبو المثلّم : يخاطب صخرا :

كلوا هنيئاً فإن أنفقتمُ بَكَلاً   لما تُجير بنو الرمداء فابتكلوا

قال السكري : البكل : الغنيمة فابتكلوا : أي فاغتنموا قوله : هنيئاً أي يهزأ بهم ليعرّض على صخر بني الرمداء الذين أصاب فيهم رجلاً وذالك أن مزينة خفروا رجلاً فوثب عليه صخر فأكل ماله ، فقال أبو المثلّم هذا يحرّض أولئك عليه (ديوان الهذليين قسم ٢ ص ١٣٥) وقال صخر الغَي :

سمعتُ وقَدْ هَبَطْنَا من ثُمَارٍ   دُعَاءَ أبي المثلّم يَسْتَغِيثُ
يحرّضُ قومَه كيْ يقتلوني   على المزنيّ إذ كثر الوُعوثُ

(ديوان الهذليين قسم ٢ ص ٢٢٣) و(لسان العرب) رسم ثمر وَوَعَثَ .

ويفهم مما سبق أن بني مزينة من بني الرمداء من خناعة بن سعد بن هذيل ، خفروا رجلاً فوثب عليه صخر الغي فقتله فكانت تلك الأشعار بين صخر الغيّ وأبي المثلّم الهذلي(١) .

ثانياً : بنو كنانة : بطن من هذيل :

ذكرهم أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي وأورد الخبر التالي عنهم قال : (عدا رجل من بني كنانة من هذيل في الجاهلية على ابن عم له فظلمه واضطهده فناشده الله تعالى والحرم وعظّم عليه فأبى إلا ظلمه فقال : والله لألحقَنَّ بحرم الله تعالى في الشهر الحرام فلأدْعُوَنَّ الله عليك فقال له ابن عمه مستهزئاً به : هذه ناقتي فلانة فأنا أقعِدك على ظهرها فاذهب فاجْتَهِدْ . قال :

فأعطاه ناقته ، وخرج حتى جاء الحرم في الشهر الحرام فقال : اللهم إني أدعوك دعاءَ جاهدٍ مُضْطرٌ على فلان ابن عمي لترميَهُ بداءٍ لا دَواء له قال : ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رُمي في بطنه ، فصار مثل الزِّقّ فمازال ينتفخ حتى انشق (أخبار مكة ج ٢ ط ٣/ ١٤٠٣هـ دار الأندلس بيروت ص ٢٥) .

ولست أدري أهناك التباس في نَصّ ما أورده الأزرقي أم أنهم من هذيل حقيقة ، وليس بين يدي مما توفر من مصادر نصاً آخر حول هذا البطن وصلته بهذيل .

ثالثا • بنو ضِنَّة بن عمر : بطن من هذيل :

ذكرهم الذهبي قال : وبنو ضِنّة ـ بنون ـ وإليهم ينسب جبل الضنّيين لكن بنو ضنّة خمس قبائل ففي قضاعة ضِنّة بن سعد هُذَيم وفي عذرة ضِنّة بن عبد ، وفي هذيل ضِنّة بن عمر . . .) «المشتبه في الرجال أسماؤهم وأنسابهم» تحقيق محمد علي البجاوي ط ١/١٩٦٢ دار احياء الكتب العربية القاهرة ص ٤٠٨) .

ولكيلا يظن البعض أنَّ الذهبي خلط بين ضنّة وضبة أو صحف ضبّة إلى ضنّة نقول انه ذكر أيضاً بنو ضبة بن عمرو ص ٤٠٨ .

رابعا : العبدةُ : بطن من هذيل :

ذكرهم الذهبي ومن أعلامهم : الحافظ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدويه الهذلي العبدوي وأحمد بن إبراهيم العبدوي الهذلي .

والحافظ أبو حازم بن محمد بن إبراهيم العبدوي الهذلي وجعفر بن محمد بن يوسف العبدوي الهذلي «المشتبه» ـ ص ٤٣٥ ـ .

قلت : ونرى في أيامنا هذه بَطْناً من هذيل يعرف باسم العبدة ذكرهم فؤاد حمزة في «قلب جزيرة العرب» والجاسر في «معجم قبائل المملكة» والبلادي في «معجم قبائل الحجاز» والحتيرشي في «العرب» سنة ١٨/١٠٨٨ وغيرهم . فلعل العُبَدَةَ هؤلاء يَمُتّون بالصلة إلى العبدة القدماء أو هم أعقابهم . ←

النقوش السبئية في نجد

[هذا تعريب لمقال كتبه فلبي بعد اطلاعه على النقوش السبئية التي في جبل (ماسل) في العرض (عرض القويعية) ، وقد نقلها إلى العربية أحد المترجمين الذين لا يجيدون الترجمة ويجهلون أسماء المواضع الواردة في المقال ، وقد وجدتها بين أوراق قديمة عندي ، فرأيت نشرها لا يخلو من فائدة ، ويظهر أن فلبي نشر هذا البحث في احدى المجلات ولعلها :ـ

Philby, in the geographical journal, vol. CXVI, Nos. 4-6. 1950 d. 213, «Motor tracks and sabaean inscriptions in Najd».

وانه نشره قبل اطلاعه على النقش الموجود بقرب (قران) ـ انظر عنه «العرب» ٩/ ٦٣٠] .

إن نظرة في (الخارطة) الأمة سترينا قطعة تخطيطية بيضاء في الفراغ مابين الخط الواصل بين مكة والرياض ، وبين خط رحلتي من الرياض للطائف في عام

← **خامسا : الكباكبة** : بطن من هذيل :

ذكرهم الجزيري في حوادث سنة ٩٦٠هـ وذكر أن الشريف أبو نُمَيٍّ غضب على قبيلة بجيلة : (وأمر عربان تلك الجهة الكباكِبَة وظهران ، وعدوان ، وصاهلة ، وبعيد ثقيف ، وغيرهم ، بالمسير عليهم) («الدرر الفرائد» ط دار اليمامة ص ٩٢٣) وهم من قبائل هذيل المعروفة حتى اليوم .

سادسا : بنو ندا (النَّدويّون): بطن من هذيل :

ذكرهم الجزيري في حوادث سنة ٨٢٨هـ قال : (وفي ليلة التاسع من ذي الحجة خرج قطاع الطريق من صاهلة وهذيل ودَعْدَ وَالنَّدويّون) : على الحجاج بمضيق منى . . . وسلبوهم وأخَذُوا جمالهم وخلوهم على الأرض) «الدرر الفرائد» ص ٧١٢) وبقيتهم إلى اليوم من قبائل هذيل المعروفة .

العقبة : راشد بن حمدان الاحيوي المسعودي

الحواشي :

(١) [العرب : يظهر أنَّ الـمُزَنيَّ جارٌ لِهُذَيْلٍ ، وأَنَّ كلمة (مِنْ مُزَيْنَةَ) في أوّلِ الـخَبَرِ مُتَعَلِّقٍ ببني الرَّمداء ، لا بِهُذَيْلٍ] .

١٩١٧م خاصة ضمن منطقة ذات شكل معين واقعة داخل خط ممتد من الدوادمي إلى الخفيفية ومراة على خط السيارات ، ويتابع في اتجاه الشمال من الأخيرة إلى دلقان والقويعية ، ومن ثم في اتجاه الشمال الغربي إلى الدوادمي .

ولقد سنحت لي مناسبة زيارة هذه المنطقة عن كثب في خلال التسعة الشهور الماضية ، حيث أخبرني منذ سنتين مضت أخو الملك الأمير عبدالله بن عبدالرحمن عن وجود بعض النقوش السبئية على الصخور في مكان يسمى وادي ماسل ، أو بالأحرى جنوب شرقي الدوادمي بخمسين كيلاً .

ولقد أعطاني بعد ذالك بعض النماذج لكلمات عربية نُسِخت من هذه النقوش .

ولقد كانت تلك الكلمات والحروف القليلة المنسوخة غير كافية لإيضاح أي فكرة عن أهمية هذه النقوش . على أن الشيخ فؤاد حمزة وزير الدولة السعودية واحد المتهمين بالدراسات السبئية ، قد قام بزيارة للمنطقة في يناير من عام ١٩٥٠ ، حيث تمكن من فحص النقوش في موضعها ، والقيام ببعض النسخ الغير السديدة ، ولكنها على كل حال ترينا مدى الأهمية الكبرى لها من الناحيتين النقشية والتاريخية .

وحتى الآن لم توجد نقوش سبئية خاصة في نجد ، بينما المجموعة الأخرى من مثل هذه النقوش ـ المعروفة لدينا من داخل الجزيرة العربية ـ أتت إليها من قرية الْفَاو ، جنوب وادي الدواسر حيث اكتشفها بعض الجيولوجيين في شركة الزيت العربية الأميركية ، وأيضاً أنا بنفسي في عام ١٩٤٨م ، وكانت (قرية) على ما يظهر نقطة خارجية وحيدة لحضارة سبأ على طريق القوافل إلى ساحل الخليج (. . .)، حيث وجد عدد من النقوش السبئية هناك .

وليست هناك أية نقوش في كل هذه المناطق قد أعطت أي دليل لصفة تاريخية ـ غير أنه كان واضحاً من النسخ التي أرسلها إليَّ فؤاد حمزة ـ وهي نسخ مكونة من قِطَعٍ ـ أنه في أوائل القرن الخامس الميلادي كان هناك بعض ملوك سبئيين عُرِفوا

من نقوش وجدت في اليمن، أنهم قد توغلوا في أواسط الجزيرة العربية حتى منطقة الدوادمي .

وأصبح من الواضح أن الحصول على نسخ مضبوطة كاملة لهذه الكتابات أَمْرٌ لابُدَّ منه ، ولقد قطعت رحلتي بالسيارة إلى الرياض في هذه السنة في الدوادمي كي أزور وادي ماسل .

أما عن الذهاب بين هذه النقطتين عبر المنطقة فهو صعبٌ للغاية حيث تعترض السيارة منخفضات ووديان عديدة من المنطقة الكثيرة التلال إلى غرب الدوادمي ، الذي يجري شمال وخلف القويعية .

أما الشيء الحسن الذي يواجهك في الطريق هو (الرغوة ؟) حوالي ١٢ كيلاً من الدوادمي بينما اتجاهنا العام هو الشمال الشرقي عبر بقعة جيدة المرعى ، التي انعشتها الأمطار التي جادت بها السماءُ في موسم الشتاء المنصرم ، وهي مليئة بالابل التي ترعى فيها .

ولقد أمضينا بعض الوقت في المشاهدات الجغرافية (اتجاهات البوصلة) ولقد أخذ منا ذالك ثلاث ساعات من السير المتواصل كي نصل إلى فم وادي ماسل ، والمغارة التي بجانبها توجد النقوش على صخرة من (البازلت) من الضفة اليمنى .

ويقع مكان الري الدائم أو مسيل ماسل على بعد كيل واحد أعلى وادٍ ضيق نوعاً ، بينما على مسافة أبعد توجد قرية لم أزرها لحاجتي للوقت ، وتسمى (عَرْوَا ابن حُمَيْدٍ) وهي تقع تقريباً في اتجاه شمال الـمَصَب ـ ويقع وادي ماسل داخل بلاد قبيلة عُتَيْبَة .

وتأخذ المغارة وَضْعاً بحيث أن في فصل الصيف فإن الشمس تشيع فيها بعد الظهر حالاً حيث يمكن أن تشغل المغارة في ارتياح أثناء الصباح فقط ، مع أنه من المحتمل أن تكون في ظل معظم اليوم أثناء فصل الشتاء .

أما عن النقشان الاثنان الرئيسان (وأحدهما مكون من تسعة والآخر من عشرة

سطور) فلقد نقشاً في وجه صخرة نارية قاسية نوعاً ، وفي الجانب الشمالي مباشرة للمغارة . وكان من غير المتوقع ، وجود عوامل التعرية والنقش في الصخر مما أوجد بعض التلف في الكتابة غير أنه لا يزال مافيه الكفاية من النقشين ، ليعطينا فكرة صحيحة عن محتوياتها ، وفي كلا الاثنين ، فإن الكتابة مجمعة نوعاً في الفراغات الصغيرة الموجودة .

ويقع النقش الطويل في الطرف الجنوبي من وجه الصخرة ، ويمكن الوصول إليه بسهولة بواسطة طُنُفٍ يقع تحتها ببضعة أقدام ، بينما النقش الآخر على النقيض من ذالك ، إذ يقع في الناحية اليمنى ، وعلى الأول تماماً الوصول إليه صعب إذ أنه على نتوء مُدَلًّى من الصخرة .

ولابد من أن النقاشَ قد استعمل أثناء قيامه بذالك سُلَّماً من الأسفل ، أو يكون قد دَلَّى نفسه من أعلى بواسطة أُرْجُوحَةٍ بناءٍ . وحيث أنه لم يكن لديَّ سُلَّمٌ فلقد اضطررت إلى الاستعانة بالنظارات ذات العدسة المزدوجة في قراءة ونسخ النقوش ، وهو عمل مجهد للغاية ، يتطلب دراسة مرتين وثلاثاً قبل تدوينه في الورقة .

ولقد أخذ مني نسخ هذا النقش ثلاث ساعات ، بينما النقش الآخر كان أسهل نسبياً في نسخه .

وبالإضافة إلى هذين النقشين المهمين ، توجد نقوش عديدة ، أقل أهمية في أسفل وجه الصخرة ، وعلى كتل صخرية ، فقد كانت سقطت من أعلى هذا ، علاوة على عدد من الكتل على رَفٍّ واسع فوق صخرة الكهف ، وفي أسفل حرف مرتفع مئات الأقدام للقمة والتي لابد من الوقوف على ارتفاع (٨٠٠) قدم من مستوى الوادي .

ولقد قمت بإرسال نسخ من كل هذه النقوش إلى البروفيسور جـ. ريكمان في جامعة (لوفان) للدراسة المفصلة ، وللنشر في المتحف .

والآن يمكن أن تقال بعض الكلمات من الناحية العامة ومحتوياتها :

ففي النقش الأول : أب كرب أسعد (أسعد الكامل التبع بين المؤرخين) من الملوك السبئيين (أو على شرف) المسمى أولاً والد العاهل مالك كرب، المحتمل وفاته في فترة بعد الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ، ومن ثَمَّ فإنَّ النقوش ربما تشير إلى بعض الوقت فيما بين الـ ٤٠٠ ـ ٤١٥ ميلادية ، ويظهر هنا (حرة يوهامر) للمرة الأولى إلى أبعد حد تخصه النقوش . كملك لسبأ باللقب الكامل (مضافاً إليه والده وحده) كمالك سبأ والد (ذو ريدان وحضرموت واليمنة والأراريهم وتهامة) وفي الحقيقة فإن هذا اللقب يمكن اختصاره (مع أبيكريب وولده بحذف كلمة همو) ومع مالك كريب بحذف كل الكلمات التي بعد كلمة : (يمنه) .

في السطر الخامس ، الحصن مذكور ـ لكونه مبني في جومة ماسل التي لا تزال الاسم الكامل للمكان حيث أن جومة هي اسم الجبل المندرج نحوه والتي يطفو الوادي فيها بينما توجد إشارة في هذا الصدد وفي الذي يليه إلى منطقة المودان (أو الموادم) وربما كان هذا هو الاسم الأصلي لـ (الدوادمي) التي كانت تسمى بحسب العرف المحلي (دَاوِرْد) مستمدة من الحقيقة وهي أن المستوطنين الأوائل لهذا الوادي ماتوا من الحمى المحلية ، وبعد ذالك تحولت إلى الدوادمي .

أما عن السطور الأخيرة من هذه النقوش فهي ذات خاصة عادية إذ تشير إلى بعض القبائل رؤوساء قبائل موظف محاكم وعوائل وممتلكات الملوك ، الخ .

أما النقاط الهامة في النقش الثاني فيرجح تاريخها على وجه الدقة إلى سنة ٦٣٣ من العهد السبئي (٥١٦ ميلادية) ولقد سجلها ملك لم يعرف حتى الآن (مع كامل اللقب الملكي كما هو مسمى بأعلى (مد كرب يهامر) الذي كان له الجد المباشر لذينواس المشهور/ الحضارة النجرانية والذي انتهى حكمه باحتلال الأحباش لسبإ في عام ٢٥٥ ميلادية .

ولقد وجدت شخصية لها نفس الاسم للحاكم الحبشي أبرهة في مأرب مؤرخة

في عام ٥٤٣ غير أنه من غير المحتمل أن يشير الاسهان إلى نفس الشخص . وربما أن الشخص الثاني الذي يحمل هذا الاسم هو واد كريب ابن (ساميا في أشوا) الذي عينه الأحباش ملكاً بعد انهزام ذي نُواس في عام ٥٢٥ بينما (مد كريب كريهامر) الأول ربما يكون هو نفس الشخص مثل (مد كريب يامين) الذي يظهر في قائمتين (نفس صفحة ١٤٣) كحاكم (. . .) ٥٩٠ ـ ٥١٠ ميلادية والذي ربما امتد حكمه إلى عام ٥١٦ على الأقل .

أما عن اللقبين فإن تشابها خاصاً من ناحية النقش السبئي ربما أثر في كلمة (يامين) وجعلها تقرأ كـ (يافور) وليس العكس بالعكس في القراءة للنقوش الحالية ، وانه لا مَعْدَى لنا من الاعتقاد بأن (مد كرب يامر) هو الاسم الحقيقي لذي نواس الذي يظهر أنه كان معروفاً بعدةً أسماء مثل مزورات ويوسف .

إن الحصن مشار إليه كحصن التالهي (يتولي) بينما في السطرين الأخيرين فلقد ذكرنا قبائل أسعد وسبأ وحمير ورابان في علاقتهم خاصة بالحرب و. . . عن كندة وتاليات ومدهر وهذا كثير جداً لسطرين ، وبالإضافة إلى ذالك فإنه يوجد ما يقرب من ستة عشر أو أكثر من الكتابات ، أقل أهمية يدخل فيها الآتي اسمياً (١) اسم ابكريب أسعد (٢) نقش غير مقروء اطلاقاً ويتكون من سطرين وربما من ثلاثة ، وكل الحروف المقروءة فيه تشير إلى اسم ساقيافي المذكور بعاليه .

(٣) اسماء يارين دوسكين ويرهاب D'Huscn Haim) وأيضاً أسماء Khauli SA'd

٤ ــ اسم II- Thawal .

ولم أستطع أن أجد أي أثر للحصن المشار إليه في النقش ، ولا أتأكد من المعلومات عن اطلاله ، هل لايزال لها باق إلى اليوم .

غير أنه توجد منطقة ليست بعيدة من العِرْض تسمى داحس ، وهي مشهورة بتاريخها كحروب قبائل ماقبل الإسلام[1]، وربما أن الحصن الذي في وادي ماسل قد بناه الأحباش كنقطة عسكرية خارجية لمراقبة وضبط نشاط القبائل ، ولقد كان وادي ماسل نقطة فتح للدخول إلى نجد عن طريق الشمال ، خاصة وأنه كان

مزوداً بالمياه للمعسكرات والدوريات ، ربما كان الوادي أبعد في عَرْوَا .

ويصب الوادي في مجموعة من قنوات التصريف تسمى (Wattat al Naum) تنبت كلأ غنياً لمرعى البدوان وجمالهم ، وهناك عدد من الآبار الخارجية بعيدة عن السهل مثل الحسرج والعبسة والمنجوز وذالك في تلاع عديدة من (Wattat al Naum) والـحُفَيْرَة ، هجرة اخوان ذات آبار عديدة ، والحقول المنزرعة في ذيل وادي صهام (؟) حيَّان مع آبار في وادي (العفجة) ومخلفات كثيبة لإستيطان أطلال ستة أكواخ حقيرة ، وأخيراً بئر BA,J في شعيب واسـط على مسافة قريبة أسفل مجرى (الرغوة)، ولقد عدنا إلى الدوادمي من غير طريقنا ، من طريق أطول نوعاً إذ يبلغ طوله ٧٠ كيلاً ، ولكنه سهل ولقد قمنا بذالك لنرى ونعلم هذه الآبار .

ويقع خارج السهل وفي اتجاه الشمال لهذه الآبار آبار مكينة والشابية والفويلج (؟) على امتداد من الشمال إلى الجنوب وهي تزود السيارات المارة في الطريق من الدوادمي إلى دَلقان ، حيث توجد مجموعة من الآبار في شرق صحراء النفود .

ويجري بين هذه وبين صحراء النفود طريق يمتد من دَلقان إلى نقطة الأملاع (؟) في مراة إلى الدوادمي .

هذه هي اللمسات الأولى للمياه في آبار الخليل (؟) وحوالي ٣٥ كيلًا شمال غربي دلقان وإلى الغرب نوعاً من خط السيارات حوالي ٢٥ كيلاً أعلى الشمال الغربي يقع بئر الحديث (؟)، بينما نفس المسافة إلى الأمام في نفس الاتجاه وعلى الطريق يوجد الري الهام لساموة، ويستعمل في هذه الأيام مرعى خيل الملك - وبالقرب منها يوجد بئر البادية بينما كان آخر بئر هو (Gharghar) يبعد حوالي ١٥ كيلاً من الخط الرئيس الموجود حالياً .

ولقد قيل : بأنه من السهل عبور النفود عن طريق الخط العام لسامودة إلى مكينة مع وجود بئر في منتصف الطريق ، غير أنه لم تسنح لي فرصة ببحث ذالك .

ان الخارطة التخطيطية المرافقة لا تستطيع أن تثبت ضبطها ، هذا مع غياب

كل الآلات ووجود البوصلة وعداد سرعة السيارة فإنها سترينا كل التنسيقات المختلفة للمناطق المسماة في هذا الموضوع .

فعلى الشرق فخط رمال النفود يجري عادة بالقرب نوعاً من خط السيارات ، مع أنه يتفرع منه بالتدريج في اتجاه شمال الخليل (؟) بينما الخرج (؟) الشرقي لنفود السِّرِّ يقع بنحو ١٥ كيلاً إلى الغرب من خط السيارات في (Gharghar) ثم يقترب منه بالتدريج حتى يتقابل الخطان في دلقان .

وفي اتجاه الشمال من ساق الطريق فإن الخرج الغربي للنفود يقترب بالتدريج من خط السيارات حتى بالقرب من الشلبية (؟) حيث يصبح مرئي (؟) وعلى الأقل على بعد ٢٠ كيلاً .

وإلى الغرب من هذا الساق وعلى مسافة يسيرة يمكن رؤية منطقة جبلية على طول الخط تشمل سلاسل جبال العرض مغيرا والجومة (؟) وتشمل مرتفعات وقمم عالية عديدة .

انها منطقة كثيبة حقاً بما فيه الكفاية ولو أنها مناسبة لسكانها من البدو ولقطعانهم ومراعيهم خاصة في موسم كالمواسم الحاضرة بأمطاره المدرارة بعد انقطاع الأمطار واستمرار الجدب نحو ست أو سبع سنوات .

وعلى العموم فإنه يبدو أنهم يعيشون تلك الحياة القديمة ذات النظام التقليدي لا تزعجهم ضجة السيارات المتطفلة ، بعيدين عن أخبار المدنية الوهمية ، في البلدان الكبيرة كالرياض .

غير أنه توجد صورة واحدة للصحراء العربية وهي المعروفة من قديم وهي عن ضياع الإنسان فيها ، ولربما فقدانه إلى الأبد ، أسراب الغزال العظيمة التي تعودت على الهيام في الصحراء ، ولا تخاف من الرمال بقدر خوفها من صياد (الصّلَب ؟) الذي أصبح صيده قد تلاشى في الربع قرن الأخير ، وأصبح في مناطق صعبة الوصول من المنطقة .

وفي الحقيقة لقد أصبح مرأى الغزال نادراً ، في طرق السيارات في الجزيرة

العربية وكذا النعام ، قد تحول إلى الشمال بعدما كان معروفاً لجيلين أو ثلاثة في الجنوب كذالك الظباء اختفت من الشمال مع أنها لاتزال موجودة في الربع الخالي وحوله .

العـــرب :

وقد تحدث الأستاذ الدكتور جواد علي (توفى سنة ١٤٠٨هـ) في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ١٥٤/٣ ـ في معرض كلامه عن (أب كرب أسعد) بما خلاصته :

وانتقل الملك بعد وفاة «ملك كرب يهأمن» إلى ابنه «أب كرب أسعد» ، ويرى المستشرقون أنه «أسعد كامل تبع» الذي يزعم الأخباريون أنه أول من تهود من التبابعة ونشر اليهودية بين اليمانين . وما ذكره الأخباريون لا يمكن أن يكون في نظري حجة يطمئن إليها في اثبات تهود هذا الملك .

وقد تولى هذا الملك الحكم منفرداً من سنة «٤٠٠» بعد الميلاد حتى حوالي سنة «٤١٥» أو «٤٢٠» بعد الميلاد . وأضاف إلى لقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات» اضافة جديدة ألحقها في آخره ، هي : «واعربهمو طودم وتهمتم» أي «وأعرابها في الجبال وفي تهامة» . وإليه يعود النص ٢٢٧ ، فلبي » . وقد دون بمناسبة اقامة حصن في وادي «ماسل الجمح» في موضع لايزال يعرف باسم «الجمح» حتى الآن ، دونه «أب كرب أسعد» وابنه «حسان يهأمن» . وورد فيه اسم موضع آخر هو «مودّم صنمو». ويرى «فلبي» أنه المكان المسمى «دودمى» «دوادمى» في الزمن الحاضر . وذكرت فيه أعلام أخرى وتهامة على اللقب السابق تلك الإضافة التي أضيفت في أيام «ملك كرب يهأمن» الذي تحدثت عنه . فهل نستنتج من ذكرها أننا أمام ملك جديد؟

ويظهر أن الملك «أب كرب أسعد» أقام هذا الحصن في «وادي ماسل» ليكون معقلاً تقيم فيه قوات سبئية لحماية الطريق من هجوم القبائل وتعرضها بالقوافل التي تسلك هذا الوادي محملة بالبضائع والتجارات بين اليمن ونجد ، وهو طريق ←

جريدة « الرياض »

بين ذكريات الماضي ، وتطلّعات المستقبل

[نشرت بمناسبة إكمالها ٢٥ عاماً]

كان المتوقع أن تنشأ جريدة «الرياض» قبل العام الذي أُنشئت فيه بخمسة وثلاثين عاماً . حين استقرت جميع أحوال الدولة . وتوحدت أجزاء البلاد ، فاتّجه القادةُ وولاة الأمور لإنْشاء قواعد الاصلاح . وإرساء دعائم العمران ، كنشر التعليم . وتنظيم الشؤون العامة . والاتّصال بالعالم الخارجي للاستفادة من وسائل التقدم الحديثة ، والاهتمام بإبراز مظاهر الحياة والحركة العمرانية في مختلف أجزاء المملكة جَلِيَّةً واضحة . وكان من أثر ذلك صدور عدد من الصحف في المنطقة الغربية في منتصف القرن الماضي .

ولقد كان انتشار الصحافة ـ بصورة عامة في كل أنحاء الجزيرة ـ أمَلاً يُداعب أفكار مثقفي هذه البلاد منذ أن بدأتْ تباشير التوحيد تلوح في مختلف أرجائها، وأصبحت أنباءُ حركات ذالك الشاب الطموح (عبدالعزيز آل سعود) تُدَوّي في آفاق العالم . منذ العام الذي حالفه فيه اليُمْنُ والتوفيق بالاستيلاء على مدينة

← مهم من الطرق التي تصل أرض اليمن بنجد وبشرق الجزيرة .

وقد قدر «فلبي» نهاية حكم «أبو كرب أسعد» بسنة «٤١٥» للميلاد ، وجعل بعده أخاه «وروأمر أيمن» الذي كان قد شارك أباه وأخاه في الحكم ، ثم انفرد على رأيه بعد وفاة أخيه في الحكم من سنة «٤١٥» حتى سنة «٤٢٥» للميلاد ، فانتقل الحكم حينئذ إلى «شرحبيل يعفر» وهو ابن «أبو كرب أسعد» . وقد حكم على تقدير «فلبي» أيضاً من سنة «٤٢٥» حتى سنة «٤٥٥» بعد الميلاد ، وحكم على تقدير «هومل» من سنة «٤٢٠» حتى سنة «٤٥٥» للميلاد .

ويلاحظ أن «فلبي» عاد في كتابه «النجاد العربية»، فجارى «هومل» فيما ذهب إليه في تقدير مدة حكم «شرحبيل يعفر» «شرحب آل يعفر» فجعلها منذ سنة «٤٢٠» حتى سنة «٤٥٥» بعد الميلاد .

(الرياض) واتخاذِها قاعدة لحكمه منذ اثنتين وتسعين سنة (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) ومن تلك القاعدة دَأَبَ وجَدَّ يُغِذُّ السير لتوحيد ماتفرَّق من أجزاء هذه المملكة ، حتى تمكن ـ بتوفيق من الله ثم بمؤازرة المخلصين من أبنائها من تحقيق تلك الغاية النبيلة .

ومن أوائل من اتجه إلى هذا الجانب الحيوي الثقافي ، وأدرك ما للصحافة من أثر في توجيه الأمة نحو الوجهة الصالحة ، الأستاذ سليمان بن صالح الدُّخيل (١٢٩٠/١٣٦٤هـ) الذي لاشك أن أصداء مغامرات ذالك البطل المغوار ـ إن سلباً أو إيجاباً ـ قد أثارت إحساسه ، بل رَنَّحَهُ منها ما دفعه لإصدار صحيفة أسبوعية تحمل اسم القاعدة التي اتخذهاً من ذالك المغامر الظافر منطلقاً لغزواته المظفرة ، ثم اتخذها قاعدة لحكمه ، فأصدر العدد الأول من تلك الصحيفة في اليوم السابع من شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ـ في مدينة بغداد ـ طافحاً بأخبار هذه البلاد وما يتصل بها من أنحاء الجزيرة.كان سليمان قد عاش في مطلع حياته في كنف سَرِيٍّ كريم ، بَرٍّ بوطنه ، ذي ارتباط وثيق بذالك البطل الطموح ، المتطلع لإعلاء شأن أمته ، وسليمان نفسه كان ذا صلة بهذا البطل ـ صِهْراً ونسباً ـ وله ابنُ عَـمٍّ قريب ، معدود في ذالك العهد من الأثرياء المشتغلين في المتاجرة بِـجَلْب الإبل من بلاد نجد إلى الشام (سورية وفلسطين ولبنان والأردن) وإلى مصر ، ثم استقرَّ به المقام في أوائل عشر الخمسين من القرن الماضي في القاهرة ، واتخذ في ضاحية المطرية اصطبلا لتربية الخيول العربية واقتنائها للبيع وغيره . وكان من أصدقاء السلطان عبدالعزيز ـ قبل أن يكون ملكاً ، ، وينتمي إلى أسرة ينتسب عبدالعزيز بخؤولته إليها عن بُعْدٍ ، هو فوزان بن سابق آل عثمان ، الذي أصبح (معتمداً) للسلطان في مصر في ذالك العهد . وكان ممن اتصل بهذا (المعتمد) برابطة التعارف صحفيٌّ مصري يدعى (محمد شفيق) تمكن بمساعدة فوزان من زيارة بلاد نجد ، ومقابلة السلطان عبدالعزيز في عهد مبكّر .

سار سليمان الدُّخِيْلُ في حياته سيراً مغايراً لاتجاه صديقه القديم وابْن عمه فوزان ، وكان بين الرجلين من الاختلاف في السلوك والأخلاق ماكان له أثره في حياة كل واحد منهما ـ مما لا يعني القارئْ تفصيله ، إلا أن أبرز جانب منه

اختلاف نظرتيهما إلى مستقبل هذه البلاد التي ينتميان إليها اختلافاً أحدث لسليمان التعثر في سيره ، فعاش يقاسي آلام الاضطهاد والغربة والفاقة ، وحالف فوزان التوفيق ، فكان من أمره ماهو معروف وأصدر محمد شفيق ـ بمساعدة فوزان ـ مجلة «الرياض» في القاهرة ، في آخر عشر الخمسين الأولى من القرن الماضي ، بعد عجز سليمان عن الاستمرار بإصدار مجلته بنحو عشرين عاماً ، ولم تكن رياض القاهرة أفضل من سابقتها التي لم تستكمل عامها الخامس، وإن كانت أوضح منها هدفاً ، غير أنها لم تبلغ من القوة في حسن الإخراج ، وعمق الآراء ، والاهتمام بما يجتذب عامة القراء من الموضوعات ما يهيّىء لها الرواج والانتشار ، ولكن اهتمامها بنشر بعض أخبار البلاد التي تتسمّى باسم قاعدتها . ومافي بعض الكلمات التي تنشرها من خفة الروح ولطف الدعابة كان من أسباب انتشارها في محيط ضيق بين قلة من طلاب المعهد بمكة، ممن استهواهم الاسم من قبيل:

وَدَاعٍ دعَا إذْ نحنُ بالـخَيْفِ من مِنًى فهيّـج أشجانَ الفؤاد ومـايدري

دَعَا باسم (ليلى) الخ . . .

لقد كنت ممن يحرص على مطالعتها بطريق الاستعارة من عبدالله بن صالح المداوي ـ أحد موظفي المكتب الخاص للأمير فيصل ، فما كانت الصحف في ذالك العهد تباع في المكتبات ، باستثناء من لها وكيل في مكة من كبريات الصحف المصرية ، ولا أزال أذكر أن تلك الصحيفة كانت توَجِّه إلى قرائها ـ من قبيل الدعابة ـ بعض الأسئلة الهزليَّة . كأنْ تتخيل (دجاجة) واقفة ، مادّةً عنقها ، مُميلةً رأسها ، وتحتها استفهام عما تفكر فيه هذه الدجاجة ، وأذكر أن أحد كبار موظفي الدولة في ذالك العهد وهو محمد بن إبراهيم الزغيبي كتب لتلك الصحيفة بأن تلك الدجاجة تفكر في الأمر الذي أحلَّ (فلاناً) وهو رجل رفيع المقام ـ المحلَّ الذي بلغه ، مما أثار غَضَب ولاة الأمور ، بحيث فُصِل الزغيبي من عمله ، وكان مُدِيراً لمصلحة خفر السواحل ، بعد أن تَعَرَّض مرة أخرى بالنقد لكتابة نشرت في الجريدة الرسمية «أم القرى» فأصدر (مجلس الشورى) قراراً بفصله من ذالك العمل .

انها مناسبة دَعَتْ للاسترسال في التحدث إلى أبنائنا البررة ، ممن يمسكون الآن بزمام توجيه صحافة البلاد ، عن تلك المحاولات الأولى التي قام بها من سبقهم إلى العمل في هذا الميدان ، وإن بَدتْ تلك المحاولات في نظر كثير من العاملين في هذا المجال اليوم على جانب كبير من الضعف ، إلا أن مما لا يُماري فيه عمق أثرها في تعبيد الطريق ، وتذليل الصعوبات ، ورسم المسار للاستمرار في ذالك العمل للقائمين به بسهولة ويسر . مما لا يحاول إنكاره إلا من يتعامى عن رؤية أوضح الحقائق ، وما إخال بين تلك الصفوة الممتازة من صَحَفـي بلادنا في عَهْدنا الحاضر من هو بهذه الصفة .

إن هذه المناسبة الطيبة ـ مناسبة استقبال هذه الجريدة مجتازة ربع قرن من الزمان في عمرها المديد ـ بما هي جديرة أن تستقبل به من سرور وتقدير لما يبذله القائمون على توجيه سيرها خير توجيه مستطاع ، به بلغت مكانتها المتميزة في ثباتها ورزانة أسلوبها، ووضوح نهجها، وسمو غاياتها. وهي مناسبة حبيبة إلى القلب بما تثيره فيه من ملامح ذكريات ـ وإن بدت مؤثرة ومؤلمة ـ إلا أن في عرض ما يمكن عرضه منها ما يبرز جوانب ذات صلة بمسير هذه الصحيفة الكريمة ، قد يجهلها بعض القراء . وفي ذالك ما يوضح أسباب ما سبقت الإشارة إليه فاتحة لهذا الحديث .

ليس من الإنصاف ولا من العدل التطلع من أيِّ إنسانٍ مهما بلغ من سمو المنزلة ، ومن قوة الرغبة في عمل ماهو مطالب بعمله من جميع أفعال الخير أن يقدم على القيام بأيّ عمل من الأعمال التي لم يدر منفعتها إدراكاً تامًّا ، وليس من العقل ولا من الحكمة السعي لتحقيق أي أمر من الأمور التي اتضح صلاحها قبل إعداد كل الوسائل التي تمكن من إقامة ذالك الأمر على قواعد ثابتة ، تكفل استمرار بقائه . وتُهَيِّـئُ الانتفاع به .

ومن المعروف أن استقرار أوضاع هذه البلاد تَمَّ بعد انتشار الأمن في جميع ربوعها بعد توحيد مناطقها تحت حكم مستقر ، به استحكمت أمور الدولة ، ورسخت قواعدها ، فاتجه ولاة أمرها لإرساء دعائم الإصلاح ، بعد أن تهيأت لذالك مختلف الوسائل . وكان ذالك في النصف الثاني من القرن الماضي .

وكان مؤسس الدولة في عهدها الحديث ـ أعلى الله في الفردوس مقامه ـ قد أسند إدارة كثير من شؤونها إلى ولي عهده (سعود) وماكان هذا ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ قاصِرَ الهمة ، ولا ضعيفَ العزيمة عن تَحَمُّل أعْباءِ تلك التبعة العظيمة التي رآه والده أهلاً للقيام بها ، إلا أنه كغيره من كثير من البشر ـ كان على درجة من طيب القلب ، بحيث أصبح يحسن الظن ، ويولي الثقة كل من توسم فيه الخير ، والنصح ، والإخلاص في عمله . مع حرصه الشديد ، ورغبته القوية في أن تبلغ البلاد ـ في عهده خير ماتصبو إليه من تقدم ونمُوٍّ وازدهار ، وأن تنال من ضروب الإصلاح في مختلف مرافقها الحيوية ما يحقق لها أسباب الاطمئنان والسعادة .

ولايتّسع المقام لأكثر من إشارات موجزة ، تتصل بتصرف بعض المهيمنين على تصريف شؤون الصحافة التي هي حديث اليوم ـ في عهد ذالك الملك (الطيب) بكل ما تؤديه كلمة (الطيب) من معنى ، ورُبَّ إشارة أبلغ من عبارة ـ كما قيل ـ .

١ ــ في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٢ ـ قابلت سعوداً ـ رحمه الله ـ وهو لا يزال وليَّ عهد ـ ولكنه كان مطلق التصرف في أمور الدولة ، فجرى الحديث حول إصدار جريدة يومية في مدينة الرياض ، فأدركت من خلاله سروره بهذا الأمر ، بل حرصه ـ إلى درجة الاندفاع ـ لتحقيقه ، ودعا رشدي ملحس ، ولا أدري ماذا دار في الموضوع . ولكنني في اليوم الثالث عشر من ذالك الشهر . وبعد اجتماع طويل لم أخرج من الديوان إلا وأنا أحمل نسختي كتابين موقعين بالاسم الكريم (سعود) أحدهما موجه لعبدالله السليمان ، والثاني لوزير الداخلية الأمير عبدالله الفيصل ، ورقمها ٧١٨٣ في ١٣/٤/١٣٧٢هـ . وخلاصة مافيهما : (طلب منا الشيخ حمد الجاسر السماح له بإصدار صحيفة في الرياض ، باسم الرياض ، فوافقنا على ذالك) ثم الأمر بمعاملة هذه الصحيفة كما تعامل الصحف الأخرى ، وإعفاء المطبعة التي سترد لها من الرسوم .

٢ ــ بادرت بإصدار الصحيفة في شكل مجلة شهرية ، ريثما يتم إعداد المطبعة التي تمكن من طبعها يومية في الرياض . فطبع العدد الأول مؤرخاً في ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ (أغسطس ١٩٥٣م) يحمل اسم (الرياض) وحملت نسخاً منه إلى

الديوان ، لتقدم لسمو ولي العهد ، مع كتاب مني طلبت فيه الأمر بنقلها من القاهرة حيث طبعت هناك - إلى الرياض جَوًّا . لئلا يتأخر توزيعها ، فماذا فُوجِئت به ؟

٣ - لقد كان عبدالله عمر بلخير مستشاراً لولي العهد ، وهو في الوقت نفسه المشرف على شؤون الإذاعة والصحافة والنشر ، وكان صديقاً لرئيس الديوان الذي ليس من المعقول أن يخفي عنه الأمر الصادر بالسماح لي بإصدار الصحيفة ، بل لم يكن الأمر خافياً حتى عمن لا صلة لهم بالديوان ، ومهما يكن فقد تلقيت الجواب بتوقيع رئيس الديوان : بأن سموه لا يوافق على استعمال اسم (الرياض) ولا يسمح بدخولها وهي تحمل هذا الاسم ، لأن سموه قد منح الأستاذ عبدالله بلخير مستشار سموه امتياز إصدار صحيفة باسم الرياض !!

ليكن ما يكون فلا بُدَّ من الاستمرار في العمل لإصدار الصحيفة ، ومقابلة هذه الصدمة - وماقد سيتبعها - (طَأْطِىءْ لها رأسك تَمُرّ) وهكذا كان ، فقد صدر العدد الأول من الصحيفة بصورته تلك سوى الاسم ، فقد كان في غلافه وفي صفحته الأولى «اليمامة» وبين طيّاته الاسم الأول «الرياض» مما كان مبعث انتقاد إحدى المجلات - «صوت البحرين» جزء الربيعين سنة ١٣٧٣ - من كاتب لم يدرك ما سيتحمله صحفي ناشيء من جراء إعادة طبع أول عدد من صحيفة لا يدري ماذا ستقابل به .

٤ - لم يمض شهران على المنح والمنعَ المتعلقين باسم (الرياض) إلا وقدتُوِّجَتْ به مجلة شهرية ، ولكنها لم تصدر في مدينة الرياض ، بل في مدينة جدة ، وليست باسم (المستشار) بل باسم (مؤسسة الطباعة والصحافة) للثري الشهير (المحسن الكبير) المعروف ! فقد (أعاره) أعار مؤسسته المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر ، ذالك الاسم الممنوح له ! حسناً ليكن هذا ، فمظهر الصحيفة ، وقوة القائمين على نشرها ، وانتشارها ورواجها ، وما يطرقه كتابها من موضوعات ، وما ينشر فيها من بحوث تجعل كل مهتم بصحافة هذه البلاد يُسَرّ بصدور هذه المجلة ، في أي مدينة من مدن المملكة . ولكنها - ويالَلأسف - لم تستكمل عامها الثاني .

٥ ـ بعد مُضيّ عامين على توقف المجلة التي تصدر في مدينة جدة ، وكنت أسعى لإصدار صحيفة «اليمامة» يومية حَبَّذ لي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير الرياض فكرة إصدارها باسم «الرياض» فتقدمت ـ وفق مشورة سموه ـ بكتاب موجه للملك سعود ـ رحمه الله ـ وكان ذالك في شوال سنة ـ ١٣٧٦هـ ، وما أعظم سروري حين بشرني سموه بصدور الموافقة الملكية على ذالك الطلب وقدم لي تصريحاً برقم ٢/٧٦٧٨ في ١٣٧٦/١٢/١هـ يحوي مضمون الأمر الملكي رقم ٢٢٦٥٨ في ١٣٧٦/١١/١٧ ـ برقيًا ـ بالموافقة على طلب الشيخ حمد الجاسر إصدار صحيفة باسم الرياض. . . وكتبت ونشرت في اليمامة العدد الـ(٨٥/ الصادر بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٣٧٦ ـ توقعاً لتلقي الموافقة ـ إعلاناً بارزاً يتضمن تكرار كلمة (الرياض) مُتْبَعَةً بجملة: (نبأ سارٌ ، فترقبوه قريباً) !

وبينما أنا منهمك في إعداد العدَّة لإصدار الجرية اليومية إذا ببرقية تصل إلي من (المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر) عبدالله بلخير يبدي استغرابه من ذالك الإعلان ، الذي يفهم منه الإقدام على إصدار صحيفة بهذا الاسم الذي منحه (إياه صاحب الجلالة، ثم (أعاره أحمد عبيد) ولكنه الآن عازم على إصدار جريدة «الرياض» ولهذا لا يسوغ لي استعمال ذالك الاسم .

حقًّا لقد فكّر الرجل في الأمر ، وهيأتْ له الدولة كل ما يمكنه من القيام به ، فمنحته مساحة واسعة من الأرض داخل مدينة الرياض ، واقعة بين شارع القطار والجامعة جنوباً وشمالاً ، وشارع المطار ومقر شركة كهرباء الرياض غرباً وشرقاً ، وأحضر خبيراً بشؤون الطباعة من بيروت يدعى (جورج صيقلي) أقام مدة ، متنقلاً بين الرياض وجدة والدمام يدرس متطلبات البلاد في المجال الطباعي ، وقدم له تقريراً عن إنشاء مشروع ضخم ، وبدأ بجلب بعض آلات الطباعة إلى ميناء الدمام ، ثم هو مستشار الملك ، والمدير العام للإذاعة والصحافة والنشر ، ولديه من الإمكانات مالو صرف اليسير منه للإسهام في خدمة هذه البلاد في صحافتها لفاز بالنجح في عمله ، وكان جديراً بأن يذكر بالشكر والتقدير .

(للحديث صلة)   القاهرة   حمد الجاسر

٢٧٨ - بَابُ حَفْيَاء وَحَفْنَاء[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : - بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَسُكُونِ الْفَاءِ ، وبَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَمْدُوْدٌ - : مَوْضِعٌ قُرْبَ الْـمَدِيْنَةِ أَجْرَى مِنْهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْـخَيْلَ فِـيْ السِّبَاقِ[٢].

وأَمَّا الثَّانِـي : - بَعْدَ الْفَاءِ نُونٌ : مِنْ نَوَاحِـي مِصْرَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ ذُكِرُوْا فِـيْ تَارِيْـخِ مِصْرَ[٣].

---

(١) لم أرَ لِهَذَا الْبَابِ ذِكْرًا فِي كِتَابِ نَصْرٍ.

(٢) نَقَلَ صَاحِبُ «معجم البلدان» كلامَ الْـحَازِمِـيِّ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ وأضاف : وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ سُفْيَانُ : بَيْنَ الْـحَفْيَاءِ إِلَى الثَّنِيَّةِ خَمْسَةُ أَمْيَالٍ أَوْ سِتَّةٌ . وقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ . وَقَدْ ضَبَطَهُ بَعْضُهُمْ بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ وَهُوَ خَطَأٌ ، كَذَا قَالَ عِيَاضٌ . انتهى . وأَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ فِي «معجم ماستعجم» رَوَى مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْـخَيْلِ الَّتِـي أُضْمِرَتْ مِنَ الْـحَفْيَاءِ ، وكَانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ ، وسَابَقَ بَيْنَ الْـخَيْلِ الَّتِـي لَـمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِـي زُرَيْقٍ ، وأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ مِمَّنْ سَابَقَ بِهَا ، وَبَيْنَ الْـحَفْيَاءِ وثَنِيَّةِ الْـوَدَاعِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ . انتهى . وذَكَرَ - فِي رَسْمِ النَّقِيعِ - أَنَّ الْـحَفْيَاءَ فِي سَافِلَةِ الْـمَدِيْنَةِ ، وأَصْلُ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْهَجَرِيِّ فِيْمَا نَقَلَ صَاحِبُ «وَفَاءِ الْـوَفَاءِ» عنه في حِمَى النَّقِيعِ مُفِيضًا : وعَبَّرَ الْهَجَرِيُّ عَنْهَا بِالْـحَيْفَاء ، لُغَةٌ فِي الْـحَفْيَاءِ وهِيَ فِي أَدْنَى الْغَابَةِ . وأضاف صَاحِبُ «وفَاءِ الْوَفَاءِ» : وتَقَعُ شامِيَّ الْبِرْكَةِ مَفِيْضَ الْعَيْنِ . انتهى . والثَّنِيَّةُ الوارِدَةُ فِي كَلَامِ الْبُخَارِيِّ جاءت مُوَضَّحَةً فِي رِوَايَةِ مالِكٍ ، وأنها ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ ، والمسافَةُ بَيْنَهَا وبَيْنَ الْـحَفْيَاءِ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ وَسَبْعَةٍ ، هَذَا مَيْدَانُ الْـخَيْلِ الْـمُضْمِرَةِ ، أَمَّا الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ فَمِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِد بَنِي زُرَيْقٍ ، والْـمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا أَوْضَحَهَا السَّمْهُودِيُّ فِي «وَفَاءِ الوَفَاءِ» فِي الكلامِ على مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ فقال : هَذَا الْـمَسْجِدُ كَانَ فِي قِبْلَةِ الدُّوْرِ الَّتِـي عَنْ يَمِيْنِ السَّالِكِ مِنْ دَرْبِ سُوَيْقَةَ ، قَرِيبًا مِنْهُ ، وهُوَ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيْثِ السِّبَاقِ بَيْنَ الْـخَيْلِ الَّتِي لَـمْ تضمر ، قال : عِيَاضٌ : وبَيْنَهُ وبَيْنَ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مِيْلٌ أَوْ نَحْوُهُ . قُلْتُ : وبَيْنَ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ وبَيْنَ الموضعِ الذي ذَكَرْنَاهُ نَحْوَ المِيْلِ ، وهو قريبٌ مِنْ جِهَةِ مُحَاذَاةِ ثنية الوداع في جهة القِبلة . انتهى كلام السمهودي .

(٣) عِنْدَ ياقوت في «المعجم» : حَفْنَا - بِالنُّونِ مَقْصُورٌ - مِنْ قُرَى مِصْرَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنَ الْـمُحَدِّثِيْنَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّد عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بن حَكِيْمٍ الْـحَفْنَاوِيّ ، رَوَى عَنْ أَصْبَغَ ، وكَانَ فَقِيْهًا عابداً ، توفي سنة (٢٥٠) . انتهى وهَذَا مُلَخَّصٌ مِنَ «الأَنْسَابِ» لِلسَّمْعَانِي . وَحَفْنَا لَاتَزَالُ مَعْرُوفَةً فِي مِصْرَ ، وما أكثر الْـمَنْسُوبِيْنَ إليها .

٢٧٩ ــ بَابُ حَلْبَة، وَحَلْيَة، وَحُلَيَّة، وَجُلَيَّة(١)

أَمَّا الأَوَّلُ: ـ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ اللاَّمِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: وَادٍ بِتِهَامَةَ أَعْلاَهُ لِهُذَيْلٍ، وَأَسْفَلُهُ لِكِنَانَةَ(٢).

وَفِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ.

وأَمَّا الثَّانِي: ـ بَعْدَ اللاَّمِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ـ: مَوْضِعٌ فِي نَاحِيَةِ الطَّائِفِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ أَبِي حَمْزَةَ أَخُو بَنِي قُرَيْمٍ:

بَلِّغُوا قَوْمَنَا الصَّوَاهِلَ أَنَّا قَدْ نَبَذْنَا بِحَلْيَةَ الأَوْزَارَا(٣)

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ حَلْبَة، وحُلْبَة، وحَلْيَة).

(٢) يَظْهَرُ أَنَّ هَذا الاسْمَ تَصَحَّفَ عَلَى الْحَازِمِيِّ حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّهُ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، والصَّوَابُ بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِن تَحت، فَتَعْرِيفُهُ عِنْدَهُ مأخوذٌ مِنْ تَعْرِيفِ نَصْرٍ لِحَلْيَةَ الذي قالَ عَنْهُ: أَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ وسُكُونِ اللاَّمِ ـ: وَادٍ بِتِهَامَةَ أعْلاهُ لِهُذَيْلٍ وأَسْفَلُهُ لِكِنَانَةَ، وَقِيلَ بَيْنَ أعْيَارٍ وعُلَيْبٍ يُفْرِغُ في السِّرَّيْنِ، وقِيلَ: هُوَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ. انتهى. وَقَدْ نَبَّهَ يَاقُوتُ ـ بَعْدَ إيرَادِهِ كَلاَمَ الحازميّ ـ عَلَى سَهْوِهِ بِقَوْلِهِ: كَذَا ضَبَطَهُ الْحَازِمِيّ وَهُوَ سَهْوٌ وَغَلَطٌ، إِنَّمَا هُوَ حَلْيَةُ ـ بِالْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ـ وفي حَلْيَةَ أَوْرَدَ مَعْنَى كَلاَمِ نَصْرٍ وأَطَالَ، وقال عَنْ حَلْيٍ: وَهِيَ حَلْيَةُ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا. ولكن هذا القَوْلَ الأخيرَ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَحَلْيٌ الْمَعْرُوفُ الآنَ يَقَعُ جَنُوبًا عَنْ عُلَيْبَ الْوَاقِعِ جَنُوبَ أَعْيَارٍ، والْوَادِيَانِ مَعْرُوفَانِ، ومَرْسُومَانِ بِالْمُصَوَّرِ الْجُغْرَافِي، أَعْيَارُ يقع جَنُوبَ وادي اللَّيْثِ بِقُرْب خطِّ الطُّولِ: ٣٠/ ٤٠° وخَطِّ الْعَرْضِ بين ٢٠/٣٠° و٢٠/٤٠° وَيَلِيهِ مِنَ الْجَنُوبِ وَادِي الشَّاقَةِ الشَّامِيَّةِ ـ وَيُعْرَفُ عِنْدَ بَعْضِ سُكَّانِ الْجِهَةِ بِاسْمِ وَادِي حَلْيَةَ [«العرب» س ٧ ص ٥٦٧].

وَيَلِي حَلْيَةَ ـ الشَّاقَّةِ الشامِيَّةِ ـ وَادِي الشَّاقَّةِ الجنوبيّة يَخْتَلِطُ بِوَادِي عُلَيْبَ الواقِعِ جَنُوبَهُ عِنْدَ قُرْبِهِمَا مِنَ البَحْرِ ـ أسَافِلِهِمَا ـ عِنْدَ خطِّ الطُّولِ ٣٢/ ٤٠°، وكُلُّ هذه الأَوْدِيَةِ تَنْحَدِرُ من سِلْسِلَةِ جِبَالِ الحِجَازِ مُغَرِّبَةً حتى تَفِيضَ في البَحْرِ، ماعَدَا عُلَيْبَ فَيَمْتَدُّ مُعْتَرِضًا مِنَ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ صَوْبَ الشَّمالِ الغَرْبِيِّ حتى يُخَالِطَ أَسَافِلَ الشَّاقَّةِ الجنوبيّة بقرب شاطِيءِ البَحْرِ، وفُرُوعُ الشَّاقَّةِ الشَّامِيَّةِ تَمْتَدُّ مِنْ قرب خطِّ العَرْضِ: ٤٠/٢٠° حتى الْبَحْرِ. من غَرْبِ سُفُوحِ جَبَلِ إبراهيم وجِبَالِ حَجْرَةِ قَوْسٍ ومن خط الطول: ٠٠/٤١° حتى البَحْرِ بِقُرْبِ خطِّ الطُّولِ ٤٢/ ٤٠°.

وَقَوْلُ الْحَازِمِيِّ عَنْ حَلْبَةَ ـ بِالْبَاءِ ـ: وَفِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، لَمْ يَذْكُرْ يَاقُوتُ ـ مَعَ حِرْصِهِ عَلَى التَّقَصِّي ـ سِوَى حُلْبَةَ بِضَمِّ الْحَاءِ ـ: فِي جَبَلِ بُرَعٍ، مِنْ أَعْمَالِ زَبِيدَ، والْحَلْبَةُ مِنْ مَحَلاَّتِ بَغْدَادَ.

(٣) حَلْيَةُ الْوَارِدُ في شِعْرِ القُرَميِّ الهُذَلِيِّ ما أَرَاهُ إلاَّ الَّتي تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهُ، فَحَلْيَةُ مِنْ بِلادِ هُذَيْلٍ قَدِيمًا، وتَكَرَّرَ كَثِيرًا في أَشْعَارِهِمْ وأَخْبَارِهِمْ.

ومن أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الذي عَنَاهُ الشَّاعِرُ هو حَلْيَةُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ أنه قَالَ هَذَا الْبَيْتَ في يَوْمِ حَلْيَةَ، حِينَ غَزَا نَفَرٌ مِنْ بَنِي صَاهِلَةَ حَيًّا مِنَ الأَزْدِ بِحَلْيَةَ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو ثَابِرٍ، كَمَا فِي كِتَابِ «شَرْحِ أَشْعَارِ الْهُذَلِيِّينَ» ـ ص ٧٩٦ إلى ٨٠٠ ـ إِذْ وَرَدَ في الأَشْعَارِ الَّتي قِيلَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ: =

وأمَّا الثَّالِثُ : ـ بِضَمِّ الْـحَاءِ وَفَتْحِ اللاَّمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ ـ : مَاءٌ بِضَرِيَّةَ ، لِغَنِيٍّ .

وَفِي شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي عَايِذٍ :

أَوْ مُغْزِل بِالْـخَلِّ أَوْ بِحُلَيَّةٍ
تَقْرُو السَّلاَمَ بِشَادِنٍ مِخْمَاصِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ وَغَيْرُهُ مُغْزِلٌ مَعَهَا غَزَالٌ ، وَالسَّلاَمُ شَجَرٌ وَاحِدُهَا سَلاَمَةٌ ، والْـخَلُّ وَسَطُ الرَّمْلِ ، وَحُلَيَّةُ مَوْضِعٌ(٤).

وأمَّا الرَّابِعُ : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقِي نَحْو الَّذِيْ قَبْلَهُ : ـ مَوْضِعٌ قُرْبَ وَادِي الْقُرَى مِنْ وَرَاءِ شَغْبٍ وَبَدَا(٥).

= إنَّـا نَـزَعْـنَـا مِنْ مَجَـالِسِ نَـخْـلَةٍ ... فَنُـجِـيـزُ مِـنْ حُـثُنٍ بِـبَـاضَ أَلْمَلَمَا

وَقَالَ رجُلٌ من بَنِي ثَابِرٍ :

فَـيَـا عَـجَـبـا مِـنْـكُـمْ نُجِيمٌ وَدَارُكُـمْ ... بَـعِـيـدُ بِـجَـنْـبَـيْ نَـخْـلَةٍ فَـالْـمَـنَـاقِـبِ
غَـزَوْتُـمْ عَـلَى أَيْـنٍ وَبُـعْـدٍ وَشُـقَّـةٍ ... فَـأُوفِـيْـتُـمْ مِـنَّـا جَـزَاءَ الْـمُـعَـاقِـبِ

فَالْيَوْمَ حَدَثَ فِي حَلْيَةَ الْبَعِيدةِ عن نَخْلةَ والمَناقِبِ ، وهذانِ قَرِيْبان مِنَ الطَّائِفِ ، وحَدَثَ وَرَاءَ حُثُنٍ ويَلَمْلَمَ الواقِعانِ في تهامة جَنُوبَ حَلْيَةَ .

(٤) كَأَنَّ الْـحَازِمِيَّ تَأَثَّرَ بِقَوْلِ نَصْرٍ عَنْ حُلَيَّةَ : عَيْنٌ أَوْ بِئْرٌ بِضَرِيَّةَ ، مِنْ مِيَاهِ غَنِيٍّ ، وعِنْدَهَا اجْتَمَعَتْ لِلْخُصُومَةِ فِي عَيْنِ نَفْيٍ . انتهى كلامُ نَصْرٍ ، وزَادَ الْـحَازِمِيُّ شَاهِدَ الشِّعْرِ ، ثُمَّ جاءَ يَاقُوتُ فَكَرَّرَ مَاقَالَهُ الاثْنَانِ ، ولَـمْ يُلاَحِظْ هاؤلاء بُعْدَ بِلاَدِ هُذَيْلٍ عَنْ ضَرِيَّةَ ، ومَا أَرَى الشَّاعِرَ قَصَدَ إلاَّ حَلْيَةَ ، فَصَغَّرَهَا لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ ، وكَثِيراً ما يَتَصَرَّفُ الشَّاعِرُ بِالأَسْمَاءِ مُضْطَرًا ، وَالْبَيْتُ فِي وَصْفِ امْرَأَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلشَّاعِرِ فِي «شَرْحِ أَشْعَارِ الْهُذَلِيِّيْنَ» ـ ص ٤٨٧ ـ .

(٥) قال نَصْرٌ : وأَمَّا بِضَمِّ الْـجِيمِ وفَتْحِ اللاَّمِ وتَشْدِيدِ الياءِ ـ : قُرْبَ وَادِي الْقُرَى مِنْ وَرَاءِ شَغْبٍ . انْتَهَى هَذَا نَصُّهُ ، ولكِنْ يَاقُوتا نَسَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : مَوْضِعٌ قُرْبَ وَادِي القُرَى مِنْ وَرَاءِ بَدَا وَشَغْبٍ . وَمَا كُلُّ هَذَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ الَّذِي بَيْنَ يَدَيَّ وشَغْبٌ وبَدَا مَعْرُوفَانِ ـ انْظُرْ عَنْهُمَا (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» بِخِلاَفِ جُلَيَّةَ فَلَمْ أَعْرِفْهُ .

٢٨٠ ــ بَابُ حِلَّةٍ ، وَحَلَّةٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بِكَسْرِ الْـحَاءِ ـ: حِلَّةُ ابْنِ مَزْيَدَ عَلَى الْفُرَاتِ مِنْ أَصْقَاعِ الْعِرَاقِ(٢).

وأَمَّا الثَّانِي : ـ بِفَتْحِ الْـحَاءِ : ـ قُفٌّ مِنَ الشُّرَيْفِ ، والشُّرَيْفُ نَاحِيَةُ أَضَاخَ بَيْنَ ضَرِيَّةَ وَالْيَمَامَةِ ، وَفِي شِعْرِ عُوَيْفِ الْقَوَافِي حَلَّةُ الشَّوْلِ(٣).

٢٨١ ــ بَابُ حَلَبَ ، وَجُلْبٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَاللَّامِ : ـ الْبَلَدُ الْـمَعْرُوفُ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ ،

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ : أَمَّا بِكَسْرِ الْـحَاءِ : الَّتِي عِنْدَ الْكُوفَةِ ، وفِيْهَا الْـمَشْهَدُ . وقَالَ فِي «معجم الْبُلدان» مَا مُلَخَّصُهُ الْـحِلَّةُ عَلَمٌ لِعِدَّةِ مَوَاضِعَ أَشْهَرُهَا حِلَّةُ بَنِي مَزْيَدَ ، بَيْنَ الْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ ، أَوَّلُ مَنْ عَمَرَهَا صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُور بْنِ دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَدَ الأَسَدِيُّ سنة ٤٩٥ وَهِيَ الْيَوْمَ قَصَبَةُ تِلْكَ الْكُورَةِ ، وذَكَرَ مَحَلَّاتٍ أُخَرَ بِاسْمِ الْـحِلَّةِ مُضَافَةً . وشُهْرَةُ مَدِيْنَةِ الْـحِلَّةِ تُغْنِي عَنِ الاسْتِرْسَالِ فِي الْـحَدِيْثِ عَنْهَا .

(٣) لَـمْ يَرِدْ فِي كِتَابِ نَصْرٍ سِوَى : ـ وبِفَتْحِهَا بِقَصْدِ الْـحَاءِ ـ: مَوْضِعٌ فِـي شِعْرِ عُوَيْفِ الْقَوَافِـي حَلَّةُ الشَّوْك ، كذا وَرَدَتِ الْكَلِمَةُ بِالْكَاف ، كَمَا فِي مَطْبُوعَةِ «مُعْجَم الْبُلْدَانِ» : الْـحَلَّةُ : اسْـمُ قُفٍّ مِنَ الشُّرَيْفِ بِنَاحِيَةِ أَضَاخَ بَيْنَ ضَرِيَّةَ وَالْيَمَامَةِ . وفِي شِعْرِ عُوَيْفِ الْقَوَافِي : حَلَّةُ الشَّوْكِ . انتهى . وَحَلَّةُ الشُّرَيْف هذه هِيَ الَّتِي نَقَلَ الهجريُّ فِي تَعْرِيفِهَا : أَوَّلُ الْـحَزِيزِ حَزِيزُ أَضَاخَ ـ وأَنْتَ تُرِيْدُ الشَّرْقَ الرَّيَّانُ وإِمَّرَةُ ـ مَاءَتَانِ وأَنْتَ تُرِيْدُ الْيَمَامَةَ ـ وآخِرُهُ النَّشَّاشُ وعَرِجَةُ ـ وَهِيَ مَاءَةٌ وتَتَّصِلُ بِعَرِجَةِ الْـحَلَّةُ ، وتَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى السِّرِّ ، ثُمَّ مِنَ الـسِّرِّ إِلَى جُرَاد ، وَهِـيَ رَمْلَةٌ مِنْ شِقِّ الْوَرَكَةِ ثُمَّ تَقَعُ فِي الْـمَرُّوتِ ، ثُمَّ فِي قُرَى الْوَشْمِ ـ «أبو علي الهجري» ـ ٢٣٤ ـ وقال ـ ٢٢٠ ـ: هُبَالَةُ مَاءٌ بِالشُّرَيْفِ بِقُرْبِ الْـحَلَّة ، والْـحَلَّةُ قُفٌّ أَحْمَرُ ـ مِثْلَ الأَدَمِي ـ وحَلَّةُ النِّبَاجِ فَالْـجَمِيْعُ حَلَّتَانِ . انتهى وتُعْرَفُ الْـحَلَّةُ الَّتِي تَلِي السِّرَّ الآنَ باسْـمِ الصُّفْرَاءِ ، وهِي قُفٌّ خَشِنٌ مِنَ الأَرْضِ مُسْتَطِيْلٌ مِنَ الْـجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، من الْـجَنُوب مِنْ صَفْرَاءِ النُّمَيْشِيَاتِ ـ غَرْبَ حَذْبَاء قذلة (هَلْبَاء حَايِل قديمًا) ـ فَصَفْرَاءِ حَقِيلَ الْـمُتَّصِلَةِ بِصَفْرَاءِ السِّرِّ . وهذه الصُّفْرَاوَاتُ يَشْمَلُهَا اسـمُ الْـحَلَّة . فيما بَيْنَ خَطَّـي الْعَرْضِ ٤٠/٢٤° و ١٠/٢٦° ، مُمْتَدَّةً شَمَالاً إلى قُرْبِ وادِي عُنَيْزَةَ ، وعَرِجَةُ ـ وقَدْ أَصْبَحَتْ هِجْرَةً مَسْكُونَةً ـ تَقَعُ غَرْبَ جَبَلِ غُرْب وحَقِيلِ غَرْبَ الطَّرَفِ الجَنُوبِيِّ من الصُّفْرَاء ، وأَضَاخُ ـ بَلْدَةُ الآنَ ـ تَقَعُ شمالَ عَرِجَة ، والنَّشَّاشُ غَرْبِها . أَمَّا حَلَّةُ النِّبَاجِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْهَجَرِيُّ فَتُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ صَفْرَاءِ الأَسْيَاحِ ـ النِّبَاجُ هُوَ الأَسْيَاحُ الآنَ ، وصَفْرَاؤُهُ أَرْضٌ خَشِنَةٌ ـ قُفٌّ أَحْمَرُ ـ تَمْتَدُّ هَذِهِ الصَّفْرَاءُ مِنْ قُرْبِ بَلْدَةِ الطَّرْفِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهَا نَحْوَ الشَّمالِ حَتَّى تُوَزِي عِرْقَ النَّوَاظِرِ غَرْبَ النُّفْنا (أَيْ مِنْ قُرْبِ خَطَّي الْعَرْضِ ٤٥/٢٦° إلى ٢٥/٢٧° وبِقُرْبِ خطّ الطُّول : ٤٠/٤٣° و ٣٠/٤٤°م) .

(١) أَوْرَدَهُ نَصْرٌ بِبَابِ الجيم (بَابُ جُلْب وحَلَب) . ←

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

ملاحظة وتعقيب حول كتاب :

«العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد»

ورد في كتاب «العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد» للشيخ عبدالله ابن سليمان بن مَنيع القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة في صفحة (٢٧ ، ٢٨) ما نصه :

(وأما زيد فالذي يتناقله الخلف عن السلف أنه جاء من الجنوب إلى مكة المكرمة فصار من أتباع شريف مكة ، وكان ذا طموح ، فخاف شريف مكة فأبعده فخرج إلى نجد وصار يتنقل من بلد إلى آخر حتى استقر به المكان في شقراء

← يُنْسَبُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ لَامٌ سَاكِنَةٌ ـ: مِنْ مَنَازِلِ حَاجِّ صَنْعَاءَ عَلَى طَرِيقِ تِهَامَةَ .

---

(٢) قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ : الْبَلَدُ الْمَعْرُوفُ مِنْ قِنَّسْرِينَ ، مِنَ الثُّغُورِ الْجَزَرِيَّةِ . انتهى . وَمَدِينَةُ حَلَبَ مِنَ الشُّهْرَةِ بِمَا يُغْنِي عَنِ الْكَلَامِ فِي تَعْرِيفِهَا الَّذِي أَلَّفَتْ عَنْهُ الْمُؤَلَّفَاتُ ، وَأَطَالَ يَاقُوتُ الْكَلَامَ عَنْهَا فِي «معجم البلدان».

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : أَمَّا بِضَمِّ الْجِيمِ وَسُكُونِ اللَّامِ ـ: مِنْ مَنَازِلِ حَاجِّ صَنْعَاءَ عَلَى طَرِيقِ تِهَامَةَ بَيْنَ الْجَوْنِ وَجَازَانَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْخَسُوفُ . وَفِي «معجم البلدان»: جُلْبُ اسْمُ وَادٍ بِتِهَائِمِ الْيَمَنِ ، لِبَنِي سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ، بَيْنَ الْجَوْنِ وَجَازَانَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْخَسُوفُ . وَفِي رَسْمِ (الْجَوْنِ) لَمْ يَرِدْ لِلْمَذْكُورِ هُنَا ذِكْرٌ ، وَكَذَا الْخَسُوف بِالسِّين ، وَلَكِنْ وَرَدَ (الْخَصُوفُ) بِالصَّادِ ـ: قَالَ ابْنُ الْحَائِكِ : الْخَصُوفُ قَرْيَةٌ لِحَكَمٍ عَلَى وَادِي جُلْبَ بِالْيَمَنِ ، وَبِهَا أَشْرَافُ بَنِي حَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ . وَابْنُ الْحَائِكِ هُنَا يَعْنِي الْهَمْدَانِيَّ صَاحِبَ كتاب «صفة جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» الَّتِي تَكَرَّرَ فِيهِ ذِكْرُ الْخَصُوفِ وَلَكِنَّ اسْمَ (جُلْب) بِالْجِيمِ ـ صَوَابُهُ خُلْبُ ـ بِخَاءٍ معجمة مَضْمُومَةٍ بَعْدَهَا لَامٌ مَفْتُوحَةٌ فَبَاءٌ تَحْتِيَّةٌ مُوَحَّدَةٌ ، وَهُوَ اسْمُ وَادٍ مِنْ أَشْهَرِ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ ، يَمُرُّ بِهِ طَرِيقُ الْحَاجِّ بَيْنَ مَرْحَلَتَيْ حَرَضٍ وَعَثَّرَ ، وَقَدْ أَوْفَاهُ الْهَمْدَانِيُّ تَعْرِيفًا ، وَفَاتَ صَاحِبَ «مُعْجَمِ البلدان» ذِكْرُهُ ، وَكَذَا صَاحِبُ «معجم ما استعجم» قَبْلَهُ وَلَا يَزَالُ وَادِي خُلَبَ مَعْرُوفًا ، يَقَعُ شَمَالَ وَادِي حَرَضٍ بَيْنَهُمَا وَادِي تَعْشَر ، وَبَعْدَ خُلَبَ وَادِي الْقَمَا ثم وَادِي جازَانَ ـ وَكُلُّ هذِهِ الْأَوْدِيَةِ فَصَّلَ الْكَلَامَ عَنْهَا الْهَمْدَانِيُّ فِي «صفة جزيرة العرب» وَيَقَعُ وادي خُلَب بِقُرْبِ خَطِّ الْعَرْضِ ١٦/٣٨° . وَبَيْنَ خَطَّيِ الطُّولِ : ٤٢/٢٥° و٤٣/٢٠° .

عند أميرها ابن مُعَيْقِل الشمري فوثق الأمير به وقربه لديه حتى صار يُنيبه في الإمارة عند سفره ، فبلغ ذلك شريف مكة فأرسل إلى أمير شقراء ابن مُعَيقل يحذره من طموح زيد وخطره عليه وقال في الرسالة : (ابْد بزيد قبل يبْدَى بك) فصارت مثلاً . وقد وقعت الرسالة في يد زيد فثار على الأمير ابن مُعَيْقِل وطرده من شقراء وحكمها ومن ذالك الوقت وإمارة شقراء في يد بني زيد فكان من الحراقيص فيها جملة أمراء ومن الغيهب والعيسى والسدحان كذالك ولم يتأمر فيها من ملكها زيد إلى أن صارت الإمارة وظيفة تسند إلى منسوبي وزارة الداخلية لم يتأمر فيها طوال هذه المدة أحد من غير بني زيد .

وهناك رواية أخرى تقول : بأن أحد أبناء ابن مُعَيْقِل كان حاجًا فاتصل بشريف مكة للسلام عليه ، وجرى الحديث بينهما عن شقراء وإمارتها فحذره من زيد وخطره عليهم ، فأرسل ابنُ مُعَيْقِل إلى أبيه في شقراء رسالة يحذره من زيد ويشير عليه بطرده ، وقال فيها : (ابْد بزيد قبل يبْدَى بك) فوقعت الرسالة في يد زيد فثار زيد عليه وطرده ثم حكم شقراء ولعل هذه الرواية أقرب لانسجامها مع اللهجة النجدية والله أعلم) . انتهى مافي الكتاب .

وتعليقي على ماورد . . . وبالله التوفيق :

من المعلوم أن العرب أهل جميل واحسان ، والغدر ليس من طبائعهم ، وماورد عن زيد وخطره في الرسالة . . . يُوحي بأنه طريدَ عَدَالةٍ . وواقعه الذي وصل إليه من الامارة عند صاحب شقراء يدل على غير ذالك . وإلاَّ فأين فِرَاسَةُ العرب وخِبرتهم بالرجال ، وإنه لمن غير المعقول أن يصل زيد إلى شقراء ويحظى بهذه المنزلة عند أميرها دون أن يكون له أسباب وجيهة ، ولاسيما أن ابن مُعَيْقِل رجل ثقة وحنكة ، وله في أهل شقراء مكانة عالية . . ولم يعرف عنه التستر على المطرودين أو محاباته لهم أو تقريبهم . . كذالك كانت اقامته بين الناس حسنة ، ولم يكن هناك تضجر من إمارته ، وإنه من غير المعقول أن يصلَ زيدٌ للإمارة بهذه السهولة ، وينصب نفسه أميراً برضا أهل شقراء . . ولو سلمنا جدلاً أن زيداً هذا تسلم مقاليد الإمارة بفعلته . . فأين الحاكم ؟! وهل تؤخذ الحصون عنوة ويقر

الحاكم بها . . ولا يرسل لنجدة الأمير التابع له من يساعده في الخلاص من زيد ؟

ولو تأملنا القصة التي وردت في كتاب الشيخ عبدالله بن منيع لاتضح لنا أن القصة غير واقعة . . إذ لا يليق بشخص أُحْسِنَ إليه أن يفعل في حق من أحسن إليه ما ينكره الشرع والعرف ، وعادات العرب وتقاليدهم ، من أجل رسالة وقعت في يده لا يدري مدى صحتها فربما تكون من حاقد أو حاسد .

وأورد هنا بعض ما ذكره مؤرخو الجزيرة في واقع امارة ابن معيقل لتؤكد بأن زيداً لم يتول الإمارة هو وبنوه من بعده كما أشار إلى ذالك الشيخ عبدالله بن منيع في كتاب «العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد» .

فقد ورد في كتاب الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله تعالى «عنوان المجد في تاريخ نجد» في أحداث السنة الثامنة بعد المئتين والألف ، مايلي : (وفي هذه السنة سار عبدالله بن محمد بن معيقل صاحب بلد شقراء . . .) .

وفي أحداث السنة العاشرة بعد المئتين والألف ، مايلي : (وفيها سار محمد بن معيقل صاحب شقراء بأهل الوشم . . .) .

كما ذكر الشيخ حسين بن غنام رحمه الله تعالى في كتابه «تاريخ نجد» في أحداث السنة الثامنة بعد المئتين والألف ، مايلي : (وسار محمد بن معيقل أمير الوشم . . .) .

فقولهما صاحب بلد شقراء أو صاحب شقراء أو أمير الوشم يدل على أن آل مُعَيْقل هم أمراء شقراء في ذلك الوقت .

وما كتبت هذا الموضوع إلا بعد ما وجدت الشيخ عبدالله عفا الله عنه يستشهد بالقصة على أنها قصة وقعت فعلاً .

أرجو إذا كان عند الشيخ عبدالله ما ينفي قولي هذا أن يوضحه للجميع .

الرياض : عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن معيقل

حول الشاعر ابن أبي صبح المزني

وقد قرأت بشغف البحث الذي صدّرتم به العدد الصادر في الربيعين من هذا العام وهو عن عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني وكان قد ألقاه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة معالي الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي .

والأستاذ الرفاعي معروف بدقته وجلده ودأبه على البحث والتنقيب واستخراج مكنونات المعرفة من مخابئها وقد كشف هذا البحث الممتع عن شخصية شاعرة ظلت مغمورة في تاريخ الأدب .

وقد لفت نظري في البحث ماجاء منسوباً إلى الشاعر وهو : فقلت :

لو كنت أنساكم يـوماً نسيتكم إذ قال لي مصعب : لو شئت أجزاكا
خطان في شبر قرطاس يطير به منا جريٌ وتمضي قلت: كلاكا

ولي على هذين البيتين ملحوظات أرجو أن يتسع صدركم لبيانها :

الأولى : أن الشطر الأول من البيت الأول فيه كلمة زائدة يختل بها الوزن ولم يشر الأستاذ الرفاعي إلى ذلك عندما أورد البيتين أول مرة في الصفحة (٥٨٢) ولكن وردت إشارة إلى ذلك عندما ورد البيتان في قصيدة بالصفحة (٥٩٣) عند ذكر المصدر ولم يتضح لي أكانت الإشارة إلى الكلمة الزائدة من المصدر أم من الأستاذ الرفاعي .

الثانية : انه قد جاء في الصفحة (٥٩٣) أن الكلمة الزائدة في البيت هي كلمة : (فقلت) وأرى أن كلمة (فقلت) ليست زائدة بل هي من مقتضيات القصيدة المبنية على الحوار : قالت شميسة . . فقلت . .

أما الكلمة الزائدة فهي كلمة (يوماً) التي يختل الوزن بوجودها ولا يضار المعنى بحذفها .

فقلت : لو كنت أنساكمْ نسيتكم .

وفي هذه الحال ينبغي أن تكون ميم أنساكم ساكنة لا مضمومة .

الثالثة : جاء في البيت الثاني كلمة (وتمضي) وقد ضبطت في الصفحة (٥٨٢) بنون مفتوحة في أولها وضبطت في صفحة ٥٩٣ بضم النون .

ولكن جاءت الكلمة في سياق القصة في صفحة (٥٩٤) بتاء مثناة مفتوحة متبوعة بكلمة معنا (وتمضي معنا) .

ويغلب على ظني أن الصحيح هو : (وتمضي) بتاء مفتوحة على أنه قد يصح أن تكون بنون مفتوحة أما ضم النون فلا أرى أنه مناسب .

هذه الملاحظات أعرضها عليكم إسهاماً في طلب الدقة وتحري الصواب .

الرياض الفريق/ يحيى بن عبدالله المعلمي

لعل له عذرا

نبهني الأستاذ الكريم الدكتور يوسف شلحد إلى أنه وقع في موضعين من المجلة خطأ قد يكون من سهو رئيس التحرير ، وهو إيراد المثل (لعل له عذراً) بالرفع ، خلافاً لما هو معروف من قواعد النحو . فللأستاذ الدكتور يوسف الشكر ، ومن القراء ترجى المعذرة لوقوع هذا الخطأ .

آل قضيب من عائذ

أوضح لنا الأخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن قضيب بأن ماورد في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » - ص ٦٧٧ - : ونصه : آل قضيب (آل القضيبي) في الرياض من قحطان - ناقص بحاجة إلى زيادة تفصيل ، كأن يقال : آل قضيب وهم آل القضيبي من عائذ من عبيدة من قحطان .

ومن مشاهير هذه الأسرة علي بن محمد بن قضيب الذي قتله حسين بك رئيس عساكر الترك في مدينة ثرمداء سنة ١٢٣٦هـ ، بحيلة فصلها ابن بشر في تاريخه في حوادث تلك السنة .

مسلم اللحجي متى توفي ؟

لفت نظري وأنا أطالع الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين ص ٤٠٦ من مجلة : « معهد المخطوطات العربية » قول الأستاذ الدكتور عبدالله الشريف في الحديث عن مكتبة (قاريونس) في ليبية : (ومن مخطوطات هذا القسم : «السوابغ في شرح النوابغ» للزمخشري ، وكتاب «المثلين» لمسلم بن محمد اللحجي المتوفى سنة ٦٢٧هـ) . مع أن ياقوتا الحموي قال في «معجم البلدان» - رسم (لحج) - ما نصه : ومن لحج كان مسلم بن محمد اللحجي أديب اليمن ، له كتاب سماه «الأترجة» في شعراء اليمن، أجاد فيه، كان حيا في سنة ٥٣٠هـ . انتهى ، ولم يترجمه ياقوت فيما طبع من كتابه: « معجم الأدباء » .

أما الأستاذ عبدالله بن محمد الـحِبْشِـي فقد أرخ وفاته سنة ٥٤٥هـ[1] وكذا السيد الأستاذ أحمد بن محمد الشامي في كتابه «تاريخ اليمن الفكري»[2] أرخ وفاة مسلم بعام ٥٤٥هـ (١١٥١م تقريباً) .

وقال السيد الشامي : إن القفطي قد ذكره في «إنباه الرواة»[3] وذكر كتابه «الأترجة» ولم يشر إلى موضع ذكره في كتاب «انباه الرواة» ولكن لم يترجمه في كتابه المذكور ، وإنما ذكره عرضاً في ترجمة الحسين بن محمد بن خالويه بما هذا نصه[4]: وذكره اللحجي اليمني في كتاب «الأترجة» عند ذكره ابن الحائك اليمني ووصف شعر ابن الحائك وقال : ومن الشاهد على ذالك أن الحسين بن خَالَوَيه الإمام لما دخل اليمن ونزل ديارها ، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك ، وعُنِـيَ به ، وذكر غريبه وإعرابه .

قلت : ولم أعلم أنَّ ابن خَالَوَيْه دخل اليمن إلا من كتاب «الأترجة» هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود ، اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والإسلام ، إلى قريب من زماننا هذا ، وما رأيت به نسخة ولا من ذكره ، إلا نسخة واحدة في كتب الوالد ، أُحْضِرَتْ بعد وفاته من أرض اليمن . انتهى كلام القفطي .

لاشك أن ما ذكر الدكتور عبدالله من أن وفاة اللحجي كانت سنة ٦٢٧هـ لا يتفق مع ما ذكر المؤرخان اليمنيان السيدان الحِبْشِي والشامي ، ومن المستبعد أن يكون اللحجي عاش إلى تلك السنة التي ذكرها الدكتور عبدالله ، وياقوت الحموي مؤلف «معجم البلدان» توفي قبل تلك السنة بعام واحد .

ولو لم يكن فيما ذكر الدكتور عبدالله الشريف عن اللحجي سوى إفادته بوجود مؤلف له كان مجهولا وسماه «المثلين» وهو اسم تدعو غرابته للتثبت من صحته ، ولن يعوزه ـ رعاه الله ـ ذالك ، ولا مراجعة صحة تاريخ وفاة اللحجي لتعم الفائدة ببحثه الممتع بما يضيفه من معلومات عن هذا الأديب الذي لا يزال الغموض يكتنف جوانب من حياته .

ثم نشرت «أخبار التراث» جزء المحرم ١٤٠٩هـ أن أحد الطلاب حصل على درجة (الماجستير) عن تحقيقه كتاب «المثلين» لمسلم اللحجي المتوفى ٥٤٥ .

الحواشي :

(١) «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن»: ٤٠٥ .
(٢) ٤٩٥/١ (٣) ٤٩٤/١ (٤) ٣٢٦/١ .

الشّيْعُ ليس الشيح

كنت ذكرت في إحدى ملاحظاتي على طبعة كتاب «تاج العروس» ـ التي أصدرتها وزارة الاعلام في الكويت ، عن كلمة (الشّيع) لَعَلّها (الشّيْح) وبعد مرور وقتٍ أُنْسِيت موضع تلك الملاحظة ، فنبهني الأخ الشيخ حسين بن جُريس أَنّ الشّيْعَ شَجَرٌ لايزال معروفاً ـ وهو بفتح الشين ، وإسكان الياء ـ وهو أَشْبَهُ مايكون بالرِّمْثِ ، ينبت في بطون الأودية ، ويكثر في أَوْدِيَةِ بلاد الأفلاج ، وأهل البلاد يوقدون به النار ، وورقه يشبه ورقَ العرفج ، ذُوْ أَغْصَانٍ دَقيقة ، ورقها مُؤَلَّلُ الأطراف ، ثم رأيتُ في كتب اللغة نقلاً عن أبي حَنيفة الدِّيْنَوَرِيّ : الشَّيْعَةُ ـ بالفتح ـ شجرةٌ دون القامةِ لها قُضْبان ، فيها عُقَدٌ وَنَوْرٌ أحمر صغير ، تجرسها النحل وعسلها طيب الرائحة . انتهى .

آل ملحم من العُبيَّات من واصل ثم من بريه من مطير

ورد إلى «العرب» من حضرة صاحب المعالي الدكتور محمد بن عبداللطيف الملحم ماخلاصته :

الذي دعاني لتوجيه هذه الرسالة إليكم هو الاستجابة لما نوهتم عنه أكثر من مرة في مجلة العرب الغراء قبل وبعد صدور مؤلفكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» من أنكم ترحبون بأي تنبيه عن نقص أو خَطَإٍ ورد بمؤلفكم القيم . وما نوهتم عنه أكثر من مرة يدل على تواضعكم الجم . وهذا ليس بمستغرب منكم .

وانطلاقاً من هذا ، أود الأفادة بالتالي :

ورد بمؤلفكم القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» (الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ الموافق لعام ١٩٨١م ، القسم الثاني ، ط - ي) صفحة (٨٧٠) والطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ ص ٨٠٨ عن أسرتي ما يلي :

(آل ملحم في الاحساء نزحوا من الجزعة ، قرب الرياض من بُرَيْه ، من مطير) .

وكل ما أوردتموه بمؤلفكم النفيس من معلومات عن أسرتي صحيح إلا أنها معلومات مجملة تحتاج إلى شيء من التفصل . ولتفصيل ما أجملتم فإنني أرغب ، إذا تكرمتم ، أن تكون المعلومات عن أسرتي في أية طبعة جديدة لمؤلفكم المذكور هي كما يلي :

(آل ملحم في الاحساء نزحوا من الجزعة، قرب الرياض، وهم من الجعاوين أحد قسمي العُبيَّات من واصل من بريه من قبيلة مطير) .

ولقد استهدفت من هذه المعلومات تَلافيَ خطأ ورد بصفحة (٣٤) من القسم الأول من كتاب «تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد» للشيخ محمد آل عبدالقادر في طبعته الأولى وطبعاته المتتالية والتي كان آخرها طبعة عام ١٤٠٢هـ الموافق عام ١٩٨٢م والتي أشرفتم على طباعتها والتعليق على بعض حواشيها .

والخطأ الذي ورد «بالتحفة» كان ضمن النص التالي :

(آل ملحم ينتمون إلى البرهان البطن المشهور في قبيلة مطير جماعة أبي الشويربات).

وبالنظر إلى عدم دقة ماورد بكتاب «تحفة المستفيد» من أن آل ملحم من جماعة أبي الشويربات حيث أنهم ، كما هو معروف ، من العبيات .

وانطلاقاً من المبدأ القائل «الناس مؤتمنون على أنسابهم» . فلقد أحببت تحرير هذه الرسالة لكم وذلك بغرض :

١ ــ نشرها في مجلة «العرب» .
٢ ــ واعتماد المعلومات التي أوردتها أعلاه عن أسرتي عند اعادة طباعة مؤلفكم القيم «الجمهرة» .
٣ ــ وتصحيح النص الوارد بصفحة (٣٤) من القسم الأول من كتاب «تحفة المستفيد» وذلك وفقاً لما أثبته أعلاه في أية طبعة جديدة تنوون القيام بها بواسطة مكتبة المعارف بالرياض ومكتبة الأحساء الأهلية بالاحساء .

و«العرب» تتمنى ـ وقد نشرت التصحيح أن يتمكن القائمون على نشر كتاب «تحفة المستفيد» من الأخذ به ، إذ نشر ذالك الكتاب لا صلة لصاحب هذه المجلة به ، وهو يَعِدُ بإدراج هذا عند إعادة طبع كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» إن شاء الله .

قبيلة بلحارث بن كعب

نشرت «العرب» س ١٧ ص ٦٢٩ ـ كلمة حول (بلحارث) المقيمين في نجران بطريقة لم يقصد منها إلاّ تسجيل ماشاهده الأخ الكاتب وما تلقاه عمن اجتمع به في تلك البلاد .

ويظهر أن ما نشر أثار حفيظة بعض أحبابنا واخواننا من بني الحارث ، فورد من أحدهم وهو الأخ محمد بن حمد بن عيان بلحارث كتاباً يحوي عتباً شديد

اللهجة حول ما نشر كما يتضمن سَرْداً لمآثر قبيلة بني الحارث بن كعب ، القبيلة المعروفة التي قلَّ أن يوجد كتاب في تاريخ العرب لم يتعرض لذكرها والإشادة بمشاهيرها وبمواقفها التاريخية ، فأجبت الكاتب المذكور بأن تاريخ بلحارث القديم من الأمور التي لا يجهلها من يعنى بالتاريخ ، ولكن المطلوب ذكر فروع قبيلة بني الحارث التي تقيم الآن في نجران وبيان صلتها بالقبائل الأخرى ـ صلة قربى أو مصاهرة أو حلف ـ أو غير ذالك ، مع ذكر فروع هذه القبيلة (بني الحارث) فما كان منه إلا أن أرسل إليَّ ما سأذكر خلاصته فيما بعد مرفقاً به كتاب الشيخ حمد بن أحسن بن سلطان بن منيف شيخ شمل قبائل جُشَم يام في نجران جاء فيه : إن ما نشرته «العرب» عن قبيلة بلحارث معلومات غير صحيحة تسيء إلى سمعة القبيلة التي هي جزء من قبائل جشم يام . وطلب تصحيح ما نشر .

وعلى ذكر الشيخ ابن منيف تحسن الاشارة إلى أن العلامة عبدالرحمن بن حسن البهكلي قال في كتاب «نفح العود» وهو يتحدث عن شيخين من مشايخ يام هما جابر بن مانع بن مذكور من آل فاطمة من هبرة ، والثاني عبدالله بن حسين بن نصيب من مواجد بن مذكر . ويزعم أنه من ولد الحارث بن كعب أحد جمرات العرب كما قدمنا في هذا الكتاب ـ ص ١٥٥ و ١٨٩ ط دارة الملك عبدالعزيز .

وها أنا تحقيقاً لرغبة الإخوة من بني الحارث واستجابة لطلب الشيخ حمد بن أحسن بن منيف انشر ما بعث به الأخ محمد بن حمد بن عيبان بلحارث .

أما الشجرة فهي من الكبر بحيث لا تتسع صفحة المجلة لنشرها ، وهاهو خلاصة ما كتب به الأخ ابن عيبان :

اولاً : فروع قبيلة بني الحارث بن كعب : بعدما تعرضت هذه القبيلة لحروب ضارية وتكاتفت عليها قبائل كثيرة من خولان وبعض قبائل همدان وغيرهما تحت لواء الهادي إمام الزيدية باليمن يحيى بن الحسين ، نتج عن ذالك تفرق أفخاذ القبيلة في أنحاء متفرقة من الجزيرة ، وبقي منهم في منطقة نجران ثلاثة فروع ، وهم الذين يشكلون قبيلة بلحارث في نجران في الوقت الحاضر ، وهم :

أ ـ آل الشافعي .	ب ـ البطـون .	جـ ـ آل ثروان .

وكل فرع ينقسم إلى أقسام كالتالي :

آل الشافعي وهم بطنان :

أ ـ آل جابر ولهم ثلاثة أفخاذ هم :

١ ـ آل محمد بن جابر .	٢ ـ آل شنيط .	٣ ـ آل موسى .

ب ـ آل فهيدان هم :

١ ـ آل زعرر .	٢ ـ آل عمي .	٣ ـ آل سنبل .

البطون وهم بطنان :

أ ـ آل العنثري وهم : ١ ـ آل زاهر .	٢ ـ آل هادي .

ب ـ القطعان وهم : ١ ـ آل هشلان .	٢ ـ آل حسين .

آل ثروان وافخاذهم هي :

١ ـ آل دغفان .	٢ ـ آل حزية .	٣ ـ آل عكان .

هذه بطون وأفخاذ بني الحارث المذكورين ، وهناك أفخاذ وفصائل عديدة واكتفينا بالاختصار .

أما عن منازل قبائل بني الحارث بن كعب بنجران فكما هو معلوم أن بني الحارث هم أهل نجران الأصليون كما هو مدون في كتب التاريخ ، إلا أنه قد انحصر وجودهم في المنطقة الجنوبية من وادي نجران وبالخصوص في منطقة (القابل) التي فيها مدينة الأخدود الأثرية ، بالإضافة إلى اشتراك قبيلة بني الحارث ابن كعب في جميع بلاد آل الهندي بمعدل الخمس ، أي أن قبائل آل الهندي خمس قبائل ومنهم قبيلة بني الحارث بن كعب .

والمقصود ببلاد آل الهندي جميع الأراضي الممتدة من أعالي الجرية حتى صحراء الربع الخالي ، والتي تم توزيع الأراضي البور فيها على المواطنين بشكل عام ، من

قبل الدولة حفظها الله .

ثانيا : عن اتصل ومحالفة وتزاوج قبيلة بلحارث مع القبائل الأخرى :

قبيلة بني الحارث بن كعب في الوقت الحاضر رغم التزامها بأصولها الضاربة بعمق التاريخ إلا أنه مع تقلبات الأمور وتغير الظروف المحيطة فإن هذه القبيلة قد أصبحت جزءاً من قبائل آل المندي حيث يتكون آل المندي في الوقت الحاضر من (بلحارث - آل منصور - آل خميس - آل سليمان - آل حسن) وتجتمع قبائل آل المندي مع قبيلة الصقور في ذهل ، كما أن بني ذهل يجتمعون مع بني سلمان في جشم ، وكبيرهم جميعاً الشيخ حمد بن أحسن بن منيف .

وتجتمع قبائل جشم مع قبيلة مذكر في يام وبذالك فإن قبيلة بلحارث في تعاملها ونسبها تعتبر من قبائل يام كوضع حلف اتصف مع مرور الزمن بصفة الاندماجية الكلية ، وبذالك فإن قبيلة بلحارث تربطها بجميع قبائل يام رابطة النسب والتصاهر كما تربطها بقبائل همدان والقبائل الأخرى المجاورة لقبائل يام .

بقيق : محمد بن حمد بن عيبان بلحارث

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر» :

أسـر معروفة لم يرد ذكر أنسابها

أتقدم لكم بالشكر الجزيل لما قمتم به من تأليف كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» . ولكي لا أطيل عليكم فإني أتقدم ببعض الإيضاحات تجاه بعض الأسر وبعض الأسر التي لم تذكر في الكتاب شاكراً جهدكم العظيم حتى خرج ذلك الكتاب :

١ ـــ آل جَفَّال :

ذكرتم في كتابكم أنهم من عَنَزَة نقلاً عن مجلة «العرب» في بحث نشر ولكني اود أن أوضح أن آل جفال في الرياض (صياح) من سُبَيع ، وهذا معروف لدى أسر صِيَاح ، وسألت وتأكدت أنهم من سُبيع .

٢ ـ آل عُثَيْم في بريدة :

لم يُذكروا حيث أنهم من النجادا (آل نجيد) من المصاليخ من عنزة .

٣ ـ آل عُثمان في عرقة :

هم بنو عُثمان بن حمد بن عبدالله الهلالي ذكر ذالك لي الشيخ محمد بن عبدالله ابن محمد بن عثمان وهم في عرقة والرياض .

٤ ـ آل شجاع اسرة صغيرة في الرياض :

من آل حمدان من الفرجان من آل حسن بن صهيب من الدواسر .

٥ ـ آل مسَّاح ، اسرة في الرياض :

من بني خالد انقرضت آخرها امرأة اسمها الجوهرة أخوالها آل بكر أهل الرياض ، وفرع أخوالها من آل بكر انقرض أيضاً آخرهم امرأة توفيت قبل عشرين سنة .

٦ ـ آل ابو هلال في المصانع في الرياض :

من آل أبي هلال من المزاريع من تميم وهم غير الهلالي أهل عرقة وهم بنو عبدالله بن محمد أبو هلال .

٧ ـ آل دُخَيِّل في الرياض :

من (أبا الحسَن) من المساعرة من آل صُهيب من الدواسر قال لي ذالك الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن دُخَيِّل وهو خال والدي .

٨ ـ آل صالح في الرياض اهل الباطن والعُيَيْنَة من عنزة :

وهم غير أهل المجمعة ، أو أهل العمارية .

٩ ـ آل شِلْحَاط من العجمان في الرياض .

١٠ ـ آل سِعْدَا :

بفتح الدال ـ في الخرج والرياض من العجمان .

١١ ـ آل جُعَيْدان :

في المصانع في الرياض من الدواسر .

١٢ ـ آل بَكْران :

في ضرما من عنزة .

١٣ ـ آل تُرِيكي في الرياض :

من عنزة وهناك غيرهم في الرياض (خضيرية) .

١٤ ـ آل سَجَا في الرياض وضرما :

من عنزة .

١٥ ـ آل هتلان في الخرج :

من الدواسر .

١٦ ـ آل سعدون في الرياض :

من أهل الزبير من بني المنتفق .

١٧ ـ آل الدُّوَيْسِري في الرياض :

من عنزة ، ويعرفون بآل ابن تركي والدويسري لقب غلب عليهم .

١٨ ـ آل الدويسري في الرياض ايضا :

من الحقبان من الدواسر .

١٩ ـ آل مُبَدَّل [المباديل] :

ورد ذكرهم في الطبعة الأولى من الكتاب لكن الطبعة الثانية لم يرد ذكرهم فيها [العرب : ذكروا في «العرب» س ٢٤ ص ٤٢١].

٢٠ ـ آل رُمَيْزان في الرياض :

من آل أبي سعيد من المزاريع من تميم .

٢١ ـ آل الحقباني :

أهل الرياض حيث قدم جدهم علي بن محمد الحقباني على رأس القرن الرابع عشر الهجري وهم سكان القُرَيّ في الرياض قديماً .

٢٢ ـ آل خالد في الرياض :

هم بنو صالح بن محمد بن عبدالله بن محمد بن خالد من الجبور من بني خالد حيث أن آل خالد هم أخوالي .

٢٣ ـ آل العُقَيْليّ :

كنيتهم في الزلفي من عنزة قال لي الشيخ عبدالعزيز بن سعود بن محمد العقيلي أنهم من آل وطبان بن ربيعة بن مرخان المريدي وقال أنهم أصلاً في الدرعية ـ يقصد آل وطبان ـ ثم في الزلفي ثم لُقب جدهم محمد بالعقيلي لأنه من رجال العُقيلات ، وهاجروا من الزلفي إلى الكويت وآخرون إلى حائل وهم فيها إلى الآن وبعضهم عاد إلى الرياض منذ زمن .

٢٤ ـ آل بَكْرٍ في الرياض :

هم أبناء بكر بن علي بن عُمر بن حمد بن عمر بن حمد بن غَشّام بن مُسْلَط بن رُمَيزان بن سعيد بن مزروع من بني حَمّاد بن الحارث من بني محرب بن صلاءة بن عبدة بن عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم .

ومزروع قدم إلى سدير عام ٧٩٠هـ تقريباً وهناك قصص تفيد انتقال مزروع من العراق أو أحد أجداده ومنها قصته مع الدوشان ـ آل الدويش ـ من مطير حيث قتلهم هو وبعض بنيه في منطقة تعشار ورماهم في قلبانها .

وسميت بعد ذلك بأم الجماجم ، وفي هذا يتساءل الشيخ عبدالله بن خميس عن سبب تسميتها بأم الجماجم .

وبدلاً من ذهاب مزروع إلى سدير توجه إلى حائل (قفار) مع بني العنبر حيث

أنهم هاجروا من سدير إبان حكم بني الأخيضر إلى قفار والآخرين التحقوا ببني عَمْرو ، في العراق وعادوا إلى سدير فيما بعد ، ومنهم مزروع بـن رفيع بن حُميد بن حَمّاد يرجع إلى بني حَمّاد الذين ذكرهم الهمداني . وكافة أسر بني العنبر في سدير وقفار والقصيم من بني حَمّاد . كما قال لي ذلك جدي .

أما غشام بن مسلط بن رميزان بن سعيد بن مزروع فقيل لي إن أبناءه حَمَد ومنه عائلتنا ، ورميزان حاكم سدير قال لي جدي : إن رميزان لا عقب له ، وسعيد بن غَشّام وهو جد آل أبي سعيد أهل عُمَان هاجر بنوه الثلاثة بعد مقتل عمهم رُمَيزان إلى الأحساء ثم عُمَان مع بني عمهم مزاريع عُمَان [العرب: آل أبي سعيد الذين منهم سلاطين عمان تكاد تجمع المؤلفات العمانية التي بين أيدينا أنهم من الأزد من قحطان] وقد ذكر مؤلف «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» أن لرميزان أخ اسمه رشيدان في الأحساء .

أما عُمر بن حمد بن عمر بن حمد بن غشام فزوجته مريم السيّاري الخالدي له ابنان هما حمد وعلي فأما حمد فله عبدالله ـ جد آل حَمَد ـ كما ذكر ذالك في ورقة قديمة كتبت حوالي عام ١٣١٤هـ . وأما علي بن عمر فله محمد وحمد وهديب وراشد وبكر . فأما حمد وهديب وراشد فليس لهم عقب . وأما محمد فمن عقبه إبراهيم بن علي بن محمد بن علي بن عمر ولا ندري هل له عقب أم لا .

وأما بكر بن علي فمنه آل بكر ، قدموا من عَوْدَةِ سُدَيْرٍ إلى العيينة بعد قتل عبدالرحمن بن بكر لزامل بن مسيفر بن دباس الدوسري ـ حيث كان ظالماً لبني تميم ـ عام ١٢٣٥هـ عند ابن معمر ثم رآهم الإمام تركي وكافأهم على قتلهم لِشَرِّ عَدُوٍّ له بأن أعطاهم أملاك دهام بن دوّاس في صياح وهي شرق صياح .

ومن آل بكر الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البكر قتل عام ١٣٠١هـ في معركة (أم العصافير) كان يعده الإمام عبدالله بن فيصل بمئة فارس ، وكان إذا مُرِض أو أُصيبَ عاده وأرسل إليه طبيبه الخاص . وهناك عبدالله بن تركي بن عبدالله بن تركي البكر قتل عام ١٣٣٣هـ في معركة كنزان مع الأمير سعد بن

عبدالرحمن رحمهما الله . وهناك تركي بن عمر البكر كان أميراً للمجمعة من قبل ابن رشيد ثم كان على مقدمة جيوش الملك عبدالعزيز في فتح حائل ونجْران ، وهناك جدي رحمه الله الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد البكر المولود سنة ١٢٩٨هـ والمتوفى سنة ١٤٠٩هـ رحمه الله كان على مقدمة جيوش الملك عبدالعزيز حضر ٢٩ وقعة منها فتح الاحساء ووقعة السبلة وغيرها طلب منه الملك عبدالعزيز أن يكون أميراً للمجمعة أو شقراء فرفض رحمه الله . وهناك عمر بن إبراهيم بن عمر البكر وعبدالله بن محمد البكر وعلي بن عبدالرحمن بن عبدالله البكر حضروا مع الملك عبدالعزيز وقعات عدة .

أما عن سبب وجود آل بكر في حائل فهو بسبب خلاف بين عمر بن تركي البكر والإمام عبدالله بن فيصل رحمهما الله بسبب واشٍ ظالم فذهب عمر إلى حائل وقد عاد أكثر بنيه وأحفاده فيها بعد قبل فتح الملك عبدالعزيز وبعده . ولم يبْق إلاّ القلّة وهناك أناس من آل بكر في رأس تنورة والدمام والجبيل .

وهناك آل هديب من آل بكر وهم بنو عبدالله [الملقب هديب] بن إبراهيم بن بكر يعرفون كذالك عند أهل الرياض لكن في بطاقاتهم و«حفائظ نفوسهم» يسمون آل بكر مثلهم مَثَل آل زيد من آل سليمان في الرياض .

هذا وآمل أن لا أكون قد أطلت عليكم بالكتابة ، ولكني رجوت من ذلك هو اعطاؤكم مزيداً من المعلومات والإيضاحات عن بعض الأسر .

الرياض   عبدالله بن سعد بن عبدالرحمن البكر

حول «جمهرة أنساب الأسر» :

أسرة الزّغابا (آل الزّغيبي)

١ ــ جاء في كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عن أسرة الزغابا أنهم من آل علي من الظفير .

وسبق أن أكّد كبار آل علي والزغابا أنّهم ليسوا من بعض(١).

وكان ردكم على ذالك أنه سيلاحظ عند إعادة طبع الكتاب إلا أنّ شيْئاً من ذالك لم يحدث .

٢ ـ الزغابا ينتسبون إلى قبيلة المنتفق ، وهم أبناء عم لآل سعدون ، وإن زغيبي وشبيب أبناء عمومة . وقد أجمع الآباء في نقلهم عن الأجداد على نسبنا إلى قبيلة المنتفق ، وقد نقلتُ ذالك عن أكثر من عشرين رجلاً من كبار السن في الأسرة ، ولم يذكر لي أحد منهم نَسباً إلى غير المنتفق ، وممن نقلتُ عنهم ذالك :

١ ـ والدي عبدالرحمن بن ناصر بن صالح الزغيبي (١٣٢٤هـ/١٤٠٥هـ) نقلاً عن الجد صالح بن حمد بن منصور الزغيبي (١٢٥٠هـ/١٣٥٤هـ) .

والشيخ إبراهيم بن ناصر بن صالح الزغيبي (١٣٢٩هـ/١٣٩٧هـ).
والعم حمد بن إبراهيم بن حمد الزغيبي (١٣١٩هـ/١٤٠٩هـ) نقلاً عن والده.
والعم حسن بن منصور بن صالح الزغيبي نقلاً عن والده.
والعم عبدالله بن صالح بن ناصر الزغيبي نقلاً عن والده وقد نقل عنه ذالك الشيخ حمد الحُقَيْل في كتابه «كنز الأنساب».

ومما يدل على أن زغيبي وشبيب أبناء عمومة اجتماعهم في كبش بن منصور بن جماز ، فلقد ذكر النسابةُ نسب آل سعدون أنهم أبناء (سعدون بن محمد بن شبيب ابن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك بن سعدون بن إبراهيم بن كبش بن منصور ابن جماز)(٢).

وآل الزغيبي هم أبناء (زغيبي بن عميرة بن سبع بن حوارش بن سلوفي بن هدف بن كبش بن منصور بن جماز)(٣).

ومع أنه يوجد انقطاع بين الجد الجامع للأسرة في القصيم وبين زغيبي المذكور إلا أن الانقطاع لا ينْفي نسبنا إلى السادة ، وهو موافق لرأي أغلب النساب وأما نسبنا إلى المنتفق فهو بالحلف فقط .

وأما ما توهمه بعض النسابة في نسبنا إلى الظفير فليس بصحيح ويؤيد ذالك :

١ ـ إجماع الآباء في نقلهم عن الأجداد أننا ننتسب إلى المنتفق .
٢ ـ ماسبق أن أكّده كبار آل علي وكبار الزغابا أنهم ليسوا من بعض (والناس مؤتمنون على أنسابهم).
٣ ـ كونه مخالفاً لرأي أغلب النّسّاب .

هذا ما أحببت ايضاحه لكم راجياً أن ينال اهتمامكم .

الرياض عبدالله بن عبدالرحمن بن ناصر الزغيبي

الحواشي :

(١) مجلة العرب ج ٣ ، ٤ رمضان/شوال ١٤٠٣هـ تعقيب عبدالله بن أحمد آل منيع .
(٢) كتاب «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» تأليف خليفة بن حمد النبهاني جزء ـ ١٠ ـ المنتفق وكتاب «مباحث عراقية» تأليف يعقوب سركيس تقديم محمد رضا الشبيي .
(٣) «زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول» تأليف علي بن حسن بن شدقم ط ١ ـ ١٣٨٠هـ .

آل محمد : آل منيع

لقد اطلعت على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» الطبعة المزيدة والمنقّحة صفحة (٧٢٧) وقد ورد فيها أن آل محمد في الزلفي من قحطان .

والصحيح أنهم آل محمد (آل منيع) أبناء محمد بن منيع من آل علي من آل عاصم من قحطان بموجب ماهو موضح في الصفحة رقم ٨١٥ من كتاب «الجمهرة» فأرجو تصحيح ذلك .

الرياض/ رئاسة تعليم البنات : عبداللطيف بن احمد المنيع

« العرب » : حُبًّا وكرامة عند إعادة طبع الكتاب إن شاء الله .

حول قبيلة خثعم :

بنو سعد وفروعها

لقد اطلعت على مجلة «العرب» ج ٧ ، ٨ س ٢٤ لشهر محرم وصفر لعام

١٤١٠هـ وما كتبه الأخ الفاضل عبدالله بن هادي الأكلبي حول قبيلة خَثْعَم وفروعها وبلادها ، وقد أثلج صدري وسرني كثيراً أن أرى من أبناء هذه القبيلة من يكتب عنها ويبين حقائق تاريخها ، عبر العصور القديمة فهي في حاجة إلى من يلقي الضوء عليها وعلى بلادها المليئة بالأخبار والآثار القديمة ، أمثال ذي الخلصَة ، والعبلاء وقصر سعد ، وقصر الشملان ، التي اندثرت أخبارها إلا في بطون أمهات الكتب ، واندفنت في صدور الرواة ، لإفتقارها إلى جهد الباحثين في إظهار معالمها التاريخية ، وقد تكلم أخي حول هذه القبائل وفروعها حتى وصل إلى قبيلة بني سعد الأكلبيَّة ، لكنه لم يذكر من فخوذها سوى (العواجين) و(الجذمان) وهذا يرجع لأنه في مقام الاستدلال لا مقام التفصيل ، فَخِفْتُ الالتباس على القارئ ، وأحببت إيراد فخوذها وهي :

١ ــ العواجين وهم ينتسبون إلى عَنَزة .
٢ ــ الذوبة وهم ينتسبون إلى الذوبة بشهران أهل وادي ابن هَشْبَل .
٣ ــ العنقان . ٤ ــ الجذمان .
٥ ــ العطْيان أهل الجُنينة ، وهم ينقسمون إلى فرعين كبيرين هما : المنافير ، والرغاوين .
٦ ــ السلسلة . ٧ ــ الوركان .
٨ ــ المصالة . ٩ ــ الهوادن : وهم ينتسبون إلى بني هاجر .

ومساكن هذه القبيلة تقع على جوانب الأودية الآتية :

١ ــ وادي بيشة : هذا الوادي الشهير سابقاً بكثرة الأُسود ، وتشابك أشجار الأثل والغابات قال حسان بن ثابت عندما شبه أصحاب الرسول ﷺ بأسوده :

كأنهم في الوغا والموت مُكْتَنِعٌ أُسْدٌ بِبِيْشَةَ في أَرْسَاغِهَا فَدَعُ

وقال عنه ياقوت الحموي . وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأُسد قال السمهري فيه :

وأنبئت ليلى بالغريين سلّمتْ عليَّ ودوني طِخْفَةٌ ورِجامُها

فإنَّ التي أهدتْ على نأي دارها سـلاماً لمردودٌ عليهـا سـلامُهـا
عديد الحصا والأثل من بطن بيشة وطرفائِهـا مادام فيهـا حَمَامُهَـا[1]

ويسكنون على جوانبه في سفالة بيشة بالـجُنَيْنَة ، والشقيقة والنقيع .

٢ ـ وادي تبالة : هذا الوادي الشهير الذي أخذ اسم بلدة تبالة المشهورة بتبالة الحجاج ، والتي مازال فيها آثار ذي الخلصة ، كذالك عُرِفَتْ فيها الظباء والغزلان قال امرؤ القيس في ذكرها :

كَنَـاعِمَتَـيْنِ من ظِبَـاءِ تَبَـالَـةٍ لَدَىَ جُؤْذُرَيْنِ أو كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ

وأورد ياقوت للقتال :

أوْ مُغْـزل ترعى بـأرض تبالـة أراكاً وسدراً نـاعماً مـا ينالُهـا
وتـرعى بها البـردَيْنِ ثم مَقِيلُها غيـاطِلَ، مُلْتَـجٌّ عليهـا ظـلالُهـا
بأحسن من ليلى وليـلى بشبهها إذا هُتِكَتْ في يوم عيْدٍ حِجَالُها[2]

وعلى جوانب هذا الوادي يسكن الشطر الأخير من هذه القبيلة .

ونرجع بعد هذا إلى بعض ماقاله الأخ عبدالله عن هذه القبيلة ، قال : (قد يكون في بني سعد لحم من قبائل أخرى مثل العواجين الذين يزعمون أنهم من قبيلة عَنَزَة، والعواجين هم أمراء بني سعد ، وليس لهم على ما يزعمون دليل) .

وأقول : إن هذا ليس بزعم بل هو حقيقة أثبتتها الأيام والتاريخ عبر أحقاب الزمن ، فالعواجين من قبيلة عنزة الشهيرة ، نزحوا منذ قديم الزمن بسبب شظف العيش وظروف الصحراء القاحلة التي أجبرت البدوي على التنقل والارتحال من مكان إلى مكان سعياً وراء المرعى ومساقط الأمطار ومنابع المياه في الأودية وسفوح الجبال ، ثم استوطنوا تهامة عسير . وهم عشائر متعددة ، منهم من نحن بصدد الحديث عنه عشيرة العواجي في بيشة ومنهم قسم آخر ذكره عمر رضا كحالة فقال : العواجين فرقة من عيال القرامسة إحدى عشائر معان الشامية . يقال إنهم نزحوا من تهامة وأصلهم من عشيرة العواجي[3]. وكل هذه العشائر تنتمي إلى

عائلة العواجي من الجعافرة من ولد سليمان من ضَنَا عُبَيْد من بِشْر من عنزة ، وهذه العائلة من مشاهير عنزة ، وفرسانها ، ولها رئاسة قبائل وِلْد سليمان ، ومن مشاهيرها في السابق . الشيخ مِشْلِّ العواجي والشيخ سعدون وأنجاله عقاب وحجاب اللذين ضرب بهما المثل في الشجاعة والفروسية قال عنهم محمد بن أحمد السديري رحمه الله : اشتهر ابْنَا سعدون العواجي عقاب ، وحجاب بين القبائل في الجزيرة حتى أن الناس إذ أُعجبوا بشخص أو عدد من الأشخاص يقولون : كأنَّ فلاناً عواجي أو كأن هؤلاء من العواجية ، نسبة إلى عقاب وحجاب ولازال هذا المثل سارياً في نجْد إلى الآن(٤).

تغَنَّى بامجادهم كثير من الشعراء قديماً وحديثاً .

ونرجع إلى مدار الحديث وهي العشيرة العواجية التي تسكن في منطقة بيشة وبالتحديد في سفالة بيشة وتبالة . وهؤلاء كما أسلفت فرع من عائلة العواجي من الجعافرة من وِلْدِ سليمان من ضنا عبيد من بشر من عنزة . لكنهم اليوم أحد فخوذ قبيلة بني سعد الأكلبية قال أحد شعرائهم :

حنّـا عـواجِـيْنْ سكنّـا بـبيشَـة والأصـل يرجـع في ولـد عَنّـازْ

ويقصد بعنّاز قبيلة عنزة الشهيرة .

وقال أيضاً في قصيدة أخرى :

حنّا عواجِينِ عوجنا على القـوم ولي صاحب أحلى من شراب الحليب

وهم الآن يتولون رئاسة قبيلة بني سعد المذكورة آنفاً ، وشيخهم اليوم الشيخ رهيف بن جطلي بن عاتق العواجي ، اتّصفَتْ هذه العشيرة بالفروسية والشجاعة كما هو معروف عن عشائر العواجي جميعاً . لهم بعض القصص الطريفة والأشعار الجمة مع القبائل المجاورة لهم أعرضت عن ذكرها خوف الأطالة والإسهاب والتي حدثت قبل انتشار الأمن وقيام الدولة السعودية في دورها الحاضر ، كذالك عرفت عنهم صفات الكرم والعطاء حتى ضرب بهم المثل القائل (عطية عواجي) ولا أعلق على المثل وانما أقول : إنه انتشر بين أهل الحجاز وقد يكون في نجْد ، قال

فيهم في العصر الحديث الشاعر سياف الصاري المزري قصيدته التي نقتطف منها هذه الأبيات :

لا دَاخْ رَاسي رِحْت يـمّ العَوَاجِينْ | فِنْجَـالهْم لِلخُرْم يقْعِـدْ اعْماسِـهْ
الهيل بيشرونه على العُسْر واللّيْنْ | والعودَ الأزْرق عندهـم والوناسه
مجالس ما سمّجُـوها السفَـاهينْ | أهـل النقيلي والـرّدَا والخـساسـه
وأنْ جَاء مِسَيِّر يذبحون الخرافين | وحليب خلفـات تخالَفْ طيـاسه
ولّيَا تَعلّوْا فوق مثل الشياهِـين | حريبهم في الضِّيق يرخُون راسه

هذا ما أردت إيضاحه حول ما نشره الأخ عبدالله وبالله التوفيق .

بيشة الكلية المتوسطة : محمد بن جرمان السعدي

الحواشي :

(١) «معجم البلدان» رسم (بيشة) .
(٢) «معجم البلدان» رسم (تبالة) .
(٣) «معجم قبائل العرب» ج ٢ ص ٨٤٩ .
(٤) محمد بن أحمد السديري أبطال من الصحراء ص ٩٨ .

آل حنتوش وآل فرحان

في أثناء زيارتي لشيخنا حمد الجاسر . أخبرني أنه قد ورد مقال من محمد بن ناصر آل فراج ، وله ملاحظات على مقالي : (أنساب أسر قبيلة سبيع في الحريق ونعام والحوطة والحلوة) مجلة «العرب» ج ١/٢ س ٢٤ - ص ١٣٤ .

فقلت : ان كان مصيباً فجزاه الله خيراً . فيجب أن تتضافر جهود عديدة من أجل خدمة هذا العلم الجليل .

وقرأت مقال الأستاذ محمد فوجدت أن ملاحظاته تنحصر في أربع نقاط هن كالآتي :

أ ـ قال محمد آل فراج : آل حنتوش وآل فرحان ليسوا من آل ختلان بل هم من النبطة من سُبيّع .

أقول : هذا الأمر سبق أن قال به أحمد بن علي آل سليمان في مجلة العرب

ج ٩ ، ١٠ س ٢٢ ص ٦٩١ وأيضاً ج ٧ ، ٨ س ٢٣ ص ٥٧٠ وأنا سأعرض عن هذا وليس لك إلا قول أصحاب الشأن (آل حنتوش وآل فرحان) وأتركُ لهم هذا الأمر .

ب ــ قال محمد آل فراج : جاء في مقال الأخ عبدالله ، أن آل إدريس من آل رميان من سبيع معتمداً في هذا على كتاب الحريق .

أقول : كلا لم أقل بذلك ، والذي قلته حرفياً : (آل إدريس : يسكنون نعام ، وقال الدبل : أنهم من آل رميان من سبيع وأن الحقيل ذكرهم من عائذ ولكن الصحيح ما ذكرنا . هذا قول الدبل «منطقة الحريق» ص ٧٥ ، ط ١ . ولكن علي الصرامي ذكرهم من عائذ في كتابه «حوطة بني تميم» ص ٦٠ ، ط ١) فلو تدبرت كلامي لعلمت أني أتوقف في إلحاقهم بسُبَيْع وإلا فماذا يعني أن أورد كلام الدبل ثم كلام الصرامي بدون أن أعلق عليه .

جـ ــ قال محمد آل فراج : أما الحريق فإنه لم ينشأ ولم يعرف بهذا الاسم زمن إمارة آل ذواد .

أقول : كان الحريق روضة تابعة لنعام وقد كانت أحرقت أشجارها فسميت بالحريق لهذا السبب .

وكان القواودة (آل ذواد) أمراء لنعام وللحريق أيضاً ثم انتزع الإمارة المزازنة منهم وقام رشيد المزاني ببناء الحريق وغرسه .

وقد اتفق مؤرخا نجد (ابن بشر وابن عيسى) على ذالك قال ابن عيسى : وفي سنة أربعين وألف استولى المزازنة على نعام والحريق ، أخذوه من القواودة من سبيع والذي بنا الحريق وغرسه رشيد بن مسعود بن سعد بن سعيدان بن فاضل المزاني الجلاسي الوائلي . . . انظر «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» ص ٥١ .

د ــ قال محمد آل فراج : من المعروف أن مساكن قبيلة سبيع كانت في الوديان (الخرمة ورنية) . . . ثم حدثت حروب طاحنة بين بني عامر من جهة وبين

القريشات من الغلبا من جهة أخرى وكلاهما من سبيع . . . الخ . وهذا الكلام نقله أخونا محمد آل فراج من كتاب عاتق البلادي «معجم قبائل الحجاز» ط ٢ ص ٢١١ ، ص ٣٨٥ أَلَيْسَ من الأمانة أن تشير إلى كتاب البلادي وأيضاً لتبرئ نفسك من الأخطاء التي قد يقع فيها البلادي .

فالبلادي جعل بني عمر وبني عامر وآل عمير هم قبيلة سُبيع وجعل الزكور والقريشات وبني ثور والروبة هم سبيع الغلباء ولكن الغلباء لقب لكافة قبيلة سبيع .

قال رشيد بن خثلان من الجبور من بني عمر :

أنا من الغلبا أهل الجوخ والشان ومُسكُنة بدو ربوا في مدرها

وقال ابن مخشوش من الصملة من بني عمر :

أنا من الغلبا سبيع آل عامر أهل الشجاعة والفعول الجزايل

والشواهد الشعرية على هذا كثيرة وكفى بهذا القدر دليلاً مقنعاً .

وقال محمد آل فراج : ملاحظة عامة على مقال الأخ عبدالله وهي إرجاع كثير من الأسر التي ذكرها إلى مجيئها من (رماح) و(الرمحية) .

أقول : هلا عدت أيها القارئ الكريم إلى مقالي ونظرت فيه بنفسك فسيتبين لك أني قد ذكرت فيه (٢٤ أسرة) وأرجعت منها إلى (رماح) و(الرمحية) (٩) أسر فقط فكيف يقال أني أرجعت الكثير منها ؟ !

قال محمد آل فراج : فرماح لا تعتبر ولم تكن منبثقاً لأسر سبيع المتحضرة والمنتشرة في نجد الآن . وهذا لا يمنع نزوح البعض منها .

أقول : أنا لم أعتبر (رماح) منبثقاً للأسر السبيعية وقد ذكرت في مقالي (٢٤) أسرة وأن (٦) أسر من هذا المجموع كانت قد قدمت من رماح ، فتمعن في المقال جيداً . وقد ذكرت أنه في عدة مواضع من كتاب «الجمهرة» ورد لفظ بني عمرو من سبيع والصحيح بني عمر وأن هذا نقلا عني وأقول انظر مقالي ص ١٣٤

* الوافي بالوفيات :

من أنفس ما ينشره الألمان من التراث العربي في سلسلة (النشرات الإسلامية) كتاب «الوافي بالوفيات» وكان آخرُ ما اطلعت عليه مما نشر الجزء الثامن عشر، يبتدىءُ بمن اسمه (عبد الأحد) وينتهي بمن اسمه (عبدالعزيز) ويقع في ٥٧٦ من الصفحات، يضاف إليها الفهارس بحيث يبلغ الجزء ٦١٤ صفحة، وقد حققه الدكتور أيمن فؤاد سيد، وطبع على غرار ما سبقه من الأجزاء جودة ورقٍ، وحسن ترتيب، وصدر عن مطابع دار صادر في بيروت، بإشراف (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت، ويظهر أن توزيعه حدث متأخراً إذ تاريخ طبع الكتاب ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

ولعل المحقق الكريم لم يطلع على تجارب الطبع، ولهذا وقع تصحيف وخطأ في بعض الكلمات ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

ص : ٦٠ السطر : ١٤ : قول ابن سبعين : (لا بُنَيٌّ بَعْدِي).

و ١٣٥ و ١٣٦ ستجدني أقول بنو عمر لا بني عمرو.

وفي نهاية هذا المقال أحب أن أنوه وأصحح أمراً لا علاقة له بمقالة محمد آل فراج ولكنه يتعلق بما ورد في مجلة «العرب» ص ٥٧١ ج ٧، ٨ س ٢٤ حيث ثبت لدي أن الشيخ عيسى (١٣٠٦ - ١٤٠٨هـ) هو الشيخ عيسى بن سعد بن عيسى ابن رشود القويزاني، وآل قويزاني أسرة عريقة من القبابنة من الشميسات من سبيع وتسكن هذه الأسرة في الحريق والرياض، وقد ولد الشيخ عيسى في بلدة الحريق وتتلمذ على أبيه الذي كان قد أنشأ مدرسة لتعليم القرآن في الحريق، واشتغل الشيخ عيسى بالقضاء والفتيا أكثر من ستين عاماً وذلك في بلدان كثيرة.

عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان
الرياض - كلية العلوم الإدارية

الصواب : (لَا نَبِيَّ بَعْدِي) . والتصحيف هنا من أسوإ التصحيفات ، إذ لا معنى لما ورد في المطبوعة ولكن بالصواب يتضح معنى قول الخبيث ابن سبعين : لقد تَحَجَّرَ ابنُ آمِنَةَ واسِعاً .

ص : ١٩٥ : السطر : ١٦ البيت :

(وانسي أن الرقاع وأم سلمى).

الصواب : (وأنسى ابنَ الرِّقاع وأم سلمى) .

ص ٢١٣ السطر : ٧ : (وخلف ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومئة فرس ، ترعى بالبقيع) .

وصواب (بالبقيع) (بالنقيع) ـ بالنون ـ إذ النقيع هو الحمى الذي كانت ترعى فيه النعم بقرب المدينة ، ولا يزال معروفاً . أما البقيع فهو مقبرة أهل المدينة وليس محلاً للرعي .

ص : ٢٢٩ السطر : ٣ : (قال أبو يعلى الخليلي) .

الصواب : (أبو يعلى الحنبلي) وهو صاحب «طبقات الحنابلة» .

ص : ٢٣٦ السطر : ١٤ : البيت :

فيا لها رقية مسكنة . لحية قد ساورتُ نضناض

كذا ورد البيت والقافية مجرورة .

ولعل الصواب : (لحية ساورت لِنضْناضٍ) وبه يستقيم الوزن .

ص : ٢٧٨ السطر : ١٤ : (فاعتضه الكميت) .

ولاشك أن الصواب : (فاعترضه الكميت) .

ص : ٣٠٨ السطر : ١٣ : (أُحيجة بن الجُلاح) .

وهو : (أُحَيْحَة) بحائين مهملتين لا بالجيم .

ص : ٣٢٩ السطر : (روى السيرة عن عبدالملك بن هشام عن البكاي) .
والصواب : (عن البكائي) بإثبات الهمزة وهو زياد بن عبدالله البكائي من بني البكاء ، مترجم معروف وهو راوي السيرة لابن هشام عن ابن اسحاق .

ص : ٣٧٠ : قصيدة طويلة لم يلاحظ المحقق الكريم أن جميع أعْجاز بيوتها مضمنة وليست للمترجم .

ص : ٤٠٣ السطر : ١٢ : (أحمد بن شيبوية) .
لعل الصواب : (شبويه) وليحقق .

ص : ٤٠٤ : السطر : ١١ : كتب عنه بآخرة . وعلى الألف مدة .
وصواب هذه الكلمة : (بِأَخَرَةٍ) غير ممدودة .

ص ٤٠٤ : السطر : ١٧ : وأغُضّ ومن جمر الغضا .
والصواب : (وأُغْضِي) بإثبات الياء .

ص : ٤٠٥ السطر : ١ : (جرى الدمع درا في مبادي جفاعمه) .
والصواب : (جفائه) .

وفي السطر الثاني : (يديم به قلباً) :
والصواب : (يَهِيمُ به قلباً) .

ص : ٤١٧ السطر : ١٠ : (كان شريكاً لأبي نعيم في بيع الملاتي) .
ولعل الصواب : (في بَيْعِ الـمِلاَءِ) جمع ملاءة وهي نوع من القماش الرقيق تتخذ أُزُراً وملاحف وأبو نعيم يعرف بالملائي ـ انظر « سير أعلام النبلاء» ١/١٢٤/و٧/٣٦٠ .

ص : ٤٢٠ السطر : ١٥ : (لا ينكرن ربعك البالي بجسدي) .
والصواب : (لا ينكرن ربعك البالي بِلَى جسدي) كما في «فوات الوفيات» ١/٥٦٨ ـ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد .

ص : ٤٣٧ السطر : ٩ : (متى يفيق من الأسواق) .

والصواب : (من الأشواق).

وفي السطر : ١٣ : (تشجو قلب سامعها) .

والصواب : (تشجي) كما في «فوات الوفيات» ١/٥٧٢ .

ص : ٤٤٣ السطر : ١٥ : (قامت عن مقام) .

والصواب : (قامت عندي مقام) .

ص : ٤٥٦ السطر : ١١ : (أسرد العينين) .

والصواب : (أسود) .

وفي السطر : ١٣ : (والغصن قتلته) .

ولعل الصواب : (فتلته) .

ص : ٤٥٧ السطر : ٦ : (تترو فواقعها) .

والصواب : (تنزو) .

وفي السطر : ١٥ : (حمشه الندى) .

وهي : (جمشه الندى) .

ص : ٤٥٨ السطر : ١٠ : . . . (الرأس مشتغل والمستهام لسيغ. . .)

والصواب : (مشتعل) و(لسيع) .

ص : ٤٥٩ السطر : ١٥ : (عض المآزر من خور المقاصير) .

والصواب : (غض المآزر من حور المقاصير) .

ص : ٥١٥ السطر : ١٨ : في الأبارَةِ .

والصواب : (في ٱلأَبَارِهِ) يقصد جمع إبراهيم .

ص : ٥٦٣ : السطر : ١١ : (عبدالله بن حنظب المخزومي) .

والصواب : (حنطب) بالطاء المهملة انظر رسم (حنطب) في «تاج العروس» .

ولاشك أن جهد المحقق الكريم يبدو أثره في أكثر صفحات الجزء بما أضاف من الحواشي المفيدة زاده الله قوة ونشاطاً .

٢٩٤ - ٢٩٣

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦١٩٢٢٣
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج٥، ٦ س ٢٥ ذوا القعدة والحجة ١٤١٠هـ - حزيران/تموز (يونيه/يوليو) ١٩٩٠م

شعراء مغمورون :

خارجَةُ بن فُلَيْح المَلَلي

[وكما أمتع الأستاذُ عبدُ العزيز بن أحمد الرفاعيُّ - عضو (مجمع اللغة العربية) - إخوانَهُ وزملاءه، في المجمع في العام الماضي ببحث قيم، عن شاعر مغمور، هو عبدالله بن أبي صُبْح المزني - نشر في «العرب» س ٢٤ ص٥٧٧ - فقد أمتعهم هذا العام بمحاضرة قيمة عن شاعر آخر من الشعراء المغمورين هو خارجة بن فُلَيح المَلَلي، فألقى بحثاً وافياً عنه في الجلسة الرابعة التي عقدت صباح يوم السبت ٦ شعبان ١٤١٠هـ (٣ آذار ١٩٩٠م) حظيت بالاستحسان، والاستزادة من مثل هذه الأبحاث الطريفة، وهاهي محاضرة الأستاذ]:

مقدمة : خارجة بن فُلَيح المَلَليُّ شاعر حجازيٌّ مُجيد، عاش في القرن الثاني للهجرة، لم تتحدث عنه كثيراً كتب الأدب الشهيرة، خاصة منها الكتب التي عُنيتْ بتراجم الشعراء وطبقاتهم، فلا ذكر له في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، ولا في «طبقات الشعراء» لابن سلاّم، ولم يذكره الزركلي في «أعلامه»، ولا المزرباني في «معجم الشعراء» - فيما وصل إلينا منه وهو ناقص - ولا نكاد نجد له اسماً إلاّ في مصادر نزره .. وهذه لا تورد من أخباره وأشعاره إلاّ الشيءَ القليل الذي لا يشفي الغليل. ونجد أحياناً اسمه في بعضها قد تصحّف وتحرّف، فجاء المكي بدلاً من المللي، وسيرد الحديث عن ذلك مفصلاً فيما بعد.

وقد رأيتُ في شعر هذا الشاعر سِمَاتٍ من الجودة أغرتني أن أتتبعَ أخباره ما استطعت، بل رأيت ثناءً على شعره من بعض الرواة يُغْري بذلك التتبع، فنازعتني رغبةٌ جامحة إلى إنصافه، وجمع أخباره وأشعاره، وهي رغبة كثيراً ما تستبدُّ بي كلما وجدتُ عبقرية يتكاثر عليها الظلام ليغطيّ من لمعانها، ويَحْجُبَ من شعاعها.

ولا أزعم أنني بلغت في استقصاء أخبار هذا الشاعر المدَى ، أو انتهيت إلى آخر الشوط ، ولكنّي بذلت ما تيسر لي من جُهد . . مؤملاً أن تكون هذه بداية بحثٍ أستكمله أو يستكمله غيري . . وحسبي الآن من القلادة ما أحاط بالعنق . والله الموفق .

الفصل الأول : ترجمته وأخباره :

اسمه ونسبته : إنَّ نُدْرَةَ أخبار الشاعر ، ، وتَبَعْثُرَها هنا وهناك بين مصادره القليلة لم تُتِحْ لي معلوماتٍ كافيةً عنه ، فلا حديثَ عن تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته ، ولا ملامحَ بارزة من حياته ، وليس في مُكْنة الباحث إلا أن يستنتج ـ فحسب ـ الفترةَ الزمنية التي عاش فيها من تلك الأخبار الواردة من معاصريه أو ممدوحيه .

وأقْدَمُ من ذكره فيما انتهى إلينا من مصادره هو الزبير بن بكار في كتابه «جمهرة نسب قريش»، فقد كانت وفاته سنة ٢٥٦هـ ، على أنَّ هذا الكتاب لم يصل إلينا كاملاً ، وما نشره منه الأستاذ الباحث الجليل محمود شاكر ماهو إلا بعضُ الكتاب لا كلُّه ، وبقي منه بعضٌ لم ينشر بعد ، على نفاسة الكتاب وقيمته الكبرى للتاريخ الأدبي ، وهناك بعضٌ منه ذهبت به الأيام . . فلا يُدرى أين هو؟

نعرف من الجزء الذي نشر : نسبَ الشاعر . . فهو خارجة بن فُليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كبير[١].

ونعلم أنه مولى أُسْلَم . . ذكر ذلك أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ) حيث قال[٢]: (خارجة بن فُلَيْحٍ الـمَلَلِي ، مولى أسلم ، حجازي ، شاعر مُجيد كثير الشعر) . وقد ذكر البكري[٣]: أَنَّ فليحاً الـمَلَلِيَّ ، هو مولى أسلم[٤].

وتدلنا نصوص الزبير بين بكار أن نسبته (المللي) ، حيث قال[٥]: (وقال خارجة بن فُلَيْح الـمَلَليُّ يمدح عبدالله بن مصعب) ، ويفسر البكري معنى (مَلَل) التي ينتسب إليها الشاعر فيقول[٦]: (ملل التي ينسب إليها على مَقْرُبة من المدينة في شق الرَّوْحاء). .

أي إن (ملل) اسمُ موضع لا اسمَ رجل أو قبيلة .

وَأَوْسَعُ مَنْ تحدث عن (ملل) من البُلدانيين القدامى هو البكري نفسُه في كتابه الآخر «معجم ما استعجم»[٧] ونص أن خارجة بن فليح ينسب إليها ، وجاء بشاهدٍ من شعر جعفر بن الزبير يرثي ابناً له مات بملل هو قوله :

أُحْزَنُ عَلَى مَاءِ الْعُشَيْرَةِ وَالْهَوَى عَلَى مَلَلٍ ، يَالَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلَلْ

وقال : إن الْفَرش والفُريشَ من مَلَل ، ويدل على قربها من المدينة ، ما رواه البكري أيضاً من أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، صلى الجمعةَ بالمدينة ، وصلى العصرَ بملل .

ويقول ياقوت في «معجم البلدان»، إنه منزل على طريق المدينة إلى مكة على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة ، وهو وادٍ ينحدر من (وَرِقَان) جبلِ مُزَيْنَة ، حتى يَصُب في (الفرش) فَرْشِ سويقة .

أقول : والفرش والفُريش لايزالان معروفَيْنِ بهذا الاسم حتى اليوم ، وكان الفُريش على الطريق القديم للسيارات بين مكة والمدينة ، وقد مررت به ، وهو على مقربة من المدينة المنورة . وقد ورد ذكر (الفرش) في شعر الشاعر نفسه :

سَقَى هَضَبَاتِ الْفَرْشِ كُلُّ مُجَلْجِلٍ لـه نَضَـدٌ مِنْ مُـزْنِـهِ، وصَبِيرُ

والده : إن المصادر التي بين يدي لا تزيد عند ذكر الشاعر عن أن تقول: إنه (خارجة بن فُليح) ، فلا نعلم أي (فُلَيْحٍ) هذا ، ولكن الأستاذ محمود شاكر محقق كتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها»، وهو العمدة في أخبار (خارجة) توقف عند الفقرة (٢١١) من هذا الكتاب ، فعلق في الهامش بما يدل على أنه يرجح أنَّ فُلَيْحاً هو فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كبير .

ولكي تتضح الصورة تماماً ـ فإني أورد نصَّ هذه الفقرة وتعليقَ شيخنا عليها[٨]: ـ (٢١١ ـ وابنُهُ ثابت بن الزبير بن خُبيْب ، وكان يَتَبَدَّى بالرَّائِعِ(؟) فَزَارَهُ فُلَيْحُ بن إسماعيل بنِ جعفر بن أبي كبير . فقال فُلَيْح :

عَنَّيْتَنا يَا ثَابِتَ بْنَ الزُّبَيْرْ جَشَّمْتَنَا جَوْبَ جِرَارٍ وَعُوزْ
سَقْياً لِجَدَّيْكَ وَجَدَّيْهِمَا وَمَنْ لَهُ جَدٌّ كَمِثْلِ الزُّبَيْرْ

هذه هي الفقرة ، أما التعليق ، فقد قال أستاذنا عن فُليح : كأنه هو أبو خارجة بن فُليح المللي .

فإذا صح هذا ، وأحسبه صحيحاً ، فيكون والد خارجة شاعراً .

ولقد وجدت لفليح بن إسماعيل ذكراً في «مجالس ثعلب»، في هذا الخبر[٩]: أخبرنا محمد قال : وثنا أبو العباس قال: حدَّثني عبدالله قال : حدَّثني محمد بن عيسى ، عن فُليح بن إسماعيل قال : حدَّثني عبدالله بن صالح سنة اثنتين وستين ومِئَة قال: حدثني عمِّي سليمانُ بنُ عليٍّ ، عن عكرمة قال : إنِّي لَمَعَ ابنِ عبَّاسٍ بِعَرَفَةَ إذْ فِتيةٌ أُدْمانٌ[١٠] يحملون فتًى في كساءٍ ، مَعْرُوقَ الوجه ، نَاحِلَ البدَن ، له حلاوةٌ ، حتَّى وضَعوه بين يَدي ابنِ عبَّاس وقالوا له : استشْفِ له يا ابنَ عمِّ رسول الله . قال : فقال ابن عباس : وما به ؟ فأنشأ الفتى يقول :

بِنَا مِنْ جَوَى الْأَحْزَانِ وَالْوَجْدِ لَوْعَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
وَلَكِنَّمَا أَبْقَى حُشَاشَةَ مُعْوِلٍ عَلَى مَا بِهِ عُودٌ هُنَاكَ صَلِيبُ

فأقبل ابنُ عبّاسٍ على عبدالله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد بن عبدالعزّى فقال : أخَذَ هذا البدوي العُوَد[١١] علينا وعليك . قال : فحملوه فخَفَتَ في أيديهم فمات . فقال ابن عباس : رحمه الله ، هذا قتيل الحبِّ ، لا عَقْل ولا قَوَد . قال عِكرِمةُ : فما رأيتُ ابنَ عبَّاس سألَ الله عزّ وجلّ في عشيته حتّى المساءِ إلاّ العافيةَ مما ابتُلِيَ به الفتَى) أهـ .

ونرى من هذا الخبر أن فليح بن إسماعيل يحدد سنة روايته ، بسنة اثنتين وستين ومئة ، وهي الفترة التي عاش بها خارجة . فاحتمال أنه أبوه ليس مستبعداً .

على أن لهذا الخبر بقيةً في كتاب «الأغاني» هي[١٢]: (قال: وسألنا عنه فقيل هذا عروة بن حزام) .

ولهذا الخبر دلالته في عناية فليح بن اسماعيل بأخبار الأدب ، مما ينمُّ على نزعة أدبية ، ورثها عنه ابنُه الذي أصبح شاعراً . . حاز إعجابَ فريق من نقاد الشعر في عصره .

تصحيف نسبته في المصادر : أشرت أن هناك تصحيفاً في نسبته . . جعلها المكيُّ بدلاً عن المللي ، وقد جاء هذا التصحيف في «مجالس ثعلب»[١٣]، ومع أن محقق الكتاب هو العلامة المدقق الأستاذ عبدالسلام هارون ، فإنه لم يتعرض لهذا التصحيف ، بل لم يترجم للشاعر ، أو يَدُلَّ على مصادره خلافاً لعادته ، ولم يصلح ذلك في كتابه «تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب»[١٣]، ولكنه عاد فأثبت الصواب في تحقيقه الرائع لـ «خزانة الأدب»[١٤].

وهذا التصحيف وجدته في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، فقد جاء في رواية عن سليمان بن عبدالعزيز بن عمران الزهري)[١٤] قال: حدثني خارجة المكي أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال : فدنوت منه فقلت : من أنت ؟ فقال الذي يقول :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا ... بِعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ
أَلَا فَاحْمِلَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ... إِلَى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ دَعَانِي[١٥]

فقلت له زدني ، فقال : لا والله ولا حرفاً . أهـ .

هكذا النص في الأصفهاني . ومما يستوقف النظر فيه ، أن خارجة المللي لا يمكن أن يكون قد رأى عروة بن حزام ، لأن وفاة هذا كانت سنة ثلاثين للهجرة ، وعاش خارجة إلى أواخر القرن الثاني للهجرة . فلعل هناك راوياً سقط أو أكثر من راو بعد اسم خارجة .

ومما يستلفت النظرَ جدًّا أن الأصفهاني لم يذكر شيئاً عن الشاعر المللي ، رغم كثرة رواياته عن الزبير بن بكار ، الذي أورد نصوصاً شعرية لخارجة ، بل كان «جمهرة نسب قريش» هو أكثر المصادر القليلة إيراداً لأشعاره .

وأشار الأستاذ الدكتور عبدالله الجبوري إلى ورود النسبة في «مجالس ثعلب»[١٦]: المكي، وأعقب ذلك بقوله: (ولعله الصواب)، قلت: بل الصواب هو المللي.

والأستاذ العلامة عبدالعزيز الميمني، وهو الذي حقق كتاب «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي»[١٧]، علق في هامش الصفحة التي أشرت إليها من قبل، بعد أن أشار إلى ورود اسم خارجة بنسبة (المكي) في «الأغاني»[١٨] فقال: إنه ورد (مصحفاً إلا أنّ المصحِّف لم يبعد لقرب ملل من مكة).

وأقول: بل لقد أبعد المصحف، إن كان خارجة هذا هو خارجة بن فليح، لأن موقع ملل قرب المدينة ـ كما بينت من قبل ـ وهو يبعد عن مكة، وإن كان على الطريق إليها، فلا تصح نسبته إلى مكة.

وقد ذكر الذي همش على كتاب «الأمالي»[١٩]، معلقاً على كلمة (المللي) بأنه لم يجد هذه النسبة في كتب الأنساب.

أما الدكتور حمود عبدالأمير الحمادي الذي حقق كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهَجَري (ت نحو ٣٠٠هـ = ٩١٢م)، فقال معلقاً على نص منسوب إلى (المللي)، ولم يذكر المؤلفُ اسمه: (لم أهتد إليه لعدم الافصاح عنه)، وألتمس له العذر، فكتب الأدب الكبيرة ضنينة بذكره.

عصره وأخباره: نستطيع أن نستنتج من بعض رواية فليح بن إسماعيل، ومن مدائح ابنه خارجة لبعض مشاهير ورجالات عصره ـ في موطنه ـ أن خارجة عاش بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، على عهد الخلفاء المؤسسين من بني العباس، كالمهدي والمنصور، وهارون الرشيد، وهو عهد مزدهر بالعلم والأدب والشعر.

وما دمنا لا نجد في المصادر المتوافرة معلوماتٍ كافيةً عن شاعرنا، فلنلتمس هذه المعلومات بقدر الإمكان من شعره، ومن مناسبات هذا الشعر.

مما يدلنا عليه شعره أنه كان وثيقَ الصلة ببني مصعب من الزبيريين، أي

بعبدالله بن مصعب ، وابنه بَكّار . ـ وهذان توليا إمارة المدينة المنورة على التتابع أيامَ هارون الرشيد ـ فكان يمدحهم ، ونجد في ذلك أكثرَ من نصٍّ ، من ذلك قصيدَةٌ رائية طويلة ، يمدح فيها عبدَالله بن مصعب ، وسيرد بعضها في النصوص إن شاء الله تعالى . فقد صرح صاحب «الجمهرة» أنها أكثر مما أورد ، وفيها يقول له[٢٠].

لَعَمْرُكَ مَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَوَارِدِي   لَدَيْكَ ولا ضَاقَتْ عليَّ الْـمَصَادِرُ

مما يدل على أنه كان يتردد عليه ، ويمتدحه ، ويرتفق بأعطياته ، وذلك شأنه أيضاً مع ابنه أبي بكر أو بَكّار ، وقد وليا إمارة المدينة المنورة بالتعاقب . . الوالد ثم الابن .

ونجده في غزله يلهج بذكر (ليلى) . . فلا ندري أهو اسم محبوبته حقاً ؟ أو أنه يتخذ من هذا الاسم رمزاً ، ليكتم الاسم الحقيقي تجنباً للتشهير به .

وَأَقْنَعُ مِنْ لَيْلَى بِأَصْقَابِ دَارِهَا   وأُخْدَعُ فِيْهَا بِالْـمُنَى وَهْيَ بَاطِلُ

ويقول :

أَلا طَرَقَتْ لَيْلَى لَقًى بَيْنَ أَرْحُلٍ   شَجَاهُ الْهَوَى وَالنَّأْيُ فَهْوَ عَمِيْدُ

ويقول :

أَحِنُّ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا   كَمَا حَنَّ مَحْبُوْسٌ عَنِ الإِلْفِ، نَازِعُ

ويقول :

وَمَا نِلْتُ مِنْ لَيْلَى وَفَاءً بِعَهْدِهَا   وَمَا نِلْتُ مِنْهَا الْعَهْدَ إِلاَّ تَضَرُّعَا

ويقول وقد أبدع :

فَقَـدْ جَعَلَتْ دَوَاوِيْنُ الْـغَـوَانِي   سِـوَى دِيْـوَانِ لَيْـلَى يَمَّحِيْنَـا

مكانته الشعرية : لقد وصف البكري في «شرح اللآلي» شاعرنا بقوله : (شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية) .

وقد سبق أن أوردت نص ما قاله عنه ابن الجراح حيث وصفه بأنه (شاعر مجيد). وساق الرواية التالية: أخبرني أحمد بن يحيى النحوي قال: أخبرني عبدالله بن شبيب قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال: جئت عبدالعزيز بن عمران الرهوي يوماً، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول: عليَّ أيمانُ البيعة إن لم يكن أشعرَ الناس. فدخلتُ عليه. فقلت: من هذا؟ فقال: خارجةُ المللي. قلت: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

تَخَايَلْهَا طَـرْفُ السُّمُوِّ لِعَـاشِقٍ هَفَـا هَفْوَةً ثُمَّ اسْتَفَـاقَ فَأَكْـذَبَا

ومنْ قَوْلِه:

فَهُمْ نِيَاطُ الْقَلْبِ إِذْ نَشَرتْ بِهِ بَنَاتُ الْهَوَى فِي الصَّدْرِ، أَنْ يَتَقَضَّبا

ومن قوله:

مَـا تَـذْلُكُ الشَّمْسُ إلاَّ حَـذْوَ مَنْكِبِـهِ فِي غَـايَـةٍ تَحْتَهَـا الهَـامَـاتُ والـقُصَرُ
آلُ الـزُّبَـيْرِ نُـجُـومُ يُسْـتَضَـاءُ بِهِـم إذا دَجَا اللَّيْـلُ مِنْ ظَلْمَائِـهِ زَهَـرُوا
قَـوْمُ إذَا شُوْمِسُـوا جَـدَّ الشِّمَـاسُ بِهِمْ ذَات الْعِنَـادِ، وَإنْ يَـاسَـرْتَهُمْ يَسَـرُوْا
خُصَّ الْـمَـدِيْـحَ أَبَـا بَـكْـرٍ وَوَالِـدَهُ وعُمَّهـمْ مِنْكَ إنْ غَابُوا وَإنْ حَضَرُوْا[٢١]

ومثل هذه الرواية ترد في «مجالس ثعلب» قال[٢٢]: حدثني عبدالله بن شبيب قال: جلس عبيدالله بن الحسن يوماً - وهو والي المدينة ومكة - للناس، فذكروا الشعر والشعراء. فقال عبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجشون[٢٣] فقيه أهل المدينة: أشعرُ الناس خارجةُ بن فُلَيْحٍ المكي[٢٤]، حيث يقول في مديح أبي بكر ابن عبدالله الزبيري[٢٥]:

كَـأَنَّ عَـلَى عِـرْنِينِـهِ وَجَبِيْنِـهِ شُعَاعينْ لاَحَا مِنْ سِمَاكٍ وَفرْقَدِ
هو السَّابِقُ التالِي أَبَاهُ كَـمَا تَلاَ أَبُـوهُ أَبَـاهُ، سَيِّـدٌ وابْنُ سَيِّـدِ
أهـابُك إجْـلاَلاً وأَرْجُـوْكَ لِلَّتِـي تَـلِينُ بِهَـا لِلرَّاغِـبِ الْـمُـتَـوَدِّدِ

قال: فقال أبو عبدالله زبير[٢٦]: كنت وحسن بن عبيدالله - وأبوه إذ ذاك

وال[٢٧] ـ وابن الماجشون جلوساً ، فذكر الشعر والشعراء ، فقال عبدالملك[٢٨] : خارجة أشعر الناس في مديحٍ لأبي بكر هذا حين يقول :

مَا تَذْلُكُ الشَّمْسُ إلاَّ حَذْوَ مَنْكِبِهِ .. (الخ الأبيات الأربعة السابقة).

ونخلص من هذه الأقوال والروايات أن خارجة شاعر مُجيد مطبوع ، تستحوذ أشعاره على الإعجاب ، فهي في بعض المواطن من الغزل أو المديح عند بعض متذوقي شعره ، تجعله عندهم أشعر الناس .

وهذا يدل على أنه كان يتمتع بمكانة شعرية عالية ، كما كان له شعر كثير كما حدثنا ابن الجراح . ومن العجيب أن لا نجد له ذكراً موسعاً ، وأن لا نعثر من شعره إلا على النزر القليل .

الفصل الثاني : شعره :

الباء

ـ ١ ـ

قال :

تَخَايَلَهَا طَرْفُ السُّمُوِّ لِعَاشِقٍ هَفَا هَفْوَةً ثُمَّ اسْتَفَاقَ فَأَكْذَبَا

النص : هذا البيت مفرد ، جاء في كتاب «الورقة» لابن الجراح ٧٤ ، ساقه مع الخبر التالي : أخبرني أحمد بن يحيى النحوي قال : أخبرني عبدالله بن شبيب قال : حدثني محمد ابن إسماعيل قال : جئت عبدالعزيز بن عمران الزهوي يوماً ، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول : عليَّ أيمانُ البيعة إن لم يكن أشعرَ الناس ، فدخلت عليه ، فقلت : من هذا ؟ فقال : خارجة المللي . فقلت : حين يقول ماذا ؟، قال حين يقول : (وأورد البيت) .

ـ ٢ ـ

وقال :

فَهُمْ نِيَاطُ الْقَلْبِ إذْ نَشَرَتْ بِهِ بَنَاتُ الْهَوَى فِي الصَّدْرِ أَنْ يَتَقَضَّبَا

النص : هذا البيت مفرد في «الورقة» لابن الجراح ٧٤ .

وقال :

وَلَـقَـدْ قَـالَـتْ لِأَتْـرَابٍ لَهَـا كَـالْمَهَا يَلْعَبْنَ فِي حُجْـرَتِهَـا
خُـذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لَا يَفْـزَعُنِي وَمَضَتْ تَـسْعَى إِلَى قُـبَّتِهَـا
بِنْتُ عَشْرٍ، لَمْ تُعَـانِقْ رَجُـلًا صُـوِّرَ الْبَـدْرُ عَـلَى صُـورَتِهَـا
وَلَـقَـدْ قُبِّلْتُ فَـاهَـا قُبْـلَةً كِـذْتُ أَلْقَى اللهَ مِنْ لَـذَّتِهَـا
لَمْ تُعَـانِقْ رَجُـلًا فِيْـمَا مَضَى طَـفْـلَةٌ غَـيْـدَاءُ فِي كِلَّتِـهَـا
لَمْ يَـطِشْ سَهْمٌ لَهَـا قَطُّ وَمَنْ تَـرْمِـهِ لَمْ يَنْـجُ مِنْ رَمْيَتِـهَـا

النص : في «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهجري ، (عاش في القرن الثالث الهجري) القطعة ١١١٢ . حققه د. حمود عبدالأمير الحمادي . نشر دار الرشيد بالعراق .

أما المؤلف فاكتفى بأن قال : (المللي) وعلق المحقق ، بأنه لم يهتد إليه لعدم الإفصاح عنه ، ولكنه أضاف أنه يعتقد أن نسبته إلى ملل ، وهو موضع في طريق مكة بين الحرمين ، بينه وبين المدينة ليلتان ، وهو واد منحدر من ورقان (جبل لمزينة) حتى يصب في الفرش : فرش سويقة ، ودل على «المراصد» ١٣٠٩/٣ .

الدال

ـ ١ ـ

١ ـ أَلَا طَـرَقَـتْـنَـا وَالـرِّفَـاقُ هُـجُـوْدُ فَـبَـاتَـتْ بِـعِـلَّاتِ الـنَّـوَالِ تَجُـودُ
٢ ـ أَلَا طَـرَقَتْ لَيْلَى لَقَى بَيْنَ أَرْحُلٍ شَجَـاهُ الْهَـوَى والنَّـأْيُ فَهْـوَ عَمِيـدُ
٣ ـ فَلَيْتَ النَّوَى لَمْ تُسْحِقِ الْخَرْقَ بَيْنَنَا وَلَـيْـتَ الْخَـيَـالَ الْمُـسْتَزَارَ يَـعُـودُ
٤ ـ إِذًا لَأَقَادَ النَّفْسَ مِنْ فَجْعَةِ الْهَوَى بِـلَيْـلَى، وَرَوْعَـاتِ الْفُـؤَادِ تُـقِـيْـدُ
٥ ـ كَـأَنَّ الدُّمُوْعَ الْوَاكِفَاتِ بِذِكْرِهَا إِذَا أَسْـلَمَـتْـهُـنَّ الْجُـفُـونُ فَـرِيْـدُ
٦ ـ إِذَا أَدْبَـرَتْ بِالشَّـوْقِ أَعْقَـابُ لَيْلَةٍ أَتَـاكَ بِهَـا يَـوْمٌ أَغَـرُّ مَجِـيْـدُ

(١) هجود : نيام . علات : جمع عَلة : ما يتلهى به .

(٢) لَقى : المطروح لهوانه . عميد : هَدّه العشق .

(٣) تُسحق : تُبعد . المستراث : المستبطي .

(٤) أقاد : اقتص ، يقال : أقاد القاتلَ بالقتيل : قتله به .

النص : من كتاب «الأمالي» للقالي ١/١٤ . ومقدمته كالتالي : وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا عبدالرحمن عن عمه قال : أنشدنا بعض أهل المدينة لخارجة بن فليح المللي .

وهو في كتاب «الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» للخالدين تحقيق د. السيد محمد يوسف: ٢/١٨٧ .

ـ ٢ ـ

وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب :

١ ـ أَرَى الْبَرْقَ يَدْنُو مِنْ يَدٍ مُصْعَبِيَّةٍ ... إِلَيْنَا وَيَذْكُو في صَبِيرٍ مُنَضَّدِ

٢ ـ يَدٌ عَوَّدَتْنَا أَنْ يَرُوحَ غَمَامُهَا ... عَلَيْنَا بِنَجْوٍ مُسْتَهِلٍّ وَيَغْتَدِي

٣ ـ بِسَيْبِ أَبِي بَكْرٍ نُفَادُ بِدَوْلَةٍ ... عَلَى سَالِفٍ مِنْ عَيْشِنَا غَيْرِ مُرْغِدِ

٤ ـ وَمَازَالَ مُوْلِيَّ التَّحِيَّةِ بِالنَّدَى ... وَمَازَالَ مَشْفُوعَ النَّوَالِ بِمَوْعِدِ

٥ ـ إِذَا هُزَّ هَزَّتْهُ عُرُوقٌ كَرِيمَةٌ ... يَؤُوْلُ إِلَيْهَا الْمَجْدُ مِنْ كُلِّ مَحْتِدِ

٦ ـ تَرَى سُبُلَ الْمَعْرُوْفِ نَحْوَ سِجَالِهِ ... عَوَامِرَ بِالْجَادِيْنَ مِنْ كُلِّ مَوْرِدِ

٧ ـ أَغَرُّ زُبَيْرِيٌّ نَمَتْهُ جُدُودُهُ ... بَنُو مَالِكٍ في بَيْتِ مَجْدٍ مُشَيَّدِ

٨ ـ كَأَنَّ عَلَى عِرْنِيْنِهِ وَجَبِيْنِهِ ... شُعَاعَيْنِ لاَحَا مِنْ سِمَاكٍ وفَرْقَدِ

٩ ـ لَهُ نَسَبٌ بَيْنَ الزُّبَيْرِ وَهَاشِمٍ ... رَفِيْعٌ، وَصِدِّيْقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

١٠ ـ هُوَ السَّابِقُ التَّالِي أَبَاهُ كَمَا تَلاَ ... أَبُوْهُ أَبَاهُ، سَيِّدٌ وابْنُ سَيِّدِ

١١ ـ أَهَابُكَ إِجْلاَلاً وأَرْجُوكَ لِلَّتِي ... تَلِيْنُ بِهَا لِلرَّاغِبِ الْمُتَوَدِّدِ

١٢ ـ لَهُ لَحْظَةٌ فِيْهَا لَنَا الْيُسْرُ بِالْغِنَى ... وَأُخْرَى رَمُوْقٌ لِلْعَدُوِّ بِمَرْصَدِ

١٣ ـ لَقَدْ لاَذَ مِنْهُ الْعَائِذُوْنَ مِنَ الرَّدَى ... بِرُكْنٍ مَنِيْعِ السَّاحَتَيْنِ مُؤَيَّدِ

١٤ ـ لَهُ عَطَنٌ رَحبٌ، وَحَوْضٌ وَفَارِطٌ يَـعُـلُّ وفُـوداً أولِـمَـتْ بِـتَـوفُّـدِ

(١) الصبير : السحاب الأبيض الكثيف .

(٢) النجو : السحاب الذي به بريق المطر .

(٧) بنو مالك : يقصد به مالك بن نضر بن كنانة ؛ المقصود قريش .

(١١) المتودد . . جاءت في «مجالس ثعلب»: المتردد .

(١٤) العطن : مبرك الابل . والفارط : هو الذي يقدم الواردين إلى الماء ليعدّ لهم السقاء . ويعل : أي يسقيهم مرة بعد مرة .

النص : في «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار ، القطعة : ٣٠٧ ج١/ ١٧٠/ ١٧٢ و٨ ، ١٠ ، ١١ ، في «مجالس ثعلب» ٢٣٥ . وفي كتاب «الأنساب» لاسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكتاني البلبيسي رسم (ملل)، مخطوطة مكتبة رئيس الكتاب باستانبول ، و٨ في «خزانة الأدب»: ٤٥٢/١٠ .

السراء

١ ــ قال يمدح عبدالله بن مصعب :

١ ـ دَعَـانَا لِعَبْـدِالله وَالـدَّهْـرُ بَـاسِطٌ عَلَيْنـا جَنَاحَ الْبُؤْسِ وَالْجُـوْدُ عَـاثِـرُ

٢ ـ تَـواتُـرُ أَخْبَـارٍ يَـرِدْنَ بِحَـمْـدِهِ عَـلَيْنَـا، ولِلْمَعْـرُوْفِ والـنُّكْـرِ آثِـرُ

٣ ـ فَـإِنّي لِمَـا أَوْلَيتَنِي يَـا ابْنَ مُصْعَبٍ يَـداً بَعْـدَ أَيْـدٍ مُنْعِمَـاتٍ لَشَـاكِـرُ

٤ ـ وَإِنَّـكَ وَالْحَيُّ الَّـذِي أَنْتَ مِنْهُمُ لَكَـالْبَـدْرِ حَفَّتْـهُ النُّجُـومُ الـزَّوَاهِـرُ

٥ ـ وَيَسْمُـو بِكُمْ مَجْدُ الـزُّبَيْرِ وفَخْـرُهُ إذَا عُـدِّدَتْ عِنْـدَ النِّفَـارِ الْمَـآثِـرُ

٦ ـ وَتَسْـطَعُ مِنْـهُ غُـرَّةُ الفَجْـرِ فِيْكُمُ فَتُغْضِي لَهـا عَنْـكَ الْعُيُـونُ الشَّـوَازِرُ

٧ ـ فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَوَّضُوا عَرْشَ مَجْدِهِمْ فَقَـدْ رَبَّ مَجْـداً أَوَّلاً مِنْـكَ آخِـرُ

٨ ـ رَأَيْتُـكَ تَسْمُـو لِلْمَكَـارِمِ والْعُـلا فَـلا زَاهِـقٌ عَنْهـا وَلَا أَنْـتَ قَـاصِرُ

٩ ـ وَتَعْلُو بِـكَ الْأَيَـامُ لِلذُّرْوَةِ الَّتِي لَهَـا كَنَفٌ يَـأْوِي إِلَيْـهِ الْمَعَـاشِرُ

١٠ ـ لَكُمْ مَنْكِبَاها حَيْثُ قَرَّ قَرَارُهَـا وَفَـرْعُـكَ مِـنْهَـا أَيْمَـنُ مُـتَـيَـاسِرُ

١١ ـ وَجَـادَتْ يَـدَاكَ الْمُسْتَهِـلُ نَـدَاهُمَا فَـأغْنَى وَأَقْنَى سَيْبُـكَ الْمُتَـظَاهِـرُ

١٢ ـ فَـلَا تَجِـدَ إلّا مِنْكُمْ فِيْـهِ أَوَّلُ وَلَا تَجِـدَ إلّا مِـنْكُـمْ فِيـهِ غَـابِـرُ

١٣ ـ وَلَا حَرْبَ إِلَّا قَدْ فَرَعْتُمْ كُمَاتِهَا   عَلَيْهَا بِكُمْ كَانَتْ تَدُوْرُ الدَّوَائِرُ
١٤ ـ لَعَمْرُكَ مَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَوَارِدِي   لَدَيْكَ وَلَا ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَصَادِرُ

(١) الزواهر : النيِّرات .
(٦) الشوازر : من الشزر ، وهو النظر بغضب بمؤخر العين .
(١١) أقنى : أرضى ، سيبك : عطاؤك .

النص : في «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار ـ القطعة ٢٦٧ ج١/ ١٣٥ ، ويذهب محققه الأستاذ محمود شاكر أن من هذه القصيدة البيتين المذكورين بعد ، ينظر الهامش في ص ١٢٢ من الكتاب المذكور .

٢ ــ ولبني مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير يقول :

١ ـ بَنِي مُصْعَبٍ أَنْتُمْ خِيَارُ خِيَارِنَا   أَكَابِرُكُمْ والْمُعْقِبُونَ الْأَصَاغِرُ
٢ ـ بَهَالِيلُ قَوَّامُونَ بِالْقِسْطِ بَيْنَنَا   لَكُمْ خُطَبٌ تَهْتَزُّ مِنْهَا الْمَنَابِرُ

بهاليل : جمع بهلول ، السيد الجامع لصفات الخير .

النص : القطعة ٢٤٤ : ١/ ١٢٢ من «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار تحقيق الأستاذ محمود شاكر ، وذهب إلى أنهما من القصيدة الرائية السابقة . ويبدو الأمر كذلك .

٣ ــ وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب :

١ ـ بَيْنَ الْبُرُوجِ ، أَبُو بَكْرٍ ووالِدُهُ   حَيْثُ اسْتَوَى فَوْقَ طَرْفِ النَّاظِرِ الْقَمَرُ
٢ ـ فِي مَنْزِلٍ بَيْنَ مَضْحَى الشَّمْسِ مُعْتَدِلٍ   وَخَفْقِ النَّجْمِ ، يَعْشُو دُوْنَهُ الْبَصَرُ
٣ ـ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي بِالْبِرِّ نَعْرِفُهُ   إِعْتَامَهُ لِدَوَامِ النِّعْمَةِ الْقَدَرُ
٤ ـ يَوْمَاكَ : يَوْمٌ تَعُمُّ النَّاسَ رَأْفَتُهُ   وَيَوْمُ حُكْمٍ لِدِيْنِ اللهِ مُنْتَصِرُ
٥ ـ كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تُبْلَى صَنِيْعَتُهَا   مَرْهُوبَةُ الشَّذْيِ مَعْلُولٌ بِهَا الْبَشَرُ
٦ ـ تُضْحِي لَدَيْكَ جُنُودُ الرَّأْيِ عَاكِفَةً   يَعْتَامُهَا عَكَرٌ مِنْ خَلْفِهَا عَكَرُ
٧ ـ تَسْمُو بِكَ الْأَرْضُ عُلْواً فِي مَنَاكِبِهَا   حَيْثُ انْتَحَى بِكَ مِنْ أَقْطَارِهَا قُطُرُ

٨ - أكْرِمْ بِأوّلِكُمْ في النّاسِ مِنْ سَلَفٍ ... والآخِرِينَ إذَا مَا عُدَّتِ الأُخَرُ
٩ - إن يَسْبِقُوكَ - أبَا بَكْرٍ - بِأسِّهِمُ ... تَحْتَ البِنَاءِ فَقَدْ شَيَّدتَ مَا عَمَرُوا
١٠ - مُرَفَّهُ الشَّأوِ سَبّاقٌ عَلَى مَهَلٍ ... مُسْتَحْصِدُ الرَّأْيِ لا كَهْلٌ وَلَا غُمُرُ
١١ - مُسْتَعْجِمٌ عَنْ أذَاةِ القَوْمِ مَنْطِقُهُ ... مُسْتَسْمَعُ القَوْلِ لَا عِيٌّ ولا هَذَرُ
١٢ - مَدَّ الزُّبَيْرُ لَهُ بَاعاً عَلَى شَرَفٍ ... مُطَهَّرُ البَيْتِ وَالقُطَّانُ قَدْ طَهُرُوا
١٣ - مَا تَدْلُكُ الشَّمْسُ إلّا حَذْوَ مَنْكِبِهِ ... فِي حَوْمَةٍ تَحْتَهَا الهَامَاتُ والقَصَرُ
١٤ - آلُ الزُّبَيْرِ نُجُومٌ يُسْتَنَارُ بِهَا ... إذَا دَجَا اللَّيْلُ مِنْ ظَلْمَائِهِ زَهَرُوا
١٥ - قَومٌ إذَا شُومِسُوا، لَجَّ الشِّماسُ بِهِمْ ... ذَاتَ العِنَادِ، وَإنْ يَاسَرْتَهُم يَسَرُوا
١٦ - خُصَّ المَدِيحَ أبَا بَكْرٍ وَوَالِدَهُ ... وعُمَّهُمْ مِنْكَ إنْ غَابُوا وَإنْ حَضَرُوا

٣ - اعتام : اختار .

٥ - لعل الصحة : (مرغوبة الثدي) لا (مرهوبة) .

وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على كلمة (مرهوبة) في البيت الخامس : كذا في النسخة الأم ، ولم أعرف له معنى ، وفي نسخة (كوبرلي): (مربوبة الثدي) كأنه من قولهم رب المكان إذا لزمه . وربما كان هذا هو الصواب .

١٣ - تدلك الشمس : تميل للغروب . القصر : جمع قصَرة : وهي أصل العنق .

النص في «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار القطعة ٣١٦ - ١/ ١٦٩ و ١٧٠ . والأبيات الأربعة الأخيرة في «مجالس ثعلب»: ٢٣٥ و ٢٣٦ .

و ١٣ في «لسان العرب» في موضعين دلك وقصر ، وهو فيه غير منسوب .

وهي أيضاً في كتاب «الورقة» لابن الجراح .

٤ - وقال :

١ - لَقَدْ ظَعَنَتْ فِي رَبْرَبٍ شَابَهَ الدُّمَى ... رِقَاقِ الثَّنَايَا وَاضِحَاتِ المَحَاجِرِ
٢ - ويُسْفِرْنَ لِلسَّارِي إذَا جَنَّ لَيْلُهَا ... سَبِيلَ المَطَايَا بِالوُجُوهِ السَّوَافِرِ

النص : البيتان في «التذكرة السعدية» للعبيدي . تحقيق د. عبدالله الجبوري ص ٣٤٢ قطعة رقم ١٥١ .

وقد ساقهما المؤلف دون تعليق . أما المحقق فقال : خارجة بن فليح المللي ، مولى أسلم حجازي ، شاعر مجيد ، كثير الشعر . وفي «مجالس ثعلب»: المكي ، ولعله الصواب . ثم دل على مواطن ترجمته وشعره . ولكنه لم يشر إلى «الأغاني»، و«جمهرة نسب قريش» .

٥ ــ وقال يمدح محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر :

١ ـ ألَا هَلْ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشِتِّ مُجِيرُ؟ ... وَهَلْ لِلَيالِي السَّالِفَاتِ عُكُورُ؟
٢ ـ لَقَدْ صَدَعَتْ بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ بَغْتَةً ... نَوًى - يَوْمَ جَرْعَاءِ الرِّيَاضِ - هَجُورُ
٣ ـ فَفِي كَبِدِي يَالَيْلَ مِنْ فَجْعَةِ النَّوَى ... نَوَائِبُ وَحْيٍ بَيْنَهُنَّ فُطُورُ
٤ ـ يُمِيتُ الْمُنَى شَوْقِي مِرَاراً وَلِلْهَوَى ... بِشَوْقِي مِنْ أَحْدَاثِهِنَّ نُشُورُ
٥ ـ غَرِيبٌ عِدَاوِيٌّ يَكَادُ فُؤَادُهُ ... إلَى أَهْلِ جِلْسِيِّ الْبِلَادِ يَطِيرُ
٦ ـ غَرِيبٌ لَهُ قَلْبٌ يَحِنُّ صَبَابَةً ... وَعَيْنٌ بِأَسْرَابِ الدُّمُوعِ دَرُورُ
٧ ـ وَإنِّي لِعَيْنٍ أَسْعَدَتْنِي بِدَمْعِهَا ... وَقَلْبٍ مَرَاهُ شَوْقُهُ لَشَكُورُ
٨ ـ وَلِي رَوْعَةٌ عِنْدَ الْإِيَابِ وَزَفْرَةٌ ... لَهَا تَحْتَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَعِيرُ
٩ ـ خَلِيلَيَّ ما لِلَّيْلِ بَاتَتْ نُجُومُهُ ... رَوَاكِدَ ما يُسْرَى بِهَا فَتَغُورُ
١٠ ـ أَظُنُّ اللَّيَالِي زِدْنَ طُولاً عَلَى امْرِئٍ ... يَطُولُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهْوَ قَصِيرُ
١١ ـ سَقَى هَضَبَاتِ الْفَرْشِ كُلُّ مُجَلْجِلٍ ... لَهُ نَضَدٌ - من مُزْنِهِ - وَصَبِيرُ
١٢ ـ وَعَادَ بِأَرْضِ الْجَعْفَرِيِّينَ رَائِحٌ ... هَزِيمٌ، وَمُنْهَلُّ الْغَمَامِ بَكُورُ
١٣ ـ هُنَاكَ بَنُو الطَّيَّارِ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى ... وُجُوهٌ عَلَيْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُورُ
١٤ ـ لَهُمْ غُرَرٌ تَحْتَ الدُّجَا جَعْفَرِيَّةٌ ... لَهَا تَحْتَ جِلْبَابِ الظَّلَامِ زُهُورُ
١٥ ـ تَرَى أَرْضَهُمْ مِنْ وَقْعِ أَقْدَامِهِمْ بِهَا ... وَمَسِّ الْجِبَاهِ السَّاجِدَاتِ - طَهُورُ
١٦ ـ لَهُمْ نَسَبٌ لَوْ يُسْتَلَانُ بِحَقِّهِ ... ذُرَى الصَّخْرِ ظَلَّتْ صُمُّهُنَّ تَمُورُ
١٧ ـ دَعَوْتُ لِنَكْبَاتِ الزَّمَانِ مُحَمَّداً ... وَقَدْ هِيضَ عَظْمُ الْجُودِ فَهْوَ كَسِيرُ

١٨ ـ فَلَبِّي، وأنْشَا مُزْنَةً مِنْ نَوَالِهِ لَمَا عَارِضٌ جَمٌّ السِّجَالِ مَطِيرٌ
١٩ ـ لَهُ شِيَمٌ فِيهَا أَنَاةٌ ونَائِلٌ عَتِيدٌ، وَفِيهَا لِلنَّكِيرِ نَكِيرٌ
٢٠ ـ تَلاقَتْ عَلَيْهِ بِالْمَكَارِمِ مِنْهُمُ بُطُونٌ نَفَتْ عَنْهُ الْقَذَى وظُهُورُ
٢١ ـ تَلاقَتْ عَلَيْهِ أُمَّهَاتٌ حَوَاصِنٌ ... في ابناء الْكِرَامِ فخور
٢٢ ـ يَمَانِيَّةُ الأَنْسَابِ أَوْ مُضَرِيَّةٌ تَخَيَّرَهَا مِنْ سَالِفِيهِ عَشِيرٌ
٢٣ ـ مُلِكْنَ بعقْدِ الْخَاطِبِينَ وَإِنَّمَا دَعَاهُنَّ نَجْدٌ ثَاقِبٌ وَمُهُورُ
٢٤ ـ بِعلْيَاءَ تَجْرِي الشَّمْسُ دُونَ فُرُوعِهَا وَيَقْصُرُ عَنْهَا الطَّرْفُ وَهُوَ حَسِيرٌ
٢٥ ـ بِحَيْثُ اسْتَوَى نجْمُ السَّمَاءِ وَبَدْرُهَا هُنَاكَ لَهُمْ مَجْدٌ أَشَمُّ فَخُورُ
٢٦ ـ فَتًى عَلِقَتْ كَفِّي بِأَسْبَابِهِ الَّتِي أغار قُوَاهَا بِالسَّمَاحِ مُغِيرٌ
٢٧ ـ هُنَاكَ لَهُ بَيْنَ النَّبِيِّ وجَعْفَرٍ وَبَيْنَ عَلِيٍّ مَعْقِلٌ وَمَصِيرٌ
٢٨ ـ وَرِثْتَ يَمِينَ الْجُودِ جُودِ ابْنِ جَعْفَرٍ فَأَنْتَ لَهُ في الْغَابِرِينَ نَظِيرٌ
٢٩ ـ وَحَرَّمْتَ (لَا) يَا ابْنَ النَّبِيِّ فَلَفْظُهَا لِبَاغِي النَّدَى عِبْءٌ عَلَيْكَ كَبِيرٌ

(١) المشت : المُفَرَّق : عكور : رجوع .

(٣) وجي : الوجي رقة القدم من كثرة المشي ، استعير هنا للكبد .

(٥) عداويّ : نسبته إلى عداء مزينة ، قال معن بن أوس العداوي ـ عداء مزينة ـ في إبله :

وترمي بها العوجاء كل ثنية كأنَّ بها بوًّا بنهبى تعاوله

قال أبو علي : كل ما في العرب بنو عِداء ، فالنسبة إليه عدائي إلاّ عِدَاءَ مزينة فالنسبة إليه عِداوي .

(٧) مراه : استدرّه .

(١١) النضد : ما تراكب من السحاب . الصبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجات .

(١٤) زهور : نور .

النص : من كتاب «النوادر والتعليقات» لأبي علي الهجري . وهذه القصيدة في

القسم الذي لايزال مخطوطاً من الكتاب ، في المخطوطة الهندية ، وقد تفضل بامدادي بها من مصورة المخطوطة أستاذنا الجليل الشيخ (حمد الجاسر) . وقد تعسرت قراءة النص لوجود طمس كثير ، وقد وضعت فراغاً للكلمات التي تعذر إدراكها . وفي البيت رقم ٢٦ أرجح كلمة (عليها) بدلاً من (قُوَاها) .

والنص من الصفحة ١٢١ من المخطوطة . وجاء في مقدمته : قال : وأنشدني أبو الحسن إبراهيم بن يوسف بن عيسى بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد ابن علي بن عبدالله بن جعفر لخارجة بن فليح المللي ، وهو مزني ، في محمد بن جعفر جده المذكور هاهنا : . . .).

العين

ـ ١ ـ

١ ـ أَحِنُّ إِلَى لَيْلَى، وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... كَمَا حَنَّ مَحْبُوسٌ عَنِ الإِلْفِ، نَازِعُ
٢ ـ إِذَا خَوَّفَتْنِي النَّفْسُ بِالنَّأْيِ تَارَةً ... وَبِالصَّرْمِ مِنْهَا أَكْذَبَتْهَا الْمَطَامِعُ
٣ ـ أَكَلَّ هَوَاكِ الطَّرْفَ مِنْ كُلِّ بَهْجَةٍ ... وَصَمَّتْ عَنِ الدَّاعِي إِلَيْهَا الْمَسَامِعُ

النص : في «الأمالي» ١/٢٢٣ ، وفي «السمط» ٥١٥/٥١٦ ، أورد البيتين : الأول والثاني فقط ، وقال : الولي : القرب . وفي «مجموعة المعاني»: المؤلف مجهول ، تحقيق عبدالمعين الملوحي : ٥٠٢ ـ ٥٠٣ .

ـ ٢ ـ

وقال :

١ ـ ثَنَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ الْمَطِيِّ صَبَابَةً ... إِلَيَّ فَكَادَ الْقَلْبُ أَنْ يَتَصَدَّعَا
٢ ـ أَقَامَتْ فَطَابَتْ تُرْبَةُ الْخَيْفِ إِذْ ثَوَتْ ... بِهِ بَعْدِ تَعْرِيفِ الْمُعَرَّفِ ـ أَرْبَعَا
٣ ـ وَطَابَ حِجَابُ الْمَرْوَتَيْنِ بِنَشْرِهَا ... وَمَتْنُ الصَّفَا الشَّرْقِيِّ حَتَّى تَضَوَّعَا
٤ ـ وَمَا نِلْتُ مِنْ لَيْلَى وَفَاءً بِعَهْدِهَا ... وَمَا نِلْتُ مِنْهَا الْعَهْدَ إِلَّا تَضَرُّعَا

النص : من كتاب «الورقة» لابن الجراح ٧٥ قدّمه بقوله : ومن قول خارجة . أنشدنيه ابن أبي خيثمة عن مصعب والزبير بن بكار ثم أورد الأبيات .

الـــلام

١ ـ أَشَــوْقَا وَلَـمَّا يَسْلُكِ البَــيْنُ مَسْلَكاً ... فما أنت ان شقّت عصا البين فاعـل
٢ ـ هُـنَـاكَ يَجِنُّ الْـقَلْبُ حَنَّــةَ وَالِـهٍ ... ويستنّ مـرفضٌ من الـدمـع هـاطـل
٣ ـ وإِنْ عَنّ لِي بـاللَّيـلِ ذِكْــرُكِ عَنَّةً ... هفـوت وشـاقتني الـرسـوم المـواحـل
٤ ـ وأَقْنَعُ مِنْ لَيْلَى بِـأَصْقَـابِ دارِهَـا ... وَأُخْـدَعُ فِيْهَـا بِـالْمُنَى وَهْيَ بَـاطِـلُ

(٢) يستنّ : ينصب . مرفض : مترشش .

النص : في «الحماسة البصرية» ٢/١٩٠ القطعة رقم ٢٥١ ، ولم يعلق المحقق بشيء . عنوان القطعة (وقال خارجة) ، ولم يذكر المؤلف من هو خارجة ، وصمت المعلق . ولكن جاء في فهرس الشعراء بعد ذكر (خارجة) وبين قوسين (بن فليح المللي) .

النـــــون

قال :

فَقَــدْ جَعَلَتْ دَوَاوِيْنُ الْغَـوَانِـي ... سِــوَى دِيْــوَانِ لَيْـلَى يَمَّحِيْنَــا

النص : البيت مفرد في كتاب «الورقة» لابن الجراح ٧٥ .

الرياض : عبدالعزيز الرفاعي

الحواشي :

(١) ص ١٠٨ ، حيث جاء هذا النسب عن (فليح) وقال الأستاذ محمود شاكر محقق الكتاب كأنه هو أبو خارجة بن فليح المللي .
(٢) كتاب «الورقة» : ٧٤ .
(٣) الوزير عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأونبي ت ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م .
(٤) «شرح أمالي القالي» : ٦٥ .
(٥) «جمهرة نسب قريش» : ١٣٥ .
(٦) «شرح أمالي القالي» : ٦٥ .

←

من مواد المعجم التاريخي :

الجمع في طائفة من الكلم القديم

كثر الحديث عن «المعجم التاريخي»، وربما وصل العرب هذا المصطلح الجديد مما عرف في الدراسات المعجمية الحديثة . ان هذه الدراسات مهما اكتسبت من (التغريب) لا يمكن أن تستغني عن الأصول اللغوية ، ذالك أنّ الجديد اللغوي لابد أن يحتفظ بشيء من علاقة عضوية بالأصول القديمة .

ولنا أن نسأل أنفسنا : ألنا من تراثنا «معجم تاريخي»؟ وهل لنا أن نعد مثلاً «لسان العرب» ضرباً من هذا المعجم ؟

والجواب عن السؤالين : هو أننا لا نملك هذا «المعجم» ، وليس «لسان العرب» ولا غيره من المطوّلات هو هذا الذي نتساءل عنه .

→ (٧) رسم (ملل) . . (٨) «جمهرة نسب قريش» ١٠٨ .

(٩) ص ٩٤ . (١٠) الادمان : السمر . (١١) المراد الصلابة .

(١٢) ١٥٨/٢٠ .

(١٣) ج ١/ ٢٣٥ . (١٣م) ١١٠ . (١٤) ١٠/ ٤٥٢ . (١٤م) ٢٠/ ١٥٧ .

(١٥) (الروحاء) كما سلف أن شرحت إلى جوار ملل [العرب: بين ملل والروحاء ٤٧ كيلاً ، ومَلَلٌ وادٍ لا يزال معروفاً ، يجزعه الطريق إلى المدينة ، يبعد عن المدينة ٣٣ كيلاً وعن الفُرَيْش (أسفل فَرْشِ مَلَلٍ) ١٦ كيلاً ، ويبعد الفُرَيْش عن الرَّوْحَاءِ ٣١ ميْلاً ، أي إن الروحاء تبعد عن المدينة نحو ثمانين كيلاً] .

(١٦) «التذكرة السعدية» للعبيدي ، هامش ص ٣٤٢ تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري .

(١٧) ٦٥ . (١٨) ج ٢٠/ ١٥٧ . (١٩) ١/ ١٤ .

(٢٠) «جمهرة نسب قريش» ١/ ١٣٥ .

(٢١) يقصد الشاعر بأبي بكر بكار بن عبدالله بن مصعب ، ت ١٩٥هـ = ٨١١م ، ووالده عبدالله ت ١٨٤هـ = ٨٠٠م .

(٢٢) ١/ ٢٣٥ .

(٢٣) عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله التيمي بالولاء ، أبو مروان بن الماجشون فقيه مالكي فصيح ت ٢١٢هـ = ٨٢٧م (الاعلام) .

(٢٤) تصحيف صحته المللي . (٢٥) سلفت ترجمته .

(٢٦) هو الزبير بن بكار ت ٢٥٦هـ = ٨٧٠م ، وقد أسلفت ترجمة أبيه .

(٢٧) أي عبيدالله بن الحسن ، سالف الذكر .

(٢٨) أي ابن الماجشون .

إن «المعجم التاريخي» يجب أن يكون قائماً على العناية بالأصول ، ثم الفروع عن هذه الأصول . وهذا يعني أنه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها إلى نهايتها . ولا أريد بـ (النهاية) الموت والفناء ، وإن يكن هذا من الأمور الحاصلة في جمهرة من الألفاظ التي عفا عليها الزمن ، أو قل قد انْتفت الحاجة إليها .

إن لكل كلمة من الكلمات في العربية ـ كما هي الحال في كل لغة ـ (سيرة) ، وهذه السيرة تخضع لظروف عدة ، وتكوّن حاجة من حاجات المعربين .

ومن هنا كانت الكلمة محكومة بحاجات مَاتَنِي تَزْدَادُ يوماً بعد يوم . على أن هذا الجديد من الحاجات لا يخلق من اللفظ شيئاً من عدم ، بل إنّ المعربين يكونون مسوقين إلى البحث عما لديهم من اللفظ فَيُعْمِلُون فيه النظر حتى يكون لهم الجديد في الأبنية التي عرفوها في العربية .

ولنا أن نقول : إن «المعجم التاريخي» في ضبطه لأفراد هذه اللغة لا يكون محكوماً بل ساعياً إلى البحث عن الصواب والخطإ ، ذالك أن (الصوابية) في كثير من الألفاظ تخضع للإعتبار . إن النظر إلى التّطور (الصحيح) يبعدنا عن الخوض في الخَطإ .

إننا حين نَبْحَث في سيرة اللفظة فنراها تكتسي لبوساً خاصًا في كل عصر اتساعاً ومجازاً وتشبيهاً ، ونحن نقبل هذا اللبوس ، بل قُلْ : إننا محكوم علينا أن نقبله ، نكون في ذالك غير محصورين في دائرة الضِّيق ، ونتجاوز بذالك الحدود إلى أبعد من عصر الاحتجاج .

مازالت العربية القديمة موضع درسٍ ، وأنَّ الكثير من نوادرها يسترعي النظر ، وقد بدا لي أن طائفة من الكلم المجموع تقتَضِيْنا أن نعود إليها غير مكتفين بالذي شاع من أبنيتها .

إن مصادر العربية القديمة ولاسيَّما مطولات المعجمات قد توقفت في طائفة فسردت فيها أقوالاً لا تخلو من التَّضارب . وإنَّ الدارس ليقفُ فيها على حشد من

الآراء والتأويلات . وكان لي أن وقفت وقفة طويلة على طائفة من هذه المواد أبدؤها بمسيرة تاريخية لأشير في خاتمة المطاف إلى ما آلت إليه . وسأرتِّبُ هذه بحسب أوائلها دون النظر إلى أصولها الاشتقاقية ، ودونك ـ صاحبي الدارس الْـمَعْنِـيُّ ـ هذه المواد :

١ ــ سجـــال :

إنَّ هذه الكلمة قديمة ، ولكنها بقيت في العربية المعاصرة ، والمعربون في أيامنا درجُوا في أيامنا على استعمالها مصدراً كأنْ أقرأ في «صحيفة الشرق الأوسط»[١] في مناظرة في الثقافة والأدب :

(لماذا اختفى «السجال») من حياتنا الثقافية ؟

والذي يخلص من هذا أن (السجال) بمعنى الجدال والمناظرة . وهذا هو الجاري لدى الكتاب في مقالاتهم وأبحاثهم . ومن هذا ما يقول آخر : اشتَدَّ (السجال) بين الأطراف كافة . وهذا شيء فاشٍ كثير .

أقول : و(السِّجال) بهذا الاستعمال وهذه الدلالة شيء جديد مستوحىً من معنى (السجال) في الأصل .

(السجال) : جمع (سَجْل) بمعنى الدَّلْو الممتلئة ماءً ، ولا يكون (سجلٌ) إلا وهو ممتلىء ماءً . قال لبيد :

يُحِيْلُونَ السِّجَالَ على السِّجَالِ[٢]

وفي حديث أبي سفيان : أن هِرَقْلَ سأله عن الحرب بينه وبين النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال له : الحرب (سجال)، معناه : إنَّا نُدال عليه ، ويُدال علينا أخرى[٣].

أقول : وقوله : (الحرب سجال) على التشبيه ، أي هي كالسجال متناوب فيها الـمُسْتَقِيانِ من البِئر . وهي كما الأصل جمع (سَجْل) وليس فيها شيء مما درج عليه المعاصرون الذين حَوَّلُوا الكلمة في استعمالهم إلى (مصدر) ، وكأنه في استعمالهم مصدر لـ(سَاجَلَ) مثل : سَابَقَ ومصدره (سِباق) و(مسابقة) .

أقول أيضاً : إن الأقدمين ذهَبُوا من دلالة (السُّجال) وهي جمع إلى معنى المبادلة والمعاقبة فأخذوا من (السَّجْلِ) وهو الاسم (المساجلة) ولم يُحَوِّلُوا (السِجال) إلى مصدر نحو : السِباق والمسابقة ، والصِراع والمصارعة ، وغيرهما كثير جداً .

وأريد أن أقول : إن مصدر (فاعَلَ) هو الـمُفاعلة والفِعال ، وهذا لا يعني أنَّ كلَّ فعلٍ على هذا يأتي منه هاتان الصيغتَان ، فكثيراً ما أكتُفِـي في العربية بأحدهما وهُجِر الآخر على قياسِيَّتِهِ .

ألا ترى أنك تقول : (المباراة) من الفعل (بارَى) ولا تقول (براء) ولَـمْ يَجْرِ به الاستعمال .

وتقول : (مضاحكة) ، ولا تقول : (ضِحاك) ، وتقول : (ملاعبة) ولا تقول (لِعاب) ، وتقول : (مكاثرة) و(مكابرة) ، ولا تقول : (كِثار) ولا (كِبَار).

ومن هنا كان على المعاصرين أن يكتفوا بـ (مساجلة) لأن (السِّجالَ) بَقِيتْ في العربية جمعاً ، ولم تَرِدْ مصدَراً ، وإن كانت قياسية كالمساجلة .

واستعمل الزملكاني صاحب «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»[٤] في كلامه على الأحرف في فواتح السور كلمة (التَّسَاجُل) ، ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة ، ولكن المؤلف جعله من قبيل التَّبادل والتَّناوب ونحوهما ، وكان موفَّقاً فيه ، قال : (إنها كالمهيِّجة لمن سمعها ، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب (التساجُل) في الإعلام . . .) .

أقول : فكيف نقول في (سِجال) في استعمال المعاصرين الذين حوّلوها مصدراً ؟

الجواب عن ذالك : ليس منْ ضَيْرٍ في هذا ، وقد استوحى المعاصرون هذه الدلالة من المعنى في الأصل ، وأنها شيء مثل (المساجلة) بل قل نظير (المساجلة) في القياس . وليس لي أن أُهْرَع إلى القول بـ (الخطإ) .

أقول : إن المعاصرين حين درجوا على استعمالهم هذا ، لم يشعروا أنهم تجاوزوا

الأصْلَ ، ولعل كثيرين منهم لم يعرفوا دلالة (السِّجال) في استعمال العرب الأقدمين ، ولكنهم يستعملون الكلمة حين يبدؤها أحدهم فتشيع ، أَفَلِي أنْ أقول : إن الكلمة قد (تُرْزَأ) بشيوعها ؟

على أنَّ في العربية شيئاً من هذا التَّحوُّل كما سترى .

٢ ــ شتّى :

استعملت (شتّى) في قوله تعالى : ﴿ إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾[٥]، والمعنى : مختلف متعدِّدٌ .

والكلمة خبر لِلْـمُبْتَدَإ ، والخبر يفيد الوصف ، وكأن (شتّى) نَعْتٌ أو صفة في المعنى في حين وردت خبراً لمبتدإ اسم ذات في قوله تعالى : ﴿ وقلُوبُهُم شَتَّى ﴾[٦] .

والخبر (شتّى) في الآية يُومِئُ إلى أنَّها (شَتَّى) جمع شَتيت ، كما سنرى في المثل العربي القديم ، الذي يشير إلى دلالتها على الجمع وهو : (شتّى يَؤوبُ الْـحَلَبَة)[٧] .

وكلمة (شتّى) في الأصل جمع (شتيت) مثل جَرِيح وجَرْحَى ، ومَرِيض ومَرْضَى .

وقد فطن إلى هذا الدكتور مصطفى جواد[٨]، وأشار إلى أنها في الاستعمال قد ابتعدت عن بناء الجمع وتَحَوَّلتْ إلى ما يُشْبِهُ النَّعت أو الصفة .

أقول : والذي ذكرته أنا من استشهادي بالآية الكريمة لدليل كافٍ يؤيد رأي الدكتور مصطفى جواد في تحوّل هذه الكلمة إلى معنى الصفة أو النَّعت ، كما أنَّ استشهادي بالمثل القديم يدل على أصالة الجمع فيها .

٣ ــ غُــزّى :

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾[٩]، في المصحف الكريم الذي بين أيدينا ، وقُرِئَتْ (غُزَاة) بضم الغين وفتحها ، كما قُرِئتْ (غِزِيّ)

بكسر الغين وتشديد الياء ، وكلها بمعنى الجمع ، والمفرد (غازٍ)[١٠]، وكذلك (غَزِيّ) مثل (نَدِيّ) و(نَجِيّ) جمع نادٍ وناج .

والذي دلّ عليه الاستقراء أن بناء (فُعَّل) من أبنية الجمع يكون جمعاً لـ (فاعل) صحيح اللام لا معتلّها نحو : ساجد وراكع ، وجمعها (سُجَّد) و(رُكَّع) . ومن هنا كان (غُزَّى) في لغة التنزيل العزيز من الجمع القليل .

ومَجِيْءُ (غُزَّى) في الآية يُقدِّمُ فائدة تاريخية نخلص منها إلى أن اللغويين حين عرضوا لأصول اللغة لم يفيدوا الفائدة القصوى من لغة التنزيل .

٤ ــ فَوْضَــى :

وهذه كلمة أخرى وُفِّق إلى معرفتها الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ حين لمح الجمع في دلالتها وقال : هي (فَضًّى) في الأصل ، ثم عرض لها الإبدال بعد فكّ الإدغام فصارت (فوضى) . وقال : إن المفرد منها (فضيض) مثل (شتيت) التي جمعت (شتًّى) وقد سبق الكلام عليها .

أقول : لم يكن شَيْءٌ من هذا لدى اللغويين الأقدمين كما نستفيده من المعجمات ، ذلك أنهم ذكروا : (فَوْضَى) و(فَيْضَى) و(فَيْضُوضَاء) ، ولم يلمحوا أن أصلها (فَضًّى) على نحو ما ذهب إليه الدكتور مصطفى جواد .

أقول : إنَّ (فَوْضَى) قد حُوِّلَتْ في استعمالهم إلى نوع من المصدر ، وكأنَّها صارت تُفيدُ ما يفيده (الاضطراب) وعدم النظام ، وهذا في استعمال الأقدمين أيضاً . غير أننا نجد في شعر الأفوه الأودي قوله :

لَا يَصلُح النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ۝ وَلَا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سَادُوا[١١]

وكلمة (فَوْضَى) هنا تفيد الوصف ومعناها (مختلطون)، ومن هنا يصح لي أن ألمح صواب ما ذهب إليه الدكتور مصطفى جواد[١٢].

٥ ــ مَشَاكِــل :

أقول : هي كلمة شاعتْ في العربية المعاصرة جمعاً لـ (مشكلة) ، وهي في

الاستعمال القديم جمع سالم مؤنث (مشكلات).

وقد كثر استعمال (مشكلة) في العربية المعاصرة، وكذالك جمعها. لقد اختار المترجمون النقلة في المشرق العربي كلمة (مشكلة) مؤنثة للكلمة الانكليزية (Problem) فشاعت وكتب لها السيرورة، ولو أنهم اختاروا كلمة أخرى بمعناها نحو (معضلة) مثلاً لشاعت أيضاً، في حين وجد المترجمون النقلة في المغرب العربي أن هذه الكلمة في الفرنسية مذكرّة، فاختاروا لها (المشكل).

ولن تجد التُونسي إلا قائلاً (المشكل) في هذا الأمر هو كذا وكذا، كما لن تجد المشارقة إلا قائلين (المشكلة الكبرى).

ثم أعود إلى جمعها فأقول: إن (مشكلة) هي بناء اسم الفاعل من الرباعي نحو: (مُعضِلة) وجمعها (مُعضِلات) ولا نقول (مَعاضِل)، كما نقول: (مشاكل). ولكننا نقف على قوله تعالى: ﴿ وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْـمَرَاضِعَ ﴾ ١٢ سورة القصص، واسم الفاعل هذا لا يأتي منه (مَفَاعل) في الجمع إلا نوادر قليلة، و(المراضع) جمع (مُرضعة) لا مُرضع، ومن هنا يكون لنا أن نحكم بصحة (مَشاكل). ولي أن أقول في هذا الجمع ما قيل في جمع (مُصيبة) فقد جمعت على (مصائب) وهو الكثير، ولكنه على غير قياس، وجمعت على (مصاوب)، واسم الفاعل لا يجمع على (مَفاعل)، إلا أنهم توهموا أنّ المفرد (مصيبة) على وزن فعيلة لا (مُفْعِلة)[١٣]. وكأن هذا الذي عبروا عنه بـ (التوهم)[١٤] سوَّغ هذا الخروج عن القياس.

٦ ــ مصائــر:

أقول في تاريخ هذه الكلمة المجموعة أنها جمعتْ وشاعت في هذه الصيغة في العربية المعاصرة، ذالك أنها وردت مفردة عدة مرات في لغة التنزيل[١٥]. إن ورودها مفردة في لغة التنزيل يشير إلى أن الكلمة ـ وهي مفردة ـ تؤدي مايراد منها فليس ثمة حاجة إلى أن تجمع.

وقد نسأل: لِـمَ كان هذا الجمع؟ والجواب عن هذا أنّ العربية المعاصرة

جمعت الكلمة تأثراً باللغات الغربية التي ترد فيها هذه الكلمة مجموعة ، كأن يقال فيها (مصائر الأمم) أو (مصائر الشعوب التي مازالت تحت نِيْر الاستعمار) ومثل هذا .

والكلمة الانكليزية (Destiny) ، والكلمة الفرنسية (Destin) أو الكلمة الأخرى (Sort) يأتي كله مجموعاً في هاتين اللغتين . ولما كنا ننقل عن هاتين اللغتين اضطراراً وحاجة فلا بُدَّ أن نَنْتهي إلى هذا الذي حصل من جمع هذه الكلمات .

أقول أيضاً : إن المعربين في عصرنا يجهلون دقائق العربية وهم يحسبون (مصائر) بالهمز فصيحة ، ولو قال أحدهم (مصاير) لحسبوا أنه متأثر بالاعراب الدارج العامي ، ولم يعلموا أن (مصاير) بالياء هي الفصيحة ، وأن الياء فيها لا تبدل همزة ، وهي نظير مصايد ومشايخ ، وليس لنا أن نهمز هذه الألفاظ لأن الياء فيها أصل .

إن الياء في (مصاير) ليست كالياء في (حديقة) التي تبدل همزة في الجمع فنقول : (حدائق) لأنها زائدة وليست أصلية ، والفعل (حدق) .

ثم إنَّ المعاصرين قد جمعوا (مصير) على (مصائر) جمع توهم ، فكأن الميم أصل في الكلمة ، وهي بذالك وزان (فعيل) كما قيل في (سرير) : (سرائر) وهو غير (سُرُر) و(أسرّة) . وقد مرّ شيء من هذا في تعليقنا على (مصيبة) و(مصائب) . و(مصير) اسم مفعول لا يمكن أن يجمع على (مصاير) ، لولا فذلكة التوهم .

٧ ــ مصاعــب :

(المصاعب) جمع (مُصْعَب) ، وهو الفَحْل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة ، قال أبو ذؤيب :

كَأَنَّ مَصَاعِيْبَ زُبَّ الرُّؤُوْ ... سِ فِي دَارِ صَرْمٍ تَلَاقَى مُرِيْحَا

قالوا : أراد (مصاعب) فزاد الياء لتأتي له (فعولن) .

أقول : وجدتُ هذا دليلاً على أن حذف الياء هو الفَصيح ، وليس العكس .

وقد فات الدكتور مصطفى جواد هذا في ذهابه إلى أن جمع (مُعْجَم) هو (معاجيم) . كأنه حمِلها على (المسانيد) جمع (مُسْنَد) و(المراسيل) جمع (مُرْسَل) من مصطلحات الحديث الشريف .

بيـن الأصالـة والتوهـم

ذكرت أنّ (المسيل) هو السيلان ، ومن هنا كانت الميم زائدة ، ولما جُمع (المسيل) على (أمسلة) و(مُسُل) و(مُسْلان) و(مسائل) ، علم أنهم توهموا أصالة الميم ، وهي زائدة في الحقيقة .

والأمر يتجاوز هذا ذالك أن اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم ، وكأنها أصل ، وزاد فيها المعربون وذهبوا كل مذهب فكان منها (الـمَسَل) لمسيل الماء أيضاً . وكان منها (الـمَسْل) بإسكان السين للقطر .

ومن عجب أن جملة هذا في مادة (مسل) ، ولم يكن له إشارة في مادة (سيل) . ومن هذا أيضاً أنّ (مدينة) قد جمعت على (مدائن) ، ولم يُلْتَفَتْ إلى أصالة الياء فيها بل حُسِبَتْ مثل ياء (فعيلة) زائدة فجمعتْ على ذالك فكانت (مدائن) .

وقد جعلها اللغويون أصلاً في المعجم القديم (مَ دَ نَ) . والحقيقة التاريخية تشير إلى أنها (د ي ن) ، غير أن مادة (د ي ن) في المعجم القديم قد خلت مما يشير إلى (المدينة) . إن (المدينة) تشير في صوغها إلى أنها من (الدين) أي الحساب ، ومن هنا انصرفت إلى معاني التمدُّن والتّحضر . إن (يوم الدين) في الأدب الإسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم .

وهذا المعنى هو نفسه في الأصول السامية ، فَبيت الدين هو هذا المعنى في اللغة الآرامية ، ومن هنا سميت كنيسة (بيت الدين) ، وهي من حواضر لبنان . وبيت الدين בֵּית דִּין في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم أي المحكمة .

فمن حقّنا أن نضع الأصلين في المعجم التاريخي ، ويُشار في مادة (د ي ن) إلى مادة (م د ن) .

وقد فطن الأزهريُّ إلى شيء من هذا في جموع (مسيل) التي تقدمت فقال : (وهذه الجموع على توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة ، قال ساعدة بن جؤيّة يصفُ النّخل :

مِنْها جوارِسُ للسراة وتحتوي[١٦] كَـرَبَـاتِ أَمْسِلَةٍ إذا تَتَصَـوَّبُ

ولكن الأزهريّ حتى أتى بالشاهد أراد أن يثبت معنى (أمسلة) فيه فقال : و(الأمسلة) جمع (المسيل) وهو الجريد الرطب ، وجمعه الـمُسُل ، وقال : سمعت أعرابياً من بني سعد ، نشأ بالأحساء ، يقول لجريد النخل الرطب (الـمُسُل) ، والواحد (مسيل)[١٧] .

ومن هذا أيضاً قولهم : (ماءٍ مَعِين) أي صاف عذب نَمِير ، وقد حسب (الـمَعين) قال تعالى : ﴿ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ معين ﴾ ٤٥ سورة الصافات .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غورا فَمَنْ يَأْتِيْكُمْ بِماءٍ مَعِينْ ﴾ ٣٠ سورة الملك . وقد ورد (المعين) في مادة (عين) في المعجم القديم ، وروده هنا يشير إلى أصله وهو (عين الماء) . كما ورد في مادة (معن) ، ومن دلالات (المعَن) الاستقاء[١٨] . إلا أن (مَعُن) دلت على مواد كثيرة ابتعدتْ عن الماء والاستقاء ، فصارت مادة قائمة وحدها ، لا صلة لها بـ (عين) . ومن ذالك : (المعان) بمعنى المكان والمنزل ، و (الماعون) بمعنى الطاعة والزكاة ، وأسقاط البيت .

ومن هذا أيضاً (المكان) الذي جمع على (أمكنة)، وقد سبق الكلام عليه . ولكني أضيف هنا إلى أن شهرة (المكان) وسيرورة استعماله جعلا منه أصلاً .

أقول : (أصلاً) لأنهم أخذوا منه الفعل (م ك ن) الدال على القدرة ، و(التمكّن) الثبوت في المكان والاستقرار فيه ، ثم اتّسعَ فيه إلى القدرة مطلقاً .

و(المكين) : هو القادر المتمكّن ذو المكان[١٩]، وكأنهم حسبوه على (فَعيل) ، ولم يُلمحوا إلى أنه من (ك و ن) .

خاتمـــة :

وبعد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع ، وشققت فيها الكلام على الأصول وماعرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتى انتهت إلى ما انتهت إليه . وكأني أدرك أن المعرب القديم تجاوز فيما دُعي بـ (التوهم) مسألة الصواب والخطأ .

ومن عجب أنه صوَّبَ مسائل ، ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها إلى الخطأ .

ويحسن بي في هذا الصدد أن أفيد من سماحة لغة الذكر وشجاعتها فأورد شيئاً منها الأول : وهو مفيد كل الفائدة من الناحية اللغوية التاريخية، قال تعالى : ﴿ أنَّ السَّموات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا . . . ﴾[٢٠]. فعوملت (السموات) و(الأرض) مثنًى فقال : ﴿ كانتا ﴾ ثم ﴿ ففتقْنَاهُمَا ﴾. فلينظر أصحابُنَا الذين لا علم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ ألا ترى كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الإخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنهما مثنى !

والثاني : مجيء مُفعِلة مجموعة على (مَفَاعِل) كما في قوله تعالى : ﴿ وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْـمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾[٢١].

أقول : و(المراضع) في سياق الآية تشير بوضوح إلى أنها جمع (مرضعة) ، وهي أدَلُّ من أن تكون جمع (مُرضع)، وإن كان هذا لا يمتنع .

ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به على قوة جمع (مصائب) التي تقدم الكلام عليها .

الثالث : وهو قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٢٢] وفي هذه الآية اجتمعت التَّثنية والجمع والمتحدَّثُ عنه مثنًى ، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في (قالَتا) ، ولكن المحمول عليهما من الوصف الذي جاء (حالاً) من الضمير في (أتَيْنا) كان جمعاً مذكراً سالماً . وكأن (السماء والأرض) حين نسب إليهما ماهو خاص بالآدميين ، وهو

القول ، سوّغ ذالك أن يجيء لها ماجاء في الآية في قوله تعالى : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة .

أقول : لو كان لي أن أتوسّع قليلاً لتجاوزَ مِنّي هذا الموجز الصفحات الكثيرة ، وفي الذي أوردته بعض ما أرْمِي إليه .

وهذه طائفة أخرى من الجموع مما جاء في العربية على (أُفاعيل) و(فَعاليل) و(تَفاعيل)، وقد يجيء على (فَعَالِل)، وأبنية أخرى .

وقد بدا لي أن أعرض لهذه الطائفة من الجموع لخصوصية فيها ، ذالك أن الجموع قد اهتدى إليها المعربون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها ، إنهم بنوا الجموع على مصادر موادّها كما سنرى . وسأدرج هذه الطائفة من الجموع على حسب حروف المعجم ، ودونك ما وصل إليه استقرائي .

١ ــ ابابيــل :

(الأبابيل) وهي الجماعة في تفرقة ، ولم ترد هذه في العربية سوى في قوله تعالى : ﴿ وأرسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أبابِيْلَ ﴾[٢٣].

قال القدامى من علماء اللغة وأصحاب غريب القرآن : إنّها جمعٌ لا وَاحِدَ له بمنزلة (عباديد) و(شماطيط) و(شعاليل) . غير أن نَفَراً من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفرداً ، وكأنهم تخيّلوه وهو بحسب تصوّرهم (إبّيل) و(إبّول)، وقالوا أيضاً : (إبّالة) ، ولم يردْ أيٌّ من هذه المفردات في نصوص العربية[٢٤].

٢ ــ اساطيــر :

(الأساطير) معناها ما سطره الأوّلون ، وواحد الأساطير (أسطورة) مثل (أُحدوثة) وجمعها أحاديث .

أقول : وردت (الأساطير) في آيات عدة بقوله تعالى : ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِيْنَ ﴾.

والكلمة جمع ، ولم يسبقها المفرد في الاستعمال بدلالة ما قيل في المفرد ، فقد ورد في كتب اللغة : واحدة الأساطير : إسطار ، وإسطارة ، وأسطير ، وأسطيرة ، وأسطور ، وأسطورة .

وقال قوم : أساطير جمع أسطار ، وأسطار جمع سَطْرٍ ، فكأن (أساطير) على رأي هؤلاء جمع الجمع .

وقال أبو عبيدة : سَطرٌ ويجمع على أَسْطُرٍ ، ثم جمع على أساطير .

أقول أيضاً : وهي لا تخرج في الدلالة عمّا يُسطرَ من كتابات . وهي في قوله تعالى تحتمل النبز ، أي أن كتابات الأولين لا تعني شَيْئاً ذا قيمة .

وقد وردت في الجمع ، وهو المراد المقصود ، ولم يستعمل المفرد بهذا المعنى في النبز ، ومن أجل ذالك أعمل اللغويون نظرهم فوضعوه في عدة أبنية ، ذالك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذالك أبنية عدة في المفرد .

وأما ما يذهب إليه المعاصرون من فهم للأسطورة ، فلم يكن في نصوصنا الأدبية التاريخية شيء يوميٌ إلى شَبَهٍ يسير بما يعرف عن (الأساطير) لدى الاغريق والرومان ، وشعوب الشرق القديم .

و(الأساطير) في فهم المعاصرين واستعمالهم جمع مرتجل لا واحد له ، ولكنهم قالوا : (أسطورة) وحمّلوها مالها في اللغات الأجنبية (Fable) أو (Mythe) .
وحقيقة (الأسطورة) في العربية أنها تدل على غير ما تدل عليه في اللغات الأجنبية . إنها مجموعة أسطر ، أو كتابة شيءٍ مسطور . وهي مأخوذة من الجمع (أساطير) قياساً على نظائرها الأضاحيك والألاعيب والأهاجي جمع أضحوكة وألعوبة وأهجية .

٣ ــ اشائب :

(الأشائب) هي الأخلاط ، وهُرِعَ أهل (المعرّب) إلى القول : إنها فارسية ، وأن أصلها أشوب .

أقول : وأصحاب المعجمات جعلوها أصلاً وهو (أشب) وأشَب الشيء أي خلطه .

و(الأُشابة) من الناس : الأخلاط ، قال النابغة :

وَثِقتُ له بالنَّصْرِ إذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أُشَائِبِ

أقول أيضاً : ومن حق صاحب المعجم التاريخيّ أن ينظر في الأصول المَتشابهة ويصل العلاقات بينها ، إذ لابُدَّ لكل منها أن يتَّصل بصاحبه ، وأن هذه نسيج واحد يتصل سَداه بِلُحْمَته .

إن مادة (أشب) لابد أن تكون مع مادة (شوب) شيئاً واحداً ، فالشَوْب هو الخلط . وكلما جاء في (الشوب) من دلالات كالعسَل وغيره مثلاً كان معنى (الخلط) حاضراً فيه .

و(الشائبة)، وجمعها (شوائب) هي الأقذار والأدناس تومئ بوضوح إلى (الخلط) . ومن هنا كان بين المهموز (أشب) والأجوف (شوب) علاقة الشيء إلى نفسه . أو قل : إن (شوب) هو الأصل قد ذُهِب به إلى المهموز ، ومن هذا الكثير في العربية ، ومنه (شور) ومنه (أشَارَ) نجده واضحاً في (أشر) .

ومن المفيد أن يشير صاحب المعجم التاريخي - وحقُّه ذالك - إلى مادة (شيب) . إن دلالة (الشيب) معروفة في العربية ، وهو ابيضاض شعر الإنسان ، ومنه (الأشيب) للرجل ، ولا يقال للمرأة (شيباء) ، والأساس هو اختلاط البياض بالسواد ، وخُصَّ بشعر الإنسان .

وكأن فكرة الخلط حين اكتَسَبَتْ هذه (الخصوصية) اتسعت العربية فأفادت من الواو والياء ، فانصرف (شابَ يشوب) إلى مطلق الخلط ، وانصرف (شابَ يشيب) إلى الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد .

وهذا معروف في العربية وله نظائر ، ألا ترى أنَّ (الْبَوْنَ) هو المسافة ، وأنَّ (البَين)، هو البعد والفراق ، وليس هذا وذاك بعيداً عن كلمة (بينَ) الظرف

المكاني ثم الزماني . ومثل هذا (الطَّيْر) ودلالته معروفة ، و(الطَّور) ودلالته على التقلّب منصرفاً إلى مصدر أميت فعله هو (طار يطورُ) .

٤ ــ اظافيــــر :

(الأظافير) جماعة الأظفار .

وقالوا : الظُفْر وجمعه أظفار وأُظفور[٢٥] وأظافير وهو (الأُظفور) ، وعلى هذا قولهم (أظافير) لا على أنه جمعَ أظفار الذي هو جمع ظُفْر .

أقول : والذي درج عليه المعربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع (ظُفر) (أظافِر) ، فلم يرد في كلامهم ولا في كتاباتهم (أظفار) ولا (أظافير) . وقد تكون (أظافير)، وهي جمع (ظُفْر) أو (أظفور) على قول جماعة ، غير داخلة فيما أنا فيه ، ذالك أنها جمعٌ مفردُهُ معروف ، وكنت قدّمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدى إليها المعربون في ممارساتهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ، ولم يرد في استعمالهم . ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدة كما رأينا في (أبابيل) و(أساطير) .

وسيقال إذنْ : لِـمَ ذكرتَ (الأظافير)، وهي مخالفة لما اشترطت وذهبت إليه ؟

وأنا أردُّ على هذا القائل محترزاً بما ذهب إليه أحد الدارسين المجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامَت حسين الكنتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل على نوادر الألفاظ وماعرض لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتى تحولت من الثلاثي إلى الرباعي . وفي هذا الكتاب جاء أن (حذافير) أصلها (أظافير) وسيأتي هذا في (حذافير) . والكتاب قد طبع هو بخط اليد على طريقة (طبع الحجر) في مجلدين في الهند .

٥ ــ اظانيــــن :

و(الأظانين) على غير قياس ، وهي جمع (ظنّ) مثل (الظنون)، وهي من النوادر ، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة ، أنشد ابن الأعرابيّ :

لأُصْبَحَنْ ظَالِماً حَرْباً رَباعِيَةً فَاقْعُدْ لَهَا وَدَعَنْ عَنْكَ (الأَظَانِيْنَا)

وليس لنا أن نُعمل فيها النظر والقياس فنذهب إلى أنها جمع (أُظْنونة)، أو نقول : إنها جمع الجمع .

٦ ـ بيوتــات :

و(البيوتات) جمع الجمع ، ذلك أن (بيت) يجمع على (بيوت)، و(أبيات)، ثم (بيوتات) على جمع الجمع .

ان (جمع الجمع) مادة لغوية لا تعني مايراد منها في اللفظ أي الجمع الكثير ، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا العام . إن (البيوتات) ذهبت إلى عدة قليلة من (البيوت) المشهورة والأسَرِ نَحْوَ قولهم : (بيوتات قريش) .

ومثل هذا قالوا : (رجالات) للجمع القليل من الزعماء والرؤوس كقولهم : (رجالات العرب) . إنَّ جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد الخصوصية المتمثلة في القلّة .

وقد استفيد من (جمع الجمع) في الشؤون الفنية فتحول إلى مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا ، ومنها :

(الدفوعات) لمجموع ما يُدفَعُ في المصارف والبنوك .

و(القبوضات) لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حُرَفائها .

و(الحسومات) لمجموع ما يُحْسَمُ من الفوائد المصرفية .

ومن مصطلحات الصوفية : (الفيوضات) و(الإشراقات) و(التجلّيات) ، وغيرها .

٧ ـ تعاشيــب :

و(التعاشيب): ضروب من النبت ، لا واحد له . والعشب : النبذ المتفرق . أقول : هذا مما جرى في لغة الأقدمين ، ولم يكن بهم حاجة إلى كلمة منه تكون مفرداً .

٨ ــ تفاريـــق :

و(التفاريق) في قول ابن الأعرابي: إنَّ الْعَصَا تُكسَرُ فيُتَّخَذُ منها ساجُورٌ ، فإذا كُسِرَ الساجُورِ اتُّخِذَتْ منه الأوتاد ، فإذا كُسِرَ الوتد اتُّخِذَتْ منه التَّوَادِي تُصَرُّ به الأخلاف .

كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه (تفاريق العصا)، وهو يعني أن (التفاريق) مفيدة لصاحبها ، جاء في الرجز :

أَشْهَدُ بِالْمَرْوَةِ يَوْماً والصَّفَا أَنَّكَ خَيْرٌ من (تفاريق الْعَصَا)

والرجز لغنيّة الأعرابيّة ، وقيل لامرأةٍ قالته في ولدها ، وكان شديدَ العَرامة مع ضَعْفِ أسْرٍ ودِقّة .

أقول : ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفرداً للتفاريق ، وأنَّك لو قُلْتَ (تفريق) بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع (تفاريق) في سلوك الأقدمين كما يشير أدبهم .

٩ ــ تلابيـــب :

و(التلابيب) بصيغة الجمع في لغة المعاصرين ، وأنت تقرأ في أدبهم : (وأمسَكَ بتلابيبه)، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ (التلابيب) هو أطراف الثوب .

وهذا هو دأب المعاصرين أنهم كثيراً ما يستعملون الكلمة فيعطونها شيئاً من معناها أو ما يقرب منه فيحدث في دلالتها ما يمكن أن أدعوه (تطور إلى الـخـطإ) .

أقول : إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لا جمع ، ودونك ماجاء من ذالك : قالوا : وتَلَبَّب المرأة بمنطقتها هو أنْ تضع أحدِ طرفيها على منكبها الأيسر ، وتُخرج وسطها من تحت يدها اليمنى ، فتُغطِّي به صدرَها ، وتردُّ الطرفَ الآخر على مَنْكِبِها الأيسر .

وقالوا أيضاً : و(التلبيب) من الإنسان هو مافي موضع اللَّبب من ثيابه ، وتلبَّبَ الرجل : تَحزَّمَ وتَشَمَّر .

و(اللبَبْ) كاللبَّة هو وسط الصدر والمَنْحَر .

و(لَبَّبَ) الرجلَ : جَعَلَ ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ، ثم قَبَضَهُ وجَرّه ، وأخَذَ بتَلبيبه كذلك .

أقول : بعد هذا التوسع نصل إلى ماجاء في «التهذيب» للأزهري ، قال : يقال : أخَذَ فلان بتَلْبِيب فلان . وفي الحديث : فأخَذتُ بتَلبيبِهِ وجَرَرْتُه .

ومن هنا يتبينّ أن الكلمة استعمل مفردها ولم يَرَ المعربون القدماءُ حاجة في الجمع لأنه لا يدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح . ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة (مجموعة) إلى المعنى الذي بسطناه فجمعوا مالم يُعَرف له جمع لانتفاء الحاجة إليه .

١٠ ــ جراثيم :

و(الجرثومة) أصل كل شيء ، وقيل : ما اجتمع من التراب في أصول الشجر . واستعملت على التوسع فقالوا : فلان طابت أرومَتُه وعزَّتْ جرثومتُهُ . ولم تكن بهم حاجة إلى جمعه على (جراثيم) وإن كان هو القياس . وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه الذي أشرنا إليه وهو «فقه اللسان» : (جراثيم) أصلها (سراشيم) جمع (سرش)، وهو عبراني بمعنى الأصل ، وقريب منه (ضرس) في العربية ، جمعوا (سرش) على قاعدة العبرانية ، ثم أخذه العرب بإبدال السين جيماً ، والشين ثاءً ، وجمع على الطريقة العبرية (الياء والميم)، وحُسِبَ جمعاً للجرثومة ، ولكونها على صيغة منتهى الجموع وضعوا لها مفرداً . انتهى كلام السيد المولوي .

أقول : والذي في السريانية الآرامية هو (شرش) للجذر من النبات والشجر ، ومازالتِ العامية الشامية تعرف هذه الكلمة ، وكأن أهل الشام أدخلوها في

عربيتهم الدارجة فجمعوها على (شروش) نظير (جِذر وجذور) . وقد عرفتها الفصيحة المعاصرة في سورية ولبنان .

أقول أيضاً : وقد صرّف المعاصرون (الجراثيم) إلى مصطلح علمي يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولد الأمراض والآفات ، وكأنها تعني ما يعنيه لفظ (مكروب) .

١١ ــ حذافيـــــر :

و(حذافير) الشيء : أعاليه ونواحيه .

قالوا : فإذا نحن بالحيِّ قد جاؤوا (بحذَافِيرهم)، أي جميعهم .

أقول : وقالوا : المفرد (حذفور) أو (حذفار) .

وقولهم : إن المفرد إما هذا وإما الآخر يوميُّ إلى أنهم وَلَّدُوْا هذا المفرد ؛ وليس له وجود في كلامهم ، ولم نقف فيما بين أيدينا من نصوص على (الحذفور) أو (الحذفار)، فهو شيء ممّا ولدوه من الجمع الذي فشا استعماله في كلامهم وأدبهم .

أقول أيضاً : إنَّ (الحذافير) تعني في استعمال المعاصرين الأشياء الصغيرة والدقيقة التي تدخل مع الأجزاء الكبيرة في شيء واحد . وكنت قد أشرت في (أظافير) إلى رأي المولوي الكنتوري الذي ذهب فيه إلى أن (حذافير) أصلها (أظافير) بعد إبدال الحاء من الهمزة . أقول أيضاً : وقد يرد (جذاريف) على القلب في كلام الناس ، وهي ليست من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج .

١٢ ــ حزاقيــــل :

و(الحزاقيل): خُشَارة الناس ، لا واحد لها .

١٣ ــ خراطيــــن :

و(الخراطين) كما في «لسان العرب» (خرطن): دِيْدَانٌ طِوالٌ تكون في طين الأنهار .

قال الأزهري : ولا أحسبها عربية محضة ، وربّما كان أصل الكلمة أنهم رأوا ذالك الدُّود يدبُّ في البقاع الرطبة ، ووجدوا من خير مميزاته أنه يجزأ الطين ، فكأنهم قالوا : دود خرأ الطين ، ثم بكثرة الاستعمال صار دود (خراطين) . وبعد كونه كلاماً واقعاً صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم مقامه الوصف . ولمشابهة وزنه صيغة منتهى الجموع حسبوه لفظاً واحداً جمعاً . ولغرابة نشأة الكلمة ، ولعدم الحاجة إلى ذكر واحد معيّن من تلك الديدان ما وضعوا له مفرداً .

أقول : وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتُجِلَت دُوْنَ أن يكون لها مفرد .

قال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري في «فقه اللسان» : (خراطيم) مأخوذ من (خراطين) لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة بـ(الخراطين)، وحسبوه جمعاً لوجود الوزن . ولشدة الضرورة إلى استعماله مفرداً وهو (خُرطوم)، ثم لكون (الخرطوم) أنْفاً مقدّماً للفيل أطلقوه على السيّد الشريف المقدَّم على القوم ، وعلى الخمر السريعة الإسكار ، وأول ما يجري من العنب قبل أن يداس .

أقول : ومنه صاروا إلى الفعل (اخرنطم) وما اكتسب من دلالة تومئُ إلى (خرطوم) الفيل .

١٤ ــ خلابيس :

و(الخلابيس): الإبلُ تَرْوَى فتذهب ذهَاباً شديداً فتُعَنِّي راعيها ، يقال : أكفيكَ الإبل وخلابيسها . وقالوا : (الخلابيس) بمعنى الكذب ، والواحد (خِلبيس) ، وقيل : لا واحد لها .

أقول : ويتجه الظن إلى افتعال (خلبيس) .

١٥ ــ خناطيــل :

و(الخناطيل) صفة لـ(إبل)، قالوا : إبلٌ خناطيل ، أي متفرقة ، وكأنهم ولّدوا منه (خُنْطولة) مفرداً ، ولكنها من صنع القياس على النظائر . أقول : لقد قالوا في (أحاديث): إنها جمع (أُحدوثة)، ولكننا نجد الشائع الكثير أنها جمع (حديث)، ومنه (الحديث الشريف) الذي جمع على (أحاديث). وكأن (الأحدوثة) على صلتها

بالجمع بقيت معزولة في استعمال خاص ، وهي من غير شك صُنِعَتْ قياساً على نظائرها .

أقول : لم نقف على خنطولة في أدب الإبل ، ولكن (الخناطيل) معروفة لدلالتها على صفة في الإبل هي التفرّق .

١٦ ــ سماديــر :

و(السمادير) هو الشيء الذي يتراءى للانسان من الشراب عند السكر ، وهو ضعف البصر ، ومنه (اسمدَرَّ) بصره ، أي ضعف . قال أدي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»[٢٦]. إنه تعريب (شمادير) .

أقول : ولما كانت الكلمة على صيغة الجمع حسبوها جمعاً ، وهي في الأصل مفرد ، وقد روعي اللفظ فيها ، وسنجد شيئاً من هذا .

١٧ ــ شعاريــر[٢٧]:

انظر (شعاليل) .

١٨ ــ شعاليــل :

و(الشعاليل) في قولهم : ذهب القوم (شعاليل) مثل (شعارير) . وقالوا : لا واحد لها[٢٨].

أقول : وقد جاء (شُعلول) للفرقة من الناس ، ولم يشيروا إلى أنه مفرد (شعاليل) .

١٩ ــ شماطيــط :

و(الشماطيط) في قولهم : جاءت الخيل (شماطيط) و(شماليل)، أي متفرقة وقالوا : لا واحد لها مثل أبابيل وعبابيد . وقيل : شِمطاط ، وشمطوط ، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره .

٢٠ ــ ضغابيس :

و(الضغابيس) للقُثّاء الصِّغار ، وقيل : أصول الثمام .

أقول : وليس (الضُغبوس) مفرداً لها ، ذالك أنَّ هذا ينصرف إلى الأغصان التي تشبه العُرجون . وقالوا : الضُغْبُوسُ هو الضعيف .

٢١ ــ طحارير وطخارير :

وكأنهما على الإبدال ، وهما بمعنى لقطع السحاب المتفرقة . وقالوا : واحدها طحرورة .

أقول : لم أقف على هذا الواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر .

٢٢ ــ عبابيد :

و(العبابيد) هي الآكام ، وهي الأشياء المتفرقة والبعيدة[٢٩]. وقالوا : لا واحد لها .

٢٣ ــ فراديس :

من الكلم الذي جاءنا على صيغة الجمع (فَعاليل) وهو من (المعرّب) الدخيل ، والأصل (براديس) من الألفاظ الفارسية ، وقد حسبه العرب جمعاً على التوهم ، فأعملوا فيه نظرهم فصنعوا المفرد فقالوا (فِردَوس) .

٢٤ ــ قلاقل :

و(القلاقل) جمع لما يُتَوَهَّمُ مفرده وهو (قَلْقَلة) وليس هو في الاستعمال . وقد ورد في البيت المعروف لأبي الطيب :

وَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا   قَلاَقِلَ هَمٍّ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة .

٢٥ ــ وجاء في «التكملة» ١/٨١ أن أهل اليمن يسمون الطبل (الجَباجِب) ولا مفرد له .

خاتمـــــة :

هذا ما بدا لي أنْ أُثبِتَهُ مما وقَفْتُ عليه ، وهو أيضاً مّما يُجْتَزَأُ به ، وغيره معروف في العربية .

وسَأُلْـحِقُ هذا الموجزَ بما يجري مجراه في لغة عامّة العراقيين مما ارتُجِلَ من جمع ليس له مفرد(٣٠).

صنعاء : الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي :

(١) صحيفة «الشرق الأوسط» في ٢٦/٤/١٩٨٩م .

(٢) و(٣) «لسان العرب» ـ سجل ـ.

(٤) من منشورات ديوان رئاسة الأوقاف في بغداد ، سنة ١٩٧٤م وانظر ص ٥٧ .

(٥) الآية الـ (٤) من سورة الليل .

(٦) الآية الـ (١٤) من سورة الحشر .

(٧) مَثَلٌ يُضْرَبُ في اختلاف الناس وتفرّقهم في الأخلاق . انظر : مجمع الأمثال ٣٥٨/١ (ط . دار الفكر ـ بيروت). و(شتّى) بمعنى متفرقين ، وهي في موضع الحال ، أي يؤوبُ الحَلَبَة متفرقين .

(٨) محاضرات الدكتور مصطفى لطلبة دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٣م .

(٩) الآية الـ (١٥٦) من سورة آل عمران .

(١٠) لم يرد جمع فاعل على (فُعْل) في الناقص إلاّ هذا الجمع ، والكثير فيه بناء (فُعَلة) نحو : حامٍ وجمعه حُماة وداعٍ وجمعه (دعاة)، وهذا كثير فاشٍ . غير أن في العربية نوادر تبتعد عن الكثير المسموع ، ومن هذا ورد (جُمْل) بمعنى الحبال الغليظة جمع (جَمْل) .
ولنا أن نستشهد بقوله تعالى : ﴿ حتّى يَلِجَ الـجَمَلُ في سَمِّ الخِياط ﴾ ٤٠ سورة الأعراف . وقد جاء في (الجمل) في هذه الآية كلام كثير ، فقد قرأ ابن عباس : (الجُمَّل) بمعنى الحبال المجموعة ، ورُوِي عن أبي طالب أنّه قال : رواه الفرّاء قال : ونحن نظن أنه أراد التخفيف ، قال أبو طالب : وهذا لأن الأسماء إنما تأتي على (فَعَل) مخفّف ، والجماعة تجيء على (فُعَّل) مثل صُوَّم وقُوَّم .
قال أبو الهيثم : قرأ أبو عمرو والحسن ، وهي قراءة ابن مسعود ﴿ حتّى يلجَ الجُمَل ﴾ مثل (النُغَر) .
وحُكي عن ابن عبّاس : (الجُمَّل) بالتثقيل والتخفيف ، فأمّا (الجُمَل) بالتخفيف فهو الحبل الغليظ ، وكذلك (الجُمَّل) مشدّد .
قال ابن جنّي : هو (الجُمَل) على مثال (نُغَر) و(الجُمل) على مثال (قُفْل)، و(الجُمُل) على مثال (طُنُب)، و(الجَمَل) على مثال (مَثَل) .
قال ابن بَرّي : وعليه فُسِّر قوله تعالى : ﴿ حَتّى يَلِج الْجُمَلُ في سَمِّ الخِياطِ ﴾ فأما (الجُمْل) فجمع (جَمَل) كأَسَـدٍ جمع (أَسَد) .
ولنرجع إلى (غُزّى) فنجد الأزهري يقول : (الغُزّى) على بناء (الرُكَّع) و(السُجَّد)، واستشهد بالآية .
وجاء في جمع (غازٍ): (الغُزّاء) بالـمَدِّ مثل فاسق وفُسّاق . انظر : «لسان العرب» (غزو) .

ومن المفيد أن أشير إلى ما ورد في إنجيل مَتّى مما يتصل بـ (الجمل)، وقد ذهب الشرّاح إلى أن المراد هو الحيوان المعروف، ثم عرض نفر من الشراح فصححوا شرحهم وذهبوا إلى أن المراد بـ (الجمل) هو الحبل الغليظ.

(١١) انظر «لسان العرب» (فوض). وجاء فيه بما يشعر الصفة وليست جمعاً قول الشاعر:

طعامُهمُ فَوْضَى فَضَا في رِحالهم ولا يُحسِنون السِّرَّ إلاّ تَنادِيا

وهم فَوضَى، أي مختلطون، لا أمير لهم يجمعهم.

ويقال أيضاً: فَيْضَى، وفَيْضيضًا، وفَوْضوضًا. ويُمَدّ جميعه.

(١٢) أقول: رجعت إلى مادة (فضض) لأتبيّن معناها في الأصل وأعرف الصلة بينه وبين ما آلت إليه بعدَ الإبدال. لقد عرفت أن (الفضّ) هو الكسر، وأن الدلالات للكلمة كلها لا تبعد عن الكسر حقيقة و(مجازاً) و(الفضيضي) هو المكسور. وإذا كانت (فوضى) تعني (المختلطين) فكأنهم أجزاء مفرقة، اختلطت على غير نظام.

(١٣) انظر «لسان العرب» مادة (صوب). ثم إن الجمع (مصائب) بالهمز، فضلاً عن خروجه عن القياس كما قالوا، فيه خروج آخر عن القاعدة الصرفية التي تقضي بعدم قلب الواو والياء همزة عند الجمع كما نقول في جمع مشيخة (مشايخ) بالياء، وفي جمع مصيدة (مصايد) ولكن المعاصرين استبدلوا بالياء همزة ظناً منهم أنه هو الفصيح فقالوا: (مشائخ) و(مصائد). وعلى هذا خطّأ البصريون (معائش)، في قراءة نافع المدني، وذهب أهل القراءات إلى أنها قراءة موثّقة صحيحة، والقراءة العالية حجة، ونافع من أهل الثقة في هذا الفن.

(١٤) جاء في العربية (المسيل) أي السيلان، وهذا يعني أن الأصل هو مادة (س ي ل) غير أن جمع (مسيل) جاء على (أمسلة) و(مُسُل) و(مُسْلان) و(مسائل). وكله على توهم أصالة (الميم) في (مسيل) أي أنه على بناء (فعيل). والذي الاحظه أن الجمع الأخير (مسائل) بالهمز، والقاعدة الصرفية تقضي أن يكون بالياء (مسايل) لأصالة الياء في (س ي ل). وكأن الاستعمال قد خرج على القاعدة الصرفية، أو أن أصحاب المعجمات واللغويين قد أغفلوا القاعدة الصرفية، نظير ماجاء في (مصائب)، ونظير الشائع الكثير على التوهم أو الخطأ في (مصائد) و(مشائخ).

ومثل هذا جمع (مكان) على (أمكنة) بتوهم أصالة الميم من (مكان)، وكأنها وزان (متاع) وجمعها (أمتعة). ولابد أن يكون أصل (مكان) من مادة (ك و ن) إن مادة (ك ن ن)، كما في (كَنّ) و(كنان) كلها تدل على الظرفية المكانية، وكذلك (وك ن). أقول: ولكثرة استعمال (مكان) واقترانه بـ (زمان) جعلت الميم أصلاً على التوهم فجمع هذا الجمع. وأصله (الكون) أو (الكينونة). وكأن هذا المصدر الآخر يوميْ إلى أن (الكون) الأجوف جاء من الثلاثي المضاعف (ك ن ن)، كما أن (الغيبة) و(الغياب) من (الغبّ)، ويستدل على هذا من (الغيبوبة). وقد نلمح المضاعف يتحول إلى الناقص كما في (غضّ) الذي تحوّل إلى (أغضى)، ومثله بوجه خاص تحول (مَطّ) إلى (مَطّى) مع بقاء التشديد ومطل الفتح في الطاء من (مَطّ) كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ثم ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يتمطّى ﴾ ٣٣ سورة القيامة. والاستقراء الكثير في الأفعال يدل على نظائر هذا الأخير، ومنه: (ذرّ) الذي يتحول إلى (ذرّى).

وأعود إلى (كون) و(ك ن ن) فأجد أنَّ دلالة واحدة تجمع بين الاثنين فكلاهما يشير إلى (الوجود). ولعل من هذا أيضاً (الضرُّ) و(الضرَر) من المضاعف، و(الضّير) من باب الأجوف.

وأنا اجتهد فأقول: إن المضاعف هو الأصل، ذلك أنه الخطوة الأولى في تحول الثنائي (ضر) إلى ثلاثي وهو (ضرر) والاستقراء يشير إلى كثير من هذا.

(١٥) وردت كلمة (مصير) في لغة التنزيل ٢٨ مرة اجتزئ منها بما أثبته: قوله تعالى: ﴿ وبئس المصير ﴾

١٢٦ البقرة ، وقوله تعالى : ﴿ وإلى الله المصير ﴾ ٤٢ سورة النور ، وقوله تعالى : ﴿ وساءت مصيرا ﴾ ٩٧ سورة النساء ، وقوله تعالى : ﴿ قل تمتَّعوا فإنَّ مصيركم إلى النار ﴾ ٣٠ سورة إبراهيم . أقول : ان (المصير) في هذه الآيات يعني النهاية والعاقبة ، وهو هنا مصدر ميمي بمعنى الصيرورة أو الصير . وقد يكون في هذه الدلالة الأصلية أساس لكلمة (المصائر) في اللغة المعاصرة ، هذه الكلمة التي تجاوزت في جمعها معنى النهاية أو العاقبة لكل شيء آخر يتصل بما سيؤول إليه الأمر من أحداث .

(١٦) تحتوي أي تأكل .

(١٧) «لسان العرب» ـ مسل ـ أقول : لم يرد شيء من هذا في مادة ـ (سيل) ـ.

(١٨) قيل فيه : ماء مَعين ، أي معيون ، ووزنه (مفعول)، وحسبت الميم أصلاً فقيل : وزنه (فعيل) .

(١٩) قال تعالى : ﴿ أنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أمين ﴾ ٥٤ سورة يوسف . وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ في قِرار مَكِين ﴾ . ٢١ سورة المرسلات . وقال تعالى : ﴿ ثم جَعَلْنَاهُ نُطفَةً في قَرَارٍ مَكِينْ ﴾ ١٣ سورة «المؤمنون» .

(٢٠) الآية الـ(٣٠) من سورة الأنبياء .

(٢١) الآية الـ(١٢) من سورة القصص .

(٢٢) الآية الـ(١١) من سورة فصّلت .

(٢٣) الآية الـ(٣) من سورة الفيل .

(٢٤) قلت : إن المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء ، ولم يرد كذالك هذا الجمع إلا في الآية الكريمة التي ذكرناها . وعلى هذا يصح لي أن أجتهد فأذهب إلى سبق بناء الجمع وارتجاله في العربية . ومثل هذا أبنية مجموعة أخرى .

وقد يكون لي أن أثبت أن العوام في الألسن الدارجة قد كان لهم شيء من هذا ، فالعراقيون قد ولَّدُوا جمعاً هو (تفاليس) لمجموعة من (الأفلاس) التي تتهيّأ لأحدهم في (جيبه) أو محفظة نقوده ، فيقولون مثلاً : ولم يبق عندي سوى (تفاليس)، وهي (الافلاس) من النحاس . وليس من شكٍ أن المفرد غير موجود في درجهم ، ولكنهم تصوروا الجمع ، وأفادوه من كلمة (فلس) . وليس لنا أن نقول : إن المفرد (تفليس) بحسب القياس ، ذلك أن هذا غير موجود فيما يدرجون فيه من كلامهم . ومن هذا أيضاً استعمال عامة العراقيين لجمع آخر هو (تناتيف)، ويريدون منه الدقيق من قِطَعِ الأشياء المتفرقة التي يضمها المتكلم بعضها إلى بعض مع (تفرقتها) . أو كأن أحدهم يأتي بأجزاء صغيرة تتصل بهذا الشيء أو ذاك . وليس لهذه (التناتيف) مفرد هو مثلاً (تَنتوف) أو (تنتوفة) أو (تنتيفة) بحسب القياس . وسأذيل هذه الطائفة من الجمع بما ولّده العراقيون من العامة من هذا ، ولم يكن له مفرد .

(٢٥) أقول : إذا كان (الأظفور) بضم الهمزة يدل على الجمع مع أنه قد يدل على الظُفْر ، فهو في هذا يدخل في باب اسم الجمع ، وهذا قليل .

ومن المفيد أن أشير إلى أن بناء (أفعول) بفتح الهمزة من أسماء الجمع ، وهو كثير في اليمن ، قال الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في مبحث له مفيد نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد ٦١ ج ٢) في (الأفعول) وماجاء على وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن) :

(وكان لسان اليمن الحسن بن احمد الهمْداني المتوفّى في حدود منتصف المئة الرابعة للهجرة هو أول من تنبَّه لهذا الأمر ، فقد ورد في كتابه «الإكليل» مالفظه : وكثير من قبائل حمير تأتي على (الأفعول)) (الإكليل ٢/ ٤٤٩). وقال في مكان آخر من هذا الكتاب : (وإنما هذا اسم كأنه جُمّاع قبيلته) (الإكليل ١٢٤/١) .

وقد سار القاضي إسماعيل بن علي الأكوع على هذا النهج فاستوفى في (مبحثه) الذي أشرنا إليه ماجاء على (أفعول) من أسماء الأعلام والقبائل والبلدان . وأشار إلى أن هذا الوزن موجود في الحبشة ، وقال : (وأغلب ظني أنه انتقل إليها ضمن ما انتقل إليها من المؤثرات الثقافية من اليمن). وأشار إلى ماذكره (ديتلف نيلسن) في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص ٣١ .

وأشار إلى قول الدكتور عبدالمجيد عابدين في كتابه «بين الحبشة والعرب» ص ١٠٣ ، ٣٠٤ الذي فيه إلى أن هذا الوزن حبشي ثم عرفه أهل اليمن .

قال القاضي الأكوع : (ولو أن الدكتور عابدين اطلع على كتاب «الإكليل»، و«صفة جزيرة العرب» للهمداني لغيّر رأيه) ، ثم قال : (وقد تبين أن ماجاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل قولهم : في الأحباش (الأحبوش) (كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ١٩٣)، وفي العبيد جمع عَبْد (الأعبود) فهو صيغة جمع ، وماجاء مضموم الهمزة مثل (الأُصبوع) و(الأُظفور) لغة في الأُصبُع والظُفُر ، و(الأُسروع) واحد الأساريع وهو الأغصان الرطبة التي تخرج من شجر العنب ، و(الأُسنوم) عضاةٌ ترعاها الإبل فهو في الأغلب صيغة مفرد ، مثل (الأُملوج) و(الأُملود) وغيره . ثم مضى القاضي الأكوع يذكر ما ورد على (أفعول)، بفتح الهمزة من أسماء الجمع مرتبة على حروف المعجم وكله كلمات يمنية في القبائل والبلدان جاءت على بناء الجمع .

أقول : والذي ورد في العربية من بناء الجمع هذا ثلاثة ألفاظ ذكرها أهل اللغة وهي : (أُمعوز) للقطيع من الظباء ، و(أُحبوش) لجيل الحبش ، و(أُركوب) للجماعة من الركاب ، وهي بضم الهمزة ، ولم يذكروا معها (أُسطور) و(أُظفور) .

(٢٦) «الألفاظ الفارسية المعربة» (ط الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٢م) .

(٢٧) قالوا فيها أيضاً : إنها جمع (شعرور) وهذه نبز لكلمة شاعر .

(٢٨) و(٢٩) انظر : أبابيل .

(٣٠) سأدرج في هذا الهامش ماهو معروف في عامية أهل العراق مما يرتجل جمعاً وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة :

١ ــ حتاريف : للفضلات الصغيرة من الخبز وغيره ، وهي تومئْ إلى (الحروف) و(حروف) الخبز معروفة .

٢ ــ حذاريف : النطق الدارج للحذافير .

٣ ــ حرافيش : كلمة للنبز ، يقال : (الحرافيش) بمعنى الأشقياء .

٤ ــ خباصيص : كلمة تعني الاضطراب والفوضى .

٥ ــ خرابيش : للكتابة الرديئة والخط الرديء .

٦ ــ دعاثير : للأشياء المهملة من متاع البيت ونحوه .

٧ ــ دحاريج : للأشياء على هيئة كرات صغيرة .

٨ ــ شخابيط : للخطوط والكلمات غير ذات معنى .

٩ ــ شناشيل : للغرفة المطلة على الشارع واجهتها أبواب من الخشب ، والكلمة فارسية .

١٠ ــ صلابيخ : للحصى الكبار ، واحدها صلبوخ .

١١ ــ طخاميخ : للقطع الغليظة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذالك .

١٢ ــ لماميد : للقطع الكبيرة من اللحم ونحوه ..

فاتني أن أذكر (جلافيط) لِفضلات اللحم . ولعل في هذه المادة كلمات أخرى تُستدرَك على هذا الموجز .

باهلة

القبيلة المفترى عليها

[مقدمة كتاب سيصدر قريباً ، عن قبيلة باهلة ، يحوي جل - إن لم يكن كل - ما تحويه الكتب التي بين أيدينا عن هذه القبيلة الكريمة] .

الحمد الله الذي جعل التفاضُلَ بين خلقه وَقْفاً على النافع الصالح من الأعمال ، فقال جلَّ من قائلٍ : ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(*) وصلاته وسلامه على خير خلقه الذي أذهب برسالته «عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تَقِيٌّ ، أو فاجر شَقِيٌّ»(*) وعلى آله وصحبه ، وسالكي نهجه ، والسائرين على دربه .

وبعد : فَإِنَّ مِنْ أَقْوَى الوشائج التي تُوجِدُ الصلةَ بين قارِئِ الكتاب وبين مؤلفه اتِّفَاقَهُمَا على الغاية التي يتوخَّيَانِها ، ثم اتجاههما في السير مَعاً لبلوغ تلك الغاية من أوضح الطرق وأقربها . والقارِئُ - أَيُّ قارِئٍ - لا يُقْدِمُ على إِضَاعةِ وقتٍ ، أَوْ صرف جُهْدٍ مَهْمَا قَصُرَ أَوْ قَلَّ في قراءة كتاب لا يهدِفُ من ورائه فائدةً ، وكلُّ ماكان الكتابُ وَاضِحِ الهدف ، والـمُؤَلِّفُ في سيره إلى ما يهدف بارِز المعالم ، كانتْ صِلَةُ القارئِ أَقْوى ، وثِقَتُهُ بما يَقْرأُ أَعْمَقَ ، ولهذا سأحاول إيضاح جانب من موضوع هذا الكتاب ، لعله أَوْلَى جوانبه بالإِيْضاح ، لا سيَّما وقد كَثُرَ تَسَاؤُلُ بعضِ مَنِ اطَّلَعَ على ما كتبت عن ذالك الموضوع ، مما يتعلق بأنساب القبائل ، بل لم يَقِفِ الأَمْرُ - في بعض الأحيان - عند حدِّ التساؤُل ، إِنَّهُ تجاوز ذالك إلى إساءةِ النَّظْرَةِ نَحو الاهتمام بناحية من نواحي تاريخ أُمَّتِنَا ، ذاتِ ارْتِبَاطٍ عميقٍ بتاريخها القديم ، بل لَعَلَّها كانَتْ أَوَّلَ أُسُسِهِ التي وصلَتْ إلينا متناقَلَةً ثم مدوَّنَةً ، ومَا مُحَاوَلَةُ الغض من هذا الجانب من تاريخ الأمة وتشويهه ، وطَمْسُ معالمهِ بالأمر الجديد ، المستحدثِ في هذا العصر ، ولكنه أَثَرٌ من آثار حِقْدٍ وكراهية في نفوسِ قومٍ وُتِرُوا بتقويضِ عُرُوشِ ملكهم ، والقَضاءِ على عِزِّهم ، حين قامتِ الدولة الإسلاميةُ بقيادة الأُمَّةِ العربيةِ بِنَشْرِ أَلْوِيَةِ العدل والعلم ، والمساواة في أنحاء المعمورة ، مستنيرةً بِهَدْيِ رسالةِ السماء التي اختارها الله لنشرها ، حين اصطفى

أشْرفَ خلقه ـ مُحَمَّداً عليه الصلاة والسلام ـ من هذه الأمة الكريمة دون غيرها من الأمم ، ﴿ والله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ وله الْـخِيَرَةُ من خلقه ، وفي أَمْرِه .

لقد سعى أؤلئك الموتورون للكيد لهذه الأمة ، بمختلف الوسائل ، وباستعمال ما استطاعوا من أساليب الذَّكَاءِ في حَوْكِ أَمْكَرِ الحيلِ وأَخْبَثِها لإخْفَاءِ مآرِبهم ، بل بإبْرَازِها بمظاهِرِ من الخداع والتضليل ، تنطلي على ضِعافِ العقول ، حتى ينخدع ذوو الغايات الطيبة بما زُوِّقَتْ وزُوِّرَتْ به من مظاهر حسنة ، تخفِـي أسوأ الغايات .

لَـمْ يَكُنْ بَدْءُ تقويضِ الخلافة بغزو التتار العالم الإسلامي ، واستيلاءهم على قاعدة الدولة العباسية وقتل الخليفة سنة ٦٥٦ ، بل كان قبل ذالك بخمسة قرون ، حين قامت تلك الدولة بدعوة مشبوهة ، على أكتاف دُعَاةٍ من شعوب غير عربية ، تَفَيَّأَتْ ـ أَثْنَاءَ المدِّ الإسلامي ـ ظلالَ الإسلام ، ومن بينها من كان يبطن له وللقائمين بنشره البغضاءَ والعداوةَ ، فلم يلبث هاؤلاء أَنْ وجدوا الحماية كاملةً في كَنَفِ وزراء الدولة وقادتها ، وذوِي الْـحَلِّ والعَقْدِ فيها ، فجدُّوْا واجتهدوا في السعي لتحقيق مآربهم السيئة ، فكان أن برزت الدعوة (الشعوبية) مغلفة بغلاف المساواة بين الشعوب الإسلامية آونَةٍ ، وحيناً بالنَّيْل من العرب بالطعن في ماضيهم ، وأَنَّ الشعوب الأخرى لها من الأمجاد والفضائل في علومها وحضارتها ماحازتْ به قصبَ السبق على من سواها من الأمم ، وبدأت تلك الدعوة ـ بل ذالك الداء الوبيلُ ـ ينخر في جسم الأُمَّة العربية ، وقد يجد من بينها من لا يدرك ما يحوكه أؤلئك الأعداءُ من مكرٍ وخديعة من وراء ما يتظاهرون به من دعوة للمساواة بين الناس عَرَباً وعجماً ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالعمل الصالح ، وهذا حَقٌّ ، ولكن الدعوة إلى الحقِّ قد تتخذ وسيلة لأغراض سيئة ـ أو كما قال الإمام الْـمُجَدِّدُ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ : أن كثيراً من الناس وَلَوْ دعا إلى الحق فإنما يدعو إلى نفسه . أي إنَّ له غايةً مستورةً ذاتَ صلةٍ بمصلحته ، بعيدةً عما أظهر الدعوة إليه .

ولكنَّ علماءَ المسلمين تَصَدُّوْا لدُعاة الشعوبية بكشف أحوالهم ، وتَزْييف باطلهم ، وإبطالِ ما أقاموا عليه دعوتهم ، بإبراز فضلِ العرب ، وبيانِ أن الله سبحانه اختارهم بين شعوب الأرض ، فاصطفى منهم أشرفَ خلقه لتلقي رسالته ، ولِتَقُومَ تلك الأُمَّةُ بنشرها بين الأمم ، وأنزل كتابه الذي فَرَّقَ به بين الحقِّ والباطل ، وجعله أساسَ شريعةِ تلك الرسالة الخالدة ، ونِبْرَاسَهَا ، بلغة تلك الأُمَّةِ التي اختصها بالاصطفاءِ والاختيار ، وستبقى اللغةُ العربيةُ لغةَ الدين الحنيف ما بقي هذا الدين الذي تكفل الله بحفظه وبقائه ببقاء كتابه القرآن العربي المبين ﴿ إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] فالعربُ هُمْ أُمَنَاءُ الله على وَحْيِهِ ، باختيار لُغَتِهِمْ نَاطِقَةً به ، وهم خِيرةُ الله من خلقه ، باصطفاء خاتم أنبيائه منهم ، وهم تراجمةُ ذالك الْوَحْيِ ، ومُبَلِّغُوهُ لغيرهم من شعوب العالم ، ممن لا يستطيع فَهْمَهُ فَهْماً تَامًّا ـ كما نزل من السماء ـ بدون معرفة تلك اللغة التي نزل بها ، وهي لغة العرب .

ولعل من أغربِ ما يتبادر إلى الذهن ـ بلْ من أَعْجَبِهِ وأطربه ـ أن يكون من بين أوائل من تَصَدَّى لمحاربة (الشعوبيين) وإبْرَازِ ما للعرب من فضائل ، ومِيزاتٍ اختصوا بها على غيرهم من الشعوب ـ علماءُ لم يكونوا من النِّجَارِ الْعَرَبِـيِّ صَلِيبَةً ، ولكنهم مِمَّنْ فَهِمَ الرسالة السماوية حقَّ الفهم ، وأدركَ جانباً مما لاختيار الله الْعَرَب من بين الأمم ـ من حكمة ، وَمِمَّنْ طَهَّرَ قلبُه من شوائب الحقد ، واتَّصفَ بالإنصاف متجرداً من كُلِّ الغايات التي لا تهدفُ إلى الحق ولا إلى صدق القصد .

ومن أوْلئك العلماء عبدالله بن مسلم بن قُتيبة الدِّيْنَوَرِيُّ (٢١٣ / ٢٧٦) الذي تَصدَّى للردِّ على الشعوبية من الفرس وغيرهم ممن انتشرت أفكارهم وآراءهم في شرق العالم الإسلامي في عهده ، وكتاباه «الرد على الشعوبية»[2] و« فضل العرب على العجم » معروفان ، وبهما انتفع كثير من علماء الإسلام في شرق البلاد وغربها . وما أرى البيروني مصيباً في زعمه[3] أن الدافع له على تفضيل العرب على العجم ، إحن وترات بينه وبين الفرس ، ولكنه زعم شعوبي .

ومن أولئك العلماء أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسيّ (٣٨٣/٤٥٦) أحد أئمة الإسلام العظام ، من ذوي المذاهب المشهورة ، فقد انتشرت في قُطْرِهِ الأندلس آراء الشعوبية من اليهود وغيرهم ممن كانُوا أَخَفَّ شرًّا في ذالك العهد من شعوبية المشرق ، إلا أنهم كانوا لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم ، ومن مشاهير أولئك الشعوبيين من اليهود ابن النغريلة ، وللإمام ابن حزم في الرد عليه ماهو معروف(٤).

وليس المقام مقامَ التبسط في الحديث عن الشعوبية ، وما قام به مُحَقِّقُو عُلماءِ المسلمين من دَحْضِ افتراءاتهم ، والإشادةِ بما فَضَّلَ الله به الأمة العربية على غيرها بأخلاقها الفاضلة ، وأعمالها الصالحة الجليلة في خدمة الإسلام والمسلمين ، فهذا من الأُمور البَدَهِيَّةِ التي لا ينكرها إلا مكابِرٌ ، ولا يجهلها إلا جاهل .

وليس المقام مقام التوسع في الحديث عما كان لتغلغل الأفكار الشعوبية في صفوف الأمة في مختلف العصور ، وامتزاجها بجميع جوانب الثقافة العربية بِعُمْقٍ وشراسة ، في شرق العالم الإسلامي وغربه ، فقد تكفل العلماء بإيضاح ذالك وكشف زَيْفه ، ودحْضِ باطله ، وإنما المراد الإشارة إلى ما يُوَجَّهُ لِـمَنْ يُعْنى بإبرازِ جانب من جوانب تاريخ هذه الأمة الكريمة ، مُمَثَّلاً في الصلات التي تجمع بينها ، وموضحاً جوانب الصلة بين مختلف قبائلها ، ومُحاوِلاً رَبْطَ حاضرها بماضيها ، ومشيراً إلى مابين فروعها من وشائج القُرْبى والصلة مما يقوي تماسكها ، ويصون كِيانها ، فتبقى قوية ، تسودها المحبة ، ويربطها رِباطُ الأُخُوَّةِ ، والتعاون على الخير ، ذات كيان قوي ، قادر على القيام بما وَكَلَ الله إلى هذه الأمة من أداء الرسالة السماوية ، التي أعزَّهَا بتحملها وإبلاغها لمختلف شعوب العالم ، شَرَّفَهَا بحملها وتَشْييد أقوى دولة نشرت العلم والعدل ، وساوَتْ بين الناس ، وقَوَّضَتْ صروحَ أَقْوى دولتين في العالم ، وحررت شعوب العالم مما كَبَّلها من أغلال القهر والعبودية ، فسارعَتْ للتَّفَيُّؤ بظل تلك الدولة التي يخفق فوقها علم التوحيد .

ما الذي ينقم الناقمون ممن يتجه إلى دراسة تاريخ تلك الأمة ، ومحاولة إبراز الجوانب التي تجدد في نفوس الخلف الذِّكْرَيَاتِ العطرة من أمجاد السلف ؟! وما

المحذور من أن يكون لدى خلف هذه الأمة من المعرفة والإدراك لما كان عليه سلفهم من حميد الصفات فيتأسَّوْا بهم ؟! وأن يعرفوا أن فروع هذه الأمة ذَاتُ جذورٍ عميقة بأؤلئك الأبطال ، الذين ضحوا بالنفس والنفيس في إقامة صروح الدولة الإسلامية ممن ينطبق عليهم قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : «الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا»[٥] فالعربُ كانوا خِيَارَ الْـخَلْقِ في الجاهلية وأصبحوا خيارهم في الإسلام .

وما المانِعُ مِنَ التَّعَمُّقِ في الدراسة والبحث لمعرفة مكامِن الخير في العرب في جاهليتهم ، وما امتازوا به من شريف الـخِلال حتى اختصهم الله بالاختيار ، واصطفاء أشرف الخلق منهم ؟ وأيُّ ضَيْرٍ أَوْ ضَرَرٍ من دِراسة مابين تلك الفروع من وشائج القربى ، مما يقوي الصلة بينها بحيث تزداد الفروعُ نفْسَها قُوَّةً وتماسُكاً ، وفي ذالك ما يحمي كيانَ الأمة من التصدُّع ، وبحمايته وقوته تقوى تلك الدولة ، إذْ بقوة العرب تزداد قوة ، وبضعفها تضعف (إذا ذَلَّ العرب ذَلَّ الإسلام)؟! فهم صفوة الله وخيرته من خلقه ، وهم حماة دينه ، وتراجمة وحيه الذي أنزله بلغتهم ، وجعل فهم مقاصد شريعته وقفاً على إتقان تلك اللغة التي تكفل لها بالبقاء والحفظ بتكفله بحفظ كتابه الخالد الذي أنزله بها . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

والْـمُؤْلِـمُ في الأمر أَنَّ من أؤلئك الناقمين مَنْ هُو على جانب من التقوى والورع والمعرفة ، وحُبِّ الخير ، ولكنه يَرَى أَنَّ العرب ليسوا أهلاً للتقديم على غيرهم من الأمم ، وكأنه يجهلُ أَنَّ مذهب أهل السنة والجماعة اعتقادُ أَنَّ جِنْسَ الْعَرَبِ أَفْضَلُ من جِنْسِ العجم ، عبرانيهم ، وسريانيهم ، رومهم ، وفرسهم ، وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي ﷺ منهم - وإن كان هذا من الفضل - بل هم في أنفسهم أفضل .

لقد نقل الإمام ابن تيمية عن حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد فيما حكاه عن مذهب أَئِمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين المقتدَى بهم[٦] : ونعرف للعرب حقَّها وفَضْلَها ، وسابقتها ، ونُحِبُّهم لحديث رسول الله

ﷺ «حُبُّ العرب إيمانٌ ، وبغضهم نِفاق»[٧] ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ، ولا يقرون بفضلهم ، فإن قولهم بدعة وخلاف . هذا ما نقله الإمام ابن تيمية عن حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد ، وأضاف : ويُرْوَى هذا الكلام عن أحمد نفسه . وقال : ومن الناس من يفضل بعضَ أنواع العجم على العرب . والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق ، إمَّا في الاعتقاد وإمَّا في العمل المنبعث عن هوى النفس ، مع شبهات اقتضتْ ذالك ، ولهذا جاء في الحديث «حب العرب إيمان ، وبغضهم نفاق». انتهى كلام الشيخ ابن تيمية .

ولن يذهب بي حُبُّ هذا الإمام الجليل واحترامي له ، من أن أقبل جميع أقواله على عِلاَّتِها ، بدون أن أكون مقتنعاً بصحتها ، ثم هو ـ رحمه الله ـ قد أوضح سبب فضل العرب فقال[٨] : وسبب هذا الفضل ـ والله أعلم ـ ما اختصوا به في عقولهم ، وألسنتهم ، وأخلاقهم وأعمالهم ، وذالك من الفضل ، إما بالعلم النافع ، وإما بالعمل الصالح ـ واسترسل في إيضاح ذالك . وأضيف إلى هذا المنقبة الخالدة وهي أن الله سبحانه وتعالى ميز قدر العرب على غيرهم بأن أَنْزَلَ كتابه الخالد باللغة العربية .

ثم ماذا عن اختصاص قبيلة باهلة بهذا المؤلف ؟!

كانتِ الأَدْوَاءُ ـ ولازالتْ ـ تَنْخَرُ في كيان الأمة حتى كادت تمزق أقوى وشائج القربى بين فروعها ، وتُسَبِّبُ التباعدَ بين تلك الفروع ، بإيجاد مختلف وسائل التنفير بينها ، واختلاف الصفات التي تُحْدث التنافرَ والكراهية ، حتى أوشَكَتْ أن تَفْصِلَ قبائلَ كانت من الشهرة والبروز معدودة في الْقِمَّةِ ، ومشهوداً لها ـ كغيرها من القبائل الأخرى ـ بسمات المجد والشرف ، والتحلِّي بجليل الخلال ، فتبعدها عن منبتها الأصيل في عنصر تلك الأمة الكريمة ، بما تُلْصِقُ بها من أوصافٍ سيئة ، وبما تنعتُها به من نعوت السُّوءِ والفساد ، ظلماً وعدواناً ـ في أول الأمر ـ ثم تقليداً أعمى وسيراً على طريقة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُونَ ﴾[٩]

في آخره ، فكان نصيبُ تلك القبيلة من ذالك ما فصلْتُ نبأه في كلمة نشرتها قبل ثلاث سنوات بعنوان (باهلة القبيلة المهضومة القدر)[١٠].

لقد توقعت - بعد نشر تلك الكلمة - أن الشيخ الجليل - وهو ذُوْ بُرْنَامِج دائم متواصل في الإذاعتين المرئية والمسموعة - سَيَطَّلِع على ماكتبتُ ، فكثيراً ما أراه يتصفح إحدى الصحف أثناء الإذاعة ، مستَشْهِداً بما فيها ، والصحفُ كثيراً ما تُشير إلى أحاديثه القيِّمة ، وتتحدث عنه ، لما له من منزلة سامية في نفوس المستمعين ، و(وِزارة الإعلام) تحرص على إيصالِ صَدَى ما تنشره الصحف إلى المعنيين به ، وصلة الشيخ بالوزارة وبالقائمين على شؤون النشر والإذاعة فيها - صلةٌ وثيقة ، وعميقة منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان .

ثم كان أن نشر الأستاذ ناجي الطنطاوي أخو الشيخ - مقالاً في مجلة «التضامن الإسلامي»[١١] علقت عليه بكلمة رأيْتُ اطلاع الشيخ عليها بعد نشرها ، وبعثت معها بنسخة من مجلة «العرب»[١٢] وفيها ما كتبته مع كتاب مِنّي في الموضوع ، فما كان منه - أكرمه الله - إلا أن أكرمني بكتاب منه مؤرخ في ١٢ صفر ١٤٠٩هـ فهمت من فحواه أنه لم يَطَّلِع على ماكتبت وقت صدور المجلة ، بل وقفتُ طويلاً عند جملة وردت في كتاب الشيخ ونصها : (فإن بَدَى لي الْـخَطَأ رجعتُ عَنْهُ وشكرت من أرْشَدَنِي إلى الصواب ، وما قُلْتُه هو ما استقرَّ في ذهني من أيام الطلب ، وما شَكَكْتُ فيه حتّى أَتَثَبَّت منه ، فإنْ كنت ظلمت هذه القبيلة ، فإني أُعَدِّلُه ، وأُعْدِل عنه في الطبعة المقبلة من الكتاب) .

لقد أطلتُ الوقوفَ والتفكير حقًّا حين قرأتُ الكتاب ، عند هذه الجمل التي أوردتها ، إذ الشيخُ - رعاه الله ووفقه - ليس ممن يرمي القول على عَوَاهِنِه ، وله من سعة العلم وعُمْقِ الاطلاع وغزارة المعرفة مايُحِلُّهُ أَسْمَى المراتب بين علماء العصر ، أفتراه لايزال مقتنعاً - عن عِلْمٍ ويقين - بما عبر عنه في مؤلفه «رجال من التاريخ» ولهذا لن يتحول عنه حتى يتضح له الحق من الجانب الآخر ؟ لَـمْ أكُنْ - حين كتبت ما كتبت في أول الأمْرِ - شَاكًّا ولا مُتَحَيِّراً ولا مُتَرَدِّداً في القناعة به ،

والاطمئنان إليه ، ولكن كلمة الشيخ الجليل كانتْ ذات أثرٍ عميقٍ في نفسي المؤمنة بصدقِ ماقلت ، أفتُرَانِـي بحاجة إلى زيادة اطمئنان وقوة يقين ؟! لِيَكُنْ هٰذَا لا سِيَّما وقد حَدَّثَنِي أحدُ الإخوة أن الشيخ الجليل تعرض للموضوع في أحد أحاديثه حين سُئِل عنه ، وأنه أشار إلى ما كتبت به إليه ، ولكنه ذكر أن كتب الأدب مشحونة بمثل ماورد في كتابه عن (باهلة) . كذا أخبرني الأخ ، و يعنيني منه سوى ما فهمت من أن الشيخ لايزال بحاجة إلى ازدياد بَحْثٍ ليزداد اطمئناناً ـ أو كذا فهمت مِمَّا حُدِّثْتُ به .

ولا يخامرني شكٌّ بأن موقف الشيخ ـ رعاه الله وزاده توفيقاً ـ هو موقف العالم المتثبت ، شَأْنَ العلماء الراسخين في العلم ، الذين يُسْتَنَارُ بأفكارهم ، ويُسَارُ على هَدْيِهِمْ في تَحَرِّي معرفة الحقِّ بأقوى الوسائل ، ومن أَوْضَحِ المناهج ، وعدمِ الاقتناع بالآراءِ والأقوال المجردة عن الحجة والبرهان ، مِنْ هُنَا كان في قولِ الشيخ : (وما شَكَكْتُ فيه حتى أَتَثَبَّتَ منه) وفي موقفه الموضح في كتابه ما دفعني إلى السير من أول الطريق ، وذالك بالعودة إلى الموضوع بِذِهْنٍ خال ، وبتجرد تَامٍّ مما كنتُ مُتَأَثِّراً به حين بدأتُ بالكتابة فيه ، فعمدتُ إلى ما لديَّ من المؤلفات التاريخية والأدبية وغيرها ، قديمِها وحديثِها ، وإلى ما استطعتُ الاطلاعَ عليه منها مما ليس تحت يدي ، واسترسلت فيَ مطالعتها ، باحِثاً ومُنَقِّباً ، ومستخلصاً كُلَّ ما وقع نظري عليه في تلك الكتبِ مما يتعلق بقبيلة باهلة في مختلف عصور التاريخ ، فكانت حَصِيْلَةُ ذالك ما سَأُقَدِّمُه ، محاولاً ما اسْتَطَعْتُ التجرد من كل هوى أو عاطفة ، ومن كل غاية لاَ يُرَادُ منها الوصول إلى الحقيقة .

لقد كُنْتُ ـ في صغري ـ كثيراً ما أسمع في مجالس العامة ، في مجالس التندر والفكاهة ، حين تجري الأحاديث بينهم حول ماضي القبائل ، أطرافاً من هَزْلِ القول عن قبيلة باهلة ، وبحضور بعض المنتسبين إليها ، وفي القرية التي كُنْتُ أَعِيش فيها أُسْرَتَان كريمتان منهم ، آل رُشَيْدٍ ، وآل عُوَيْوِيْدٍ ، كالقول بأنَّ باهلة رقَعَتْ إحدَى دلائها بكتاب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو أن أحدَ رجالها سرق حِذَاءَهُ ، فكان ذالك وأمثاله ـ مما يُسَاقُ مَسَاقَ الهزل والتفكُّهِ ـ يقابل من

الإخوة الباهليين بما يلائِمُ ما سِيْقَ من أجله من الاسترسال في الضحك ، بمنتهى عدم الإكتراث به .

وأذكر أننا ـ ونحن أطفال ـ نأتي إلى أحد طلبة العلم من تلك القبيلة ويدعى عبدالعزيز البُوَيهلي ، وكان ممن سافر إلى الهند لطلب العلم مع الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهم الله ـ وتلقى معه العلم عن العالم الهندي المعروف صِدِّيق بن حسن ـ صاحب كتاب «الدين الخالص»، وكان يحفظ القرآن غيباً ، وذَا صَوْتٍ جَذَّابٍ في القراءة ، والرجل مغرم بحفر الآبار في الأراضي الصالحة للزراعة ، فكنَّا كَثيراً ما نُطِلُّ عليه في جوف البئر ، ونحاول أن نُعَابِثَه ، فننشد بيتاً نسمع العامة يتناقلونه :

إذَا كُنْتَ في الفِردَوْس وجارُكَ باهِلِيْ فاهْرَبْ عنِ الفِردَوْس وازْبَنْ جَهَنَّم

فكان زعيقه تُرَدِّدُ أرجاءُ البئر صَدَاهُ: (ازْبَنْ سَقَر !! ازبن سقر !!) مما يطربنا ، فنستمر بالمعابثة ، ويَسْتَمِرُّ بترديد الكلمة ، مع رَنين صوت (الْعَتَلة) حين يضرب بها الصفا أثناء الحفر .

إذَنْ لم يكن الشيخ الجليل علي الطنطاوي بأول من نظر إلى تلك القبيلة بتلك النظرة التي لا ترتاح إليها .

وبعد أن اطلعت على ما طالعته من قديم المؤلفات وحديثها ماذا رأيت ؟!

لقد وجدتُ الشيخَ قد سارَ في طَرِيْقٍ مَلْحُوبٍ ، سبقه على السير فيه كثيرٌ من العلماءِ والأدباء ، منذ قرون عديدة ، حتى كادَ أن يكون سلُوكُهُ سُنَّةً متبعَةً بين المعنيين بالدراسات الأدبية من أهْلِ العصر ، أمَّا لماذا تَوَاطَأَ الْعُلَمَاءُ الْكُثْر على السير في ذالك الْـمَهْيَع ؟ وعما إذا كان هذا الطريق هو النهج القويم الذي يَعْصِمْ مَنْ سلكه من الزيغ والانحراف عن جادة الصواب ؟ فهذان الأمران مما يجب البحْثُ فيه ، ولَنْ أَتَعَجَّلَ فَأُقَدِّمَ للقارئ النتيجةَ المؤلمةَ حقًّا لتتابع الجم الغفير على هذا الْأمر دُوْنَ أَنْ يَتَحَرَّى بعضهم ماهو مقبل على الحكم به ، أَوْ أَنْ يَتَبَصَّرَ مَوْقِعَ قَدَمَيْهِ قبل إقْدامه على السير ، ماهو إلا مجرد التأثر بالتقليد والمحاكاة ، ولَنْ أُبَالِغَ

فأهضم أقدار أولئك العلماء الأجلة ، وفيهم أساتيذنا الذين حاولوا ـ جاهدين ومخلصين ـ أن يقدموا لنا صفوة ماعلموا بما ألفوه من كتب ، وما استخلصوه من آراء ، وما بذلوه من جهود عظيمة في سبيل إمدادنا بأنفس ذخيرة وأجلها من العلوم النافعة من آثارهم ، أو آثار من سبقهم ، مما حققوه ونشروه .

ولكنني لَا أَدَعُهَا سانِحَةً تَمُرُّ بِذِهْني دون أن أُشْرِكَ القاريً بها ، هي أَنَّ كَثِيْراً من قضايا تاريخ أمتنا ـ قديمه وحديثه ـ لايزال بحاجة إلى نظراتٍ فاحصة ، بل دراساتٍ لا تقف عند حَدٍّ ما قُدِّمَ حولها من آراء ونتائِجَ لعلماء نُجِلُّهُمْ ، ونعترفُ بفضلهم ، وبتبريزهم في مختلف جوانب العلم ، فَالْعَالِمُ ـ أيُّ عَالِمٍ كانَ ـ ليس مَعْصُوماً ، وهو إنسانٌ يطرأُ عليه ما يطرأُ على الإنسان من غفلة وسهو ونسيان ، ويتصف بما يتصف به من رَغَبَاتٍ ومآرِبَ وغاياتٍ مختلفة ، ومن إجلالنا لأولئك العلماءِ السَّيْرُ على نهجهم في الْجِدِّ والدَّأْب في التعمق في البحث ، لتكون لنا آراء كآرائهم ، تتفق معها أو تُخَالِفُها ، فهم ـ كما قال الإمام أبو حنيفة في حق من هُمْ أَفْضَلُ منهم ـ: هم رِجَالٌ ونحن رجال !! وهم عَلَّمُونَا أن التقليد ليس من العلم في شيء ، وأن المقلد ليس عالمًا ، وأن كُلَّ أَحَدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا من عصمه الله ، وشرفه على سائر خلقه بالرسالة .

بين يدي الكتاب :

ذاك السبب الباعث لتأليف الكتاب ، وتلك الغاية التي أتوخَّاها من كُلِّ قاريً منصف ، يبحث عن الحقّ ، ويدور معه أينما دار ، ويروم الوصول إليه من أوضح الطرق .

قد تَعْرُوك ـ أيها القاريً الكريم ـ دهشةٌ بالغة ، ويأخذ منك الاستغرابُ كُلَّ مَأْخَذٍ ، عند قراءة عنوان هذا الكتاب لمخالفة فحواه ما استقر في ذهنك ، ورسخ في فكرك عن هذه القبيلة الكريمة ، التي اعتَدْتَ أن تقرأ عنها ـ فيما يقع تحت يدك كتب الأدب والتاريخ ـ وأن تسمع من خلطائك من الناس ، تَنَدُّراً حِيْنًا ، وجِدًّا أحياناً ما لا يتفق مع مدلول ذالك العنوان .

ولكنني ـ وما عهدتُ القاريَ أيّا كان ـ إلاّ وينحو بقراءته بلوغَ غايةٍ ذاتِ جَدْوَى ـ لا يخالجني الشكُّ بأنّك لَنْ تَضِنَّ عليَّ بِلَفْتَةٍ من لَفَتَاتِ ذهنك ، لننظر معاً إلى جانب من جوانب الأمر ، قد يبدو غير مباشر ـ بالنسبة لموضوع الكتاب ، بل قدْ أطْمَعُ منك بنظرةٍ أوسعَ لتشمل جوانب أخرى ذات صلة بهذا الموضوع .

أولها : لستَ ممن يجهل أنَّ الحقَّ لا يدور دائماً في جانب كثرة الخلق ، فقد قال الله جل وعلا : ﴿ ومَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلًا ﴾[١٣] : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ من في ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله ﴾[١٤] وحكى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال في حق الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيْراً مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١٥].

ومَا الإِقْتِدَاءُ بالكثرة في البحث عن تمييز الأمور ، ومحاولةِ إدراك حقائق الأشياء ، سِوَى تَعْطِيْلٍ لأعظم ما أنعم الله به على الإنسان ، وهو عقله ، الذي به يتضح الحق من الباطل ، ويُمَيَّزُ النافع من الضار ، وما تعطيلُ العقل سوى إهدارٍ لكرامة الإنسان الذي فَضَّلَهُ الله على سائر الحيوان : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَامِ ﴾[١٦].

وأسْوَأُ وَصْمَةٍ يُوْصَمُ بها الْـمَرْءُ أَنْ يُدْعَى (إِمَّعَةً) أي مع الناس يتبعهم حيثما اتجهوا ، وفي الأثر : (اغْدُ عالِمًا أو متعلماً ، ولا تكنْ إِمَّعَةً)[١٧].

ثانيها : أنَّ صفات المدح والذم الخلقية صِفَاتٌ طارئةٌ على المرء ، تحدث بفعله هو ، أو بما تُهَيِّئُهُ له الطبيعة التي أوجده الله عليها ، من قوة أو ضعف ، قدرة أو عجز ، فهي صفاتٌ مكتسبة بالنسبة له ، وليستْ ملازمةً له ، أو طَبيعَةً فيه ، ومن هنا فإنَّ إضافتها إليه تتوقف على اتِّصافِهِ بها متى ثبت ذالك .

وعلى هذا يتضحُ أنَّ مِنَ الْـخَطَإِ وَصْفَ امْرِئٍ ـ بَلْهَ جماعة لا ينحصر عددها ـ بأية صفة من الصفات مَدْحاً أو قدحاً بدون ثبوت الاتصاف بها .

ثالثها : أليس من أظْلَمِ الظُّلْمِ أَنْ تَصِمَ مجموعةً من البشر ، لا يحصون كثرة ـ طيلة مدة تزيد على ستة عشر قرناً من الزمن ـ بوصمة من وصمات السوءِ كَالْـخِسَّةِ والحقارة ، بدون تَثَبُّتٍ واطمئنان عن يقين باتصافهم كلهم بها ، فضلاً

عن عدم ثبوت اتِّصاف واحد منهم بتلك الوصمة ؟! ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ ﴾[١٨].

هي مقدمات ثلاث لا اختلاف على نتائجها ، فَلْنَسِرْ بعدها لِإسْتِجْلَاءِ أَبْرَزِ نواحي حياة هذه القبيلة منذ عرفتْ ، وفي أَوْثَقِ ماوصل إلينا من تاريخ القبائل العربية حتى الثلث الثالث من القرن الأول الهجري ، وليكن هذا الاستجلاءُ على ضَوْءِ تلك النتائج ، لنتبين في أية صورة تبرز لنا هذه القبيلة ؟

١ ــ إنَّ قبيلة بَاهلة من خلال الاستجلاء الشامل في أوثق المصادر ، سوف تَبْدُو ـ كغيرها من أخواتها القبائل القيسية من الـجِذْمِ العدناني ـ ذاتُ كيانٍ مُتَمَيِّزٍ مُسْتَقِلٌ بالتفاف فروعه بعضها إلى بعض ، في حالة التماسك والترابط ، والإسْتِقرار في موطن خاصٍّ ، مُتَمَيِّز عما يجاوره من منازل الفروع القيسية الأخرى ، وما الإعْتِمادُ على النفس ـ بهذه الصورة وذالك الترابط ـ سوى مظهر من مظاهر القوة ، وتلك أبرز صفات العزة في تلك العصور .

٢ ــ لم يتضح لي من خلال ذالك الاسْتِجْلاءِ أنَّ الموطن الذي حلته تلك القبيلة واتخذته مستقرًّا لها منذ أنْ أصبحتْ ذاتَ كيانٍ متميز ـ لم يكن بالمكان الْـمُجْتَوَى بين أقاليم جزيرة العرب ، بل كان مُتَوَسِّطاً بينها ، كان خصْبَ التربة ، وَافِرَ المياه ، كثيرَ المعادن ، جَيِّدَ المراعي ، واسعاً يفي بسعته حاجة تلك القبيلة ، ويُجِدُّ سُكَّانُهُ في إصلاحه ، ويبذلون مختلف أوجه نشاطهم لاستثمار خيراته ، حتّى أصبح مطْمَحاً ومطمعاً للأعداء ، فقد انتشرت في جوانبه القرى ، التي ازدانتْ بحدائق النخيل ، بحيث أصبحت بجمالها وبهجتها تستهوِيْ قلوبَ الطامعين :

إذَا أَرْطَبَتْ منْهَا الْـمَبَاكِيرُ هَيَّجَتْ صُدُوْرَ رِجَالٍ لم تَرُوعُوا لَهُمْ سِرْبَا

إنهم يَحْسُدُون سكان هذه البلاد من هذه القبيلة ، فيحاربوهم طمعاً في الاستيلاء على هذه البقعة التي تتفتح الحياة مشرقةً في جوانبها ، ولكن سكانها البواسل لا يتوانون ، ولن يتوانوا في الذودِ عنها ، ولن يَهِنُوا في حمايتها من غارات

المعتدين ، بكل شجاعة وقوة ، وهذا ما مكن هذه القبيلة من الاستقرار في تلك البلاد منذ أقدم عصورها حتى ظهر الإسلام ، فَسَوّى بين أبنائه ، وجمعهم على الْـحُبِّ والتآخي ، وأزال جميع الفوارق ﴿ إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١٩].

٣ ـ ومع ما اتصفت به بلادُ هذه القبيلة من خصْبٍ ونماءٍ ، وما بذلوه ويبذلونه في سبيل إصلاحها ، فإنَّ أولئك لَيْسُوا بِدْعاً بين من يحيط بهم من القبائل التي اتخذتْ هذه الجزيرة ساحاتٍ للعراك والجلاد ، وميادينَ للغارات والسلب والنهب ، بحيث تميزت حياتها في عصورها الأولى بأبرز صفات الفروسية والشجاعة ، فلم تركن (باهلةُ) إلى الدَّعَةِ وخَفْضِ العيش ، والإسْتِكانة بين قبائل لا حياة بينها إلا للقويِّ ، ولم تُخْلِد إلى الراحة ، ولم تُقنع بالاكتفاء بما تجود به بلادُها من وارف العيش ورغده :

دَعِ الْـمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبغْيَتِها وَاقْعُدْ فإِنَّك أَنْتَ الطاعِمُ الْكاسِي

إنها لم ترضَ أَنْ يُبْخَسَ حَظُّها من أبرز صفات العز والقوة في أسمى مظاهرها في عهودِ الجلاد والعراك ، فلقد اتَّخَذَتْ للأمر أُهْبَتَهُ ، وأَعَدَّتْ لَهُ عُدَّتَه في عهد الفروسية ، حين كانت العرب تتخذ من الخيل حصوناً تحتمي بظهورها ، ووسائِلَ كَرٍّ وفَرٍّ أثناءَ غارتها ، ومظاهِرَ عِزٍّ وقُوَّةٍ لإرْهابِ أَعْدَائِها ﴿ وَمن رِبَّاطِ الْـخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٢٠] فانتقت من سلالاتها العريقة الممتازة عرابها فَارْتَبَطَتْهَا وقامت على تربيتها والعناية بها جيلاً بعد جيل ، حتى عُرِفَتْ في جاهليتها بانتقاء أصولها ، ثم في العصور المتأخرة حين ضعف الاهتمام بأمر الخيل بالحفاظ على جيادها ، والحرص على صيانة أعراقها وأصولها من الهجنة والإقراف وعرف منها من اقترن اسمه بها .

٤ ـ إذَنْ لا عَجَبَ أَنْ يكون لهذه القبيلة في مُصَاوَلَة أعدائها ومجاولتهم ـ قبل ظهور الإسلام ـ ماهو مَبْعَثُ فَخْرٍ واعتزازٍ ، فقبيلة محدودة العدد والقوة ـ توالي غاراتِها على قبائل أَثْرَى منها فروعاً ، وأكثر عدداً ، بل كانت تُبَاغِتُهَا على غِرَّةٍ في عُقْرِ دَارِها ، بغَاراتٍ جريئة ، تُعْقِبُها تِرَاتٌ فادحة .

هاهو عمرو بن كلثوم التَّغْلِبيُّ - سيد ربيعة - وهو هو عزَّةً ومكانةً بين سائر العرب - تفصل بين بلاد قومه في شرق الجزيرة وبين بلاد باهلة في أعلى اليمامة ، الفيافي والقفار الشاسعة ، إنه أشهر فاتِكٍ في عصره ، وأبرز فارس بين قومه ، فمن ذا يَجْرُؤُ على الأَسَدِ في عرينه !! لقد فُوْجِيءَ - بل فُجِعَ - بغارة كوكبة من فرسان باهلة ، فما كانت غنيمتهم سوى أَعَزِّ شيْءٍ ، وأنفس ما يبذل ذالك الفارس روحه لحمايته والذَّوْدِ عنه ، إنها (الرَّبَاب) ابنته وفلذة كبده !! وهو عمرو ابن كلثوم الذي أبَى لأمه أن تُنَاوِلَ أُمَّ الْـمَلِكِ القدَحَ (مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِيْنَا)، لقد ثارتْ فيه النخوة والأنفَة عند سماع كلمة (وَاذُلَّاهُ يَا لَتَغْلِب) !! فما كان الثأر سوى رَأْسِ مَلِكٍ يَتَدَهْدَى !! دَرْءاً للذل ، ودفْعاً للضيم !

وبِأبي لك ياعمرو - ماعُرِفَ عنك من إباءٍ وشمم أن تَتَجَرَّعَ مَرَارَةَ الْعَارِ بِأَسْرِ (النَّوَار) قادراً مختاراً ، وآه لها زفرات وأنَّات تنبعث من فؤاد فتاتك الغريرة ، وقد احتضنها فارس باهلة فوق جواده يَفْرِي بها كَبِدَ الصَّحراء ، جَذِلاً مسروراً ، ويطيب له أَنْ يُنَغِّمَ مِنْ أنَّاتها وآهاتها وحَنينها أَهَازِيْجَ تُرَجِّعُ صَدَاهَا غِيْلَانُ القفارِ ، على وقع حوافر الجواد ، فوق الأرض الجلد من فيافي الْـحَزْنِ والصَّمان ، وذاك الفارس الباهلي المنتصر الحذر جحل بن نضلة يَهْزِجُ بأناشيده :

حَنَّتْ نَـوَارُ وأيُّ حِـيْنَ حَنَّتِ ... وَبَـدَا الَّذِي كَـانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ
لَـمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوبا[٢١] ... وَالْفَـرْثُ يُعْصَرُ في الْإِناءِ أَرَنَّتِ

وما كان أسْرُ النوار بالتِّرَةَ الأولى للربعيين عند قبيلة باهلة ، فأبو الأعشى الشاعر المشهور كان ممن قتلته ، ولم يستطع الرَّبَعِيُّون أَنْ يأخُذُوا بثأره .

٥ ــ أمَّا ماجرى بين قبيلة باهلة - ومعها غني - وبين القبائل اليمنية من المجاولات فَمَثارُ عَجَبٍ ومبعث استغرابٍ حين يتصور المرءُ قوة قبائل اليمن وكثرتها وحصانتها في بلادها .

لقد كانت قبيلة باهلة تُغَاوِرُ تلك القبائل فيما قرب من بلادها في أودية السَّرَاةِ الشرقية الجنوبية ، حيث تنتشر قبائل مَذْحِجَ (قحطان الآن) من بني الحارث ،

ونَهْدٍ وغيرهم ، فكان الباهليون ينالون منهم ، بل كانتْ لهم اليد الطولى في بعض مجاولاتهم ، يقول شاعر باهلة في وصف إحدى الوقائع :

وَنَهْدِيَّةٍ شَمْطَاءَ أَوْ حَارِثِيَّةٍ تُؤَمِّلُ يُمْنَا مِنْ بَنِيْهَا بَعِيرُهَا
فَآبَتْ إلى تَثْلِيْثَ تَدْمَعُ عَيْنُهَا وَعَادَ عَلَيْهَا ضَمْغُهَا وبَرِيْرُهَا

وتتحرَّقُ الحارثية أسىً وحسرةً ، مما أصابها بقتل ذويها بسيوف الباهليين :

شَقِيْقٌ وحَرْمِيٌّ هراقا دِماءَنَا وفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النواصيا

أما فَتَكات المنتشر الباهلي بتلك القبائل ، فهي تدل على ما تتصف به قبيلته من جُرْأَة وشجاعة وقوة اقدام ، ومَا حَدِيْثُهَا بِسِرٍّ .

٦ ـ ولم تكن باهلة بين اخواتها من القبائل العدنانية بالضعيفة المغلوبة ، بل كان لها في كثير من مناوشاتها الطَّوْل ، فقد أغارتْ على قبيلة ضَبَّةَ يوم ساجِرٍ ، فقرت عيون الباهليين بانتصارهم في ذالك اليوم ، وقال فارسهم شقيقُ بن جزء :

لَقَدْ قَرَّتْ لَهُمْ عَيْنِي بِسِلٍّ ورَوْضَةِ سَاجِرٍ ذَاتِ الْعَرَارِ
نُكَسِّرُ فِي مُتُونِهِمُ الْعَوَالِي وتَمْضِي السَّمْهَرِيَّةُ فِي انْشِطَارِ

وفي وادي تَرْجٍ الذي لا يزال معروفاً عدَا أحَدُ فرسانهم على بِشْرِ بن أبي خَازِمٍ الأسدي الشاعر المشهور فرماه بسهم كان منه حتفُه ، قال عنه بشر :

وإنَّ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ يُكْسَى لُغَابَا

وتوفي من أثر ذالك في الرَّدْهِ[٢٢] .

ولها مواقف مَعَ بني تميم ، لعل من أبرزها بقاءُ حاجبِ بن زرارة سيد بني تميم الذي أسر يوم جبلة ـ وهو يوم شاركت فيه باهلة مع بني عامر ـ فبقي في شَمَام (في العِرْض) في بلاد باهلة عاماً يقاسي الهوان حتى دفعت فيه فدية جزلة .

وحسبك بمنزلة قبيلة باهلة في القوة ـ لا في الهوان والضعف ـ أنَّ أَحَدَ فُتَّاكِها تجرَّأ على قتل أحد سادة قريش ، وهو عبدالدار بن قُصَيٍّ[٢٣] فلم تأخذ قريش

بثأره من تلك القبيلة ، وقُرَيْشٌ بين قبائل العرب هِـي هي ، سُمُوُّ منزلة ، وعُلُوُّ قَدْرٍ ، وارْتِفاع صِيْتٍ .

وما جرى بين باهلة وبني جعدة بن كعب ، مما كان سبباً في تَصَدُّعِ باهلة هو تعبير عما كانت تجيش به نفوسُ هذه القبيلة من عِزَّةٍ وشَمَمٍ ، حيث لم يرضَ المنتشر فارسُهم المشهور حين قتل الجعديون ابنه حتى قتل ثلاثة منهم ، فأحْدَثَ بذالك التباعد بين قومه وبين بني كعب بن ربيعة ، القبيلة التي كانت باهلة قد انضمت إليها بالحلف ، وذالك بسبب الجوار في المنازل ، إذْ منازلُ بني كعب بن ربيعة تقع مجاورةً لبلاد باهلة ، فبنو عُقَيْلِ بن كعبٍ في الْعَقِيق (وادِي الدَّواسر الآن) جنوب بلاد باهلة ، وبنو قُشَيْرٍ وبنو جَعْدة في الأفلاج ، وينتشرون على ضفاف أودية جبل العارض شرق بلادها ، وبنو العجلان وبنو نُمَيرٍ مختلطون معها في المنازل شرقاً وجنوباً .

ومما تقدم يتضح أن قبيلة باهلة في العصر الجاهلي لم تكن بالمغمورة ، المغموطة الحق بين القبائل ، ولم تكن خاملة الذكر ، أو مجهولة المنزلة .

فماذا كان شأنها في الإسلام ؟!

٧ ــ لقد أعز الله قبائل العرب بظهور الإسلام ، الذي وَحَّدَ شملهم ، وجمع كلمتهم ، وجعلهم أُمَّةً قوية ، استطاعت بما فهمتْ وعملت به من تعاليم الدين الحنيف أن تُقَوِّضَ صروحَ ممالك أقوى الأمم في ذالك العهد .

ولقد بادرتِ القبائلُ إلى الدخول في دينِ الله أفْوَاجاً ، ومن ذالك قبيلة باهلة ، التي أرسل الرسول ﷺ إليها من يدعوها كغيرها من القبائل الأخرى ، وكان رسوله عليه الصلاة والسلام إليها من القبيلة نفسها ، وهو صُدَيُّ بن عَجْلان أَبُو أُمامة الباهلي ، فأسرعتِ الاستجابة للدعوة ، وانضوتْ تحتَ راية الإسلام ، فازدادت بذالك قوة وعزة إلى قوتها وعزتها .

ولقد شَرُفَ بصحبة المصطفى ﷺ من هذه القبيلة عدد كثير ، عرف متقدمو العلماء ممن أَلَّفَ عن الصحابة منهم نحو ثلاثين صحابياً ، وما جهلوه لا يقل عن

عشرة أضعاف هذا العدد ، بالمقارنة بما أحصى المتقدمون من العلماء من أصحاب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كما ستأتي الإشارة إلى ذالك في الكلام على الصحابة من قبيلة باهلة .

ولما بدأتْ جيوش المسلمين تتجه إلى الأقطار المجاورة لنشر الدين الحنيف ، كان من بين مشاهير المشاركين في تلك الحروب عدد كثيرٌ من هذه القبيلة ، ممن يجده الباحث مفرقاً في أمهات كتب التاريخ والسير ، ومنهم من سيرد ذكرهم .

كما عُرِفَ من رجال قبيلة باهلة عددٌ غيرُ قليل ، بَرَزُوا في العلم وفي الأدب وفي الشعر ، وفي غير ذالك من العلوم والفنون ، ممن ستمر بك لمحاتٌ موجزةٌ عن كثير منهم في هذا الكتاب .

وكان من أثَر إثْرَاءِ هذه القبيلة في الناحية العلمية أنِ اتَّخَذَ علماءُ اللغة من لهجتها أساساً يرجعون إليه في كثير من قواعد لغة القرآن الكريم ، نَحْواً ، وصَرْفاً وبَيَاناً .

أما منزلتها بين القبائل الأخرى ـ بعد أن أعزها الله بالإسلام ـ فحسبك بعز قبيلة يطاول أحد رجالها أقوى ملك في ذالك العهد ، بحيث لم يستطع ذالك الملك الإنتقام منه إلاّ بِحيلة(٢٤).

وينال من قبيلة باهلة أَحدُ أمراء البصرة ، وكانت في ذالك العهد من أعظم أمصار المسلمين ، ولِأميرها منزلةٌ سامية في نفوسهم ، فلا يحول ذالك من أن يتصَدَّى له باهلي فينال من قبيلته ـ مفضلاً باهلةَ عليها(٢٥) ـ بأَسْوَأَ مما بدأ به ذالك الأمير .

ويُقْتَلُ أَحَدُ أبناءِ هذه القبيلة في مدينة البصرة في ظروف غامضة ، فتتجه التهمة إلى قبيلة تُنَاوِئُها العداوة فلا ترضَى منها إلا بأربع ديات عن ذالك القتيل(٢٦).

وبعد استقرار بعض الأُسَرِ خارج الجزيرة بعد أنِ انْسَاحتْ جحافلُ غزاة المسلمين ، وتمكنت من فتح البلاد شمالاً وشرقاً وغرباً ، تستوطن إِحْدَى الأُسَرِ

الباهلية الجزيرةَ الفراتية ، ويبرز من رجالها ذَوُوْ قَدَمٍ ومقام في نصرة الإسلام ، وفي تأسيس قواعد الدولة ، فيحظى بعضهم بتقدير الخلفاء والولاة بإسناد إدارة شؤون تلك الجزيرة إليه فلا يلبث ـ كفاءة ومقدرة ـ أن يتولى جميع شؤون السلطة فيها بحيث يتولى رئاسة قبائل قيس عيلان(٢٧) على كثرتها وقوتها أثناء الحرب التي جرت بين تلك القبائل ـ ومن بينها باهلة ـ وبين قبيلة تغلب .

وحسبك من بين أؤلئك الرجال الذين تولوا قيادة الجيوش الإسلامية إبَّانَ تغلغلها في أقاصي المعمورة لنشر تعاليم الإسلام في ربوعها ، وإرساء قواعد العدل والإصلاح بين سكانها أمثال صُدَيّ بن عجلان (أبي أمامة) وسلمان بن ربيعة ، وعبدالرحمن بن ربيعة ، والفاتح العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي ، وغيرهم ممن خَلَّدَ التاريخُ ـ عن جدارةٍ وحَقٍّ جوانِبَ من بطولاتهم أثناء الفتوحات الإسلامية بما لا يتسع لذكر اليسير منه الصفحات ، بل يفرد بالمؤلفات .

إنها صفحات مشرقة ناصعة وناطقة بما كانت تتمتع به هذه القبيلة من عِزَّةٍ وإباءٍ وشَمَمٍ ، منذُ أَنْ عُرِفتْ في العهد الجاهلي حتى مضى صدرُ الإسلام ، وأوشك القرنُ الأول الهجري أن ينتهي ، ثم قلب الدَّهْرُ ظَهْرَ الْـمِجَنِّ لهذه القبيلة التي مهما حاول الباحث المنقب في تاريخ العرب في خلال تلك الحقبة الماضية ليجد لها مَغْمَزاً من المغامز التي تُسيْءُ إليها ، أو سِمَةٍ من سِمَات الذل والإهانة والضعف ، تختص بها دون غيرها من قبائل العرب ، فإنه لا يستطيع أن يجد من ذالك شيئاً فيما بين يديه من كتب التاريخ والأدب وغيرهما على كثرتها .

ولكنَّ الْـمَأْسَاةَ بفَقْدِ قتيبة بن مسلم بطل تلك القبيلة بل بطل الأمة الإسلامية كلها ، لسقوطه صريعاً بسيوف المكر والغدر والخديعة ، لم تقتصر عليه وحده ، بل كانت إيْذَاناً بسقوط سُمْعَةِ قبيلتهِ بِأَسْرِهَا ، فكأَنَّ خُلُوَّ الْـمَيْدَان من كفاحِ ذالك البطل كَانَ مَبْدَأً لتكالُبِ قُوَى الـحِقْدِ والضغينة والكراهية ، للنيل من هذه القبيلة الكريمة ، منذ آخرِ القرن الأول الهجري إلى زمننا هذا ، بحيث قلَّ أن تَجِدَ ذِكْراً لهذه القبيلة ، وخاصَّةً بعد القرن الرابع الهجري إلى عهدنا ، لم يَشُبْهُ نَيْلٌ مِنْها ، وانتقاصٌ لقدرها ظلماً وعدواناً ، أو إن شئت فقل : سَيْراً على طريقة

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُوْنَ ﴾ مما سَأُحَاوِلُ تَفْصِيْلَهُ في القسم الثاني من هذا الكتاب .

حمد الجاسر

الحواشي :

(★) الآية الـ(١٣) من سورة (الحجرات) .

(★) حديث نبوي نصه : « إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تَقِيٌّ . وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، لَيَدَعَنَّ رجَالٌ فَخْرَهُمْ بأقوام ، إنما هم فَحْمٌ من فحم جهنم ، وليكونُنَّ أهْوَنَ على الله من الْجِعْلانِ ، التي تدفع بأنفها النَّتَنَ» أورده السيوطي في «جمع الجوامع» ونسب روايته إلى الإمام أحمد وأبي داود والبيهقي . والعُبِّيَّة ـ بضم العين وكسرها وتشديد الباء الموحدة مكسورة بعدها مثناة تحتية مشددة مفتوحة ـ النخوة والفخر والكِبْرُ .

(١) الآية الـ(٩) من (سورة الحجر) .

(٢) نشره الأستاذ محمد كُرْدعلي في مجموع «رسائل البلغاء» ـ وجاء في هذا الكتاب :

لم أر في هذه الشعوبية أرسخ عداوة ، ولا أشد نصباً للعرب ، من السفلة والحشوة ، وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى ، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة ، فيعرفون مالهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : إن الشرف نسب ، والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم ، وإنما لهجت السفلة منهم بذم العرب ، لأن منهم قوماً تحلوا بحلية الأدب ، فجالسوا الأشراف ، وقوماً اتسموا بميسم الكتابة ، فقُرِّبوا من السلطان ، فدخلتهم الأنفة لأدابهم ، والغضاضة لأقدارهم ، من لؤم مغارسهم ، وخبث عناصرهم ، فمنهم من ألحق نفسه بأشراف العجم ، واعتزى إلى ملوكهم وأساورتهم ، ودخل في باب فسيح لا حجابَ عليه ، ونسب واسع لا مدافع عنه ، منهم من أقام على خساسة ينافح عن لؤمه ، ويدعي الشرف للعجم كلها ، ليكون من ذوي الشرف ، ويظهر بغض العرب يقتنصها ، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها ، وإظهار مثالبها ، وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق ، وبهممها أنف ، وبآدابها تسلح عليها ، فإن هو عرف خيراً ستره ، وإن ظهر حقره ، وإن احتمل التأويلات صَرَفه إلى أقبحها ، وإن سمع سوءاً نشره ، وإن لم يسمعه نفر عنه ، وإن لم يجده تخرّصه ، فهو كما قال القائل :

إن يعلموا الخيرَ يُخفوه وإن علموا شرّاً أذيع وإن لم يعلموا بَهَتوا

(٣) «الآثار الباقية»: ٢٣٦ .

(٤) نشر أستاذنا الدكتور إحسان عباس رد ابن حزم على ابن النغريلة في مجموع رسائل ابن حزم سنة ١٩٦٠م في القاهرة .

(٥) حديث رواه البخاري في صحيحه ، وغيره .

(٦) «اقتضاء الصراط المستقيم» للإمام ابن تيمية ص : ٣٧٠ .

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن أنس وقال : حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بأن في رجال الحديث متروكاً وضعيفاً . ←

« البحث اللغوي » وملاحظات

الدكتور رياض قاسم ـ اتجاهات البحث اللغوي الحديث الجزء الأول ـ لبنان في القرن التاسع عشر ١٨٠١ ـ ١٩٠٠ ، الجزء الثاني ـ لبنان ١٩٠١ ـ ١٩٦٠ ، بيروت ، مؤسسة نوفل ١٩٨٤م .

للبنان مكان بارز في خدمة اللغة العربية ولها في ذلك أعلامها وكتبها ومعجماتُها وآراؤها . وقد وفّى الدكتور رياض قاسم هذه الخدمة بكتابه الضخم على ما يمكن من الاستيعاب والوضوح وإيصال الماضي إلى الحاضر .

ولا يخلو عمل من ملاحظات ، يحسن تقديمها تعاوناً على الخدمة . ومن هذه الملاحظات :

→ (٨) «اقتضاء الصراط المستقيم» ٣٩٦ .
(٩) الآية الـ(٢٣) من (سورة الزخرف) .
(١٠) «العرب» ٤٣٣/٢١ حيث تجد نَصّ الكلمة .
(١١) جزء شعبان/شوال ١٤٠٨هـ ص ١٩ ـ ٢١ .
(١٢) س ٢٣ ص ٦٩٨ .
(١٣) الآية الـ(١٢٢) من سورة (النساء) .
(١٤) الآية الـ(١١٦) من سورة (الأنعام) .
(١٥) الآية الـ(٣٦) من سورة (إبراهيم).
(١٦) الآية الـ(٤٤) من سورة (الفرقان).
(١٧) انظر «لسان العرب» ـ رسم أمع ـ.
(١٨) الآية الـ(٦) من (سورة الحجرات) .
(١٩) الآية الـ(١٠) من (سورة الحجرات) .
(٢٠) الآية الـ(٦٠) من (سورة الأنفال) .
(٢١) كذا أورد النحويون كلمة (مشروباً) كما سيأتي ، ولا أرى ما يمنع أن يكون الصواب (مشروبها) ولا داعي لتكلف تعليل ما وقع في الوزن من خلل .
(٢٢) انظر «العرب» ٤٢٢/٧ ، والردهُ على ما يفهم من كلام المتقدمين يقع بقرب وادي منعج (وادي دخنة) شمال حمى ضرية .
(٢٣) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: ٢٤٥ .
(٢٤) انظر ترجمة أبي هوذة بن شماس الباهلي في كتاب «باهلة» وانظر كتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ : ٩٩ و«الحيوان»: ٤٢٨/٣ .
(٢٥) انظر ترجمة حيان بن يزيد السهمي الباهلي في كتاب «باهلة» .
(٢٦) انظر ترجمة المثلم بن مسروح الباهلي ـ مع الأعيان في كتاب «باهلة» .
(٢٧) انظر ترجمة عبدالعزيز بن حاتم الباهلي ـ مع الأعيان في كتاب «باهلة» .

في الجزء الأول

١ ــ ص ٢٣ «... كبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وكثار غيرهم»
أ ــ لا تبدو لي «كثار» هذه لائقة وفي مكانها، وكان الأحسن أن نقول، وكثيرين.
ب ــ غيرهم : غيرهما.
جـ ــ في القاموس: «والكُثار كغُراب وكِتاب: الجماعات» ـ ولا أحسب المؤلف يقصد إلى الجماعات.

٢ ــ ص ٢٣ «العطاء الكنسي»: الكنيسي.
٣ ــ ص ٨٢ «لعله من الملفت»: اللافت.
٤ ــ ص ٨٢ «لقد انشغلوا ...»: أفضل شُغلوا.
٥ ــ ص ٩٦ «لما بينها من فروقات»: أفضل «فروق».
٦ ــ ص ١٠٢ «مفردات اللغة الصرفة»: الصرف.
٧ ــ ص ١٦١ «هذا الرسم لحدود الدخيل مؤشر جديد، إلى الذهنية الواعية»: دليل جديد على ... وتنظر ص ٢٥٧.
٨ ــ ص ١٩٦ كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» (١٨٨٠) لابن الأثير. حققه الشيخ إبراهيم الأحدب» لم يورده المؤلف في «مسرد المصادر والمراجع» الذي أعرفه أن «الوشي المرقوم في حل المنظوم» طبع مرة واحدة هي طبعة مطبعة ثمرات الفنون، بيروت ١٢٩٨.
٩ ــ ص ١٩٨ «في منهج التحقيق (...) الأب لويس شيخو (...) في المرتبة الأولى دقة وفهماً لأصول التحقيق الذي كان سائداً في تلك الفترة».
أ ــ صحيح «الفترة»: المدة، أو العهد أو العصر ...
ب ــ لم يكن الأب دقيقاً وإن كان فاهماً. فقد كان يحذف من النصوص المحققة، ولينظر تحقيقه لكتاب «الألفاظ الكتابية» لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني، وتحقيقه لديوان أبي العتاهية.

١٠ ــ ص ٢٢٠ «وقد دارت النقود، أكثر مادارت حول «القاموس المحيط»

للفيروزآبادي» إذا قلنا «دارت. . . حول. . .» فإن ذلك يعني أنها لم تدخل فيه ، وإنما بقيت من الخارج ، إنه تعبير متأثر بالترجمة . وتنظر ص ٢٥٧ .

١١ ــ ص ٢٢١ «أما المعاجم الأخرى ، كـ(اللسان) و(التاج) و(الصحاح) و(الأساس)، فلقيت من النقد حظوة أقل» .

أ ــ المقصود بالنقد ـ هنا ـ بيان العيب والنقص .

ب ــ إنما تذكر «الحظوة» للتقدير والإعزاز ولدى الصحة والسلامة والكمال .

١٢ ــ ص ٢٢٠ «اعتمدنا معنى «التوثيق اللغوي»: اعتمدنا على معنى. .

١٣ ــ في مسرد المصادر والمراجع ورد ص ٣٤٣ : «الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ كتاب «العين» تحقيق الدكتور عبدالله درويش ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٣٨٦ ـ ١٩٦٧». ليس هذا كتاب «العين» وأنما هو جزء صغير منه . والمناسب الرجوع إلى الطبعة التي صدرت عن وزارة الثقافة والاعلام في ثمانية أجزاء بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي ، بغداد ١٤٠٠/١٩٨٠ .

في الجزء الثاني

١ ــ ص ٢١ «ولعل (الشيخ الشيخ صبحي) يكون الوحيد. . .» ـ يمكن الاستغناء عن «يكون» .

٢ ــ ص ٢١ : في التركيب خلل . . Languistique au Sience du Langage .

٣ ــ ص ٥٣ (وغيرها) «الإتجاه» بإثبات الهمزة والواجب حذفها لأنها همزة قطع . ومثلها «الإزدواجية» (ص ٢٢٧) تحذف همزتها لأنها همزة وصل .

٤ ــ ص ١٠٤ «تتصف بالتشويش الظاهر» .

جاء في «لسان العرب» «. . . وأما التشويش فقال أبو منصور : إنه لا أصل له في العربية ، وإنه من كلام المولدين ، وأصله التهويش وهو التخليط . .».

٥ ـ هـ ص ١١٥ عثر الأمير شكيب أرسلان في خزانة استانبول على مخطوطة «المختار من رسائل أبي إسحق الصابي». نشر الجزء الأول منها في ٢٨٦ صفحة ، في لبنان سنة ١٨٩٨ ، والجزء الثاني مايزال مخطوطاً بقلمه وتعليقاته» .

لِمَ لَمْ ينشر؟

٦ ـ ص ١٤١ «. . . المنجد ، للويس معلوف (١٩١٩). . .»، ص ١٤٢ معجم «المنجد في اللغة» المطبوع في العام ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ لمؤلفه لويس المعلوف» . وتعددت طبعاته . .

٧ ـ ص ٢٠٢ «العامية» «الفصحى» .

المفروض أن نقول ـ هنا ـ الفصيحة مقابلة مع العامية، لأن الفصحى تفضيل .

٨ ـ ص ٢٠٦ «الأعمال الروائية كرواية (آخر بني سراج) للأمير شكيب أرسلان و(عذراء الهند) للشاعر أحمد شوقي» .

آخر بني سراج ، قصة ألّفها شاتو بريان فهي له ، أما الأمير شكيب أرسلان فهو مترجمها من الفرنسية إلى العربية .

أما عذراء الهند فهي «أول مسرحية تمثيلية لأحمد شوقي ، القاهرة ١٨٩٧» .

٩ ـ ص ٢٢٨ «وقد سجل (سليمان البستاني) في مطلع القرن الحالي (١٩٠٣) أول إشارة إلى تاريخ اللحن» وأحال على «مقدمة الياذة هوميروس. . .». وقد طبعت الإلياذة في القاهرة عام ١٩٠٤م . ولم يذيل البستاني مقدمته بتاريخ .

١٠ ـ ص ٢٣٣ «الرأي ذاته» : الرأي نفسه .

١١ ـ ص ٣٨١ : «ويعتبر الدعويان. . .»: وتعتبر ـ أو تعد ـ الدعويان. . .

١٢ ـ ترجم في آخر هذا الجزء ـ كما فعل في آخر الجزء الأول ـ لأعلام اللغويين . وحسناً فعل ، ولكنه لم يترجم ـ مثلاً ـ للشيخ سليمان ظاهر .

١٣ ـ في «ثبت المصادر والمراجع»: «ج ـ المقالات الرئيسية للباحثين اللبنانيين الأعلام». ←

أحمد بن عبد القادر الحفظي ينصح ويعزي

[موقفه بعد وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في إحدى وصاياه المخطوطة]

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين : محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فإن الباحث في تاريخ الفكر والأدب بجزيرة العرب عبر القرون الأخيرة الماضية يدرك حال ذلك الفكر ومنزلته ، ويحيط بمواطنه ومراكزه ، وما أصابه من ظواهر الضعف والفتور ، فلقد مر على مراكز الفكر ببلدان الجزيرة العربية المعهودة عندئذ حين من الدهر انصرف الناس خلاله إلى حياتهم الاجتماعية المحدودة ، وانحصر مد العلم ، وأخذ العلماء يقصرون نشاطهم العلمي على دائرتهم العلمية الضيقة ، وليس معنى هذا أن تلك البلدان قد خلت من العلماء ، وطلبة العلم ، وإنما كان هناك شيء من مظاهر التعليم ، وآثار الحركة الفكرية ، فلقد كان لحكمة الله تعالى في حفظ دينه أثر واضح غير خاف على الدارسين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1] .

→ أ ــ المناسب أن يسير ـ كما سار في غيرها ـ بحسب حروف الهجاء للكتاب» .

ب ــ ورد فيهم من لم يكن لبنانياً : إبراهيم مصطفى ، مصطفى جواد ، أحمد حسن الزيات . . .

١٤ ــ لخص في «الخاتمة» ما ورد له في الكتاب «منذ بداية القرن الحالي إلى العام ١٩٦٠م» وذلك حسن ، ويمكن أن يكون أحسن لو أطل بالخاتمة على ماوراء ١٩٦٠م فيما كان من أثر السابق في اللاحق ، لا سيما أنه سيقف من البحث اللغوي في لبنان عند عام ١٩٦٠م ولن يخصص جزءاً لما بعد هذا العام .

بغداد : د. علي جواد الطاهر

وإذا أدرك هذا الحال تبين أن من مراكز الفكر المعهودة بجزيرة العرب بلدة رجال ألمع بتهامة عسير ، وبخاصة في القرون الأخيرة الماضية ، إذ عرفت هذه البلدة بعلمائها البكريين الذين عمروا الحياة العلمية في بلادهم بشيء من أسباب التعليم ، والتأليف ، والنتاج الفكري . وكانت رجال ألمع منذ القرن الحادي عشر الهجري مهاجراً لطلبة العلم من شتى قبائل عسير ، وبعض بلدان تهامة ، وبخاصة في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجريين ، فالواقع أن هذا المركز الفكري قد شهد في هذه الأثناء شيئاً من أسباب الانتعاش الفكري والأدبي ، إذ كان علماؤه وأدباؤه على صلة فكرية بعلماء الحجاز ، واليمن ، وكانوا يدركون مظاهر الوهن الفكري الذي منيت به بلادهم في تلك الفترة حيث أخذوا يكاتبون أمراء الجزيرة العربية وعلماءها من أجل نصرة الدين ودفع البدع والمعتقدات الباطلة ، ولعل مما يعد من أسباب النهضة الحقيقية التي شهدها هذا المركز الفكري ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وانضواء بلدان تهامة ، وعسير تحت راية الدولة السعودية الأولى ، فلقد كان لاستجابة علماء آل الحفظي ، وإخوانهم آل بكري العجيليين أثر في إيقاظ الحركة الفكرية ، وإنعاش التعليم ، والحسبة ، والقضاء ، وحيث أصلحت تلك الدعوة السلفية الواقع الفكري الذي ران عليه شيء من الغلو المذهبي ، والتكلف الثقافي .

ومن الواضح أن الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي ، يعد من أبرز علماء رجال ألمع ، بتهامة عسير ، إذ هو من العلماء المشهورين الذين عرفوا بنتاجهم العلمي ، واتصالهم الفكري بعلماء الجزيرة العربية ، فقد كان كثيراً ما يكاتبهم ، ويعتاد مناقشتهم ، ولعل مقامه في بلدته (رُجال) قد أكسبه شهرة واسعة ، وذكراً حَسَناً محموداً ، حيث سار في الناس بالعدل ، وانتصب للتعليم ، والحسبة ، والقضاء . وكان موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واضحاً جليًّا ، إذ أيد القائمين عليها ، واستجاب لهم ، وأخذ في مكاتبة مشايخه ، وعلماء زمانه من أجل تأييد هذا الاتجاه وقبوله ، فالواقع أن جهوده في هذا الميدان غير خافية على الدارسين وطلبة العلم ، وما ذالك الإقبال على : التأليف ، والنتاج الأدبي في

ميدان الدعوة ، وفي ظلال الدولة السعودية الأولى سوى مظهر من مظاهر القبول ، والنصرة ، فلقد اصطبغت مؤلفاته وأدبه بشيء من آثار هذه الدعوة السلفية ، وأخذ يتخلص مما كان قد علق بواقعه العلمي من آثار الغلو المذهبي ، والتكلف الفكري .

ومما يدل على هذا الحال هذه الوصية التي عبّر فيها عن موقفه تجاه هذا الحادث الجلل الذي أودى بحياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٢] (١١٣٢ - ١٢١٨هـ) ، فلقد حاول أن يبسط في مضمونها أحاسيسه ، ومشاعره تجاه ولاة الأمر والقائمين عليه في نجد ، فالحق أن هذه الوصية تعد من آثار الحفظي الأدبية المهمة ، وذالك لأنها مثّلت مكانته الأسلوبية ، ومقدرته الفنية ، وسعة ثقافته الدينية ، ومدى وضوح الروح السلفية عنده ، فالواقع أن هذا الأثر الأدبي قد اتسم بروح فكرية جادة ، وأنه كان صورة حقيقية صادقة لموقفه الجاد من أمراء الدعوة ودعاتها في نجد ، إذ عكس تجربته الذاتية ، وعبّر عن عاطفته ، وروحه الثقافية من خلال استلهامه لتراث هذه الأمة ، وماجرى لرجالها في تاريخهم الإسلامي المجيد ، وهذا ما يمكن عدّه من آثار اليقظة السلفية الناهضة في جزيرة العرب عبر هذه الفترة المهمة من تاريخ الأمة الإسلامية .

وإزاء ما تقدم كله وجدت السبيل مناسباً لتحقيق هذا الأثر الأدبي وتقويمه ، فالحق أن معظم تراث هذه الجزيرة العربية بعامة لا يزال مبعثراً مفقوداً ، وذالك لصدوف الباحثين عنه ، وابتعادهم عن دراسته ، ولعل لصعوبة الإحاطة به ، ولعدم معرفة مظانه أثراً في إغفال دراسته وتحقيقه ، وإن من دواعي تشجيع الباحثين وتوجيههم لخدمة تراث هذه الجزيرة العربية أن تسعى الجامعات ، ومراكز التحقيق في جمع هذا التراث ، وخدمته ، وتيسير السبل العلمية لتحقيقه ونشره ، فقد بات من المستحسن العناية به ، والعمل على جمعه ، وإني أشكر الله تعالى على فضله ومعونته ، وأرجوه سبحانه التوفيق ، والسداد ، وأشكر للقائمين على قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود عونهم ، وتيسير سبل الاطلاع على هذا الأثر الأدبي وتصويره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

احمد بن عبدالقادر الحفظي : ١١٤٠ ـ ١٢٢٨هـ (١٧٢٧ ـ ١٨١٣م) :

نسبـه ، ومولده :

هو : أحمد الحفظي[٣] بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم[٤] يعود نسبه في : أحمد بن موسى بن علي بن عمر عجيل[٥] بن محمد ابن حامد بن زرنوق بن الوليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن معزب بن عبيد بن محمد بن الفارس بن زيد بن ذؤال بن شنوءة[٦]، من بني عجيل ببيت الفقيه[٧] بتهامة اليمن ، وهم : من بيوت العلم والسيادة[٨]، وإذا تبين ذالك عُلِمَ بأن فرعاً من هذه الأسرة نزح إلى بلاد رجال ألمع[٩] بتهامة عسير في أواخر القرن العاشر الهجري ، إذ قيل في رسالة : « نسب الفقهاء آل عجيل » : إن الشيخ موسى بن جغثم : (أخرجه الترك من أرض اليمن عام الألف . . . واستوطن رُجال[١٠]، وبنى بها المسجد المشهور سنة واحدة بعد الألف)[١١]، وقد اشتهرت أسرة هذا العالم من بعد في تهامة عسير ، واتسعت فروعها . وكان من أشهر علمائها : بكري بن محمد العجيلي[١٢] الذي كان : (من العلماء العاملين ، ومن الأولياء الزاهدين ، وذريته الآن فيهم كثرة بقرية رُجَال ، وهم علماء تلك البقاع ، وعلى فتاويهم ، وأحكامهم المعول بلا نزاع)[١٣]، وقد تفاوتت المصادر الموجودة الآن بين أيدينا في تحديد ولادة هذا العالم ، إذ ذهب حفيده محمد بن إبراهيم الحفظي إلى أن ولادة جده كانت في ١٥ ربيع الثاني ١١٤٥هـ[١٤]، على حين أجمعت معظم المصادر الأخرى على تحديـد سنة ولادتـه بعام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م[١٥]، ولعل الرأي الأخير أقرب الرأيين إلى الصواب ، وذالك لأن الحفظي في عام ١١٦٦هـ اجتمع بعلماء العالم الإسلامي في مكة المكرمة[١٦]، فلعله حينئذ قد عاد من هجرته العلمية خارج بلدته ، وبخاصة إذا علم أنه لبث في تلك الرحلة العلمية نحو ثماني سنوات .

تعليمه الأولي ، وهجرته في سبيل العلم :

تلقى الحفظي تعليمه الأولي على يد نفر من علماء بلده ، إذ قيل إنه : (تلقى

علومه الأولية على يد والده وأعمامه)[١٧]، فلقد : (أخذ العلم عن والده عبدالقادر بن بكري[١٨]، وعن عمه عبدالهادي)[١٩] بن بكري[٢٠]، وعن عمه محمد بن بكري[٢١]، وأحمد بن عبدالقادر بن عبدالرحمن[٢٢]، ولما أحاط بتلك العلوم الأولية ، وتهيأت له أسباب الرحلة العلمية ، سلك نهج أسلافه نحو الخروج في سبيل العلم خارج بلدته ، إذ أنه : (لما بلغ الرابعة عشرة من عمره أرسله أبوه إلى صبيا[٢٣]، وأخذ عن الشيخ محسن بن علي حلبي[٢٤] في الفقه ، واللغة ، ثم يَمَّمَ شطر اليمن إلى زبيد[٢٥]، حيث أخذ العلم عن عدة مشايخ ، منهم : السيد سليمان بن يحيى عمر مقبول الأهدل[٢٦]، والسيد عبدالقادر أحمد الكوكباني[٢٧]، وعبدالخالق بن علي المزجاجي[٢٨]، وقد أمضى هنالك ثماني سنوات)[٢٩].

عودته من الهجرة ، ومقامه في وطنه :

عاد الحفظي إلى بلدته رُجال بتهامة عسير في نحو ١١٦٢هـ-١٧٤٨م[٣٠]، حيث استقر هنالك : (يدرِّس ، ويفتي في مسجد بلدة رجال ألمع)[٣١]، إذ قصده : (الطلبة من السهول والجبال)[٣٢]، وقد تولّى القضاء في بلاده قبيل انضمامها للدولة السعودية الأولى وبعده[٣٣]، مما يشير إلى جهود هذا العالم ، ومكانته ، وكان عبر مقامه في وطنه كثير الاتصال بعلماء عصره في الحجاز ، واليمن[٣٤] وغيرهما ، كما أنه كثير الاشتغال بالتأليف ، والتدوين ونحوهما ، وكان يشغل نفسه بالطاعات ، وما يقرب من الله تعالى[٣٥]، فلقد صرف (همته لنشر تعاليم الدين الحنيف ، واقتفاء آثار السلف الصالح في الدعوة إلى الله ، والحث على عبادة الله تعالى وحده ، ونفض غبار الجهل ، ونبذ المعتقدات الفاسدة في عموم منطقة عسير)[٣٦].

صفاتــــه :

وصف بأنه: (عالم الحجاز والمبرّز في جميع العلوم حقيقة لا مجاز)[٣٧]، وأنه (كان من أئمة العلم والعمل)[٣٨]، وبأن (حاله في . . . العبادة حال السلف

الصالح)[٣٩] وهو مع ذالك : (أديب مشارك في بعض العلوم)[٤٠]، وكان كثير العطف والإحسان إلى الفقراء والمساكين حتى أنه لم يخل بيته من كفالة اليتيم[٤١]، مما يدل على إسهامه في ميدان الخير بالأعمال الصالحة المفيدة .

مؤلفاتـــه :

أسهم الحفظي في تأليف عدد من المؤلفات المفيدة النافعة ، حيث اشتغل بهذا الجانب عبر حياته المديدة ، على الرغم من أن بعض تلك المؤلفات لم تخل من آثار الوهن الفكري لأنها في جملتها ألفت قبل ظهور الدعوة السلفية ، مما أوجد شيئاً من ملامح الاختلاف المذهبي ، ولعلّ من أشهرها : (الأزهار الفائحة في أسرار الفاتحة ، والرجالية شرح الأربعين الرجالية ، وضياء الشمعة في شرح خصوصيات الجمعة ، والنسيم الجدي والريحان الهندي من شمّه صار قلبه حياً ، ولعقات الشفاء في سيد الشرفاء ، والنبي المصطفى والسفينة الساعية في مسألة الفقهاء السباعية ، وحل العوقة عن أهالي دوقة ، وشرح عقد جواهر اللّئَالِـي في فضائل الآل)[٤٢]، وفي ميدان الشعر والنثر ألّف النفحة القدسية ، والتحفة الأنسية ، والقصيدة الحفظية في الدعوة المرجية (؟)، والمبسوطات ، والجوائز في إجازات الجوائز[٤٣]، وله غير ذالك من المنظومات الشعرية ، والرسائل النثرية .

موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

يعد الحفظي إبان ظهور الدعوة الإصلاحية في جنوبي الجزيرة العربية من أبرز العلماء العاملين ، إذ كان ممن اشتهر ذكره ، وعلا صيته ، إذ أنه ـ كما قال حفيده محمد بن إبراهيم الحفظي ـ : (لما بلغته دعوة التجديد التي انبثق نورها من نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤٤] بمؤازرة الأئمة آل سعود لباها ، واتصل بها ، وعمل على نشر أفكارها في منطقته بالحكمة والموعظة الحسنة حتى توطدت في عموم منطقته)[٤٥]، وكان إذ ذاك قد بلغ الستين من عمره ، إذا افترض أن ظهور هذه الدعوة في بلاده قد كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري[٤٦]، ولما كانت الحياة الدينية في تهامة عسير غير ظاهرة ، فقد أخذ الحفظي يبحث عن وجهة سياسية يبسط في ظلالها أحكام الشريعة ، ولما لم يجد قبيل ظهور هذا الاتجاه

السلفي النصير السياسي أخذ يلتفت إلى بلاد اليمن ، إذ قيل إنه بعث إلى إمامها[٤٧] بقصيدة ورسالة يمتدح فيهما الإمام وآله ، ويعرض له حال بلاده ، مما دعا هذا الإمام إلى الثناء على الحفظي ، ومكافأته بجائزة سنية[٤٩]، ولكن الأمر لم يدم إذ بدأت بشائر الدعوة تصل إلى بلاد هذا العالم ، مما دعاه إلى قبولها والانصراف عما سواها ، إذ تحقق له من قرب واقعها ووضوح منهجها ، فلقد قال المؤرخ اليمني لطف الله جحاف[٥٠]: (ولات حين تمام فقد باشره أمر عبدالعزيز النجدي)[٥١]، وعندئذ أخذ الحفظي يدعو مشايخه ، وعلماء عصره في اليمن ، وتهامة لقبول هذه الدعوة ، إذ قيل بأنه هو وولده محمد بن أحمد الحفظي[٥٢] كانا من أبرز علماء هذه المنطقة نصرة لهذا الاتجاه السلفي ، حيث قال المؤرخ عبدالرحمن البهكلي[٥٣]: إنهما ناصرا هذه الدعوة : (بأشعار الحماسة ، والأقوال في الرسائل إلى أهل الرئاسة)[٥٤] مما يشير إلى موقف هذا العالم من هذه الدعوة الإصلاحية ، ويدل على واقع عسير حينذاك ، ولعل ما تضمنته آثار الحفظي من مواقف جادة تشير أيضاً إلى جهوده إزاء هذا الاتجاه السلفي ، والقائمين عليه .

شعـره ونثـره :

كان الحفظي من الأدباء المعدودين في بلده ، إذ نظم القصائد ، وأنشأ الرسائل ، والخطب ، والوصايا ، وكان على قدر كبير من الثقافة الأدبية ، وصفه عاكش[٥٥] بأنه : (إمام المنظوم والمنثور ، والمجيد الذي يقصر عنه أدباء العصر لأنه في جودة شعره يلحق بالمتقدمين من أهل الطبقة العالية مَنْ يرتجل القصائد المطولات ، ويحليها بأنواع البديع)[٥٦]، ومن شعره قوله في رثاء أبيه :

يـاعـين جـودي بـدمـع قـطره ديم ... يجـري عـلى الخـد منثـور ومنتـظم
وابكي على الفضل طول الدهر وانتحبي ... حتى يرى الدمع يجري في الخدود دم[٥٧]

وقوله في إحدى منظوماته الشعرية :

فتح نظمي ومقـالي ... حمـد رب العـالمينـا
وصـلاة الله تـالي ... تبلغ الهـادي الأمينـا

وعلى صحب وآل ... وجميع التابعينا
مابدا نور الوصال ... في قلوب الساجدينا
فاز من قام الليالي ... بصلاة الخاشعينا[٥٨]

ومن نثره ، قوله في إحدى رسائله إلى ولده محمد بن أحمد الحفظي : (الحمد لله من أحمد بن عبدالقادر إلى الولد العلامة محمد بن أحمد أسعده الله بالعافية في دينه ودنياه ، وعصمه بتقواه ، وأمده برضاه ، وتولّاه في أموره وكفاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى الشريف الصالح ، والرفقة ، واحداً واحداً . . . والوصية بتقوى الله ، ودوام مراقبته ، وبذل النصيحة للأمير والمأمور ، وإظهار الدين الذي عليه خير القرون ومجانبة المحدثات ، والدين كله مصالح . . .)[٥٩].

ولم يقتصر نتاج الحفظي الأدبي على الشعر ، والرسائل ، وإنما له إسهام في الخطابة والوصايا ، والأجوبة الدينية ، إلى جانب كتاباته الأدبية في ميدان التأليف ، وبخاصة في ميدان التاريخ ، والآثار الفكرية الأخرى ، إذ اتصف ذالك النتاج بعامة بالملامح التقليدية ذات المسحة المتكلفة ، والصبغة التعبيرية المعهودة عند معاصريه ، ومن سبقهم من الأدباء ، ولعل آثاره الشعرية تفوق آثاره الأدبية الأخرى لما للشعر منْ أهمية في توجيه الناس ، والتعبير عن آلام النفس وأحاسيسها ، فلقد مرّ الحفظي عبر عمره المديد بظروف متفاوتة أدت في الغالب إلى وفرة ذالك النتاج الشعري ، وكثرته ، فلقد حوت المجاميع الأدبية[٦٠] التي تعرضت للأدب في تهامة إلى ذكر شيء من ذالك .

وفاتـــه :

اختلفت المصادر الموجودة بين أيدينا الآن في تحديد تاريخ وفاة هذا العالم ، إذ قيل إنه توفي في وطنه في جمادى الثانية سنة ١٢٣٣هـ[٦١]، وقيل في سنة ١٢٢٨هـ تقريباً[٦٢]، دون تحديد ذالك بزمن معلوم ، مما يدعو إلى الترجيح والاستنتاج ، فإذا أُدرك أن تاريخ ولادة هذا العالم كان في سنة ١١٤٠هـ ، وأن عاكشاً ذكر أن الحفظي توفي وقد زاحم التسعين من سني عمره ، فإن التاريخ المقبول الذي يمكن

أن يعد تاريخاً لوفاته هو عام ١٢٢٨هـ ـ ١٨١٣م ، إذ يكون الحفظي حينئذ قد بلغ من العمر ثمانية وثمانين عاماً .

قيمة هذه النصيحة ووصف نسختها المخطوطة :

أولاً : قيمتها :

تأتي قيمة هذه النصيحة ظاهرة في المعاني القيمة التي اشتمل عليها مضمونها ، وما صدر عنه صاحبها من قدرة أسلوبه معتدلة ، أما معانيها فقد تجلت في استلهام الحفظي لتاريخ الأمة المجيد ، حيث بدأ بذكر مصاب الأمة في رسولها ﷺ ، فكأنه أراد تخفيف أثر المصاب على سامعيه ، وقارئي نصيحته ، فلاشك أن هذه البداية الحزينة ستخفف بواعث الألم ، ووقع المصيبة ، ولم يكتف الحفظي بهذا الموقف ، وإنما أشار إلى وقائع مؤثرة ، فذكر وفيات الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في تعاقب مؤثر ، ولم يبعد الحفظي في قوله حيث ابتدر القول عن مضمون وصيته مذكّراً بفداحة الأمر ، ومايجب على مواطنيه من الصبر ، والولاء ، حيث ربط أحداث زمانه بما جرى في الصدر الأول من أحداث الأمة ، وماتم في ميدانها من نتائج راشدة ، ولقد زاد في عرض أقواله وآرائه أنه ذكر جهاد الخلفاء الراشدين من بعد وفاة رسول الله ﷺ بما يذكي مشاعر السامعين نحو ماضيهم وحاضرهم ، وبخاصة وهم يشهدون وعياً حقيقياً سلفياً صادقاً ، ولما اطمأن الحفظي لتأثير قوله ، وما اتخذه من أسباب الاقناع واثبات الحجة ، انصرف لمناصحتهم في رؤية دينية جادة لتقبل المصاب بوفاة إمامهم ، حتى إذا أوشك أن ينهي نصيحته ، ويختمها أخذ يدعو بدعوات مأثورة تناسب المقام ، وتخفف الآلام ، مما يؤكد سعة ثقافة هذا العالم ويشير إلى قيمة معانيه وأفكاره ، فالحق أن هذه الثقافة الدينية قد تحققت في وفرة الشواهد ، ووضوحها . وذالك ما يفترض عند معالجة مثل هذه القضايا المهمة التي تمس مشاعر الأهلين ، وأحاسيسهم .

ولم تكن قيمة أسلوب التعبير في هذه الوصية بأقل من قيمتها المعنوية ، إذ

اتضح في تكوينها الأسلوبي أنها حافظت على النهج المعهود في كتابة الوصايا ، وأنها اتصفت بوضوح دلالتها اللغوية حين كان الكاتب يستخدم ألفاظاً مناسبة لنقل معانيه ، حيث اعتاد التعبير عن أفكاره بلغة يسيرة مقبولة ، ولعل الروح الثقافية التي أدركناها في معانيه ، قد كانت أكثر وضوحاً في تكوين ألفاظه وأساليبه ، إذ كانت جميعها تنم عن ثقافة واسعة لدى الكاتب ، ولعل وفرة استشهاده بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية قد أضفى على أسلوبه شيئاً من القيمة الفنية ، ومع ذالك لم تسلم هذه النصيحة من آثار المسحة التقليدية المعهودة في كتابة هذا اللون الأدبي ، لولا أن حسن استخدام هذه الأمثلة الوافرة قد زاد في القيمة الأدبية لهذا الأثر الأدبي النفيس .

ثانيا : وصف نسختها المخطوطة :

تم تحقيق هذا الأثر الأدبي على نسخة خطية واحدة ، وهي النسخة الموجودة في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم ٨١٤م ، ١٣٨٩ (أ) الجامعة ، ضمن مجموع خطي لعدد من علماء الدعوة الإصلاحية ، إذ كتبت هذه النصيحة في أواخر هذا المخطوط ، دون تقدمةٍ أو خاتمة أو تعليق ، وإنما تم إيرادها دون شيء من ذالك . وقد حوت من صفحات المخطوط خمس صفحات ، تبدأ من صفحة ٢٠٥ إلى صفحة ٢٠٩ ، وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد ، وتقع صفحتها الأولى ، والثالثة والرابعة في عشرين سطراً ، على حين تقع الصفحة الثانية في ثلاثة وعشرين سطراً ، والصفحة الخامسة في تسعة عشر سطراً ، وفي كل سطر من سطور هذه المخطوطة نحو عشر كلمات قد تزيد ، وقد تنقص ، ومما يلاحظه في رسم هذا الأثر الأدبي أن ناسخه قد ابتدأه بلفظ : «بسم الله الرحمن الرحيم» في منتصف السطر في صدر الصفحة ، وأنه قد رسم أوائل حروف الكلمات تحت نهاية كل سطر في آخر الصفحة من أجل التنبيه على تسلسل الصفحات في المجموع المخطوط ، وهذه طريقة معهودة معروفة ، ولم يؤرخ الناسخ تحريره لهذه النصيحة ، وإنما وجد في الأثر المخطوط الذي قبلها تاريخ هو (١٣ محرم ١٣٣٥هـ)[٦٣] ووجد أيضاً تاريخ آخر في الأثر اللاحق بها هو : (٢٣

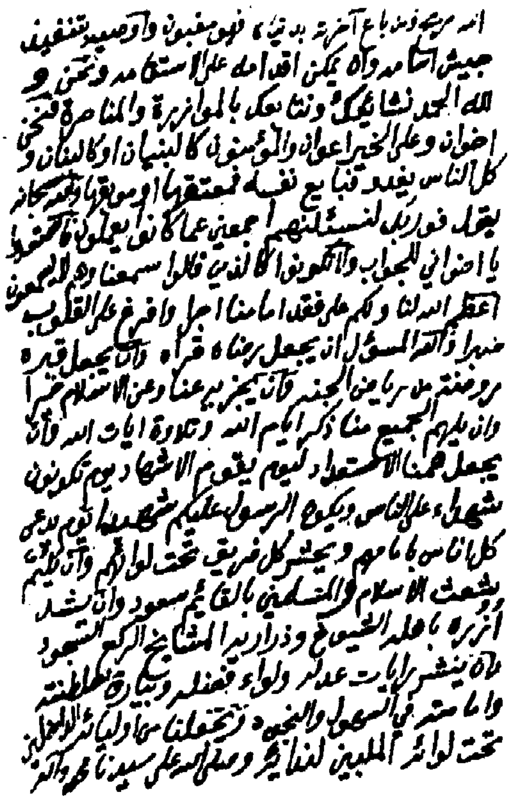
ذي [القعدة ، أو الحجة](٦٤) ١٣٤٠هـ) فلعله أرخ تحريره لهذا الأثر المخطوط بالتاريخ الأخير ، أو أنها كتبت في هذه الأثناء ، ويلاحظ في رسم الناسخ أنه كان لا يفرق أحياناً بين المقصور والممدود ، ولا بين واو الجمع وواو الجماعة ، وكان يسهل الهمز ، ولا يفرق بين الهمزة والياء ، إذ جرى على كتابتهما معاً على أنهما حرف واحد ، وربما وقع في بعض الأخطاء اللغوية والأسلوبية . وكان يخلط بين دلالات الخطابة والوصايا ، مما يشير إلى أن هذه النسخة قد مرت بمراحل متفاوتة في تدوينها حتى وصلت إلينا بهذه الصورة .

ظروف النص ، ومناسبته :

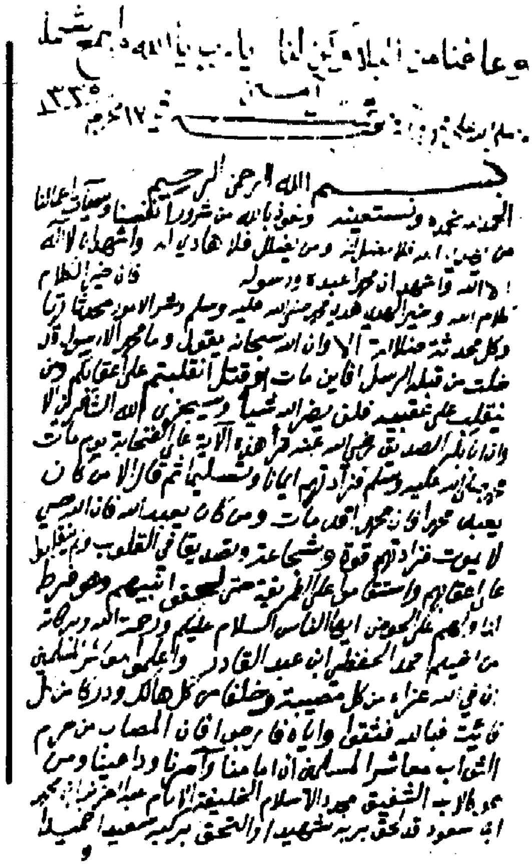
يدرك الناظر في تراث علماء رجال ألمع بتهامة عسير عبر هذه الحقبة التي عاشوها في ظلال الدولة السعودية الأولى مدى وضوح الولاء السياسي والفكري الذي حمله هؤلاء العلماء ، فلقد تحقق في جهادهم الفكري والنفسي ، وفي آثارهم الأدبية التي ضمنوها ولاءهم وغبطتهم تجاه أولئك الأئمة السعوديين ومن شايعهم من أمراء عسير ، وما هذا الأثر الأدبي سوى تعبير عن حزنهم ووجدهم لذالك المصاب الذي أودى بحياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، فلقد أنشأه الحفظي إثر بلوغه خبر وفاة الإمام ، ولقد أشبهه في ذالك الشيخ محمد بن هادي ابن بكري العجيلي الذي أنشأ أيضاً خطبة في جموع الجيش العسيري المتجه لمكة المكرمة من أجل بسط الولاء السعودي هنالك . وكان الجيش يومذاك في بلدة محايل بتهامة عسير ، حيث نهض العجيلي وارتجل خطبته إثر بلوغه خبر وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في يوم السبت ٢٢ شعبان ١٢١٨هـ ، مما يشير إلى اهتمام أولئك العلماء البكريين بهذه المواقف ، وما يمس ولاة أمورهم ، وهذا دليل واضح على ترابط العلماء في مجتمعاتهم مع ولاة أمورهم والقائمين على مصالحهم(٦٦) .

وإذا أدرك أن هذه الوصية قد أنشئت بدافع ذاتي من أجل وفاة هذا الإمام ، وأن ظروفها تشير إلى أهمية هذا الحدث الجلل عند الأهلين ، فإن المصادر تؤكد أن الغدر والحقد كانا سبباً في مقتل هذا الإمام ، إذ سعى المغرضون الآثمون في تدبير

هذة المكيدة ، والتخطيط لها بصورة منكرة عابثة ، مما يشير إلى بشاعتها ، وفداحة أمرها ، ولعل دوافعها تكمن في الغلو المذهبي الذي يصدر عنه أولئك الغالون المتطرفون ، وهو ما منيت به هذه الأمة عبر تاريخها الطويل ، ويتبين مقتل هذه الإمام فيما ذكره ابن بشر(٦٧) في معرض حديثه عن حوادث سنة ١٢١٨هـ ، إذ قال : (وفي هذه السنة في العشر الأواخر من رجب قتل الإمام عبدالعـزيز بن محمد ابن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية ، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر ، مضى عليه رجل قيل إنه كردي من أهل العمادية بلد الأكراد المعروفة عند الموصل اسمه عثمان ، أقبل من وطنه لهذا القصد محتسباً حتى وصل الدرعية في صورة درويش ، وادعى أنه مهاجر ، وأظهر التنسك بالطاعة ، وتعلّم شيئاً من القرآن ، فأكرمه عبدالعزيز ، وأعطاه وكساه ، وطلب من يعلمه أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ، مما كانوا يعلمونه الغريب المهاجر إليهم ، وكان قصده غير ذالك ، فوثب عليه من الصف الثالث والناس في السجود ، فطعنه في أبهره رحمه الله ، أو في خاصرته أسفل البطن بخنجر معه كان قد أخفاه وأعده لذالك ، وهو قد تأهب للموت ، فاضطرب أهل المسجد ، وماج بعضهم في بعض ، ولم يكن يدرون ما الأمر ، فمنهم المنهزم ، ومنهم الواقف ، ومنهم الكار إلى جهة هذا العدوّ العادي . وكان لما طعن عبدالعزيز أهوى إلى أخيه عبدالله وهو في جانبه وبرك عليه ليطعنه ، فنهض عليه وتصارعا ، وجرح عبدالله(٦٨) جرحاً شديداً ، ثم إن عبدالله صرعه وضربه بالسيف وتكاثر عليه الناس فقتلوه . وقد تبين لهم وجه الأمر ، ثم حمل الإمام إلى قصره ، وهو قد غاب ذهنه ، وقرب نزعه ، لأن الطعنة قد هوت إلى جوفه فلم يلبث أن توفي بعدما صعدوا به القصر رحمه الله تعالى وعفا عنه . . .)(٦٩)، ومن هنا نجد علماء بلدان الجزيرة العربية ينكرون هذا الأمر ، ويحزنون له ، ويعبرون عن موقفهم تجاه بما ألهمهم الله تعالى من قول ، حيث ظهرت خطبهم ووصاياهم للناس بعامة معبرة عن وجهات نظرهم ، وذالك في عرض تاريخي أدبي مؤثر ، وكل هذا العمل يدل على ترابط تلك البلدان في ظلال تلك الدولة السلفية الراشدة .



(الصفحة الأخيرة)



(الصفحة الأولى)

النــــص :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات[٧٠] أعمالنا، من يهد[٧١] الله ، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [أما بعد][٧٢] : فإن خير الكلام كلام الله[٧٣]، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة ضلالة[٧٤]، ألا وأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم على أَعْقابِكُمْ ، وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيهِ فلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً[٧٤] وَسَيَجزي الله الشَّاكِرِينَ ﴾[٧٥]، ألا وإن أبا بكر الصديق[٧٦]، رضي الله عنه قرأ هذه الآية على الصحابة يوم مات محمد ﷺ[٧٧]، فزادتهم إيماناً

وتسليماً ، ثم قال : ألا من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حيٌ لا يموت[٧٨]، فزادتهم قوة ، وشجاعة ، وتصديقاً في القلوب ، ولم ينقلبوا على أعقابهم ، واستقاموا على الطريقة حتى لحقوا نبيهم ، وهو فرط[٧٩] لنا ولهم على الحوض[٨٠].

أيها الناس ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من أخيكم أحمد الحفظي[٨١] ابن[٨٢] عبدالقادر، واعلموا معاشر المسلمين أن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجو[٨٣]، فإن المصاب من حرم الثواب ، معاشر المسلمين إن إمامنا ، وآمرنا ، وداعينا ، ومن هو كالأب الشفيق ، مجدد الإسلام الخليفة الإمام عبدالعزيز بن[٨٤] محمد بن سعود ، قد لحق بربه شهيداً ، والتحق بركبه سعيداً حميداً ، وعرجت روحه إلى الـمـلإ الأعلى ، وناداه الرب الأعلى : ﴿ يَاأَيُّتهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[٨٥]، وقال بلسان حاله : ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين ﴾[٨٦]، فله البشرى كل البشرى بالشهادة الكبرى في الصلاة الوسطى[٨٧] يصلي ، ويعبد ، ويقوم ، ويقعد ويركع ، ويسجد ، ومات على هذه الحالة[٨٨]، فانظروا أيها الناس إلى هذه الخواتم والشواهد ، فلقد كان في حياته على سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت وفاته كوفاتهم على اليقين .

فإن عمر بن الخطاب[٨٩] طعن ، وهو في المحراب[٩٠]، وعثمان بن عفان[٩١] ذبح في بيته[٩٢] صائماً ، ومصحفه بين يديه ، وعلي بن[٩٣] أبي طالب[٩٤] خرج من بيته لصلاة الصبح طاهراً مطهراً ، وقتل قبل أن يدخل المسجد[٩٥]. وهذا الإمام[٩٦] كما سمعتم[٩٧] قائماً يصلي ، ووجهة قبلتنا يولي[٩٨]، بعد أن أصلح الفساد ، ودعا[٩٩] إلى التوحيد العباد ، وجمع شمل الأمة على لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فهو وإن مات فأثره ملء[١٠٠] الأرض ، والسموات ، والحسنات تجري عليه في قبره ، والكتاب والسُّنَّة تبكي عليه في بره ، وبحره . ومن خلَّف سعوداً[١٠١] فما مات سيف الإسلام ، حصن المسلمين ، وولي عهد

أبيه ، القائم بالدعوة بالسيف في إقامة الإسلام .

أيها الناس إنه لا يسع إلا التسليم ، وإن عظم المصاب ، وعمّ وطمّ[١٠٢]، ﴿ إنّا[١٠٣] لله ، وإنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١٠٤] فاعتصموا بحبل الله ، وجاهدوا في سبيل الله ، و﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَو عَلَى أَنْفُسِكُم أو الوالدين وَالأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فقيراً فالله أَوْلَى بهما ﴾[١٠٥]، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، وجددوا التوحيد وقوموا في هدم الشرك ، وقواعده ، وسنن الجاهلية ، كما قام عليه الإمام ، وكونوا من التابعين للصحابة ، فإنهم قاموا ، واستقاموا بعد موت رسول الله ﷺ ، وما وهنوا ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، ولم يردهم[١٠٦] عن الجهاد جموع المشركين ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قال لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قد جَمَعُوا لكُم فَاخْشَوْهُمْ ، فزَادَهُمْ إيْمَاناً ، وقَالُوا حَسْبُنَا الله ، ونِعْمَ الوَكِيلُ ، فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وفَضْلٍ لَّـمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبعُوا رِضْـوَانَ الله . . . ﴾[١٠٧].

هذا أبوبكر الصديق قاتل أهل الردة في خلافته[١٠٨]، وعمر بن الخطاب فتح الشام ، ومصر ، وهزم قيصر ، وكسرى[١٠٩]، ووصلت جنوده سمرقند[١١٠]، وبخارى[١١١]. ولم يمت إلاّ والأذان في أطراف القسطنطينية[١١٢]: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا الله عَلَيْه ، فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[١١٣]، فالله الله معاشر المسلمين ، اصدقوا بالعهود ، واستقيموا على الحدود ، وأعلنوا بالتوحيد الخالص ، وقاتلوا عليه كل ناكص[١١٤]، و﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة . . . ﴾[١١٥] واعلموا معاشر المسلمين أن إمامكم قد استخلف عليكم سعوداً . وقد أحسن إليكم الوالد[١١٦] والمولود[١١٧]، وأخذوا بمحجزكم[١١٨] عن النار ، وهذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق ، وهذا إمامكم يجول ، ويصول على أهل الشق والعق ، ويقيم الحجة بالدليل القاطع ، ويهز سيفه على كل مانع ، فمن أجاب داعي الله ، واستقام على عهد الله فليس له جزاء إلا الجنّة ، ومن راغ كما يروغ الثعلب : ﴿ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ في الأَرض ولَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ ﴾[١١٩] ولي ولا نصير ، ولله الحمد ، والمنة .

أيها الناس اذكروا العهد الذي أخذه عليكم ، ثم استقيموا عليه فوالله لتعلمن نبأه بعد حين ، ومن تخلّف عن الخليفة أو قعد عن القيام بالوظيفة[120] خسرت صفقته : ﴿ إنَّ[121] الله اشْتَرَى مِنَ المؤمِنينَ أنفُسَهُم وأمْوالَهُم بأنَّ لَهُم الجنَّة ﴾[122]، فلا تطلبوا الإقالة ، ولا تفسخوا البيع ، فقد ربحتم : ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبيعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُم بِهِ ﴾[123]، ﴿ فَمَن[124] نَكَثَ فَإنَّما يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه الله فَسَيُؤْتِيه أجْراً[125] عَظِيماً ﴾[126]، فالله الله معاشر المسلمين لا يتخبّطنكم الشيطان ، ولا يستخفّنكم من ليس له إيقان فليس في الإمكان أبدع مما كان ، فكونوا من التوحيد في مزيد ، ومن متابعة المشروع على تجديد ، وأعلنوا بالأذان والإقامة ، والجمعة ، والجماعة ، وعلّموا وتعلّموا ، واضربوا على الصلوات ، واحبسوا على الخطيئات[127]، واجتمعوا ولا تفرقوا ، « فإن[128] يد الله على الجماعة »[129]، والذئب لا يأكل إلا القاصية من الغنم[130].

وبهذا أوصي نفسي ، وإخواني ، والوصية للقائم أيده الله[131] بتقوى الله ، وأن يجعل جنوده : العواصم ، والقواصم من سنة أبي القاسم ، ويجعل دعوته القرآن بلفظه ومعانيه . ومن اختاره الله ، فالله يكفيه فيما يوليه ، والوصية للأمير عبدالوهاب[132] أن يلزم التقوى في السرّ ، والنجوىٰ ، وأن يأخذ بغرز[133] إمامه الذي استرعاه ، فإنه سوف يلقاه ، ويحتج به بين يدي مولاه : ﴿ وإنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَألْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[134]، ومن باع نفسه من الله ربح ، ومن باع آخرته بدنياه فهو مغبون ، وأوصيه بتنفيذ جيش أسامة[135] ، وأن يمكن أقدامه على الاستقامة .

ونحن ولله الحمد نشايعك ، ونتابعك بالمؤازرة ، والمناصرة فنحن إخوان وعلى الخير أعوان ، والمؤمنون كالبنيان أو كالبنان ، وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها[136]، والله سبحانه يقول : ﴿ فَوَربِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[137]، فاستعدوا يا إخواني للجواب : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾[138].

أعظم الله لنا ولكم على فقد إمامنا أجراً ، وأفرغ على القلوب صبراً ، والله المسؤول أن يجعل رضاه قراه ، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنّة ، وأن يجزيه عنا ، وعن الإسلام خيراً ، وأن يلهم الجميع منا ذكر أيام الله ، وتلاوة آيات الله ، وأن يجعل همّنا الاستعداد ليوم يقوم الأشهاد ، يوم تكونون : ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(١٣٩)، ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا(١٤٠) كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم ﴾(١٤١) ويحشر كل فريق تحت لوائهم ، وأن يلمّ شعث الإسلام ، والمسلمين بالقائم سعود ، وأن يشد أزره بأهله الشيوخ ، وذراريه المشايخ الركّع السجود ، وأن ينشر رايات عدله ، ولواء فضله ، ويبارق سلطنته ، وإمامته في السهول ، والنجود ، ويجعلنا من أوليائه الداخلين تحت لوائه الملبين لندائه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله(١٤٢).

تحقيق د. عبدالله بن محمد ابو داهش
استاذ الادب المشارك في كلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية في الجنوب - ابها

هوامش : الدراسة ، والتحقيق ، وتعليقاتها:

(١) آية ٩ سورة الحجر.

(٢) قال الزركلي: (إمام من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى. كانت عاصمته الدرعية بنجد، ولي بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩هـ، واتسع نطاق الدولة في أيامه، فسحق خصمه ابن دواس سنة ١١٨٧هـ، وافتتح القصيم، وبعث السرايا إلى الجوف شمالي النفود فاستولى على وادي السرحان، ووصلت غزواته إلى عسير غرباً وعمان جنوباً، وامتد ملكه من شواطيء الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعُمان، ومن الخليج [العربي] إلى أطراف الحجاز وعسير وكان مغواراً شديد البأس «الأعلام» ٢٧/٤.

(٣) لقب عرف به هذا العالم إبان طلبه للعلم في تهامة اليمن، قال محمد بن إبراهيم الحفظي: لقب بالحفظي لقوة حافظته «نفحات من عسير» ٢٣.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ٤.

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي، «نسب الفقهاء آل عجيل» ورقة ١.

(٦) الحسن بن أحمد عاكش، «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ٦.

(٧) قال الحجري: من مدن تهامة مابين زبيد والحديدة، وهي في وسط بلاد الزرانيق تبعد عن ساحل البحر نحو ست ساعات، وعن جبال ريمة مثل ذلك، نسبت هذه البلدة إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل المتوفى سنة ٦٩٠، ولم يكن هنالك من قبل شيء من هذه المدينة، بل لما سكن الفقيه أحمد هذا الموضع سكن الناس عنده، . . . وبيت الفقيه اليوم مركز قضاء بيت الفقيه، وهو واسع يشمل جميع

بلاد الزرانيق، وهي أكبر قبيلة في تهامة. «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ٦٣٦/٤.

(٨) محمد بن أحمد العقيلي، «التصوف في تهامة» ١٧٤.

(٩) تقع بلاد رجال ألمع في الجهة الغربية من أبها، وعلى خط طول ٤١/٤٤°، وخط عرض ٥°، ٢٧/٢٠°، يحدها من الشرق مشارف جبال عسير السراة الغربية التي تتوسطها منطقة السودة وجبال تهلل، ومن الغرب البحر الأحمر من جهة بلدة الحريضة التابعة لقبيلة شديدة إحدى قبائل رجال ألمع، ومن الشمال بلاد آل عاصم عسير ومحايل، ومن الجنوب حدود قبيلة بني شعبة، وبامتداد إلى الشرق صوب وادي عتود عسير، ووادي مربة. «رجال ألمع: الأرض، الإنسان، التاريخ» لأحمد إبراهيم مطاعن ١٥.

(١٠) تقع مدينة رُجال كمركز: ثقافي، وعلمي، وتاريخي، وأدبي، وحضاري، وتجاري في نقطة الوسط من بلاد رجال ألمع، وجنوبي مركز إمارة الشعبين. المصدر نفسه ٦. انظر: «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» لحمد الجاسر ٤٨٧/١.

(١١) عبدالرحمن بن محمد الحفظي ١.

(١٢) ورد في: مشجرة نسب الفقهاء آل عجيل القول الآتي: الشيخ بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل، وأولاده أعني الشيخ بكري خمسة: عبدالقادر، وهادي ومحمد، وطواشي، وأحمد: ، وقيل في إحدى الأوراق المخطوطة: قال السيد الإمام إبراهيم بن محمد النعمي نفع الله به: ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان، وفعل الخير وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها فأثنان منهم من أهل [الثروة]، وهما الأمير عزالدين القطبي، وأبوالغيث بن عفلق، وثالثهم الشيخ بكري بن محمد، وهو يفضلهم بالعلم والولاية والانفاق من غير ثروة.

(١٣) الحسن بن أحمد عاكش، «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ٣.

(١٤) «نفحات من عسير» ٢٣.

(١٥) انظر: «ايضاح المكنون» للبغدادي ٥٤٠/١، و: «معجم المؤلفين» لكحالة ٢٦٣/١، و«مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» ٩ للحبشي ١٣٩، و«نيل الوطر» لزبارة ١٢٦/١، وقد شذ الزركلي في: «الأعلام» حين جعل ولادته في عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، انظر ١٥٤/١.

(١٦) (١٧) عبدالقادر بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٣.

(١٨) عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل، انظر: «نسب الفقهاء آل عجيل» لعبدالرحمن الحفظي» و«مشجرة نسب الفقهاء آل عجيل» لمجهول ١.

(١٩) الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر» ١٧.

(٢٠) (٢١) انظر: «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» لعاكش ١، و: «نسب الفقهاء آل عجيل» لعبدالرحمن الحفظي ٢، و«مشجرة نسب الفقهاء آل عجيل» لمجهول ١.

(٢٢) عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، «النفس اليماني» ١٩٥.

(٢٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٣٩٢/٣، و«المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» للعقيلي ٢٥١.

(٢٤) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر.

(٢٥) انظر: «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للحجري ٣٨١/٢، وانظر: «معجم البلدان» لياقوت ١٣١/٣. وكتاب: «بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد» للديبع.

(٢٦) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي ١٣٨/٣، و«معجم المؤلفين» لكحالة ٢٧٢/٤.

(٢٧) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٤٤/٢.

(٢٨) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي ٢٩٢/٣.

(٢٩) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٣.
(٣٠) (٣١) المصدر نفسه ٢٣.
(٣٢) الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر» ٧.
(٣٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٤.
(٣٤) المصدر نفسه ٢٣، ٢٤.
(٣٥) الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر» ١٨.
(٣٦) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٣.
(٣٧) (٣٨) و(٣٩) الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر» ١٧.
(٤٠) عمر رضا كحالة، كتابه السابق ١/٢٧٩.
(٤١) محمد إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٤.
(٤٢) (٤٣) المصدر نفسه ٢٤، ٢٥.
(٤٤) انظر ترجمته في: «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ١/٣٣، و«الأعلام» للزركلي ٦/٢٥٧.
(٤٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ٢٤.
(٤٦) انظر: «الظل الممدود» للعجيلي، تحقيق عبدالله أبو داهش ٢٢.
(٤٧) المنصور علي بن الامام المهدي انظر ترجمته في: «البدر الطالع» للشوكاني ١/٤٥٩.
(٤٨) قصيدة سمط اللآل بفضل الآل.
(٤٩) قال لطف الله جحاف: أن الإمام المنصور بعث للحفظي بجائز سنية، ستون قرشاً فرانسة وكسوة عظمى «درر نحور الحور العين» ٣١٢.
(٥٠) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٢/١٨٩.
(٥١) كتابه السابق ٣١٢.
(٥٢) انظر ترجمته في: «نفحات من عسير» لمحمد بن إبراهيم الحفظي ٤٤، و«نيل الوطر» لزبارة ٢/٢٢٥.
(٥٣) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٢/٢٣.
(٥٤) «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» ١٣١.
(٥٥) الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ١/٣١٤.
(٥٦) «عقود الدرر» ١٧.
(٥٧) شعراء آل الحفظي «ديوان الروض المرضي من شعر آل الحفظي» ٤٤٨، انظر شعره في: «نفحات من عسير» لمحمد إبراهيم الحفظي ٢٦، و«شعاع الراحلين» لعبدالرحمن إبراهيم الحفظي ٢٤، ٢٦، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١١٢.
(٥٨) «النفحة القدسية، والتحفة الأنسية» مخطوطة، ورقة ١٤، وقد حدثني الدكتور محمد بن سعد بن حسين أنها كانت في بعض المساجد بنجد.
(٥٩) من رسالة مخطوطة له، توجد لدى المحقق.
(٦٠) مثل: «ديوان الروض المرضي من شعر آل الحفظي»، و: «مجموعة أشعار الحفظي» و«نفحات من عسير»، و«شعاع الراحلين».
(٦١) انظر: «نفحات من عسير» لمحمد إبراهيم الحفظي ٢٥، و«الأعلام» ١/١٥٤.
(٦٢) انظر: «عقود الدرر» لعاكش ١٨، و«نيل الوطر» لزبارة ١/١٢٦.
(٦٣) تاريخ نسخ «المنظومة الحفظية في الدعوة المرضية» لمحمد بن أحمد الحفظي في مجموع الوصية نفسه.

(٦٤) زيادة من المحقق إذ لم يحدد الشهر وإنما ورد : «ذي» .
(٦٥) المجموع نفسه .
(٦٦) انظر «الظل الممدود» للعجيلي ، تحقيق عبدالله أبوداهش ٣٢ .
(٦٧) عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي ، انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي ٢٠٩/٤ .
(٦٨) هو : عبدالله بن محمد بن سعود ، انظر : «عنوان المجد» لابن بشر ٢٦٥/١ .
(٦٩) المصدر نفسه ٢٦٤/١ .
(٧٠) في الأصل : (سيآت) . (٧١) في الأصل : (يهد) .
(٧٢) زيادة من المحقق، ومكانها فراغ في الأصل ، ولعلها رُسِمَت بمداد أحمر ، ولم يظهر في التصوير .
(٧٣) كذا في الأصل ، وفي الحديث: «فإن خير الحديث كتاب الله»، انظر: «صحيح مسلم» ١٥٣/٦ ، و«جامع الأصول» ٦٧٩/٥ .
(٧٤) رواه مسلم ، عن جابر رضي الله عنه ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» ٦٧٩/٥ ، وعن العرباض بن سارية في حديثه الطويل المشهور : « . . . وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه أبو داود ، والترمذي ، وقالا حديث حسن صحيح ، وانظر: «رياض الصالحين» في: باب المحافظة على السنة ، وباب النهي عن البدع .
(٧٤م) في الأصل: «شيأ» .
(٧٥) آية ١٤٤ سورة آل عمران .
(٧٦) انظر «الأعلام» للزركلي ١٠٢/٤ .
(٧٧) توفي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١هـ .
(٧٨) ابن هشام ، «السيرة النبوية» ٣٠٦/٤ .
(٧٩) الفَرَطُ : بفتحتين الذي يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرسان والدلاء ، ويمدر الحياض ويستقي لهم : «مختار الصحاح» ٤٩٩ .
(٨٠) في الحديث: « . . . قال النبي ﷺ : إني فَرَطُكم عَلَى الحوضِ من مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبداً . . .» «صحيح البخاري» ٢٠٧/٧ ، ٢٠٨ .
(٨١) هذا يشير إلى أن هذا اللقب يخص هذا العالم وحسب .
(٨٢) في الأصل: (ابن) . (٨٣) في الأصل: (فارجوا) . (٨٤) في الأصل: (ابن) .
(٨٥) الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ سورة الفجر .
(٨٦) من آيتي ٢٦ ، ٢٧ ، سورة يس .
(٨٧) أراد صلاة العصر .
(٨٨) قال ابن بشر : ثم دخلت السنة الثامنة عشرة بعد المئتين والألف ، وفي هذه السنة في العشر الأواخر من رجب ، قتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية ، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر . «عنوان المجد» ٢٦٤/١ .
(٨٩) انظر: «الأعلام» للزركلي ٤٦/٥ .
(٩٠) قال الزركلي في وفاته : قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي ـ غلام المغيرة بن شعبة ـ غيلة بخنجر في خاصرته ، وهو في صلاة الصبح ، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليالٍ . «الأعلام» ٤٦/٥ ، وذلك في سنة ٢٣هـ .

(٩١) انظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٢١٠ .
(٩٢) قال الزركلي في ذالك . . . فقتلوه صبيحة عيد الأضحى ، وهو يقرأ القرآن في بيته . «الأعلام» ٤/ ٢١٠ ، وذالك في سنة ٣٥هـ .
(٩٣) في الأصل (ابن) .
(٩٤) انظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٢٩٥ .
(٩٥) قال الزركلي في قتله : « . . . وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي غيلةً في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة «الأعلام» ٤/ ٢٩٥ في سنة ٤٠هـ .
(٩٦) يشير إلى الإمام ، عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
(٩٧) انظر . (٩٨) أراد أنه قتل في الصلاة . (٩٩) في الأصل: (دعى) . (١٠٠) في الأصل: (ملاً) .
(١٠١) سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٦٥ ـ ١٢٢٩هـ)، انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي ٣/ ٩٠ ، و: «عنوان المجد» لابن بشر ١/ ٣٤٢ .
(١٠٢) قيل في: «معجم الوسيط» : طَمَّ الشيء طموماً : كثر حتى عَظُمَ أو عمَّ : ٢/ ٥٧٢ .
(١٠٣) في الأصل: (فانا) . (١٠٤) من آية ١٥٦ سورة البقرة .
(١٠٥) من آية ١٣٥ سورة النساء . (١٠٦) كذا في الأصل .
(١٠٧) آيتا ١٧٣ ، ١٧٤ سورة آل عمران ، وقد زيد في الأصل : (الآية) ، ولم يرد قوله تعالى : ﴿ والله ذُو فضلٍ عَظِيم ﴾ آخر آية ١٧٤ السورة نفسها .
(١٠٨) قال الزركلي : . . . بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١هـ ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة . . . » ، «الأعلام» ٤/ ١٠٢ .
(١٠٩) قال الزركلي : وفي أيامه تم فتح : الشام والعراق ، وافتتحت القدس ، والمدائن ، ومصر والجزيرة . . . » «الأعلام» ٥/ ٤٥ .
(١١٠) انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٣/ ٢٤٦ .
(١١١) المصدر نفسه ١/ ٣٥٣ .
(١١٢) المصدر نفسه ٤/ ٣٤٧ .
(١١٣) من آية ٢٣ سورة الأحزاب .
(١١٤) قال الرازي : النُّكوص الإحجام عن الشيء ، يقال (نَكَص) على عقبيه ، أي : رجع ، «مختار الصحاح» ٦٧٩ .
(١١٥) من آية ١٢٣ سورة التوبة .
(١١٦) أراد : الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
(١١٧) ولعل الصواب: «الولد» ، وقد أراد : الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
(١١٨) كذا في الأصل ، والصواب: «بحُجزِكُم» ، قال ابن منظور : (أصل الحُجْزة موضع شد الأزار . . . ومنه الحديث : «فانا آخذٌ بحُجَزكم . . . » «اللسان» ٧/ ١٩٧ ، وفي «صحيح البخاري»: « . . . فانا آخذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار . . . » ٧/ ١٨٦ انظر: «صحيح مسلم» ١٥/ ٤٩ ، و«جامع الأصول» ١/ ٢٨٨ .
(١١٩) من آية ٣٢ سورة الأحقاف .
(١٢٠) في الأصل : (وضيفة) . (١٢١) في الأصل: (فان) .

(١٢٢) من آية ١١١ سورة التوبة . (١٢٣) من آية ١١١ سورة التوبة .
(١٢٤) في الأصل : (ومن) .
(١٢٥) في الأصل زاد قبل هذه اللفظة : (الله) .
(١٢٦) من آية ١٠ سورة الفتح . (١٢٧) في الأصل : (الخطيآت) .
(١٢٨) في الأصل: (يلي) .
(١٢٩) في حديث عرفجة رضي الله عنه : «رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس ، فقال : إنها ستكون بعدي هنات وهنات ، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرّق أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه ، فإن يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من فارق الجماعة يركض» «جامع الأصول» لابن الأثير الجزري ٣١/١٠ .
(١٣٠) كذا في الأصل ، والحديث رواه النسائي في كتاب الصلاة ، من حديث أبي الدرداء برواية : « . . . فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية» ١٠٦/٢ .
(١٣١) يريد : الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
(١٣٢) عبدالوهاب بن عامر المتحمي ، أمير عسير في الفترة (١٢١٧ - ١٢٢٤هـ) ، انظر ترجمته ، في «الأعلام» ١٨٣/٤ ، و«الظل الممدود» للعجيلي ٢٤ ، و«أخبار عسير» ٣٨ ، و«السراج المنير» لعبدالله بن مسفر ٣٥ ، و«تاريخ عسير» ١٣٣ .
(١٣٣) قال الرازي: غَرَز الشيء بالإبرة ، وبابه ضرب «مختار الصحاح» ٤٧٢ ، وفي «المعجم الوسيط» : . . . يقال : الزم غرز فلان : أمره ونهيه ، واشدد يديك بغَرْزه : تمسك به: ٦٥٥/٢ .
(١٣٤) من آية ٤٧ سورة الحج .
(١٣٥) انظر : «الأعلام» للزركلي ٢٩١/١ ، ويرد أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه ، بعثه رسول الله ﷺ - كما قال ابن هشام - إلى الشام ، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم : البلقاء ، والداروم من أرض فلسطين : وأضاف ابن هشام إلى قوله إنه : آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ : « السيرة النبوية» ٢٩١/٤ .
(١٣٦) والحديث : عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :.«الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها» أخرجه مسلم ٩٩/٣ ، وانظر : «جامع الأصول» ٥٥٧/٩ و «شرح الأربعين» لسعيد الأمير ، مخطوط ، غير مرقم الصفحات .
(١٣٧) آيتا ٩٣ ، ٩٤ سورة الحجر .
(١٣٨) آية ٢١ سورة الأنفال .
(١٣٩) من آية ١٤٣ سورة البقرة .
(١٤٠) في الأصل : (يدعى) .
(١٤١) من آية ٧١ سورة الإسراء .
(١٤٢) انتهى ، ولم يؤرخ الحفظي وصيته ، ولا الناسخ أيضاً .

المصادر والمراجع : (ذكرت في الأصل وفي الحواشي) .

رأي في كتاب :

«أبطال من الصحراء»

أهدى اليّ - في عداد هداياهُ النَّفيسة[1] - أستاذنا علامة الجزيرة الاستيام الأجل ، الشيخ (حمد الجاسر) هذا الكتاب المبحوث عنه . وهو مؤلف من (٣١٤) صفحة ، من قياس ٢٤ × ١٧ ، طبع في مطابع دار الكتب في بيروت ، سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م قدَّمه العالم الجليل الشاعر المبدع الأستاذ (عبدالله بن خميس) ، مقدمة نفيسة ، وقد جعل المؤلف كتابه هدية إلى المغفور له الملك الشهيد (فيصل بن عبدالعزيز) - رحمه الله أوسع الرحمة - تناول فيه سيرة خمسة من فرسان البادية ، هم :

١ ــ الشيخ (سعدون العواجي)، شيخ قبيلة (وِلْد سُلَيْمان) عامَّة ، من أفخاذ قبيلة (عَنَزَة) من كبريات القبائل العربية ، إن لم تكن كبراها . وقد كان شاعراً ، فارساً ، شجاعاً ، كريماً ، كثير الأبناء ، لكن لم يشتهر عنهم سوى (عقاب) و(حجاب) من زوجته الأولى ، التي طلقها ، فذهبت مع ابنيها إلى أهلها (الفِدْعان) في (سورية) . فلمَّا شبَّا ، ظهرتْ عليهما علامات النجابة ، فتزعما الذي الْتَفُّوا حولهما من (ولد سليمان) ، الذين كانوا في الديار السورية ، وعينت لهما الحكومة العثمانية راتباً ، كغيرهما من كبار الزعماء ، الذين كانت تستعين بهم الحكومة لحماية حجاج بيت الله الحرام ، لأن الدولة العثمانية كانت عاجزةً عن حكم الصحراء ، فكانَتْ تملك ، ولا تحكم ، من أجل هذا رتَّبتْ لشيوخ البادية البارزين مادُعي (الصرَّ) ، - وبعضهم سمَّاه (الصرَّة) تدفعه مرتين في السنة :

أ ــ صرّ الحاج . ب ــ وصرّ القَامة .

وقد ظل (سعدون العواجي) - أبو (عقاب) و(حجاب) - شيخاً لقبيلة (وِلْد سليمان) إلى أن نازعه الزعامة أحد أبناء عمه المسمى (شامخ) ، فأخذ يتفنَّن في إذلال الشيخ (سعدون) ، بما لم يُسمع بمثله . فحرَّم عليه أن يرفع بيته كبقية البيوت . ومنع إبله عن أن ترد الماء إلا بعد أن ترتوي إبلُ القبيلة كلها . فكَّرَ

(سعدون) في أن يترحل ، لكنه خشي ذلَّ الجار ، لأنه تذكر قول الشاعر البدوي :

أرْدَى المهَانَهْ بالدَّهَرْ عِيْشَةَ الـجَارْ مَذْعُوْرْ، مِنْ كِلّْ الجَوَانِبْ يْخَافي
إنْ صَافَاكْ وَجدْ ذَاكْ بَدْلْ بالانْكَارْ مَاهِـيْ حَقِيقَهْ يِصْبحْ البَالْ صَافيْ

وخشي إنْ هو أقام في الصحراء وحده ، أن يطمع فيه صعاليك البادية وشذاذها ، وينهبوا ماعنده ! لكنه ترحلَ في النهاية ، وعاد ذليلاً ، فأخذ (شامخ) يبالغ في إذلاله ، سمع بصيت ولديه (عقاب) و(حجاب) - وأتصوَّر أنه خجل من طلب مساعدتهما وقد تركهما مع أمهما طفلين - لكن أحد مريديه ، حسَّن له الاستعانة بـ(عقاب) و(حجاب)، فبعث إلى (عقاب) بقصيدة مؤلفة من ثمانية عشر بيتاً ، جاء فيها :

قِلْ لَهْ تَرى (شَامِخْ) شِمَخْ عِقِبْ ما شَابْ، يـا(عْـقَـابْ) وَالله ذَلْـلُوني وذَلَّـيْـتْ!
يـا(عْقَابْ) جَـرُّوْنِي على غَـيْـر ما طَـابْ وقالوا: تَوَرَّدْ مِنْ وَرَى الْمَا، وَتعـدَّيْت!
مِنْ عُقْبْ مَاني سِتْرَهمْ عِنْد الاجْنَابْ ولْـيَـا بَلَتْـهُـمْ فَـالْـةٍ مـا تَـنَـقَّـيْـتْ
مـادَامْ (شَامِخْ) مَـالـكٍ جِرْدَ الأرْقـاب لَـوْ زِيْنَ الفِنْجَـالِ لي، مـاتِقَهْـوَيْـتْ

إلى أن قال :

ألبَيْتَ ما يِبْنَى بَلَا عِمْد وَأطْنَابْ مَتَى يجينا (عْقَابْ) يَبْني لَنا البَيْتْ؟

ويختمها بقوله :

أرْجي بِشِيْر الخيْر معْ كِلّ هَبَّابْ متى يجُونَا آخْوَانْ (نمْشَهْ) علَى الصِّيتْ

وصلت القصيدة (المُؤنِّبَةُ) هذه إلى (عقاب)، فأمر شقيقه (حجاب) أن يترك مخصصاته المالية من الدولة العثمانية ، لإنقاذ كرامة أبيهما، وطلب (عقاب) من صديق له اسمه (عيد) أن يرافقهما إلى (نجد) وأوصاه أن يبيع فرسه ، لأنها ليست من الخيل المسماة ، ويرتب بثمنها أمور أُسرته ، ووعده بأنْ يهب له أول (قْلَاعة)[٢] أصيل يغنمها في أولِ معركة يخوضها في (نَجْد). فباع (عيد) فرسه الهجينة[٣]، واشترى بثمنها ما تحتاج إليه أُسرتُه في غيابه، وارتحل مع (عقاب)

و(حجاب) إلى (نجد)، فوصلوا إلى (نجد) بعد مسيرة ثلاثين يوماً ، وحَلُّوا عند منهل يدعى (الْـحِيزَا) وباتوا هناك . نَهَضَ (عقاب) مبكراً وأمرهم أن يتبعوه بظعينتهم ، وبحث عن بيت أبيه فعلم أن (شامخاً) فرض على أبيه الذل ، بتوطئة بيته ، وبأن لا ترد إبله الماء إلا بعد أن ترد إبل القبيلة كلها . كان أبوه نائماً ، فلم يوقظه ، بل أيقظ الراعي ، وأمره أن يورد الإبل قبل أن يرد الناس ، فخاف الراعي وقال : إن (شامخاً) يضربني إن فعلت . فأمره أن يسير معه وعندما وصل الراعي بالإبل إلى البئر ، خرج (شامخ) يهدد ، فأمر (عقاب) الراعي أن لا يهتم به ، فزاد غضبه ، وهجم على الراعي ، فبرز له (عقاب) شاهراً سيفه قاصداً ذبحه ، فلم يجد سبيلاً إلى النجاة إلا بأن يلقي نفسه في بئر قريبة ، فدلى عليه (عقاب) الرشاء ، وأمره بأن يخرج فقال : هنا قبري ، إن لم تعف عني ، فقال له : جئتك أنقذك ، إن عفا عنك الشيخ (سعدون)، وأمر الذين حوله أن يخرجوه ففعلوا . وأمرهم أن يبنوا بيت أبيه الكبير ، وفرشوه بما احضروا من ثمين الفراش من (سورية) وقال لصديقه (عيد): اركب فرساً وبلّغ القبيلة أن تحْضر للسلام على شيخها (سعدون)، ففعل، فجاء القوم زرافاتٍ ، ووحداناً . يسلمون عليه ويبايعونه بالزعامة .

وهكذا سقط (شامخ) وكان سقوطُهُ هائِلاً ! وأصبح (سعدون) لايَخْشَى أحدًا في (نجد) كلها . وأجلى بعض قبائل (شَمَّر) عن بلادها بهيبة ابنه (عقاب).

وأجلى شيخ قبيلة (التومان) من (شمر) عن دياره المسماة (بيضا نثيل) المخصاب، واستولى عليها .

ظل نجم الشيخ (سعدون) في صعود يوماً بعد يوم إلى أن قتل والده في معركة ، فَسَحقَهُ الحزن ، ورثاهما بمراثٍ باكية ، يُـحِسُّ من يقرأها أنه يشاركه الحزن ـ على بعد الدار ـ ومن مراثيه المشهورة التي نقتطف منها هذه الأبيات :

يَـاوَنَّـةٍ وَنَّيتَهـا تِسِـعْ وَنَّـاتْ   مَعْ تِسْعْ مع تِسْعِينْ مَعْ عَشْرَ الُوفِ!
مَعْ كِثْرِهِنْ، بأقْصَى الحَشَا مِسْتِكِنَّاتْ   عِدَادْ خَلْقَ الله كِثْيرَ الوُصُوفْ!
وَنَّةْ طِرِيْحٍ طَاحْ وَالخَيْل عَجْلاَتْ   كَسـره حَدَا السَّاقِينْ غَادٍ سُعُوف،

عـلى سيوفٍ بـالملاَقي مهمَّـاتْ سِيفينّ، أغْلَى مَا غَدَا مِنْ سِيُوفِ!
أَحْشَمْ بِحشْمَتْهِنْ، ولَوْ هِنْ بَعِيْدَاتْ وَانَامْ وَلَوْ انّ الضّـواري تحُوف
مِنْ عِقبكُمْ ما نبكي لحيٍّ وَلَو مَاتْ وَلاَني عَلَى الدّنيَا كَثِيرَ الـحسُوف!

إلى آخر ماجاء في هذه اللوعة التي تقطر ألماً وحزناً .

لقد سُحِق عزُّ الشيخ سعدون، الذي بلغ ارفع قمة من قمم المجد بوجود ولديه (عقاب) و(حجاب)، ولم يبق له سوى المرارة يتجرعها . وكانت الحسرة تزيد التهاباً في قلبه لأنه عاجز عن الثأر لولديه ، وكان يربي ابن (عقاب) وابن (حجاب) مُؤملاً أن يأخذا ثأر أبويها ، فلما كَبُرَا وَاكْتَمَلَتْ رجولتها أجرى بينهما مسابقة ، بأن يقول كل منهما قصيدة ، يذكر فيها أنه سيأخذ ثأر أبيه ، وسَيَهَبُ لصاحب أجود القصيدتين بنت فرس (عقاب) المسماة (فلحا)، وهي آصَلُ فرسٍ عند قبائل (ولد سليمان) فكانت أجود القصيدتين هي قصيدة ابن (عقاب)، فوهب له جَدُّهُ المهرة بنت (فلحا)، وقُدِّر لابن (عقاب) أن يأخذ الثأر من قاتل أبيه ، وعمه ، الشيخ (هايس القعيط) . وهكذا مات الشيخ (سعدون) قرير العين .

٢ ــ الشيخ (ساجر الرفدِي) عصامِيٌّ فـذٌ ، كان والده خامل الذكر ، أُمُّهُ من أُسْرة عريقة بنت الرجل المكنّى بـ (أبي الخسائر)، من قبيلة (البجايدة) من (السلقا) اشتهر (ساجر) وأخوه (عسكر) وهما دون العشرين من العمر ، فكانا مضرب الأمثال بين القبائل . حصلتْ بين الأخوين وبين أخوالهما مناقشة احتكما فيها إلى السلاح، فقتل (عسكر) شقيق (ساجر) ، فبعد أن دفن (ساجر) شقيقَهُ رحل عن مواطن أخواله (القصيم) ، لكي يثأر لأخيه ، فأغار على أخواله ليلاً فقتل عبد زعيم أخواله (البجايدة) المتهم بقتل أخيه ، ثم أغار عليهم مرة ثانية ، فقتل الزعيم (سوران) قاتل شقيقه نفسه . فاشتهر بين القبائل في (نجد) كلها وأضحى زعيماً لقبيلة (الشملان) . يصفه المؤلف بقوله : كان ميمون النقية ، وموفقاً بغزواته ، وشجاعاً لايهاب الموت ، ومع هذا فهو كريم إلى أبعد حدود الكرم ، اشتهر بدماثة الأخلاق ، والتسامح عن خطايا من حوله من رفاقه ، وكان

يفضل قومه على نفسه ، وينصفهم بحقوقهم ، ويعف عندما يغنم وليس للجشع في نفسه مدخل ، وهذه السجايا هي من مقومات زعامته ، لهذا انضمت إليه أكثر قبائل (عنزة) وبعض قبائل (شمر) في الغزوات ، كان شاعراً مجيداً ـ ص ١١٧ .

كان عِنْدَهُ صانع اسمه (خْلَيْف) أسكنه في رأس هَضْبَةٍ تسمى (اللّبَيِّد) وجعل عمله محصوراً في الحذاء للخيل ، وله بهذه المناسبة قصيدة مشهورة منها :

يـا (خْلَيفْ) قَطِّعْ للسَّبَـايَا مَسَـامِيرْ عَنِ الْحَفَا، يـاشَـوْقْ مُـوضي جِبِينِـهْ
يـا مَاحَـلا، يا (خْليفْ) تَشْيِيدَةْ الكِيرْ بِـراسَ (اللّبَيِّـدْ) بـين (خَضْرًا) و(لِيْنَهْ)
ويا ماحَـلاَ، يا (خْلَيفْ) خَـزَّ المَاشِيرْ خِلْج تَـوالَ اللّيْـلْ تِسْمَـعْ حَنِيْنَـهْ،
كَمْ عِزْبةٍ زِخْنَاهْ مَعْ نُوْضَةْ الـطِّيرْ وَكَمْ شِيـخْ قُـوْم عِنـدهِنْ جَاذِعِينـهِ،
مِنْ حَدِّ (حَايلْ) لِينْ (سِنْجَارْ) و(الدِّيرْ) كَـمْ خَـيِّرْ بِـأرمَـاحنَـا عَـاثْـرِينـهِ
مِنْ (نَجِدْ) جِبْنَا الصُّفـر هِـي وَالمَغَاتِيرْ وَالـذِّيـبْ مِنْ عِـدْوَانِنـا مِشْبِعْـينـهِ

وقال المؤلف : لاشكَّ أن (ساجر الرفدي) قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، أوْجد نفسه من لا شيْء أعاد زعامة الشعلان إلى (آل نايف) بعد أن انتزعها منهم (آل مشهور) ، وأعاد إلى (آل نايف) (راية الشعلان) المشهورة التي هي (هوْدَج) مجلل بريش النعام ، وكل من استولى عليها يصبح شيخاً للقبيلة ، وكانوا يحملونها في أوقات الحرب ، ويَسْتِمِيتون حولها .

نشب خلاف بين (ساجر) وشيخ من (الخرصان) يسمى (السَّمْن) ، أراد أن ينهب جماعة (ساجر) ويحولهم زرَّاعاً ، وهي أحقر مهنة عند البدو ، فرد عليه (ساجر) قائلاً :

يَا (السَّمَنْ) ما رَبْعِيْ لِرَبْعَك فَلاَلِيْح رَبْعِي مُقَـرِّيْنَ العَدُوّ بـالْفَعَـايِـلْ

ومنها :

مَـادَامْ مَاغِـزَّتْ عَلَيَّ الصَّـلاَفِيـحْ مَـانِشْرَبَ الفِنْجَـالْ والحَقْ مَايِـلْ

من نوادر (ساجر) أنه كان يجاوره رجل يملك ستين نعجة ، فجاء نذير ينذر

(ساجراً) بأن أعداءهم سيهاجمونهم صباحاً ، فأمر جماعته أن يُغَادِرُوا المضارب ، ويبعدوا مواشيهم التي هي الإبل والخيل ، وليس معهم أيّ رأس من الغنم ، فكيف يحل مشكلة جاره صاحب الشياه ؟ حسب فرسان العشيرة ، فكانوا مئة وعشرين فارساً ، فأمر ستين منهم أن يحمل كل منهم نعجة من نعاج جاره ، يوصلها إلى مَأمَنها خوف الغارة ، وأبقى ستين لمواجهة المغيرين ، للدفاع عن الحي ، فلما هجم المغيرون أخذ الفرسان يكافحون كرًّا وفرًّا إلى أن عاد المغيرون مهزومين ، فضرب بـ (ساجر) وجماعته المثل ، وصار الناس يلقبونهم بـ (أصحاب الشويهات) .

وهناك نادرة ثانية عجيبة ، تدُلُّ على أن (ساجراً) يُضَحي بكل شيء في سبيل المحافظة على كلمته . فقد قال قصيدة يفتخر بها ، يقول في بيت منها فاخِراً بفرسه :

مَانِـي مْعَوِّدْهَـا لِكَسْـب الشَّوَاوِي وَلا رَدَّدَت فِرْقَ البِقر بـالزُّوِيَّـه

فغزا (ساجر) قبائل (الشّويان) و(الغزالات) وتغلب عليهم ، وغنم منهم ما يزيد على عشرة آلاف رأس من الغنم ، وأخذ يُوَزِّعها على قومه ، وفي هذه الأثناء جاء رجل من المهزومين (الشويان) وقال لـ : (ساجر) : ألست القائل هذا البيت من الشعر ؟

مَـاني مِعْوِّدْهـا لِكَسْـب الشَّواوي وَلَا ردَّدَت فِرْقَ البِقَرْ بالزُّوِيّه[٤]

بهت (ساجر) لهذه المفاجأة ، لكنه أجاب : (بلى أنا القائل لهذا البيت !) ، فرد عليه الشاوي إذنْ كيف تخالف قولك ، وتأخذ أغنامنا ؟

فنهض ساجر وقال لقومه : (رُدُّوا الغنائم لأصحابها !) فلم يتخلف أحد عن إطاعة أمره ـ مع أن الكاسب في الغزو مستعد أن يتخلّى عن حياته ولا يتخلى عن كسبه الذي عرض حياته من أجله للموت . فظهر قمة في المحافظة على شرف كلمته ، وعلى أنَّ قومه طوع أمره[٥] .

٣ ـ **شالح بن هَدْلاَن** : هو أحد أفراد قبيلة (الحنافِرَة) التي هي فخذ من قبيلة (آل محمد) القحطانية ، عاش إلى سنة ١٣٤٠هـ تقريباً ، يقول المؤلف الفاضل ما حرفه : (كان مِثَالِيًّا بشجاعته ، وأمانته ، وصدقه ، وحسن أخلاقه ، وكرمه ، ووفائه . وكان يُحكَّم لحل المشاكل سواء أكانت على مستوى قبليّ أم فرديَّة وكان محبوباً عند قبائل (قحطان) وعند القبائل الأخرى !

كان له شقيق أصغر منه ، اسمه (الفديع) وكان يماثل أخاه في كل ما ذكرنا لِـ (شالح) من الصفات الحميدة ، فلما اكتملت رجولته ، أُضحى هو حامي الظعينة ، وكانت إبلهم لا تذهب إلى المرعى إلا وهو مُدَجَّج بالسلاح ، خوفاً من الغزاة ، ولشجاعة (الفديع) لم يكن أحد يجسر على مهاجمة الإبل ـ وكان شالح يخاف أن يقتل (الفُديع) لشجاعته وحُبِّه للمغامرة . لاحظ (الفديع) أن شقيقه (شالح) مهموم ، فسأله عما به ، فأجاب : (إنني أتْعبتك كثيراً في هذه الدنيا ، وأنت وحدك . كم أود لو أن أبنائي كبار ليساعدوك . فرد عليه بقوله :

يَا بُو (ذْعارَ) آكْفِيكْ لَوْني لْحَالِيْ   وَاصْبِرْ على الدِّنْيَا وْبَـاقِيْ تَعَبْهَا
وآنْ غَمْ أخُوَهْ مْعَثْرِيْنَ العَيَـال   أنَـا لْخُوِيَـهْ سعْد عَيْنـه عَجَبْهـا

إلى أن يقول :

أفْدِيكَ يَا (شَالِحْ) بْحَالِي وَمَالِي   يـافَارِسَ الفِـرْسَان مِقْـدِمْ عَرَبْهَـا
يـامْتِيِّـةِ ابْـلَهْ بِـرُوْسَ المَفَـالي   يَالِلِّي حَمَيْت حْدوْدَهَا يَاجَنْبْها[٦]!

فرد عليه (شالح) بقصيدة نذكر منها :

لاَ وَاخْوِ لِيْ عِقِبْ فَرْقَاهَ بَاضِيْعْ   كِنِّيْ بما يَجْرِي عَلى العِمْرْ دَارِي
اخُـوْيْ يـاسِـتْر آلْبْنِيَّ ألْمَفَـارِيْـعْ   وْمْطلِق لِسَانَ اللِّيْ بَاهَلْها تْمَارِي
لِيْتَـهْ عصَانِي مَـرَّةٍ قَالَ مَـاطِيْـعْ   كُودٍ انِّي أصْبِرْ يَوْمْ تَجْرِي الجُوَارِي

يختمها بقوله :

القَلْبْ مَـايَنسَى بْعِيْـدَ المَنَـاوِيْـعْ   لَيْثٍ عَلَى صَيْدَ المَشَاهِيْرْ ضَارِي!

بهذه القصيدة توقع (شالح) مستقبل شقيقه المقدام : (الجود يفقر ، والاقدام قتّال !) فبينما كان (شالح) راجلاً بظعينته ، وأخوه (الفديع) معه ، أرْمَدُ ، معصوبُ العينين ، أغارتْ خيلُ قبيلة (عُتَيْبَة) المشهورة بالشجاعة على ظعينة (شالح) و(شالح) وحده يدافع والنساء يزغردن إثارة لحميته نزلت أم (شالح) من هودجها ، وتوجهت نحو (الفديع) وأنزلته من الهودج وغسلتْ عينه وفتحت جفونه بشدة فتدفق الدم والصَّدِيد ، فركب فرسه وهجم وهو لا يكاد يبصر فجندل ثلاثة من المغِيْرين ، ولحقهم ، ولما صار بينهم رشقوه بكثير من الرماح ، فاخترق أحدها رأسه فخَرَّ صريعاً فسحق قلب (شالح) لهول النكبة ، لكنه أمر مَنْ حوله أن يكفنوه ويدفنوه في هضبة (خفا) قرب وادي (خفا) (بنجد) . فرثاه بحزن عميق !

كان همّ (شالح) المقيم المعقد ، هو الأخذ بثأر شقيقه (الفديع) من رؤساء قبيلة (عتيبة) ، وكان أحد أقرباء (شالح) المسمى (مبارك بن غنيم بن هدلان) قد تعهد بأن يثأر بدم (الفديع) فعمد إلى الأمير (تركي بن حميد) الفارس المشهور وقتله ثأراً بالفديع . فعظم ذالك على قوم الأمير (تركي) .

وكان لِـ (شالح) ثلاثة أبناء أكبرهم اسمه (ذْعارْ) وأوسطهم اسمه (ذيب) وأصغرهم اسمه (عبدالله) فشعر الأب أن (ذيباً) أقربهم إلى قلبه ، فما كان يطيق أن يغيب عنه ، والبدو في ديارنا يقولون : (الأبو صقّار) ـ أي إنه كالذي يُرَبِّي الصقور ـ طيور الصيد ـ يدرك أي أبنائه هو الأنجب . وعلى الرغم من أن (ذعاراً) و(عبدالله) قَدْ بَرْهَنا على بطولات بين القبائل ، إلا أن (ذيباً) تفوق على شقيقيه . وفي أحد الأيام اجتمع أبناء عم (شالح) وهم شيوخ القبيلة ، من غير أن يَدْعوا (شالحاً) للاجتماع ، فعلم باجتماعهم فغضب من تجاهلهم إياه . فأرسلوا مَنْ يدعوه للاجتماع الذي عُقِد ، فأجاب رسولهم :(أخبرهم أني لن أحضر اجتماعهم ، لأنهم اجتمعوا قبل أن يخبروني ، وقل لهم : اني سأرْحل إلى قبيلة (الدواسر) . وقد رحل فعلاً . وبعث لهم بقصيدة عاتبة مُؤَنِّبة يعدد فيها مواقفه . فلما وصل إلى قبيلة (الدواسر) أكرموه واتفق أن فرسان قبيلة (عُتَيْبة) ـ

أعداء (شالح) - أغـارُوا على (الدواسر) وكان (ذِيْب) قد بلغ الرابعة عشرة من عمره ، فشارك في المعركة التي استمرت إلى غروب الشمس ، فاندفع (ذيب) كالبرق إلى فارس (عُتَيْبَةَ) الذي يحمي مؤخّرة الغزاة ، فلكزَهُ برمحه الصغير ، فطرحه عن فرسه على الأرض ، وغنم فرسه (قلاعة) - وعاد الدواسر غانِمِيْنْ ، وكانت الفرس التي غنمها (ذيب) غريبة الشكل تُعَدُّ أشْهر فرس في (نجد) - بيضاء - والبدو يسمون الفرس البيضاء (صفراء)(٧) فأسرع فرسان (الدواسر) يُبشرون جارهم (شالِحاً) بما غنم ابنه (ذيب) ويطرون شجاعته النادرة وهو في طور الطفولة . ففرِحَ (شالح) . فلما وصل (ذيب) سلّم الفرس إلى أبيه ، فتبين في النهار الثاني أنها المسماة عند (عتيبة) وعند قبائل نجد (العزبة) التي يضرب بها المثل . فلمّا علم بها الأمير (محمد بن سعود بن فيصل) و(محمد بن رشيد) أمير (حائل) أرسل كل منهما يطلبها من (شالح) فقال للرسل بصراحة : (هذه غنمها (ذيب) وهي لا تصلح إلا له) وأنشد قصيدة رائعة يُبَرِّرُ بها رفضه إهداءها أو بيعها . وارتحل إلى (الربع الخالي) خوفاً على الفرس من الأميرين !

وكان (ذيب) يسأل القوم ممن تخَافون على إبلكم ؟ فيقولون : من قبيلة (عتيبة) فيقول لهم : أرسلوها إلى الجهة التي تخافون منها ، وأنا أحميها . وكانوا يفعلون . وكان صِيْت ذيب الطيب على كل لسان . وكان (شالح) ينادي (ذيباً) والرجال حوله ، فيقبل (ذيب) وهو رجل ، ويبكي ، ولما لامَهُ الناس على ما يفعل ، قال : (دعوني أقَبِّلُ (ذيباً) وأبكي عليه وأودعه كل يوم ، لأني أتخيَّل أن الدنيا ستَحْرمني منه . لأنه كل يوم ينجو من معركة ، لا يمكن أن يكون من أصحاب الأعمار الطويلة) وأنشأ قصيدة يرثي فيها (ذيباً) وهو حي مطلعها :

مَاذِكِرْ بهْ حَيٍّ بَكَى حَيّ يَا (ذِيْبْ)   وَاليومْ أَنَا بَابْكَيْك لَوكِنْتْ حَيًّا!

بعد مرثاة (شالح) لابنه (ذيب) وهو حي ، زادت شهرته ، وأخذ الغزاة يتحامون الغارة على القبيلة التي فيها (ذيب) .

يقال : إن فرسان المغفور له (الملك عبدالعزيز آل سعود) طيب الله ثراه وجعل

أعلى عَلَيِّنَّ مأواه ، أغاروا على ظعينة (شالح) وابنه ، ولم يكن هناك سوى (ذيب) ووالده وشقيقيه، فأخذ (ذيب) يدافع عن ظعينة أبيه ، من طلوع الشمس إلى مابعد صلاة العصر ، فهزم الفرسان . بعد أن قتل الأمير (فهد بن جلوي) ابن عم الملك عبدالعزيز ـ الفارس المشهور ، وطرح الأمير (تركي بن عبدالله آل سعود) ابن عم الملك (عبدالعزيز) وجرحه جرحاً في جنبه وقتل تسعة فرسان . وكان أبوه قد طعن في السن . فعل (ذيب) مافعل ، وعمره اثنان وعشرون عاماً . فلما رجع فرسان (الملك عبدالعزيز) الذين أغاروا على (شالح) من غير أن يعلم الملك قال : (لو علمت أن الظعينة التي هاجمتموها هي ظعينة (شالح بن هدلان) لأمرتكم بالرجوع عنها لأنه شخصٌ طيب ، ولا أحبُّ أنْ أُفَاجِئه هو وأبناءه عند محارمهم ، وعند إبلهم . وأرسل بكتاب إلى (شالح) يقول فيه : (إني قد عفوت عن (ذيب) وله الأمان ، وعليه أن يرجع بالسمع والطاعة) وحذر أقاربه من (آل سعود) من أن يفكروا في أخذ الثأر من (ذيب بن شالح) وسمح لِـ (ذيب) أن يزوره ويسلم عليه ، فحياه وأكرمه . وقال طيب الله ثراه ـ: إنني كنت أودُّ أن أرى هذا الشابَّ العجيب ، ولاشك أنه دافع عن والده ، ومحارمه ، وإبله ، وكان مظلوماً .

ولكي يَسُرَّ (ذيب) أباه أراد أن يحقق رغبة أبيه في الانتقام من قبيلة (عُتيبة) فصحب نحو خمسة عشر شابًا يأتمرون بأمره ، وقصدوا منازل (عُتيبة) لعلهم يغنمون من إبلهم شيئاً يفرح به أبوه ، وبعد مسيرة ثلاثة أيام ، وصلوا إلى بئر تدعى (ملية) في أواسط (نجد) فلما أرادوا أن يستقوا من البئر رأوا عليها وِرْداً من (عتيبة) يستقون ، فتراجع (ذيب) ورفاقه ، خوفاً من أن يراهم العُتَيْبِيُّون فينذروا القبيلة. وكان مع المستقين جار رأى (ذيباً) ورفاقه، فانْسَلَّ إلى الوادي الذي انحدروا إليه وكَمَنَ تحت شجرة وأطلق على (ذيب) عياراً نارياً أرداه قتيلاً ، وظل مختبئاً . وضعه رفاقه في كهف ، وانصرفوا . ينقلون نبأ الكارثة التي أَلَمَّتْ بقبيلة (قحطان) الكبرى . وجعلت هذا الشيخ يزور القبر مطعون القلب ليس له إلا الأشعار الباكية ! مسجلاً عظمته وعظمة شقيقه (الفديع) وابنه (ذيب) ! . .

مِحْدَى الهبداني : عصامي من قبيلة (آل فضيل) فخذ من أفخاذ قبيلة (الجعافرة) من (ولد سليمان) والده (فيصل الهبداني) لم يكن من ذوي المكانة في القبيلة ، أمه (ذكر) ابنة مِشْلّ العواجي ، الفارس المشهور ، كان ذكياً ، طامعاً في الزعامة شديد الطموح إليها . لكن أخواله حالوا بينه وبين ما يصبو إليه . فأخذ يقول الشعر محرضاً (آل فضيل) على طلب الزعامة التي هي في أخواله (العواجي) ومن هجائه لقومه قوله :

يَاطُولكُم، يَاعِرْضَكمْ يُومْ تَاتُونْ   يَاقِلْ نَحْراكُم عَلَى مِنْ بغَاكُمْ[٨]!
الكُـلّ مِنْكُمْ دَايْماً يَتْبَـع الهُـوْنْ   يَالِعْنَ ابُوكمُ كَيْفَ تُوْخَذْ نِسَاكُم؟

قرر (مِحْدَى) أن يبتعد عن أخواله ، وعن قبيلة (ولد سليمان) فرحل من (نجد) هو وقسم من قبيلة (آل فضيل) وتوجه إلى قبيلة (الفدعان) من (عنزة) في الديار السورية متبرئاً من قومه بقصيدة مطلعها :

لِيْتِي مِنَ الصُّلْبَان، والاصْلْ مَابِيْهْ   لاَ سَايْلٍ عَنِّي، ولانِـي بْسَايِلْ[٩]

فردت عليه أمه بقصيدة تلومه على نقمته على أخواله ، وختمتها بقولها :

هـذا جَزَا خَـالٍ يِعَزِّه ويِغْلِيْـه   لاَ واحَسَايِفْ قُوْلِتِي: (يَابْنِ وَايِلْ)!!

ولما دخل الأراضي السورية أنشأ قصيدة يمدح بها (آل غُبَيْن) الذيْن قصدهم وفي طريقه التقى هو وجماعته قوماً من قبائل (الشوايا)[١٠] الذين يربون الأغنام فغنموا مَا معهم فحاربهم (ابن قعيشيش) ليردّ الأغنام إلى أصحابها لكن (مِحْدَى) تغلب على (ابن قعيشيش) قريب (آل غُبَيْن) فاضطر (محدى) أن يلجأ إلى الشيخ (محمد بن سُمَيْر) من قبيلة (ضنا مُسْلم) ويمدحه بقصيدة طالباً اللجوء إليه ، وحِمَايته . فأجاره (ابن سُمير) وحماه من (ابن قعيشيش) و(الْغُبَيْن) . وبعد أن أقام عند (ابن سُمير) مكرماً دعاه شيوخ (الفدعان آل مُهَيْد) و(آل غُبَيْن) فرحل من عند (ابن سمير) شاكراً له طيب جواره ، وظل بين (ابن غبين) و(ابن مهيد) في أعز منزلة إلى أن دَبَّ الخلاف بينه وبين (ابن غُبين) خلاف مردُّهُ طموحه الذي لا يُحدُّ ، فهجا (آل غُبين) بقصيدة مطلعها :

عَـسَـاكْ يَـادَارٍ بـك الحَـيْـفْ يِـلْوِيـنْ   عَنَى الوِلِيْ يَنْعَى لْسَاسِكْ بالاخْرَابْ!
عَـسَـاكْ يَـادَارَ الـمَـذَلَّـهْ تْجِـيْـبِـيـنْ   وعْنَى الـولي يَسْعى لِتَزْلِيكْ بالاذْهَابْ!

وقد لازم (جدعان بن مهيد) وانقطع عن (ابن غبين) انقطاعاً تامًّا . لكنه أفسد علاقته مع الشيخ (جدعان بن مهيد) لَمّا أثار عليه شيخ الفلاحين السيد (حجو بن غانم) الذي كان يدفعُ لِـ(جدعان بن مهيد) (خاوة) ـ إتاوة ـ فأثاره قائلاً : (ويحك أنت عربي ، قوي عندك قصور تحميك ، وعندك أسلحة ورجال ، فكيف تذل وتدفع (خاوة) لرجل أضعف منك في كل شيء) وأثاره بقصيدة مُؤَنِّبَة ، فطرد رُسُلَ (جدعان بن مهيد) الذين جاءوا لجباية الإتاوة . فلما علم (جدعان بن مهيد) أنَّ (مِجْدَى) هو السبب دفع (جدعان) رشوة لموظفي الحكومة التركية فسجنوا (مِجْدَى) فأخذ السيد (حجو) كمية من الذهب ورشا الموظفين ، فأطلقوا سراح (مِجْدَى) فغادر (جدعان بن مهيد) إلى الشيخ (محمد بن سمير) الذي أجاره أولاً من (قعيشيش) ومدحه بقصيدة عامرة فاستقبله وأكرمه . لكنه أرسل بقصيدة إلى (عبدالكريم الجربا) والتجأ إليه ، فبالغ في اكرامه . لكن أحد المتطفلين من (شَمَّر) سأل (مِجْدَى) بقسم قائلاً : (بالله عليك يا (مِجْدَى) أخبرني أيُّهما أحب إليك ـ (جدعان بن مهيد) أم (عبدالكريم الجربا) فأجاب (حلفتني ثلاث مرات بالله أيّما أحب إلي (جدعان بن مهيد) أم (عبدالكريم الجربا) ؟ أقسم بالله أن غليون (جدعان بن مهيد) عندما كان يعطيني مَجَّة الدخان منه يَسْوى عندي (عبدالكريم الجربا) وقبيلة (شَمَّر) . فعندما سمع (عبدالكريم الجربا) قوله أكبر وفاءه ، والتفت إلى الشّمري ، وقال له : (والله إن علمت أنك ساكن في منازل (شمَّر) لأقطعنَّ رأسك ، وطرده حالاً .

وأمَر (عبدالكريم الجربا) رجاله أن يُحْضِروا لِـ(مِجْدى) خمس عشرة ناقة من النِّياق الرِضْع ـ أي البيض ـ مع فرس بيضاء (يدعونها الصفرا) قدمها له هدية تقديراً لشجاعته الأدبية ، ولم يغضب ، بل أثنى عليه ـ وقال له : (لوقلت غير الذي سمعته منك ، لاستهجنتك !) فخذ هذه الهدية تقديراً مني لوفائك

لشيخك (جدعان بن مهيد) . وبقي عند الشيخ (عبدالكريم الجربا) معززاً مكرماً .

قرر الشيخ (عبدالكريم الجربا) أن يغزو قبيلة (عَنَزَة) فذعر (مِجْدى) وظهر الذهول على وجهه ، فناداه (الشيخ عبدالكريم الجربا) قائلاً : تفضل يا (مِجْدى) هذه القهوة والشاي قد حضرا فمالي أراك عابِساً ؟

أجاب (مِجْدَى) : (يا سكران المجانين ـ وهذا هو اللقب الذي كان يلقب به ـ أو الكنية ـ التي كانت تطلق على (عبدالكريم الجربا) عند قبيلة شَمَّر ـ ويعنون بِها أنه إذا جاء وقت الحرب أو الكرم ، لا يفكر في عواقب الأمور .

تدري ياسيدي لمن هذه الديار التي نَحْن فيها ؟

أجاب (عبدالكريم الجربا) أعلم أنَّها منازل (عنزة) فأجاب (مِجْدى) : لقد كنت أُقِيْمُ معهم ، فسأله (عبدالكريم الجربا) : هل قلت فيها شعراً ؟ وأجاب : نعم فلما أنشده القصيدة قال : لقد عدلنا عن مهاجمة (عنزة) ونَحْن عائدون إلى ديارِنا !

فلما علم (جِدعان بن مهيد) بما قاله (مِجْدى) بتفضيله إياه على (عبدالكريم الجربا) وعلم بقصيدته التي صَدَّتِ (الجربا) عن الإغارة عليهم . أرسل لِـ (مِجْدى) وَفداً يدعوه أن يعود إليهم معززاً مكرماً لا يعصى له أمر ، ولا يُهانُ بكلمة . فشكر الشيخ (عبدالكريم) واعتذر له واستأذنه في الرحيل . فسمح له ، وأكرمه ، فعاد إلى الشيخ (جدعان بن مهيد) إلى أن تذكر بلاده (نجد) وختم حياته بالحجة إلى البيت العتيق !

٥ ـــ **(الشيخ خلف الاذن)** : الشيخ الفارس المشهور ، من قبيلة (الرولة) من (الشعلان) رؤساء قبيلة الرولة من (عنزة) و(الشعلان) مشهورون بين القبائل ، ويقسمون إلى أربع أفخاذ :

١ ـــ فخذ آل نائف والرئاسة متسلسلة فيهم .

٢ ـ آل مشهور . ٣ ـ آل مِجْول . ٤ ـ وآل زَيْد الذين منهم (الشيخ خلف الأذن) المشهور .

وأسرة (الشعلان) اشتهرت بين القبائل ببطولة أبنائها . وقد قيل في (الشعلان) مدائح كثيرة ، قالها شعراء أعدائهم الأمر الذي يدل على سماحة البادية ، فالبدو الأُصَلاَءُ لا يتحرَّجُوْن من ذكر بطولات أعدائهم ! وقد كان خلف الأذن من فرسان الشعلان المتفوقين وكانوا يكنونه بـ (أبو الشيوخ) لكثرة ما قتل من الشيوخ في المعارك . وكثيراً ماكان يختلف في الرأي مع شيوخ القبيلة . وفي عهد (صطّام بن شعلان) شيخ القبيلة أغار الشيخ (تركي بن مُهيد) شيخ قبيلة (الفِدْعان) على إبل أسرة (الزيد الشعلان) وحماة القبيلة غائبون ، فغنم إبلاً كثيرة وفي عدادها إبل لابن عم (خلف الأذن) ـ اسمه (عرسان أبو جذلة آل زيد) وهذه الإبل مشهورة في (نجد) ويسمونها (العِليْ) ألوانها وِضِح ِ ـ أي بيض ـ .

وقد تأثرت القبيلة كلها ماعدا الشيخ (صطام بن شعلان) الذي كان يريد أن يعيد الإبل بالتفاوض ، لا بالغزو ، لأن زوجته (تركية) هي أخت الشيخ (تركي ابن مهيد) . لكن سياسة الشيخ (صطام) المسالمة لم تعجب الشيخ (خلف الأذن) وبقية (آل زيد) الذين أصروا على الثأر من (تركي بن مهيد) فلما رأى الشيخ (صطام) إصرار القبيلة انضم إلى (آل الشعلان) عامة ، وانضم إلى (آل الشعلان) مشايخ الرولة كافة ، بقيت قضية عقيد الغزو ، فلما عرضوا الأمر على (الشيخ صطام) المشهور بذكائه وحنكته وأدرك أن القوم جادُّون قرر أن تكون الغارة صباحاً ، وأرسل ـ خفية إلى شقيق زوجته (الشيخ تركي بن مهيد) ـ القريبة منازله ـ نذيراً ، ليحتاط ، لكن (تركي بن مهيد) قال للنذير : (عُدْ إلى صطام وقل له : إني لن أغادر مكاني هذا ، وسأردّهم يجررون أذيال الخيبة والنّدم ، وقد كان (تركي) شجاعاً باسلاً ، لكن جموع الرولة يتقدمها (النُّوري الهزاع) و(خلف الأذن) ـ أبو الشيوخ ـ كانت كاسحة .

برز (تركي بن مهيد) لابساً درعاً وخوذة ، ووقف وسط الميدان ، فلم يستطع الفرسان أن يتغلبوا عليه ، وفي هذه الأثناء كان الشيخ (خلف الأذن) قد وقف

على أكمة ممتطياً فرسه المسماة (خلفة) يراقب المعركة ، فلما رأى الفرسان عاجزين عن مقارعة (تركي) انقضّ عليه ، واختطفه عن ظهر جواده ، وطرحه على الأرض ، وترجّل وجدع أنفه بسيفه المسمى (شامان) ولم يُرِد أنْ يقتله بسيفه ، بَلْ قال لفرسان الرولة : هذا (تركي بن مهيد) وكأنما هو يقول لكل حاقِدٍ عليه : اشْفِ غليلك منه ، بعد أن أذللته بجدع أنفه فتجمع فرسان الرولة ، وقتلوه ! وهكذا انطوت صفحة رجل كان من أشجع الرجال وأكرمهم ، إذ ضرب بكرمه المثل ، فكانوا يسمونه لكرمه الحاتمي (مْصوِّتٍ بَالْعَشَا) فغنم الرولة أموال (تركي ابن مهيد)وأموال قبيلة (الفدعان) كلها ، واسْتَردُّوا وُضح (عرسان أبو جذلة) وقد قال (خلف الأذن) قصيدة يفتخر بها ويلمح إلى ما صنع وفيها يقول :

وأنا اَحْمِدَ الله طَارْ عَنَّا فِشَلْنَـا   جعَلْ مِصَبُّه فَوْقَ رَاسَ الغَلِيْلَهْ،
إنْ قِـدَّمَ المركَبْ وِعِنْـدَه حَفَلْنَا   كَمْ رَاسْ شَيْخ عَنْ كِتُوفِهْ نِشِيْلِهْ!

فلما علم (مِجْدى) بمقتل الشيخ (تركي بن مهيد) ابن صديقه (جدعان بن مهيد) حزن ونظم قصيدة يتوعد بها (خلف الأذن) مطلعها :

يَـا (خَلَفَ الاذَنْ) بَالِـكْ تَغَبَّـا   يِذْكر لِنَا عِنْدَكْ قِعُـودٍ جِلاَّبَـه!

فرد عليه (خلف الأذن) بقصيدة مطلعها :

كانَ اَنْتْ يا (مِجْدَى) لِعِلْمي تَنَبَّا   عَيْبٍ عَلَى آللِّيْ مَايْثَمِّنْ جِوَابَهْ!

ومنها :

أَشْبِعْ عْيَالِكْ جِعْلْ قِيْلِكْ يْهَبَّـا   شَاعِرْ نَوَرْ تَلْعَبْ عَلَى آبو عَتَابَهْ

ومن غرائب الصدف ، أنّ (مِجْدَى الهبداني) ـ بعد تهديده شعراً لِـ (خلف الأذن) رافق غزاة من قبيلة (الفدعان) الذين هاجَمُوا (الرولة) وغنموا إبلاً لهم ، فاستردُّها (الرولة) وأسروا بعض الغزاة وكان (مِجْدى) في عداد الأسرى . فأخذ آسره فرسه . فاغتنم (خلف الأذن) الفرصة ليهزأ بـ(مِجْدَى الهَبْداني) فبعث بقصيدة تَهكميَّةٍ إلى الشيخ (محمد بن سمير) صديق (مِجْدى) وهو شيخ قبيلة (وِلْد

علي من عنزة) الذي جاوره ولجأ إليه (مِحْدِي) فأعزه، منها :

وِتْجارتِكْ ياشِيْخْ ضَاعَتْ مْنَ الْكِيْسْ   تِفَـرَّقَتْ لِمْقَـطْعِـينَ آلْخَـرُومِيْ
ورَاحَنْ عْلَيْات (الْمَبْيدِيْ) بسَابِيْس   خَلُّوهْ بِقْيَاعٍ آلشَّجَر تِقِلْ بُوْمِي!

مبدأ (أنا وَاخوي على ابنْ عَمِّي ، وَآنَا وابنْ عَمِّي على الغريب):

على الرغم من الخلاف المحتدم بين الشيخ (خلف الأذن) والشيخ (صطام بن شعلان) فإنَّ (خلفاً) تناسى ذالك يوم غزا (بنو صخر) الرُّوَلَةَ ، في الأراضي السورية ، وغنموا إبلاً للمدعو (النِّيص) عبد (ابن شعلان) فهجم (ابن شعلان) على (آل الفايز) و(آل الزبن) من (بني صخر) ووقع في المعركة أبطال من (بني صخر) عُرِفوا بالشجاعة النادرة ـ فأراد (بنو صخر) أن يثأروا من (خلف الأذن) وقد تحالف (بنو صخر) و(السردية) وزعيمهم (الكنج) على (الرولة) ، وبينما كان (خلف الأذن) وجماعته مارِّين بالقرب من (آبار مَيْقُوع) إلى (سورية) شاهد (خلف الأذن) نسراً قشعماً يجرُّ جناحيه عاجزاً عن الطيران ، لكبره وجوعه ، فقال (خلف) ـ ضاحكاً ـ : كم أتمنَّى أن تُحْدث هنا معركة ليعتاش هذا النسر الهرم أياماً ، لم يُتِـمَّ كلامه حتى أَحَاطَتْ خَيْلُ (بني صخر والسردية) بإبل الشعلان وغنموها ، فدافع القوم واستردّوا إبلهم ، وقُتِلَ (الكنج) ، وقد خلد (خلف الأذن) ذاك الانتصار بشعر كنا نَرْوِيهِ ونحن صغار .

لكن الخصومة بين (خلف الأذن) ومشايخ الرُّولة ظَلَّتْ مُشْتَعِلَةً ، لأن (خلفاً) ليس من الذين ينقادون بسهولة . وقعتْ خصومة بين (خلف الأذن) وجماعة من الرولة ، فقتل منهم اثنين ، فلم يستطيعوا أن يأخذوا منه الثأر ، فدفع ديتهُمَا ، واشْتَرَطَ زعيم الرولة ـ يومذاك ـ الشيخ (فهد بن هزاع) الذي ورث كراهية (خلف) ـ أن يدفع (خلف) زيادة على الدية فرسه المسماة (خَلْفَة) فرفض ، وارتحل هو وجماعته من الديار السورية إلى (نجد) وأرسل بقصيدة وجهها إلى الحارس المقرب للشيخ (فهد) ختمها بقوله :

أَنَا على (خَلْفَه) وَبالكفّ (شَامَانْ)   وكَمْ راسْ شَيْخٍ عَنْ تَرَاقِيْهْ شَالَهْ!

سمع الشيخ (فهد) هذا التعريض ، فلم يفه بكلمةٍ .

وصل الخلاف بين (خلف الأذن) والشيخ (النوري) حدًّا خطيراً فقصد (النوري) (خلفاً) في بيته على حين غِرَّة ، وأخذ يهدده فشاهد (ذياب بن خلف) الخيل واقفة عند بيت أبيه ، ولم يَتَرجَّل راكبوها ، فارتاب ، ودخل بيت أبيه من خلفه ، فلما رآه أبوهُ انتعش وقال له : (اذْبَح الرجَّال يا (ذياب) فأطلق (ذياب) النّار على (النُّوري) فولَّى (النوري) هارباً وتبعه رفاقه ، وفيها هم راجعون شاهدوا خيل خلف ترعى بعيدة عن البيْت فأَخذوهن فأراد ذياب أن يَسْتَرِدَّ الخَيْل بالقوة فمنعه أبوه قائلاً : (لا نريد أَنْ نقتل أحداً من أبناء عمنا ، ستَعُود الخيل . فلما رأى (ذياب) خدم الشيخ (النوري) يريدون أن يضموا خيل أبيه إلى خيل (النوري) كمن لهم في الطريق ، فلما قربوا منه برز لهم وقال : (تعرفون من أنا ؟) أجابوا : أنت عمنا (ذياب) . وكان مشهوراً بالشجاعة . فأمرهم بأن ينزلوا من عن (قِطِيِّ الخيل) ـ أعجازها ـ وهَدَّدَ من ينزل من جانب الفرس بالموت . ففعلوا وأعاد خيل أبيه إلى مرابطها .

اشْتَهر (خلف الأذن) بالكرم، واحترام الجار، وبالشمم، وبالشجاعة التي لا تقف عند حدٍّ ، وبالإباء وعزة النفس ، وبأنه شاعر مطبوع ، يرتجل الشعر ارتجالاً ، كانوا يسمونه بـ (أبو الشيوخ) لكثرة من قتل من الشيوخ في المعارك . أثنى عليه الشيخ (عجلان بن رمال الشَّمَّري) بقصيدة من عيون الشعر في البادية . منها :

اللِّي قِصْيِرهْ كِـلِّ يُوم حَشِيْمِيْ   مَا يِقْهَرَ الرِّجْلي إلى جَا بدَارَهْ،
وِآلضِّيْفْ عِنْدَه فِيْ جنَانٌ النِّعِيمِيْ   يَلْقَى الكَرَامَهْ قَبْلِ يِبْدِي خبارهْ

لقد حَسَبْنَا الشيوخ المشاهير الذين قتلهم (خلف الأذن) في معارك مشهورة ، فكانوا تسعة . ومن إعزاز (خلف الأذن) للجار أنَّ جاراً استجار به اسمه (ابن عدلان) كان أحد حكام (آل الرشيد) قد بَتَر يَدَيْهِ فظل جاراً لخلف الأذن وأَخَوَيْهِ مدة طويلة ، فاقسموا على أنفسهم أن يواصلوا إطعامه بملعقة ، ويشاركوه بأكله .

وكانتْ نهاية (خلف الأذن) محزنة ، إذ هاجمه في بيته ـ وهو نائم غزاة من قبيلة (شَمَّر) في منتصف الليل ، وأطلقوا عليه وعلى زوجته النار ، وكان مريضاً تقدمت به السّن ، فأردَوْه هو وزوجته قَتِيلَيْنْ ، وهكذا طُوِيَتْ صفحةُ (أبو الشيوخ) ! . . لكن الشعلان أخذوا بثأره من قبيلة (شَمَّر) .

بقي أن نقول كلمة تلخص رأينا في هذا الشِّعْرِ النَّفيس :

إنه تصوير بارع لحياة شبه الجزيرة العربية أيام كانت الدولة العثمانية تملك ولا تحكم ، وكانت القبائل شعارها (عِدَّ رْجالَكْ وِرْدَ الماء) .

صور الشجاعة العجيبة ، والكرم ، وحماية الجار ، ووفاء الأخوة ، واحترام الأُبوّة ، والأنفة من الذل . وضع بين أيدينا أُصالة البداوة ، وصدق الشاعرية في كل موقف ، وبيّن لنا أن هؤلاء الزعماء شعراء بالفطرة يذيبون الشعر ، والشعر يذيبهم . صَوَّر لَنَا المعارك كأنَّنا نسْمع صهيل الخيل ، وصليل السيوف وخشخشة الدروع ، وصلصلة اللُّجُمِ ورغاءَ الإبل يسوقُها الغانِمُون .

تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب كأنك تتمتع بشميم عرار نجد ، وخزامَاهَا ، وشيحها وقيصومها ! فما قرأت في ما كتب على البداوة أشدَّ إمْتَاعاً ومؤانسة من كتاب «أبطال من الصحراء» من آثار . فتحية مؤلفه الفاضل الشاعر المبدع الأستاذ محمد بن أحمد السديري ـ تغمده الله بعفوه ورضوانه ـ .

عَمَّان : **روكس بن زائد العزيزي**

الحواشي :

(١) هدايا أستاذنا الأجل هي مجلته الشهيرة (العرب) ومؤلفاته التي تعلم العقل أولاً ، والعلم ثانياً وآداب النقد ، وبراعة التحقيق .

(٢) قلاعة ـ القلاعة هي التي يقتل صاحبها ، ويغنمها قاتله . ويطلق الاسم على الفرس التي يسقط صاحبها وتغنم .

(٣) المجين والمجينة من الخيل ، هي غير المحصنة المشكوك في أصالتها ـ البرذون أو هي مايسميه الارادن الكديشة ، والذكر الكريش .

(٤) لم أعود فرسي على كسب الأغنام ـ من أصحاب الأغنام الذين هم أصحاب الشياه ، ولا كسب الابقار من الفلاحين لأن البدو يعتبرون أصحاب الأغنام والفلاحين أقل قيمة من أصحاب الابل . وكذلك يعدون ←

ما اتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤)

ـ ٦٤ ـ

٢٨٢ ـ بَابُ حِلِّيْتٍ ؛ وَخِلِّيْتٍ[١]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : ـ بِكَسْرِ الْـحَاءِ وَاللَّامِ الْـمُشَدَّدَةِ وآخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ : ـ قَالَ ٱلْأَزْهَرِيُّ : مَوْضِعٌ ذَكَرَهُ الرَّاعِي :

بِـحِلِّيْتَ أَقْوَتْ مِنْهُـمَا وَتَبَدَّلَتْ

قَالَ : وَيُرْوَى : بِـحِلِّيَة[٢] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ـ فِي كِتَابِ الخاءِ ـ: (بَابُ الْـخَلِيْتِ وحِلِّيت) .

(٢) قال نصر : عَنْ حِلِّيْتَ : وَأَمَّا بِالْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ ـ: جِبَالٌ مِنْ أَخْيِلَةِ الْـحِمَى بِضَرِيَّةَ ، عَظِيْمَةٌ كَثِيْرَةُ =

← كسب الغنم والبقر أقل قيمة من كسب الابل .

(٥) في هذا الموقف ظهرت قيمة الكلمة عند (ساجر) وظهرت سلطته على جماعته .

(٦) يامُتَيِّه ابله ـ أي يامرسلا إبله بلا حراسة لأن شجاعته تحميها .

(٧) يسمي البدو في ديارنا وفي الحجاز الفرس البيضاء (صفرا) بلا همز ، وهي عادة مألوفة عند البدو لا غرابة في ذلك فإن العرب قد خبطوا في الألوان خبطاً عجيباً ، فسموا الاخضر أسود فقالوا : سواد العراق ـ وهم يعنون المكان المغطى بالأشجار الخضر . وقالوا فلان اخضراني للرجل الأسمر ، وقالوا فرس صفرا وهي شهباء أو بيضاء .

(٨) معنى البيت : كل واحد منكم يتبع الدنايا ، لعن الله اباكم ، كيف يعهد إليكم الناس ويتزوجون بناتكم وأنتم في هذا المستوى الحقير وكيف يقبلون أن تكونوا أخوالاً لأبنائهم ؟

(٩) معنى البيت : ياليتني من (الصلبة) وهم في رأينا من بقايا الصليبيين لا يعرف لهم أصل ، لا يغزون ، ولا يُغزى عليهم ، ولا يعهد إليهم مشايخ البدو ، فهو يتمنى لو أنه من الصلَبَة بلا أصل فلا يسأل عنه ، ولا يسأل عن احد .

(١٠) الشوايا هم الذين يسميهم الأرادنة (الشاوية) الذين يربون الأغنام وقيمتهم دون قيمة أصحاب الإبل ـ والأرادنة يقولون : «خير ما بالشاوي صبّ سمنه» أي أفضل شيء بصاحب الأغنام انه إذا أراد أن يكرم ضيوفه أكثر من سكب السمن على المنسف .

وَقَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ وَالْـجُمَحِيُّ فِي شِعْرِ أَبِي ضَبٍّ الْهُذَلِيِّ :

وَأَخَذْ بَـزِّيْ فَـاتَّبِعْتُ عَـدُوَّكُمْ   والْقَـوْمُ دُوْنَهُمُ الْـحُلَيْتُ فَأَرْبَـدُ

يُقَالُ الْـحُلَيْتُ - بِضَمِّ الْـحَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَتَخْفِيْفِهِ ، وَيُقَالُ الْـحِلِّيْتُ - بِكَسْرِ الْـحَاءِ(٣).

= الْقِنَانِ ، كَانَ بِهَا مَعْدِنُ ذَهَبٍ مِنْ دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ انتهى . وبَعْدَ أَنْ ضَبَطَ يَاقُوتُ اسْمَ جِلِّيت أَوْرَدَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ : جِلِّيت بِوَزْنِ خِرِّيْتٍ : مَعْدِنُ وَقَرْيَةٌ ، ثُمَّ كَلَامَ نَصْرٍ ، ثم نَقَلَ عَنْ كِتَابِ أَبِي زِيَادٍ : جِلِّيت مَاءٌ بِالْحِمَى لِلضِّبَابِ ، وبِجِلِّيتَ مَعْدِنُ جِلِّيت - ثُمَّ الشِّعْرَ الْـمَنْسُوبَ لِلرَّاعِي كَمَا فِي كِتَاب الْـحَازِمِيِّ ، أَمَّا البَكْرِيُّ فِي «معجم ما استعجم» فَأَطَالَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي رَسْمِ ضَرِيَّةَ - بِمَا نَقَلَهُ عَنِ الْهَجَرِيِّ فِي تَحْدِيْدِ الْـحِمَى وَلَـمْ يُصَرِّحْ بِنِسْبَةِ الْقَوْلِ إلى الْهَجَرِيِّ ولكنَّ السَّمْهُودِيَّ فِي «وفاء الوفاء» نَقَلَ نَصَّ الكَلَامِ مُصَرِّحاً بِنَقْلِهِ من كِتاب الْهَجَرِيِّ ، وَلَا دَاعِي لِلتَّطْوِيْلِ بِإِيْرَادِهِ ، ولِزِيَادَةِ الإِيْضَاحِ عَن جِلِّيتَ وَمَعْدِنِهِ يَحْسُنُ الرُّجُوعَ إِلَى مَا كَتَبْتُهُ فِي حَوَاشِي كِتَابِ «الْـجَوْهَرَتَيْنِ» لِلْهَمْدَانِيِّ وجِلِّيت مِنْ أَشْهَرِ جِبَالِ الْـحِمَى الْـمَعْرُوفِ قَدِيماً بِاسْمِ حِمَى ضَرِيَّةَ ، وَلَايَزَالُ مَعْرُوفاً ، وَهُوَ الْـحَرِيُّ بِأَنْ يَذْكُرَهُ الرَّاعِي النُّمَيْرِيُّ ، لِأَنَّهُ فِي بِلَادِ قَيْسٍ مِنْ نَجْدٍ وتِلْكَ بِلَادُهُ بِخِلَافِ حَلْيَةَ الْوَادِي التِّهَامِيِّ الَّذِي يَذْكُرُهُ شُعَرَاءُ هُذَيْلٍ ، وَالأَزْهَرِيُّ - رَحِمَهُ الله - حِينَ يُحَدِّدُ الْـمَوَاضِعَ الَّتِي شَاهَدَهَا فِي شَرْقِ الْـجَزِيْرَةِ مِنْ نَوَاحِي الْبَحْرَيْنِ فَحَسْبُكَ بِتَحْدِيْدِهِ ، وعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ غَيْرِهَا نَاقِلاً فَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ اللُّغَوِيِّيْنَ ، وَقَوْلُهُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْـحَازِمِيُّ هُوَ فِي كِتَابِ «تهذيب اللُّغة» - ٤٤١/٤ - بِنَصِّهِ ، ولَـمْ يَرِدْ قَوْلُ الرَّاعِي فِي شِعْرِهِ الْـمَجْمُوعِ فِي عَصْرِنَا سِوَى مَا نُقِلَ عَنْ الأَزْهَرِي . وَجِلِّيْتُ يَقَعُ بِقُرْبِ خَطِّ الطُّوْلِ : ٣١/٤٣° وخَطِّ الْعَرْضِ : ٤٧/٢٤° - وَقَدْ أُنْشِئَ بِقُرْبِهِ عَدَدٌ مِنْ هُجَرِ الْبَادِيَةِ التَّابِعَةِ لِإِمَارَةِ الدَّوَادِمِي .

وَقَالَ نَصْرٌ عَنْ حَلْيَةَ فِي (بَاب حَلْيَةَ وجَلْيَةَ وحُلَيَّة): حَلْيَةُ - بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ -: وَادٍ بِتِهَامَةَ ، أَعْلَاهُ لِهُذَيْلٍ وأَسْفَلُهُ لِكِنَانَةَ ، وقِيلَ : بَيْنَ أَعْيَارٍ وعُلْيَبَ ، فِي السَّرَيْنِ ، وَقِيلَ : هُوَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ . انْتَهَى . وزَادَ يَاقُوتُ : وَقِيلَ : حَلْيَةُ مَوْضِعٌ . بِنَوَاحِي الطائف ، ونَقَلَ عن أبي المنذر خَبَراً طَوِيْلاً في نُزُولِ بَجِيلَةَ وخَثْعَمَ جِبَالَ حَلْيَةَ وَمَاصَاقَبَها مِنْ جِبَالِ السَّرَاةِ - وَكُلُّ الأَقْوَالِ تِلْكَ تَنْطَبِقُ عَلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَاسِعٍ ، هُوَ مِمَّا يَلِي الطَّائِفَ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بالسَّرَاةِ ، يَنْحَدِرُ مِنْهَا وَادٍ بِنَفْسِ الاسْمِ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ قُرْبَ مِينَاءِ السَّرَيْنِ ، وَكَانَ على مَقْرُبَةٍ من بلاد هُذَيْلٍ ، ولِهَذَا كَثُرَ ذِكْرُهُ فِي أَشْعَارِهِمْ ، ويُعْرَفُ الآن بِاسْمِ وَادي الشَّاقَةِ الشَّامِيَّةِ (أي الشَّمَالِيَّةِ . وأعلاه يُعْرَفُ بِاسْمِ حَلْيَةَ مَتْعَانَ - بِالإِضَافَةِ لِسُكَّانِهِ وتَنْحَدِرُ فُرُوعُهُ مِنْ جِبَالِ السَّرَاة - شَرْقَ جَبَل إِبْرَاهِيم ، بِقُرْبِ خَطِّ الطُّوْلِ ٣٥/٤١° ويَنْصَبُّ مُغَرِّباً صَوْبَ الْـبَحْرِ بِقُرْبِ خَطِّ الطُّوْلِ ٣٥/٤٠° وَيَجْزَعُ خَطَّ الْعَرْضِ ٢٠° أَسْفَلَهُ ، وَتَمْتَدُّ فُرُوعُه إلى قُرْبِ خَطِّ الْعَرْضِ ٣٥/٢٠° ومُنْتَهَاهُ فِي الْبَحْرِ بِقُرْبِ خَطِّ الْعَرْضِ ٥٣/١٩° .

(٣) قَوْلُ أَبِي ضَبٍّ الْهُذَلِيِّ وَرَدَ فِي كِتَابِ «شَرْحِ أَشْعَارِ الْهُذَلِيِّينَ» - ص ٧٠٣ - بِهَذَا النَّصِّ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْـحَازِمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ قَصِيْدَةٍ قَالَهَا فِي خَبَرِ يَوْمِ الْـحُلَيْتِ ، حِينَ خَرَجَ هُوَ وابْنُ أُخْتٍ لَهُ لِيَأْخُذَ الثَّأْرَ مِنْ بَنِي نُفَاثَةَ الَّذِيْنَ قَتَلَ أَحَدُ جِيْرَانِهِمْ مِنْ جُهَيْنَةَ رَجُلاً مِنْ هُذَيْلٍ ، فَذَهَبَا حَتَّى قَتَلَا سَيِّدَ الْقَوْمِ ، وَانْصَرَفَا ، فَقَالَ قصيدة فِيهَا الْبَيْتُ :

وَأَخَـــذْتُ ... ... الْـحُلَيْـتُ فَـأَرْبَـــدُ =

حَتَّى طَـرَقْتُ بَنِي نُفَـاثَـةَ مَـوْهِـنـا ... ...

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ والْبَاقِي نَحْوَ ٱلْأَوَّلِ ـ: اسْمُ تِيَّهَاءَ(٤).

٢٨٣ ــ بَابُ حُلَيْفَةَ، وَخَلِيْفَةَ، وخَلِيْقَةَ(١)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الْـحَاءِ وَفَتْحِ اللاَّمِ ـ: ذُوْ الْـحُلَيْفَةِ مَهَلُّ أَهْلِ الْـمَدِيْنَةِ ، وَهِـيَ بِقُرْبِ الْـمَدِيْنَةِ .

وَمَوْضِعٌ آخَرُ بَيْنَ حَاذَةَ وذَاتِ عِرْقٍ مِنْ تِهَامَةَ(٢).

= وَبَنُو نُفَاثَةَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ الدِّيْلِ بْنِ بَكْرٍ ، يُجَاوِرُوْنَ هُذَيْلاً فِي مَنَازِلِهِمْ جَنُوبَ مَكَّةَ ، بِنَوَاحِي إِدَامٍ وَضَيْمٍ وَدُفَاقٍ وَعَرْعَرَ وَحُشُنٍ ـ انظر «شرح أشعار الهذليين»: ٣٦٢ ـ وَعَلَى هٰذَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْـمَوْضِعُ الْوَارِدُ فِي شِعْرِ أَبِي ضَبٍّ اللِّحْيَانِيِّ الْهُذَلِيِّ فِي تِلْكَ الْـجِهَةِ .
وَقَدْ أَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ بَيْتَ الْهُذَلِيِّ فِي «معجم ما استعجم» ...... الْـحُلَيْتُ فَأَرْثَدُ .
وَكَذَا صَاحِبُ «معجم البلدان» وَأَرَى أَنَّ أَرْثَدَ هُنَا تَصْحِيْفٌ وَأَنَّ الصَّوَابَ مَاجَاءَ فِي كِتَابَيْ «شَرْحِ أَشْعَارِ الْهُذَلِيِّيْنَ» وَ«الْبُلْدَانِ» لِلْـحَازِمِيِّ ، إِذْ أَرْثَدُ يَقَعُ شَمَالَ مَكَّةَ ، بِقُرْبِ ٱلْأَبْوَاءِ ، واتِّجَاهِ الشَّاعِرِ جَنُوبًا حَيْثُ تَقَعُ بِلاَدُ أَعْدَائِهِ ، وَمِنْ دُونِهَا الْـمَوْضِعَانِ الْـمَذْكُورانِ .
وَكَأَنَّ الْـحَازِمِيَّ أَرَادَ بِالْإِسْتِشْهَادِ بِاخْتِلاَفِ الرِّوَايَةِ فِي شِعْرِ الْهُذَلِيِّ عَلَى وُرُوْدِ الاسْمِ بِثَلاَثِ صُوَرٍ : حِلِّيْتَ ، والْـحُلَيْتِ ، وَالْـحَلِيْتِ ، وأَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ» صُوْرَةً رابِعَةً عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ : حُلَيْب ـ بِالْبَاءِ المعجمة بِوَاحِدَةٍ ـ وحِلِّيْتُ الْوَاقِعُ فِي نَجْدٍ الْوَارِدُ فِي أَشْعَارِ أَهْلِهِ ـ هُوَ كَمَا ضَبَطَهُ أَوَّلَ الْبَابِ ، والْـمَوْضِعُ الْوَارِدُ فِي شِعْرِ الْهُذَلِيِّ وَقَعَ فِي ضَبْطِهِ الاخْتِلاَفُ ـ كَمَا تَرَى ـ وَالْـمَوْضِعَانِ مُتَبَاعِدَانِ ٱلْأَوَّلُ فِي نَجْدٍ وَلاَيَزَالُ مَعْرُوْفًا ، والثَّانِي فِي تِهَامَةَ جَنُوبِيَّ مَكَّةَ ، مَعْرُوفُ الْـجِهَةِ ، مَجْهُولُ الْـمَوْقِعِ .
(٤) قَالَ نَصْرٌ : أَمَّا بِالْـخَاءِ ، ٱلْأَبْلَقُ الفَرْدُ الْـمَذْكُورُ فِي ٱلْأَشْعَارِ ، وَهُوَ بِتَيَّهَاءَ . وَعِنْدَ يَاقُوتٍ : هُوَ اسْمُ ٱلْأَبْلَقِ الْفَرْدِ الَّذِيْ بِتَيَّهَاءَ ـ وَفَرَّقَ بَيْنَ التَّعْرِيفَيْنِ مَعَ الاتِّفَاقِ عَلَى ضَبْطِ الاسْمِ . وَمِثْلُ مَا قَالَ يَاقُوتُ نَقَلَ صَاحِبُ «تَاجِ الْعَرُوسِ» عَنِ الصَّاغَانِيِّ ، وأَضَافَ : وَقَدْ ذُكِرَ فِي ٱلْأَشْعَارِ ، ولَـمْ يُوْرِدْ فِي رَسْمِ (خَلَتَ) سِوَاهُ مِـمَّا يَدُلُّ عَلَى انَّ الْـمَادَّةَ مُهْمَلَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ غَرِيْبَةٌ كَكَثِيْرٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْـمَوَاضِعِ الْـمُوْغِلَةِ فِي الْقِدَمِ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي كِتَابِ الْـخَاءِ : (بَابُ الْـخَلِيْقَةِ وَالْـجَلِيْقَةِ وحُلَيْفَة) .
(٢) قَالَ نَصْرٌ : ـ بِضَمِّ الْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ اللاَّمِ وَفَاءٍ ـ: ذُوْ الْـحُلَيْفَةِ بِقُرْبِ الْـمَدِيْنَةِ ، يُحْرِمُ مِنْهُ حَاجُّهَا مِنَ الْـحِجَازِ ، وَمَوْضِعٌ بَيْنَ حَاذَةَ وَذَاتِ عِرْقٍ مِنْ تِهَامَةَ ، فِي الْـحَدِيْثِ عَنْ رَافِعِ بْنِ خُدَيْجٍ : كُنَّا بِذِيْ الْـحُلَيْفَةِ مِنْ تِهَامَةَ فِي غَزَاةٍ . انتهى . وَفِي «معجم الْبُلْدَانِ»: ذُوْ الْـحُلَيْفَةِ قَرْيَةٌ بَيْنَها وبَيْنَ المدِيْنَة سِتَّةُ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةٍ ، ومِنْهَا مِيْقَاتُ أَهْلِ الْـمَدِيْنَةِ ، وَهُوَ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جُشَمٍ ، بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي خَفَاجَةَ مِنْ عُقَيْلٍ ، وَذُوْ الْـحُلَيْفَةِ الَّذِي فِي حَدِيْثِ رَافِعِ بْنِ خُدَيْجٍ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِذِيْ الْـحُلَيْفَة مِنْ تِهَامَةَ فَأَصَبْنَا نَهْبَ غَنَمٍ ، فَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ حَاذَةَ وذَاتِ عِرْقٍ مِنْ أَرْضِ تِهَامَةَ وَلَيْسَ بِالْـمُهَلِّ الَّذِيْ بِقُرْبِ الْـمَدِيْنَةِ . انتهى . وَفِي «مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ»: ذُوْ الْـحُلَيْفَةِ مَاءَةٌ بَيْنَ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ وَبَيْنَ بَنِي خَفَاجَةَ الْعُقَيْلِيِّيْنَ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ الْـمَدِيْنَةِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَقِيْلَ سَبْعَةٌ ـ ثم أَوْرَدَ النُّصُوْصَ الْـمُتَعَلِّقَة بِمَوْضِعٍ =

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ لاَمٌ مَكْسُورَةٌ ـ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ يُشْرِفُ عَلَى أَجْيَادٍ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ بَعْدَ الْيَاءِ قَافٌ ، وَالْبَاقِي نَحْوُ مَاقَبْلَهُ ـ: مَنْزِلٌ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِيْلاً مِنَ الْمَدِيْنَةِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِيَارِ سُلَيْمٍ(٤).

وَأَيْضاً : مَاءَةٌ عَلَى الْجَادَّةِ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَمَكَّةَ(٥).

= الإِحْرَامِ الَّذِي بِقُرْبِ الْمَدِيْنَةِ ، وَالَّذِي عُرِفَ فِيْمَا بَعْدُ بِـ(آبَارِ عَلِيٍّ) وَلاَيَزَالُ مَعْرُوْفاً وِمِنْهُ يُحْرِمُ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ عُمْرَانُهَا ، ولكن الَّذِي يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ عَلَيْهِ هُوَ :

١ ـ لاَصِلَةَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ مَوْضِعِ الإِحْرَامِ بِبِلاَدِ بَنِي جُشَمٍ الْهَوَازِنِيِّيْنَ الْوَاقِعَةِ بِقُرْبِ الطَّائِفِ وشَرْقَهُ حَيْثُ تَتَّصِلُ بِبِلاَدِ عُقَيْلٍ الْبَعِيْدَةِ عَنِ الْمَدِيْنَةِ بِمِئَاتِ الأَمْيَالِ .

٢ ـ ذُوْ الْحُلَيْفَةِ يَظْهَرُ أَنَّ الأَصْلَ فِي التَّسْمِيَةِ مِنْ نَبَاتِ الْحَلْفَاءِ ، ولِهَذَا فَالاسْمُ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ ، فَفِي مِنْطَقَةِ حَائِلٍ غَرْبَهَا فِي شَمَالِ نَجْدٍ قَرْيَتَا الْحُلَيْفَةِ الْعُلْيَا والْحُلَيْفَةِ السُّفْلَى ، حدَّدْتُ مَوْقِعَهُمَا فِي قسم (شَمَالِ المملكة) من «المعجم الجغرافي» وبَيْنَ حَاذَةَ وَذَاتِ عِرْقٍ ذُوْ الْحُلَيْفَةِ ـ على ماذَكَرَ نَصْرٌ ويَاقوتٌ ـ وَذُو الْحُلَيْفَةِ مَوْضِعُ الإِحْرَامِ .

٣ ـ الْقَوْلُ بِأَنَّ مابَيْنَ حَاذَةَ وذَاتِ عِرْقٍ مِنْ أَرْضِ تِهَامَةَ غَيْرُ صَحِيْحٍ ، فَالْمَوْضِعَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سُفُوْحِ الْحِجَازِ الشَّرْقِيَّةِ ، يَفْصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تِهَامَةَ سَرَاةُ الْحِجَازِ ، فَإِذَا صَحَّ وُجُودُ مَوْضِعٍ يُدْعَى ذُو الْحُلَيْفَةِ فِي تِهَامَةَ فَيَنْبَغِي أَنْ لا يَكُوْنَ بَيْنَ حَاذَةَ وَذَاتِ عِرْقٍ اللَّذَيْنِ لاَيَزَالاَنِ مَعْرُوْفَيْنِ .

(٣) عِبَارَةُ نَصْرٍ : وَأَمَّا بِالْفَاءِ ـ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ يُشْرِفُ عَلَى أَجْيَادَ الْكَبِيْرِ . انتهى وقَبْلَهُ تَكَلَّمَ عَلَى (الْخَلِيْفَةِ) وَمِثْلُ قَوْلِ نَصْرٍ قَالَ يَاقُوتٍ بَعْدَ الْمُبَالَغَةِ فِي الضَّبْطِ بِقَوْلِهِ : (بِلَفْظِ الْخَلِيْفَةِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ) وَقَالَ الأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» ـ ٢/٢٩١ ما مُلَخَّصُهُ : جَبَلُ خَلِيْفَةَ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى أَجْيَادَ الْكَبِيْرِ وخَلِيْفَةُ بْنُ عُمَيرٍ رَجُلٌ من بني بَكْرٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي جُنْدُعٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ فِيْهِ وَابْتَنَى ، وَهُوَ الْجَبَلُ الذي صَعِدَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَنْظُرُوْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وأَصْحَابِهِ ، وكَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْدٌ ، ـ إلى آخِرِ مَاذَكَرَ ، وقَدْ تَغَيَّرَتْ مَعَالِمُ مَكَّةَ بِعُمْرَانِهَا الأَخِيْرِ فَاخْتَفَى أَكْثَرُهَا ـ.

(٤) هُوَ نَصُّ كَلاَمِ نَصْرٍ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ يَاقُوتٌ ، وَالْخَلِيْقَةُ ـ كَمَا أَوْضَحَ صَاحِبُ «وفاءِ الوفاء»: واحدةُ الْخَلاَئِقِ وَهِيَ آبَارٌ وَمَزَارِعُ بِقُرْبِ المدينة ، إذا اجْتَمَعَ وَادِي النَّقِيْعِ بِوَادِي رِيْمٍ ، وانْحَدَرَ سَيْلُهَا نَحْوَ الْعَقِيْقِ ، فَإِنَّهُ يَفِيْضُ عَلَى الْخَلاَئِقِ ، وَلاَتَزَالُ مَعْرُوْفَةً ، وَقَدْ مَرَرْتُ بِالْخَلِيْقَةِ مُنْذُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ عَاماً ، فَرَأَيْتُهَا بِئْراً مَزْرُوْعَةً يُسْتَقَى مِنْهَا بِالسَّوَانِي ، وَبِرْكَتُهَا تَفْهَقُ بِالْمَاءِ ، وَمَاءُ الْبِئْرِ لَيْسَ بَعِيْدَ الْغَوْرِ ، وتَسْقِي بُسْتَاناً صَغِيْراً ، وقَالَ لِي مُرَافِقِي الشَّيْخُ إبراهيمُ العَيَّاشِيُّ : هَذِهِ خَلِيْقَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ . وَتَبْعُدُ عَنِ الْمَدِيْنَةِ لِلْمُتَّجِهِ مِنْ بَطْنِ وَادِي الْعَقِيْقِ نَحْوَ النَّقِيْعِ بِمَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاَثِيْنَ كِيْلاً ، وهِيَ الْمَقْصُودَةُ بكلام الحازميِّ ، فبلاد بني سُلَيْمٍ تَمْتَدُّ إِلَى النَّقِيْعِ الْوَاقِعِ فَوْقَهَا بِبِضْعَةِ أَمْيَالٍ .

(٥) قَالَ نَصْرٌ : وأَيْضاً مَاءَةٌ لِلْعَجْلاَنِ ، وَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ عُقَيْلٍ ، عَلَى الْجَادَّةِ بَيْنَ الْيَمَامَةِ ومَكَّة ، وأَتَى يَاقوت فَكَرَّرَ كَلاَمَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ ، وَلَمْ يَلْحَظْ مَافِيْهِ مِنْ خَطَإٍ مِنْ نِسْبَةِ بَنِي الْعَجْلاَنِ إِلَى عُقَيْلٍ ، وهُمْ بَنُو عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْن عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وبَنُو عُقَيْلِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيْعَةَ إِخْوَتُهُم .

أَمَّا خَلِيْقَةُ الْمَاءَةُ الَّتِي لَمْ فَأَرَاهَا هِيَ الَّتِيْ قَالَ عَنْهَا أَبُو زِيَادٍ الكِلاَبِيُّ ـ فِيْمَا نَقَلَ عَنْهُ يَاقُوت ـ: مِنْ مِيَاهِ =

٢٨٤ ــ بَابُ الـخُلَيْفِ ، وَالـخَلِيفِ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الـخَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ ـ: مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ لَامٌ مَكْسُورَةٌ ـ: جَبَلٌ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَامِرِيُّ :

فَكَأَنَّمَا قَتَلُوْا بِجَارِ أَخِيْهِمُ وَسْطَ الـمُلُوْكِ عَلَى الـخَلِيفِ غَزَالًا(٣)

= بَنِي الْعَجْلَانِ الـحُلَيْقَةُ ، يَرِدُهَا طَرِيْقُ الْيَمَامَةِ إِلَى مَكَّةَ وعَلَيْهَا نَخْلٌ ، وهيَ مِنْ أَرْضِ الْقَعَاقِعِ ، انتهى . ولا أَسْتَبْعِدُ أَنَّ صَوابَ الاسْمِ بِالـحَاءِ الْمُهْمَلَة ، وأَنَّ الـحُلَيْقَةَ عَلَيْهِ لَهَا صِلَةٌ بِالـحَلْقَةِ الْمَاءِ الَّذِي يَقَعُ في الـحَصَاة (عَمَايَةٌ قَدِيمًا) وعَلَيْهِ نَخْلٌ وَهُوَ مَأْهُولٌ ، وعَلَيْهِ يَمُرُّ طَرِيْقُ حُجَّاجِ جَنُوبِ الْيَمَامَةِ قَدِيمًا .

(١) لَمْ يَرِدْ مَاجَاءَ فِي كِتَابِ نَصْرٍ فِي بَابِ الـخَاءِ عَلَى : (بَابُ الـخُلَيْفِ والـحُلَيْفِ : بِالـخَاءِ فِي شِعْرٍ ، وَبِالـحَاءِ مِنْ مَنَازِلِ نَجْدٍ) .

(٢) قَالَ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: الـخُلَيْفُ ـ تَصْغِيْرُ الـخِلف ـ: مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ ، قَالَ أَبُو زِيَادٍ : يَخْرُجُ عَامِلُ بَنِي كِلَابٍ مِنَ الـمَدِيْنَةِ فَأَوَّلُ مَنْزِلٍ يُصَدِّقُ عَلَيْهِ الأَرِيْكَةُ ثُمَّ الْعَنَاقَةُ ، ثُمَّ مَدْعَا ، ثُمَّ الـمَصْلُوقُ ثُمَّ الرَّبِيَةُ ، ثُمَّ يَرِدُ الـخُلَيْفَ لِبَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ ، ثُمَّ الدُّخُولُ ثُمَّ الـحَصَاة ، ثُمَّ الـحَوْءَبُ ، ثُمَّ سَجَا ، ثُمَّ الـجَدِيْلَة ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى الـمَدِيْنَةِ ، وَيُصَدِّقُ عَلَى الـخُلَيْفِ بُطُونًا مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالله بن كِلَابٍ وَسَلُولٍ وعَمْرِو بْنِ كِلَابٍ . انتهى . وَلَمْ يَزِدْ الْبَكْرِيُّ عَلَى إِيْرَادِ شَاهِدَيْنِ مِنْ شِعْرِ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ وَالشَّمَّاخِ وَرَدَ فِيهِمَا الاسْمُ . وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ١٣٧ ـ مِنْ مِيَاهِ بَنِي قُرَيْطِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ مَاءً يُسَمَّى الـخُلَيْف ، ومُرَيْفِقَ أَيْضًا ، وهُوَ ـ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ تَحْدِيْدِ مَوْقِعِهِ بِقُرْبِ جَبَلِ كَرِشٍ الـجَبَلِ الْوَاقِعِ فِي جَنُوبِيِّ عَالِيَةِ نَجْدٍ تَابِعٍ لإِمَارَةِ الخاصِرَة ، بَلْ إِنَّ مَاءَ مُرَيْفِقٍ ـ الَّذِي نَصَّ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» أَنَّهُ الـخُلَيْفُ لَايَزَالُ مَعْرُوفًا فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ، مِنْ مَوَارِدِ قَبِيْلَةِ الشَّيَابِيْنِ ـ وَمَرْكَزُهُمُ الـخَاصِرَةُ ـ.

(٣) قَالَ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: الـخَلِيْفُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثَانِيْهِ ـ: شِعْبُ جَبَلَةَ الـجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ الْوَقْعَةُ الْمَشْهُورَةُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : لَـمَّا دَخَلَتْ بَنُو عَامِرٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ عَبْسٍ وغَيْرِهِمْ جَبَلَ جَبَلَةَ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الـمَلِكِ النُّعْمَانِ وعَسَاكِرِ كِسْرَى اقْتَسَمُوا شُعُوْبَهُ بِالْقِدَاحِ ، فَوَلَجَتْ بَارِقُ وبَنُو نُمَيْرٍ الـخَلِيْفَ وَالْخَلِيْفُ الطَّرِيْقُ الَّذِي بَيْنَ الشِّعْبَيْنِ يُشْبِهُ الزُّقَاقَ ـ لأَنَّ سَهْمَهُمْ تَخَلَّفَ ، وفِي ذَالِكَ يَقُولُ مُعَقِّرُ بْنُ حِمَارٍ الْبَارِقِيُّ :

وَنَحْنُ الأَيْمَنُونَ بَنُو نُمَيْرٍ يَسِيْلُ بِنَا أَمَامَهُمُ الخَلِيْفُ

ثُمَّ نَقَلَ ـ يَاقُوتُ عَنِ الـحَفْصِي خَلِيْفُ صُبَاحٍ قَرْيَةٌ ـ وصُمَاخُ جَبَلٌ ، وخَلِيفُ عُشَيْرَةَ نَخْلٌ ومَحَارِثُ ، وعُشَيْرَةُ أَكَمَةٌ لِبَنِي عَدِيِّ بْنِ التَّيْمِ ، وأَوْرَدَ بَيْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَامِرِيِّ ، وَمَا أَرَاهُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَاذَكَرَ الـحَفْصِيُّ ، فَبِلَادُ بَنِي عَامِرٍ بَعِيْدَةٌ عَنْ بِلَادِ بَنِي عَدِيٍّ الَّتِي يَظْهَرُ أَنَّهَا بِمِنْطَقَةِ سُدَيْرٍ ، أَمَّا كَلَامُ أَبِي عُبَيْدٍ فَإِنَّهُ فِي «النقائض» ـ ٦٥٩ ـ وقبله : وَجَبَلَةُ جَبَلٌ طَوِيْلٌ ، لَهُ شِعْبٌ عَظِيْمٌ وَاسِعٌ لَا يُؤْتَى الـجَبَلُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الشِّعْبِ ، والشِّعْبُ مُتَقَارِبُ الـمَدْخَلِ ، وَدَاخِلُهُ مُتَّسِعٌ وَبِهِ الْيَوْمَ عُرَيْنَةُ مِنْ بَجِيْلَةَ ، فَدَخَلَتْ بَنُو عَامِرٍ شِعْبًا مِنْهُ يُقَالُ لَهُ : مُسْلَحٌ ، فَحَصَّنُوا النِّسَاءَ والذَّرَارِيَّ وَالأَمْوَالَ فِي رَأْسِ الـجَبَلِ ، وحَلَّوا الإِبِلَ عَنِ الْمَاءِ ، واقْتَسَمُوا الشِّعْبَ بِالْقِدَاحِ ، فَأَقْرَعَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ فِي شَظَايَاهُ ، فَخَرَجَتْ بَنُو نُمَيْرٍ وَمَعَهُمْ بَارِقُ حَيٌّ مِنَ الأَزْدِ ، حُلَفَاءِ يَوْمَئِذٍ لِبَنِي نُمَيْرٍ ، فَوَلَجُوا الـخَلِيْفَ . انتهى .

تعقيب :

(ابدأ بزيد قبل أن يبدا بك)

[نشرت «العرب» في جزء رمضان/شوال ١٤١٠هـ ص ٢٦٠ - تعليقاً على ماورد في كتاب «العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد» عن معنى المثل (ابدأ بزيد قبل أن يبدا بك) وهاهو تعقيب الأستاذ الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع مؤلف الكتاب على ذالك التعليق] .

الحمد لله وحده ، وبعد فقد اطلعت على تعليق الأخ الكريم عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن معيقل على ماجاء في كتابي «العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد» عن أصل المثل الشعبي : (ابْدَ بزيدَ قبل يبدَى بِك) والتعليق على أن إمارة شقراء صارت في يد زيد ومن بعده بنوه إلى أن أصبحت وظيفة تتولاها وزارة الداخلية إلى آخر ماجاء في النص المنقول من الكتاب الذي هو موضع ملاحظة الأخ الكريم .

ويسرني الإجابة عما جاء في التعليق بما يلي : -

أولاً : أحب أن يعرف الأخ الكريم عبدالعزيز أن آل مُعَيْقِل بطنان : بطن ينتسب إلى شَمَّر ، وهم الذين كانوا حكام شقراء قبل أن يستولي على إمارتها زيد ، ولايزال بعض هذا البطن في (القرائن) إحدى قرى الوشم .

والبطن الثاني من آل مُعَيْقل من الحراقيص وغالب إقامتهم بعد انتقال من انتقل من بني زيد إلى بعض بلدان نجد مثل الشُّعْرَاء والدَّوَادِمي والقُوَيْعية والبُكَيْرية وغيرها انتقل هؤلاء إلى زُمَيْقَةَ من قُرَى الْـخَرْج . فلا أدري عن الكاتب الأخ الكريم عبدالعزيز هل هو من القرائن فيكون من آل معيقل من شمر حكام شقراء سابقاً أم هو من بلدة زُمَيْقَة فيكون من الحراقيص كما ذكر ذلك الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى رحمه الله وغيره من أن آل معيقل من الحراقيص حيث قال عن الشيخ ابن بشر: أن أقرب من لهم من بني زيد آل مُعَيْقل أهل الخرج .

ثانياً : هذه القصة التي ذكرتها عن زيد وأنه كان من بِطانة شريفِ مكة ثم اختلف معه وهرب منه خوفاً من بطشه إلى آخرها مصدرها تناقل الخلف عن السلف من بني زيد ومن يهتم بالأنساب من غيرهم فلم أجدها في كتابٍ ، وتحتمل هذه القصة الصدقَ وعَدَمَهُ كغيرها من قضايا وحوادث وقصص التاريخ ، إلا أن التنظير عليها بملاحظات جعل الكاتب يستبعدها بهذه الملاحظات هذا التنظير غير صحيح لما يلي : -

أ ــ لاتُخْفَى الحالة الإجتماعية والأحوال السياسية في القرن العاشر الهجري الذي هو الزمن التقريبي لحياة زيد ، لاسيما في نجد وأَنَّ القويَّ يغلب الضعيف ، وأن الوازع الديني في ذالك الزمن ضعيف ، ويصدق على هذه الحال المثل السائر : مَنْ عَزَّبَزَّ - ولهذا فلا يستغرب في هذا الزمن ثورةُ القوي على الضعيف ، وتَنَقُّلُ الولاية من شخصٍ إلى آخرٍ عن طريق القوة والغلب ، ويذكر الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى أَنَّ بلدة أُشَيْقِر كان فيها إمارتان إمارة في شرقها وإمارة في غربها وتواريخ نجد أمثال تاريخ ابن بشر وتاريخ ابن غنام وسوابق وتاريخ ابن عيسى تؤكد سُوْءَ الأحوال السياسية والإجتماعية والإقتصادية والقبلية والأعراف والتقاليد ، وذالك قبل الحركة الإصلاحية من الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

ب ــ تَصَوُّراً لهذه الحال في زمن حياة زَيْدٍ وماقبله ومابعده ، مما أَثَّرَ فيه أو كان امتداداً له يجعلنا ندرك أن الطموحات السياسية لا حَدَّ لها ، وأَنَّ من يجد فرصة الإنقضاض على الولاية لا يضيعها ولا يعتبر بعدد انقضاضه عليها خائِناً ولا طرِيدَ عَدَالَةٍ ، ولاسِيَّما إذا كان قادراً على ذالك ووجد من يخطط للقضاء عليه أَوْ إبعاده فقد أخذ بالمبادرة وقضى على أسباب إلحاق الأَذَى به .

جـ ــ احتجاج الأخ الكريم بشهامة العرب وكرمهم وحفظهم الجوار والذمار كل ذالك لم يكن مانعاً من تنقل الولايات صغيرها وكبيرها ، وفي التاريخ الأمثلةُ الكثيرة على ذالك ولاسيما في عصرٍ تسودُهُ العواطف وعوامل البغي والعدوان ،

وزيد فردٌ من أفراد أهل هذا العصر ، حَبَاهُ الله قوة وطموحاً واستعداداً للولاية والسلطان وبيئته التي عاشها تساعده على ذالك ، وتعتبر طموحه رجولةً وفُتُوَّةً ، واستعداداً لدخول المجالات القيادية .

د ـ أشار الأخ الكريم عبدالعزيز إلى مجموعة استفسارات جعل الإجابةَ عليها سَبَباً في استحالة استيلاء زيدٍ على الولاية ، ولكن هذه الإستفسارات لايمكن إثارتُها في زمنٍ مثل زمن زَيْدٍ المبنيّ على التسلط بالقوة والغلب ، وإنما يمكن أن تكون الإجابة على هذه الإستفسارات مأخوذةً من بيئتنا الآن المستقرة ، والمتصف أهلها بالوعي والثقافة والتدين ، واحترام الولاية وأهلها ، واستشعار جريمة الخروج على ولي الأمر ، والأمر بين المسلمين مستقيمٌ ، فحالنا الآن توجب استبعادَ ماقِيْلَ عن زيد ، ولكنَّ زيداً كان يعيش في بيئة مغايرة تمام المغايرة لبيئتنا ، ولهذا فإنَّ هذه الإستفسارات لا تصح لمن عرف التاريخ وأحوال عصر زيد القرن العاشر الهجري أن يثيرها ، ويجعل من الإجابة عليها استحالةَ استيلاءِ زيد على حكم شقراء ، وطرد أميرها من شقراء . والواقع الآن يؤيد ذلك ـ فَأَيْنَ آلُ مُعَيْقِلٍ من حكم شقراء ؟ انهم الآن في القرائن ، إحدى قرى الوشم ، فما الذي أخرجهم من حكم شقراء البلد الأم للوشم ، ليكونوا مستوطنين قريةً من قرى الوشم التابعة لشقراء ولإمارة شقراء .

ولا يستغرب أن يأتيَ زيد من مكان بعيد إلى مكان غريب عليه ، وأهله غرباء ، ثم يكون له من القبول والتقبل مايجعله مُقَرَّباً عند والي البلد ، ثم تكون منه الثورة عليه وعلى أسرته ، وبالتالي طرده ، فالغساسنة جاؤا من اليمن إلى الشام فحكموه ، والمناذرة من اليمن جاؤا العراق فحكموه ، والأمويون جاؤا إلى الأندلس فحكموها ، ولم يصف التاريخ واحداً منهم أنه طريدُ عَدَالَةٍ وإنما كانت أوصافهم بأنهم ذَوُوْا أَحْسَابٍ وأنساب وعناصر قيادية ، وعبدالرحمن الداخل من بني أمية في الأندلس يوصف بأنه صقر قريش بعد استيلائه على الحكم في الأندلس .

ثالثاً : ماذكره الكاتب المحترم من أن ابنَ مُعَيْقِلٍ كان صاحب شقراء في التاريخ اللاحق لحياة زيد أي في القرن الثالث عشر الهجري ونقل أيضاً عن الشيخ عثمان بن بشر من كتابه «عنوان المجد» واستدل به على أن زيداً وبنيه لم يكونوا أمراء شقراء . وقد اختلط على كاتبنا المحترم الأمر فظن أن عبدالله بن محمد بن معيقل الذي ذكره الشيخ ابن بشر هو من نسل آل معيقل من شَمَّر، وهذا غير صحيح فابنُ مُعَيْقِلٍ هذا من آل معيقل من بني حرقوص من بني زيد ، وهذا أمير على شقراء من بني زيد ، ولا يسلم لأخينا الإستدلال حَتَّى يُثْبِتَ بأنَّ ابنَ مُعَيْقِلٍ الذي ذكره ابن بشر هو من آل مُعَيْقِلٍ من شَمَّر ، لأنَّ الأصْلَ عَدَمُهُ ، والوِلايَةُ على شقراء من عهد جَدِّ أَهْلِهَا زيدٍ إلى وقت قريبٍ لزيد وبنيه ، وأهل العلم بالتاريخ والأنساب يعرفون ذلك ويُسَلِّمون به .

رابعاً : لا أدري هل الكاتب المحترم عبدالعزيز بن معيقل من آل معيقل أهل القرائن فهو من شَمَّر ، ولا يَضِيره ولا يَضِير بني عمه وإخوته إنهم كانوا حكام شقراء ، ثم أخرِجُوا منها فالله سبحانه وتعالى هو المالك يعطي الملك مَنْ يشاء ، وينزعه عمن يشاء . قال تعالى : ﴿ قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِـي الْـمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وتَنْزِعُ الْـمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ وإن كان الأخ عبدالعزيز من آل معيقل في الخرج فهو من بني زيد ، ومن بني حرقوص ، ومن بني عمك المؤلف ، ومن نسل زيد ، وعلى كلٍّ فإنَّ أَكْرَمَكُمْ عند الله أتقاكم . وأشكر شيخنا الجليل الشيخ حمد الجاسر على تكرمه بإطلاعي على هذا التعقيب من الأخ الكريم عبدالعزيز لأتمكن من إبداء الرأي حول ماذكره من ملاحظة والله المستعان . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه راجي عفو ربه

عبدالله بن سليمان بن منيع

هُذَيل : مرة أخرة

كتب الأخ الكريم الأستاذ/ محمد بن جابر الحسني مقالاً بعنوان : (هذيل وفروعها) : (العرب سنة ٢٤ ص ٥٦٣ ـ ٥٦٥) يعلّق فيه على نقدي لكتاباته حول هذيل . ولما كان ما كتبه يحتاج لملاحظات عديدة لأنَّ هدف الجميع الوصول إلى الصّواب من منطلق الروح العلمية والمنهجية الموضوعية : كان لأبُدَّ منْ كتابة هذا التعقيب :

اولاً : الخلط والتشويه :

قال الحسني : ولقد رأيت من الأخ راشد التهادي في اتهامي بالخلط والتشويه وأنا لم أعمد إلى ذالك وهذا شيء خارج عن إرادتي بل ورد عن طريق الخطأ المطبعي ـ ص ٥٦٣ .

وأقول : إنّي لم أتهم الأخ الحسني بالخلط والتّشويه، إنما قلت : ان في مقالاته (بعض الهنات وشيئاً من الخلط والتشويه كان لأبُدَّ من التنبيه عليه) (العرب سنة ٢٣ ص ٢٧٣) وهناك فرق بين أنْ أقول : إنَّ في كتاباته شيئاً من الخلط والتشويه ـ الذي يمكن اصلاحه ـ وبين أن أتهمه بالخلط والتشويه .

أما عن تبْرير الخطأ ونسبته للمطبعة فإنني أُسَلِّمُ له بذالك لو وقع هذا مرة أو مرتين ولكن إنْ في أكثر من مقال فلا أظن أنَّ ادارة المجلة تضع ذالك في مقالاته وحده دون غيره .

ومن هذه الأخطاء على سبيل المثال :

١ ـ قوله في مقاله : وادي نعمان : قراه وسكانه : (كان يسكنه قديماً بنو حارثة بن تميم بن سعد بن هذيل) (العرب سنة ٢٢ ص ٨٣٢) . والصواب ـ كما ذكره علماء النسب ـ أنهم بنو الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٢ ـ عند ذكره لنسب القرّح قال : (وهم من بني صاهلة بن كاهل بن تميم ابن سعد بن هذيل «العرب» ٢٤/ ٢٦٠ والصواب : صاهِلة بن كاهل بن الحارث

ابن تميم بن سعد بن هذيل حيث أسقط ذكر الحارث من سلسلة النسب ، وقد سبق له ذالك عند سياقه لنسب زُلَيفَة قال : (زليفة بن صاهلة بن كاهل بن تميم) (العرب سنة ١٦ ص ٦٤).

٣ ــ في حديثه عن الجلاجلة قال : (ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية) (العرب سنة ١٦ ص ٦٦) فَمَن هم هذيل بن معاوية ؟ والأصوب : دخَلوا مع بني معاوية مِنْ هذيل.

ثانياً : الكباكبة :

قال الحسني بشأن الكباكبة : (فهو يقول : إن هناك قبيلة بهذا الاسم وأنا أقول : لا توجد بل قبائل متحالفة يسمّون أنفسهم بأهل كبكب) (ص ٥٦٣).

وأقول : إنني لم أتَطَرَّقْ أو أذكر قبيلة الكباكبة من هذيل في تعليقي على مقال الحسني (الكباكبة وجبل كبكب) وماذكرته هو أنَّ الحسني قال : (وأهل كبكب القدماء هم السهمة ذريّة سهم بن معاوية بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل) ص ٦١ (العرب سنة ٢١) فعلقت بقولي : ـ (وهو بهذا يناقض ما ذكره البلادي من أنَّ آل فضل هم أهل كبكب الأصليون) انظر «معجم قبائل الحجاز» ط ٢ ص ٤٣٨ (العرب سنة ٢٣ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨) . وليس في هذا إشارة إلى وجود قبيلة الكباكبة ولكن حُبًّا وكرامة فإنَّ الكباكبة من قبائل هُذيل المعروفة حتى اليوم ذكرهم الجزيريُّ في القرن العاشر للهجرة ومن المحدثين ذكرهم :

١ ــ حمد الجاسر : قال في معجم قبائل المملكة العربية السعودية ج ٢ ص ٥٩٧ (الكباكبة من المسودة من هذيل ، ومنهم آل حسن) وقال: (ومن المسودة أيضاً تزليفة والسوالة والكباكبة) (العرب سنة ١٦ ص ٢٢٩) .

٢ ــ عاتق البلادي : قال في «معجم قبائل الحجاز» ط ٢ ص ٤٣٧ : (الكباكبة : قوم يسكنون جبل كبكب ونواحيه من ديار هذيل وينْضمّون في المسودة من هذيل) وذكر ص ٥٤٩ عن بعض الهذليين أن الكباكبة بطن من المسودة وقال في «معجم معالم الحجاز» ج ٧ ص ١٨٤ : (الكباكبة بطن من هذيل

نسبوا إلى كبكب الجبل المعروف) وقال في حديثه عن وادي الشّرى (وسكّانه الكباكبة وهم قبيلة من هذيل نسبوا إلى كبكب) (أودية مكة المكرمة ص ٣٣) :

٣ ــ حمد الحقيل : قال وهو يعدد عشائر هذيل : (وهذيل تتألّف من عشائر هي . . . الكباكبة ويسكنون جبل كبكب) (كنز الأنساب ط ٨ ص ١٦٨) .

٤ ــ فؤاد حمزة : قال عن عشائر هذيل : (السعايد والحساسنة والكباكبة ، والمجاريش) (قلب جزيرة العرب، ط ٢ ص ٢١) .

والكباكِبة اسم يُعرفُ به بعض فروع هذه القبيلة الهذلية وهذا ما يؤكده الحسني الذي قال : (إن إطلاق كلمة الكباكبة على أولئك خطأ يرتكبه العامة في تلك الناحية) (العرب سنة ١٦ ص ٥٣) وهذا يعني أنهم ـ أي الكباكبة ـ معروفون بين مجاوريهم بهذا الاسم ، وأن الكباكبة اسم لقبيلة من هذيل ، فهل يريد الحسني من العامة والخاصة إلْغَاءَ هذا الاسم المتداول لمجرد عدم ارتياحه له لشموله آل حسن ، مع سعيه من قبل لتخصيص هذا الاسم بآل جاهل فقد قال في مقاله (هذيل فروعها ومنازلها): (آل جاهل ويقال لهم الكباكبة ، وهم الآن مع ثَقِيف تُرْعَة) (العرب سنة ١٦ ص ٦٤) .

والغريب أن الحسني يعلّق على القول بأن هناك كباكبة أن هذا (ليس معروفاً في أنساب العرب وتاريخهم) (العرب سنة ٢١ ص ٦١) وهذا أمر لا نوافقه عليه بل نؤكد وجوده في أنساب العرب وتاريخهم وفيما يلي مثالان على ذالك .

١ ــ الأَجَئِيُّون : وهم بطن من طيّء قال القلقشندي : (الأَجَئِيُّون نسبة إلى أجأ وهو أحد جبلي طيّء سَلْمَى وأجأ) (نهاية الأرب ط ٢ ص ١٦٤) وقال الجوهري : (أَجأ وسَلْمَى جبلانِ لطيّء ينْسب إليهما الأَجَئِيُّون) (لسان العرب: أجأ) .

٢ ــ الأحابيش : وهم بطن من قريش قال الجوهري : (سمُّوا بذالك بجبل أسفل من مكة اسمه حبشي) (نهاية الأرب ص ١٦٤) . وقال الفيروز آبادي : (حبشي بالضم: جبل بأسفل مكة ، ومنه أحابيش قريش لأنهم تحالفوا بالله أنهم

يَدٌ علَى غَيْرِهم ما سَجَا ليل ووضح نهار ، ومارَسَا حُبْشِي) (القاموس المحيط): حبش - وقال ابن منظور : (حبشي جبل بأسفل مكة يقال منه سُمِّي أحابيش قريش)، وقال: (سُمّوا أحابيش قريش باسم الجبل) «لسان العرب» حبش) . وغير هذا من الأمثلة التي تدل على أن القبيلة قد لا تسمى باسم جدّها بل يغلِبُ عليها لقَبٌ مًّا كنزولهم بموضع كغسّان أو غير ذالك من أسباب التسمية .

ثالثاً : بنو جابر القريدات :

قال الحسني : (أما عن اسم قرد فليس من أبناء معاوية) ص ٥٦٤ وهذا مالَـمْ يسبقه إليه أحدٌ فقِرْدٌ بن معاوية هو الاسم الذي عُرِف به هذا البطن من هذيل ، وقد ذكره غير واحد ، وممن ذكره كما ذكرت في الحاشية رقم ٥٣ ص ٤١ ، من مجلة «العرب» سنة ٢٣ كل من ابن الكلبي والأصفهاني والبكري والسكري وياقوت الحموي وابن حبيب والمبرّد وابن حزم وابن منظور والفيروز آبادي قالوا : قرد بن معاوية بطن من هذيل واحدهم قردي كما ذكره الهجري .

وقول الحسني ص ٥٦٤ : (إن العرب لا يُسَمُّونَ بهذه الأسماء) أي أسماء الحيوان مردود فقد سمّى العرب بأسماء الحيوان كأسد ونمر وكلب وثعلب وغيرها من الأسماء . قال القلقشندي في الكلام على أسماء القبائل في اصطلاح العرب : (غالب أسماء العرب منقولة عمّا يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه ، إمًّا من الحيوان كأسد ونمر ، وإما من النبات كنبت وحنظلة وإمًّا من الزواحف كحيَّة وحنش ، وإما من أجزاء الأرض كفِهْرٍ وصخْرٍ ونحو ذلك) (نهاية الأرب ص ٢٢).

رابعاً : منعة بن سعد بن هذيل :

تَساءل الحسني قائلاً : (لا أدري عن المصادر التي نقلت عنها هذا الاسم) (ص ٥٦٤) وأقول: لو رجع الأخ الحسني للحاشية رقم ٧١ ص ٢٤٢ (العرب سنة ٢٣) لوجد أن لما قلته مَصْدَرَيْن وهما ابن الكلبي في كتابه «جمهرة النسب»

وابن قتيبة في كتابه «المعارف» أما القول بأن من أبناء كاهل من يُسَمَّى منيعة فهذا مالم يذكره أحد من علماء النسب ، والاعتماد في هذا الشأن على ما تقوله العامة ـ الذين خَطَّأهُم في تسمية الكباكبة ـ ليس من المنهج العلمي في شيء ، فعلماء النسب ذكروا لكاهل من الأبناء صاهلة وصبح وكعب ، ولم يذكروا منيعة ومن قال بغير هذا فعليه بالدليل .

خامساً : بنو جابر وريشة ولحيان :

قال الحسني معلقاً على قول الأخ محمد بن علي الحتيرشي : (وقد استدل الأخ الحتيرشي بما كتبه الجزيري بأن الشريف الحسن استنفر هذيلاً والكباكبة وبني عدوان وبني صاهلة وبني جابر وبني ريشة وبني لحيان) (ص ٥٦٣) وقال : (وبنو عدوان وبنو جابر والكباكبة ذكرهم الجزيري في استنفار الشريف الحسن بن محمد أبي نُميّ الثاني عام ٩٦٠هـ (ص ٥٦٥) وعند الرجوع لما كتبه الأخ الحتيرشي نقلاً عن الجزيري وجدته يقول : (ذكر عبدالقادر الجزيري صاحب كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» في أحداث عام ٩٦٠هـ ج ٢ ص ٩٢٣ ماهذا نصه : ومن الحوادث في هذه السنة غضب الشريف أبي نُمَيّ على أهل بجيلة فجهّز لهم تجريدة حافلة من الدروع والبنادق وثلاث عجلات ، وقيل : خمس مدافع لهدم حصونهم ، وأمر عربان تلك الجهة هذيل والكباكبة وظهران وعدوان وصاهلة وبعيد ثقيف الخ) (العرب سنة ٢٢ ص ٥٧٣) . ونلاحظ هنا أن الأخ الحسني أضاف ثلاث قبائل في النص لم يذكرها الحتيرشي وليس لها ذكر في حوادث سنة ٩٦٠هـ في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» للجزيري وهي قبائل لحيان وريشة وبنو جابر ، وهؤلاء الأخيرون ردّد ذكرهم مرتين ص ٥٦٣ و ٥٦٥ ونسب ذالك إلى الجزيري فهل كان هذا خطأ مطبعياً أم ماذ ؟

وختاماً أرجوا أن أكون قد قدّمت بعض الملاحظات المفيدة .

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي

من القصص الشعبي في بلاد يام :

- ١ -

قصة العليين مع قبيلتي وائلة ووادعة

[هذه القصة كتبها الأخ محمد بن ذيب المهان ، وقام قسم التحرير في المجلة بتهذيبها واختصارها بدون إخلال بمضمونها] .

الْعَلِيَّانِ : هما جَدًّا قبيلة آل فُطَيْحٍ من يام من أبناء حُسَيْنْ - ولقبه فُطَيْح - بن درهم بن سليمان بن وُعَيْل بن هشام ، وهشام هو جد قبيلتي الْوُعَلَة والعُجَمان .

والعَلِيَّان هما : علي الكبير ، وعلي الصغير ، ولهما سبعة إخوة : مايِقٌ ومرعي وشطْفان ، وراشد ومحمد ، والباقيان لعلهما درهم وسلطان ، وقد عاش هاؤلاء منذ سبعة قرون على وجه التقريب ، وكانوا يسكنون في وادي (ثَار) الذي يبعد عن مدينة نجران شمالاً بما يقارب مئة كيل .

ولديهم كثير من الأنعام من الإبل والغنم ، مما يُغْرِي الأَعْدَاءَ بغزوهم ، مع قلة عددهم ، فقامت إحدى قبائل وائلة الهمدانية التي كانت بلادها في ضواحي صَعْدَةَ بِغزوهم ، ولكن الْعَلِيَّيْنِ صمدوا أمام الأعداء رغم قتل أُحَدِ إخوتهم وهو مايق بن حسين ، فعاد الغزاة خائبين ، ولكنَّ إخوةَ مايقٍ لم يتهاونوا في السعي لأخذ الثأر ، فاتجه منهم ثلاثة هم علي الكبير ، وعلي الصغير ، ومرعي ، إلى قبيلة وائلة سَيْراً على الأقدام فوصلوا ديار وائلة بعد عشرة أيام سائرين خلالها على أقدامهم بجد وعزيمة ، فأخذوا بالثأر ، ورجعوا إلى نجران ، إلا أن القدر كان لهم بالمرصاد ، فانقلبتْ الْفَرْحَةُ تَرْحَةً ، إذ نزلوا في شعب يُسَمَّى (دَحْضَةَ) في نجران عند رجل من قبيلة الصقور ، يدعى ابن قَيْر ، وكان يعلم بخبر غزو قبيلة وادعة لقوم العليين ، وقتل أخيهم شطفان ، وذالك أثناء رجوع الإخوة من غزو وائلة .

ولما هَيَّأَ ابنُ قير الصَّقْرِيُّ الطعامَ لضيوفه ، قال حين قدمه : (تَغَدَّوا ياضيفان ،

والله إني مارضيت بذبحة شطفان) فعرفوا جلية الأمر ، وأخذوا طعامهم الذي قدم لهم واتجهوا قاصدين بلاد وادعة ، للأخذ بثأر أخيهم شطفان ، فلما أشرفوا على منازل القوم قابلوا امرأة وسمعوا أصواتاً ، فسألوها عن تلك الأصوات فأخبرتهم بأن وادعة وقد رجعت من غزوها منتصرة ، أرادت أن تعبر عن فرحها بالنصر في هذا اليوم ، وهو يوم يقام فيه سوق في القبيلة يرتاده الناس من جميع بلادها ، فما كان من الْعَلِيَّيْن وأخوهما مرعي ، إلا أن انتهزوا هذه الفرصة ، وهجموا على القوم غير مبالين بكثرة عددهم ، وقوة سلاحهم ، وقد عرفوا من المرأة أن قادة الغزاة قد تَزَيَّوْا ذالك اليوم بلبس الجوخ الأحمر ، الذي يسمى (الشهر) مما لا يلبسه إلا سادة القبائل ورؤساؤها ، انجلى الهجوم عن قتل أربعة أشخاص ثأراً بشطفان أخيهم المقتول ، ثم عادوا إلى بلادهم .

ومما قاله علي الكبير عن هذه الغزوة :

يَوْم سِرْنَا خلْفَ وَادِي (الـمُخْتَلِفْ)	وادي العُلْب والرَّازقي الأَخْضرَا
ثم جينا ابن قَيْر، لاجزاه الله خير	جعل صِبْيهْ بناتٍ وان جاصبي يُغضرَا
ثم خَذَيْنَا (الوَغْلْ) ياهضابٍ دغل	نتبع الغمل من خـوفنا نُشْهـرا
ثم خذينا (سروم) يامرب الهروم	كن حفــاهـا بقــدومه ينَجَّــرا
ثم علقتا (شثاث) يامرب الكثاث	ماحطَبْنَا فيه كون السُّكْبَ الأخضرا
ثم عدَّينا (صفيف) والصبايا تنيف	ثم قتلنـاه في جـربــة المحشرا
ثم ظربته بعـود فيه حـد لمود	جاعلي السابعة ونَذَرْ مع المنحرا
سبقني بالسبب ضاريٍ بالشبب	الصبي مـرعي جعـل مـايخفـرا
آل علي بن حسين، نازعة كل دين	تكسر العظم من حيث لا يجبرا
راح شــطفـان يبكيــه خـــواره	جرعت الصوت زعاجة الـوخرا
راح شطفان يبكيـه من خورنـا	عـرنه الْـبُرّ في جربـة الْـمَتْجَرا

من قصيدة طويلة .

- نجران : محمد بن ذيب الْـمَهَّان

عبد الله بن العجلان النهدي

يضاف إلى البحث الممتع الذي كتبه أستاذنا الدكتور نوري حمّودي القيسي ، ونشر في «العرب» (س ٢٤ ص ١ إلى ٢٤) :

١ ــ ورد نسب عبدالله بن العجلان هذا في كتاب البلبيسي ، الذي جمع فيه بين كتابي «اللباب» لابن الأثير ، و «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» للرشاطي ، في رسم (النهدي) ما نصه : عبدالله بن العجلان بن عبد بن الأحب بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، شاعر بني نهد في الجاهلية ، مات من حب هند . انتهى .

ويظهر أن البلبيسي رجع في هذا إلى كتاب «الأنساب» للسمعاني ، وأضاف إليه .

٢ ــ ورد في كتاب «النوادر والتعليقات»[1] لأبي علي الهجري ما نصه : زيادة في مقطوعة ابن العجلان بعد :

رياضَ الجريب أَوْ رِيَاضَ المطاليا :

فَقَدْ يَجْمَعُ الله الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا ... يَظُنَّانِ ظَنَّ الْيَأْسِ أَلَّا تَلَاقِيَا

وأنشد فيها :

تُمِرُّ بِأَحْقِيْهَا ضُرُوْعاً شواصيا

والروايةُ : بِالْأَحْقِي الْمَزَادَ الكواظيا .

ويروى : (الخواذيا) وكل ذالك الْمُوكَرَةُ .

وبعد قوله :

قَد أَخْرَجَ فِيهَا الْعَبْدُ حراً تَرَبَّعَتْ ... رِيَاضَ الرِّبَابِ مالْمُخَالِطُ رَاعِيَا

لَقَدْ خِفْتُ فَاسْتَعِلِي عَلَى ذَاكَ وَاسْلَمِي ... قَرِيْرَةَ عَيْنٍ أَنْ أَكُونَ لما بيا

وروى :

وَأَتْرُكُ مَنْ لم تَغْنِ شكْوَايِ[2] حَادِيَا

جعل (تَغْنِ) مكانَ (تَرْجُ) .

أنْشد الزُّهَيْرِيُّ :

وأوْقَفْتُ مُعْوَجًّا شَبَا لَهَوَاتِهِ   تَرَى رَأْسَهُ عَنْ مُقْدِمِ الرَّحْلِ نَابِيَا

(١) «المخطوطة الهندية» ـ ص ٣٠١ ـ .
(٢) (شكواي وشَكْوَيَّ) .

من الضائع من «معجم الشعراء»

في جزءي رجب/شعبان (س ٢٤ ـ ص ١١٣) كلمة عن عمل أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم السامرائي ، بتقييد ما عثر عليه من «معجم الشعراء» للمرزباني ـ في ٢٥٨ ـ ترجمة .

وقد لفت النظر الأخ الأستاذ أحمد العلاونة ، إلى ما نشره أستاذنا الدكتور إحسان عباس ، في مجلة «الأبحاث» ـ س ٣٣ ـ سنة ١٩٨٥م ، في الموضوع ، وأنه ـ استكمالاً لعمل الدكتور إبراهيم السامرائي ـ قام بجمع مافاته ، فوفق إلى إضافة (٨٣) ترجمة جديدة وقعت في (٣٦) صفحة من صفحات المجلة .

وحبذا لو تصدى أحد الباحثين لإعادة نشر كتاب «معجم الشعراء» مع إضافة ماعثر عليه الأستاذان الجليلان وغيرهما لتسهل الاستفادة من ذالك .

الحلافات من بلحارث

كتب الأخ مسفر بن طامي بن حسن الحلافي ، في قيادة قوات الطواريْ للدفاع المدني بأنه اطلع على كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» وأنه لاحظ عند وصوله في القراءة إلى الصفحة (١٤٦) من الجزء الأول تَدَاخُلاً في أسماء القبائل .

ثم بدأ يذكر بني سعد بالقرب من الطائف وبَلْحارِث الشَّلاَوَى وبني مالك وزهران وغامد وخثعم وشمْران ، والحلافات وعليان وبَلْقَرْن وبني عَمْرو ، وبني شِهْرِ ، وبني الأسمر ، وبني الأحمر ، وعسير وشهران وقحطان ويام ، وقال : هذه القبائل منها من هو في الحجاز ومنها من هو في تهامة ثم ذكر أنه ورد في الكتاب في الصفحة المذكورة بأن الحلافات من خثعم وأضاف قائلًا : وهذا خِلاَفُ الواقع ، والصحيح ، فإن الحلافات ينتسبون إلى عجل بن الحارث قال : وأُصْلُنا من بَلْحَارث وأوضح دليل على ذالك هو أنَّ وادي تَرْجٍ الوادي المعروف الذي يمتد من تَنُومَةِ بني شِهْرِ حتى يصل منطقة بيشة ، هذا الوادي فيه مزارع ونخيل ، ونحن الحلافات نرث فيه أبًا عن جدٍّ .

ثم ذكر أن الحلافات تحل بمنطقة (الفوهة). وفي وادي ترج والمهامل والشامة والفيض والبهيم وحُمَيِّر .

هذا ماكتب به الأخ مسفر إلى مجلة «العرب» التي تَعِدُه بأن تضيف معلوماته هذه إلى كتاب «معجم قبائل المملكة» عند إعادة طبعه إن شاء الله .

الـرس أيضـا

جاء في «العرب» - س ٢٤ ص ٨١٠ - كلام عن الرس ، ونقلٌ عن «أنساب الصحاري» والبلبيسي فيه : (الأقيون رهط حنظلة بن صفوان نبي الرَّسِّ ، مابين نجران إلى اليمن من حضرموت إلى اليمامة ، كانوا يسكنون الرس) .

وقد كتب إلي الصديق الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، كتاباً جاء فيه مانصه : (وقد فاتكم ذكر مرجع هاؤلاء المؤرخين وهو : الجزء الأول من «الإكليل» لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ، فقد جاء في - ص ١٢١ - مالفظه : حنظلة بن صفوان بن الأقيون نبي الرس ، والرس بناحية صَيْهَدَ ، وهي بلدٌ منخرقة مابين بَيْحَان ومأرِبَ والجوف فنجران فَالْعَقِيْقَ فالدَّهْنا ، فراجعاً إلى حضرموت) .

وقد نبهني إلى ذالك أخي القاضي محمد بن علي الأكوع . انتهى .

العـــرب : شكراً للأستاذين الجليلين القاضيين محمد وإسماعيل ابني علي الأكوع ، وزادهما الله من العلم والمعرفة والخير مايتحفان به المتطلعين إلى فضلهما ، المستزيدين من عملهما .

الرَّشيـد لا الرُّشيـد

وقع في «العرب» ـ س ٢٤ ص ٨١٢ ـ في ذكر أسرة آل نغيثر التي من شمر: (الدكتور ناصرَ بن سعد الرُّشيد) بضم الراء .

والصواب (الرَّشيد) بفتح الراء .

وسقط عند ذكر نسب الأسرة اسم عبدالله بن سالم ، بعد سالم وقبل شايع ، ليصبح النسب : عبدالله بن علي بن سالم بن عبدالله بن سالم بن شايع ، والأسرة في بلدتي الشعراء والدوادمي .

نبه «العرب» إلى ذالك الأخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سلامة النغيثر .

(هدان) من جبال أبْلَى

تَرِدُ في كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري أسماءُ مواضع لا يجد الباحث لها ذِكْراً في الكتب الأخرى ، ومن ذالك أنه أورد أرجوزة لراجز لم يسم اسمه ـ ٣٤٠ المخطوطة الهندية ـ جاء فيها :

كـريمةٌ بنتُ كَـرِيمِ العَـرْتَمِ   عفيفـةٌ نـاشئَـةٌ من خَـثْعَـمِ
بَـيْنَ يَـقِيَّـيْنِ وَبَـيْنَ أَظْـلَمِ   وبـين وَغْـيَـيْ غُـرُبٍ وَعَيْـهَمِ

يَقِيَّيْنْ : جبلين من أُبْلَى ، وأُبْلَى بَلَدٌ كبير ، فيه الجبال والمياه والشعاب ، وهو عن يمينك من المعدن ، مَعْدِن بني سُلَيْمٍ وأنت تريد العراق[1].

---

(١) كذا في المخطوطة وصواب العبارة : (وأنت تُرِيد مكة من طَرِيْق حاجّ العراق) فأُبْلَى على يسار مَن يُرِيْدُ العِرَاق مِنَ المَعْدِن بخلاف من يقصد مكة فهي على يمينه .

وأظْلَمُ : جبل بالْعَمْقِ أسود ، وَوَغْيَانِ : جبلان عن يمين السابلة من جادّة البصرة :

إلى هِــدَانَــيْنِ وشِـقَّـيْ أرْثَــمٍ   كَمْ مِنْ قَبِيْلٍ جامِعٍ مُعْرَنْـزِمٍ

هِدَانانِ : جبلان من وراء السُّوَارِقيَّة من بَيْضَان ، وأرثم : جبل آخر من بَيضان ، والمعرنزم : الجمح المقيم . انتهى كلام الهجري.

وقد جرى ذكر اسم (هِدان) بحضور الأخ ماجد بن طاهر المطيري فقال : إنَّ هدانا هذا من جبال أبْلَى لايزال معروفاً ، وقد جرى بقربه وقعة بين شريف مكة وبين بني عبدالله بن مُطير ، وكان النصر حليفهم على جيش الشريف ، واستولوا على جميع أسلحته وصور ذالك شاعر عُتَيْبِيٌّ كان في جيش الشريف قال :

ضربْنَا في جْهَام (مطْير) يوم الحظ ماقَام   مقابِيسَ الزنـودَ اللّي تـواشي نارهـا حَيَّهْ
على شان الزكاه اللي لها خمسة عشر عام   يسردون المـزكّي مـايعـرفـون المَخْقِبَـهْ
وحالُوا دون مالٍ يوم يرسي كنه أقدام   يمدُّون السهومَ اللّي على العدوان مَذْعِيَّهْ
تطلق من حلوق السرد مثل البقعي الزام   سلاح كنه الميان من (مِبْري) و(هِنْدِيَّهْ)
ولاعـادَ الشريف ولا نهار سَـيْرَ أقـدام   شرَايِدْنَا من البـاكر مـع الْجِره طَـرِيْقِيَّهْ

ملاحظات حول كتاب :

«جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»

اطلعت على الطبعة الجديدة لمؤلفكم القيّم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وأحببت لفت كريم نظركم إلى بعض الأمور التي سهوتم عنها حتى تتداركوها في الطبعات القادمة بمشيئة الله وقد توخيت الدقة في ذلك خشية الوقوع في الخطإ لما لهذا الموضوع من الحساسية لدى الكثيرين .

وملاحظاتي هي :

١ ــ **(البوازع)** :

قرأت في كتاب «نسب العرينات» للربيعان أنّ جد البازعي هو : سالم (الملقب

البازعي) لأنه انتقل من لينة إلى الطرفية في القرن الحادي عشر وحفر بئراً فقيل من بزع برأيه وحفر البئر ؟ فسمي لذلك (البازعي) بن جار الله بن منيع بن خالد بن عقلا بن راكان بن فواز بن مرعبة بن جبر العبدي من حمولة العقلا المعروفة بحائل من الفتحة (بتسكين الفاء وفتح التاء والحاء) من الجشعم من الجعفر من عبدة من شمر والناس في حائل يتناقلون أن البوازع في الربيعية من حمولة العقلا .

٢ ــ (آل ثاني) :

قرأت في «دليل الخليج» : نقلاً عن الشيخ جاسم بن ثاني أنهم : بنو ثاني بن محمد بن ثامر بن علي بن محمد بن سالم بن محمد بن جاسم بن سعيد بن علي بن ثامر بن محمد بن علي بن معضاد بن مشرف !

٣ ــ (الجابر) في عنيزة :

رأيت القاضي في «منهاج الطلب» ينسبهم إلى الخويطر من المطاريد من بني خالد .

٤ ــ (آل جبر) في حائل :

ذكرتم أنهم : بنو جبر بن عبدالله بن عبيد بن علي بن رشيد من الأسرة الرشيدية الحاكمة في حائل سابقاً !

(ولعل هذا منقول عن الشجرة التي وردت في مجلة العرب ج ٧ و ٨ س ١٠ محرم وصفر ١٣٩٦هـ والتي وضعها فيما يبدو موزل) !

وهذا غير صحيح فالجبر علـى مافي «نبذة ضاري الفهيد» بنو جبر بن رشيد أخي علي بن رشيد ، أي أنهم يلتقون وآل رشيد في رشيد ، ولا يمكن أن يكون جبر حفيداً لعبيد لسببين : أولهما وأهمهما أن عبدالله بن علي بن رشيد أخي عبيد تزوج منيرة بنت جبر وهي أم أولاده طلال ومتعب وهيا ورثعة ، وهذا مشهور وقد رواه الشيخ عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» نقلاً عن ضاري الحسين وهذا نقله عن فيصل الرشيد من أحفاد جبر ، وعلى هذا فليس ممكناً أن يكون جبر

حفيداً لعبيد وإلا كان عبدالله في هذه الحالة تزوج حفيدة أخيه !

والسبب الثاني أن جبراً معاصر لعبدالله بن سعود وهو أقدم من أنْ يكون حفيداً لعبيد !

كذلك زعم (اللّيدي آن بلنت) وصاحب «الإمتاع» أن جبرا أخ لعبدالله وعبيد خطأ ويقال عنه مايقال عن الأول !

٥ ـــ (آل خريصي) :

العزو إلى مجلة «العرب» (في اعتقادي لأني رأيت ذلك في بعض أعدادها) وليس إلى تاريخ بعض الحوادث/ ٢٢٤ والظاهر أن الرقمين ١ و ٢ (الهوامش) أخذ كل منهما مكان الآخر !

٦ ـــ (آل خلف) في الشعراء والقويعية :

هم أبناء خلف بن جمّاز أخي ناصر العريفي بن جمّاز بن سالم بن جمّاز بن حمد ابن حمدان الجفيف الجبري الخالدي ، كما هو مثبت في شجرة نسب العرافا .

٧ ـــ (آل دعيج) في الـحِجْشّة :

هم أبناء دعيج بن حمدان الجفيف أخي حمد بن حمدان الجفيف جد العرافا لأبيه ، وعزو العرافا إلى آل دعيج كما جاء في «المعجم الجغرافي» ـ المنطقة الشرقية : ٤٠٦ خطأ والصحيح أن العرافا وآل دعيج أبناء عم من الجبور من بني خالد (هكذا حدثنا أشياخ من العرافا أهل مزعل منهم محمد الناصر البشر العريفي وعبدالعزيز المحمد العريفي .

٨ ـــ (آل رحمة) في المستجدة :

ذكرتم نقلاً عن ابن صُقَيْه أنهم من الـحُمران من بني عمرو من تميم .

وقد راجعت ابن صقيه في ذلك فقال لي : أنه وجد اسمهم في بعض الوثائق .

والذي أعرفه أن في المستجدة أسرة يقال لها الرحمة عرفت بعد ذلك بالخطباء

واحدهم خطيب ، وهم من أسرة كبيرة منتشرة في حائل وموقق والروضة والمستجدة وقصر العشروّات ، تسمى آل رحمة ، وهم يزعمون أنهم أساساً من بني خالد ، وأنهم جاءوا إلى حائل من شرق الجزيرة ، وسمتهم تشبه سمة بعض الأسر الخالدية ، وهو اللام وصفته هكذا (٨) على أن بعضهم يتحدث عن احتمال كونهم من النعيم ، وينقل عن السويداء النسابة أنه كان يقول : آل رحمة إما من بني خالد أو من الفضول ، وقد سألت أحد أقاربهم في حائل : هل يوجد في المستجدة أسرة أخرى باسم الرحمة غير الذين أعرفهم فنفى ذلك ، ومن الرحمة المذكورين الأسر التالية :

العمـر الخطيب في لبدة بحائل ، السمَيِّر في لبدة ، وهم بنو عبدالرحمن الملقب سُمَيِّر بن عبيدالله الخطيب ، والعبيد الله بن محمد بن عبيدالله الخطيب في لبدة ، والناصر الخطيب في قصر العشروّات ، والبدران في موقق ، والدخيل في قصر العشروات ، والمسلم في موقق ، والخطيب في الروضة والمستجدة وغيرهم !

والخطيب هؤلاء هم نفسهم الذين ذكرهم الأستاذ فهد العريفي في كتابه «هذه بلادنا حائل» ص ١٠٦ !

٩ ــ (آل رزق) :

حدثني الشيخ صالح الزياد الخالدي رحمه الله وهو من آل زياد أهل المزاحمية ، وكنت أزوره قبل وفاته العام الماضي فقال لي : إن أباه كان يقول : إن الناس يعتقدون أن السيايرة أقرب من لنا يابن زياد من جبور بني خالد ، والصحيح أن أقرب من لنا آل رزق ثم العرافا ثم السيايرة . وهذا يدل على أن آل رزق من الدعم من الجبور من بني خالد .

١٠ ــ (آل رَشِيْد) في حائل :

ماذكره ابن دَخيل في «القول السديد» من أسماء بعض فروع آل جعفر من عبدة من شمر صحته : العطون ، آل حيمر ، آل جشعم ، الرزين ، آل خليل ، آل علي وفاته آل رَيَّا وآل عبيد ـ وهم غير العبيد الرشيد فهؤلاء فخذ لا أسرة ـ.

١١ ــ (آل رِمَال) في جُبَّة :

وتمام نسبهم أنهم من الغُفيلات من سنجارة ومن شمر ، وقد رأيت ابن فضل الله العمري يذكر الرمالي من الصبيحيين من بني زُريق بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيْ ولا أستبعد أنهم أسلافهم لسببين :

أن جبّة كانت لبني بحتر ، وهم بنو بحتر بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيْ وهم على هذا قريبون منهم في النسب والمكان .

إن اسم آل رمال قديم وإن كان أقدم من عرف به شايع الأمسح بن مرداس الرمالي المعاصر لسعدون بن محمد بن غرير الخالدي (١٠٩٣ - ١١٣٥) .

١٢ ــ (آل زبن) من بني خالد :

ذكرتم أنهم من العماير ، والذي سمعته من الدكتور عبدالله بن محمد الزبن أنهم من آل صبيح من بني خالد !

١٣ ــ (آل زياد) في المزاحمية :

تقدم القول أنهم من الجبور من بني خالد .

١٤ ــ (السباعا) في الوشم :

لتتمة نسبهم حدثني الشيخ السبيعي في المجمعة أنهم من آل فاضل من آل غرير وأن السبيعي لقب لمحمد بن علي بن فاضل .

١٥ ــ (آل سبهان) في حائل :

ورد اسم جدهم : سبهان بن أحمد والصحيح سبهان بن حمد .

١٦ ــ (آل مقبل) في ضرما :

لم تذكروا القول بأنهم ربما كانوا من قحطان ، وقد سمعت ذلك من عدة أناس من أهل ضرما والمزاحمية منهم الشيخ صالح الزياد رحمه الله وهم أصهاره .

١٧ ـ (آل شعيل) في جلاجل :

ذكرتم أنهم من دعوم بني خالد ، ولم أجدهم يؤيدون هذا ، وهم يقولون : إنهم من الحماميد من الروقة من عتيبة ، وأكد لي ذالك جماعة من أشياخ جلاجل والشيخ السبيعي وقال : إنهم جاءوا من عرجا وهم الغانم البداح وآل شعيل لقب لهم .

١٨ ـ (الشواعر) في شقراء :

تمام نسبهم أنهم من الحقبان من التغالبة من الدواسر ، ومنهم قوم بحائل ، والذين في حائل من ذرية حمد الشويعر الذي عينه الإمام تركي بن عبدالله ممثلاً له في حائل في زمن آل علي .

١٩ ـ (آل فليّح) في عشيرة :

ذكرتم آل فليج بالجيم المعجمة ، والصحيح أن فليح بالياء المشددة والحاء المهملة وهم الماضي الفليح ، من الجبور من بني خالد ، وقد ذكر لي شيخ من المحارب أهل المجمعة أنهم أبناء عم لهم ، وكلهم من السيايرة من الدعم من الجبور من بني خالد .

٢٠ ـ (القويعي) في النبهانية :

وتمام نسبهم من القُوَعة ـ بفتح الواو والعين المهملة ـ من آل حَيْمر من الجعفر من عبدة من شمر ، وكنت رأيت أحدهم في منزل الشيخ صالح العساف القويعي بحائل وسألته عنهم فقال لي : إنهم من القوعة وأنهم يلقبون السلقان .

٢١ ـ (آل ماجد) في البرّة :

وتمام نسبهم أنهم بنو ماجد بن عبدالله الصبيحي الخالدي ، من آل صبيح من بني خالد ومنهم الدُّخَيِّل .

٢٢ ـ (آل نبهان) في طـيّ :

ذكرتم صلتهم بآل كثير ، ولم تذكروا أن في سنجارة من شمر فرع يقال لهم

النبهان ، ويتحدث الناس عن صلة بينهم وبين زيد الخيل (الخير) النبهاني الطائي ، وهم على مايقال بقية آل نبهان الطائيين .

هذا ماعنّ لي ذكره والله أعلم .

الرياض : احمد بن فهد العريفي

العرب : للكاتب الكريم أجزل شكر وأطيب تحيّة ، فقد أجاد وأفاد ، ومنه ومن أمثاله يستزاد كل مايصحح خطأً ، أو يكمل نَقْصاً ، أو يضيف مفيداً في الموضوع .

حول الهزازنة وبني هزان

كتب أحمد آل سليمان ـ ٢٢ / ٦٨٩ ـ ومحمد آل فراج ـ ٢٤ / ٨٠٣ ـ ينفيان صلة الهزازنة ببني هزان ومع احترامي لهما فإن المعلومات التي قدماها لا تكفي في موضوع شائك كهذا ، فالجهل لا يتخذ أساساً للعلم .

فالهزازنة وبنو هزان من جد واحد هو وائل بن هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنترة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

والهزازنة اسم عرف به ذرية رشيد بن مسعود بن سعد بن سعيدان بن فاضل الهزاني الجلاسي الوائلي ، وهم :

١ ــ آل عبدالله بن رشيد وهم الدحاملة وآل تركي .
٢ ــ آل عثمان : ومنهم محسن الهزاني ولم يبق منهم إلا آل مشاري بن محمد في مكة وآل عثمان هاؤلاء غير آل عثمان الذين في نعام من بني هزان .
٣ ــ البزمان : وهم آل فيصل وآل زومان في الحريق .
٤ ــ آل قِمري ـ بكسر القاف ـ: وجدهم عيسى الهزاني .
٥ ــ آل ناصر بن حمد : ومنهم آل صعب في الحريق .

ومن الهزازنة في الأحساء : آل ماجد ، وفي الحريق : آل سعد وآل غيث ،

وفي نعام : آل سيف وآل هلال ، ومنهم آل غيلان ، وفي الرياض : آل عبدالرحمن ، وفي سدير : آل عَقِيل - بفتح العين -.

أما بنو هزان فما برحوا على اسمهم القديم ، وهم :

١ ـ آل عثمان في نعام .
٢ ـ آل زامل في الحريق والرياض والمزاحمية .
٣ ـ آل دَرّا - بفتح الدال والراء - في الحريق .
٤ ـ آل عشبان في الحريق والرياض .
٥ ـ آل منيع في نعام .
٦ ـ آل راشد بن علي في المفيجر .
٧ ـ آل نمران كانوا في الحريق .
٨ ـ آل راشد بن حمد كانوا في الحريق ثم سكنوا المويه في طريق مكة وابن عمهم ابن عَجْله في ضرما .
٩ ـ آل وايل - (الولايا) واحدهم وايلي - في الحريق .
١٠ ـ آل ابن رُشيد - بضم الراء - في المفيجر .
١١ ـ ابن سالم في المفيجر .
١٢ ـ آل حسن في السلمية بالخرج ..
١٣ ـ آل حسن في ضرما .
١٤ ـ آل ناصر بن حمد وهم :

أ ـ آل ثعْلب في الرياض .
ب ـ القنابزة في حايل .

١٥ ـ آل عبود وهم مع الظهران من السهول حلفاً .
١٦ ـ آل عقيل في سدير .

الرياض: عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الضفيّان من الوهبة من بني تميم

كتب الأخ ناصر بن راشد الضُّفَيَّان من حوطة بن تميم ، أن أسرته (الضُّفَيَّان) من الوُهَبَة من بني تميم ، يسكن بعضهم في الحُلْوَة بمنطقة حوطة بني تميم ، وبعضهم في نَعَام ، ومنهم آل رشيد بالْـخَرج ، وآل عُثْمان في الزُّبير ، وقد عاد بعضهم إلى الرياض ومنهم آل عَمِيرَة في حائل ، وأشار إلى أن الدكتور الدبل ، ذكر في كتابه عن «الحريق» ص ٧٨ : آل ضُفَيّ ، وأنهم من تميم ، كما ذكر الشيخ الحقيل ، آل رُشَيد وأنهم من تميم ، ولكنه ذكر الفرع وأهمل الأصل ، إذ آل رشيد من الضفيان .

كما كتب الأخ الشيخ عبدالرحمن بن صالح بن عبدالرحمن الفارس بما ملخصه : أشير إلى ما طلبه مني الأَخَوَانِ عبدالله بن ناصر بن سعد آل ضُفَيّ ، والأخ ناصر بن راشد آل ضُفَيّ من بلدة الحلوة من قرى حوطة بني تميم عن أسرتها .

وأفيد أن ضُفَيّ لقب لا أصل ، وإنَّما الأصل الحقيقي راشد بن بُرَيْد بن محمد ابن مُشَرَّف بن عمر بن مِعْضَاد بن رَيِّس بن زاخر بن محمد بن عَلَوِي بن وُهَيْب .

وكان هذا اللقب أصيلاً بدلاً من راشد ، وهو في حضانة والدته ابنة ابن نَشْوَانَ وذالك بعد وفاة والده .

ومن المعروف عدم الاستقرار في نجد في العهود السابقة بسبب كوارث الفتن والحروب التي دَعَتْ بعضَ أهل نجد إلى الاغتراب عن أوطانهم لطلب الرزق ولمواطن الأمن .

ثم ذكر أنه نقل هذا عن عبدالله بن منصور من أحفاد الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور العالم المعروف ، وعن عبدالعزيز بن نشوان المتوفى سنة ١٣٧٦هـ ، وكان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف في الرياض ، بِنسبهم لما ذكر ابن منصور .

ولكون آل نشوان يعرفون جَيِّداً قبيلة الوُهَبَةِ ، ومن ينتمي إليهم فهو (شاهد

من أهله) ومعروف بالصدق والاستقامة ، وأيضاً الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ذكر أنهم ينتسبون إلى الوهبة ، والناس مأمونون على أنسابهم . انتهى .

أسر في بلدة عُشَيْرة سُدَيْر

كتب الأخ عبدالعزيز بن ناصر السَّند من عُشَيرة سُدَير يلاحظ على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ومن ملاحظاته :

١ ـ ص ٢١٦ : آل خالد في ثادق والرياض . أضاف هم أبناء عمومة آل ماضي والفلاح في عُشَيرة سدير والرياض المذكورون (ص ٧٠١) .

٢ ـ ص ٤١٥ : آل سند في ثرمداء وسدير . أضاف الأخ آل سند في عشيرة سدير .

٣ ـ ص ٤٢٢ : آل سَهْو في سدير ، وأضاف : الصحيح أن آل سهو في عُشَيرة سدير وفي الرياض .

٤ ـ ص ٤٩٢ : آل صلال في العارض والزلفي . أضاف : آل صَلّال في عشيرة سدير .

٥ ـ ص ٥٩٦ و ٨٧٦ : آل عشيرة يقول الأخ : لا يوجد أسرة بهذا الاسم في عشيرة ، والأسرة الموجودة فيها هم آل عَشْرِي أبناء عمومة آل إدريس وآل ناصر وهم أسرة واحدة .

٦ ـ ص ٧٠١ : آل فليج في عشيرة سدير . قال : الصحيح آل فَلّاح وهم أبناء عمومة آل ماضي (المذكورون ص ٧٦٧) وآل خالد والتصغير آل فُلَيِّح .

٧ ـ ص ٨١٩ : ورد آل مسند في ثرمداء كما ورد (ص ٤١٥) فهل الصحيح آل سند أو آل مسند ؟

٨ ـ ص ٨٧٦ : آل منعات أهل عشيرة .

نقلتم عن ابن لعبون . . . والرابعة آل منعات الذين منهم آل عشيرة . وقال :

والصحيح لا يوجد أسرة تسمى آل عشيرة كما ذكر سابقاً (ص ٥٩٦ و ٨٧٦) بل العشري وهم وآل إدريس أخوان (ادريس وعشري) ويتبعهم آل خميس .

٩ ـ ص ٨٩٢ : آل عثمان وآل ناصر : هما رجلان اخوان فيكتفي بآل ناصر أو آل عثمان إذ هم أسرة واحدة .

العَبَدَةُ في هُذَيل

ذكر الأخ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي في «العرب» [س ٢٥ ص ٢٣٩] العبدة بطن من هذيل .

وتحسن الإشارة هُنَا إلى قِدَمِ هٰذا البطن ، فقد جاء في كتاب إسماعيل بن إبراهيم بن محمد البُلْبَيْسي (٧٢٨/٨٠٢هـ) الذي جمع فيه بين كتابَي ابن الأثير والرُّشَاطِي في الأنساب ما نَصُّهُ: الْعُبَدِيُّ ـ بضَمِّ العَيْنْ وفتح الباءِ ـ حَكَى سِيْبَوَيْهِ : حَيٌّ مِنْ بني عَدِيٍّ يقال لهم بنو عُبَد ، قالُوا فيه عُبَدِيٌّ ، وهُمْ مِنْ بَقَايَا جُرْهُمَ ، دخلوا في هُذَيل ـ انتهى .

ومعروف أن جُرْهُمَ سُكَّان مكة الأقدمون ، الذين نشأ فيهم إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما السلام ـ وتعلم منهم العربية ، وهُمْ مِنَ القحطانيِّينَ ـ.

والعرب العَارِبة الأولى ـ البائدة ـ لم يَبِيْدُوا عن بَكْرة أبيهم ، ولكنهم بعد ضعفهم وتغلب القبائل التي أقوى منهم عليهم بقيت منهم فروع دَخَلَتْ في القبائل القوية ، وانصهرت فيها .

والقبيلة تَمُرُّ بِأطوارٍ مختلفة مِنْ حَيَاتِهَا نُشوءٌ ، فاكتمالُ قُوَّةٍ ، فَضَعْفٌ ، فَاضْمِحْلَالٌ يسبب لها التَّمزُّقَ في فروعها ، واختلاط تلك الفروع بقبائل قوية حديثة .

الشعر والشعراء في نوادر الهجري

قلت ص ١٤٥ ـ بان في المخطوطة المصرية بيتاً لحاتم أوردته وقلت عنه :

فالبيت كما ترى من القصيدة التي تقدم مطلعها - اعني -:

إذَا أَزَّرُوْا بِالشَّوْكِ أَعْجَازَ نَخْلِهِمْ رَأَيْتَ عِـذَاقِيْ بَيْنَهَـا مَـاتُـؤَزَّرُ

وهذا سهو مني ، فالبيت ليس من تلك القصيدة فهو يخالفها في الوزن ان اتفق معها القافية .

آل ثاني - حكام قطر - من بني دارم وليسوا من الوهبة

لقد كنت أسمع في صغري من كبار السن أن (آل ثاني حكام قطر) من عبدل من بني تميم ، ولم يزل هذا اعتقادي حتى صدر كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» والذي يُعَدُّ - بدون مجاملة - أفضل ماصدر عن أنساب أهل نجد حتى الآن ، لأنه مبني على أساس من النقاش والمحاورة وتحرّي الصواب فيما ينشر في مجلة «العرب».

بعد اطلاعي على «الجمهرة» قرأت أن آل ثاني من الوهبة من تميم ، فوضعت ثقتي فيما جاء في «الجمهرة» وخشيت أن يكون كلام كبار السن بسبب خلط في أفخاذ بني تميم وبعد صدور مقالي في مجلة «العرب» والذي نشرت فيه أسماء بعض الأسر العبدلية ، لامني بعض الإخوان ممن لهم اهتمام بالنسب ، لعدم ذكري آل ثاني مع تلك الأسر العبدلية ، وأكدوا لي أن آل ثاني من بني عبدالله بن دارم ، وليسوا من الوهبة ، وطلبوا مني استدراك الأمر بالكتابة لمجلة «العرب» ولكني لم أرد الاستعجال في هذا الأمر حتى أتأكد ذالك .

خلال تلك الفترة ظللت أبحث في الأمر راجياً أن أتوصل إلى أدلة كافية حتى عثرت على أدلة لا تقبل الشك ، وكل واحد منها يغني عن الآخر ، وجميعها تؤكد أن آل ثاني من بني دارم ، وليسوا من الوهبة ومعلوم أن الفخذين كليهما من تميم .

وسأذكر هنا بعض هذه الأدلة وهي كافية - إن شاء الله - :

أولاً : أن الشاعر عبدالله بن صقيه له اطلاع على أنساب العرب عامة وأنساب تميم خاصة ، وقد ذكر في إحدى قصائده في ديوانه ـ الطبعة الأخيرة ص ٨٩٠ ـ :

وآل ثـاني اللي جـارهم مايـذِلّ (دَوَارْمٍ) تَأبَى عن الجَوْر، وتْجير

فهو يقرر في هذا البيت أن آل ثاني من بني دارم ، هذا مع العلم أن الشاعر من الوهبة وهذا دليل كاف بحد ذاته .

ثانياً : جاء في كتاب «اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان» لمؤلفه سالم بن حمود السيابي والمطبوع على نفقة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني مايلي: (ومن النزار بعمان بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومنهم آل ثاني حكام قطر) .

وهذه النسخة التي رأيت موجودة في مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض .

ثالثاً : اطلعت على كتاب «درر المعاني في مدح آل ثاني» وودت لو أنني اطلعت على هذا الكتاب قبل أن أكتب إليكم سابقاً ، فليس بعد هذا الكتاب شك ، فهذا الكتاب ليس لشاعر واحد وإنما هو تجميع لقصائد في مدح آل ثاني من خلال قراءتي لهذا الكتاب لم أجد شاعراً واحداً من الشعراء ذكر أن آل ثاني من الوهبة ، بل انهم جميعاً ـ أي الشعراء الذين تطرقوا لنسب آل ثاني ـ أجمعوا على أن آل ثاني من بني دارم ، فهل يعقل أن أولئك الشعراء جميعاً أخطأوا في نسب آل ثاني ؟

لا أظن كذالك أن من قيلت هذه القصائد فيهم يقرون خطأ في نسبهم ، خاصة وأن معظم تلك القصائد قد قيلت أمام شيوخ آل ثاني .

ومن المعروف أن بني عبدالله بن دارم والوهبة أبناء عمومة من بطن واحد من تميم هو بطن بني حنظلة .

عبدالرحمن بن عبدالله بن راشد آل حوتان

العضيلات من الصعبة من مطير

كتب إلى «العرب» الأخ عيد بن مساعد المطيري في الأحساء يذكر أنه طالع بعض كتب النسب فلم يجد تفصيلاً وافياً عن فرع العُضَيلات أحد فروع الصعبة من بني عبدالله بن غطفان من قبيلة مُطَيْرٍ ، مما حداه للكتابة عنهم بتفصيل ، وهاهو نص ماكتب به :

أولاً : جد العضيلات هو مرشد بن عضي بن صعيب بن كامل بن عَبَّاد ، وله من الأبناء :

١ ـ سافر . ٢ ـ رويشد . ٣ ـ عبيد .

والآن نتناول كُلًّا منهم على حِدَةٍ :

١ ـ سافر جد ذوي سافر وعقبه هم :

ـ الكلابين أبناء كُلَيّان بن سافر منهم الذُّنَيّبات والتُّيوس .
ـ المشاشيل أبناء هشَّال بن سافر منهم الرماحين والصُّفْيَان (أبا الصَّفَا) .
ـ الضيران أبناء العفين من نسل سافر .
ـ السعامين أبناء سعمان بن سعد بن سافر وفيه قال أحدهم :

يَا وَاصْلٍ منّي رزين قـل له   واصـعق لـسعـمان الـعـضـيـله

[ورزين هذا جد الضمون من المهالكة من الصعبة من بني عبدالله من مطير وفي نسله إمارة الصعبة].

ـ المساعيد .

٢ ـ رويشد الملقب بالعقص فسمي نسله بالعقصان وهم :

ـ السبورة أبناء سبير بن مرشد بن رويشد بن مرشد بن عضي .
ـ ذوو حامد بن مرشد بن رويشد .

←

* **معجـم السفـر :**

لإخواننا من علماء الباكستان عنايةٌ واهتمام كبيرانِ بنشر الثقافة الإسلامية ، وبذلِ الوسع في ذالك ، مع مراعاة الدقة والتحرّي للصواب غالباً فيما ينشرون ، ومن آخر ماطلعت عليه من آثار أولئك العلماء الأجِلّة كتاب «معجم السفر» لأبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِيّ (٤٧٨/٥٧٦) وقد قام بتحقيق نصوصه والتعليق عليه وعمل فهارسه ووضع مقدمة له الدكتور شير محمد زمان ، وقام مجمع البحوث الإسلامية في الجامعة العالمية في إسلام آباد (باكستان) بنشر الكتاب ، فجاء في مجلد ضخم ، صفحاته : ٦٨٣ + ١٢٦ = ٨٠٩ ، متن الكتاب وفهارسه وما أُلحِق به ، ثم دراسة عن الكتاب باللغة الإنجليزية في ١٢٥ صفحة ، بحيث بلغ مجموع صفحات الكتاب : ٨٠٩ + ١٢٥ = ٩٣٤ صفحة ، بينما متنه لايزيد على ٤٥٠ صفحة وعدد المترجمين فيه ٧٩٤ ، ومابقي من الصفحات هي من أثَرِ عناية المحقق الفاضل وحرصه واهتمامه بأن يبرز عمله كاملاً ، وحبذا لو أن ماقدمه

← ـ ذوو عايد بن دميلج بن عمير بن مرشد بن رويشد ومن عقبه الصواوية .
ـ ذوو هاوي بن عمير بن مرشد بن رويشد .
ـ العيورة أبناء رشيد بن رويشد .

٣ ـ عبيد الملقب بالعضب ولذا سمي عقبه بالعضبان وهم :

ـ الهراسين أبناء هريسان بن عبيد .
ـ العبادين أبناء عبدان بن عبيد ، وهم الحرابين وذوي نجيم .
ـ ذوو رشيد بن عبيد وهم ذوي زيادة وذوي رشيد ، وذوي هديب ، منهم النعامين .

من دراسة كان باللغة العربية ، إذ ليس كل مثقف عربي يعرف اللغة الإنجليزية ، وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) وكان الحلقة الـ(٨١) من منشورات (مجمع البحوث الإسلامية) .

وسبق أن نشر هذا الكتاب بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في العراق سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) ، التي بَذَلَتْ جُهْداً كبيراً في إبراز عملها على خير صُوْرَةٍ مستطاعة .

ويظهر أن الدكتور شير محمد زمان اعتمد في النشر أربع مخطوطات لم تتوفر إحداها للناشر الأول .

*** ديوان الراعي النميري :**

قام الأستاذ المستشرق الألماني رَايِنْهَرت ڤَايْبَرْتْ في جامعة (ميونخ) بدراسة شعر الراعي النُّمَيْري أطروحة لنيل (الدكتوراه)، ثم قام بجمع شعر الشاعر ، وبذل جهداً يتميز بعمق البحث وسعة الإطلاع كما يبدو من آثار هذا الجهد جمع ما أمكنه جمعه من شعر هذا الشاعر من أمهات كتب الأدب والتاريخ واللغة ، وقام المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت بنشر ماجمعه الأستاذ ڤايبرت ، فكان الحلقة الـ(٢٤) من سلسلة منشوراته التي بعنوان (نصوص ودراسات) وقد طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٤٠١هـ (١٩٨٠م) أي قبل تسع سنوات ، ولكنني لم أطلع عليه إلاَّ في هذه الأيام ، ولعل لحوادث بيروت من الأثر من تأخير نشره وتوزيعه ماسبب تأخر وصوله إليَّ ، فقد اجتمعت بالأستاذ راينهرت ڤايبرت في ميونخ وأكرمني بدعوته إلى منزله واطلاعي على مكتبته ، وتحدثت عن ذالك في مجلة «العرب» - ٢٢/٧٣٢ - ولم يكن الديوان إذ ذاك قد وصل إليه ، لأنه قدم لي نسخة من دراسته باللغة الألمانية .

وطباعة هذا الديوان على درجة من الحسن كغيره من منشورات المعهد الألماني ، وقد صدر بمقدمة عن حياة الراعي ورأي النقاد في شعره ، ورواية ذالك الشعر ،

ثم إيضاح طريقة عمل الأستاذ في الجمع والتحقيق حتى تمكن من جمع (١٤٣١) بيتاً من الشعر ، وألحق بالشعر فهارس وافية اتبعها بثبت المصادر والمراجع التي استفاد منها فجاء الديوان في ٣٦٤ صفحة .

وشعر الراعي النميري محظوظ ، فقد كان من أول من حاول جمعه في عهدنا الدكتور ناصر الحاني ـ رحمه الله ـ وطبع ماجمع مجمع دمشق ، ثم استدرك عليه الأستاذان الدكتور نوري حمّودي القيسي وناجي هلال ، وكان ماستدركا جديراً بأن يعاد نشر الديوان مرة أخرى ، فكان ذالك ، ونشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٠هـ ، ومع ذالك فلايزال شعر الراعي ناقِصاً ، كشعر غيره ممن لم يَتَصَدَّ المتقدمون بجمع شعرهم جمعاً يصل إلينا ، فقد نشر الأستاذ الدكتور خليل أبو رحمة في مجلة «معهد المخطوطات» ـ م ٣٠ ج ١ جمادى ـ شوال ١٤٠٦هـ الكويت) من ص ٣٩١ إلى ٤٢٨ استدراكات أوردها على مانشر .

* عبيد بن الأبرص ، شعره ومعجمه اللغوي :

قام الدكتور توفيق أسعد رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة الكويت ، بدراسة شعر عَبيد بن الأبرص ، فعمد إلى الديوان الذي حققه الدكتور حسين نصار فاتخذه أصْلاً ورجع إلى مخطوطات وكتب مطبوعة ومصادر قال : إنها تتجاوز ثمانين مرجعاً . وخرج من ذالك بدراسة قامت وزارة الإعلام في الكويت بنشرها فكانت الحلقة الـ(١١) من سلسلة (دراسات في التراث العربي) وتحوي هذه الدراسة الشعر مجموعاً ، ثم ورد فيه من كلمات لغوية وأسماء مواضع وأعلام وأدوات إعراب ، ثم سرداً لأسماء المصادر والمراجع كل ذالك في ٣٧٢ صفحة بمطبعة حكومة الكويت طباعة حسنة (لم يذكر تاريخ الطبع) ولكن إحدى المقدمات مؤرخة في ١٤٠٨هـ .

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦١٩٩٢٢
ص . ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧ و ٨ س ٢٥ محرم/صفر ١٤١١هـ آب/أيلول (أغسطس/سبتمبر) ١٩٩٠م

نظرات في كتاب :

المعجم العربي الأساسي

منذ أنْ قرأتُ وصف أستاذنا الجليل الدكتور شاكر الفحام لـ «المعجم العربي الأساسي» الذي أعدته (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) وأنه (ثمرة عمل وجهد امتد ثماني سنوات) - «العرب» س ٢٤ ص ١٥٨ - وأنا شديد التطلع لاقتنائه ، لأنني أُدرك كغيري الحاجة إلى معجم لغوي عربي حديث شامل ، يوثق بما يحويه من معلومات ، ويحوي متطلبات الباحث في هذا العصر ، ومَنْ أوْلى بالثقة من هذه المنظمة التي لها من الامكانات ماليس لغيرها .

ولما أُتيحت لي زيارة مدينة تونس في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٠هـ أتحفني الأستاذ يوسف السيف المندوب السعودي لدى المنظمة - من بين ما أتحفني به من مؤلفات - بنسخة من ذالك «المعجم» ، ولكنني بعد أن تصفحته اتضح لي - أو هكذا تَخَيَّلْتُ - أنَّ المعنيين بتأليفه ماكانوا بحالة من أمرهم مكنتهم من إبرازه بالصورة الملائمة لمؤلف يصدر عن هذه المنظمة الكريمة التي لها من سمو المنزلة في نفوس مثقفي الأمة مايُجِلّ ماتصدره من مؤلفات مكانتها لديهم .

وماكنت لولا حرصي أن يُعاد النظرُ في هذا «المعجم» راغباً في أن تبلغ مني الصراحة مابلغتْ ، وماذا عسى أن يقال في تلك الثمرة التي أبرزها جهد استغرق ثماني سنوات من قبل منظمة تعد القمَّةَ في الهيمنة على شؤون الثقافة العربية ، معدة لذالك ومختارة ستة من خيرة الأساتذة للتأليف ، وسبعة للإعداد الفني

والإشراف الإداري ، وثلاثة أساتذة للمراجعة ، عدا من قام بالتنسيق والتحرير والتقديم ، أو كما وصفه السيد الأستاذ الجليل الدكتور محي الدين صابر - المقدمة ص ١٠ - : (... بخواصه ومميزاته حصيلة جهد جماعي ، ندبت له المنظمة نخبة ممتازة من المعجميين ، وعلماء اللغة العربية من مشرق الوطن العربي ومن مغربه).

ومن بواعث ذالك الحرص ماجاء في المقدمة - ص ١١ -: (هذا العمل ككل عمل إنساني كماله في نقصه ، وهو يَرْشُدُ بالمراجعة والتنقيح ، والزيادة والحذف والتصحيح ، ومن هنا فإن دور المجتمع المتلقِّي من الأخصائيين دورٌ مكمل ولابُدَّ منه فنياً واجتماعياً).

إذنْ فالقائمون على إصدار هذا «المعجم» في هذه المنظمة الكريمة وضعوا جانباً من عِبْءِ إكمال نقصه على كواهل من يحس في نفسه قدرة واستطاعة على المشاركة من المعنيين بهذا الجانب الثقافي ، وهذا مما حفزني على إبداء ماظهر لي أثناء مطالعتي من صفحاته مما هو بحاجة في - رأيي - إلى إعادة النظر فيه ، ولم استوعب جميع صفحات الكتاب بالمطالعة .

١ - الأساسي

لم أدرك المعنى المقصود من وصف هذا «المعجم» بـ(الأساسي) ، إذ مفهوم هذه الكلمة أنه أساس للكلمات العربية الأصيلة ، لكي يُستقى منه ويُعتمد عليه ، وقد ظهر لي أنه يحوي كلمات كثيرة ليست عربية النِّجَار ، بل هي إما أن تكون من الكلمات العامية التي استعملت في بعض الأقطار العربية من جرَّاء اختلاط سكان ذالك القطر بغيرهم من الأعاجم ولم تستعمل في غير ذالك القطر ، أو من الكلمات الأعجمية التي لم تُقِرَّ المجامعُ العربية لها مايقابلها باللغة العربية لكي تنسجم من حيث الأسلوب العربي الصحيح انسجاماً يجعلها مقبولة .

ولا يتسع المجال لإيراد نماذج لتلك الكلمات التي قَلَّ أن تخلو صفحة من صفحات «المعجم» منها .

يضاف إلى هذا أن وصف «المعجم» بكونه أساسياً يستلزم أن يحوي كُلَّ الكلمات العربية الفصيحة التي لاتزال مستعملة ، وماتصرف منها ، و«المعجم»

ليس بهذه الصفة ، فهو لا يحوي سوى نحو خمسة وعشرين ألف مدخل - المقدمة ص ٩ - وهذا القدر من الكلمات أقل من نصف الكلمات العربية الفصيحة .

أما وصف «المعجم» (بأنه يتميز . . . بالإحاطة والشمول ، فهو يضم كل ما يحتاج إليه مستعمله . . . من خلال اللغة الفصيحة الحية والمستعملة في هذا العصر في الوطن العربي الكبير) - المقدمة ص ٩ - فهذا القول بحاجة إلى الوقوف عنده والتساؤل عن خلو حرف (الألف) وحده من أمثال هذه الكلمات ، ومنها : -

١ ــ أَبَّ : وما تصرف منها فلم ترد في محلها (ص ٦٥) ومن هذه المادة (اْلأَبُّ) الوارد في القرآن الكريم ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ - سورة عبس الآية ٣١ -.

٢ ــ أَبَّرَ : أبر النخل وما تصرف منها .

٣ ــ أتـن : الأتان الحمار ، جمعها أُتْنٌ وأُتُنٌ ، والكلمة فصيحة ، ولاتزال مستعملة .

٤ ــ أَثث : نَبتٌ أَثِيثٌ وشعر أثيث .

٥ ــ أَجِـنَ : وما اشتق منها ، ومنها الماء الآجن .

٦ ــ أَدَّ : وما تصرف منها في القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ جِئْتُم شَيْئاً إِدًّا ﴾ الآية الـ (٨٩) من سورة مريم .

٧ ــ أَلَتَ : وما تصرف منها في القرآن الكريم ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية الـ (٢١) من سورة الطور .

٨ ــ أمـت : وفي القرآن الكريم ﴿ لا تَرَى فِيْهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴾ الآية الـ (١٠٧) من سورة طه .

٩ ــ اْلأَيْكَةُ : المذكورة في القرآن الكريم في سورة (الحجر) و(الشعراء) و(ص) و(ق) .

ولن يعوزك العثور على المئات من أمثالها من الكلمات .

٢ ـ «المعجم العربي الإسلامي»

وصف السيد الجليل الدكتور محي الدين صابر هذا «المعجم» ـ المقدمة ص ١٠ ـ بقوله : (ويُعَدُّ هذا المعجم العربي الإسلامي بخواصه ومميزاته).

وكلمة (الإسلامي) مما يقف عندها كثير من القراء وأنا أحدهم ، إذْ لم أُدرك المراد منها ، فالمتبادر إلى الذهن أنه يحوي كل ما يتعلق بالدين الإسلامي من تعريفات لغوية ومصطلحات ومفردات في القرآن الكريم ، أو في ما ثبت عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ وليس الأمر كذالك بالنسبة لهذا «المعجم»، بل إنَّ كثيراً مما ورد فيه مما له صلة بالدين الإسلامي بحاجة إلى إعادة النظر .

ومن أمثلة ذلك :

١ ــ في الحديث النبوي الشريف :

وردتْ آثار منسوبة إلى الرسول ﷺ باعتبارها حديثاً نبوياً شريفاً ـ كما في المقدمة ص ٩ ـ وكما جاء في تعريف كلمة (الحديث) التي وضعت بعد كل خبر من تلك الأخبار ، ونص التعريف : قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ ـ ص ٢٩٦ ـ.

وكان ينبغي التثبت من صحة نسبة تلك الأخبار إلى الرسول ﷺ ، اتقاءً للوعيد الشديد الوارد بحق من نسب إليه ﷺ مَالَـمْ يقل .

١ ــ ص ٥٤٤ ــ: « مِثْلِـي كَمِثْلِ الأَرْقَم ، إنْ تَقْتُلْهُ يَنْقَمْ ، وإن تَتْرُكْهُ يَلْقَمْ » ـ حديث ـ.

ليس هذا بحديث ، بل من الأمثال المتداولة بين العرب ، يضرب مثلاً للرجل يتوقع شَرُّهُ في كل حال ـ انظر «جمهرة الأمثال» للعسكري ـ المثل (١٦٥٥) وفي «اللسان»: وقال رجل لعمر رضي الله عنه : مَثَلِـي كَمَثلِ الأَرْقم ـ الخ .

٢ ــ ص ٥١٨ ــ: « مَنْ وَجَدَ رِزًّا في بَطْنِهِ في الصَّلاَةِ فَلْيَنْصَرِفْ وَلْيَتَوَضَّأ » ـ حديث ـ.

هذا ليس حديثاً نبوياً ، وإنما هو من كلام الإمام علي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ انظر «غريب الحديث» لابن الجوزي ١/٣٩١ ـ.

٣ ــ ص ٤٦٨ ــ: « أَنَّ رَجُلاً قَطَعَ دَوْحَةً مِنَ الـحَرَمِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً » ـ حديث ـ.

الضمير في الخبر يرجع إلى ابن عمر ـ كما في «اللسان» ـ ولهذا لا تصح نسبته إلى الرسول ﷺ .

٤ ــ ص ٤٥٠ ــ: « اسْتَجِيدوا الْـخَالَ فَإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ » ـ حديث ـ.

هذا الخبر ورد بطرق مختلفة ، وقال الخطيب : كل طرقه ضعيفة ـ انظر «كشف الخفاء ومزيل الألباس» ١/٣٥٨ ـ.

٥ ــ ص ٤٤٩ ــ: « رَأْسُ العقلِ بعد الإيمان بالله مُداراةُ الناس » ـ حديث ـ.

الخبر ورد بلفظ : رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس . ولم يرد في كتب الصحاح .

أما (مداراة الناس) فمنها ماورد الشرع بتحريمه كعدم نهيهم عن الأمور المحرمة خوفاً من شرهم .

٦ ــ ص ٣٢٠ ــ: « اللَّهُم تَوَفَّنِـي فَقِيراً ولا تَوَفَّنِي غَنِيًّا واحْشُرْنِـي في زُمْرةِ المساكين » ـ حديث ـ.

المحققون من العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وقبله ابن الجوزي ، قالوا بأن هذا الخبر موضوع ، ومهما يكن فطرقه التي روي بها ضعيفة ، ولهذا لا يصح الجزم بأنه حديث نبوي .

٧ ــ ص ٤٣٦ ــ: « اتَّبِعُوا دُبَّةَ قُرَيْشٍ ولا تُفَارِقُوا الجماعة » ـ حديث ـ.

هذا من قول ابن عباس رضي الله عنه ، وليس حديثاً نبوياً ـ انظر «اللسان» رسم (دبب) ـ.

٢ ــ في القرآن الكريم :

لعل ماوقع في الآيات القرآنية من تساهل في ضبط كلماتها ضبطاً صحيحاً ناشِىءٌ عن عدم الإشراف على تجارب الطبع (البروفات) ولكن وقوع تحريف في بعض تلك الآيات مما يدل على أن الأصل لَـمْ يَسْلَـمْ من الأخطاء ، إذ ليس من المعقول أن يكون من التطبيع - أي الخطأ المطبعي - إبدال كلمة (الملأ) بكلمة (القوم) أو كلمة (فالق) بكلمة (خالق) أو كلمة (تعجل) بكلمة (يتعجل) أو كلمة (اضطر) بكلمة (اطظر) في الآيات الكريمة التي سيرد ذكرها .

فمن الآيات التي وقع فيها تحريف :

١ ــ ص ١٠٥ ــ: ﴿ إنَّ القومَ يَأْتَمِرُوْنَ بكَ لِيَقتُلوكَ ﴾.

حدث في هذه الآية تحريف ، حيث وضعت كلمة (القوم) بدل (الملأ) .
وصواب الآية : ﴿ إنَّ الْـمَلأَ يَأْتَمِرُوْنَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ وهي الآية الـ (٢٠) من سورة (القصص) .

٢ ــ ص ١٢٤٥ ــ: ﴿ إنَّ الله خَالِقُ الْـحَبِّ والنَّوَى ﴾.

كلمة (خالق) صوابها (فَالِق) من أول الآية الـ (٩٥) من سورة (الأنعام).

٣ ــ ص ٨٢٣ ــ: ﴿ فَمَنْ يتعجَّل في يَوْمَيْنِ فلا إِثْـمَ عَلَيْهِ ﴾.

كلمة (يَتعجَّل) خَطَأٌ .
ونَصُّ الآية ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ ﴾ من الآية الـ (٢٠٣) من سورة (البقرة) .

٤ ــ ص ٢٦٩ ــ: ﴿ فَمن اطْظُرَّ في مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

وفي هذه الآية تحريفٌ في كلمة (اطظر) .
والصواب : ﴿ اضْطُرَّ ﴾ وهي الآية الثالثة من سورة (المائدة).

ومن الآيات التي وقع فيها خطأٌ لا يتفق مع قراءة حَفْصٍ ، التي عليها

القراءة في أكثر الأقطار الإسلامية .

١ ــ ص ١٠٤ ــ: ﴿ لِلَّذِينَ يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ . من الآية الـ (٢٢٦) من سورة (البقرة) .

والخطأ هنا في كلمة (يولون) حيث لم توضع الهمزة فوق الواو (يُؤْلُوْنَ) من آلى يُؤْلِي أَلِيَّةً ، أي يقسمون أن لا يقربوهن .

٢ ــ ص ٢٦٧ ــ: ﴿ وإنْ جَنَحُوْا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَها ﴾ .

والسين مكسورة هنا (لِلسِّلْم) .

والصواب : فتحها (لِلسَّلْمِ) ، وهي الآية الـ (٦١) من سورة (الأنفال) .

٣ ــ ص ١٧٥ ــ: ﴿ ونَبْلُوَكُمْ بالشَّرِّ وَالـخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

الخطأ هنا وضع فتحة فوق الواو من (نَبْلُوَكم) .

والصواب سكونها ، وهي في الآية الـ (٣٥) من سورة (الأنبياء) .

٤ ــ ص ٢٧٠ ــ: ﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُوْلَ الإِنْسُ والْـجِنُّ عَلى الله كَذِبًا ﴾ .

الخطأ هنا : كسر الهمزة من (وَإِنّا) .

والصواب : فتحها (وَأَنَّا) وهي الآية الخامسة من سورة (الجن) .

٥ ــ ص ٢٧٣ ــ: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ ﴾ .

الجيم هنا مكسورة (بِجِهازهم) .

وهي مفتوحة (بِجَهَازِهِمْ) وهي الآية الـ (٧٠) من سورة (يوسف) وتكررت (ص ٥١١) إذْ وردت بكسر الجيم ، والصواب فتحها في الآية الـ (٥٩) من سورة (يوسف) .

٦ ــ ص ٣٢١ ــ: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدَيَهُنَّ وقُلْنَ حاشَ لله ﴾ .

على الدال من كلمة (أَيْدَيَهُنَّ) فتحة .

وهي مكسورة (أَيْدِيَهُنَّ) وهي الآية الـ (٣١) من سورة (يوسف) .

٧ ـ ص ٤٣٤ ـ: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ .

هنا الهمزة ساكنة من (دَأْبًا) .

والصواب فتحها (دَأَبًا) وهي الآية الـ (٤٧) من سورة (يوسف) .

٨ ـ ص ٢١١ ـ: ﴿ حَتَّى إِذَا اثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ .

لم توضع الهمزة فوق ألف (أَثْخَنْتُموهم) وهذا يوهم أنها ألف وصل - الآية الرابعة من سورة (محمد) .

٩ ـ ص ٥١٢ ـ: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ .

(يُبَدِّلَهُمَا) : (يُبْدِلَهُمَا) بإسكان الباء وكسر الدال .

وهي من الآية الـ (٨١) من سورة (الكهف) .

١٠ ـ ص ٥٢٢ ـ: ﴿ اتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ .

لم تشكل الكلمات ، بل أهملت جميعها ، وهذا مما يوقع الخطأ في القراءة ، وهي الآية الـ (٧٥) من سورة (الأعراف) .

١١ ـ ص ٦١٠ ـ: ﴿ وتَرى الـجِبَالَ تَحْسِبُها جامِدةً وهي تَمُرُ مَرَّ السَّحاب ﴾ .

(تَحْسِبُهَا) : السين مكسورة وهي مفتوحة (تَحْسَبُها) ، وهي الآية الـ (٨٨) من سورة (النمل) .

١٢ ـ ص ٦٧٩ ـ: ﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ .

هنا (مِنْ خَلْفِهِم) من حرف الجرِّ ومابعدها مجرور بها .

والقراءة : (مَنْ خَلْفَهُمْ) . وهي من الآية الـ (٥٧) من سورة (الأنفال) .

١٣ ـ ٦٩٣ ـ: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْـجَنَّةِ الْيَوْمَ في شُغْلٍ فاكِهُونَ ﴾ .

الغين من (شُغْل) ساكنة .

وهي مضمومة (شُغُل) وهي الآية الـ(٥٥) من سورة (يٓس) .

١٤ ـ ص ٧٢٤ ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

الخطأ هنا وضع همزة فوق الواو من كلمة (يَؤْمَئِذٍ) .

والصواب حذفها (يَوْمَئِذٍ) وهذه هي الآية السادسة من سورة (الزلزلة) .

١٥ ـ ص ٧٢٥ ـ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ .

وضع كسرة تحت ألف (اشْرَحْ) خطأ ، فهي أَلِفُ وَصْلٍ لا تُنْطَق ، وهي الآية الـ(٢٥) من سورة (طه) .

١٦ ـ ص ٧٣٠ ـ: ﴿ فَإِذَا الذي إِسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ .

وضعت كسرة تحت ألف (استنصره) وهي ألف وَصْلٍ ، من الآية الـ(١٨) من سورة (القصص) .

١٧ ـ ص ٧٣٦ ـ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ .

وَضْع همزة مكسورة تحت ألف (إرحمهما) خطأ ، فالألف هنا للوصل ، ولا تنطق أثناء الاستمرار في القراءة : ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾ ـ من الآية الـ(٢٤) من سورة (الأسراء) .

١٨ ـ ص ٧٤٦ ـ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ الله النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ .

السين من كلمة (النَّاسِ) تحتها كسرة .

والصواب فتحها (النَّاسَ) وهي من الآية الـ(٤٠) من سورة (الحج) .

١٩ ـ ص ٧٥١ ـ: ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ .

سين (يَحْسِبُون) مكسورة .

وهي مفتوحة (يَحْسَبُون) من الآية الـ(١٠٤) من سورة (الكهف) .

٢٠ ـ ص ٧٥٣ ـ: ﴿ وَهْوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾ .

هاء (وَهْوَ) فوقها علامة السكون .

والصواب ضمها (وَهُوَ) . الآية الـ (٥٤) من سورة (الفرقان) .

٢١ ـ ص ٨٠٤ ـ: ﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ العُمُرُ ﴾ .
وضع علامة السكون فوق ميم (عَلَيْهِمْ) خطأ ، فهي محركة بالضمة (عَلَيْهِمُ الْعُمُر) من الآية الـ (٤٥) من سورة (القصص) .

٢٢ ـ ص ٨٢٨ ـ: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ العَدَاوَةَ والبَغْضاء ﴾ ٦٤ (المائدة).
وضع سكون على الميم غير صحيح ، لأنها مضمومة لوصل القراءة .

٢٣ ـ ص ٨٨٥ ـ: ﴿ إلاَّ أمرأتَه كانَتْ مِنَ الغابِرِين ﴾ .
وَضْعُ الهمزةِ فوق ألفِ (امرأته) خطأ فهي ألف وصل .
والصواب (إلا آمْرَأتَهُ) وهي الآية الـ (٣٢) من سورة (العنكبوت) .

٢٤ ـ ص ٩٥٥ ـ: ﴿ فَلاَ تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ .
وتكرر كسر السين من (تَحْسِبَنَّهم) .
وهي مفتوحة (تَحْسَبَنَّهم) من الآية الـ (١٨٨) من سورة (آل عمران) .

٢٥ ـ ص ١٠٩٢ ـ: ﴿ لا تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيةٌ ﴾ .
القراءةُ المعروفة في أكثر الأقطار الإسلامية ﴿ لا تَسْمَعُ فِيها لَاغِيةً ﴾ ببناء الفعل للمعلوم ، ونصب (لاغية) في الآية الـ (١١) من سورة (الغاشية) .

٢٦ ـ ص ١١٠٣ ـ: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنَوا ولكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُل الإِيمَانُ في قُلُوبِكُمْ ﴾ .
الخطأ في حركة النون مِنْ (تُؤْمِنَوْا) حيث جعلت فتحةً .
والصواب ضَمُّها : (تُؤْمِنُوا) وهي من الآية الـ (١٤) من سورة (الحجرات) .

٢٧ ـ ص ١٢١٥ ـ: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴾ .
الفاءُ من كلمة (مُسْتَنْفَرَةٌ) مفْتوحَةٌ ، مع أنها مكسورة (مُسْتَنْفِرَةٌ) ، وهي الآية الـ (٥٠) من سورة (المدثر) .

٢٨ ـ ص ١٢٤٤ ـ: ﴿ يابُنَـيَّ إنِّي أرَى فِـي الـمَنَامِ أَنِّـيَ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذَا تَرَى ﴾ .
وُضع فوق ياء (أَنّيَ) فَتْحَةٌ ، وهي ساكنة (أَنِّيْ) في الآية الـ(١٠٢) من سورة (الصافات) .

٢٩ ـ ص ١٢٥٣ ـ: ﴿ والرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ .
(الرُّجْز) بضم الراء لا بكسرها كما وقع هنا ، وهذه هي الآية الخامسة من سورة (المدثر) .

٣٠ ـ ص ١٢٥٩ ـ: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِـي لَا أرَى الهُدْهُدَ ﴾ .
الياءُ من كلمة (مالي) مفتوحة ، ولا فتحة فوقها هُنَا ، مما يُوهِـمُ سكونها ، الآية الـ(٢٠) من سورة (النمل) .

٣١ ـ ص ١٢٧٩ ـ: ﴿ وَتَحِسِبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ ﴾ .
السِّيْنُ من (تَحْسَبُونَهُ) مفتوحة ، لا مكسورة كما وقع هنا ، من الآية الـ(١٥) من سورة (النور) .

٣٢ ـ ص ١٣٣٧ ـ: ﴿ قَالَ رَبِّـي إنِّـي وَهَنَ الْـعَظْمُ مِنِّـي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ .
كلمة (رَبِّ) هنا بدون يَاءٍ قراءة وكتابة ، الآية الرابعة من سورة (مريم) .

٣ ـ تعبيرات غير صحيحة

١ ـ يضاف إلى ماتقدم ماورد تأويله من الآيات المتعلقة بصفات الله سبحانه ، فإن السلف الصالح لا يؤولونها ، بل يمرونها كما وردت مع اعتقاد حقيقتها ، وأنَّ الله أعلم بمراده منها ، والأمثلة لذالك كثيرة .

٢ ـ ص ٤٩٥ ـ: (وقد بدأ الرسول محمد ﷺ نبوته بالرؤيا الصادقة) .

التعبير بكلمة (بدأ) أصوب منها (بُدِيَّ) لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي بدأ النبوة لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وليس الرسول هو الذي بدأ .

٣ ـ ص ١٢٨ ـ: (الباز الأشهب : لقب صوفي يطلق على من له صفة الغوث مثل عبدالقادر الجيلاني) .

وصف الشيخ عبدالقادر الجيلاني بأنه (غوث) من الأمور التي ينكرها الدين الإسلامي ، فالغوث المنقذ من الشدة وتلك صفة خاصة بالله سبحانه وتعالى فهو الذي يستغاث به وهو الغوث ، وما كُلُّ أمور الصوفية متمشياً مع تعاليم الإسلام الصحيحة .

٤ ـ ص ٦٨ ـ: (تقام المآتم كل عام احتفالاً بذكرى استشهاد الحسين) .

إقامة المآتم من الأمور المبتدعة التي لا تقرها تعاليم الدين الصحيحة ، و«المعجم» معجم لغوي يحسن أن يقتصر على المواد اللغوية وماصح وثبت من التعريفات والمصطلحات الإسلامية .

٥ ـ ص ١١٦٠ ـ: (موسى : نبي الله وكليمه ، أرسله إلى بني إسرائيل بالدين اليهودي ، ولد وتربى في مصر) .

القول بأن موسى أُرْسِلَ بالدين اليهودي قول غريب ، بل أرسله الله بالدين الحق ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده بنص القرآن الكريم ، وليس هذا خاصاً باليهود .

٦ ـ ص ١٢٧٤ ـ: (تَهَنَّأَ يَتَهَنَّأُ تَهَنُّؤًا : ـ الشَّخصُ بالشَّيءِ : فَرِحَ بِهِ تَهَنَّأَ بِزِيَارَةِ قَبْرِ الرَّسول ﷺ) .

جملة : (تَهَنَّأَ إلى آخرها) من عبارات العامة التي لا يستسيغها كل أحد ، إذ الزيارة يقصد بها المسجد النبوي الشريف ، فهو الذي شرعت له الزيارة لمن كان خارج المدينة ، وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام من الأمور المستحبة بدون سفر إذ السفر لا يصح إلاَّ للمساجد الثلاثة بنص الحديث « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » .

٧ ـ ص ١٣٠١ ـ: (السَّابقُ ﴿ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ ﴾ .

تفسير كلمة (واردهم) بأنه السابق ، تفسير غريب ، فالمتبادر إلى الذهن

وماذكره جمهور المفسرين أن الوارد هنا هو وارد الماء لكي يذهب به إلى قومه .

٨ ــ ص ١٣٤١ ــ: (قُدْرَةٌ ، له اليَدُ الطُّولَى في السُّلْطَةِ ، يَده قَصِيرة ، ﴿ يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

إيراد الآية الكريمة تفريعاً على أن اليد القدرة مما لا يستسيغه كثير من علماء السلف الذين يجلون صفات الله تعالى عن التمثيل والتشبيه والتأويل ، ويقال هذا في جميع الأيات الكريمة المتضمنة لصفاته جل وعلا .

٩ ــ ص ١١٢٥ ــ: (مدونة مالك : أشهر كتب الإمام مالك الفقهية) .

المدونة ليست من كتب الإمام مالك ، بل هي من تأليف عبدالرحمن بن القاسم المالكي ويحوي الكتاب فروع المذهب المالكي ، وهي من أجل ما ألف في موضوعه ـ انظر «كشف الظنون» ـ.

١٠ ــ ص ١١٣٣ ــ: (المسجد الأقصى : مسجد في القدس ، هو أولى القبلتين وثاني الحرمين) .

المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وليس ثاني الحرمين ، بل ثانيهما المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة .

٤ ـ تعريفات بحاجة إلى إعادة نظر

المعجم لغوي ، ولكن وردت فيه نصوص تاريخية يحسن إعادة النظر فيها ، ومنها :

١ ــ ص ٦ ــ المقدمة : (ولعل من أهم المعجمات التي وصلت إلينا معجم «الحروف» لأبي عمرو الشيباني ـ (٢٠٦) .

١ ـ لم يصل إلينا كتابٌ لأبي عمرو الشيباني باسم «الحروف» وإنما باسم «الجيم» وقد اختلف مترجمو الشيباني هل هما كتابان أم كتاب واحدٌ ،

ونجد نصًّا في آخر كتاب «تاج العروس» (ج ١٠ ص ٤٦٥ - الطبعة المصرية ١٣٠٥) . يوضح الأمر فيما نقله عن الصغاني من قوله في آخر تكملته حين سَرَدَ الكتب التي رجع إليها قال : و «الجمهرة» لابن دريد ، و «الزبرجد» للفتح بن خاقان ، وكتاب «الحروف» لأبي عمرو الشيباني ، وكتاب «الجيم» له و «الزاهر» لابن الأنباري . انتهى .

إذَنْ هما كتابان ، كتاب «الحروف» لم يصل إلينا ، وكتاب «الجيم» هو الذي نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٢ ـ وفاة أبي عمرو الشيباني مختلف فيها ، وقد حاول الأستاذ إبراهيم الأبياري في مقدمة الجزء الأول من كتاب «الجيم» أن يُحَدِّدَ زمنها ، وكان مما قال : ـ ص ١٢ ـ: القول بأنه مات سنة ٢٠٨ قول مردود ، وذكر أن المرزباني وابن النديم وهما من أقدم من أرخ وفاته ذكراها سنة ٢١٣ ، وتبعهما ابن خلكان وابن كثير والقفطي الذي نقل عن الجاحظ أنه توفي سنة ٢١٦ . ولهذا كان يحسن أن يقال (تقريباً) بعد ذكر تلك السنة .

٢ ـ ص ١١٤ ـ («أنساب الأشراف» : سفر ضخم ألفه البلاذري في التراجم) .

ليس كتاب البلاذري «أنساب الأشراف» أو «معالم الأشراف» في التراجم ، وإنما في ذكر أنساب العرب ، وقد نشر المجلد الأول منه معهد المخطوطات التابع للإدارة الثقافية بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، الذي تحدث في مقدمة هذا الجزء عن هذا الكتاب بأنه يتناول أنساب العرب ويشرحها ويتناول الأخبار ويستقصي في ذالك فهو من جهة يعد كتاب أنساب ومن جهة أخرى يعد كتاب أخبار أو تاريخ ، إلى آخر ماذكر ، وقد يستطرد البلاذري فيورد تراجم المشاهير مفصلة .

٣ ـ ص ١٢٢ ـ (إيادٌ : قبيلة عربية عدنانية رحلتْ في القرن الثالث من شبه الجزيرة العربية إلى العراق ثم الشام والجزيرة وبلاد الروم) .

أي قرن هذا الذي رحلت فيه إياد عن شبه الجزيرة ؟، كان يحسن إيضاحه وهو القرن الثالث الميلادي ، على وجه التقريب .

٤ ــ ص ١٢٤ ــ (إيلاتُ : ميناء أُردني يقع على البحر الأحمر في الجنوب الغربي منه ، يتميز بموقعه الاستراتيجي).

إذا كان المقصودُ أَيْلَةَ- بفتح الألف - الموضع المشهور المعروف باسم العقبة الآن ، فهو لا يقع في الجنوب الغربي بل يقع على رأس خليج ممتد من البحر شرقاً .

٥ ــ ص ١٣١ ــ (بُثَيْنَةُ : شاعرة بني عذرة ، محبوبة الشاعر جميل بن معمر).

وصف بثينة بأنها شاعرة بني عُذْرة ، وَصْفٌ غريب حقًا فشهرتها عن كونها محبوبة جميل ، لا من شاعريتها ، وكان الملائم أن يذكر نسبها بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن هُوْذ بن عمرو من بني عذرة ، وتاريخ سنة وفاتها (٨٢هـ) على مافي «الأعلام» للزركلي .

٦ ــ ص ١٣٧ ــ (بَدْرٌ : قرية صغيرة قرب المدينة وقعتْ فيها المعركة المشهورة بين المسلمين والمشركين في السابع عشر من رمضان (٢هـ/ ٦٢٤م) انتصر فيها المسلمون وهم قلة على مشركي قريش وهم كثرة) .

الوقعة لم تحدث وَبَدْرٌ كانَتْ قرية ، وإنما وقعت في عهد كانت بدرُ مَنْهَلًا ترده القوافل وغيرها ، وحدثت القرية بعد ذالك .

٧ ــ ص ١٥٢ ــ: (بُرَيْدَةُ : مدينة في المملكة العربية السعودية ، تعتبر أكبر سوق للإبل في العالم ومركزاً تجارياً هاماً) .

فَقَدَتْ هذه المدينة تجارة الإبل في العصر الحاضر ، وكان الملائم أن يقال : كانت تعد أكبر سوق للإبل وهي الآن قاعدة بلاد القصيم .

٨ ــ ص ١٥٢ ــ: (البُرَيْمِي : واحة في المملكة العربية السعودية) .

المعجم ألف في العام الماضي (١٤٠٨/١٩٨٨م) أي بعد أن تغيرت الحال بالنسبة لواحة البُرَيْمي ، التي جرى اتفاق بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين الإمارات وسلطنة عمان على أن تكون تابعة للحكومتين الأخيرتين .

٩ ـ ص ١٧٠ ـ: (البَكْرِيُّ : أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (٩٥٢ـ١٠٠٣هـ / ١٠٤٠ ـ ١٠٩٤م) مؤرخ جغرافي أندلسي ، له «المسالك والممالك» و «معجم ما استعجم» توفي في قرطبة) .

هنا خطأ في تحديد زمن البكري ، فقد عُدَّ من أهل القرن العاشر الهجري ، والواقع أنه من أهل القرن الخامس ، فقد توفي سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) انظر ـ ج ١ ص ٢٧٥ ـ من «تاريخ الأدب الجغرافي» الذي نشرته الادارة الثقافية .

١٠ ـ ص ١٧٩ ـ: (البَهاء زُهَيْرٌ: المهلبي (٥٨٢-٦٥٦هـ/ ١١٨٦ ـ ١٢٥٨م) شاعر كاتب ولد في مكة ونشأ في مصر) .

ولادة البهاء زهير في ذي الحجة من سنة ٥٨١ كما نقل ابن خلكان عنه ، ونقل عنه أنه ولد بمكة ، ثم نقل عنه أيضًا : أنه ولد بوادي نخلة بالقرب من مكة .

ولعل هذا هو الصواب إذ لم يترجمه الفاسي في كتابه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» .

١١ ـ ص ٢٠٤ ـ: (تَميمُ بن مُرَّةَ : قبيلة عربية عظيمة وبطن من مُضَر كانت مضاربها في الساحل الشرقي لجزيرة العرب ، حتى ضفاف الفرات، أنجبت العديد من فحول الشعراء) .

١ ـ كلمة (مُرَّةَ) صوابها (مُرّ) فتميم هو ابن مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مضر .

٢ ـ كانت تميم منتشرة في وسط الجزيرة في اليمامة في أقاليم الوشم

وسُدَيْر ، وتنتشر باديتها في الدُّهْنَاء مشرقة حتى الساحل ، ومن حدود يبرين حتى سواد العراق .

ولهذا فما كانت مضاربها (أي منازلها) منحصرة في الساحل الشرقي ، بل تمتد غرباً متجاوزة إقليم اليمامة إلى أسافل عالية نجد .

١٢ ـ ص ٢١٦ ـ: (ثقيف : قبيلة عربية عدنانية كانت منازلها في الطائف) .

مفهوم كلمة (كانت) انتقالها من تلك البلاد وهذا غير صحيح ، فثقيف لاتزال في الطائف وفي المنطقة المحيطة به من أودية وقرى ، بمختلف فروعها الكثيرة .

١٣ ـ ص ٢٣٤ ـ: (جُدَيٌّ : نجم قريب من القطب يهتدى به) .

ضم الدال وفتح الجيم والتصغير كل هذا خطأ ، والصواب : الجَدْيُ مُعَرَّفاً مفتوح الجيم ساكن الدال ـ انظر «لسان العرب» رسم (جدا) .

١٤ ـ ص ٢٤٣ ـ: (جِرْمانوس ايليوس : مستشرق هنغاري ، ولد سنة (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) أسلم وأدّى فريضة الحج ، له كتاب «الله أكبر»).

لم يُذكر اسمه بعد أن أسلم وهو عبدالكريم جرمانوس .

ولم تذكر سنة وفاته التي حدثت قبل تأليف هذا المعجم بعشر سنوات إذ توفي سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

١٥ ـ ص ٢٨٤ ـ: (حائل : مدينة عند جبل شَمَّر غرب نجد في المملكة العربية السعودية وهي محطة للحجاج القادمين من إيران إلى مكة) .

١ ـ حائل ليست في غرب نجد بل في شماله .

٢ ـ كانت محطة للحجاج في العهد الماضي حين كانوا يقدمون بالطريق البريّ القديم .

٣ ـ تحديد موقع حائل بجبل شمر كتحديد المشهور بما هو أقل شُهْرَةً ، فجبل شَمَّرَ أو بمعنى أصح (أجا وسلمى) جبلا طَيِّءٍ وشَمَّر فرع منهم ، غلبت شهرة المدينة عليهما .

١٦ ــ ص ٣٠٠ ــ: (الحُدَيْبِيَةُ : وادٍ بالقرب من مكة المكرمة عقد فيه سنة (٦ هـ/٦٢١ م) صلح بين الرسول ﷺ وقريش مدته عشرة أعوام) .

تعريف الحديبية بأنها موضع أصح وأشمل من كلمة (وادي) إذْ ليست وادياً بالمعنى المفهوم ، ولكنها أرض واسعة تعرف الآن باسم الشُمَيْسي .

١٧ ــ ص ٣٥١ ــ: (الحَمْدانِيُّون : أسرة عربية علوية حاكمة أسس دولتها حمدان بن حمدون) .

الحمدانيون ليسوا من أسرة علوية ، بل هم ينتسبون إلى تغلب من أعظم بطون ربيعة (« تاريخ ابن خلدون » ـ ٤/٤٨٨ ـ) طبعة بيروت .

١٨ ــ ص ٣٨٨ ــ: (« الخَراجُ »: كتاب في الاقتصاد لأبي يوسف القاضي الأنصاري (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨ م) . . . .) .

و« الخَراجُ » كذالك عنوان مؤلفين ليحيى بن سليمان القرشي وقدامة بن جعفر) .

١ ـ أبو يوسف مؤلف كتاب « الخراج » لا يعرف بأنه الأنصاري ، وإن كان متصل النسب بأحد الأنصار ، ولكنه يعرف بالقاضي صاحب أبي حنيفة .
٢ ـ مؤلف كتاب « الخراج » الثاني يعرف بيحيى بن آدم لا بنسبته لجده سليمان .

١٩ ــ ص ٤٠٩ ــ: (الخَفَجِيّ : مدينة في شمال الكويت على الحدود العراقية) .

١ ـ الاسم الصحيح (الخفقي) بالقاف ، ولكن أهل تلك الجهة ينطقون القاف جيماً ، فيقولون : جاسم : في قاسم ، والعنجري في العنقري .
٢ ـ ليست مدينة الخفقي شمال الكويت بل جنوبه .
٣ ـ الخفقي : داخل المملكة العربية السعودية في المنطقة الشرقية الموالية لحدود الكويت .

٢٠ ــ ص ٤٠٩ ــ: (بنو خفاجة : قبيلة عربية هي بطن من عقيل من هوازن من قيس عيلان . استقرت على الحدود العراقية بعد أن نزحت جموعها من المدينة ، مارس أبناؤها قطع الطرق على الحجاج ، فوضع فيهم الأمويون السيف حتى تشتتوا وانقطعت أخبارهم) .

١ - لم تستقر بنو خفاجة في المدينة حتى توصف بنزوح جموعها منها ، وإنما كانت تعيش مع قومها بني عُقَيل في جنوب نجد في صدر الإسلام .
٢ - لم يعرف لبني خفاجة قطع طرق الحج إلاّ في عهد بني العباس في القرن الرابع الهجري في سنة ٣٩٥ و ٤٠٢ و ٤٨٥ و ٥٨٠ - انظر «الدرر الفرائد المنظمة» ــ ٥٣٥/٥٣٨/٥٥٣/٥٦٧/١٢٨٣ ــ.

٢١ ــ ص ٤٣٥ ــ: (دار الكتبِ الظاهِريَّة : بدمشق سميت بذالك نسبة إلى الشيخ ظاهر الجزائري) .

١ - دار الكتب الظاهرية المذكورة منسوبة إلى الملك الظاهر بيبرس (٦٢٠/٦٧٦) حيث بنى مدرسة ودار حديث وتربة دفن فيها ، ولما كان عام ١٢٩٤ جُعِلَ قسم من هذه المدرسة مدرسة ابتدائية وجعلت قبة الظاهرية دار كتب ، ووضعت معظم الكتب فيها في خزائن على ضريحي الملك الظاهر وابنه الملك السعيد («مجلة المجمع العلمي العربي» ج ١ ص ٣٩) ثم في عام ١٢٩٦ قام فريق من العلماء ومنهم الشيخ طاهر الجزائري ، وكان مفتشاً لمعارف ولاية سورية ومعه علماء آخرون فسعوا لإصلاح دار الكتب الظاهرية بضم الكتب المفرقة في مكتبات المدارس وغيرها .
٢ - الشيخ الجزائري اسمه طاهر ، بالطاء المهملة ، انظر ترجمته في «الأعلام» .

٢٢ ــ ص ٤٣٥ ــ: (دَارُ النَّدْوَةِ : اسم أطلق في الجاهلية على البيت الحرام بمكة إذ كانت قريش تلتقي فيه للتداول في شؤونها ، وكان لا يشترك في اجتماع دار الندوة إلاّ من كانت سنه فوق الأربعين) .

دار الندوة : دار بناها قصي بن كلاب ، الجد الثالث للرسول ـ ﷺ بجوار الكعبة ، وليست هي البيت الحرام ، وموقعها لايزال معروفاً بعد زيادة المسجد التي شملتها في عهد الخليفة العباسي المعتضد في القرن الثالث الهجري ـ انظر «أخبار مكة» للأزرقي ـ ج ٢ ص ١٠٩ ـ ومابعدها طبعة دار الأندلس .

٢٢ ـ ص ٤٤١ ـ: (أحمد بن زيني (١٢٣٢ ـ ١٣٠٤هـ / ١٨١٦ ـ ١٨٨٢م) مؤرخ وفقيه شافعي ولد في مكة وتوفي بالمدينة ، له «الدول الإسلامية بالجداول المرضيّة» و «تاريخ مكة» وغيرها .

ليس من مؤلفات أحمد بن زيني دحلان «تاريخ مكة» وإنما له كتاب «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» من زمن النبي ﷺ ، إلى نهاية القرن الثالث عشر ، والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٥هـ .

٢٣ ـ ص ٤٤٧ ـ: (الدُّرْعِيَّة : مدينة قرب مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية ، جعلها الشيخ محمد بن عبدالوهاب قاعدة الوهابيين) .

١ ـ الدِرعية ـ بكسر الدال لا بفتحها ـ منسوبة إلى ابن دِرْعٍ أول من أنشأها .

٢ ـ ليس الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ هو الذي جعلها قاعدة فقد كان مصلحاً دينياً ، وتصريف شؤون الدولة بيد الإمام محمد بن سعود وهو الذي قام بحركات استطاع بها أن يجعل البلدة قاعدة للحكم .

٣ ـ كلمة (الوهابيين) اتخذت في الأصل للتنفير من دعوة التجديد التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأنصار هذه الدعوة لا يرضون بهذا اللقب .

٢٤ ـ ص ٤٦٩ ـ: (دَارِين مَرْفَأٌ تِجاري كان يُحمل منه المسك وغيره) .

١ ـ لم يحدد موقع هذا المرفأ وهو في الطرف الجنوبي الشرقي من جزيرة دارين المتوغل في الخليج المتصل بجزيرة (تاروت) وهذه اتصلت الآن بمدينة القطيف .

٢ ـ كان المسك وغيره يحمل إليه في السفن القادمة من الهند ومن ذالك المرفأ تحمل الأشياء إلى داخل الجزيرة ومنها المسك .

٢٥ ــ ص ٤٧٠ ــ: (دَوَارِقُ : إناء من زجاج طويل العنق ضيق الفوهة يوضع فيه الشراب) .

ليس الدورق خاصاً بإناء الزجاج ، فقد كان الاسم يطلق على أواني من الفخار ويبرد فيها ماء زمزم . ونقل صاحب «تاج العروس» عن «العباب»: الدورق : الْـجَرَّةُ ذات العروة التي تُقَلُّ باليد في لغة أهل مكة والجمع دوارق .

٢٦ ــ ص ٤٨٠ ــ: (أبو ذَرّ الغِفَارِيُّ جُنْدَبُ بن جنادة ، (ت ٣٢هـ / ٦٥٢ م) صاحبي من رواة الحديث اشتهر بورعه وتقشفه هاجر إلى بلاد الشام بعد وفاة الرسول وقد أدت حملته على الترف والمترفين إلى نفيه بالربذة إحدى قرى المدينة وظل بها إلى أن مات) .

١ ـ كلمة (صاحبي) صوابها (صحابي) أي من أصحاب رسول الله ﷺ .
٢ ـ (الربذة) ليست من قرى المدينة بل قرية كانت تقع في عالية نجد على طريق الحج البصري المار بنجد ، وقد خربت في القرن الرابع الهجري وكشفت آثارها حديثاً .

٢٧ ــ ص ٤٨٨ ــ: (ذو الـرُّمَّـةِ : غَيْـلان بن عـقبـة الـعـدوي (٧٧ ـ ١١٧هـ / ٦٩٦ ـ ٧٣٥ م) شاعر أموي ولد ببادية اليمامة وتوفي بأصبهان) .

القول بأن الشاعر ذَا الرُّمَّةِ توفي في أصبهان من أغرب الأقوال ، إذ المعروف أنه عاش في البادية ، وتوفي فيها في الدهناء ، وأنه أوصى حين حضرته الوفاة أن يدفن في أعلى الفرنداد وهو كثيب مرتفع في الدَّهْناء فدفن هناك انظر رسم (الفرنداد) في «معجم البلدان» و «ديوان ذي الرمة» بشرح الباهلي ـ ٣٨٨ ــ.

٢٨ ــ ص ٤٩٦ ــ: (رَابِغ : وادٍ بين مكة والمدينة قرب ساحل البحر الأحمر ، وهو من مواقيت الاحرام بالحج) .

ليس رابغ ميقاتاً للإحرام ، بل الميقات بعده للمتوجه إلى مكة وهو الجحفة ، على بعد ١٩ كيلاً ، ولكن اعتاد الناس الإحرام من رابغ احتياطاً لأن الطريق عدل عن المرور بالجحفة التي لاتزال معروفة .

٢٩ ــ ص ٥٠٣ ــ: (رَبيعةُ من أعظم قبائل العرب ، قطنت هي ومضر على حدود اليمن ، ثم رحلتا نحو الشمال) .

كانت ربيعة ومضر من القبائل التي تقيم في غرب الجزيرة لا في حدود اليمن ، ثم انتشرت ربيعة في نجد حيث حدثت حروب فرقتها ومنها حرب البسوس ، فانحدرت إلى شرق الجزيرة فبقي فرع منها وهم بنو عبدالقيس في تلك البلاد واتجهت الفروع الأخرى إلى العراق فالشام .

٣٠ ــ ص ٥١٦ ــ: (حروب الردة : الحروب التي خاضها أبو بكر بعد وفاة النبي حين ارتد بعض العرب أو عطلوا الفرائض عام ١١هـ / ٦٣٢ م وانتهى الأمر بأن أفاءت إلى الإسلام قبائل عبس وذبيان وحنيفة وبكر وتميم) .

ولماذا تخصص هذه القبائل المسماة ، وهناك من القبائل التي ارتدت غيرها ، لم تذكر كطيء وغطفان وغيرهما .

٣١ ــ ص ٥٢٥ ــ: (الرشيد ، عبدالعزيز بن أحمد (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) أديب وصحفي ومؤرخ كويتي) .

إذا لم تُضْبط الرَّاء بالحركة لم ينطق الاسم صحيحاً ، إذ أول ما يتبادر إلى الذهن فتح الراء (الرَّشيد) وهي هنا مضمومة (الرُّشَيْد) بالتصغير .

٣٢ ــ ص ٦١٠ ــ: (سَحْبانُ بن وائلٍ : رجل من وائل اشتهر بفصاحته وبلاغته حتى ضرب به المثل فقيل : أفصح من سحبان بن وائل) .

وائل عند الاطلاق ينصرف إلى القبيلة المشهورة التي هي فرع من ربيعة ، وسحبان هذا ليس منها ، بل من وائل أحد فروع باهلة القبيلة القيسية ، وليس وائل أبًا لسحبان بل هو من أجداده .

٣٣ ـ ص ٦٦٠ ـ: (سيرة بني هلال : قصة شعبية عربية طويلة تعد من ملاحم الفروسية ، مدار أحداثها هجرة قبائل قيسية من اليمن إلى نجد ثم إلى المغرب مروراً بمصر وصراع قبيلة بني هلال مع الزناتي خليفة في تونس) .

بنو هلال قبيلة قيسية من هلال بن عامر ، ولم يرد فيها بين أيدينا من كتب التاريخ أنها هاجرت من اليمن ، وإنما كان استقرارها في عالية نجد ، ومنها اتجهت إلى مصر فالمغرب .

٣٤ ـ ص ٧٠٤ ـ: (شَمَّر : جبل في أواسط المملكة العربية السعودية ، يقع جنوب النفود الكبير ، قاعدته مدينة حائل) .

ليس شَمَّر اسمَ جبل ، فالجبل اسمه أجا ، بل هما جبلان (أجا وسَلْمَى) كانا يعرفان قديماً بجبلي طيء ، ثم عُرفا أخيراً باسم جبل شَمَّر التي هي فرع من فروع طيء .

٣٥ ـ ص ٧٣٧ ـ: (الصفا والمروة : صخرتان قرب المسجد الحرام بمكة يسعى الحجاج بينهما سبعة أشواط) .

١ ـ الصفا والمروة ليستا صخرتين ، بل هما جبلان كانا مشرفين على الكعبة فعلاهما عمران مكة وأكلهما حتى لم يبق سوى أصليهما .
٢ ـ وفي (ص ١١٣١) المروة : جبل بمكة ، وهذا هو الصحيح .
٣ ـ وفي (ص ٧٤١) : (الصفا اسم لربوة بمكة قرب الكعبة الشريفة) .

٣٦ ـ ص ٧٨٣ ـ: (الطائف إحدى مدن الحجاز ، في الجنوب الشرقي من المملكة العربية السعودية كان بها قديماً مساكن بني ثقيف . تتميز بجوها اللطيف وفاكهتها الجيدة) .

١ ـ ليست الطائف في الجنوب الشرقي من المملكة ، بل هي في الجنوب الغربي ، وفي الجنوب الشرقي من مكة المكرمة .
٢ ـ جملة (كان بها قديماً) : يفهم منه أنها الآن ليس فيها مساكن لثقيف ، وهذا غير صحيح ، فقبيلة ثقيف لاتزال تسكنها .

٣٧ ـ ص ٧٩٢ ـ : (طَسْمٌ وجَديسٌ : قبيلتان عربيتان بائدتان كانت منازلهما الأحقاف ، بين عُمان وحضرموت) .

١ ـ طَسْمٌ وجَديسٌ : كانتا تسكنان اليمامة في منطقتي الخرج والرياض ، وكانت آثارهما معروفة في هاتين المنطقتين في صدر الإسلام .
٢ ـ القبيلة العربية البائدة التي كانت تسكن الأحقاف (عاد) كما في القرآن الكريم : ﴿ واذْكُرْ أخَا عَادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأحْقَافِ ﴾ .

٣٨ ـ ص ٨١٤ ـ : (العبّاسُ بن الأحنف : (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧ م) : شاعر بغدادي عاش عيشة ترف ورفاه . له ديوان تغزل في معظمه بمحبوبته فُوز) .
العباس بن الأحنف شاعر يمامي حنفي الأصل ، عاش في العراق ومات في بغداد ، انظر «وفيات الأعيان» ـ ٣/٢٠ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ط : دار الثقافة في بيروت .

٣٩ ـ ص ٨٢١ ـ : (العَجَّاجُ ، عبدالله بن رؤبة (ت ٩٧هـ / ٦٠٥م) : راجز ولد بالبادية في الجاهلية ونزل البصرة في الإسلام) .

سنة (٦٠٥م) لا توافق سنة (٩٧هـ) والصواب (٧٠٥م) ولعل ماهنا (تطبيع) ، وقد أرخ الأستاذ الزركلي وفاته سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) .

٤٠ ـ ص ٨٢٧ ـ : (عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم : جد القبائل العربية المقيمة في شمالي بلاد العرب ووسطها وغربيها) .

يصح هذا القول قبل أن تنتشر القبائل القحطانية (قبائل جنوب الجزيرة) في هذه البلاد ، وقد انتشرت قبل الإسلام ، ثم بعده بحيث اختلطت

القبائل العدنانية والقحطانية ، فصار هذا التعريف غير ذي مدلول في العهد الحاضر ، وليس عدنان ابنا لإسماعيل لَـحًّا ، بل بينهما آباء كثيرون .

٤١ ــ ص ٨٢٩ ــ: (عُذْرة ـ بنو ـ: قبيلة حجازية اشتهرت بالحب العفيف من شعرائهم جميل بثينة) .

من المعروف أن القبائل تعرف بنسبتها إلى أصلها لا إلى موطنها ، إذ هي لا تستقر في موطن واحد ، وقبيلة بني عذرة قُضَاعية الأصل كانت تسكن شمال الحجاز .

٤٢ ــ ص ٨٣٤ ــ: (عَرَفاتٌ أو عرفة : جبل قريب من مكّة يقف به الحجاج داعين ، وهو من مناسك الحج) .

ليست عرفات التي يقف بها الحُجَّاج جبلاً ، بل هي أرض واسعة فيها جبل صغير ، وليس هناك من اختصاص في الوقوف بهذا الجبل ، ولكنه جزء من الموضع الذي يعد الوقوف فيه من مناسك الحج .

٤٣ ــ ص ٨٣٨ ــ: (عَزَّةُ بنت حميد بن وقّاص (ت ٨٥ هـ / ٧٠٤ م) محبوبة الشاعر كثير ، خصها بشعره فعرفت «بعزة كثير»).

١ ـ (حُمَيد) صوابه (حُمَيل) بالحاء المضمومة المهملة بعدها ميم مفتوحة فياء مثناة تحتية فلام ابن (حفص) لا (وقاص) بن إياس الْغِفَارية (انظر «جمهرة النسب» لابن الكلبي ـ ج ١ / ٢٢٤ ـ تحقيق محمود فردوس العظم و«الاعلام» للزركلي) .

٤٤ ــ ص ٨٧١ ــ: (عَنِيزَةُ / عُنَيزةُ : مدينة بالقصيم في المملكة العربية السعودية) .

لا أدري لِـمَ كتب اسم هذه المدينة أولا بالفتح ، ولن تجدَ أَحَدًا ممن يعرفها يفتح حرف العين ، فهو إما أن يكون عاميًّا ، والعامة في نجد لا يحركون الحرف الأول ، من الاسم بل غالباً ما يسكنونه ، إذا لم يكن

ثلاثياً ، فينطقون اسم (محمد) و(سليمان) و(سعيد) بإسكان الحرف الأول وهكذا (عنيزة) ، أما المثقفون فيطبقون على ضم العين .

٤٥ ــ ص ٨٨٣ ــ: (العَيّاشي ، عبدالله بن محمد (١٠٣٧هـ / ١٦٢٧ م) رحالة مغربي له «الرحلة العياشية»).

أثبت تاريخ ولادة العياشي ، ولم يذكر تاريخ الوفاة وهو سنة (١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) وكان يحسن ذكر نسبته إلى آية عياش ، قبيلة من البربر وذكر اسم رحلته «ماء الموائد» انظر «الأعلام» للزركلي .

٤٦ ــ ص ٩٨٤ ــ: (قُرَيْظَةٌ ، بنو ـ: قبيلة يهودية بالمدينة ، نقضت عهدها مع الرسول وتحالفت مع قريش في غزوة الأحزاب فغزاهم المسلمون) .

كان يحسن قول قبيلة يهودية كانت بالمدينة دفعا للإيهام بأنها الآن في المدينة .

٤٧ ــ ص ١٠١٣ ــ: (قار ، يوم ذي ـ: يوم لبني شيبان وقعت حوادثه في بطحاء جنوبي الكوفة من أرض العراق) .

يحسن تحديد هذا اليوم ، وقد وقع سنة ولادة الرسول ﷺ ، (٥٧١م) ، وكان يحسن أن يذكر بأنه كان على الفرس .

٤٨ ــ ص ١٠٤٩ ــ: (كِلابٌ بن ربيعة : قبيلة عربية كبرى كانت منازلها قرب المدينة المنورة ، وفي وسط الجزيرة العربية) .

بنو كِلاب فرع من بني عامر من هوازن ، وماكانت بلادها قرب المدينة ، ولكنها في عالية نجد . أما القبائل التي بقرب المدينة فهي : سُلَيْم ومُزَيْنَةُ ومُحارب وغَطَفان .

٤٩ ــ ص ١٠٤٩ ــ: (كلثوم ، أم ـ (ت ٩هـ / ٦٣٠م) إحدى بنات الرسول تزوَّجها عتيبة بن أبي لهب في الجاهليّة ، وعثمان بن عفّان في الإسلام) .

هو (عتبة) بن أبي لَهَب ، لا (عتيبة) .

٥٠ ــ ص ١٠٦٠ ــ: (كُوعٌ أَكْوَاعٌ وَكِيعانٌ : ـ طَرَفُ الزَّنْدِ الذي يلي الإبهام في الوضوء غسلُ اليدَيْنِ إلى الكوعَيْنْ) .

اليَدان في الوضوء يُغْسلان إلى المرفقين لا إلى الكوعين بنص القرآن الكريم .

٥١ ــ ص ١٠٧١ ــ: (لُبْنَى بنت الحُباب الكعبية (ت ٦٨٧م) صاحبة الشاعر قيس بن ذريح) .

لم يذكر هنا تاريخ الوفاة بالسنة الهجرية وهي (٦٨هـ / ٦٨٨م) على مافي «الاعلام» للزركلي .

٥٢ ــ ص ١١٣٩ ــ: (مصعب بن الزبير . . . قتله عبدالملك بن مروان في معركة قرب دير الجاثليق) .

كان يحسن أن يقال : قتل في عهد عبدالملك ، إذ عبدالملك لم يباشر قتله ، فقد قتل عند دير الجاثليق عند شاطيء دجيل (نهر قارون الآن) ولم يحضر عبدالملك الوقعة .

٥ ـ الاضطراب في وضع الأعلام

طريقة اللغويين القدماء معروفة في ذكر أسماء الأعلام ، فهم يوردونها في المادة التي اشتقت منها .

وقد يكون في هذا من الصعوبة على من لم يكن ذا معرفة بعلم التصريف ، بحيث لا يهتدي إلى موقع الاسم من «المعجم» ، ولعل هذا هو الذي دفع القائمين على تأليف هذا «المعجم» بأن يذكروا الأعلام بترتيب حروفها الهجائية ، مثال ذالك : الأصمعي ، الأعشى ، الأوزاعي والأهرام . . كلها في حرف الهمزة لا في مادة ما اشتقت منه الكلمات كالأصمعي من حقه أن يذكر في رسم (صمع) - في باب الصاد ـ وهي مادة لم ترد في «المعجم» وتكرر هذا كثيراً عند ذكر الأعلام مع إضافة انظر (الفبائيا) .

ولكن ليس هذا مُطَّرِدًا عند ذكر جميع الأعلام ، فقد تجد (ابن سعود) و(السعودية) في رسم (سعد) ـ ص ٦٢٦ ـ وتجد (سلامة) في رسم (سلم) ـ ص ٦٣٣ ـ و(لبنى) في (لبن) و(منطاد) في (طود) و(هشام) في (هشم) و(ولادة) و(الوليد) في (ولد) و(يعوق) في (عوق) و(يقطين) في (قطن) .

بل قد تجد الاسم الواحد وضع في مكانين ، فياقوت اسم الرجل تجده في باب الياء المتبوعة بالألف ـ ص ١٣٤٠ ـ (ياقوت الحموي . . .) .

وياقوت المعدن بعد هذا بأربع صفحات ـ ص ١٣٤٤ ـ في رسم (يقت) .

ونجد ماهو أغرب من هذا ، ففي ـ ص ٨٦٩ ـ: (عُمَانٌ : انظر الفباثيا) .

(عَمَّان : انظر الفباثيا) .

ثم مواد : ـ

عَـــوَام .

عَمَّـــار .

عَمَّـــان : عاصمة المملكة الأردنية .

عَمَـــه .

وتنتهي (العين) مع الميم قبل أن تجد (عُمَان) البلاد المعروفة .

وكان من الصواب أن يورد العلم كما ينطق مجرداً من أية صفة ثم يحال بشأن ما يتعلق به من التعريف إلى مادة الكلمة ، كأن يورد الأصمعي في باب الهمزة مع الصاد ، ولكن يحال إلى مادة (صمع) للحفاظ على الطريقة العربية المثلى ، ولكي يدرك مطالع هذا «المعجم» مواقع الكلمات الصحيحة .

٦ ـ التفريع على أصل لم يذكر

قَدْ تُعَرَّفُ بعض الكلمات بالنسبة لصلتها بكلمات أخرى لم ترد في «المعجم» ومثل هذا التعريف يعد ناقصاً ، ومن أمثلة ذالك : ـ

١ ـ ص ١٧٣ ـ: (البَيْلَسَان : شجرة من فصيلة الـخَمَانيات) .
لم تذكر الخمانيات .

٢ ـ ص ٢٠٠ ـ: (تُفَّاحٌ من الفصيلة الوردية) .
لم تذكر الوردية .

٣ ـ ص ٢٠٥ ـ: (تُوتٌ جنس شجر من الفصيلة القراصية) .
لم تذكر القراصية .

٤ ـ ص ٢٠٦ ـ: (تُولِيبٌ جنس زهر معمر بصلي من الفصيلة الزنبقية) .
لم تذكر الزنبقية .

٥ ـ ص ٧١٦ ـ: (صالح نبيٌّ أرسله الله إلى قومه ثمود الذين كانت مساكنهم في الحجر مابين الحجاز والشام) .
لم يرد ذكرُ الْـحِجْرِ في موضعه .

٦ ـ ص ١١٢٥ ـ: (مُدْلِجٌ : قبيلة من كنانة) .
لم تذكر كنانة .

٧ ـ ص ١١٣٩ ـ: (مُصَوَّعُ مدينة ومرفأ في أريتريا) .
ولم تذكر أريتريا .

٧ ـ إهمال التاريخ الهجري

جاء في المقدمة (ص ٩) : ويختص هذا المعجم فيما يختص به بالتزام التاريخ للأحداث بالتقويمين الهجري والميلادي .

قد يرد في المعجم مالم يَجْرِ على هذه القاعدة ، ومن ذالك :

١ ـ ص ٤٩٧ ـ: (الرِّباطُ . . . أسسها سلطان الموحدين عبدالمؤمن في القرن الثاني عشر باعتبارها رباطاً للجيش) .

٢ ـ ص ٥٢٥ ـ: ((رشيد أيوب (١٨٧١/١٩٤١م)).

٣ ــ ص ٦٢٦ ــ: (عن السفور . . . دعوة بدأتها المرأة المصرية عام ١٩٣٢م) .

٤ ــ ص ٦٤١ ــ: (سَمَرْقَنْدُ فتحها المسلمون في القرن الثامن) .

٥ ــ ص ٦٤٦ ــ: (السِّنْدُ فتحها المسلمون سنة ٧١٢) .

٦ ــ ص ٧٤٢ ــ: (صِقِلِّيَةُ . . . فتحها المسلمون سنة ٨٢٧م) .

٧ ــ ص ١٠١١ ــ: (القُنَيْطِرَةُ . . . استولى عليها الصهاينة في حرب ١٩٦٧م وحررت في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م) .

٨ ــ ص ١٠٧١ ــ: (لُبْنَى بنت الحباب (ت ٦٨٧م)).

٨ ـ رموز « المعجم »

فصلت هذه الرموز في (ص ٦١) والرموز الخمسة الأخيرة لم يرد لها استعمال في هذا المعجم ، ومن أمثلة ذالك :

١ ــ مع (معرب): لفظ أعجمي دخل العربية مع تغيير ليتوافق مع أوزانها . والمتتبع لما ورد في هذا المعجم من الكلمات المعربة لا يجد هذا الرمز مذكوراً عند ذكر أية كلمة معربة مثل : آجُرّ ـ إبريز ـ إبريق ـ إبزيم ـ إبليس ـ أترج ـ إلى غير ذالك من الكلمات التي لا تدخل تحت الحصر .

٢ ــ د (دخيل) : لفظ أعجمي دخل العربية دون أن يصيبه تغيير .

وقُلْ هُنا مثلَ ماتقدم عن المعرب ، فالكلمات : آبنوس ـ آزت ـ آس ـ ابرشية ـ اتابك ـ ونحوها كثير ، لم يشر على أنها دخيلة . أي لم يوضع حرف (د) .

٩ ـ الخطأ في وضع الأقواس

ومن الرموز وضع قوسين يحيطان بالآية الكريمة ـ رسمها ص ٦١ ـ ﴿ ﴾ وقد وقع تطبيع فلم يوضعا في موضعهما ، ومنه :

١ ــ ص ١٥٤ ــ: ﴿ اللّهم بك ابْتَسرتُ » وهذا حديث ليس قرآناً .

٢ ــ ص ٢٣٠ ــ: ﴿ ماكان جَيشُنا ليُهزمَ » وهذا حديث ليس قرآناً .

١٠ ـ عدم وضع الأقواس المخصصة للآيات الكريمة

١ ــ ص ٢٧٣ ــ: [فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ] .

٢ ــ ص ٤٦٩ ــ: (والَّذين تَبَوَّؤوا الدَّارَ ﴾ .

٣ ــ ص ٤٧١ ــ: (وَتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

٤ ــ ص ٤٩٨ ــ: [وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ ﴾ .

٥ ــ ص ٩٤٠ ــ: ﴿ ذَالِكَ مِنْ فَضْلِ الله عَلَيْنَا » .

للحديث صلة : حمد الجاسر

[وقد تلقت المجلة هذا التعقيب من الأخ الدكتور طه حسن النور في المنظمة العربية للتربية والعلوم بكتاب رقمه ٨٤٩ في ٦ مارس ١٩٩٠م وهاهي صورته] .

حضرة الاستاذ الفاضـــــل حمد الجاسر

(صاحب مجلة العرب) حفظه الله ورعاه ــ الرياض ــ

...وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... وبعد،

لقد قرت العين بالقراءة لكم، وبالاطلاع على الملاحظات لوجيهة والتصويبات القيمة التي تفضلتم بتوجيهها إلينا، مساهمة زكية مقبولة من عالم أمين مكين، غيور على ثقافـــة الأمة، في تنقيح " المعجم العربي الأساسي" وإثرائه وإتقان صَنعته.

وإذ أتعجل الكتابة إليكم، وبالنيابة عن السيد المدير العام، الغائب حاليا خـــارج تونس، فلأ بادر بإسداء الشكر المستحق، جزاء وفاقا لمبادرة طيبة طالما انتظرناها من أضرابكم، مقدرا ما أنفقتم من وقت ثمين وبذلتم من جهد نافع غير ضائع إن شاء اللـــه، في قراءة رصينة ونظرة فاحصة، لابد أننا لاقون منهما ثمرة يانعة لا تتهيأ إلا بعطـاء الصفوة أهل الخبرة من أمثالكم... ولا غرو، فللميدان فرسانه، وأنتم فيه من المُجَلِّيـــن السابقين بالخير.

وقد وردت نظراتكم السديدة تلك في الوقت المناسب لتكون عونا لنا فيما نحـــن مقبلون عليه منذ حين من مراجعة المعجم وتصحيح أغلاطه وإحكام منهجيته إعدادا لطبعة

جديدة منقحة ، نأمل أن تفضل سابقتها ، بما يتيحه جهد بشري يتنامى، ويعضد بعضه بعضا ، ويتكامل فيه عمل المنظمة مع عمل الغيارى من سدنة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، الذين يجدون لدينا ليس سعة الصدر للنقد فحسب، وإنما يجدون فوق ذلك الرغبة الصادقة الملحاح في كل ما يصدر عن خبرة وروية وغيرة من مآخذ وملاحظات ، تساعدنا في إتقان عمل لسنا أولى به من عامة أهله ، وخاصة منهم أهل الذكر والمعرفة .

وقد كانت ملاحظاتكم من هذا النوع الذي يسعدنا أن نتلقاه ، لما بها من فائدة أكيدة ، نحرص على أن لا نفرط فيها إن شاء الله ..

هذا وقد استدعت القراءة الأولى لوثيقتكم تسجيل جملة ملاحظات وانطباعات ، أردنا أن نطرحها بين يديكم فلعلها تزكو إن هي وقعت منكم موقع القبول :

١ – في تسمية المعجم :

قد ترون معنا أن الاساس هو قاعدة البناء التي يقام عليها ، وليس كل البناء .. ولعل المؤلفين لمحوا هذا المعنى عندما اصطلحوا على أن يجعلوا "المعجم العربي الأساسي" علما على معجم لا يحيط باللغة ولا يستقصي أصولها ، وما أريد له ذلك، ولكنه يرصد من اللغة الحية ما يصلح أساسا نافعا يبني عليه المتعلم ثقافة قابلة للنماء ..

وقد قالوا : " التعليم الأساسي" و "النظام الأساسي" .. ولا شطط في الأمر.

٢ – في " إسلامية " المعجم :

لم يوصف المعجم في عنوانه بأنه "معجم إسلامي" وإنما ورد وصفه بذلك عرضا في سياق كلام بالمقدمة ، ألمحتم اليه .

ومع ذلك، وعلى ما اقتضته منهجية المعجم وخطة تأليفه من الاقتصاد في مادته ، فإننا نأمل أن يكون إسلاميا بقدر ما هو عربي .. فالمعجم عربي وإن لم يوعب مفردات اللغة العربية . ولا ضير في أن نعتبره إسلاميا بما هو عربي اللغة ، وبما فيه من المواد الموسوعية ذات الصلة بالثقافة الإسلامية ، وبتركيزه على الاستشهاد بالقرآن وبالحديث النبوي.

ولعلكم ترون معنا أن " المعجم العربي الاساسي" هو أكثر المعاجم اللغوية المعاصرة اهتماما بتأريخ الاحداث والوقائع بالتقويم الهجري – وان نذّت منه بعض الأمور – وهو في هذه ، على ما نرى، معجم إسلامي أيضا .

٣ – في ١ و ٢ معا :

ثم إن المؤلفين درجوا على أن يسموا مصنفاتهم أسماء، يجعلونها علما عليها ،

وأن يطلقوا عليها نعوتا وصفات ، تصدع بمكنونها إجمالا وتفصح عن هويتها عمومـــــــا ، وتحببها إلى الناس بلدر، فيتقبلها الناس كذلك، دون أن يرتبوا على المصنف مسئوليـــــة مجحفة في أن يتحمل من أعباء الكلمة (علما أو صفة) ما لاقبل له به..

وهكذا لم يكن " القاموس المحيط" محيطا... وليس "الرائد" رائدا بالضرورة، ولا "القاموس العصري" وعاء لمفردات لغة العصر... وما نحسب أن "القاموس الإسلامي" ـ وهـــو خليق باسمه ذو حظ وافرمنه ـ قد أحاط بمشمولات الإسلام من أعلام ومفردات حضارية ونحوها.. إنما هي أسماء قد لا تطابق مسمياتها (بالنظر إلى الدلالات المعجمية) ولكنها تقاربهـــا مقاربة ما، وتدل عليها، فلا نجد من غضاضة في قبولها.

٤ ـ في الشواهد القرآنيـــة :

سدد الله نظركم.. لقد نبهتم مصيبين إلى أخطاء ما كان لها أن تمرّ بدون تصحيـــح فهذا مما لا يجوز التهاون فيه البتة ـ والله يشملنا وإياكم بعفوه وييسر لنا الإســـراع بتصحيح ما وقع من أخطاء... ولكن بعضها ومفتموه ـ تجوزا بأنه " أخطاء" ليـــس إلا قراءات صحيحة ، كما تعلمون ذلك،فربما عدل المعجم إلى قراءة شائع ، وهي من القـــراءات المجمع عليها، وبها عمل جمهور كبير من الناس في مغارب بلاد الإسلام (المغرب العربـــي وإفريقيا الغربية مثلا). وتعلمون أن لا حرج في الجمع بين قراءتين ما لم يكن ذلك فـــي كلمة واحدة بعينها، ولا يكون ذلك البتة إلا في كلمات معدودات من القرآن الكريم، ممـــا لم يقع المعجم فيه...

وهكذا فالكلمات التالية : « يُولُون » ، « وإنَّا ظننَّا » ، « فأردنا أن يُبدِلَهُما » « وترى الجِبَال تَحْسِبها » ، « اليوم في شُغُل » ، « وهُمْ يحسِبون أنَّهم » ، « فلا تَحْسِبنَّهم..» « لا تَسمعُ فِيها لا غِيَةً » ، « كأنهم حمُرٌ مُستنفَرةٌ »، « أنّي أذْبحك » ، « والرِّجْز فاهجُرْ » « مالي لا أرَى الهُدْهُدَ » ، (باسكان ياء مالي) ، « وتَحِسِبونه هَيِّنًا » ... كلها لـــــم تُضبطْ خطأ، وإنما ضبطت على ما يوافق قراءة صحيحة مجمعا عليها.. وسنحرص بحول الله علـى عدم الجمع بين قراءتين في آية ، أما ما فوق ذلك، فلا ضير في أن تتعدد القراءات الصحيحة في معجم تتداوله الأيدي شرقا وغربا.. فالخطب في هذا سهل كما ترون.

٥ ـ في الأحاديث النبوية :

لم يكن "المعجم العربي الأساسي" بدعا من كتب اللغة في الاستشهاد أحيانا بأحاديث لم تثبت .. فهذا ـ وليتهم لم يُحْوِجُونا إلى عذر في الأمر ـ مما درج عليه علماء اللغـــة من قديم. فقد تساهلوا في الأمر تساهلا معروفا، ربما لأن مناط الاستشهاد عندهم هـــو حكم لغوي، وليس الحكم الشرعي الذي يرجع فيه إلى كتب الفقه وكتب الحديث...

ولم تسلم كتب الحديث ذاتها من أن يتسرب إليها الموضوع والضعيف ونحوهما، فكيف بغيرها.

وحيث أنكم قد أحلتم على "لسان العرب" في التنبيه إلى أخطاء وقع فيها "المعجم العربي الأساسي"، فلا بأس في أن نذكر بأن بعض ما تعقبتم على " المعجم " ورد في "اللسان " أيضا موصوفا بأنه حديث، مثل :

- رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس

- استجيدوا الخال فإن العرق دساس...

أما الخبر " أن رجلا قطع دوحة من الحرم فأمره أن يعتق رقبة".

فقد ذكرتم استنادا إلى "اللسان" أن الضمير يعود إلى ابن عمر، وليس إليه على الله عليه وسلم .. ولعل اللبس ناشئ عن قول اللسان " في حديث ابن عمر" فكلمة "حديث" قد تكون أوهمت المؤلفين أنها إشارة - وكثيرا ما ترد كذلك - إلى أن الخبر هو حديث رواه ابن عمر وليس كلاما أنشأه، ويكون الضمير - إن صح هذا - عائدا إليه على الله عليه وسلم .. ولعلكم إن وقفتم على جلية الأمر تخبروننا الخبر اليقين.

وعلى كل، فلا بد من التحري، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .. والله بفضله وعونه يجنبنا وإياكم أن نتعمد الكذب على النبي على الله عليه وسلم...

٥ - في فوات المعجم :

صحيح أن المعجم قد أهمل مواد كثيرة (فهو لا يتضمن إلا نحو ٢٥٠٠٠ مدخل).. وبعض هذه المواد مما لا ينبغي إهماله، أو مما يحسن تداركه. وليس من المواد المهملة مادة " أتان " فقد وردت مفسرة في موقعها الصحيح (ص ٦٨).

ونأمل أن نتدارك بعض ما فات في الطبعة والطبعات اللاحقة إن شاء الله..

٦ - في التفسيرات الغريبة :

قد لا يخلو المعجم من شروح وتفسيرات نأمل أن نراجعها إذا نحن استقبلنا من أمرنا فيه ما استدبرنا.

وقد ورد تفسير " الوارد" بالسابق على هذا النحو في " المعجم الوسيط" الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ولعلنا نعود في المادة إلى ما هو أوفق وأوجه.

هذا وقد يكون من نافلة القول التأكيد مجددا على القيمة الكبيرة لنظراتكم السديدة، التي نعتبرها، بحق، وثيقة عمل أساسية فيما نحن بصدده من مراجعة المعجم، وقد كانت مساعدتكم لنا جليلة بحق، في مجمل الملاحظات التي تقدمتم بها، وخاصة منها ما يتعلق ←

« أثَرُ الدَّخِيل على العربيّة الفصحى في عصر الاحتجاج »

تأليف الدكتور مسعود بوبو ـ دمشق ـ مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سلسلة إحياء التراث وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ ١٩٨٢م ـ ٤١٦ ص .

١ ـ الكتاب قيِّمٌ في بابه ، رَصِينٌ في بحثه ، دلَّ على ما لمؤلفه من علم وصَبْرٍ وتَتَبُّعٍ واستيعابٍ واستقصاءٍ ، وجَمَعَ بين القديم والحديث ، وعلم بالعربية ولغات شرقية وغربية ، واستفادةٍ أمينة من المصادر والمراجع . الكتاب ـ باختصار ـ بحثٌ علمي لا يستغني عنه طالب لموضوعه ، وجدير بأن يطلع عليه طالب الثقافة العامة ، فهو يغني عن كتب . ولم يقف صاحبه عند الجمع والتنسيق والتبويب والعرض ، وإنما زاد تعليقاتٍ وآراءً خاصَّةً واستنباطاتٍ ساقها في هُدُوْءٍ كاد يقلل من بروز شخصيته . وهو مع علميته وموضوعيته وسعة أفقه ـ ولعلميته وموضوعيته وسعة أفقه لم يباين الحرص على العربية ، فهو حين لا يرى سَدَّ الباب بوجهِ تَوَسُّعِهَا ـ وقد توسعت فعلاً حين فتح الباب طبيعياً ـ لا يريد لها أن تفقد أصالتها

→ بالمواد الموسوعية المتصلة بالجزيرة العربية وبلاد العرب ، أرضا وبشرا، فبالاستناد إلى المعلومات القيمة التي تفضلتم بها، نرجو أن يتاح لنا تدقيق تلك المواد وضبطها على نحو أفضل.

وحبذا لو حذا علماء اللغة حذوكم، فضموا من جهدهم إلى جهدنا خدمة للغة العربية والثقافة الإسلامية.

ولابد من شكر معاد متجدد، يتجه إليكم مشفوعا بأخلص عواطف الود والتحية والإكبار..

نضر الله بكم وجه الأمة . وشد بكم العضد، ورعاكم لخدمة العربية والدين.

أخوكم / د. طه حسن النور

مدير جهاز التعاون الدولي

لتنمية الثقافة العربية الاسلامية

وقواعدها ، وهو حين يحترم ماسنه القدماءُ من علوم ، يريد لهذه العلوم أن تتوطد وتتّسِعَ وتنتفع بما جد في العصر الحديث في العلم اللغوي ووسائله ، وأن تناقش بجرأة (فليس تجنب الحقائق بأكثر أمْناً من مواجهتها المباشرة - ص ٣٨٤ -) .

٢ ــ ص ٥ : (إنه لمن البدهيّ)، و(بدهي أن . . .) شَاعَ في مطلع هذا القرن أو أشاع اللغويون المحدثون - وهم في حرصهم على خدمة اللغة العربية - أن الصحيح في النسبة إلى البديهة : البدهي ثم اتضح لهم الخطأ فاستدركوا ، ولكن الخطأ أبقى آثاره ، ويكفي أنه امتد إلى الدكتور مسعود بوبو ، وجرى مثل ذالك للقبيلة والكنيسة والمدينة ، فصحيح النسبة إليها : القبيلي والكنيسي والمديني والطبيعي .
أما الاسم العلم للقبيلة : بجيلة وحنيفة فبجلي وحَنفي ومدينة الرسول: مدني .

٣ ــ ص ٥ : (التأثير في اللغات. . .): هذا هو الصحيح وكما علمنا أستاذنا الدكتور مصطفى جواد في جهود جليلة لخدمة العربية وتأكيد خاص لمسألة (أثَّرَ في) .
وصحيح (ص ٥) يعيدنا إلى العنوان: « أثر الدخيل على . . . » فنتمنى لو جاء : «أثر الدخيل في . . . » وقد تكون الفصيحة أول مرة (الفصحى) - استفادة كذالك من أستاذنا الدكتور مصطفى جواد .

٤ ــ ص ٦ : (اضمحلت . . . تدريجياً): تدريجاً .

٥ ــ ص ٦ : (حتى ليمكن القول) لعلي قرأت يوماً أن هذه اللام من (حتى ليمكن) مستحدثة .

٦ ــ ص ٧ : (رسالة لطيفة للسيوطي هي «المتوكلي فيها في القرآن من المعرب» قد يكون نافعاً أن أذكر أنَّ هذه الرسالة قد طبعت - أخيراً - بتحقيق الدكتور عبدالكريم جواد الزُّبيدي ، وطبعت في القاهرة .

٧ ـ ص ٢٣ : وغيرها : «معجم مقاييس اللغة» بتحقيق وضبط عبدالسلام هارون ، وكذالك ورد ص ٤١٠ : في «المصادر والمراجع» .

ولكن ربما ورد في الهوامش : «مقاييس اللغة» فقط غير مسبوقة بمعجم - تنظر مثلاً ص ٢٥٨ و ٢٢٦ و ٣٢٧ - فماذا ؟ ولماذا ؟

أ ـ منهج البحث (تجريداً) يلزم الإحالة على اسم الكتاب كما هو مطبوع . ويقول حينئذ : «معجم مقاييس اللغة . . .» .

ب ـ العلم الصحيح الأمين الثابت أن ابن فارس لم يسم كتابه «معجم» وإنما سماه «مقاييس اللغة» - والمسؤول في هذا المحقق أو الناشر .

٨ ـ ص ٣٠: (. . . وأورد مثل ذالك السيوطي عن ابن سلام ، قال : (. . . إن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها) .

وأحال: « . . . انظر «المزهر» ١/٢٦٨/٢٦٩/٢٧٨/٢٨٤ ، وابن سلام هنا هو أبو عُبَيْد القاسم بن سَلّام وينظر هـ ٢٣٠ .

والملاحظ هنا منهجياً وجوب الرجوع إلى المصدر الذي استقى منه المرجع أي الرجوع إلى كتاب أبي عبيد الله القاسم بن سلّام . لأن الرجوع إلى المصدر هو الأصل ، وهو الأكثر دقّةً وأمانة ، فربما قدم المرجع أو أخر ، وزاد أو انقص . . .

وكتاب أبي عبيدالله القاسم بن سلام موجود مطبوع .

زد على أنه مالا يستغني عنه باحث في (الدخيل . . . في عصر الاحتجاج) وللمرء - أو الباحث - أن يرى الْقَدْرَ الوافيَ الذي رجع به السيوطي نفسه إلى كتاب أبي عبيد - «الغريب المصنف» وهو مطبوع .

ونعود إلى خبر المؤلف في الصيغة التي أورده عليها : (وأورد مثل ذالك السيوطي عن ابن سلام . .) ونقول لو قال المؤلف: (. . . السيوطي عن القاسم بن سلام) لما احتاج إلى حاشية تقول ، وابن سلام هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، ولما دفع قارئاً إلى توهم ابن سلام آخر (هو محمد بن سلام) .

٩ ـ ص ٥٩: (... كأبي دؤاد الإيادي): كأبي دواد... من غير همزة.

١٠ ـ ص ٥٩ ـ ٦٠: (... عدي بن زيد... قال عنه ابن قتيبة أنه: كان يسكن الحِيْرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه، واحتمل عنه شيْءٌ كثير جداً، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة، «الشعر والشعراء»: ١/ ٤٥٩.
الخبر عن «الشعر والشعراء» صحيح، والرواية تؤدّي المطلوب، ولكن الأليق بكتاب الدكتور مسعود بوبو الرجوع إلى ماهو أبعد من ابن قتيبة من العلماء إلى محمد بن سلام (مثلاً) في «طبقات الشعراء» الطبقة الرابعة من الجاهليين: (وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن (أو يراكنه) الرِّيْفُ، فلاَنَ لسانُه، وسهل منطقه، فَحُمِل عليه شيء كثير وتخليصه شديد واضطرب فيه خَلَفٌ (الأحمر) وخلط فيه المفضل فأكثر).
وأحسب أن كلام محمد بن سلام أَدَلُّ وأنفع ـ ينظر ابن سلام في تحقيق الأستاذ محمود شاكر، السفر الأول ١٤٠، القاهرة، مطبعة المدني ١٩٧٤م.

١١ ـ ص ٦١: (أما الطبقة الرابعة في شعر بشار وأبي نواس وأضرابهما فلا تصلح في رأيهم للاستشهاد والاحتجاج، وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري ـ «خزانة الأدب» ١/ ٤. لا بأس بالرجوع إلى «الخزانة» ولكن الأَوْلَى أن نَرجع إلى الزمخشريِّ نفسه إلى «أساس البلاغة» ـ مثلاً وسنراه يصل بالاستشهاد إلى ابن الرومي، وربما زاد.

١٢ ـ ص ٦١: (ويكاد ابن قتيبة ينفردُ في النظر إلى المسألة نظرة عامة تمتد على اللغة بلا حدود زمنية في قوله: (لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذالك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر).
لا أرى في قول ابن قتيبة مكاناً للاستشهاد لأن كلام ابن قتيبة على الشعر والعلم والبلاغة وليس على اللغة وما يصلح منها للاستشهاد به على فصاحتها.

ويفسر هذا المعنى ما استشهد به المؤلف نفسه من متابعة ابن رَشِيْق لابن قتيبة حين قال (المؤلف) ـ ص ٦١ ـ (ويتبعه في مثل هذه النظرة ابنُ رَشيق من القرن الخامس ، وبعد أن يشير إلى مذهب أبي عَمْرِو ابن العلاء وأصحابه كالأصمعي وابن الأعرابي في التشدد والمحافظة يقول: (. . . وكل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، يقدم من قبلهم وليس ذالك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ، ثم صارت لجاجة) .

١٣ ــ وللتعامل مع ابن منظور ـ صاحب «اللسان» واللسان نفسه حساب خاص ، فقد سهل ابن منظور مشكوراً الرجوع إلى خمسة كتب في كتاب واحد . وهو القائل في مقدمة المعجم المجموع من هذه الكتب الخمسة: (وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أَمُتُّ بها (. . .) سوى أني جمعت فيه ماتفرق في تلك الكتب من العلوم) والكتب الخمسة كما نص هو عليها «تهذيب اللغة» و«المحكم» و«الصحاح» و«أمالي ابن بَرِّي» و«النهاية» . المهم أن ليس لباحث متخصص أن يسند ما يلتقطه أو يعتمد عليه في «لسان العرب» إلى ابن منظور وإذا كان الأمر يتعلقُ بزمنٍ أو رأيٍ فلا بُدَّ من الرجوع إلى أحد الكتب الخمسة لأن أصحابها أصحاب العلم أو الرأي أو المنهج .

وهكذا فإننا حين نقرأ في كتاب الدكتور مسعود بوبو (ص ٢٤٧ ـ مثلاً) (النبراس) وضعه صاحب «اللسان» في (ب . ر . س) وأشار إلى أنه ثلاثي حاذِفاً منه النون ، قال: (والنبراس: المصباح قال ابن سيده رحمه الله تعالى : وإنما قضينا بزيادة النون . . . الخ) وانظر مادة فرض . حين نقرأ هذا ونحن في بحث لغوي علمي لا نقول (النبراس) وضعه صاحب (اللسان) في (ب . ر . س) لأن صاحب «اللسان» لم يضع ولم يرفع . ونعود إلى مقدمة كتابه لنقرأ : (ورأيت أبا نَصْرٍ إسماعيل بن حمّادٍ الجوهريَّ قد أحسن ترتيب مختصره (. . .) وشرطنا في هذا الكتاب المبارك

«اللسان» أن نرتبه كما رتب الجوهريُّ صحاحه وقد قمنا - والمنة لله - بما شرطناه فيه .

لابُدَّ - إذَنْ - من العودة إلى المصدر ، إلى «صحاح الجوهري» .
والحال تتكرر وتتكرر منها ص ٢٣١ : (وذكر . . . صاحب «اللسان» فقال : اللاذ : هو سواء عند العرب والعجم . . .) «اللسان» - لوذ - وليس الرأي لصاحب «اللسان» وإنما لمن كان أصلاً في «اللسان» والأصول موجودة في أكثرها ولاسيما «الصحاح» - صحاح الجوهري . وتنظر - ص ٢٥٧ - .

١٤ - وترد الملاحظة نفسها بشأن (الرازي) و«مختار الصحاح» ولابُدَّ من أن نرجع ما للجوهري صاحب «الصحاح» إلى الجوهري ، أما إذا ورد قول في «مختار الصحاح» الذي عمله الرازي وقد نَصَّ الرازِيْ فيه على أنه له (أي للرازي) فيذكر - حينئذ للرازي ، وليس الذي للرازي في «المختار» كثيراً .
وحين نقرأ - ص ٢٤٩ - : (ووضع صاحب «مختار الصحاح» الفالوذج والفالوذق في (ف . ل . ذ) . . لا ننسب العمل لصاحب «مختار الصحاح» ونحيل في الحاشية إليه : (هو محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي) إنما نرجع أولاً إلى «صحاح الجوهري» .

وتتكرر الحال في نسبة علم أو رأي للرازي - وماهو بصاحب العلم والرأي ، وإنما المصدر هو هو الجوهري - تنظر مثلاً ٢٥٧ ، ٢٩١ .
الخلاصة : أنه لا يليق بدراسة مختصة أن يغيب عنها الجوهري وصحاحه ويحضر ابن منظور ولسانه ، والرازي ومختاره . ولا يمكن ذالك إلا في أحوال قليلة ، يكون فيها الرأي لابن منظور أو للرازي .
ثم إننا في البحث مقيدون بالزمن والجوهري من قرن ، وابن منظور والرازي من قرن آخر متأخر . .

١٥ ــ ص ٣٨٤ : (هل سيكون في ذالك . . . ؟) هل يكون . . .

١٦ ــ و(المصادر والمراجع) غزيرة متنوعة ، ويمكن للمرء أن يلاحظ :

أ ــ الاعتماد على «اعلام» الزركلي ط ٢ ، وكان الأنسب الاعتماد على الثالثة إذا لم تكن الرابعة .

ب ــ كتاب «تحرير التنبه» للإمام النووي (مخطوط) نقص في العنوان فتنقص الدلالة عليه .

جـ ــ «صفة جزيرة العرب» للهمداني مراجعة وتحقيق محمد بن عبدالله ابن بليهد النجدي مط ـ السعادة ـ بمصر ١٩٥٣م .

حقق الكتاب وطبع بعد ذالك بما هو أولى بالمراجعة . فقد صدر عن دار اليمامة بتحقيق محمد بن علي الأكـوع في طبعتين الأولى في ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ـ وللفائدة نذكر للمحقق نفسه طبعة ثالثة صدرت ببغداد عن دار الشؤون الثقافية سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٩م ـ .

د ــ مقدمة عبدالرحمن بن خلدون . الجزء الأول نشر مكتبة مصطفى محمد بالقاهرة ليس من ضرورة لـ(عبدالرحمن) وليس المقدمة أجزاء ليكون هذا الذي راجعه الباحث جزءاً أول منها إنها كلها جزء واحد ، فإذا أردنا أن نقول الجزء الأول وجب تغيير العنوان والرجوع إلى الأصل والأصل في عنوان كتاب ابن خلدون : كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر . . » والمقدمة هي الجزء الأول من كتاب «العبر» وهذا مانصت عليه طبعة مكتبة مصطفى محمد .

١٧ ــ الكتابُ ـ مرةً أخرى ـ قَيِّمٌ وإذَا كان صاحبه الفاضل قد وقف من بحثه عند عصر الاحتجاج فإنه أطمعنا بالسير قُدُماً . . . والدخول في العصر الحديث . لأن الموضوع من موضوعات الساعة والموضوعات التي تدرس على قاعدة : (ليس تجنب الحقائق بأكثر أَمْناً من مواجهتها المباشرة) .

د. علي جواد الطاهر

وقفات على :

– ١ –

«المعجم الكبير»

مجمع اللغة - الجزء الأول (حرف الهمزة) القاهرة ١٩٧٠م

لعل «المعجم الكبير» من أفضل ماقدَّمَ المجمعُ الموقّر من أيادٍ إلى العربية . وهو من غير شَكٍّ عَمَلٌ اضطلع به طائفةٌ من أهل العلم من أعضاء المجمع وغيرهم . وقد كان لي وقفاتٌ طويلةٌ مع هذا المعجم ، أُفيدُ مما فيه من معارفَ علمية ماخلا اللغة . وكان لي في أثناء صحبتي لهذا الأثر النفيس وقفاتٌ على شيء مما ورد في «المعجم» رأيتُ أن أثبتها في هذا الموجز فأقول :

١ ــ جاء في الصفحة (٤) في (الهمزة المدودة) :

آ : حرفُ نداءٍ للبعيد ومايُنَزَّل منزلته عند الكوفيين . وجعلها ابنُ عصفور للقريب .

وقال الجوهري : هي لنداء القريب والبعيد .

أقول : ويحسن في هذا أن يُسْتَشْهَدَ عليه بقول السيد الحميري في رثاء الحسين ابن علي - عليه السلام :

امْرُرْ على جَدَثِ الْـحُسَينِ وقُلْ لأعظُمِهِ الزَّكِيَّهْ
آأعْظُـمًـا لازِلْـتِ مِـنْ وَطْفـاءَ سَاكِبَـةٍ رَوِيَّـهْ

وأنا أُبيح لنفسي أن أستشهد بشعر السيد الحميري من شعراء العصر الأموي ، لأكون مع محرّري المعجم من الأساتذة الذين استشهدُوْا بِشعر الشعراء العباسيين كالمتنبي والمعري والشريف الرضي وغيرهم ، وربما تجاوزُوا هذا الحدَّ فَاستشهدوا بِشِعْرِ البهاء زُهير .

وأستدرك على ماورد في «المعجم» فأقول : إن الهمزة المدودة ترد في باب الاستفهام أيضاً ، وذلك في قول ذِي الرُّمَّة :

أيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ

٢ ـ وجاء في الصفحة (٦) في حشو مادة (آبَنوس) :

وقال أُسَامَةُ بن منقذ يستهدي ابنَهُ مُرْهِفاً عصا .

أقول : وقد ضبط (مُرْهف) في مصادر الرجال بفتح الهاء وزان اسم المفعول ، وقد استُعيرتْ هذه العلمية من (مُرْهَف) من أسماء السيف ، وليس في أسمائهم (مُرْهِف) وزان اسم الفاعل . وكما كان اسم الأب (أسامة) كان مناسباً أن يكون اسم ولده (مُرْهَفاً) .

٣ ـ وجاء في الصفحة (٨) : (آ ح) حكاية صوت الساعل .

أقول : كان يجب في هذا الموضع أن يشار إلى أنَّ هذه الكلمة أو قُلْ : هذا الصوت قد كان أصلاً في بناء مادة (أ ح ح) التي كانت فعلاً بمعنى سَعَل ، والأُحَاحُ هو السُّعال من المصادر التي تنصرف إلى الأصوات .

أقول : ولما كان الكلام على أنَّ الأصوات حين تُحكَى قد وَلَّدَتْ مَوَادَّ في العربية ، كان من المفيد أن يُشارَ إلى (آه) وهي حكاية صوت الـمُتَوَجِّع الذي انْتَهَيْنَا منه إلى التأَوُّهِ ، ثم حولناه إلى الاسمية فجمعناه على (آهات) .

٤ ـ وجاء في الصفحة نفسها في مادة (آدم) : . . . وفي (الأوجاريتية) أدم . . .

أقول : وكيف لنا أن نَعُدَّ رسم الجيم مُؤَدِّياً للصوت المطلوب في (الأوجاريتية) ، وحقيقته كصوت (G) في الانكليزية مثلاً . وهل لنا أن نعُدَّ رسم الجيم العربية لصوتين مختلفين أحدهما رقيق والثاني ثقيل .

وإذا كان إخواننا المصريون يرسمون الجيم العربية لكلمات كثيرة أجنبية جاء فيها الحرف G ، أو أنهم ينطقون الجيم العربية معطشة ، فهل يكون ذلك مُسَوِّغاً للأساتذة الكرام أصحاب المجمع أن يُؤَيِّدُوا هذا فيجعلوا رسم الجيم لصوتين مختلفين ؟ وهل يجوز لنا أن نقرأ قوله تعالى : ﴿ يومَ الْتَقَى الْـجَمْعَانِ ﴾ بحسب العامية المصرية ؟

٥ ــ وجاء في الصفحة (١١) في مادة (آزاذ) :

الآزاذ : نوع جيدٌ من التمر . . . وهو في العراق باسم (الزهدي) . . .

أقول : لَيْسَ من دليل على أن تمر (الزهدي) في عصرنا هو (الآزاذ) الذي ورد في الأدب القديم . وكان ينبغي لمحرر المادة أن يشير إلى أن (الزهدي) اسم حديث يعرفه العراقيون . والذي يعرفه العراقيون أن (الزهدي) من أصناف التمور التي لا يعدّونها جيدة .

٦ ــ وجاء في الصفحة (١٢) في مادة (آسيا) . . . أكبر القارّات .

أقول : اختلف العربُ في تعريب (آسيا) فأهل الشام والعراق وغيرهم عرّبوها وجعلوها مؤنّثة فألحقوا بها تاء التأنيث فقالوا : آسية نظير تعريب العرب لكثير من أسماء البلاد والمواضع فقالوا : سورية وتركية وانكلترة وفرنسة ونحو ذالك وابتعدوا عن الألف المطلقة التي تشعر بالأصل الأعجمي .

٧ ــ وجاء في الصفحة (١٧) مادة (الآيين) بمعنى الطريقة والقانون . . .

أقول : وكان ينبغي أن يشار إلى صورته الأخرى التي استعملها العرب أيضاً مع (الآيين) ، وهي (الآئين) بمدّ فهمزة .

٨ ــ وجاء في الصفحة (١٩) في مادة (ا ب ب) : و (أبيب) 'Abib سنابل ناضجة في اللغة العبرية .

أقول : وكان يحسن أن يشار إلى تمصير الإسرائيليين لمدينة (تَلّ أَبِيب) وهي تكتب بالباء المرققة عندهم : אָבִיב

٩ ــ وجاء في الصفحة (٢٢) في حشو مادة (ا ب ت) : المأبوت : المحرور ، ولا يصاغ منه فعل مُتَعَدٍّ ، كالمأدور والمقرور .

أقول : الكلام يؤدي مايريد محرر المادة ، ولكنه غير قويم ، وذلك لأن (الأبْت) فعله قاصرٌ ، والفعل القاصر لا يصاغ منه اسم المفعول إلا بقَيْدٍ ، ولكن العرب صاغوا (المأبوت) من الفعل القاصر ، كما صاغوا المأدور والمقروز وكلاهما

من فعل قاصر . فقول المحرر : (ولا يصاغ منه فعل مُتَعدٍّ) غير سديد .

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٢٤) في حشو مادة (أبجد) : ويُعْزَى التّرتيبُ المعروف (أي ترتيب الحروف) إلى نصر بن عاصم ، ويحيى بن (يعمُر) . . .

أقول : وصواب (يعمُر) بضم الميم (يَعْمَر) بفتح الميم ، هكذا نَصَّ عليها أهل اللغة .

١١ ــ وجاء في الصفحة (٢٥) في حشو مادة (أبد) : وأَبَدَ الرجل : جاء بآبِدَةٍ .

أقول : ليس في الكلام شيء إلا أن القارئَ يواجه كلمة (آبدة) أول مرة في هذه المادة ، ولا يأتي شرح (الآبدة) إلا بعد صفحتين . وكان من الممكن أن تُشْرح هنا مع الفعل (أَبَدَ) .

١٢ ــ وجاء في الصفحة (٣٠) في حشو مادة (أبد) : المؤبَّدة (عقوبة مؤبَّدة) وصف لعقوبة الأشغال الشاقة . . .

أقول : و(المؤبَّدة) على التأنيث مما جرى عليه المصريون في الأحكام والعقوبات ، يقابله (السجن المؤبّد) في العراق وبلاد الشام .

١٣ ــ وجاء في الصفحة (٣٣) في حشو مادة (أبر) : الإبَرِيُّ نسبة إلى بيع الإبر وعملها (عن السمعاني) ، وفي القاموس : أن فتح الباء لحن .

أقول : إن تخطئة صاحب «القاموس» هذه تأتي من قول النحويين بعدم جواز النسب إلى الجمع ، وقد فات النحويين أن لأبي الفتح عثمان بن جِنّي ـ وهُوَ مَنْ هُوَ في اللغة والنحو ـ كتاباً اسماه «التّصْريف الملوكي» وأنَّ الجاحظ نسب إلى الملوك فقال : وهذه طبيعة ملوكية ، وجدُّث ولا حرج عن كلمات الشهرة للرجال كالقدوري والجلودي والطيالسي والقواريري والأنماطي وغيرهم .

وقد جاء في هذه المادة (أبر) ذكر للإبْرة الأداة المعروفة وذكروا طائفة من المواد التي اسْتُعِيرت (الإبرة) فيها ، وفات محرر المادة (الإبرة) في أجزاء ميكانيك السيارة ، ومثلها في البندقية . وكذلك (الإبرة) في كثير من الأجهزة الجديدة .

١٤ ـ وجاء في الصفحة (٣٤) في المادة نفسها : و(المِئْبَر) : إبرة غليظة يُخَاطُ بها الخيش ونحوه (مو) .

أقول : إن هذه (الإبرة الغليظة التي يخاط بها الخيش ونحوه) تُدعَى (الْـمِخْيَط) في كثير من البلدان العربية ، وهي ، وإن كانت مما يستعمله العامّة وغيرهم ، عربية فصيحة في بنائها ، وهي تقابل (الخِياط) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ حتّى يَلِجَ الْـجَمَل في سَمِّ الخِياط ﴾ .

إن ماجاء على (فِعال) من أسماء الأدوات والآلات يؤلف مادة كثيرة لم يُشِرْ إليه مُصَنِّفُو الكتب النحوية ، إلا أني رأيت الرضي في «شرح الشافية»: ١ /١٨٨ ذكره فقال : هو كالخياط والنظام .

١٥ ـ وجاء في الصفحة (٣٩) في حشو مادة (أبز) : . . . وأَبَزَ فلان : مات مُغَافصة (على غِرَّةٍ) .

أقول : ماكان أغنانا عن (المغافصة) ولو أثبت محرر المادة قوله: (على غِرَّة) لأدَّى المراد ، ثم تأتي (المغافصة) في موضعها في حرف الغين .

١٦ ـ وجاء في الصفحة (٤١) في حشو مادة (أبش): (الأُباشة) الأخلاط . . .

أقول : كان على المحرر أن يُشير إلى أنها مقلوب (أُشابة)، وهذه الأخيرة أحق منها بهذه الدلالة .

١٧ ـ وجاء في الصفحة (٤٧) في أول مادة (إبل) : وفي الأكدية Ibilu ابل : جمل (دخيلة) . معروفة .

أقول : لا أدري وجهاً في وصفها (دخيلة) ذالك أنها معروفة في جملة لغات سامية ، ومن هنا تَنْدَرِج في باب المشترك السامي .

١٨ ـ وجاء في الصفحة (٥٧) في مادة (أَبْنَبَم) قول طُفَيل الْغَنوي :

أشَـاقَتْـكَ أظْعَـانٌ بِحَفْـرِ أَبْنَبَمِ   نَعَمْ بُكراً مِثْل الْفَسِيْلِ الْمُكَمَّمِ

أظْعان : جمع ظعينة ، وهي المرأة في الهودج .

أقول : كذا ورد في المعجمات وهو أنّ (ظعينة) تُجمع ظَعائن وظُعْن وظُعُن وأظعان وظُعُنات . وجاء في «اللسان» أن الأخيرتَين جمع الجمع .

وهذه الملاحظة الأخيرة مفيدة وبيانها أن (ظعينة) لا تجمع على (أظعان) ذالك أن بناء أفعال : الكثير في مفردهِ (فَعَل) نحو قَلَم وأقلام ، وقد يأتي فيه (فَعْل) نحو نَهْر وأنهار ، وفَعِل نحو كَبِدٍ وأكباد ، والغالب في (فعيلة) أن جمعها فعائل ، فكيف نقول : إن جمع فعيلة أفعال ؟

لَابُدَّ لنا أنْ نُقيِّدَ مما ورد في «اللسان» وهو أنّ (أفعال) جمع (فَعَل) وأظعان جمع ظَعَن ، والظَعَنُ اسم جمع كالشجر والثمر والولد وغيرها ، وهي من هنا جمع الجمع ، ويبقى لنا أن نقول : إن ظعينة جمعها ظعائِن وظُعُن وظُعْن .

١٩ ــ وجاء في الصفحة (٦٣) في حشو مادة (أبو) : وأبو الطيب : أحمد بن الحسين المتنبي .

وأبو غبشان : رجل جاهلي من خزاعة .

أقول : كان لابُدَّ أنْ يَندرج بينهما بحسب حروف المعجم (أبو عَمْرٍو) وهو كنية زَبّان أبي عمرو بن العلاء من مشاهير اللغويين القُرّاء ، وأبو عمرٍو الشيباني من مشاهير اللغويين الرُّواة .

٢٠ ــ وجاء في الصفحة (٦٧) في حشو المادة السابقة : أَبِيَ فهو آبٍ (ج) إِبَاة وإِباء . . .

أقول : إن (أباة) جمع أَبِيٍّ مثل كَمِـيٍّ وكُمَاة ، ولنا في (آبٍ) الجمع السالم ، وقد يكسر على إباء ، وندر مجيئه في كلامهم .

٢١ ــ وجاء في الصفحة (٦٨) في حشو المادة نفسها : الأَبيَان (بالتحريك : الممتنع ، قال أبو المجشّر :

وَقَبْلَكَ ما هَابَ الرِّجَالُ ظُلاَمَتِي ... وَفَقَّـأْتُ عَيْنَ ٱلأَشْـوَسِ ٱلأَبَيَانِ

أقول : والذي أقِفُ عليه في هذا البيت من غرائب الأَبْنِية وهو (أَبَيان) ،

بالتَّحْريك من أبنية الصفات ، ذالك أن سيبويه لم يدرج (فَعَلان) في أبنية الصفة ، والمعروف في (فَعَلان) أنه من أبنية المصدر للفعل الثلاثي الدال على تقلّبٍ وحركة واضطراب كَالضَرَبان والطَيَران وغيرهما كثير .

٢٢ ــ وجاء في الصفحة (٧٩) في حشو مادة (أت ي) : وأتى الشيءُ على الشيء : أهلكه وأفناهُ ، قال عروة بن الورد : . . .

أقول : وهذا صحيح ، ومن أجل ذلك جاء الحرف (على) وهو كثير في الأذى والشر ، ولذالك قلنا : دعا له ، ودعا عليه ، ومثل هذا كثير .

ذكر هذا في اسْتقراءٍ وافٍ الأستاذ الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في كتابه «المباحث اللغوية في العراق» .

٢٣ ــ وجاء في الصفحة (٨٦) في حشو مادة (أثر) : وآثَرَ فلاناً بالشيء : اختصه به ، قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ليزيد بن أبي سفيان حين بعثه إلى الشام : يا يزيد إن لك قرابةً (عَسِيتُ) أن تُؤْثِرهم بالإمارة . . .

أقول : وضبط الفعل (عسِيت) بكسر السين يعني أن محرر المادة عَدَّ الأصل (عسِيَ) مثل (نَسِيَ) وهذا محض سَهْوٍ ، إذ لا وجود لهذا الفعل الناقص بالياء .

٢٤ ــ وجاء في الصفحة (٨٨) في حشو المادة نفسها : ودار الآثار : المكان الذي يُحفَظ فيه ما خلّفه الأوائل ويُسمَّى (الـمُتْحَف) .

أقول : وَلَّد المعاصرون (المتحف) بضم الميم ، وكأنهم رجعوا إلى الفعل الرباعي بالزيادة وهو (أتحف) ، والذي أراه أن يكون (المتحف) بفتح الميم لأنه مأخوذ من الاسم وهو (التُحَف) بمعناها الحديث . وهو يوميٌ إلى التحف الاسم المجموع قبل أن يستحضر السامع في ذهنه الفعل (أتْحَفَ) ومجيء أسماء المكان من الاسم معروفة كالـمَسْبَعَة والمأسدة والمبطخة والمقثاة للأمكنة التي تكثر فيها السباع والأسود والبطيخ والقثّاء .

٢٥ ــ وجاء في الصفحة (٩١) في حشو المادة نفسها : عزالدين . . . ابن الأثير . . . مؤرخ من مؤلفاته . . . «أُسْد الغابة» .

أقول : انقل بخصوص «أسد الغابة» قول السيد مكي السيد جاسم من أهل التَّنقير والتَّدقيق في العراق قوله : أن «أُسْد الغابة» صوابه «أُسَد الغابة» أي أن «أسد» مفرد لا جمع ، وهو يعلل فيقول : إن المؤلف أراد لكتابه التفرّد بذكر المفيد الجيد من أسماء الصحابة ، فكأن الكتاب بالقياس إلى معاجم الصحابة كالأسد في الغابة فهو الملك المفرد الـمُتَسَلِّط .

٢٦ ــ وجاء في الصفحة (١٠١) في حشو هذه المادة أيضاً : الأثير . . . تنتقل فيه الأمواج الكهربية .

أقول : والذي درج عليه أهل العلم : الأمواج الكهربائية نِسْبة إلى (الكهرباء) لا إلى (الكهرب) وهو من الأحجار النّفيسة . و(الكهربائية) من شعب العلم الحديث مشهورة معروفة ، فهل يجوز أن نستبدل بها (الكهرب) كما ورد فيما يفهم من قول محرر المادة ؟

٢٧ ــ وجاء في الصفحة (١٠٤) في مادة (أجَأ) : وقد ورد (أجا) مقصوراً غير مهموز ، قال أبو النَّجْمِ العجلي :

قَدْ حَيَّرَتْهُ جِنُّ سَلْمَى وأَجَا

أقول : قول محرر المادة (غير مهموز) بعد قوله : (مقصوراً) لا فائدة فيه ، وكلمة (مقصور) تكفي .

ثم إن مجيء (أجا) مقصوراً كان بسبب الوزن ، والرجز يقْتَضِيْه .

٢٨ ــ وجاء في الصفحة نفسها مادة (أجادير) :

أقول : كتبت بالجيم ليتَسنّى نطقها بالثقيلة مثل (G) الانكليزية .

ثم لِـمَ هذا التكلف وأهل الإقليم في سوس المغرب وعامة المغاربة ينطقونها بالغين (أغادير) ؟

٢٩ ــ وجاء في هذه المادة الشهر (فبراير) : أقول : و(فبراير) لا يعرفه غير المصريين ، والأولى أن يصار إلى اسم الشهر (شباط) الاسم القديم الذي ورد في

اللغة البابلية الآشورية ، ثم استعمله العرب في الجاهلية والإسلام ، وورد في أشعارهم ، ومازال أهل الشام والعراق وبلدان الخليج يعرفونه ويستعملونه في معاملاتهم الرسمية .

٣٠ ــ وجاء في الصفحة نفسها الكلام على (إجّاص) :

أقول : وكان من المفيد أن يشير إلى مجيء الكلمة أيضاً بِفَكِّ الإدغام وإبدال الجيم الأولى نوناً وهي (إنْجَاص) وهي فصيحة أيضاً ، ومازالت بهذه الصورة في عامية العراقيين . ومثل (إجّاص) (الإجّانة) في الصفحة (١٠٥) .

وهذه حقها أن يشار إلى أنها وردت أيضاً بِفَكِّ الإدغام (إنجانة) ومازالت معروفة .

٣١ ــ وجاء في الصفحة (١٢٢) مادة (أخ) : وهي كلمة تَوَجُّعٍ وتكرُّهٍ من غيظ أو حزن .

أقول : وهذه الكلمة مازالت معروفة لدى العراقيين في عامِّيّتهم وصورتها بالمد (آخ) .

٣٢ ــ وجاء في الصفحة (١٣٥) في حشو مادة (أ خ و) : وحَكَى اللحياني في جمعه (أُخُوَّة) .

أقول : هذا الذي حكاه اللحياني يقوِّيه (الأُبُوَّة) جمعاً لـ (أب) مع جموع أخرى . ويبدو أنه غريب في عصرنا لشيوع (الأبوَّة) مصدراً ، وكذلك (الأخوَّة) ، ومثل هذا العمومة والخؤولة فكلاهما جمع مع شيوعهما مصدراً ، ووزان (فُعولة) كثير في جمع ماكان (فَعْل) مثل سَهْل وسُهوله ، وحَزْن وحُزونة ، وبَعْل وبُعولة وغيرها كثير .

٣٣ ــ وجاء في الصفحة (١٤١) وقبلها مادة (أدب) :

أقول : كان ينبغي أن يشار إلى أن في معاني (أدب) العقاب ، وكأني ألمح هذه الدلالة في قول أم ثواب الهِزَّانيَّة :

أنْشَـا يُمَـزِّقُ أثْـوابِي يُؤَدِّبـني أبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِيْ يَبْتَغِـي ٱلأدَبَا

وفي كتب التربية الإسلامية القديمة ترد هذه الدلالة .

٣٤ ــ وجاء في الصفحة (١٦٥) مادة آذِن : الآذِنُ : الحاجب ، وفي «عيون الأخبار» . . .

أقول : و (الآذِنُ) في عصرنا هو الحاجب والْفرّاش في المؤسسات الرسمية الأردنية .

٣٥ ــ وجاء في الصفحة (١٨١) في حشو مادة (مأرِب) : . . . كانَتْ به فَتْحتَان لازالتْ آثارهما قائمة .

أقول : لابد أن يكون محرر المادة من أهل الجغرافية التاريخية ، وإذا كان هذا فلا بُدَّ أن ينظر فيها يحرّره أحد اللغويين ليصلح قوله (لازالتْ) ويستبدل بها (مازالت) لأن الأولى تنصرف إلى الدعاء كثيراً .

٣٦ ــ وجاء في الصفحة (١٨٩) في حشو مادة (أدب) : وتاريخ الأدب ، والتاريخ الطبيعي . . .

أقول : كان مفيداً لو أن محرر المادة أشار إلى أنهما مصطلحان عرفتهما العربية بالترجمة من اللغات الغربية ، فالأولى هي Histoir de la litérature ومثله الثاني .

٣٧ ــ وجاء في الصفحة (١٩٣) مادة (الإرّة) :

أقول : كان ينبغي أن يشار إلى مادة (أرط) في الصفحة (٢٠٩) وقد جاء فيها (أريتها) بالتخفيف في بيت (ذي الرمة) جمعاً لـ (إرّة) وهي حفرة توقد فيها النّار .

٣٨ ــ وجاء في هذه الصفحة مادة (أرير) : الأرير : الصوت مطلقاً ، أو صوت الماجِن عند القِهار والغلبة .

ثم أعقب هذا : وأرير التليفون (الهاتف): صوته حين ترفع السّماعة والخط موصول (محدثة) .

أقول : أكانت ضرورة أن يستعار الأرير إلى هذا الصوت الخافت .

٣٩ ـ وجاء في الصفحة (٢٤٥) في حشو مادة (أزر) :

كأنَّ حيْريَّةً غيْرَى مُلاحية . . . .

وهو قول ابن الطثرية يصف البرق .

أقول ومن المفيد أن يشار إلى النسبة السماعية إلى (الحيرة) عند شرح كلمة (حيرية) ، والنسبة السماعية هي (حارية) وقد وردت في الشعر الجاهلي .

٤٠ ـ وجاء في الصفحة (٢٤٦) في حشو مادة (أزز) : الأزيز : الصوت المدوِّيّ كصوت الرعد والرحَى والطائرة .

أقول : هذا هو اجتهاد الأساتذة الكرام في (المجمع) فهل اختاروا للطائرة والدبّابة والمدافع الهدير ، وكله من باب التوسع في الكلمة القديمة ؟

٤١ ـ وجاء في الصفحة (٢٥٢) في حشو مادة (أزم) : وأزَم الحبلَ وغيره : أحكم فتله وضفره .

أقول : وهذه الدلالة نفسها في مادة (أرم) .

٤٢ ـ وجاء في الصفحة (٣٠٥) في حشو مادة (أسو) : قال كراع : ليس في الكلام ما يَعْتَقِبُ عليه فُعَلةٌ وفِعال إلا هذا ، يريد أُساة وإساء جمعين في (الآسي) أي الطبيب .

ونستدرك على قول كراع هذا أنه ورد جمعان لِأَبِـيٍّ ، هما : أُباة وإباء . وقد وردا في «المعجم» جمعين لِـ(آبٍ) . وقد أشرتُ إليهما في الموضع .

٤٣ ـ وجاء في هذه الصفحة أيضاً : أن (الإساء) أيضاً هو الدواء ، وجُعِلَ منه قول الحطيئة :

هُمُ الآسُـوَن أُمَّ الـرأسِ لمّا تَـواكَـلَهـا الأَطِبَّـةُ والإِسـاءُ

أقول : وهل لنا أن نجعل (الإساء) في البيت جمعاً لِآسٍ كما تقدم الكلام

عليه ، وهو يتّفق مع (الأطِبَّة) ؟

٤٤ ــ وجاء في الصفحة (٣٠٧) في حشو مادة (أسوار) أبو علي الأسواريّ :

أقول : هو موسى الأسواري الذي أشار الجاحظ في «البيان» إلى فصاحته .

٤٥ ــ وجاء في الصفحة (٣١٩) في حشو مادة (أشر) : الْـمِئْشَارُ : ما يُؤْشَر به . وهو الـمِنْشار .

أقول : كان ينبغي أن يشار إلى (المِيشار) والفعل (وَشَرَ) .

٤٦ ــ وجاء في الصفحة (٣٢٣) مادة (الأشنان) .

وقد ضُبطت (الأُشْنان) بفتح الهمزة ، والذي أثبته المجد الفيروزآبادي الضم والكسر .

٤٧ ــ وجاء فيها أيضاً : (الأشنان دان) لموضع الأشنان : وهو مأخوذ عن «التاج» .

أقول : ومثل هذا (سكردان) للوعاء الذي يوضع فيه السكر ، وبه سُمّي «سَكَردان السلطان» من الكتب المتأخرة التي تشتمل على أشعار وأخبار . ومازالت الكلمة معروفة في عامية العراقيين (شكردان) .

٤٨ ــ وجاء في الصفحة (٣٢٤) مادة أشور :

وقد ضبطت (أشور) بفتح الهمزة ، والذي درج عليه العراقيون مُسْتَهْدِيْنَ بِالنُّقوش والكتابات أنها (آشور) بالمدّ .

٤٩ ــ وجاء في الصفحة (٣٣٠) مادة (أصص) : الأصّ (مثلثة الهمزة): الأصل .

أقول : وهذا يشير إلى أن المضاعف ينصرف إلى الثلاثي فنراه كذالك في (الأسّ) (مثلثة) وبِفَكِّ الإدغام نصير إلى (الأصل) وإلى (الأرس) .

٥٠ ــ وجاء في الصفحة (٣٣٩) في حشو مادة (أصو ـ ي): الأصاةُ : الرزانة

وجودة الرأي ، ويقال : إنه لَذُو حصاة وأصاة ، قال طرفة :

وإنَّ لسانَ المرءِ مَالَم تكنْ لَهُ أصاةٌ على عوراته لَدَلِيْلُ

أقول : والأصاة والحصاة مادة واحدة ، والمسألة تتصل بالإبدال . وبيت طرفة جاء فيه بعض الروايات (حصاة على عوراته . . .) .

٥١ ــ وجاء في الصفحة (٣٤٦) في حشو مادة (أطر) : ومن العبارات المحدثة : فلان يعمل عمله في إطار الدين أو القانون .

أقول : ينبغي أن يشار إلى أن العبارة من الأساليب المترجمة عن الفرنسية أو الانكليزية .

٥٢ ــ وجاء في الصفحة (٣٧٣) في حشو مادة (افك) : الإفك : الكذب ، وفي القرآن الكريم : ﴿ إنَّ الذينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ ـ ١١ سورة النور ـ

أقول : وكان ينبغي أن يشار إلى حديث الإفك .

٥٣ ــ وجاء في الصفحة (٣٨٠) مادة (أقت) : أَقَتَ العمل ونحوه ـ أقتاً : قدَّر له حيناً ، وحدّد وقته . . . وأقَّتَ العملَ : أقَتَه . . .

أقول : وأما الفعل المجرد فلا نكاد نظفر به ، وهو مثبت في المعجم ، ويذهب المعربون إلى المشدّد . وكثيراً ما يُصار إلى (وَقَّت) والتوقيت مشهور معروف .

٥٤ ــ وجاء في الصفحة (٣٩٨) في حشو مادة (أكل) : الأُكَال : الحكّة (مُحدثة) ، والأُكَال : بَقّ الفراش (محدثة) .

أقول : كان ينبغي أن يشار إلى الكلمتين إلى أنهما مصريتان دارجتان ، وليس شيء منهما في غير مصر .

٥٥ ــ وجاء في الصفحة (٣٩٩) في حشو مادة (أكل) : الأُكِلة : الكثير الأكل ، (عن المعيار) .

أقول : إذا انفرد صاحب «المعيار» بذكرها فلا يعني أن ذالك مصدر قوّة ، وهو ←

«معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج
تقويم واستدراك

كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِيِّ الزجّاج ، المتوفى سنة ٣١١هـ أشهر كتبه ، وقد طال انتظارنا له حتى صدر كاملاً في خمسة أجزاء ببيروت عام ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبي .

وبعد أنْ رجعتُ إلى الكتاب هالني مافيه من نقصٍ ، وعدم اهتمام بالتحقيق ، وألزمتُ نفسي بالإشارة إلى ذالك باختصار ، خدمة للعلم والعلماء .

ويَبْدُوْ لي أنَّ المحققَ الفاضل لم يسبقْ له أنْ مارس هذا العمل ، لِأَنَّهُ لم يلتزم

← متأخر ، وكيف نأخذ بقول صاحب «المعيار» فيما لم يرد في المطوّلات ؟

٥٦ ــ وجاء في الصفحة (٤١٩) في حشو مادة (ألف) : الإلف : الذي يؤلف . . . .

ومما يُستدرك على ما ورد : الإِلْفُ والأُلفة يعنيان الائتلاف .

٥٧ ــ وجاء في الصفحة (٤٤٥) مادة (الو) :

أقول : خلا ماندرج في هذه المادة من الكلمات : إِلْـيٌ ، وأَلْـيٌ ، أَلْـيٌ ، وإِلْـيٌ وكلها المفرد من الجمع المعروف (آلاء) ، والذي ورد منها في المعجم هو (أَلْوٌ) فقط .

خاتمة : هذه نبذة يسيرة اجتزأت عن كثير مما وقَفْت عليه في «المعجم» فلم أشر إلى ما تكرر من المسائل ، كما صرفت النظر عما يمكن أن أُدرجه في باب الخطإ المطبعي .

وسأتبع هذه الوقفات بأخرى أقف فيها على الجزء الثاني .

صنعاء : **د. إبراهيم السامرائي**

بأيْسَرِ قواعِدِهِ المعروفة عند طلبتنا في الدراسات العليا .

وهأنذا أبدأ بالصفحة (٢) من الجزء الأول فأقول : إنّ المحقق سرد فيها كتب الزجّاج من غير تنظيم ، ولم يشر إلى المطبوع منها والمخطوط والمفقود ، وفاته ذكر الكتب الآتية :

١ ــ «الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم»: وهو مخطوط في جوتا ٧٢٧ («بروكلمن» ٢/١٧٢).

٢ ــ «الألفاظ»: مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط («تاريخ التراث العربي» ١٦٨/٨).

٣ ــ «تفسير أسماء الله الحسنى»: مطبوع بتحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دمشق ١٩٧٥م .

٤ ــ «كتاب الشجرة» المسمى بكتاب «التقريب»: مخطوط بالقيروان («بروكلمن» ٢/١٧٣).

٥ ــ «المؤاخذات على الفصيح» أو «الرد على ثعلب في الفصيح»: ذكره الأنباري في «نزهة الألبّاء» ٢٤٤ . ومنه مختصر محفوظ في مكتبة جامعة استانبول («تاريخ التراث العربي» ١٦٩/٨).

ثم ذكر في الصفحة (ج) مخطوطات الكتاب التي اعتمد عليها كما يأتي :

١ ــ نسخة (ط) مصورة في دار الكتب المصرية ، تفسير طلعت رقم ٤٦٧ ، من أول القرآن وتنتهي ببضع آيات من أوّل سورة هود .

٢ ــ نسخة (ب) مصورة من المكتبة العمومية باستامبول (بايزيد) رقم ٢٤٧ وبها الجزء الأول من الكتاب وينتهي بآخر سورة المائدة .

٣ ــ نسخة (ك) من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وتنتهي ببضع آيات من أول سورة الأنعام . مصورة من مكتبة كوباريللي (كذا) باستامبول رقم ٤٢ .

٤ ــ نسخة أخرى من (ب) من معهد المخطوطات العربية . وهي عديمة الفائدة لم نستفد منها كثيراً لرداءة التصوير والنقص .

٥ ــ نسخة من المعهد البريطاني تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر القرآن الكريم .
٦ ــ نسخة (م) تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر سورة هود .

وقد اعتبرنا النسخة (ط) أصلاً حتى نهاية سورة يونس ولكن آثرنا غيرها في مواضع قليلة نبّهنا عليها .

ولنا على ماذكر الملاحظات الآتية :

أولاً : قال عن نسخة (ك): وتنتهي ببضع آيات من أول سورة الأنعام .

أقول : هذا خطأ ، والصواب أنّها تنتهي بالآية ١١٩ من سورة المائدة .

والدليل على قولي ماجاء في آخرها : تمت المجلدة الأولى من «معاني القرآن» ويتلوه السورة التي تذكر فيها الأنعام .

وكذا ورد في الجزء الثاني من المطبوع ص ٢٢٥ (ينظر : «فهرس مخطوطات كوبريلي» ١/٤٥) .

ثانياً : جاء في رقم (٤): نسخة أخرى من (ب) من معهد المخطوطات . . .
أقول : يجب إسقاط هذه النسخة إذْ أنّها ذُكِرَتْ في الرقم (٢) أي نسخة بايزيد وهي صورة رديئة منها . وإنّما ذكرها المحقق لزيادة النسخ .

ثالثاً : جاء في رقم (٥): نسخة من المعهد البريطاني تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر القرآن الكريم .

أقول : هذا ليس بصحيح ، فقد أَخَلَّتْ هذه النسخة بسورة الناس ، لأنّها لو كانت تامة لما قال في الصفحة ٣٨١ من الجزء الخامس : إنّ الزجّاج لم يفسر سورة الناس . وسنأتي على هذا الوهم ، ونثبت عدم صحته بعد انتهاء الكلام على مخطوطات الكتاب .

رابعاً : قال في رقم (٦): نسخة (م). . . .

أقول : هي نسخة دار الكتب المصرية المرقمة (١١١) تفسير .

خامساً : بعد النظر في المخطوطات المعتمدة تبيَّن لنا أنَّها جميعاً غير تامة وثمة مخطوطات كثيرة للكتاب تامة وقديمة النسخ ، وهي في مُتناوَلِ اليد ، إذ منها صور في معهد المخطوطات إلاَّ أنَّ الناشر لم يستقص ذالك ولم يُتْعِب نفسه ، فجاءت نشرته للكتاب رديئة وناقصة في مواضع كثيرة .

سادساً : لم يَصِفِ الناشرُ هذه المخطوطات : خطَّها وعَدَدَ أوراقها ، وتاريخَ نَسْخها ، وغير ذالك ، وهذا من شروط التحقيق العلمي الرصين ، إذْ نتبين من خلال هذا الوصف أهمية كلّ مخطوطة .

سابعاً : جعل الناشر نسخة (ط) أصلاً .

أقول : هذه النسخة ناقصة ، كتبت سنة ٦١٧هـ («تاريخ التراث العربي» ٨/١٧١). والتحقيق العلمي الرصين يعتمد على أقدم المخطوطات التامة .

ثامناً : أثبت الناشر في أول الكتاب ثلاث صور ، لم يذكر رموزها لنتبين أصولها ، عدا الصورة الثالثة إذ جاء في أعلاها : تفسير طلعت ٤٦٧ واختيار هذه الصفحة غير موفق ، إذ ليس فيها ما يشير إلى اسم الكتاب أو مؤلفه ، وإنّما فيها نقول متأخرة عن وفاة الزجّاج .

تاسعاً : أثْبَتُّ فيما يأتي ما وقفت عليه من مخطوطات لكتاب «معاني القرآن وإعرابه» لم يقف عليها ناشر الكتاب :

١ ــ نسخة مكتبة جار الله ٤٤ : وهي تَتِمة لنسخة (ب) ، وتقع في ٢٣٠ ورقة ، وتاريخ نسخها ٣٦٨هـ .

٢ ــ نسخة المكتبة العامة بالرباط (أوقاف ٣٣٣) بعنوان : «إعراب القرآن» وهي في عشرة أجزاء ، وتاريخ نسخها ٣٨٢هـ . ومنها صورة في معهد المخطوطات العربية .

٣ ــ نسخة كوبريلي الثانية المرقمة ٤٣ ، وتقع في ٣٣٣ ورقة ، وتبدأ من سورة الرعد إلى آخر القرآن ، تاريخ نسخها ٣٩٥هـ . وهي النسخة التي أثبتنا صورة الصفحة الأخيرة منها .

٤ ــ نسخة طهران المرقمة ٤٦٨٥ ، تاريخ نسخها ٥٠٤هـ . ومنها صورة في معهد المخطوطات بالقاهرة .
٥ ــ نسخة نور عثمانية باستانبول ١١٥ نسخت في القرن الخامس .
٦ ــ نسخة نور عثمانية باستانبول ٣٢٠ نسخت في القرن الخامس .
٧ ــ نسخة السليمانية المرقمة ١٨٩ ، تاريخ نسخها ٥٨٩هـ .
٨ ــ نسخة أحمد الثالث المرقمة ١٢٣ ، تاريخ نسخها ٥٩٣هـ .
٩ ــ نسخة المكتبة الظاهرية المرقمة ١٨١ ، نسخت في القرن السادس الهجري .
١٠ ــ نسخة سراي الأمانة المرقمة ٥٥٩ ، نسخت سنة ٦٦٣هـ .
١١ ــ نسخة أحمد الثالث المرقمة ١٢٢ ، نسخت في القرن الثامن .
١٢ ــ نسخة قرة مصطفى المرقمة ٩٦ .
١٣ ــ نسخة قرة مصطفى المرقمة ٩٧ .

عاشراً : زعم المحقق أنَّ الزّجّاجَ ترك إعراب سورة الناس ، لذا فقد كره أنْ يَدَعَهَا بلا تفسير ، فشرحها شرحاً لغوياً قريباً من طريقة الزجّاج كما زعم .

أقول: وهم المحقق في ذالك ، وتَجَنَّى على الزجاج ، رحمه الله ، إذْ إنَّهُ لم يتركها ، وفي آخر البحث النص التام لشرح هذه السورة وإعرابها مع صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي المرقمة ٤٣ والتي فيها هذه السورة .

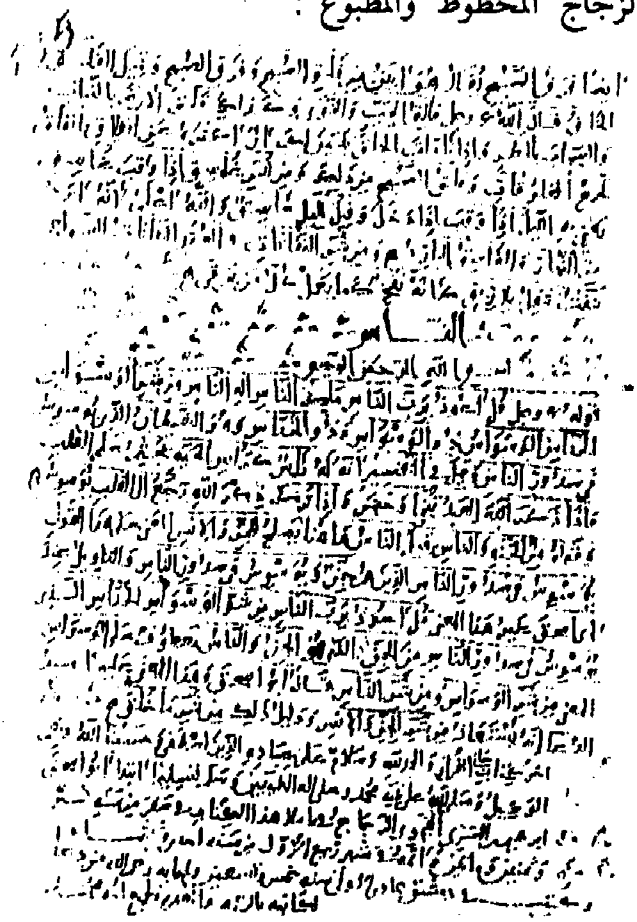
أمّا الشرح الذي قام به المحقق فليس فيه ما يَدُلُّ على نهج الزجّاج ، وكان الأولى للمحقق أنْ يُنَقِّرَ في كتب إعراب القرآن والتفاسير والمعجمات عن رأي الزجّاج وأقواله في إعراب هذه السورة ، وللزجّاج أقوال في هذه السورة نجدها في الكتب الآتية :

١ ــ «تهذيب اللغة» للأزهري ١٣/١٣٦ (وسوس) وفيه : (قال الله عزّ وجل: ﴿من شر الوسواس الخناس﴾. قال أبو إسحاق : الوسواس : ذو الوَسْواس ، وهو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس) .
٢ ــ «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي ٩/٢٧٨ وفيه : (قال الزجّاج : الوسواس هنا : ذو الوسواس).

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» أيضاً ٩/ ٢٧٩ : (إنّ الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجِنَّة ، وهم من الجنّ . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجنّ . ثـمَّ عطف قوله تعالى : (والناس) على (الوسواس). والمعنى : من شرّ الوسواس ، ومن شرّ الناس ، كأنّه أمر أنْ يستعيذ من الجِن والإنس . هذا قول الزجّاج) .

٣ ـ «مسائل الرازي وأجوبتها» من «غرائب آي التنزيل» لمحمد بن أبي بكر الرازي ص ٣٩٠ وفيها : (قال بعض أئمة التفسير : المراد المعنى الأول ، كأنّه قال : من شرّ الوسواس الجنّي ، ومن شرّ الوسواس الإنْسيّ ، فهو استعاذة بالله تعالى من شر الموسوسين من الجنسين . وهو اختيار الزجّاج) .

وفيها يأتي شرح الزجّاج وإعرابه لسورة الناس مع صورة الصفحة التي فيها خاتمة كتاب الزجّاج المخطوط والمطبوع :



الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي

سورة النَّاس (*)
مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الوَسْوَاسِ﴾ : هو الشيطان، يقال وسوس في صدره ووسوس إليه، والوسوسة الكلام الخفي في اختلاط، والوسواس اسم منه - وفسرت هنا بأن المعنى من شر ذي الوسواس، أي الشيطان. فيكون الوسواس مصدراً، وهذا الوزن يأتي في المضعف نحو زلزال وهو قليل من غيره نحو تحنان.

﴿الخَنَّاسِ﴾ : صيغة مبالغة من خنَسَ بمعنى انقبض وتأخر، والمصدر خنوس - كجلوس والمادة كلها تدور على هذا الأصل؛ فالنجوم الخُنَّسُ هي التي تخنس عن مجراها وتختفي بضياء الشمس، وفي الحديث: الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس، أي انقبض وتأخر، والخنس في الأنف تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة.

﴿والجِنَّةِ﴾ الجن، وسبق اللفظ كثيراً.

وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكل مايوسوس بسوء سواء كان من الشياطين أو الأناسي.

(*) سبق أن الزجاج لم يفسر هذه السورة، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير فشرحنا هذه الكلمات شرحاً لغوياً قريباً من طريقته.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه.

الصفحة الأخيرة من المطبوع

النــــاس

قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ● مَلِكِ النَّاسِ ● إِلَهِ النَّاسِ ● مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾(١).

الوَسْواس : ذو الوسواس ، وذُو الخنّاس : وهو الشيطانُ ﴿ الذي يوسوسُ في صدورِ الناس ﴾(٢).

وقيل في التفسير : إنَّ له رأسٌ كرأسِ الحيَّةِ يجْثُمُ على القلب ، فإذا ذَكَرَ الله الْعَبْدُ تَنَحَّى وخَنَسَ ، وإذا تَرَكَ ذِكْرَ الله رجع إلى القلب يُوَسْوِسُ .

وقوله : ﴿ من الْـجِنَّةِ والنَّاسِ ﴾(٣) .

قِيلَ : الناسُ هاهنا يصلحُ للجِنِّ والإِنْسِ . المعنى على هذا القول : يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ الذين هم جِنٌّ ، ويوسوسُ في صدور الناس .

والتأويل عند أبي إسحاق غيرُ هذا ، المعنى : ﴿ قُلْ أعوذُ بربِّ الناس من شرِّ الوسواس الخنَّاس الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ من الجنِّ الذي هو الجنُّ . و(الناسُ) معطوف على (الوسواس) . المعنى : من شرِّ الوسواس ومن شرّ الناس .

قال أبو إسحاق : وهذا المعنى عليه أمر الدعاء ، إنّه يُستعاذُ من شرِّ الْـجِنِّ والإنس ، ودليلُ ذالك ، ﴿ من شرِّ ما خلق ﴾(٤) .

آخر كتاب معاني القرآن والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلّى الله على نبيِّه محمد وعلى آله الطيبين ، وسلّم تسليماً .

ابتدأ أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ النحوي الزجّاج في إملاء هذا الكتاب في صفر من سنة خمس وثمانين ومِئَتَيْنِ وأتمّه في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاث مِئَة ، وكُتب في دمشق جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وثلاث مِئَة . رحم الله من دعا لكاتبه بالرحمة والمغفرة ولجميع أُمّة محمد .

ملاحظات عامة على التحقيق :

عند قراءتي للأجزاء الخمسة من «معاني القرآن وإعرابه» تَجَمَّعَتْ لَدَيَّ ملاحظات كثيرة جداً سأكتفي بالإشارة إليها على أمل صدور طبعة جديدة محققة تحقيقاً علمياً على أصول جديدة تامة ، لأنَّ المحقق الفاضل وقع في أخطاءٍ تنمُّ عن جهله بأصول التحقيق العلمي ، وعسى أن يقوم بتحقيق الكتاب من هم مظنة القدرة على التحقيق ، فقد كثر الـمُتَسَلِّقَةُ على هذه الصنعة .

أمّا هذه الملاحظات فهي :

أولاً : اعتمد المحقق على خمس نسخ ناقصة ، فجاءت نشرته رديئة فيها نقص ، وثمة نسخ كثيرة تامة وقديمة أهملها المحقق وقد أشرنا إليها ، وهذا مخالف لأصول التحقيق العلمي السليم .

ثانياً : أهمل المحقق ترقيم الآيات القرآنية الكريمة في السور جميعاً ، فقلّت الفائدة من الكتاب ، وصعب الوقوف على الأيات المطلوبة .

ثالثاً : الكتاب في التفسير والإعراب ، وثمة آراء وردت في الكتاب بحاجة إلى توثيق من التفاسير وكتب إعراب القرآن ، ولكنّه أهمل ذالك .

رابعاً : في الكتاب كثير من القراءات بحاجة إلى معرفة من قرأ بها ولكنَّ المحقق الفاضل لم يعتمد على أيّ كتاب في القراءات القرآنية .

خامساً : وردتْ أقوال كثيرة لسيبويه تركها المحقق من غير الرجوع إلى كتابه ، على سبيل المثال لا الحصر ماجاء في ١/٤١ : وزعم سيبويه أنّ معنى الباء الإلصاق . وقول سيبويه في كتابه ٢/٣٠٤ (بولاق) و ٤/٢١٦ (هارون) ونصه : وباءُ الْـجرِّ إنّما هي للإلزاق والاختلاط .

سادساً : أهمل تخريج كثير من الشواهد الشعرية . على سبيل المثال بيتا الشماخ في ١/١٦٩ ـ ١٧٠ .

سابعاً : أهمل تخريج الأحاديث الشريفة ، على سبيل المثال ماجاء في ١/٤٢٣ .

ثامناً : لم يرجع إلى دواوين الشعراء ، واكتفى بتخريج الأبيات من «اللسان» وغيره ، على سبيل المثال :

ـ الأعشى ١/٤٨٥ و ٥/٢٧٤ .

ـ قيس بن الخطيم ١/٣٥٠ و ٢/٤٤٥ و ٤/٢٤٢ .

ـ الحطيئة ١/٢١٠ .

ـ العجاج ٣٠٥/٥ ... الخ .

تاسعاً : تخبط المحقق في استعمال المصادر ، فقد اعتمد على ثلاث طبعات لكتاب سيبويه ، طبعة باريس وطبعة بولاق وطبعة هارون ، أشار إليها أحياناً وتركها أحياناً من غير ذكر الطبعة ، وهذا مما يشكل على القارئ . ولا أدري ما الفائدة في الاعتماد على ثلاث طبعات إذا لم يكن ثمة خلاف بينها .

عاشراً : لم يتبع التسلسل الزمني في المصادر ، فنراه مثلاً في ٢٤٢/٤ يخرج بيتاً لقيس بن الخطيم على الوجه الآتي : البيت في ابن يعيش ... و« أمالي ابن الشجري » ... و« كتاب سيبويه » ... ، والصواب : « كتاب سيبويه » ثم « أمالي ابن الشجري » ثم ابن يعيش ، لأن الفضل للمتقدم .

حادي عشر : أفردَ لكل جزء فهارس خاصة به اقتصرت على البحوث اللغوية والأبيات الشعرية وأنصاف الأبيات والأعلام المترجمة والمحتويات . والفهارس يجب أن تكون موحدة في آخر الجزء الخامس .

ثاني عشر : سرد المحقق مراجع التحقيق والشرح غفلاً ، علماً بأنّها قد طبعت أكثر من مرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر «الاتقان» فقد طبع مرتين والأخيرة هي المعتمدة بتحقيق أبي الفضل .

ـ «أخبار النحويين البصريين»: طبع أولاً بتحقيق كرنكو ، ثم بتحقيق د. طه الزيني ود. محمد عبدالمنعم خفاجي ، وأخيراً بتحقيق د. محمد إبراهيم البنا .

ولم يحسن المحقق ترتيب هذه المصادر فطبقات الشعراء عنده قبل جمهور (كذا ! والصواب: جمهرة) أشعار العرب . وجاء «المزهر» قبل «كتاب سيبويه». وجاء «معاني القرآن» قبل «مجاز القرآن» فتأمل .

وقال : «شرح العشر المعلقات»: للزوزني . وهو وهم فالزوزني شرح المعلقات السبع لا العشر .

وقال : «شرح شواهد المغني»: للسيوطي ولمحمد الأمير . والصواب أنّ محمد الأمير كتب حاشية على المغني وليس له شرح لشواهده .

وبعد فهذا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مما جاء في هذا الكتاب النفيس ، وماكان هذا العمل ليدفعني إلى الاهتمام به لولا أنَّ لي عناية خاصة بكتب إعراب القرآن الكريم ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله .

د. حاتم صالح الضامن

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مصادر البحث ومراجعه :

ـ المصحف الشريف .
ـ «تاريخ الأدب العربي»: بروكلمن ، ت ١٩٥٦م، ترجمة د. عبدالحليم النجار ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م .
ـ «تاريخ التراث العربي»: سزكين ، ترجمة د. عرفة مصطفى ، المجلد الثامن (علم اللغة)، الرياض ١٩٨٨م .
ـ «التبيان في إعراب القرآن»: أبو البقاء العكبري، عبدالله بن الحسين، ت ٦١٦هـ ، تحـ البجاوي ، مطـ عيسى البابي الحلبي بمصر .
ـ تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: أبو جعفر الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤م .
ـ «تهذيب اللغة»: الأزهري ، محمد بن أحمد ، ت ٣٧٠هـ ، القاهرة .
ـ «زاد المسير في علم التفسير»: ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، ت ٥٩٧هـ ، دمشق ١٩٦٥م .
ـ «فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (علوم القرآن الكريم): صلاح الخيمي ، دمشق ١٩٨٤م .
ـ «فهرست مخطوطات كوبريلي»: استانبول ١٩٨ .
ـ «فهرست المخطوطات والمصورات» (التفسير وعلوم القرآن): الرياض ١٩٨٢م .
ـ «الكتاب»: سيبويه، عمرو بن عثمان، ت ١٨٠هـ ، بولاق ١٣١٦ ـ ١٣١٧هـ .
ـ «مسائل الرازي وأجوبتها» من غرائب آي التنزيل : الرازي ، محمد بن أبي بكر ، ت بعد ٦٦٦هـ ، تحـ إبراهيم عطوة عوض ، مصر ١٩٦١م .
ـ «مشكل إعراب القرآن»: مكي بن أبي طالب القيسي ، ت ٤٣٧هـ ، تحـ د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤م .
ـ «معاني القرآن»: الْفَرَّاء : يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧هـ ، تحـ د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، القاهرة ١٩٧٢م (الجزء الثالث) .
ـ «معاني القرآن وإعرابه»: الزجّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، ت ٣١١هـ ، تحـ د. عبدالجليل عبده شلبي ، بيروت ١٩٨٨م .

الحواشي :

(١) الآيات ١ ـ ٤ . وينظر : «معاني القرآن» ٣/٣٠٢ و«تفسير الطبري» ٣٠/٣٥٤ و«مشكل إعراب القرآن» ٨٥٦ و«التبيان» ١٣١١هـ .

(٢) الآية ٥ . (٣) الآية ٦ . (٤) (الفلق) ٢ .

الشعر والشعراء

في «النوادر والتعليقات» للهجري

- ٢ -

الشعراء مع إيراد شعرهم :

وسأحاول عرضَ ما استطعتُ قراءته من المصورتين اللتَيْنِ بين يديَّ من أشعار أولئك الشعراء ، الذين سأورد أسماءهم مرتبةً على حروف المعجم ، مع إدخال من لم يُسَمَّ منهم منسوباً إلى قبيلته مثل : (باهلي) في حرف الباء ، إذا كانت قبيلته معروفة .

وأما مَنْ يُضيفه الهجري إلى إحدى محبوباته ، كأن يقول : (صاحب أُمِّ المُعَلِّلِ) وهو يُكْثِرُ من أمثال هذه الجملة بدون ذكر اسم الشاعر بعد إيرادها ، ومن بهذه الصفة سيرد ذكره في حرف (الصاد) ، ممن لم يسمه .

والشعر الذي لم يذكر قائله ، أو سقط بسبب نقص في المخطوطة سأورده مرتبة قوافيه على حروف المعجم ، تحت حرف (الشين) - شاعر - وكذا الرجز (راجز) ، مالم أتحقق معرفة رَاوِيه - فأضعه تحت اسم الراوي - مراعاة للحفاظ على التمامه - كما ورد عن الهجري - شعراً كان أو رجزاً .

ومما ينبغي أن يلاحظ :

١ - جُلُّ الشُّعَراءِ الذين ذكرهم الهجريُّ ممن لم أَجِدْ لهم ذكرًا فيما بين يدي من المراجع ، وفيهم قلة من المشاهير ، ولا أُعْنَى كثيراً بالحديث عن هاؤلاء ماعدا الإشارة إلى الاختلاف بين ما نشر من شعرهم وبين ما ورد في رواية الهجري منه .

٢ - من المعروف أن الهجري من أَئمةِ اللغة والأدب ورواة الشعر ، ولهذا يُعَدُّ ما أُورده في كتابه من شعرٍ موثوقُ الرواية ، إذْ هو قد تلقاه عمن رَوَاهُ بطريقة تحمل على الثقة به .

٣ ـ سأضع مكان الكلمات أو الجمل التي لم أستطع قراءتها نقطاً (. . .) إذ ربما يستطيع أحدُ القراء ـ ممن يطلع على الأصل ، أو على مصورة أجود مما تحت يدي ـ يستطيع قراءة ما عجزت عن قراءته .

أما ما حاولت قراءته مما لم أكن على ثقة من صحة قراءتي فسأضعه بين مربعين [. . . . .] وقد تعثرت عليَّ قراءة كثير من الكلمات في المخطوطة الهندية ، بل لم أستطع أن أقرأ منها إلا خمس مئة صفحة ، وبقي ستين صفحة كان التصوير سيئاً ، فلم أستطع نقل شيء منه .

٤ ـ سأورد أولاً الشعر منسوباً إلى قائليه مُرَتَّباً أسماءهم على حروف المعجم ، مُتْبِعاً ذالك بما يتضح لي عن حياة الشاعر بإيجاز ، مميزاً ما أُضيفه عما يورده الهجري ، ثم أُلحق الرَّجز بذالك ، على الطريقة نفسها .

٥ ـ قد يورد الهجري أسماء بعض الشعراء المشهورين مستشهداً بالبيت أو البيتين من شعرهم على معنىً لغوي ، وهاؤلاء قد اكتفيت بذكرهم عند إيراد الكلمات اللغوية التي ورد فيها شعرهم .

٦ ـ قد أضيف إلى أسماء الشعراء الذين نقلتهم مما بين يدي من كتاب الهجري أسماء آخرين رأيتها في كتاب البلبيسي الذي جمع فيه بين كتابي «اللباب» لابن الأثير و«اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» للرشاطي ، والبلبيسي نقلها عن كتاب الرشاطي الذي لم أطلع عليه كاملاً ، وقد اتضح لي أن كل ما نقله البلبيسي عن الرشاطي هو من كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري لا من مؤلفاته الأخرى ، ولهذا رأيت إضافة ذالك إلى ما جمعت وإن كان يسيراً .

١ ـ إبراهيم بن علي بن هرمة

قال : وأنشدني أَبو الـحسن عُبَيْد الله بنُ محمدٍ ، من ساكني خَلْص ، من ولد عيسى بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر ، لإبراهيم بن

علي بن هَرْمَةَ، في محمدِ بن علي بن عبدالله يرثيه[1]:

١ - بَدَا الصُّبْحُ خلفَ اللَّيْلِ أَسْوَدَ مُظْلِماً ... وَجْلَـلَجَ عَـنِّي الـنَّـاسُ ... ...
٢ - فَقُلْتُ: أَمَاتَ ابنُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟ ... أَمِ الشَّمْسُ خَرَّتْ غُدْوَةً أم [هَوَى] الْقَمَرْ
٣ - ... لَعَمْرِي مَا يَكُنْ فَمُصِيبَةٌ ... وَتِلْكَ الَّتِي لَمْ تُبْقِ شَرًّا وَلَمْ تَـذَرْ
٤ - [وظَلْتُ] كَأَنِّي خِيضَ لِي فَشَرِبْتُهُ ... عَلَى ظَمَإٍ مِنِّي دَمُ الْحَيَّـةِ الـذكَـرْ
٥ - فَلِلَّهِ عَيْنَـا مَنْ رَأَى كَـمُحَـمَّـدٍ ... مُصِيبَةَ قَوْمٍ لَمْ يُجِـزْ لَهَا الشِّعَـرْ
٦ - فَإِنْ تَكُ أَسْبَابُ الْـمَنَايَا طَلَبْنَهُ ... فَقَدْ أَدْرَكَتْ مِنْهُ الْـمَنَايَا ... ...
٧ - وَلَوْ تُعْتِبُ الْأَقْدَارُ مَنْ كَانَ جَازِعاً ... جَزِعْنَا، وَلٰكِنْ لَا عِتَابَ عَلَى الْقَدَرْ
٨ - وَمَا النَّاسُ إِلَّا غَابِرٌ خَلْفَ ذَاهِبٍ ... مَضَى مُعْنِقاً وَالْغَابِرُوْنَ عَلَى الْأَثَرْ
٩ - وَمَا الْـمَوْتُ إِلَّا غَـائِبٌ يَنْظُرُوْنَـهُ ... وَكُـلُّ امْرِيءٍ لِلْمَـوْتِ يَوْمـاً سَيَنْتَـظِرْ
١٠ - وَلَـمْ أَرَ كَـالْأَيَّامِ غَـرٌّ صَفَاؤُهَـا ... حَلِيمـاً، وَفِي الْأَيَّامِ عَـاقِبَـةُ الْكَـدَرْ
١١ - وَلَا كَاخْتِلَافِ الدَّهْرِ يَأْمَنُ رَيْبَهُ ... أَرِيبٌ وَرَيْبُ الدَّهْرِ يَقْدَحُ فِي الْـحَجَرْ
١٢ - فَلَمَّا اسْتَوَى حِلْماً وَرَأْياً وَسُؤْدُداً ... أَتَـتْـهُ عَجُـولُ الْـوِرْدِ ... ...
١٣ - لَقَدْ صَمَّمَتْ مِنْهُ الْـمَنَايَا عَلَى فَتًى ... حَبِيبٍ إِلَى الْأَضْيَافِ فِي لَيْلَةِ [الصَّرَرْ]
١٤ - رَبِيعٌ إِذَا مَا النَّاسُ خَافُوا وَأَمْحَلُوا ... أَتَـوْهُ فَـقَـالُـوا: أَنْـتَ ... ...
١٥ - [كَـرِ]بِيَّةِ الْـحَيِّ الَّتِي يَـنْظُرُوْنَهَا ... تَعُـدُّ لَهَا الْـوِلْدَانُ تَمْتَارُ مِنْ [هَجَرْ]
١٦ - فَمَنْ يَصِلُ الْأَرْحَامَ لَوْلَا صِلَاتُهُ ... وَمَنْ يَرْفَعُ الْـمَـوْلَى إِذَا جَدُّهُ [عَـثَرْ]

---

(١) (٧٩هـ)، إبراهيم بن علي بن هرمة هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع ابن عامر بن صبح بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر، من مشاهير الشعراء المعروفين توفي سنة ١٧٦هـ، وقد جمع شعره الأستاذ محمد جبار الـمُعَيْبد، ونشر في بغداد سنة ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) وجمعه مرة أخرى الأستاذان محمد نفاع وحسين عطوان، وتاريخ الجمعين ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) ونشر في دمشق. وهذه القصيدة التي أوردها الهجري لا توجد فيما جمعه أولئك. ومما وَرَدَ فيها جُمِعَ من شعر ابن هَرْمة مُفَرَّقاً مقطوعةٌ في أربعة أبياتٍ، وردتْ في كتاب «زاد الرفاق» - الورقة ٣٠٩ نسخة دار الكتب و ٣٠١ مخطوطة لاله لي - ونصها:

١ - هَـذَا ابنُ هَرْمَـةَ ذُو تَشْقَى بِضَرْبَتِـهِ ... مِـنَ الْـعِشَـارِ الْـمَـوَادِيْ وَالْـعَـرَاقِيْـبُ
٢ - وَيَعْلَمُ الضَّيْفُ إِمَّـا سَـاقَـهُ صَـرَدٌ ... وَلَـيْـلَةٌ مِـنْ مُحَـاقِ الـشَّـهْـرِ دُغْبُـوبُ
٣ - أَنْ سَـوْفَ تَلْقَاهُ مِنِّي حِينَ يَطْرُقُنِي ... وَجْـهٌ بَـلِيْـجٌ وَتَـسْـهِيْـلٌ وَتَـرْحِيْـبُ
٤ - وَفَـرْحَـةٌ مِنْ كِـلَابِ الْـحَيِّ يَتْبَعُهَـا ... مَحْضٌ يَـزُفُّ لَـهُ الـرَّاعِي، وَتَـرْعِيْبُ

٢ ـ أحمد بن الأعرج السعدي

قال وأنشدنِي جماعةٌ من بني سَعْدِ بن بَكْرٍ، مِنْ حَضَنَةِ النبي ﷺ، لاِبْنِ الأَعْرج، واسمه أحمد، من بَنِي جَابِرِ بْنِ رِزَامٍ، إسْلاَمِيٌّ[١]:

١ ـ أَلاَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ هَائِمٌ ... بِعَضْيَاءَ مُغْتَلُّ السُّقَامِ جَرِيحُ
٢ ـ أَمِنْ أَجْلِهَا يَعْرُوكَ بِاللَّيْلِ هَفْوَةٌ ... يَمُوتُ لَهَا مِنْكَ الصَّدَى وَيُرِيحُ
٣ ـ كَمَا لَعِبَتْ مَكْتُومَةٌ هَجَرِيَّةٌ ... بِذِي اللُّبِّ صَهْبَاءُ الزُّجَاجِ صَرِيحُ
٤ ـ ولكنَّمَا اقْتَادَتْكَ بِالدَّلِّ وَالمُنَى ... إذِ الْعَيْشُ حُلْوٌ والشَّبَابُ قَرِيحُ[٢]
٥ ـ وَبِالْقَوْلِ لاَ يَعْلَمْ بِسِرِّكَ مُخْبِرٌ ... ولا يَبْتَحِ الأَفْعَالَ مِنْكَ مُبِيحُ

---

(١) ٥٦هـ:

□ ـ لم أرَ لهذا الشاعر ذكراً عند غَيْرِ الهجريِّ، ولم أعرف شاعراً سَعْدِيًّا يسمى احمد سوى أحمد بن جندل، وهذا أورد له صاحب «اللّسان» رجزاً في رسم (معد).

وأحمد بن الأعرج هو (أبو الأحول السعدي) كما يَدُلُّ على هذا أنه سماه في موضع آخر (ابن الأحول) ـ ٢١٦هـ و ٤٠٤هـ ـ وأورد بيتاً من القصيدة الأولى، وقد نعته في موضعين بـ [ابن الأحول] وهو في أول القصيدة الثانية (أبو الأحول) وأرى أنه وقع تصحيف في إحدى كلمتي (ابن) و (أبي) والمخطوطة لا يعتمد على كل ماورد فيها، فهي غير مصححة ولا مقابلة بأُخْرَى، وقد وردت كلمة (أبو الأحول) مرة واحدة ـ ١٧٠هـ ـ و (ابن الأحول) مرتين ـ ٢١٦هـ.

□ ـ بنو سعد المذكورون من هوازن من مضر، ولايزالون معروفين وبلادهم بمنطقة الطائف وكثير من فروع قبيلة عُتَيْبَة المعروفة الآن ترجع في الانتساب إليهم.

□ ـ الـحَضَنَةُ جمع حاضن. والحاضِنُ مربية الطفل وكافلته، لأنها تضمه إلى حِضْنِها (صدرها) وماقرب منه، وحاضنة الرسول ﷺ حليمة بنت أبي ذُؤَيْب ـ واسمه الحارث ـ بن عبدالله بن شِجْنَةَ بن جابر بن ناصِرَة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، وحَاضِنُهُ زوجُهَا الحارث بن عبدالْعُزَّى بن رِفاعة بن مَلاَّنَ بن ناصرة ـ «جمهرة النسب» لابن الكلبي: ٣٩٣ تحقيق الدكتور ناجي حسن ـ.

□ ـ لم أجدْ لبني جابر بن رِزامٍ ذكراً عند ابن الكلبي في «جمهرة النسب» في نسب بني سعد، والهَجَرِيُّ نَسَّابَةٌ عاش بعدَ ابنِ الكلبي، وهو عليمٌ بأنساب أهل الجزيرة في عهده، وقد يكون هذا الفخذ ممن اشتهر بعد عصر ابن الكلبي بعد آخر القرن الثاني، وإن صح هذا فهو يدل على أن الشاعر من أهل القرن الثالث.

□ ـ تدل كثرةُ رواةِ شعر هذا الشاعر على شهرته، فهنا رواه الهجري عن جماعة من بني سعد، وفي موضع آخر قال ـ ٢١٦هـ ـ: وروى الدُّبَّابِيُّ (في مَكْرَمٍ) وروايةُ ابن الضُّبَيْب والبُرَيدي (في مُقْصِرٍ).

(٢) في الهامش: (قريح بمعنى جديد مقترح).

٦ ـ وَلِيْدًا إِلَى أَنْ صَحَوْتَ وَأَوْضَحَتْ[٣] مِنَ الْخُصَلِ اللَّاتِي فَـرِقْتِ صُفُـوحُ
٧ ـ فَـما روضـة في مُقْصِرٍ عَـرَبِيَّـةٌ أَدِبُ إلـيـهـا جَـدْوَلٌ وَسُـيُـوحُ[٤]
٨ ـ تُـثَـنِّيْ ذُرَى رَيْحَـانِهَا عَـلَوِيَّـةٌ أَرَبَّـتْ وأَعْـقَـابُ ... ...
٩ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ عَصْماءَ وهْناً إِذَا الرُّؤَى كَـذَبْنَـكَ عـنهـا والمـ ... ...
١٠ ـ وَعَصْمَاءُ صَبًّا قَـدْ يُلِمُّ خَيَالُهَا بِسُقْمٍ وَهَـلْ يُهْدِي السُّقَامَ نَصِيْحُ
١١ ـ لَقَدْ هَجَرَتْ عَصْمَاءُ لَوْ أَنَّ حُبَّهَا أَرَاحَ بَنَـاتَ الصَّدْرِ مِنْـهُ مُـرِيْـحُ
١٢ ـ وَعَصْمَاءُ مَاتَـزْدَادُ إِلَّا مَـلَاحَـةً وإِنْ عُمِّـرَتْ مَاكَـانَ عُمْـرَ نُـوْحُ
١٣ ـ أَلَا طَرَقَتْ عَصْمَاءُ وَهْناً وَلِلصَّدَى غِنَـاءُ لهت عنـي [إليـه صـدوح]
١٤ ـ فَقُمْتُ كَأَنِّي فِي أَرَاجِيْحَ مِنْ كَرًى تُـطَاوِحُـنِـي أَشْـطَانُهَا ... ...
١٥ ـ وَقُمْتُ مَـرُوْعـاً لِلْخَيَـالِ كَـأَنَّنِي مِنَ الْأَهْلِ والْمَالِ التِّلَادِ [حجوح]
١٦ ـ ونُوْتُ عَلَى سَاقٍ كَـأَنَّ عِظَامَهَا يُخَضُّ لَهـا صـافٍ أَصَـمُّ ذَرِيْـحُ
١٧ ـ فَلَمْ أَرَ إِلَّا نِضْـوَةً شـجـرِيَّـةً رَجِيْـعَ سِفَارٍ نُقِّلَتْ بِسَـرِيْحٍ (؟)
١٨ ـ وَرَحْـلًا وَأَنْسَاعـاً فَـوَاتِرَ فَوْقَهَا وَأَقْـرَابُـهَـا مِـنْ بَـيْنِ ذَاكَ تَـلُوْحُ
١٩ ـ ومُلْقًى يَمَـانٍ ضَـاجَعَتْـهُ مُـرِنَّـةٌ مِنَ النَّبْعِ سَهْوَاءُ الْخِطَامِ طَرُوْحُ
٢٠ ـ وذاتَ شَبًّـا أَرْيَاشُهَـا مَضْـرَجِيَّةٌ وَسَـائِـرُهَـا حَـجْـرِيَّـةٌ وقَـدُوْحُ
٢١ ـ إِلَى غَرْزِ قَبَّاءِ الْحَشَا فِي وَظِيْفِهَا طِمَاحٌ، وفي الهادي الأَشَمِّ جُنُوْحُ
٢٢ ـ إِذَا وَخَدَتْ فَالرَّحْلُ مِنْهَا حليته(؟) وفي يَـدِهَـا إِرْسَـالَـةٌ وسُـبُـوحُ

وَقَالَ أبو الْأَحْوَلِ السَّعْدِيُّ سَعْدِ نَاصِرَةَ ، حَضَنَةِ رسول الله ﷺ[٥]:

١ ـ يَـالَلرِّجَـالِ لِصَبٍّ قَلْبُـهُ عَمِـدُ وَمُقْصَـدٍ عَـالَ بَـاقِي صبرِهِ الْقَصَدُ
٢ ـ مَـاعِنْدَهُ عَـزْمُ صَـبْرٍ يَسْتَعِيْنُ بِـهِ عَـلَى فِرَاقِ الْأُلَي بَـانُـوا ولا جَلَدُ

---

(٣) كذا ولعله (إلى أن قد صحوت).
(٤) وقال ص ٢١٦هـ: وروى الذُّبَّابِي في مقطوعة ابن الأحول السعدي
فما روضة في مكرم عربية أدبُ إليها جـدول وسيـوح
ورواية ابن الضُّبيب والبريدي: في مَقْصِر.
(٥) ١٧٠هـ.

٣ ـ تُثْنِي لَـهُ عَالِقَ الأَسْقَـامِ مَنْزِلَـةٌ قَفْـرٌ يُغَرِّدُ فيهـا ... ... الصُّرَدُ
٤ ـ أَوْدَى بِأَطْلاَلِهَا وَاهِيْ الْكُلَى هَـزِمٌ وَجَـائِـلٌ مِنْ سَجِيْـلِ الْـمُـوْرِ يَـطَّرِدُ
٥ ـ كَأَنَّ ... ... فِي الأَطلال لَمْ يَذَرَا مِنْهَـا بَيَـانـاً بَـلَى هَـابٍ ومُنْتَضِـدُ[٦]
٦ ـ وَ ... ... ـدُ كَهِلاَلِ الشَّهْرِ عَوَّجَهُ أَيْـدِيْ الْخَـوَادِمِ عَمْـداً وَهْـوَ مُلْتَبِـدُ
٧ ـ تِلْكَ الْمَسَاكِنُ أَمْسَتْ بَعْدَ سَاكِنِهَا قَفْـراً بِهَـا لِجَـوَازِي الْـوَحْشِ مُتَّـرَدُ
٨ ـ وَقَدْ نَرَى أَهْلَ لَيْلَى سَاكِنِيْنَ بِهَـا والـدَّهْرُ إِذْ ذَاكَ لَا مُـرٌّ ولا جَحِدُ
٩ ـ أَيَّـامَ تَسْبِيْـكَ لَيْـلَى وَهْيَ نَـاشِئَـةٌ مِنْهَـا بِنَحْـرٍ بِـهِ الْيَـاقُـوتُ والْفُـرُدُ[٧]
١٠ ـ وَبَـارِدِ الظَّلْمِ رَفَّـافٍ عَـوَارِضُـهُ كَـأَنَّمَـا هُـوَ مِـنْ أَنْيَـابِهَـا الْـبَـرَدُ
١١ ـ وَفَـاحِمٍ رَجِـلٍ وَحْفٍ ضَفَـائِرُهُ كَـالْكَـرْمِ نَعْمَـهُ مِنْ مَـائِـهِ رَغَـدُ
١٢ ـ يَالَيْلِ مَالَكِ لَا تَجْزِيْنَ ذَا كَلَفٍ قَـدْ شَفَّهُ مِنْ هَـوَاكِ الْغُـلُّ وَالْفَنَـدُ
١٣ ـ نَشْكُو إِلَى اللهِ أَنَّا لا نُصَاقِبُكُمْ وَلَايَـزَالُ عَـلَى أَبْـوَابِـكِ الـرَّصَـدُ
١٤ ـ لَعَـلَّ نَفْسَكَ بَعْدَ النَّأْيِ لَاقِيَـةٌ لَيْـلَى وَبَعْـدَ الـظَّمَا بِـالْـمَـاءِ تَبْـتَـرِدُ
١٥ ـ أَفَـايِتُ يَالَقَـوْمِـي عُصْبَتِي بِدَمِي مَنْ لَيْسَ لِيْ عِنْـدَهُ عَقْلٌ وَلَا قَـوَدُ
١٦ ـ هَيْفَـاءُ لَفَّـاءُ مَهْضُـومٌ مُوَشَّحُهَـا خَـرِيْـدَةٌ رُؤْدَةٌ أَتْـرَابُهَـا خُـرُدُ
١٧ ـ كَـأَنَّمَا بَـادَلَتْ بِـالْجِيْـدِ جَـازِيَـةً والـطَّرْفِ مَكْحُولَةً أَخْلَى لَهَـا الْجَـرَدُ
١٨ ـ تَرْتَادُ حَوْلَ طَلًى طِفْـلٍ وَتَرْقُبُـهُ وَبَـاصَـةُ الْمَتْنِ فِي أَحْشَـائِهَـا ...د
١٩ ـ لَمْ يَثْنِ مِنْ سِرْبِهَا سِرْبٌ تُحَاذِرُهُ وَلَمْ يَـرُعْهَـا بَـزَجْـرٍ فِتْيَـةٌ [رَصَـدُ]

٣ ـ أحمد بن يَرْبُوع أبُو عَبْسٍ الْحَنَشِيّ الكِلاَبِيّ

وأَنْشَدَنِي حُمَيْدٌ الْقَسِيْمِيُّ مِنْ بَنِي عِجْلٍ ، قال : أَنْشَدَنِي أَبُو حُمْرَانَ الأَضْبَطِيُّ كِلاَبِيٌّ لِأَبِي عَبْس أحمد بنِ يربوعٍ الْحَنَشِيِّ من بني أَبِي بَكْرِ بْنِ

---

(٦) في الهامش: (يعني هي هاب) .
(٧) في الهامش: (جمع فريد) .

كلابٍ ، يَمْدَحُ إِسْحَاقَ بْنَ أَبِي حُمَيْضَةَ[1]:

١ - أَرِقْتُ وأَعْقَابُ النُّجُومِ جُنُوحُ ... ...[2]

٢ - لِمَنْ مِنَ الْإِدْلَاجِ أَنْفَاسُ غُبْقَةٍ ... رُوَاءٍ وَمِنْ حَرِّ النَّهَارِ صَبُوحُ

٣ - إِلَيْكَ أَبَا يَعْقُوبَ وَاغْلَتِ السُّرَى ... وَبِالرُّحْلِ فَتْلَاءُ الذِّرَاعِ طَمُوحُ

٤ - أَمِنَّا بِحَمْدِ اللهِ مِنْ بَعْدِ خَوْفِنَا ... وَزِدْنَا فَمِنَّا مُعْزِبٌ وَمُرِيحُ

٥ - وَنِمْنَا وَمَا كُنَّا نَنَامُ وَأُطْلِقَتْ ... حَمَائِلُ مِنْ أَعْنَاقِنَا وَصَفِيحُ

٦ - فَإِنْ تَرْتَحِلْ يَحِنُّ نَجْدٌ وَأَهْلُهُ ... وَإِلَّا فَنَجْدٌ مَا أَقَمْتَ مَلِيحُ

٧ - وَحُقَّ لِنَجْدٍ أَنْ تَحِنَّ وَلَمْ يَبِتْ ... يَئِنُّ بِنَجْدٍ مُذْ وَلِيتَ جَرِيحُ

٤ - أحمر الرأس السُّبَيْعي السُّلَمِيّ

قال[1]: وأنشدني جماعة من بني سُلَيْم لِأَحْمَرِ الرَّأْسِ السُّبَيْعِيِّ ، وأَتَمُّهُمْ روايةً أبو سفيان قال : أنشدتني أُمِّي سُرَيْرَةُ بِنْتُ أَحمرِ الرأسِ لأبيها - واسمه وكنيته واحدةٌ - بن قُرَّةَ بن دُعْمُوسٍ ابن سُبَيْعٍ بن الحارثِ بن أَهْبَان - وهو هَرَمِي - بن عبدِ الله بنِ قُنْفُذِ بن مالك بن عوف بن امريء القيس بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمِ بْنِ منصور[2]:

١ - رَمَوْنِي وَلْيَاءَ الْمَلِيحَةَ بِالْفِرَى ... وَبِالزُّوْرِ رَضَّ اللهُ أَفْوَاهَهُمْ رَضًّا

---

(١) ٢٣٧م - لا أعرف عن هذا الشاعر سوى ماذكر الهجريُّ ، فهو حنشي كلابي ، وقد نقل البلبيسي - كتاب الأنساب رسم (الحنش) - فيما نقل عن الرشاطي - ماذكر الهجري ، وقال الأمير - «الاكمال» ٣/٢٤٢ - معشر بن منصور بن عطية الحنشي من بني ربيعة بن مالك شاعر روى عنه الرِّيَاشيُّ شعراً له ، وابن عمه ابو عيسى ، وعطاء بن عَبْسٍ ابو عَبْسٍ الحَنَشِيُّ شاعر ، قال الصولي : عن محمد بن الرياشي : كان أبي يستفصحه ، ويستنشده شعره . انتهى ، وكرر من جاء بعد الأمير كلامه ولم يَزِيدُوه إيضاحاً . والرِّيَاشيُّ : العباسُ بن الفرج المتوفى سنة ٢٥٧ معاصِرٌ لأبي عَبْس أحمد بن يربوع الشاعر وأحمد هذا من أهل القرن الثالث الهجري لأنه مدح إسحاق بن أبي حُمَيْضَةَ الذي ولي اليمامة والبحرين وطريق مكة سنة (٢٣١) إحدى وثلاثين ومئتين . انظر عنه «العرب» س ١ ص ٣٩٨ - وحُمَيْضَةُ ورد في كثير من المؤلفات المطبوعة (خميصة) محرفاً .

(٢) بياض في الأصل .

(١) ٥ هـ . (٢) ساق البلبيسي نسبه هذا نقلاً عن الهجري .

٢ ـ وَحَلُّوا حُبَا أَحْلَامِهِمْ وَتَأَلَّبُوا   وَحَضُّوا عَلَى قَتْلِي غُوَاتَهُمْ حَضَّا
٣ ـ فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا صَادِقَ الْهَوَى   بَعِيْدَ الْقِلَى لِلْحُكْمِ فِي سُولِهَا مَضَا
٤ ـ وَمَاذَا عَلَى الْوَاشِينَ مِنْ كَلَفِي بِهَا   وَمَامَلَكُوا فِي ذَاكَ بَسْطاً وَلَا قَبْضَا
٥ ـ عَلَى كَبِدِي مِنْ حُبِّ لَمْيَاءَ وَقْرَةٌ   صُدُوْعٌ مُقِيْمَاتٌ تُهَاضُ وَلَا تُوْضَا
٦ ـ إِذَا قُلْتُ يُبْرِيْهَا الصُّدُوْدَ فَتَنْمَحِي   تَمْمَنْ [؟] وازْدَادَتْ صُدُوْعَتُهَا غَمْضَا
٧ ـ إِلَى اللهِ أَشْكُو أَنَّ لَوْعَاتِ حُبِّهَا   قَدِيْماً بَرَتْ جِسْمِي فَلَمْ تُبْقِ لِي نَحْضَا
٨ ـ وأَنَّ قَدِيْمَاتِ الْمَوَاعِيْدِ عِنْدَهَا   مُخَلَّدَةُ الْآمَالِ تُرْجَى وَمَا تُقْضَى
٩ ـ وأَنَّ ذَوِي الْأَضْغَانِ حَفُّوا بِبَيْتِهَا   مِنَ أَجْلِي فَهُمْ صَفٌّ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضَا
١٠ ـ وَمَا ثَغَبٌ بَاتَتْ تُطَرِّدُهُ الصَّبَا   خِلَافَ السَّوَارِي فَهْوَ لَا يَأْتَلِي رَكْضَا
١١ ـ خَرُوجٌ وَلُوجٌ تَحْتَ أَفْنَانِ سِدْرَةٍ   كَأَنَّ الصَّبَا تُزْجِي عَلَى مَتْنِهِ رَحْضَا[٣]
١٢ ـ وَلَا الْمِجْمَرَ الْهِنْدِيُّ خَالَطَ رِيْحَهُ   لَطِيْمَةُ مِسْكٍ فُضَّ أَصْوَارُهَا فَضَّا
١٣ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّا عُلَالَةِ [رِيْحِهَا]   إِذَا مَا الثُّرَيَّا سَارَ أَنْجُمُهَا عَرْضَا
١٤ ـ وَقَدْ عَادَ حُرَّاسُ الْعِدَى حَوْلَ بَيْتِهَا   لَو أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ مَا اسْتَجْمَعُوا نَهْضَا
١٥ ـ تَسَاقَوْا بِغَيْدَاقِ الْكَرَى وَحَمِي الْعِدَى   رَقِيْبُ نُجُومٍ لم تَذُقْ عَيْنُهُ غَمْضَا
١٦ ـ يَرَى الْغُنْمَ رَوْقَ الْبَيْتِ حِينَ يَضُمُّهُ   إِلَيْهَا وَخَوْفُ الْقَوْمِ يَنْفُضُهُ نَفْضَا
١٧ ـ لِيَبْلُغَ رَيَّا الْبَوْصِ مَهْضُومَةَ الْحَشَا   يَبُثُّ لَهَا الشَّكْوَى لِتَجْزِيَهُ الْقَرْضَا
١٨ ـ وَقَدْ زَعَمَ الْوَاشُونَ أَلَّا أُحِبُّهَا   وَأَكْذَبُنَا مِنْ ذَاكَ ـ فِي قِيْلِهِ ـ عَضَّا
١٩ ـ لقد سَلَتْ عِنْدِيْ لِلَمْيَاءَ أَنْ يُرَى   عَدُوٌّ لَهَا مِنْ بَعْدِ حُبِّيْ لَهَا بُغْضَا

وأَنْشَدَنِي قال[٤]: أَنشدني أحمد بن صَلِيْبٍ قال: أنشدني أَحْمَرُ الرأسِ لنفسه وكلهم[٥] من سُلَيْمٍ:

١ ـ هَنِيْئاً لِهٰذِي النَّفْسِ أن رُبَّمَا لَهَتْ   بِلَمْيَاءَ وَالْآفَاقُ دَاجٍ ظَلَامُهَا
٢ ـ لَهْوٌ الَّتِيْ لَمْ تَأْتِ سُوْءًا وَلَمْ تَنَلْ   حَرَاماً وَلَمْ يُطْلَبْ إِلَيْهَا حَرَامُهَا

---

(٣) في الهامش فوق (رحضا): (ثَوْبٌ مَغْسول).
(٤) ٢٠٢هـ والذي أنشد الهجري عُتْمِيُّ بن محمد بن صبح بن عمر بن عبدالرحمن بن علي بن جُهَيْم بن كُعَيْب بن جَذِيمة بن مالك بن خُفَاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم ـ أبو السَّري [١٩٨هـ].
(٥) كذا (وكلهم).

٣ - أأقتلُ أنْ لَمْيَاءَ كَانَتْ مَلِيْحَةً جَمِيلًا فَجَاذِيُّ الخُلُوقِ الْتِثَامُهَا[٦]
٤ - ظُلِمْتُ إِذَنْ وَالظُّلْمُ قَدْ يُغْتَشَى بِهِ وَمِنْ شَرِّ أَسْبَابِ الْمَنَايَا ظِلَامُهَا
٥ - وإِنْ تَقْتُلُونِي يَبْقَ مِنْ مِدْحَتِي لَهَا بُيُوتٌ لِفِتْيَانِ الصِّبَى لَا تَسَامُهَا[٧]
٦ - أَمَا وَالَّذِيْ حَجَّ المصلُّوْنَ بَيْتَهُ بِمَكَّةَ تَلْقَى الله شُعْثاً رِمَامُهَا
٧ - عُكُوْفاً وُقُوفاً بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنَى يُدِيْرُوْنَ شَمْساً أَنْ يَحِيْنَ ظَلَامُها
٨ - لَقَدْ كُنْتُ مُنْقَادَ الجِبَالِ كَاتِماً[٨] لِسِرِّكِ مَالَمْ يَلْقَ نَفْساً حِمَامُهَا
٩ - فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِجَزْعِ الرَّكَايَا وَهْيَ طَلٌّ بَشَامُهَا
١٠ - فَهَلْ أَرِدَنْ مِنْهَا مِيَاهاً عَهِدْتُهَا تَعِزُّ عَلَى الْوُرَّادِ طَامٍ جِمَامُهَا
١١ - مِيَاهاً حَمَاهَا الْكَاشِحُوْنَ وَدُوْنَهَا مِنَ الْمَوْتِ غَمْرَاتٌ يُهَابُ اقْتِحَامُهَا[٩]
١٢ - فَمُرَّ عَلَى الْفُسْطَاطِ وَاعْلَمْ بِأَنَّمَا تَحِيْنُ الْمَنَايَا حِيْنَ يُقْضَى حِمَامها
١٣ - فَلَوْ كَلَّمَتْنِيْ بِنْتُ زَيْدٍ وَقَدْ دَنَا لِيَ الْمَوْتُ جَلَّى الْمَوْتَ عَنِّي كَلَامُهَا
١٤ - وَلَوْ وَقَفَتْ يَوْماً عَلَى جَالِ حُفْرَتِيَ لَوَسَّعَ ضِيْقَ الْقَبْرِ عَنِّيْ مَقَامُهَا
١٥ - وَلَوْ هَبَطَتْ بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ لِرِيَّتِهَا وَازْدَادَ أَمْناً حَمَامُهَا
١٦ - وَلَوْ نَزَلَتْهَا قَدْرَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ قَلِيْلًا لَوَلَّاهَا الصَّلَاةَ [إمَامُهَا]
١٧ - وَلَوْ أَنَّهَا اسْتَسْقَتْ لِحَرَّانَ لَاهِثٍ تَهَلَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ غَمَامُهَا
١٨ - وَلَوْ مَسَحَتْ نِضْواً رَذِيًّا بِكَفِّهَا لَأَطْلَقَهُ لِلْمُشْتَرِيْنَ مَسَامُهَا

أنشدني[١٠] عُتْمِيُّ بنُ محمد الْجَذَمِيُّ ، قال : أَنْشَدَنِي أحمدُ بن صَلِيبٍ السُّبَيعيُّ ، قال : أنشدني أَحْمَرُ الرأسِ لنفسه ، وكلهم من سُلَيْمٍ ، قال : أبو علي : غَنْمِيٌّ ابن عم سُلَّم[١١] ، وكلاهما كُعَبِيٌّ من كُعَيْبٍ ، وهم إلى مالك سليم :

١ - شَرِبْنَا بِكِيْسَانِ الْحُرُوْبِ فَأَصْبَحَتْ قَبَائِلُ خَلْقِ الله فِيْنَا جِرَامُهَا
٢ - وَلَمْ نَصْطَنِعْ قَوْماً لِقَوْمٍ وَلَمْ نَقُدْ لِحِلْفٍ إِذَا الْأَنْفَاسُ ضَاقَ كِظَامُها

---

(٦) في الأصل : (أاقبل) . (٧) في الهامش : (أراد سَئِمُوا فلم يهمز) .
(٨) لعله (وكاتما) .
(٩) في الهامش (وزاد غير عتمي) وتتضح الزيادة في البيت بعده .
(١٠) ١٨٩هـ . . (١١) كذا في الأصل الأول (عُتْمِيُّ) وهذا (غَنْمِيُّ) ولا ذكر لـ (سُلَّم) .

٣ - سِوَى أَنَّ فِينَا مِنْ قُرَيْشٍ بَقِيَّةٌ يُرَدُّ عَلَيْنَا بَعْدَ مِنْهُمْ سَلاَمُهَا
٤ - ولَسْنَا نُبَالِي حَرْبَ قَوْمٍ سِوَاهُمُ إِذَا مَا قُرَيْشٌ صَدَّ عَنَّا جِشَامُهَا
٥ - خَلَطْنَا لهم بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقَنَا مَصَارِعَ ضِبْعٍ لَمْ تُوَجَّهْ رِمَامُهَا
٦ - إِلَى غَيْرِ أَكْفَانٍ ولا صَدِّ قِبْلَةٍ وَلاَ عَهْدِ خِلاَّنٍ كَرِيماً ذِمَامُهَا

الصَّدُّ : - بفتح الصاد - الأَوْبُ والجهة .

٧ - وَأَفْلَتَ مِنَّا حَتْوَشاً ظَهْرُ شَنطَبَةٍ يُفَكِّلُ أَضْعَافَ اللُّجَامِ اقْتِحَامُهَا[١٢]
٨ - مَضَى ابْنُ ثِمالٍ خَصْلَةً وَهْوَ عَامِدٌ بِقَتْلِ خَمَاسٍ كَانَ جَوْراً حِكَامُهَا
٩ - صَبَحْنَاهُ قَبْلَ الْغِبِّ ضَاحِيَةً بِهَا وَالإِفَاقُ دُهْمٌ لَمْ يُشَمَّرْ ظَلاَمُهَا
١٠ - غَدَاةَ اللِّوَى إِذْ صَبَّحَ الْقَوْمَ دَبْكَلٌ يَقُودُ مَصَالِيتاً مُطَاعاً إِمَامُهَا

ابن أحمر : (عمرو بن أحمر)

سيأتي في حرف (العين) .

٥ - أبو الأخطَب بن عَليّ بن مِشوَذ

وأنشدني[١] لأبي الأَخْطَبِ بنِ عليِّ بن مِشْوَذٍ ، أَحَدِ بني رَبيعة بن عُمَرَ بن عامر ابن ربيعة[٢] :

١ - فَمَا رَوْضَةٌ بَاتَ الطِّلاَلُ يَعُلُّهَا بِأَجْرَعَ مُمْرَاحٍ خِلاَفَ دِجَانِ
٢ - بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّا حَبِيبَةَ مَوْهِناً وَلاَ الْمِسْكُ مَقْطُوباً بِخَالِصِ بَانِ

---

(١٢) قد يقرأ (حترشا ... يفكك ... الخ

(١) ٢٥٩هـ : وأقرب مذكور هو موسى بن رُبَيْق بن صَبّاح بن علي بن حُميد بن إبراهيم الناصري من خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُليم ، [ص ٢٥٦هـ] .

(٢) كذا وقع في المخطوطة (ربيعة بن عمر بن عامر) والصواب : (ربيعة بن عَمْرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وعَمْرٌو هذا هو الذي قال فيه خِدَاش بن زُهَيْر :

أَبِي فَارِسُ الضَّحْيَاءِ عَمْرُو بن عَامِرٍ أَبَى الذَّمَّ وَاخْتَارَ الْوَفَاءَ عَلَى الْغَدْرِ

ـ انظر «جمهرة النسب» لابن الكلبي : ٣٦٠ تحقيق الدكتور ناجي حسن .

٦ ـ أطَيطُ بن سَعدِ الأشجعيّ

تكرر ذكر (الأَشْجَعِيّ) بين من يَرْوي عنهم الهجريُّ ، وقد صرح باسمه في بعض المواضع أُطَيط بن سعد الأشجعي(١)، وكناه في موضع فقال : (وقال أبو جرادة الأشجعي(٢): بنو مُحْرِيَةَ مِنْ جُذَام) ، واكتفى في مواضع بكلمة : (أَنشدني الأشجعي)(٣) أو (أنشد الأشجعي) و(قال الأشجعي)، وقد روى عنه أَشْعَاراً ونصوصاً لُغَوِيَّةً وغيرها ، ومن تلك الأشعار ماهو من إنشاد أُطَيْطٍ ، يَرِدُ بصيغة : (وأنشدني الأشجعي) مما قد يعني به أُطيطاً أو غيره ، فمن ذالك قوله : وأيضاً مما أنشدنِي أُطَيْطٌ الأشجعيُّ(٤):

١ ـ قَدَ اصْبَحْتُ وَدَّعت الصِّبَا غَيْرَ أَنَّنِي   أُمَـدِّحُ أَيَّـامَ الـصِّـبَـا فَـأُجِـيْـدُ
٢ ـ سَقَى الله أَيَّامَ الصِّبَا وَسَقَى الصِّبَا   لَـو أَنَّ الصِّبَا بَعْـدَ المَشِيْبِ يَعُوْدُ
٣ ـ فَأيْهَاتَ(٥) أيَّامَ الصِّبَا قَدْ تَرَكْنَنِي   كَـعُـصْـلِ الْـمَرَامِي مَـابِهِنَّ سُـدُوْدُ

وإنما يَعْصِّلُ(٦) لِاعْوِجَاجِ القِدْح ، أو لِانْمِرَاطِ القُذَذِ ، ويكونُ الْقِدْحُ طَنِباً ، وأعْزَلَ بَيِّنَ العَزَلِ ، وذُكَّرٌ بين الذُّكْرِ ، قال الراجزُ :

إنْ رُشِفَ الحَوْضُ اتَّكَا عَلَى المَسَدْ   مِثْلَ اتِّكَاءِ الأَخْـدَرِيِّ في الْـجَـدَدْ

وقال بعد أن أورد له رجز أوله : (لَـمَّا رَأَتْ أَنَّ سُهَيْلاً عَرَّدا) ـ سيأتي في الرجز ـ: قال : وأَنْشَدَنِي(٧):

١ ـ حَتَّى إِذَا هَـافَ النَّهَارُ وأَبْـرَدُوا   رَاحُـوا عَـلَى الأَكْـوَارِ وَالـنَّضَـواتِ
٢ ـ رَاحُـوا وقَدْ تَـرْمِـي الأَدِلَّةُ فِيْهِمُ   عَـرْضَ الـفَـلاَةِ بِـأَيْنُـقٍ عَـجِـلاَتِ

وأَنْشَدَ الأَشْجَعِيُّ(٨):

---

(١) ٧ م و١٢٤هـ و٤٣٤هـ . (٢) ٣٨٢هـ . (٣) ٤٨ م .
(٤) ٤٣٤هـ و٤٨ م . (٥) في (م) فهيهات .
(٦) في (٤٨ م): (وعصلت السهام إذا لم تقصد الغرض وتفعل ذاك إذ لم يكن فيها ريش ، وعصل السهم اصاب ، وذَكَرٌ بين الذُّكرِ) .
(٧) ٢٧٤هـ . (٨) ٤٩ م .

أَلَا إِنَّ نَصَّ الْعِيسِ يُدْنِي مِنَ الْهَوَى ... وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْهَائِمِينَ اهْتِبَالُهَا

وأَنْشَدَنِي ٱلأشجعيُّ[٩]:

١ - أُحِبُّ بُنَيَّاتِي وَأَعْلَمُ أَنَّنِي ... إِذَا مِتُّ يَوْماً تَجْفُهُنَّ ٱلأَقَارِبُ
٢ - إِذَا زِدْنَ يوماً زَادَهُنَّ كَرَامَةً ... عَلَيَّ وَلَمْ أُصْبِحْ كَأَنِّي مُحَارِبُ

أي كلما زِدْنَ في عددِهِنَّ ، زَادَهُنَّ ذالك عندي كرامةً .

وَقَدْ يَرْوِي عَنْهُ شعراً لِغَيره ، مُصَرِّحاً بذالك كقوله : (أنشدني الأشجعيُّ لِجَبْهَاءَ بنِ حُمَيْمَةَ الأشجعي)[١٠] ومثل هذا ينسب للشاعر نفسه ، لا للراوي .

ولم أرَ من ذكر أُطَيْطاً الأشْجَعِيَّ ، وهو معاصرٌ للهجَرِي لأنه يصرح بروايته عنه مباشرة وبالسماع منه ، وبسؤاله[١١].

واسم أُطَيْطٍ - بالتصغير - معروف ، كأُطيط المقانب الطائي فارس جَدِيلة ، ذكره ابن دُرَيْد في «الاشتقاق» - ٣٩٣ - وأُطيط بن المغلس - أو ابن لقيط - شاعر ذكره صاحب «اللسان» - رسم أطط -.

الأزرقي : (جبر بن عقبة)

سيأتي في حرف الجيم .

أعْشَى طُرُودٍ : (إيَاس)

يأتي آخر هذا الحرف .

٧ - الأعمَش بن عَطّافِ العامريّ

وأنشدني[١] لِابْنِ الرُّوميّ ٱلأَعْمَشِ بنِ عَطَّافٍ ، أَحَدِ بني معاوية بن عامر بن ربيعة[٢] صاحب أُمِّ مُعَلَّلٍ :

---

(٩) ١٣٢ م . (١٠) ٢٧١هـ و٢٧٩هـ . (١١) ٢٤٢ م و٤٦٧ م .

(١) ٢٦٤هـ : والذي أنشد الهجريَّ الشِّعْرَ هو أبو المضاء سيَّارُ بن صَخْرٍ الناصري بن عتبة ، من خفاف سُلَيْم (٢٦٠هـ - ٢٥٦هـ) .

(٢) وبنو معاوية بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، من هوازن ، من قيس عيلان .

١ ـ أجِـدَّكَ لا يُنْسِيـكَ أُمَّ مُعَـلَّلٍ أَرَاكَـةُ صِـدْقٍ لَمْ تُهَصَّرْ قِـلاَلُهَـا[٣]
٢ ـ وَجِـدِّكَ لاَ يُنْسِيْـكَ أُمَّ مُعَـلَّلٍ مِنَ الـرِّيْمِ هَيْفا لَمْ يُجَفَّـلْ غَـزَالُهَا
٣ ـ وَجِـدِّكَ لاَ يُنْسِيْـكَ أُمَّ مُعَـلَّلٍ مِنَ الْمُـزْنِ غَـرًّا، لَمْ تُهَتَّنْ هِـطَالُهَا

ولــه :

١ ـ إذَا ذَكَـرَتْ عَـيْنَـاكَ أُمَّ مُـعَلَّلٍ عَـلى طُوْلِ هَجْـرٍ ظَلَّتَـا تَكِفَـانِ

٨ ـ الأعنقُ بن الباهلية القُشَيريّ

الْأَعْنَقُ بْنُ الْبَاهِلِيَّةِ الْـحُبَيْبِيُّ أَحَدُ بَنِـي لُبَيْنَى[١]:

١ ـ إذَا أَنتَ لَمْ تَخْشِفْ مَعَ الْقَوْمِ خَشْفَةً مِنَ الْجَهْلِ لَمْ يَأْمَنْ أَخٌ أَنْتَ صَاحِبُهْ
٢ ـ وَرامَتـكَ ذُلاَّنُ الرِّجَـالِ وَلَمْ تُهَبْ لِشَيْءٍ إِذَا مَـاهِيْبَ لِـلَّيْثِ جَـانِبُـهْ
٣ ـ أَنَا الْأَعْنَقُ بْنُ الْبَاهِلِيَّةِ أَرْتَدِيْ[٢] حَمَـائِلَ عَضْبٍ لَمْ تُفَلَّلْ مَضَـارِبُـهْ
٤ ـ تَغَبَّشْتُـهُ الدَّيَّـانَ فِـيْ عَامٍ لَزْبَـةٍ فخبخب فِيْـهَـا بُـدْنُـهُ وَحَـقَـائِبُـهْ

يعني السيف مثل خَتَلْتُهُ ، والدَّيَّانُ : رجل : وتخبخبَ : هزل ، والتخبخب : الاضطراب .

وله أيضاً ، وجاورته امرأةٌ حَنْظَلِيَّةٌ بإبِلٍ لَهَا ، وقَدْ كَانَتْ ذَمَّتْ جاراً قَبْلَهُ[٣]:

١ ـ لَـكِ اللهُ لا تُسْتَـذَلِّي بِـأَرْضِنَـا وأَلَّا تَـرَيْ مِـنَّـا مَـقَـامَ دَنَـاءِ
٢ ـ وَفِيْنَـا وَفِي الْهِنْدِيَّـةِ الْبِيْضِ وَالْقَنَا لَهَـا مِـنْ غُـوَاةِ الْمُتْـرَفِـيْنَ رِغَـاءُ

---

(٣) في الهامش : (أعاليها) .

(١) ١٤٨م : وحُبَيِّبٌ من بطون سلمة الشرُّ بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأم سلمة الشر وسلمة الخير لُبَيْنَى بنت الوحيد بن كلاب ، نسبوا إليها . وباهلة إحدى قبائل قيس عيلان المشهورة وانظر كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها» .

(٢) في الهامش: (ارتدي بجر الألف) .

(٣) ١٤٩ م .

٩ ـ أمَامَــةُ البَلَوِيّــةُ

قال بَعْدَ أنْ أوْرَدَ أبياتاً لِمَيْمُونَةَ بنتِ عبدالله البلويَّةِ ـ ستأتي في موضعها ـ : ومنهم أمَامَةُ القائلة لأبـي عَفك أحَدِ بني عمرو بن عوف ، وقد قتله بنفاقه سالمُ بنُ عُمَيْرٍ ، أحَدُ الْبَكَّائِيْنَ بِأمْرِ رَسول الله ﷺ(١) :

١ ـ تُكَـذِّبُ دِيْنَ الله وَالْمَرْءَ أحْمَـداً   لَعَمْـرُ الَّذِي أمْنَـاكَ أنْ بِئْسَ مَاتُمْني

٢ ـ حَبَـاكَ حَنِيْفٌ آخِرَ اللَّيْـلِ طَعْنَةً   أبَـا عَفَكٍ خُـذْهَـا عَـلَى كِـبَرِ السِّنِّ

١٠ ـ أمَيّةُ بن أبي الصَّلتِ الثّقَفِـيّ

أمَيَّةُ بن أبي الصَّلتِ ، وعَتَبَ عَلَى ابْنِهِ(١) :

١ ـ غَـذَوْتُكَ مَوْلُـوداً وعُلْتُـكَ يَـافِعـاً   تُـعَـلُّ بِمَـا أجْنِي عَـلَيْـكَ وتُـنْهَـلُ

٢ ـ إذَا لَيْلَةٌ آبَتْـكَ بِالشَّكْـوِ لَمْ أبِتْ   لِشَكْـوَاكَ إلاَّ سَـاهِـداً أتَمَـلْمَـلُ

٣ ـ كَـأنِّيْ أنَا الْمَطْرُوقُ دُوْنَكَ بِـالَّذِيْ   طُـرِقْـتَ بِـهِ دُوْنِيْ فَعَـيْـنِي تَهْمِـلُ

٤ ـ تَخَـافُ الرَّدَى نَفْسِيْ عَلَيْكَ وَإنَّهَا   لَـتَـعْـلَمُ أنَّ الْمَـوْتَ وَقْـتٌ مُـؤَجَّـلُ

٥ ـ فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ فِي الْغَايَةِ الَّتِي   إلَيْهَـا مَـدَى مَـاكُنْتُ فِيْـكَ أؤَمِّـلُ

---

(١) ٤٨٠ م : واسم (امامة) لم اطلع عليه فيما بين يديَّ من كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري ، ولكنه ورد فيما نقله الرشاطي من الكتاب ، ثم نقله البلبيسي عن الرشاطي في أنسابه رسم (المريدي) .
وامامة هذه هي المريدية من بني مُرَيْد ، وهاؤلاء بطن من بلي ، حالفوا بنو أمية بن زيد (يقال لهم الجعادرة) على ماذكره الهجري فيما نقله عنه الرشاطي ، وقد ورد ذكرها في «السيرة النبوية» لابن هشام ـ ٦٣٦/٤ ـ وترجمها ابن حجر في «الإصابة» نقلاً عن ابن هشام ، ولم يزيدا على ماذكر الهجري .
وبلي قبيلة قضاعية لاتزال معروفة في منازلها القديمة الواقعة بقرب المدينة بمنطقة الْوَجْه .
وأبو عفك من بني عمرو بن عوف الذين منهم بنو أمية بن زيد وهم من الأوس من الأنصار .
وسالم بن عمير من بني عمرو بن عوف أيضاً صحابي وهو من البكائين المذكورين في الآية الكريمة .

(١) ١٧٩م ، وشهرة أمية بن أبي الصلت الثقفي تغني عن إيراد ترجمته ، وقد أدرك الإسلام ، ولكنه لم يسلم ، وإن كان قد نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية ، وقد توفي بعد الهجرة النبوية ، ورثى قتل قريش في وقعة بدر ، وله شعر مجموع في ديوان ، ومنه هذه القصيدة .

٦ - جَعَلْتَ جِبَائي غِلْظَةً وفَظَاظَةً   كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
٧ - فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي   فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

١١ - الأنعمية المرادية(١)

وأَنْشَدَنِي(٢) للأنعمية من مُرَاد ، وأَنْعَمُ أَحَدُ بيوتِ مُرَادٍ(٣) وهي أربعة : بنو غُطَيْفٍ ، وفيهم الْبَيْتُ ، وأَعْلَى النِّسبة إلى أعلى أَعْلَوِيٌّ ، وسَلْمان ، وجَمَل ، وَقَرَنٌ ، وتزوجتْ إنساناً ذهب بها إلى العراق فقالت وتشوقت :

١ - أَلَا حَبَّذَا مِنْ مِلْكٍ جَرْبَانَ نَظْرَةٌ   وجَرْبَانُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَعِيدُ
٢ - وَيَاحَبَّذَا والله لَوْلَا مَخَافَتِي   فَوَابِلُهُ رَمْلٌ مَعاً وَصَعِيدُ

جَرْبَانُ سَايلةٌ إلى قربِ ذَهْبَى(٤)، ومِلْكُ الوادِي الذي تَمْلَؤُهُ سَيْلُهُ .

١٢ - إيّاس (أعشى طرود)

أَنْشَدَنِي عُتَمِيٌّ بن محمد بن صُبْح بن عُمَرَ بن عبدالرحمن بن عليّ بن جُهَيْم بن كُعَيْبِ بن جَذِيمة بن مالك بن خُفَافِ بن امْرِئِ الْقَيْسِ بن بُهْثَةَ بن سُلَيم ، هو أبو

---

(١) ٣٢٨هـ .
(٢) راوي الشعر للهجري مُرَادِيٌّ هو أبو أحمد بن عَلْكَمَ بن يزيد بن حَذْرَة المرادي ، من أهل مأرب (٣٢٦هـ) .
(٣) مراد قَبِيْلٌ كبير فَرْعٌ من مَذْحِج - مراد - واسمه يحابر بن مالك بن أدد ، من سبإ ثم من قحطان ، ومالك هو مَذْحِجَ ، وغُطيف بن عبدالله بن ناجية بن مراد ، وأَعْلى بن زاهر بن عَوْثبان بن زاهر بن مراد ، وأنعم بن زاهر أخو أَعْلى ، وسلمان بن يشكر بن ناجية ، وَجَمَل بن كَبَاثة بن ناجية ، وقَرَن - بفتح الراء - بن ردمان بن ناجية - «النسب الكبير» ٣٢٨ تحقيق الدكتور ناجي حسن - ولاتزال قبيلة مراد في بلادها القديمة في منطقة مأرب وبيحان شرق اليمن ، ومنهم بطونٌ اندمجت مع قحطان (مذحج قديماً) في سَرَاةِ عَبِيدة وماحولها وما انحدر من أوديتها ومنها تَثْلِيث وجَاش وطريب ، شرق بِلاد غَمِير .
(٤) جَرْبَانُ : المراد هنا وادٍ لايزال معروفاً مأهُولاً ، بقرب مأرب وحَرِيب ، وسيله يفضي إلى الرملة شمالاً شرقياً ، وذَهْبَى لم أرَ لها ذِكْراً عند غير الهجري ، وقد ذكرها في موضع آخر وهو يذكر حبال الرمل التي بين بيحان ومأرب ، فذكر منها حَبْلَ ذَهْبَى (٣٢٦هـ) .

السَّريُّ لِأَعْشَى طَرُوْدَ ، واسمه إِيَاس(١):

١ - أَتَلْهُو وَتَنْسَى يَاإِيَاسُ مَعادَكا ... وَمَثْوَاكَ تَحْتَ اللَّحْدِ ثُمَّ انْهِمادَكا
٢ - وَبَعْثَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ قَعْرِ حُفْرَةٍ ... مِنَ الْأَرْضِ كَانَ التُّرْبُ فِيهَا وِسَادَكا
٣ - إِلَى مَوْقِفٍ ذِي كُرْبَةٍ أَنْتَ وَاقِفٌ ... عَلَيْهِ فَلَا تُغْبَنْ وَلَا تَنْسَ زَادَكا
٤ - تَزَوَّدْ إِلَيْهِ مَااسْتَطَعْتَ مِنَ التُّقَى ... فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ تُصَادِفْ رَشَادَكا

---

(١) ١٩٨هـ : وأعشى طرود : سماه الآمدي في «المؤتلف والمختلف» - ١٦ تحقيق عبد الستار فراج - إياس بن عامر ، وقال : طَرُوْدُ بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، وهم حُلَفَاءُ بني سُلَيم ، ثم في بني خُفَافٍ ، ولم يصل نسب الأعشى ، وفي «جمهرة النسب» لابن الكلبي - ٤٧٤ -: وولد سَعْدُ بنُ فَهم تَيْماً وكَعْباً وطرودًا فمن بني طرود أعشى طرود الشاعر.

وفي «خزانة الأدب» - ٣٤٤/١ - قال أبو وليد الوقشي - هشام بن أحمد المتوفى سنة ٤٨٩ له شرح على «كامل» المبرد ينقل عنه صاحب «الخزانة» - نقلًا عن «نوادر الهجري»: واللخميُّ نقلًا عن أبي مروان ، عبدالملك بن سراج : أن أَعْشَى طرود اسمه إياس بن موسى .

وفي «الخزانة» أيضاً : أن أعشى طرود إياس بن موسى حضر أيام العطاء عند عمر هو وهوذة بن الحارث - خفافي سلمي «الاصابة» - فَدَعَا عُمَرُ إِيَاساً قبل هوذة ، فقال هوذة - ٣٤٤/١ -:

١ - لَقَدْ دَارَ هذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... فَأَبْصِرْ أَمِينَ اللهِ كَيْفَ تَذُودُ

في «الاصابة»: فأبصر وَلِيَّ الأمير أين تريد .

٢ - أَيُدْعَى جُشَيْمٌ والسُّوَيدُ أَمَامَنَا ... ويُدْعَى إِيَاسٌ قَبْلَنَا وَطَرُوْدُ
٣ - فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْكِتَابِ فَهُمْ إِذَنْ ... مُلُوكٌ سِوَى حَرْبٍ وَنَحْنُ عَبِيدُ

في «الاصابة» ترجمة (هوذة):

أتدعى خشيم والشريد أمامنا ... وتدعى رياح قبلنا وَطَرُوْدُ

وأراه الصواب وفيها أيضاً :

... ... مسلوك بنو حُسُرٌ ونحن عَبِيد

انتهى . وفُهِمَ من هذا أن أعشى طرود إسلامي ، لكن لم يُعْلَمْ أَهُوَ : صحابيٌّ أم تابعيٌّ .

وإذا صح أنه أدرك إمارة إبراهيم بن هشام المخزومي على مافي كتاب «المكاثرة» فإنه عاش إلى أول القرن الثاني الهجري ، إذ إبراهيم تولى الإمارة من سنة ١٠٦ إلى سنة ١١٢ - «العقد الثمين» ٢٦٧/٣ -.

مع أن أستاذنا الزركلي رحمه الله أرخ وفاة الأعشى هذا سنة ٦٠هـ (٦٨٠م) .

وقد وُصِفَ هذا الشاعر بأنه كان ناسكاً صاحب زهدٍ وورع ، وقد عُمِيَ في آخر حياته ، وهذا مما يقوي نسبة القصيدة الأولى التي أوردها الهجري له وإن لم ترد فيما اطلعت عليه في المجموع من شعره .

٥ - وَتَـأْتَنِفُ ٱلْأَشْغَالَ يَـوْمَـكَ كُلَّهُ ... وتُكْثِرُ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ رُقَادَكَا
٦ - .... (٢) ... كَأَنَّ الْمَنَايَا لَا يُرِدْنَ اغْتِمَادَكَا
٧ - وَهُنَّ مُطِلَّاتٌ إِلَيْكَ شَوَارِعٌ ... إِلَيْكَ سِرَاعٌ يَنْتَضِينَ سَوَادَكَا
٨ - كَأَنْ قَدْ أَتَى مِنْهُنَّ مَاهُوَ كَائِنٌ ... إِلَى أَجَلٍ وَكُفِيَ تُوَفِّي عِدَادَكَا
٩ - وإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ طُلْنَ فَإِنَّمَا ... طِوَالُ اللَّيَالِي فَاعْلَمَنَّ نَفَادَكَا
١٠ - يُدِرْنَكَ حَتَّى تَتْرُكَ الْعَقْلَ سَاهِياً ... ويُنْغِضْنَ حَتَّى لا تُقِيمُ مَدَادَكَا(٣)
١١ - وإِنْ لَذَّةٌ قَادَتْكَ يوماً إِلَى هَوًى ... فَدَعْهَا وَلَا تَتْبَعْ إِلَيْهَا قِيَادَكَا
١٢ - دَعِ النَّاسَ يَأْتُوا غَيَّهُمْ وَرَشَادَهُم ... وَلِلهِ فَاجْعَلْ مَابَقِيتَ اجْتِهَادَكَا
١٣ - هُوَ الله لا تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَةٌ ... تُنَاجِي بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ فُؤَادَكَا

[ساق صاحب «الخزانة»(٤) الشاهد الثاني والخمسين وهو]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وذا نَشَبِ

وقال : وقد أورد الهجري البيت في «نوادره» : (أمرتك الرُّشْدَ) بدل (الخير) وبعد شرحه نقل عن اللخمي قوله : وقد أورد الهجري أيضاً في «نوادره» هذين البيتين بعد البيت الشاهد :

لَا تَبْخَلَنَّ بِمَالٍ عَنْ مَذَاهِبِهِ ... فِي غَيْرِ زَلَّةِ إِسْرَافٍ ولا تَغَبِ
فَإِنَّ وُرَّاثَهُ لَنْ يَحْمَدُوكَ بِهِ ... إِذَا أَجَنُّوكَ بَيْنَ اللِّبْنِ وَالْخَشَبِ

وهذه الأبيات من قصيدة له مطلعها :

يَادَارَ أَسْمَاءَ بَيْنَ السَّفْحِ فَالرُّحَبِ ... أَقْوَتْ وَعَفَّى عَلَيْهَا ذَاهِبُ الْحُقُبِ

(للبحث صلة):

حمد الجاسر

---

(٢) لم يرد صدر البيت .
(٣) فوق (مدادك) : (قوتك) .
(٤) ١/٣٣٩-٣٤٢ .

من وثائق ومخطوطات عسير

في دار الوثائق القومية ودار الكتب بالقاهرة

للوثائق أهمية خاصة في دراسة التاريخ ، فهي بمثابة الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم ، كما أنها تحمل روح العصر الذي كتبت فيه ، وتلقي ضوءاً عليه وتُصور أحداثه . والكتابات التاريخية الجادة تصنعها دائماً الوثائق ، كما أن أصالة العمل التاريخي تُقيَّمُ على قدر ماتوفر له من وثائق . فالوثيقة بالنسبة للمؤرخ بمثابة المادة الخام التي تحمل شهادة رجال الماضي . والفهم الصحيح للأحداث التاريخية لا يتسنَّى إلا بالرجوع إليها .

ووثائق ومخطوطات عسير التي نعرضُ لها في هذا البحث تحفظ في (دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وفي (دار الكتب المصرية) على شاطئْ النيل بالقاهرة أيضاً .

وفيما يلي نعرض لأهم هذه الوثائق والمخطوطات :

اولاً : **الوثائق** : يمكن تصنيف الوثائق التي سنعرض لها إلى مجموعتين .

١ ــ وثائق عن ثورات أهالي عسير ضد حكم محمد علي[١].

٢ ــ وثائق عن فترة حكم محمد بن عائض في عسير ، ورغبة الدولة العثمانية في التخلص منه .

وبالنسبة للمجموعة الأولى من الوثائق فهي عبارة عن رسائل متبادلة بين محمد علي وبعض كبار قواده حول وضع قواته في عسير[٢]، وبينه وبين أحمد باشا يكن محافظ مكة بشأن مفاوضاته مع مشايخ عسير ، وحقيقة الأوضاع هناك[٣] وبينه وبين وكيله لدى الباب العالي بشأن موقف الدولة العثمانية من استيلائه على عسير[٤].

كما تشمل هذه الرسائل مراسلات من أمراء عسير خصوصاً علي بن مجثّل وسعيد بن مسلط إلى أمراء مكة وإلى غيرهم[٥].

وتوضح لنا هذه الوثائق الثورات العنيفة التي قام بها العسيريون ضد حكم محمد علي الذي تعرض لمقاومة عنيفة في هذه المنطقة ، كما تكشف عن ثورات بعض جند محمد علي ضدّه بسبب تأخر رواتبهم ، والتي كان أهمها ثورة تركي بيلمز Turki Bilmaz التي اشتد سعيرها وتخطى نطاقها منطقة الحجاز إلى الحديدة والمخا(٦) .

وتحفظ هذه الوثائق في دار الوثائق القومية ضمن مجموعة المحافظ والدفاتر المعروفة باسم (محافظ بحربرا) ، و(محافظ عابدين) و(دفاتر المعية تركي) .

أما عن لغة هذه الوثائق فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ ــ وثائق كتبتْ باللغة العربية ، وبأسلوب يتّسم مع روح العصر الذي كتبتْ فيه ، والذي يتّضح من خلاله تداخل العديد من الكلمات الأعجمية في اللغة العربية .

ب ــ وثائق كتبت باللغة التركية القديمة(٧) وكان الملك أحمد فؤاد ملك مصر قد أمر بترجمتها إلى العربية في محاولة منه لإبراز دور جَدِّهِ محمد علي ، فترجمت بواسطة بعض المتخصصين في اللغة التركية ترجمة صحيحة وواضحة .

أما عن المجموعة الثانية من الوثائق فهي عبارة عن عشر رسائل وصورة خط (هما يوني)(٨) وعن الرسائل فمنها ماهو بين الأمير محمد بن عائض أمير عسير وبين الخديو إسماعيل حاكم مصر(٩)، ومنها ماهو بين الأمير فيصل بن تركي أمير نجد وبين الخديو إسماعيل(١٠)، ومنها ماهو بين السلطان العثماني عبدالعزيز وبين الخديو إسماعيل(١١) ومنها ماهو بين الخديو إسماعيل وبعض قواده ومعاونيه المكلفين بتسوية أزمة عسير(١٢) ومنها أيضاً ماهو بين الأمير محمد بن عائض والسلطان العثماني(١٣) أما عن صورة الخط (الهمايوني) فهو عبارة عن الأمر السلطاني الخاص بتسوية المشكلة العسيرية سلمياً . وهذه المراسلات محفوظة ضمن (وثائق وسجلات عابدين) في دار الوثائق بالقاهرة وموضوع هذه الوثائق أنه بعد قيام الأمير محمد بن عائض بالاحتكاك بالعثمانيين خارج حدود إمارته ، وتهديده لمناطق

نفوذهم في الحجاز لجأ السلطان العثماني إلى خديوي مصر للاستعانة به في إيقاف تهديدات أمير عسير للمصالح العثمانية ، وعندما أَحَسَّ محمد بن عائض بذالك أخذ في تبادل رسائل المودة مع الخديو إسماعيل(١٤). ولما كان هذا الخديوي لا يرغب في توريط نفسه في مشاكل في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وفي نفس الوقت لا يرغب في إغضاب السلطان العثماني فقد استجاب لأوامر السلطان بإعداد قوة حربية تحت قيادة الأمير آلاي إسماعيل صادق(١٥) للانضمام إلى القوات العثمانية المعسكرة في ميناء جدة ، لتنتقل معها إلى جهة القنفذة لمواجهة أمير عسير(١٦) وفي نفس الوقت أخذ الخديوي في بذل مساعيه للوصول إلى تسوية سلمية بين السلطان وأمير عسير(١٧) وقد نجح الخديو في إقناع الباب العالي بتلك السياسة حتى لا تسفك دماء المسلمين وتحدث الفرقة بينهم(١٨).

ونتيجة لاستعداد أمير عسير للتفاهم ، أبلغ الخديوي الدولة العثمانية بذالك ، وبدأت علاقات الصفاء بين الطرفين خصوصاً بعد أن أصدر السلطان (فرمانا) بالعفو عن أمير عسير ، وأرسل الخديو هدية للأمير محمد بن عائض وهي عبارة عن بندقية مذهبة وخيمة كبيرة ، وزوج من (الطبنجات) مع خطاب ودّي تمنى فيه الخير له(١٩). ولكن الأمر لم يستمر على ذالك فسرعان ما انقلب ابن عائض ضد الدولة العثمانية ، وأخذ في شق عصا الطاعة عليها ، وتحرك بقواته ضدها ، وانتهى الأمر في النهاية بتحرك القوات العثمانية والاستيلاء على عسير ، وتحويلها إلى (متصرفية عثمانية) في عام ١٢٨٩هـ .

ثانياً : المخطوطات : أما عن أبرز مخطوطات دار الكتب المصرية عن عسير المخطوط رقم (٧٠١ تاريخ) والمعنون «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» والذي كتبه السيد محمد بن علي الادريسي(٢٠) إلى صديق له في مصر بتاريخ ٦ من ربيع الثاني ١٣٣٠هـ وَذُيِّلَ بخطاب من ضابط عثماني أرسله من منطقة القنفذة لضابط آخر أكبر منه يشرح له فيه إحدى الوقائق الحربية التي حدثت بينهم وبين الإدريسي .

والمخطوط مكون من ٢٣ صفحة تقع رسالة الإدريسي منها في ١٨ صفحة .

ويتضح من رسالة الإدريسي كراهيته الشديدة للعثمانيين والتي يرجعها إلى أنهم (يستبيحون الحرم وينتهكون الأعراض ، ويتجاهرون بالمعاصي . والخروج على الحدود التي حددها الله ورسوله غير مبالين ، ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ، ولا الشهر يصومون ، ولا هم في حكمهم يعدلون)[٢١] كما يتهم الإدريسي العثمانيين بالرشوة ، واحتقارهم للعرب وللغة العربية فيقول : (وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية وللغة العربية ، وإهمال جميع المصالح العامة ، وإهانة رجال الدين إلى غير ذالك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين)[٢٢] .

وعند تحليلنا لما كتبه الإدريسي عن العثمانيين ينبغي أن نأخذ كلامه بحذر خصوصاً وأن موقف العداء بينه وبين العثمانيين ظل مستحكماً ، وأنه واصل الحرب ضدهم طوال فترة حكمه لمنطقة المخلاف السليماني[٢٣] ومع ذالك فلا يمكن لأحد أن ينكر أن ما كتبه يعتبر بالغ الأهمية لدارسي هذه الفترة فصاحبه شارك في الأحداث وصاغها بسلاحه وقلمه الذي يمثل وجهة نظر لا غنى للمؤرخ عن الاستفادة منها .

د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - أبها

الحواشي :

(١) الجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالحميد البطريق له دراسة قيمة تحت عنوان «وثائق الحكم المصري في الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤١» وقد تعرض فيها لهذه الوثائق بالدراسة ، كما تعرض لها أيضاً الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن في كتابه «من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي» .

(٢) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ٦ صفر ١٢٢١هـ - انظر دفاتر المعية تركي - دفتر رقم (٢٠) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٣) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ١٢ رجب ١٢٣٨هـ . أنظر دفاتر المعية تركي ـ دفتر (١٤) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٤) من أمثلة ذلك رسالته بتاريخ ١٨ محرم ١٢٤١هـ . أنظر دفاتر المعية تركي ، دفتر (٢٢) .

(٥) من أمثلة ذالك رسالة سعيد بن مسلط إلى الشريف محمد بن عون شريف مكة . أنظر محافظ بحربرا ـ محفظة رقم (٦) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٦) لتفاصيل ذلك يمكن الرجوع إلى (محافظ عابدين، المحفظة ٢٣٧ صورة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٤٨هـ رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

(٧) كانت تكتب بحروف عربية ، وقد قام كمال أتاتورك بإلغائها واستبدالها بحروف لاتينية .

(٨) همايون : كلمة فارسية معناها الحرفي مبارك ، ويستخدم أيضاً بمعنى ملكي أو سلطاني أو امبراطوري . انظر : د. عبدالعزيز الشناوي : «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» جـ١ ص ٣٧٣ .

(٩) محفوظة بدار الوثائق القومية ـ سجلات عابدين ـ سجل ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(١٠) يمكن الرجوع لدار الوثائق القومية ـ دفتر رقم ١٩٠٧ ، أوامر عربي ص ٨١ مسلسل ٤١ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١١) دار الوثائق القومية ـ دفتر ٢٢ صادر عابدين ص ٢٥ مسلسل ٩ بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٢) يمكن الرجوع إلى سجلات عابدين ، سجل رقم ٢٤ الوثيقة ٤٠٢ بتاريخ ٩ محرم ١٢٨٤هـ .

(١٣) رسالة تاريخها ١٨ محرم ١٢٨٦هـ من الأمير محمد بن عايض إلى السلطان العثماني عبدالعزيز يشكو فيها من ظلم الولاة العثمانيين واستبدادهم .

(١٤) من أمثلة هذه الرسائل رسالة من الأمير محمد بن عائض إلى الخديوي بتاريخ ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ .

(١٥) إسماعيل سرهنك : «حقائق الأخبار عن دور البحار» جـ٢ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ١٣١٤هـ ص ٢٩٤ .

(١٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة : دفاتر الأوامر ، دفتر رقم ١٩٠٨ أوامر عربي ص ٨١ رقم ٤١ في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١٧) «المجلة التاريخية المصرية»: المجلد السابع ١٩٥٨ مقال للدكتور محمد السروجي تحت عنوان (موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة العربية) ص ٧٢ ـ ٧٤ .

(١٨) رسالة بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٩) دار الوثائق القومية ـ (سجلات عابدين) سجل رقم ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(٢٠) ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وتعلم في الأزهر بالقاهرة ، واستطاع بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك في منطقة المخلاف السليماني . لتفاصيل ذالك انظر د. عبدالمنعم الجميعي : «الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير» ١٣٢٦ ـ ١٣٤٩هـ القاهرة ١٩٨٧م ص ٩ ومابعدها .

(٢١) و(٢٢) هذا بيان للناس ص ٦ .

(٢٣) الجميعي : المرجع السابق ص ٢٢ .

مواضع سيناء في النصوص القديمة
وتحديدها في عصرنا

ـ ١ ـ

أمُّ الحَسَا :

ويقال أيضاً أم الحسن ، وهي موضع على ساحل سيناء الشمالي بين العريش شرقاً وبئر العبد غرباً ، ذكرها أبو المعالي الطالوي المتوفى سنة ١٠١٥هـ فقال :

وأغْدَى حِصَانِي قَطْعُها الْبِيْدَ فَانْثَنَى   يجوبُ الفَلا جَوْبَ النياقِ الرواسمِ
وأهْوَى لِبِئْرِ الْعَبْدِ غائِراً   لأُمِّ الحَسَا وَاللَّيْلُ وَحْفُ القوادمِ

وأسماها السيد كبريت المتوفى سنة ١٠٧٠هـ أم الحسن وقال :

ثُمَّ وَصَلْنا نَقْطَعُ القِفَارا   نَفِرُّ مِنْ طُولِ السُّرَى فِرَارا
حتى أَتَيْنَا بعد ذَا أُمَّ الحَسن   وقيل بَلْ أُمّ الأَسَا، يَاذَا المنن

أُمُّ الْعَرَبِ :

قال أبو عبيد البكريّ في الحديث عن الفرما : ويذكر أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام من قرية من قراها تُسَمَّى أم العرب ، وهي على مقربة منها .

قلت : هاجر هي زوج إبراهيم ﷺ وأم ولده إسماعيل ، وأم العرب قرية هاجر بلدة قديمة على ساحل البحر بين قَطْيَة والورَّادة وقوله : إنها من قرى الفَرَما يعني من قُرى كورة الفَرَما إحدى كُوَرِ مصر ، وقوله : إنها على مقربة منها غير صحيح ، بل إنها إلى الورَّادة أقرب ، وقد زعم محمد رمزي صاحب «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» أن أُمَّ الْعَرَب قرب الفَرَما كشأن البكري ، قال : وبالبحث عن موقع هذه القرية تبين لي أنها اندثرت وكانت واقعة في الجنوب الشرقي لأطلال مدينة الفرما على بعد أربعة كيلومترات منها .

قلت : وهو زَعْمٌ باطل فأُمُّ العَرَب على الساحل بين قَطْيَة والورَّادة ـ وليست

قرب الفرما ـ على بعد أربعة أكيال منها في الجنوب الشرقي ، ويستدل مما أورده المقريزي عن ابن خرداذبة (حوالي ٢٧٢هـ) أن المسافة بين أم العرب والفَرَما ٢٤ ميلاً أي نحو ٣٨ كيلاً .

قال المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في ذكر الطريق بين مدينة مِصْرَ ودمشق أن الدرب المسلوك من مصر إلى دمشق كان يسلك من بُلْبَيْس إلى الفَرَما في البلاد التي تُعرف اليوم ببلاد السِّباخ من الحَوف ، ويُسلَكُ من الفَرَما وهي بالقرب من قَطْيَة إلى أُمّ العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قَطْيَة والورّادة ، ويقصدها قوم من الناس ، ويحفرون في (كيمانها ؟) فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ، ويُسلك من أُمّ العَرَب إلى الورّادة .

وقال ابن إياس (ت حوالي ٩٢٩هـ) في الحديث عن طريق مصر إلى الشام أن الدرب كان من بلبيس إلى مدينة الفَرَما من أرض الحَوف ويُسلك من الفرما إلى قطيا ، ومن قطيا إلى أُمّ العَرَب وهي بلد خراب على شاطيء البحر المالح .

ووفقاً لابن خرداذبة فإنَّ أُمّ العَرَب تبعد عن بعض المواضع كما يلي :

(تبعد عن العريش غرباً ٣٨ ميلاً أي نحو ٦١ كيلاً) .
(تبعد عن الورّادة غرباً ٢٠ ميلاً أي نحو ٣٢ كيلاً) .
(تبعد عن الفرما شرقاً ٢٤ ميلاً أي نحو ٣٨,٥ كيلاً) .

ونستطيع القول باطمئنان أنَّ أم العرب تقع بنواحي بئر العبد الشرقية باتجاه العريش ، وبئر العبد تبعد عن العريش غرباً بنحو ٧٥ كيلاً على وجه التقريب .

بُراق ـ بُصاق ـ عَقَبَةَ أَيْلَة :

قال أبو عُبَيْدٍ البكريُّ : بُراق ـ بضم أوله لا تدخله الألف واللام ، ولا ينصرف : جبل بين أَيْلة والتِّيهِ ، وانظره في رسم بصاق ، والاختلاف فيه ، وقال في الحديث عن بُصاق ، بصاق : بضم أوله وبالقاف معرفة لا تدخله الألف واللام . . . وقال محمد بن حَبيب بُصاق : جبل بين أيلة والتِّيهِ وأنشد لِكُثَيِّر :

وَرَدْنَ بُصاقاً بعـد عشرين ليلةً وهُنَّ كَليـلاتُ العيـون ركـائِـكُ

ويشهد لك بصحة قول ابن حبيب قول الراعي :

ومـاءٍ تُصْبِـحُ الفَضَـلاتُ منه . كَرَيْتَ بُزَاقَ قَـدْ فَرَط ٱلْأُجُـوْنَا

والزيتون إنما هو بالشام لا بتهامة . هكذا ضبطه أبو حاتم عن شيوخه من العلماء بُزَاق ـ بالزاي ـ وهو بالصاد أعرف . وبُصَاق الإنسان بالصاد والزاي معروفان ، وقد رُوِيَتْ عن خالد بن كلثوم : كَرَيْتِ بُرَاق ـ بالراء المهملة ـ.

ثم قال في ذكر العَقَبَةِ التي بين أيلة والتِّيْه : ثم تسير من أيلة فتلقى العقبة التي لا يصعدها راكب لصعوبتها ولا تُقْطَعُ إلَّا في طول اليوم لطولها ، ثم تسير مرحلتين في فحص التيه . قلت : كل المعنى بما أورده البكري في هذه النصوص هو ذالك الجبل العظيم المشرف على بلدة العقبة والـمُرَشَّش (إيلات) من الغرب ، غربي رأس خليج العقبة الذي عُرِف في الرحلات الحجازية باسم عقبة أيلة ، ويعرف اليوم باسم جبل النَّقْب ، لوجود نقب للحاج فيه . وصفه ياقوت الحموي في رسم (بُسَاق) بأنه عقبة بين التية وأَيْلَة ، قال : وهو سطح عقبة أيلة ، وقال في رسم بصاق : بصاق جبل قرب أيلة فيه نقب . ووصفه نعُّوم بك شُقير الذي مَرَّ به إبَّان الأزمة الحدودية بين مصر والدولة العثمانية سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م فقال : نقب العقبة : وهو جبل عظيم يطل على رأس خليج العقبة وسفحه الشرقي على $\frac{٣}{٤}$ ٣ الميل من قلعة العقبة ، وله عدة قمم تدعى جبالاً أشهرها جبل الشُنانة وجبل أبو جِدّة ، وجبل الرَّدادي ، قال : ولقد كان هذا الجبل عَقَبَةً عظيمة في طريق الحج المصري فنقبت حكومة مصر فيه طريقاً منذ عهد بعيد فسمي نقب العقبة ، وقد دخل معظمه في حد تركيا ، وأضاف يقول : في موضع آخر من كتابه «تاريخ سيناء» : أما نقب العقبة فهو الطريق الذي مهده ملوك مصر للحج المصري في ذالك الجبل العظيم المطل على مدينة العقبة من الغرب ، وقد يطلق النقب على الجبل كله ، ومسافة هذه الطريق من المرشَّش في أسفل النقب إلى المفرق في رأسه ٣ ساعات إلَّا ربع بسير الهجن النشيطة ، وهي طريق متعرجة منحدرة جدًّا حتى أنَّ رأسها عند المفرق يعلو ٦٢٠ متراً عن أسفلها عند المرشش : تسير الطريق مُصْعِدَةً في وادي المعسرات إلى رأسه عند قبر المغربية

ساعة وربع ساعة فتأتي وادي المصري . تصعد بهذا الوادي إلى قنطرة عليه نصف ساعة فمقعد الباشا ثلث ساعة ، وهذا خرائب مقعد للباشا الذي تولى تمهيد الطريق ، وُجِدَ فيها حجر تاريخي قد تكسر قطعاً هذه قراءته : أمر بقطع هذا الطريق المبارك السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عزّ نصره ، وكان الواقف في هذا المكان الأمير . . . خان تاسع عشر .

وقد رأى بعض الضباط هنا قطعة حجر من الرخام عليها كتابة هاتين الكلمتين ، السلطان مراد ، فرجم الدرك على ثلث ساعة من مقعد الباشا ، وهو حجر تاريخي منقوش عليه هكذا (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإصلاح هذه الأماكن مولانا السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد قلاوون ، وذالك في شهر رجب سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م) سمي هذا الحجر برجم الدرك لأنه كان مبدأ درك العلويين الحويطات . تذهب الطريق من هذا الرجم بوادي القُرَيْقِرة وهو فرع من وادي طابا إلى جبل الـمَسانّ ، فللفرق ثلث ساعة ، أما الـمَسَانُّ فجبلٌ صغيرٌ في سطح النقب فيه نباتات طحلية متحجرة ، وحجارته رملية تُستخدم مَسَانٌّ ، ومن ذالك اسمه وفي هذا النقب عدة قمم كل قمة منها جبل عظيم معروف باسمه وأهمها : جبل الشنانة ، عند رجم الدرك ، وقد سماه مندوبو الحدود سنة ١٩٠٦م ، جبل رشدي باشا على اسم قومندان العقبة في ذالك العهد والحدود بالعقبة . وجبل أبو جِدّة ، بين الشنانة والمفرق ، وقد سمي بجبل فتحي باشا ودخل في حدّ مصر ، وجبل الرِّدادي المار ذكره وهو يحجبها عن سطح النقب ، أما سطح النقب أو رأس النقب فهو القسم الأعلى من النقب بين رجم الدرك والمفرق .

عقبـة أيْلَـة : هي الجبل المعروف بجبل النقب ورأس النقب غربي رأس خليج العقبة غرباً في سيناء ويعرف أعلى العقبة بسطح العقبة : قال الجزيري :

وبَعْد ذَا عُرْقوبُ رِجْلِ البَغْلةِ ... من بعدها تـأتي الجفارات التي
تُعْـرَف أخـراهـا بسـطح أيْلَهْ ... يبيت فيهـا الـركبُ فَـرْدَ لَيْلَهْ
وإنْ نـزلتَ يـا أخي للعقبـةْ ... فـلا تسر بغـير مـاء تشربـهْ

في زمن القيظ وفي الصَّحْوِيَّهْ   فإنها أَخْبَارُها مرويَّهْ
فدربها صعْبٌ على الجمالِ   فيه النِّسا تمشي مع الرِّجالِ
وادٍ بها فأرضه بعيدهْ   والخلق في أجنابها ممدودهْ
وكل إنسانٍ غدا يقولُ   من المسير : مَضَّنِي النحولُ
يقسم من غدت قواه تَعِبَهْ   تالله ما أطولها من سَلَبَه
وذا يقول : ليتني لم أولَدْ   وذا يظنُّ أنَّ فيها يُخْلَدْ
وذا يقول : ليس منها طالع   كأنَّ فيها النار والمقامع
فهي إذَنْ تشبه يوم الحشر   والناس من أهوالها في ذُعْرِ
مافي طريق الحجِّ قطُّ مثلها   وليس في الدنيا شبيه شكلها
منزلةٌ مضبوطةٌ أيّامها   لاتختلف قطّ على أعوامها(؟)

وقال بدر الدين بن جماعة :

وفي السَّطح أمستْ واستقرت هُنَيْهَةً   وفي أيلة الفيحاء كان ضحاها

وقال الشيخ عبدالغني النابلسي :

من مصر نحو الحجاز منزلةٌ   عند اسمها السطح نشأة الشطح؟
ولم نر البَرْدَ في الشتاء بها   مع نومنا فوقها على السطح

وقال :

طريق الحجّ من مصر   يقاسي أهلُه تَعَبَهْ
أتينا عقبةً فيه   كُؤُوْداً فكَّت الرَّقبهْ
وتلك مسافةٌ طالت   بها الأحوال مضطربة
جبالٌ ثمّ أوديةٌ   بها الأحجار منقلبة
فكنّا عندها نقرأ   ﴿وما أدراك ما العقبة﴾

وقال شاعر :

عقبات تسلك الناس بها   بقلوب لم تزل مرتعبه

قد قطعناها بوقت هَيِّنٍ لم نَرَ فيها أموراً متعبة
نحمد الله الذي خلّصنا وأرحنا من عقاب العقبة

وقال :

بطريق أَيْلَة أجبل وعقاب لا يُرْتَجى فيها النجاة عطاب
فكأنما الماشي عليها مذنب وكأنما تلك العقاب عقاب

وقال :

سلكنا عقاباً في طريق كأنّها صياصِي دُيُوكٍ أو أَكُفٌ عقاب
وماذاك إلّا أن ذنبي أحاط بي فكان عقابي في سلوك عقاب

وقال آخر :

كم قد فككنا رقبه لما اقتحمنا العقبة
وكم لنا من أمنيه في حجنا مرتقبة

وقال المنالي الزبادي :

وانزل بسطح واستعدّ لبرده فالضرُّ يدنيه لنا الإجبار
وإذا سلكت عقاب أيلة سالمًا وأتيت بندرها فَثَمَّ مزار

وقال الشهاب بن أبي حجلة :

حَبَالِصَةُ الحُجّاج زادوا بأَيْلَة فكم ضيّقوا صدراً بها في المضايقِ
وكم حلقوا فيها الذقون لأنهم يجيؤون فيها الناس من كل حَالِقِ

وقال :

إذا لاح لي من سفح أَيْلَةَ بحْرُها غدوت ولي من دمع عيني أَبْحُرُ
وكم سائر مثلي يهيم صبابة يقود بها الجمّال والدمع يقطر

وقال أبو عبدالله الفيّوميّ :

يقاسي ركبنا نصبه وسال القلب ما طلبه

وأطلقنا من العقبة ﴿وما أدراك ما العقبة﴾

بُصاق : ويدعى بُساق وبُزاق وهي أسماء لعقبة أَيْلَة غربي رأس خليج العقبة التي أصبحت تعرف باسم النقب ، قال كُثَيِّر عزّة المتوفى سنة (١٠٥هـ) :

ورِدنَ بصاقاً بعد عشرين ليلةٍ وهُنَّ كَليلاتُ العيونِ ركائكُ

وقال :

فيا طولَ ماشوقي إذا حالَ بيننا بُصاقٌ ومن أعلام صِنْدِدَ مَنْكِبُ
كأنْ لم يُؤالِفْ حجُّ عَزَّةَ حَجَّنا ولم يَلْقَ رَكْباً بالمحصَّبِ أركُبُ

وقال الراعي :

وماءٌ تصبحُ الفضلاتُ منه كزيتِ بُزَاق قد فَرَطَ الأجونا

وقال نصيب :

ملكت بُساقًا والبِطاحَ فلم تَرِمْ بطاحك لمّا أنْ حَمَيْتَ ذماركا
فساء الأُولَى وَلَّوا عَنِ الأمر بَعْدَما أَرَادُوا عليه فاعلمَنْ اقتساركا

البُضَيْــع :

يعرف باسم جبل بُضيع إلى الجنوب الغربي من نخل في غربي بلاد التيه قال كثّير عزّة :

إليكَ ابن مَرْوَانَ الأَغَرِّ تَكَلَّفَتْ مَسَافَةَ مابين البُضَيْعِ فَيَلْيَلِ

البَقَّــارة :

قال اليعقوبي في الحديث عن الطريق بين الشام ومصر : ومن العريش إلى قرية يقال لها البقّارة ومنها إلى قرية يقال لها الْوَرَّادة .

قلت : وفي هذا النص شيء من الخلط ذالك أن البقارة تقع بعد الورادة باتجاه مصر بين الورادة والعريش ، وصواب النص : ومن العريش إلى قرية يقال لها الورّادة في حبال من رمال ومنها إلى قرية يقال لها البقارة ثم إلى الفَرَما ، وكي

لا يظن البعض أن هذا تصحيف أو خطأ في الطبعة التي اعتمدت عليها وهي الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٣٧٧هـ الموافقة لعام ١٩٥٧م ، فإننا نقول إن النص ذاته قد ورد في كتاب «تاريخ سيناء» لنعوم بك شقير الصادر عام ١٩١٦م وقد فات نعوم بك شقير التنبه لهذا الخطأ الذي يتعارض مع مايذكره الجغرافيون العرب كالمقدسي (ت ٣٩٠هـ) والحميري (ت ٧٢٧هـ) وابن حوقل (ت حوالي ٣٦٧هـ) والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) ويعود الحديث إلى نص اليعقوبي بعد تصحيحه الذي يفيد أن البقّارة محطة قديمة من محطات درب الشام إلى مصر وفيها عمارة بقدر قرية . وقد حاول الدكتور عباس مصطفى عمار أنْ يحددها فقال : . . . يقابلنا على مقربة من محطة مستبق الحالية القريبة من بئر العبد شِبْهُ تَلّ يلاصق الدرب إلى يساره تقوم عليه بقايا جدران من الحجر وربما كانت هذه هي بقايا محطة البقّارة والمستبق هذه بقرب المزار غرباً ، إلّا أننا نختلف مع الدكتور عباس مصطفى عمار في تحديده ، فلا نعتقد أن البقّارة بهذا الموضع فالورادة ـ كما سيجيء ـ كانت تقوم على موضع بئر المزار فيما تقع البقّارة في منتصف المسافة بين الورّادة والفَرَما ، فابن حوقل يذكر أن المسافة بين الورادة والبقّارة بقدر مرحلة وبين البقّارة والفَرَما بقدر مرحلة أيضاً . كما أن البقارة تقع إلى الداخل عن ساحل البحر في طريق الرمل في الجفار ، وهو ما يكاد ينطبق على بئر العبد الواقع في منتصف المسافة بين العريش والقنطرة ، فهو على بعد ٨٠ كيلاً عن العريش شرقاً و ٨٠ كيلاً عن القنطرة شرق، غرباً . ذكره نعوم بك شقير فقال في ذكر الطريق بين القنطرة شرق والعريش : . . . فبئر العبد ساعة وهي مبنية بالحجر المنحوت والاسمنت قيل بناها إبراهيم باشا في أثناء حملته على سوريا ثم رُمِّمت في عهد سمو الخديوي الحالي وماؤها مسوس . وجاء له ذكر قديم في شعر أبي المعالي الطالوي (ت ١٠١٥هـ) قال :

تـرفَّع عن بئـر الدُّوَيْـدار قدره ... وخـلّفهـا مـطروقـة لـلسـوائم
وأهوى لبئر العبد كالنّجم غائراً ... لِأُمِّ الحسا والليل وَحْفُ القوادم
وقـابله رمـل العـريش فعـاقـه ... عن السير إذا خانته إحدى القوائم

وذكرها السيد محمد كبريت (ت ١٠٧٠هـ) في شعره فقال :

ثم أتينا بعدُ بئر العبد   في سفح وادٍ ماله من وفد
وماؤه مرٌّ زعاقٌ مالح   ولم يكن فيه هواء صالح

وجاء في رحلة الشيخ عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣) في ذكرها : وصلنا في نصف الليل إلى بير العبد وهي منزلة من منازل القافلة .

إننا نميل إلى القول بأن موقع البقارة كان يقوم في منطقة بئر العبد لأسباب عدة وهي :

١ ــ أن بئر العبد تكاد تقع في منتصف المسافة بين موقع الورّادة (المزار) والفرما وهو ماينطبق مع ماذكره المقدسي عن البقارة .
٢ ــ إن بئر العبد من محطات درب الجفار في الرمل إلى الداخل عن الساحل شأنها في ذالك كشأن البقّارة .
٣ ــ إن اسم بئر العبد أخذ اسم البقارة بعد اندثارها فآخر العهد بالبقّارة ذكرها في خطط المقريزي (ت ٨٤٥هـ) حسبما توفر لدي من معلومات فيما ذكر بئر العبد في القرن التالي لعهد المقريزي ـ حسب معلوماتي المتوفرة ـ كما مَرَّ في شعر أبي المعالي الطالوي .

هذا ما توفّر للباحث عن البقّارة وعلاقتها ببئر العبد وقد نعود إليها في مناسبة أخرى .

بئــر الدُّوَيْــدار :

موضع بين قَطْيَة وبئر العبد في شمال غرب سيناء ، ذكره أبو المعالي الطالوي فقال :

وأعْدى حصاني قطعها البيد فانثنى   يجوب الفَلا جوب النِّياق الرَّواسم
ترفَّعَ عن بئر الدُّوَيْدار قدْرهُ   وخلَّفها مَطْرُوقةً للسوائم

وقال السيد محمد كبريت :

ثم الحسا بئر الدويدار الرَّدِي جئنـا وما أَقْبَحَـه من مـوردِ

بئـر الصعاليـك : موضع على درب الحاج بين نخل ورأس النقب في وسط سيناء شرقي التيه ذكره المنالي الزبادي المتوفى سنة ١١٦٣هـ :

وأبـردْ غليلاً في النُّخَيْـل بِبَنْدَرٍ بير الصعالـك بعد ذاك وجـار

بئـر العبـد : قرية معروفة على ٨٠ كيلاً غربي العريش في شمال سيناء ذكره أبو المعالي الطالوي فقال :

وأهـوى لبئر العَبْـدِ كـالنجم غـائِـراً لأُمّ الحسـا والليـل وَحْفُ القـوادم

وقال السيد محمد كبريت :

ثم أتينـا بعـد بئـر العبـد في سفـح وادٍ مالـه من وفـد
ومـاؤه مُـرٌّ زُعـاقٌ مـالـحُ ولم يكن فيـه هـواءٌ صـالـحُ

تــــاران : قال الأصطخريُّ في الحديث عن بحر القلزم : حتى ينتهي على تاران وجبيلات وماحاذى جبل الطور إلى أيْلَة .

قلت : هي جزيرة تيران ، وهي من الجزر الحجازية ، تنازلت عنها المملكة العربية السعودية لمصر لإغلاق مضايق تيران أمام الملاحة اليهودية . ذكرها البلادي ونقل ماكتبه ياقوت الحموي كاملاً بالحرف دون أن ينسب النص المنقول إليه من كتابه «معجم البلدان»، وقال البلادي بعد إيراده لنص ياقوت : تاران : تعرف اليوم باسم تيران جزيرة على مدخل خليج العقبة تشبه الباب في مضيق يعرف بها . مضيق تيران والجزيرة تراها من الشيخ حُمَيْدٍ رأي العين . ظلت حجازية سعودية حتى تَمَّ التنازل عنها سنة ١٣٧٤هـ لمصر وذالك بزعم جمال عبدالناصر أنه سيغلق هذا المضيق في وجه الملاحة اليهودية إذ أنها تجعل مرور السفن بين أرضين مصريتين ولكن لم يحدث ذالك ثم احتلها اليهود سنة ١٣٨٧هـ ـ وقد زعم البلادي أن اسمها ثيران بالثاء المثلثة ، والصواب : أنها تيران بالتاء المثناة ، هكذا ذكرها القدماء وهكذا نعرفها في زماننا هذا غير أن السكان حولوا

ثانيه من ألف إلى ياء كشأن فاران التي أصبحت تعرف باسم فيران ، وقد انسحب اليهود منها في سنة ١٤٠٢هـ عند انسحابهم من سيناء .

ثـــــارات : قال القزويني في الحديث عن جزائر بحر القلزم : منها جزيرة ثارات وهي قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو جدّان ، معاشهم السمك ، وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، وبيوتهم السفن المكسرة ، يسألون الماء والخبز ممن يمرّ بهم في الدهر الطويل ، وعندهم دوّارة ماء في سفح جبل إذا وقع الريح على دورته انقسمت إلى قسمين ، وتلقي المركب بين شعبتين متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع في تلك الدورة باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم ، ومقدار طوله ستة أميال قيل هذا الموضع الذي غرق فيه فرعون بجنوده لعنه الله .

قلت : القلزم هو البحر الأحمر ، وثارات صوابه تاران أوله تاء وآخره نون التي تعرف في زماننا هذا باسم تيران حول السكان ثانيه من ألف إلى ياء شأنها في هذا كشأن فاران التي تعرف اليوم باسم فيران وهي ليست قريبة من أُيْلَة التي عرفت باسم العقبة فبينهما خليج العقبة بطوله البالغ نحو ١٦٠ كيلاً ولكنها غير بعيدة عن بلدة مَقْنَا الحجازية ، شرقي خليج العقبة . وإلى الشمال الغربي من تيران جبل الطور في جنوب سيناء . وبنو جدان قد يكونون من بطون بني لخم القحطانية التي قطنت فروع منها شمالي سيناء ، ومن المحتمل أن فروعاً من بني لخم سكنت جنوب سيناء وتيران ، فمن بطون بني لخم بنو جدان ذكرهم الحمداني قال القلقشندي بنو جدان بطن من لخم من القحطانية ذكرهم الحمداني وقال : منازلهم بالبر الشرقي من صعيد مصر من دير الجميزة ، وقال وهم أربعة أصول : بنو علي ، وبنو سالم ، وبنو مدلج وبنو رعيش ، وقد ذكر ابن حزم أن ديار لخم حوالي العريش ، وتيران الموضع ليس الذي غرق فيه فرعون بل انه غرق في بحر فاران أي خليج السويس ، وهو ما يوافق العقل والنقل ، وقد كانت تِيْرَان قديماً من معاقل العرب واليهود والروم وعن تاريخها القديم تحدث مصطفى مراد الدباغ فقال وهو يذكر حوادث فلسطين في عهد الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ،

قـال : أقرّ الامبراطور ليون الأول (٤٥٧ ـ ٤٧٤م) امرئ القيس شيخ دومة الجندل وأطرافها بعد تنصره على حكم النواحي التي كان قد استولى عليها في فلسطين الثالثة وعلى غيرها من الأراضي التي حصل عليها ومن جملتها جزيرة تيران وكانت هذه الجزيرة تعرف باسم (أيوتابا) ، وكان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة إلى المناطق الحارة أو الآتية منها فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً فلما استولى امرؤ القيس على تلك الجزيرة صار يجبيها لنفسه حتى صار غنياً جدًا إلاَّ أن الروم عادوا واستولوا على أملاك هذا الشيخ بسبب النزاع الذي وقع بين أولاده وورثته بعد وفاته . وتيران دعيت بذالك نسبة إلى نوع من طيور البحر أو عجل البحر والرأس الذي يمتـد من البر قريباً منها يعرف باسم رأس القصبة ، وكانت إدارياً تابعة لفلسطين الثالثة ، وكان سكان تيران من اليهود ، ولربما استفادوا من النزاع الذي وقع بين أولاد امرئ القيس ، فأخذوا يستولون على الأرباح التجارية لأنفسهم ، ثم استفادوا من موقعهم الجغرافي لبعده عن سلطة الحكومة فأعلنوا استقلالهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يظلوا مستقلين مدة طويلة حيث تمكن الروم في عام ٤٩٠م من التغلب على الجزيرة وإعادة حكمهم إليها وأضحت المكوس تجبى لحساب الامبراطور البيزنطي وحينما احتلت قوات اليهود هذه الجزيرة إبَّان الغزو الانجليزي الفرنسي اليهودي على مصر عام ١٩٥٦ ، قال ابن غوريون رئيس وزراء السلطات اليهودية : إننا نريد تيران لأنها كانت مركز دولة عبرية قديمة انتهى أمرها قبل ألف وأربع مئة عام .

وتبعد جزيرة تيران عن ساحل سيناء حوالي ستة أكيال وطولها نحو ١١ كيلاً وعرضها نحو ٨ أكيال وفي كتاب «تاريخ سيناء» ذكر نعوم بك شقير : إنها قفر بلقع ، وقال : إنها تجاه رأس محمد بينهما مضيق حرج لمرور المراكب ، وقد تحدث عنها صاحبا كتاب «سيناء الموقع والتاريخ» فقالا : جزيرة تيران تبلغ مساحتها نحو ٦١ كيلاً مربع ومن أهم الجبال جبل تيران (٥٢٦م) أعلى قمة في الجزيرة ، وجبل المذبح (٢٥٣م) ويقع غربي الجزيرة وجبل القرين الغربي (١٠٧م) وجبل القرين الشرقي (١٨٠م) وهو في أقصى الجنوب الشرقي للجزيرة ، وبالجزيرة بعض مجاري المياه الصغيرة ، من أهمها وادي الشمايل الذي يتجه إلى الشمال الشرقي

ووادي لصقة الذي يتجه إلى الجنوب ، ويحيط بالجزيرة مجموعة من المراسي والخلجان أهمها مرسى القرين في الجنوب ، ويليه غرباً مرسى لصقة والخشخاشة والطير والمذج ، وأضافا يقولان : جزيرة تيران في وسط مدخل الخليج وتشكل الجانب الشرقي لمضيق تيران ويبلغ ارتفاع قمة الجزيرة ١٧١٩ قدماً ، أما بقية الجزيرة فهو عبارة عن سهل رملي منخفض ترتفع عليه التلال في بعض الأماكن ، وعلى الجانب الغربي الجزيرة شكلان واضحان ارتفاعهما (١٥٣ قدماً و ٣١٠ أقدام) وهما على بعد من ١,٥ إلى ميلين إلى الجنوب والجنوب الشرقي من نقطة (جونسون) التي تعتبر أقصى طرفها الشمالي الغربي ، والطرف الشمالي للجزيرة عبارة عن شبه جزيرة تتصل بالجزء الرئيسي ببرزخ على الجانب الشرقي منه خليج (فول) ويتميز الطرف الجنوبي الغربي لجزيرة تيران بأنه منحدر صخري تحوطه سلسلة مرجانية ، وتتميز نقطة (جونسون) التي تتكون من الرمال والمرجان بأنها منخفضة ومسطحة وهناك حجر أبيض صغير غير واضح على بعد ١,٥ من الفولاج - مقياس بحري - جنوب هذه النقطة وهناك شاطئان رمليان صغيران يظهران بوضوح من الجنوب الغربي بالقرب من جنوبي نقطة (جونسون) ويعتبران مكاناً صالحاً للإنزال ، أما بقية هذه المنطقة فهي منخفضة وبها صخور مرجانية منحدرة ، ويحد الجزء الشمالي لجزيرة تيران سلسلة صخرية تمتد مسافة ميل إلى الشمال الغربي و ٢,٢٥ من الميل شمالاً و ١,٧٥ من الميل إلى الشمال الشرقي وثلاثة أميال إلى الشرق ، ويحد الجانب الشرقي للجزيرة سلسلة صخرية ، غير أن الجانب الجنوبي شديد الانحدار ، وفيها بين نقطة (شامبلين) وهي الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة وبين نقطة العرب على بعد ١,٢٥ من الميل إلى الشمال الغربي ومنها إلى صخور النسر على بعد ميل إلى الشمال الغربي . يتميز الساحل بأنه رملي منحدر وصخور النسر التي على بعد ١,٥ من الفولاج من الشاطيء والتي تبعد عنها جزيرة (بليت) بمسافة ٤ فولاجات شمالاً ، وجزيرة (ركوين) التي تبعد عنها ٤ فولاجّات إلى الشمال وهذه الصخور منخفضة ومحددة (واضحة المعالم) ومرجانية وهناك سلسلة مرجانية يبلغ عمقها قدم واحدة على الأقل على بعد ٠,٥ من الفولاج شرقي نقطة (شامبلين) كما أن هناك عدة أغْوَار منفصلة يتراوح عمقها

مابين ١,٥ إلى ٤,٧٥ من القامة على بعد ميلين من الجانب الجنوبي الشرقي لجزيرة تيران . وهناك سلسلة صخور (جوردون) في الممر الرئيسي لمضيق تيران . أما صخور (توماس وودهاوس) جاكسون ، وهي بالقرب من الجنوب ، فهي تظهر على سطح المياه الذي ينخفض مستواه في فصل الصيف ، وبذالك تجف مساحات كبيرة منها وتتميز سلسلة جوردون عند طرفها الجنوبي الغربي بوجود شمندورة مكونة من قوائم حديدية يبلغ ارتفاعها ٢٦ قدماً مطلية باللون الأسود وكان يعلوها مثلث على الطرف الشمالي الغربي لهذه السلسلة ، ويقال : إنه من الصعب تمييز هذه الشمندورة بسبب ارتفاع الأرض خلفها ، وجزيرة تيران موضع حجازي يتبع للمملكة العربية السعودية ، وفي سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م تنازلت عنها المملكة العربية السعودية لمصر في سبيل إغلاق مضايق تيران أمام الملاحة اليهودية ، وفي عام ١٩٥٦م قامت قوات اليهود باحتلالها إبان العدوان الثلاثي على مصر ، إلاَّ أن اليهود انسحبوا منها ثم عادوا واحتلوها في عام ١٩٦٧م ثم انسحبوا منها مرة أخرى وأخيرة عام ١٩٨٢م عند انسحابهم من سيناء وهي بيد مصر حتى يومنا هذا .

التِّيـــــــهُ : قال الاصطخري وهو يحدد مصر : . . . فَإِنَّ لها حدًّا يأخذ من بحر الرُّوم . . . ثم يمتدّ على بحر القلزم ويجاور القلزم على البحر إلى طور سيناء ويعطف على تيه بني إسرائيل ويمتد حتى ينتهي على بحر الروم ، خلف رفح والعريش . وقال في ذكر المسافات بين مواضع مصر : ومن القلزم على ساحل البحر إلى أن ينعطف على التيه ست مراحل ، ومن حد البحر على حد التيه إلى أن يتصل ببحر الروم نحو ثمانية مراحل . وقال في الحديث عن الجفار : ويتصل حد الجفار ببحر الروم ، وحد بالتيه ، وقال يذكر التيه : وأما تيه بني إسرائيل فيقال إن طوله نحو من أربعين فرسخاً وعرضه قريب من طوله وهي أرض فيها رمال وأرض صلبة وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة يتصل حد له بالجفار ، وحد بجبل طور سيناء وما اتصل به ، وحد بإزاء بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين ، وحد له ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم .

قلت : التّيه هو وسط سيناء يحدُّهُ من الشمال بلاد العريش ـ الجفار قديماً ـ ومن الجنوب بلاد الطور ومن الغرب قناة وخليج السويس ومن الشرق خليج العقبة والحدود بين الديار المصرية والديار الشامية (فلسطين) تحدث عنها نعوم بك شقير فقال : وأما بلاد التيه وتعرف أيضاً ببرية التيه فهي سهل عظيم مقفر جامد التربة يتخلله بعض الجبال وتغطيه طبقة رقيقة من فتات الصوان مساحته نحو عشرة آلاف ميل مربع وعلوه نحو ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر . ويخترقه من الجنوب إلى الشمال وادي العريش العظيم وفروعه ، وفي وسطه بلدة نخل الشهيرة قال : ويفصل بين بلاد التيه وبلاد الطور سلسلة عظيمة من الجبال تعرف بجبال التيه تمتد من تجاه السويس إلى تجاه العقبة في شكل قوس عظيمة . . . إلى الجنوب والمشهور انها البلاد التي تاه فيها بنو إسرائيل ، ومن ذالك اسمها ، وقد سألت بعض مشايخها عن سبب تسمية بلادهم بالتيه فقالوا : خرج سيدنا موسى من جبل الطور ومعه أربعون نبيًّا قاصدين القدس الشريف فلما دخلوا اختلفوا في الطريق الموصل إلى القدس فذهب موسى في طريق أوصلته إليها في بضعة أيام ، وذهب الأربعون نبيًّا في طريق أخرى فدخلوا برية التيه ، وتاهوا فيها أربعين سنة فسميت بالتيه ، وهذه القصة محرفة عن تيه بني إسرائيل التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم ، وقال نعوم بك شقير أيضاً : ويسمي أهل سيناء بلاد التيه الجامدة التربة بأرض الجلد وبلاد العريش الرملية بأرض الدمث على أن القسم الغربي من بلاد التيه رملي كبلاد العريش ، وتنقسم بلاد التيه اليوم بين محافظة شمال سيناء وعاصمتها العريش ومحافظة جنوب سيناء وعاصمتها الطور .

وقال القزويني : التيه هو الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً لما امتنعوا من دخول الأرض المقدسة ، حبسهم الله تعالى في هذا التيه أربعين سنة ، كانوا يسيرون في طول نهارهم فإذا انتهى النهار نزلوا بالموضع الذي رحلوا عنه ، وكان مأكولهم المنّ والسلوى ، ومشروبهم من ماء الحجر الذي كان مع موسى عليه السلام ينفجر منه اثنتا عشر عيناً على عدد الأسباط كل سبط يأخذ منه ساقية ، ويبعث الله تعالى سحابة تظللهم بالنهار وعموداً من النور يستضيؤون

به بالليل ، هذا نعمة الله تعالى عليهم وهم عصاة مسخوطون ، قيل لما خرج بنو إسرائيل من مصر عازمين الأرض المقدسة كانوا ست مئة ألف وماكان فيهم من عمره فوق الستين ولا دون العشرين فمات كلهم في أربعين سنة ولم يخرج ممن دخل مع موسى إلاّ يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنّا ، وهما الرجلان اللذان كانا يقولان ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ فدخل يوشع عليه السلام بعقبهم وفتح أرض الشام . قلت : السراة صوابه الشراة - بالشين المعجمة - والمنُّ غذاء من الله تعالى لبني إسرائيل ، قال في «لسان العرب» ذكر الجوهري : المن كالطَّرنجبين ، وفي الحديث الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين . ابن سيده : المنُّ طَلٌّ ينزل من السماء ، وقيل : هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى ﴾ قال الليث : المنّ كان يسقط على بني إسرائيل من السماء إذ هم في التيه ، وكان كالعسل الخامس حلاوة ، وقال الزجاج : جملة المنّ في اللغة ما يمنّ الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نَصَب ، قال : وأهل التفسير يقولون : إن المنّ شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب ويقال إنه التَّرَنْجَبين وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم : « الكمأة من المنّ » إنما شبهها بالمن الذي كان يسقط على بني إسرائيل لأنه كان ينزل عليهم من السماء عفواً بلا علاج . إنما يصبحون وهم بأمنيتهم فيتناولونه وكذالك الكمأة لا مؤونة فيها ببذر ولا سقي ، وقيل : أي هي مما مَنَّ الله به على عباده ، قال أبو منصور : فالمن الذي يسقط من السماء ، أما السلوى فهو مما أنزله الله تعالى غذاء لبني إسرائيل ، قال في «لسان العرب» وفي التنزيل العزيز : ﴿ وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى ﴾ ، السلوى : طائر وقيل طائر أبيض مثل السُّمَانَى واحدته سلواة ، قال الشاعر :

كما انْتَفَضَ السَّلْواةُ من بَلَلِ القَطْرِ

قال الأخفش : لم أسمع له بواحد قال وهو شبيه أن يكون واحدة سلوى مثل جماعته كما قالوا دِفلى للواحد والجماعة ، وفي «التهذيب» : السلوى طائر وهو في غير القرآن العسل ، قال أبو بكر : قال المفسرون : الـمَنُّ التَّرَنْجَبين والسلوى السُّمانَى ، قال : والسلوى عند العرب العسل وأنشد :

لو أُطْعِمُوا السَمَنَّ والسَّلْوى مكانَهُم   ما أَبْصرَ النَاسُ طُعْماً فيهِمُ نَجَعا

قال : والسلوى العسل قال خالد بن زهير :

وقـاسَمَهـا بـالله جَهْـداً لأَنْتُمُ   أَلَذُّ من السَّلْوَى إذَا مَا نَشُورُهَا

أي نأخذها من خَلِيَّتِها يعني العسل قال الزجاج : أخطأ خالد إنما السلوى طائر ، قال الفارسي : السلوى كل ماسلاك ، وقيل العسل سلوى لأنه يسليك بحلاوته عن غيره مما تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة يرد بذالك على أبي إسحاق ، والسبط الجماعة أو القبيلة . وقصة بني إسرائيل في التيه ذكرها الله تعالى في كتابه في آيات كثيرة والتيه اليوم هو القسم الأوسط من سيناء يحده شمالاً الجفار الذي عرف باسم بلاد العريش ، ويحده من الجنوب بلاد الطور ، ومن الغرب قناة السويس وخليج السويس ومن الشرق خليج العقبة وحدود مصر مع فلسطين . وقد ذكر التيه الزمخشري (ت ٥٣٨) فقال : التيه الذي بين مصر والشام اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ ، والصحيح أنه أربعون فرسخاً في مثلها كما ذكره القزويني وغيره وهو مايقارب واقع المسافات في زماننا هذا . قال أبو عبيد البكري في ذكر التيه : ثم تسير مرحلتين في فحص التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل حتى توافي ساحل البحر بموضع يقال له بحر فاران ، وقال التيه : مقدار أربعين فرسخاً في مثلها ، وقيل انه تسع فراسخ في مثلها وأول حده مابين قبر أبي حميد وبطن نجد وفيه مات موسى وهارون عليهما السلام .

قلت : هو تيه بني إسرائيل الذي ورد في كتاب الله تعالى أنهم تاهوا فيه أربعين سنة وقوله فحص التيه أي مابسط وكشف من نواحيه ، والفحص : الأرض المنبسطة المستوية ، قال في «لسان العرب» في رسم (فحص) وفي حديث كعب : إن الله بارك في الشام وخص بالتقديس من فحص الأردن إلى رفح ، الأردن : النهر المعروف تحت طبرية ، وفحصه مابسط منه وكشف من نواحيه ، ورفح قرية معروفة هناك ، قال الفحص البسط والكشف ، وقال والفحص : ما استوى من الأرض والجمع فحوص ، قلت : لم يصب البكريُّ في تحديد التيه فزعمه ـ أن أول حدّ مابين قبر أبي حميد وهو عنده القباب وبطن نجد وهي نخل ـ جانب

الصواب ، فالقباب موضع في وادي الحاج غربي بلاد التيه ، أما نخل ففي وسط بلاد التيه ، والتيه يمتد من جبال الشراة شرقاً وحتى خليج السويس غرباً ، قال ياقوت الحموي وهو يحدد بلاد التيه تحديداً موفقاً صائباً : يتصل حد من حدودها بالجفار ، وحد بجبل طور سيناء ، وحد بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين ، وحد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم ، ولايزال الأحيوات وغيرهم من القبائل يعتبرون جبال الشراة هي الحدود الشرقية للتيه ، ويحددون كل من تجاوز وادي عربة غرباً قد دخل في التيه ، ووادي عربة وادٍ غربي جبال الشراة التي تفيض سيولها إليه ، والتيه في أيامنا هذه هو القسم الأوسط من سيناء يحده شمالاً بلاد العريش وتحده جنوبياً بلاد الطور ، وقد ذكر البكري في موضع آخر حول التيه قولاً يقارب ماذكره غيره من الجغرافيين بشأن تحديد التيه ، قال : ثم تسير من أيْلَة فتلقى العقبة التي لا يصعدها راكب لصعوبتها ولا تقطع إلاّ في طول اليوم لطولها ، ثم تسير مرحلتين في فحص التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل حتى توافي ساحل البحر بموضع يقال له بحر فاران ، أي أن حدود التيه تمتد من عقب أيلة شرقاً حتى بحر فاران إلى خليج السويس غرباً ، وهو قريب مما ذكره غيره من الجغرافيين والعُلَماءِ كأبي الفداء صاحب «تقويم البلدان» والاصطخري وياقوت الحموي والقزويني وابن دقماق وغيرهم .

التّيه : هو القسم الأوسط من سيناء وله ذكر كثير ، قال المتنبي عندما هرب من مصر سنة ٣٥١هـ :

ضربتُ بها التّيه ضرب القِمَا ... رِ إمّـا لهـذا وإمّـا لـذا

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة :

رعى الله ظَبْياً بالصريْم إذَا بَدَتْ ... حُشَاشَةُ قَلْبِي الْمُسْتَهام رَعاها
إذا مـابَـدَا والتّيـهُ بَيْني وَبَيْنَـهُ ... تَحَجَّبَ عَنّي بـالـدَّلاَلِ وَتَـاهَـا

وقال الجزيري :

فَسِرْ بِأَرْض التّيهِ سَيْراً مُعْتَدِلْ ... تَشْرَب للماءِ الزُّلاَل مِنْ نَخَلْ

وقال أبو سالم :

ولم أنسَ بـالتيـه يـومـاً بـه   تفـانى الحجيج صـدًى وولـوهـا
وإن يستـغيثـوا يغـاثـوا بمـا   ءِ عُجْرُوْدَ كالمهل يشوي الوجوها

وقال البكري :

لا تسلكنَّ بوادي التيهِ منفـرداً   بلا دليل ترى وقع الرَّدى فِيْهِ
فما سمعت كلامًا من أخي ثقةٍ   في الناس إلاَّ وقال احذر من التِّيْهِ

وقال أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة :

ومرّتْ إلى وادي القباب وبعده   سَرَتْ وبأرض التِّيْهِ كان ضحاها

وقال قائل :

علِّم حبيبي بأنّي مذ علق بالتيه   من قوم موسى فعذب مهجتي بالتيه
ياعين دمعك دَماً يوم النَّوى بِتّيه   وليل وصلك تقاسي الموت إنْ بِتِّيه

وقال الشيخ عبدالغني النابلسي المتوفى في سنة ١١٤٣هـ :

قـد وقعنا في الهـوى في التِّيه   مـذْ بـدا في دلالـه والـتِّيـهِ

وقال :

هـذا الفلا رفعت قنـاع جبالـه   عن واسع في التيه حيرة هادي

وقال :

وكذا اليهود وإن تكاثر عـدُّهُمْ   فيـما مضى لم يبد منهم راشـد
في أربعـين من السنين تحـيَّروا   في مهمـةٍ مـاقـدره مـتزايـد
لم يقدروا أن يخرجوا منه وهم   عَـدَدٌ كثيرٌ عن ألـوفٍ زايـد
داروا وقد رجعوا لموضع بدئهم   وتنـاسلوا في تيههم وتـوالـدوا
وكـذا الإله إذا أضـلَّ جماعـةً   خاب الرجا منهم وضَلَّ القاصد

وقال :

حمى الله أوقاتي من السـوءِ كلّها   ودام على أبناء عصري توجيهي

وقـد زادني تِيْهاً عليهم بسَفْـرةٍ حجازيةٍ حتى بها بتُّ في التّيْهِ

وقال :

وبـدا الصباح فحمّلوا وتـرحّلوا للتّيــه والــرحمن أعــظم راحم

وقال البكري المتوفى فى سنة ١١٦٣هـ :

وانزل بوادي التيهِ واحذر سُبْلَهُ وأُوَارَه فــيــه الــدلــيــل يحــارُ

الثُّغَـــــــار :

موضع في وادي الحاج غربي بلاد التيه وكان من منازل الحاج المصري ، قال الشيخ عبدالغني النابلسي :

ولقــد نـزلنــا بالثّغــار عشيـةً والجوُّ تلعب فيه خيـلُ نسائـمِ
والعشب ريَّانُ النبات من الحيا مـتـلوّن بســواعــدٍ ومـبَــاسـمِ
حتى بِهَا بِتْنَا بـركبٍ قـافـلٍ نَحْـوَ الحجـاز بمشبهـاتٍ نعـائم

جُبَيْــــــلات :

قال الأصطخري في الحديث عن بحر القلزم : ... حتى ينتهي على تاران وجبيلات وماحاذى جبل الطور إلى أيْلَة .

قلت : جبيلات هذه هي جبل رأس محمد ، الذي اقتحم البحر الأحمر فشكل سلسلة جبلية في أقصى جنوب شبه جزيرة سيناء ، وعنده ينقسم البحر إلى قسمين يتجه أولها إلى العقبة وهو خليج العقبة ويتجه ثانيهما إلى السويس وهو خليج السويس ، وقد وصفه ياقوت الحموي بأنه موضع خطر لا يسلك ، وأسماه الـحِمْيَرِيُّ رأْسَ قنديلة ، وذكر أن عنده تلتقي ريح من أيلة وأخرى من بحر السويس فتثور الأمواج ويشكل خطراً على حركة مرور السفن ، ورأس محمد هذا غير بعيد عن جزيرة تيران فهو إلى الجنوب الغربي منها ، متصل ببر سيناء والجزيرة إلى الشمال الشرقي باتجاه بر الحجاز .

(للبحث صلة) العقبة : راشد بن حمدان الأحيوي

في آفاق لغة الوحي !

هَفَا النجم يعنو لأعتابها ... وغنّى الزمانُ على بابها
ودانَ لها المجدُ وهو العصيُّ ... وأرضى العنانَ لخطّابها
ترقرق منها الضياء البهيج ... وشعشع في أفقِ أصحابها
وتوّجها الله - يا للجلال - ... بوحيٍ تجلّى بمحرابها
غمائمها ثرّةٌ بالحياة ... ووشيُ الربيع بأهدابها
هي (الضادُ) ما ظفرت أمّةٌ ... بمثلِ جناها ، وأطيابها
تعهّدها ربّها بالبقاء ... فهل تجدبُ فيضَ إخصابها؟
تألّقَ في صفحاتِ الخلود ... فتنجابُ ثورةُ حُجّابها
ومَا شفَّ عن شرفاتِ الوجود ... كمثلِ سناً شعَّ من غابها
وكم يحفِر الصخرَ صبٌّ بها ... ليخطوءِ بترشافِ أكوابها
فيا عشقها غيرَ موتٍ بها ... غراماً لمُنا بترحابها
لينقادَ منها النفور الشموسُ ... ويستعذبُ المرُّ من صابها
وينهمرُ الدرُّ من بحرها ... ويحلو الرحيقُ لشرّابها
أنوفٌ هي (الضادُ) أن تجتني ... لغيرِ صبورٍ لأتعابها
لغيرِ ملحٍّ شديدِ المراس ... عميقِ المعاناةِ وهّابها
يجوبُ الدروبَ احتفاءً بها ... ليسلكَ في سمطِ أقطابها

* * *

وأعرضَ عنها قصيرو والأداةِ ... وما منهمو من تغنّى بها
فيا غبنَتْ بالألى أعرضوا ... وما وصلتهم بأسبابها

* * *

بني (الضادِ) يا جمراتِ الحياة ... لأعدائها .. ولسلّابها
ويا شهبَ الحق كفّوا الأذى ... وردّوا البغاةَ لأعقابها
هو الذمّ نادى (بني يعرب) ... فهلّا تحِنّ لأنسابها
عتا الظلمُ من متحدّي الكرام ... حماةِ (يهوذا) وأذنابها

أسودٌ علينا وما منهمو   سوى خائر النفس هيّابها .
وأرغم جورُ الطغاة الأباة   لتعنو لصولة إرهابها
فما من (مُثنّى) يسوق الحتوف   و(معتصمٍ) دون أنيابها
وما من (صلاحٍ) يرصّ الصفوف   ويقصي العروبة عن غابها
تفرّقها قادها للكلال   وطول التناحر أودى بها
تمادى العدوّ نكالاً بها   فجُنّ الهوانُ بألبابها
ولا من نصيرٍ وأين النصير   لخاذلِ نفسٍ فأزرى بها؟
تناستْ مع الذلّ تاريخها   للهو الحياة، وألعابها
فلم تستجبْ لصراخ النذير   ولم تستشفّ لظى مابها
فلجّ الصديق بتجريحها   وهام العدوّ بأغضابها
وماهي إلا جنى التضحيات   وإن لبستْ غير أثوابها
فهل يابني (الضاد) من وثبة   تردّ الكماة لأسرابها

* * *

وأنت بمصر فحيّ الشموخ   بأخلاقها، وبآدابها !
بعالمها في تجاربه   بشاعرها، وبكتّابها
وحيّ الحضارات رفّافةً   تمور الحياة بأحقابها
سلامٌ على (مصر) من فعلها   سموّ العطاء ومن دابها !

* * *

ويا (مجمع الضاد) من صفوةٍ   تغار النجومُ لأحسابها
علت بالنهى فوق هام الذرى   وعزّت بجوهر آرابها
تسامتْ على ترّهات الزمان   فلم تسترقّ لأوصابها
وقدّمتِ الشهد كم غادرتْ   حطامَ الحياة لأنصابها
وكم قد أراقتْ ضياء العيون   فدى (الضادِ) قربى لأحبابها
ستجزى بما بذلتْ في غدٍ   جناناً تهشّ لطلّابها
وتُزهى بها غرفاتُ النعيم   فدارُ البقاءِ لأربابها !

حسن عبدالله القرشي

٢٨٥ ـ بَابُ حُلْوَانَ ، وَجِلْدَانَ(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الْـحَاءِ ـ: الْبَلَدُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُوَ آخِرُ حَدِّ السَّوَادِ مِمَّا يَلِي الْـمَشْرِقِ ، نُسِبَ إِلَى حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْـحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، لِأَنَّهُ بَنَاهُ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْـمُتَقَدِّمِينَ وَالْـمُتَأَخِّرِيْنَ ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ(٢).

وَأَيْضاً : مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي مِصْرَ(٣).

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَكْسُورَةٌ وَبَعْدَ اللَّامِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ ـ: بَلَدٌ بِقُرْبِ الطَّائِفِ بَيْنَ لِيَّةَ وَبَسْلٍ ، يَسْكُنُهُ بَنُو نَصْرٍ(٤).

---

(١) لَـمْ أَرَ هَذَا الْبَابَ فِي كِتَابِ نَصْرٍ.

(٢) حُلْوَانُ هذَا حُلْوَانُ الْعِرَاقِ كَمَا أَوْضَحَ يَاقُوتُ بِقَوْلِهِ : حُلْوَانُ الْعِرَاقِ وَهِيَ فِي آخِرِ حُدُوْدِ السَّوَادِ مِمَّا يَلِي الْـجِبَالَ مِنْ بَغْدَاد .
وَالْقَوْلُ بِنِسْبَتِهِ إِلَى حُلْوَانِ بْنِ عِمْرَانَ مِنْ قُضَاعَةَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهُ سَائِرٌ عَلَى طَرِيْقَةِ ابْنِ الْكَلْبِـيِّ وَبَعْضِ الْـمُتَقَدِّمِيْنَ فِي كَثِيرٍ مِن أَسْمَاءِ الْـمَوَاضِعِ ، ولِهَذَا أَوْرَدَهُ يَاقُوتُ بِصِيْغَةِ التَّمْرِيْضِ : (وقِيْلَ .. كَانَ بَعْضُ الْـمُلُوكِ أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا) !! وأَرَاهَا أَقْدَمَ مِنْ عَهْدِ حُلْوَانَ الْقُضَاعِيِّ .

(٣) قَالَ يَاقُوتُ عَنْهَا : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفُسْطَاطِ نَحْوَ فَرْسَخَيْنِ مِنْ جِهَةِ الصَّعِيْدِ مُشْرِفَةٌ عَلَى النِّيْلِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّهَا عَبْدُ الْعَزِيْزِ بْنِ مَرْوَانَ ـ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ ـ وشُهْرَةُ هٰذِهِ الْـمَدِيْنَةِ الَّتِي اتَّصَلَ الْعُمْرَانُ بَيْنَهَا وبَيْنَ الْقَاهِرَةِ تُغْنِي عَنِ التَّطْوِيْلِ فِي الْـحَدِيْثِ عَنْهَا .

(٤) جِلْدَانُ ـ بِالدَّالِ المهملة ـ كَذَا يُعْرَفُ الآنَ ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ الْـمُتَقَدِّمِيْنَ بِالذَّالِ الْـمُعْجَمَةِ ، قَاعٌ وَاسِعٌ بَيْنَ وَادِيَيْ بَسْـلٍ وَلِيَّةَ الْـمَعْرُوفِيْنَ شَرْقَ الطَّائِفِ ، ولِانْبِسَاطِ أَرْضِهِ وَرَدَ فِيْهِ الْـمَثَلُ : (أَسْهَلُ مِنْ جِلْدَانَ) و (قَدْ صَرَّحَتْ بِجِلْدَانَ) يُضْرَبُ مَثَلاً لِلْأَمْرِ الْـجَلِيِّ ، وَقَدَّرَ الْهَمْدَانِـيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ» طُوْلَهُ بِبَرِيْدٍ ونصف (٦ فراسخ × ٣ = ١٨ ميلاً) وكَانَ سُكَّانُهُ فِي عَهْدِهِ بَنُو هِلَالٍ ، وَكَان مِنْ بِلَادِ بَنِي نَصْرٍ (يقع بَيْنَ خَطَّي الطُّوْلِ : ٤٥/٤٠° و ٠٠/٤١° وبَين خَطَّي الْعَرْضِ : ٢٥/٢١° و ٣٠/٢١°).

٢٨٦ ـ بَابُ حِمَى ، وَخُمًّى[١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : بِكَسْرِ الْـحَاءِ وَتَخْفِيفِ الْـمِيْمِ وَبِالْقَصْرِ ـ: حِمَى ضَرِيَّةَ ، وَحِمَى الرَّبَذَةِ ، وَهُوَ الْـمَوْضِعُ الَّذِيْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيْهِ عَلَى عُثْمَانَ ، وَحِمَى فَيْدٍ ، وأَشْهَرُهَا ضَرِيَّةَ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وأَشْعَارِهِمْ ، وَلِكُلٍّ مِنْ هٰذِهِ جِبَالٌ تَكْتَنِفُهُ تُسَمَّى ٱلأَخْيِلَةَ ، وَٱلأَخَايِلُ[٢].

وَأَيْضاً : بَلَدٌ يَمَانٍ لِبَنِـي الْـحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ[٣].

وَأَمَّا الثَّانِـي : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ، بَعْدَهَا مِيْمٌ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوْحَةٌ ـ: بِئْرٌ قَدِيْمَةٌ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ زَمْزَمَ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَحَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ أَبِـي عُثْمَانَ ، أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ احْتَفَرَ بَعْدَ الْعَجُوْلِ خُمًّ ، وَهِـيَ الْبِئْرُ الَّتِـي عِنْدَ الرَّدْمِ عِنْدَ دَارِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ، وَقَالَ عَبْدُ شَمْسٍ :

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ـ فِـي كِتَابِ الْـجِيْمِ ـ: (بَابُ الْـجِمَاءِ والْـخِمَاءِ وحِمَى) .

(٢) قَال نَصْرٌ : وَأَمَّا بِكَسْرِ الْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ وتَخْفِيْفِ الْـمِيْمِ وَالْقَصْرِ ـ: بَلَدٌ يَمَانٍ لِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَحِمَى الرَّبَذَةِ مَوْضِعٌ ، وَهُوَ الَّذِيْ كَثُرَ النَّاسُ فِيْهِ عَلَى عُثْمَانَ ، وَحِمَى فَيْدَ مَشْهُوْرٌ ، وَهُوَ وَحِمَى ضَرِيَّةَ أَشْهَرُهَا ولِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ جِبَالٌ ـ إلى آخِرِ الْـجُمْلَةِ ـ . وَقَدْ فَصَّلَ الْهَجَرِيُّ الْكَلَامَ فِي ٱلأَحْمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، مَعَ حِمَى النَّقِيْعِ الَّذِي بِقُرْبِ الْـمَدِيْنَةِ ، وَنَقَلَ مُلَخَّصَ كَلَامِهِ السَّمْهُوْدِيُّ فِي «وَفَاءِ الْوَفَاء» والْبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَم مااسْتَعْجَمَ» وَلَـمْ يُصَرِّحْ بِالنَّقْلِ ، وَضَرِيَّةُ وَفَيْدُ قَرْيَتَانِ مَعْرُوْفَتَانِ فِي نَجْدٍ ، وعُثِرَ عَلَى أَطْلَالِ قَرْيَةِ الرَّبَذَةِ الَّتِي خَرِبَتْ سنة ٣١٧هـ ـ عُثِرَ عَلَيْهَا فِي عَصْرِنَا ، غَرْبَ حِمَى ضَرِيَّةَ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وهُنَاكَ أَحْمَاءُ أُخْرَى ذَكَرَ يَاقُوتُ فِي «معجم البلدان» بَعْضَها وَقَالَ : ولِلْعَرَبِ فِي الْحِمَى أَشْعَارٌ كَثِيْرَةٌ مَا يَعْنُونَ بِهَا إِلَّا حِمَى ضَرِيَّةَ ، ونَقَلَ عَنْ ثَعْلَبٍ : الْحِمَى حِمَى فَيْدَ إِذَا كَانَ فِي أَشْعَارِ أَسَدٍ وَطَيِّءٍ ، فَأَمَّا فِي أَشْعَارِ كَلْبٍ فَهُوَ حِمَى بِلَادِهِم ، قَرِيْبٌ مِنَ الْـمَدِيْنَةِ بَيْنَهَا وبَيْنَ عَرَب ـ كَذَا وَرَدَ النَّقْلُ عن ثَعْلَبٍ ، وَمَا أَرَى مَايَتَعَلَّقُ مِنْهُ بِحِمَى كَلْبٍ مُسْتَقِيْماً ، وأَرَاهُ أَرادَ (كِلَاب) لِيَنْطَبِقَ عَلَى حِمَى ضَرِيَّةَ ، وَقَدْ تَكُونُ عَرِبُ (غُرْب) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وهوَ جَبَلٌ يَقَعُ شَرْقَ حِمَى ضَرِيَّةَ خَارِجاً عَنْهُ ، لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً .

(٣) تَقَدَّمَ قَوْلُ نَصْرٍ عَنْ حِمَا الَّذِي كَانَ لِبَنِي الْحَارِثِ ، ولَـمْ أَرَ ذِكْراً لَهُ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» فِي مَوْضِعِهِ ، وَلَكِنَّ الْهَمْدَانِيَّ ذَكَرَهُ مِنْ مِيَاهِهِمْ ، فَقَالَ فِي «صِفَةِ الْـجَزِيْرَة» : أَعْدَادُ مِيَاهِ بَلْحَارِثِ مِمَّا يَصِلُ الْمُجَيْرَةَ : حِمَا مَاءٌ بِأَطْرَافِ جِبَالِ غَاذ ، بَيْنَ مُرِيٍّ والغائِطِ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي وَصْفِ الطَّرِيْقِ مِنَ ٱلأَفْلَاجِ إِلَى نَجْرَانَ : فَإِنْ تَيَامَنْتَ شَرِبْتَ مَاءً عَادِيًّا يُسَمَّى قَرْيَةَ ، إِلَى جَنْبِهِ آبَارٌ عَادِيَةٌ وَكَنِيْسَةٌ مَنْحُوتَةٌ فِي الصَّخْرِ ، ثُمَّ تَرِدُ ثَجْرُ ، ثُمَّ حِمَا وَالْوِحَافَ وبِئْرَ الرَّبِيْعِ ثُمَّ بِفُوَدٍ مِنْ أَسْفَلِ نَجْرَانَ ، وقَرْيَةُ الْـمَكَانُ ٱلأَثَرِيُّ الْـمَعْرُوْفُ ، وَثَجْرُ وَحِـمَا مَعْرُوْفَانِ فِي الطَّرِيْقِ إِلَى نَجْرَانَ ولَكِنَّ حِمَا مُنْحَدِرٌ شَرْقاً فِي الْغَائِطِ عَلَى حَدِّ الرِّمَالِ يَبْعُدُ عَنْ قَرْيَةَ جَنُوبًا عِشْرِيْنَ وَمِئَتَيْ كِيْلٍ ، وَالْـمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَجْرَانَ تُقَارِبُ هٰذِهِ الْـمَسَافَةَ ، وَٱلاِسْمُ يُطْلَقُ عَلَى مَاءٍ وَقَدْ يَكُونُ شَامِلاً لِـمَا حَوْلَهُ مِنَ ٱلأَرْضِ (يَقَعُ حِـمَا بِقُرْب خَطِّ الطُّوْلِ : ٤٤/٢٨° وخَطِّ الْعَرْضِ : ١٨/٢٥°) .

حَفَرْتُ خُمًّا وَحَفَرْتُ رُمًّا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ لَنَا قَدْ تَمَّا(٤)

٢٨٧ ــ بَابُ حَمَّة ، وَخَمَّة(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ ـ: جَبَلٌ بَيْنَ تُوْزٍ وَسَمِيرًا عَنْ يَسَارِ الطَّرِيْقِ ، بِهِ قِبَابٌ ، وَمَسْجِدٌ(٢).

وَخَمَّةُ الثُّوَيْرِ ، وَخَمَّةُ الْمُنْتَضَى جَبَلَانِ فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ(٣).

---

(٤) خَبَرُ أَبِي عُبَيْدَةَ نَقَلَهُ الْفَاكِهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» ـ ٤/٩٨ ـ وَوَرَدَ اسْمُ الْبِئْرِ فِيْهِ (خُمّ) صَحِيحَ الآخِرِ لَيْسَ مَقْصُوراً وَكَذَا وَرَدَ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ ، للأزرقي ، تَكَرَّرَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الكِتَابَيْنِ بِمَا يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ غَيْرُ صَحِيحٍ وَيَحْدُثُ مِثْلُ هَذَا عِنْدَمَا يَكْتُبُ السَّامِعُ الاسْمَ مَنْصُوباً سَمَاعاً لا نَقْلاً وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ (شَغْبُ) الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ فِي شَمَالِ الْحِجَازِ الْوَارِدِ فِي شِعْرٍ كَثِيرٍ :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ شَغْباً إِلَى بَدَا إِلَيَّ، وَأَوْطَانِي بِلَادٌ سِوَاهُمَا

فَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْمُؤَلَّفَاتِ (شَغْبَى) كـ «وفاء الوفاء»
وَالرَّدْمُ الْوَارِدُ فِي الْخَبَرِ هُوَ رَدْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَعْلَى (الْمُدَّعَى) عُمِلَ لِحَجْزِ السَّيْلِ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ ، وَعَمْرُو صَاحِبُ الدَّارِ هُوَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَيَتَّضِحُ مِمَّا ذَكَرَهُ مُؤَرِّخُو مَكَّةَ كَالأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ اسْمَ خُمٍّ (لا خُمّى) يُطْلَقُ عَلَى بِئْرَيْنِ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا فِي أَعْلَى مَكَّةَ فَوْقَ الرَّدْمِ ـ وَهِيَ الْوَارِدَةُ فِي الْخَبَرِ ، وَكَانَتْ تُدْعَى الْبِئْرَ الْعُلْيَا وَقَدْ دَرَسَتْ ، وَالْبِئْرُ الأُخْرَى فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ بِمِنْطَقَةِ بِرْكَةِ مَاجِنٍ ، وَلَاتَزَالُ هَذِهِ الْبِئْرُ مَعْرُوفَةً ـ «أخبار مكة» للفاكهي ـ ٤/٩٨ ـ.

(١) قَالَ نَصْرٌ ؛ (بَابُ حَمَّةٍ ، وَخَمَّةٍ ، وَخُمَّةٍ) .

(٢) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ . وَحَدَّدَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْحَمَّةِ وَبَيْنَ تُوزٍ صَاحِبُ «الْمَنَاسِكِ» ـ ٣١٣ ـ فَقَالَ فِي وَصْفِ طَرِيقِ الْمُتَّجِهِ مِنْ تُوزٍ إِلَى سَمِيرًا : وَعَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ تُوزٍ عِنْدَ الْمِيلِ الثَّالِثِ بِرْكَةٌ تُعْرَفُ بِالْحَمَّةِ ، يُقَالُ لَهَا قَرْقَرَة ، وَهِيَ مُرَبَّعَةٌ بِحَضْرَتِهَا بِئْرٌ غَلِيظَةُ الْمَاءِ ، وَالْحَمَّةُ جَبَلٌ أَسْوَدُ عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ وَبِهِ قِبَابٌ وَمَسْجِدٌ ـ إِلَى آخِرِ مَاذَكَر . وَصُحِّفَ فِي كِتَابِ ابن خُرْدَاذْبَهْ وَابْنِ رُسْتَهْ : (الفحيمة) و(المحمية) وَالْجَبَلُ يُشَاهَدُ مِنْ تُوزٍ (التُّوزِي) رَأْيَ الْعَيْنِ ، وَانْظُرْ عن تُوزٍ (شمال المملكة) مِنْ «المعجم الجغرافي» «وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَلْدَةِ سَمِيرًا بِمِنْطَقَةِ حَايِلٍ لَا تَبْلُغُ عشرة أَكْيَالٍ .

(٣) أَوْرَدَ نَصْرٌ هذَا فِي (بَابِ الْحِمَيْنِ ، وَالْحَمْنَيْنِ وَالْحَمَّتَيْنِ) بِلَفْظِ : وَأَمَّا تَثْنِيَةُ خَمَّةٍ : خَمَّةُ الثُّوَيْرِ وَخَمَّةُ الْمُنْتَضَى فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ ، وَهُمَا جَبَلَانِ لِكَعْبِ بْنِ عَبْدِاللهِ بن أَبِي بَكْرِ بْنِ كلاب ، وَبَيْنَ الْحَمَّتَيْنِ وَالْمِضْبَاعَةِ سَبِخَةٌ يُقَالُ لَهَا السُّهْبُ ، تَبِيضُ فِيهَا النَّعَامُ . انتهى . وَلَعَلَّ أَصْلَ هذَا مَافِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ١١٧ ـ فِي ذِكْرِ بِلَادِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ وَمِنْهَا : سُوَاجٌ ـ جَبَلٌ ، وَالْمِضْبَاعَةُ مَاءَةٌ ، ثُمَّ الْحَمَّةُ جُبَيْلٌ ـ خَمَّةُ الْمُنْتَضَى خَمَّةٌ فَارِدَةٌ ، جُبَيْلٌ صَغِيرٌ كَأَنَّهُ قُطِعَ مِنْ حَرَّةٍ ، وَثَمَّ الْخَمَّتَانِ ـ خَمَّتَا الثُّوَيْرِ ، وَالثُّوَيْرُ أُبَيْرِقٌ أَبْيَضُ ـ وهذَا كُلُّهُ فِي مَصَادِيرِ الْمِضْبَاعَةِ ، ثُمَّ الْمُحْدَثَةُ ـ مُحْدَثَةُ سُوَاجٍ ـ وفي ص : ١١٩ ـ: وَبَيْنَ الْخَمَّتَيْنِ وَالْمِضْبَاعَةِ سَبِخَةٌ تُسَمَّى السُّهْبَ يَبِيضُ فِيهَا النَّعَامُ ، وَبِجَذْلِ الْخَمَّتَيْنِ جُبَيْلٌ أُحَيْمِرُ يُقَالُ لَهُ الأَحَامِرُ يُسَمَّى أَحَامِرَ قُرَّا ـ وَقُرَّا مَاءٌ تَرَكَهُ النَّاسُ قَدِيمًا . انتهى مُلَخَّصاً ←

حرب قبيلة قحطانية الأصل
امتزجت بها فروع عدنانية

طالعت مانشرته جريدة «المدينة» الكريمة في ملحق (التراث) الذي أجد فيه دائماً حين أطالعه المفيد الطريف ، وكان من ذالك ما نشر في عدد يوم الخميس (٢١ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ ص ٣) بقلم الأخ عبدالله بن محمد الحُجَيلي ، مستوضحاً عن نسب قبيلة حرب ، أهي قحطانية أم عدنانية ؟

← وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ، وَالْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ : مَاءٌ بِالصَّمَّانِ لِبَنِي عَبْدِ الله بْنِ دَارِمٍ ، وَيُقَالُ : لَيْسَ لَهُمْ بِالْبَادِيَةِ إِلَّا هٰذِهِ وَالْقَرْعَاء ، وَهِيَ بَيْنَ الدَّوِّ وَالصَّمَّانِ(٤).

وَسُوَاجُ الْمَذْكُورُ هُوَ سُوَاجُ الْمَرْدَمَةِ لَا سُوَاجُ جِبَى ضَرِيَّةَ ، وَالْأَحَايِرُ اسْمٌ لِجِبَالٍ تَشْتَرِكُ بِحُمْرَةِ اللَّوْنِ ، وَأَكْثَرُ الْمُسَمَّيَاتِ الْمَذْكُورَةِ جُهِلَتْ لِنُضُوبِ مِيَاهِ الْآبَارِ الْقَدِيمَةِ وهِجْرَانِ مَاحَوْلَهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ لِضَعْفِ حَيَاةِ الْبَادِيَةِ ، وانتقالها إِلَى حَيَاةِ التَّحَضُّرِ ، وَالْمَوَاضِعُ الْمَذْكُورَةُ مَعْرُوفَةُ الْجِهَةِ فَهِيَ بِمَنْطِقَةِ عَفِيْفٍ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ بِنَحْوِ عِشْرِيْنَ كَيْلًا ، وَسُوَاجُ الْمَرْدَمَةِ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (الْأَطْوَلَةِ) .

(٤) لَمْ يَزِد الْحَازِمِيُّ عَلَى قَوْلِ نَصْرٍ فِي تَعْرِيفِ الْخَمَّةِ سِوَى (وَيُقَالُ) . وَأَصْلُ قَوْلِ نَصْرٍ فِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ٢٩٦/ ٣٥١ ـ وجُنْدَبُ بْنُ الْعَنْبَرِ لَهُمْ مَصَانِعُ لِمَاءِ السَّمَاءِ ، مِنْهَا مَصْنَعَةٌ لِبَنِي عَبْدِالله بْنِ دَارِمٍ تُسَمَّى الْخَمَّةَ لَيْسَ بِالْبَادِيَةِ أَعْظَمُ مِنْهَا . وأَما بَنُو عَبْدِ الله بْنِ دَارِمٍ فَلَيْسَ لَهُمْ بِالْبَادِيَةِ إِلَّا الْقَرْعَاء ، وَهِيَ مَاءَةٌ أَسْفَلَ مِنَ الصَّمَّانِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوِّ ، لَيْسَ لَهُمْ غَيْرُهَا ، وَغَيْرُ مَصْنَعَةٍ يُقَالُ لَهَا الْخَمَّةُ ، بِالصَّمَّانِ . انتهى . الْقَرْعَاءُ لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً أَسْفَلَ الصَّمَّانِ ، والدَّوُّ هُوَ مَايُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (الدَّبْدَبَة) وباسم (الْقَرْعَةِ) ـ انظر عنها (قسم المَنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ ـ البَحْرَيْنِ قَدِيمًا) منَ «المعجم الجغرافي» . والْخَمَّةُ لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً إِحْدَى خَبَارِي الصَّمَّانِ الْمَشْهُورَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا مَاءُ الْمَطَرِ . فَيَمْكُثُ شُهُوْرًا ، وَتَقَعُ جَنُوبَ غَرْبِ مَنْهَلِ اللِّهَابَةِ بِنَحْوِ أَرْبَعِينَ كَيْلًا (بِقُرْبِ خَطِّ الطُّوْلِ : ٤٣/ ٤٦° وخَطِّ الْعَرْضِ : ٢٧/٧°).

(٥) وَزَادَ نَصْرٌ : (خُمَّةُ : بِضَمِّ الْخَاءِ ـ: جَبَلٌ أَوْ وَادٍ بِالْحِجَازِ ، كَذَا قَالَ ، ونقل هَذَا عَنْهُ يَاقُوتُ فِي الْكَلَامِ عَلَى خَمَّةَ ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ ـ ولم يذْكُرْ قَوْلَهُ بِضَمِّ الْخَاءِ ، بَلْ لَمْ يُوْرِدْ رَسْماً لِهَذَا ، وَلٰكِنَّ البَكْرِيَّ ـ فِي «مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ» ذَكَرَهُ وَأَوْرَدَ عَلَيْهِ شَاهِداً مِنْ قَوْلِ كُثَيِّرٍ :

أَأَطْلَالَ دَارٍ بِالنِّبَاعِ فَحُمَّةٍ   سَأَلْتَ فَلَمَّا اسْتَعْجَمَتْ ثُمَّ صَمَّتِ

وَزَعَمَ النِّبَاعَ بِنَجْدٍ ، وَكُثَيِّرٌ تِهَامِيٌّ . وما أَكْثَرَ جِبَالَ الْحِجَازِ ، وأَوْدِيَتَهُ الْمَجْهُولَةَ !

وقد استعرض فيها كتب جُلَّ الآرَاءِ في الموضوع ، مبتدئاً برأي الهمداني من أنها قحطانية ، ثم أتبع ذالك بآراء علماء آخرين ، وفيهم مؤلفون متأخرون .

أصل القبيلة من قحطان :

ولا يتسع المجال لمناقشة ماورد عن المهتمين بأنساب العرب مما يتعلق بأصل هذه القبيلة ، ولكن الذي يطمئن إليه الباحث هو ماذكره علامة اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٨٠ ـ ٣٥٠ تقريباً) في كتابه «الإكليل» فقد فصل فيه خبر انتقال هذه القبيلة من اليمن في القرن الثاني الهجري ، وأوضح نسبها إلى خولان ، وذكر طرفاً من حوادثها حين استقرت بين المدينتين الكريمتين ، وأشار إلى بعض ماحدث بينها وبين القبائل التي كانت تسكن تلك البلاد قبلها من احتكاكات ، كبني سُلَيْمٍ ومُزَيْنَةَ وجُهينة وغيرها ، ثم ذكر سيطرتها على ماستوطنته من بلاد ، ثم استقرت فيه إلى عصرنا الحاضر .

وهاهي نصوص ملخصة من كلامه في «الإكليل» ـ ج ١ ص ٢٩٨ ـ : أولد سعد بن سعد بن خولان : الحارث بن سعد ، وحرب بن سعد ـ إلى أن قال ـ : وأولد حرب بن سعد أربعة نفر ـ ثم ذكرهم ، وذكر أنهم هم أهل الْعَرْج ـ وقال : حدثني محمد بن إبراهيم المحابي وقد كان جاور في بني حرب بِقُدْسَ ورَضْوَى ويَنْبُع ، وتلك النواحي في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة ونزل على محمد بن علي ، سيد بني حرب ، وأقام عنده ، قال : قال محمود بن علي بن عمرو بن جابر ابن عمرو المسافر بن عمرو بن زياد بن سليمان بن الفاحش بن حرب ـ هكذا نسب نفسه ـ قال الهمداني : قد أوهم من نقل إليه هذا النسب والْعِدَّةُ إلى حربٍ تَضْعُفُ على هذا مرتين ، وإنما ينبغي أن يكون انتسب إلى زياد ، من نسل زياد ابن سليمان ، وافترق جميع من بالحجاز إلا من دخل فيهم من إخوتهم من زياد بن سليمان ، فأولد زياد : عَمْرًا والخِيار فمن بني عَمْرِو بن زياد : محمود هذا وبنو الحارث بن عبدالله بن عمرو ، وبنو ميمون بن مسافر بن عمرو ، ومن ولد الخِيار : عبدالله بن الْخِيار وهم العَبيديون ، وكان القياس العَبْدَلِيِّيْنَ .

وزبيد بن الخيار ، فيهم عدد زهاء ثلاث مئة ، وسيدهم اليوم أبو الحسين يحيى الزُّبَيْدِي صاهر إليه يحيى بن الحسين الحسيني بالعقيق من المدينة .

وبنو السَّفْر بن الخيار ، وسيدهم المسلم ، وهو يسود بني الخيار كلها ، كما ساد محمود بني عمرو ، وسائر بطون بني حرب بن سعدٍ بالحجاز ، قالوا : فمن تلك البطون بنو عامر بن حرب ومنهم بنو عوف .

فمن بني عوف : مسروح بن عوف ومسعود بن عوف وعلي بن عوف ، وممن هنالك بنو ذؤيب من ولد سباق بن الفاحش بن حرب ، وهم أَحَدُّ بني حرب حَدًّا ، وهو أخوال أبي القاسم إدريس بن جعفر ، من ولد موسى بن جعفر بن محمد الرضا ، وهم يعظِّمُون في بني حرب ، ويتزوجون من بني حرب ، وفي العرب ، ولا يزوجون أحداً ، وبنو حرب لا تزوج إلا رجلاً منها أو قريشياً. إلى أن قال : وطراد بن محمود بن علي وكان من الرماة وقتل يوم الرغامة ، منهم : محمد وحسن وحسين وأحمد بنو محمود ، قتلتهم بنو الحارث من سَلَيْمٍ ، فغزاهم محمود ببني حرب ، واستنجد ببعضِ جُهينة إلى حَرَّةِ بني مالك ، فقتل من بني سليم مئة رجل .

وبعد أن ذكر مصاهرتهم للحسينيين ـ أُمراء المدينة ـ ولآل عمرَ بن الخطاب ـ قال: إن بني حرب لما صارت إلى قُدْسَ من الحجاز وبها عَنَزَةُ ومُزينة ، وبنو الحارث وبنو مالك من سُلَيْم ، ناصبتهم الحربَ عنزةُ ، والذي هاج ذالك أن رجلاً حربياً وآخر عَنَزِيًّا امتريا في جذاذِ نخلٍ ، فَعَدَى الحربي على العنزي فضربه ضربةً بتك بها يده ، فعدت بنو حرب يومئذ وهي ست مئة رجل ، فأجلوا من في البلد مِنْ عَنَزَةَ إلى الأعراض من خيبر ، وقتلوا منها بشراً كثيراً .

ثم ناصبتهم مُزَينة الحرب ، وكانت أهل ثروة زهاء خمسة آلاف ، فقتلوا منها مقتلة عظيمة وأجلوا إلى الساحل من الجار والصَّفْرَاءِ وأرض جُشَم ، فهم بها إلى اليوم ، ولا يدخلون الْفُرع إلا بجوار وذمام من بني حرب .

وبقيت سُلَيْمٌ فناصبتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سُلَيْم وهم زهاء أربعة

آلاف ، وهم أهل الحرَّتَيْنِ والنَّقيع ، فحاربوهم دهراً ، فأجلوهم عن الحرَّتَيْنِ والنَّقيع ، وقتلوا منهم عدداً كثيراً ، وصارت بنو الحارث وبنو مالك لا يدخل منها الحرَّتَيْنِ والنَّقيع داخلٌ إلا بذمام من بني حرب ، وقد يُبْقي عليهم محمود ، لأن أمه جُشَمِيَّةٌ من هوازن .

فلما غلبت بنو حرب على تلك البلاد وقهرت ، تعلقت قريشُ بإصهارهم ، وأسند إليهم كلٌّ وألقى أزِمَّة أمرهِ في أيديهم ، وغلبوا على طريق المدينة إلى مكة ؛ فلم يَسِرْهَا أحدٌ منهم إلا بخفارتهم ، وكان المقتدر بالله يبعث إليهم طول حياته بالمال في خفارة الطريق ، وإلى اليوم هم على ذالك . ـ ثم ذكر من أيام بني حرب في وقته هذا وقبله بمديدة ـ : يوم الْـحَرَّةِ ، وقتل فيه من سُلَيم سبعين رجلاً ، وحُمِدَ يومئذ من بني حرب بنو عمرو بن زياد ، وقتل منهم جماعة ، من الجماعة أربعة من بني محمود : محمد وأحمد والحسن والحسين ، قال : ثم جمع لهم محمود فصبحهم محمود يوم الرغامة ، فقتل منهم مئة رجل ، وكانت عليهم يومئذ عمائم خَزٍّ زُرْق ، فلم يلبس سَلَمِـيٌّ بعدها عمامة زرقاء .

ومنها يوم شَرَفُ الأثاية ، يوم سار إليهم ابنُ ملاحظ ، وهو سلطان مكة ، فقتلوا أصحابه وأسروه ، فأقام عندهم وقتاً ، ثم مَنُّوا عليه وخَلَّوْا سبيله . انتهى كلام الهمداني ، وقد يشفع نقل هذا النص على طوله أن كثيراً من القراء لم يطلع على كتاب الهمداني .

الهمداني من أعلم المتقدمين بأنساب القحطانيين :

والهمدانيُّ يُعَدُّ من أعلم النسابين فيما يتعلق بأنساب القحطانيين ، وكتبه لم تنتشر لكي يستفيد منها من ألف في الأنساب ، ممن جاء بعده ، ممن عاش في العراق أو في مصر أو غيرهما من أقطار العالم الإسلامي ، باستثناء بلاد الأندلس ، والهمداني كثيراً مايصحح ماوقع فيه ابن الكلبي من أخطاء في أنساب القحطانيين ، وكتاباه «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» من أوثق المصادر وأشملها في أنساب قبائل سكان جنوب الجزيرة .

سبب عدم ذكر حرب في كتب السير والأخبار القديمة :

وبسبب تأخر استيطان بني حرب في الحجاز لم يرد لهم ذكر في كتب التواريخ والسير القديمة ، كما ذكرت جميع القبائل التي كانت معروفة في صدر الإسلام ، وفي عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كهذيل وخزاعة ، وبطون كنانة وسليم ومزينة .

وعدم ذكر قبيلة حرب في تلك الكتب من الأمور التي توضح أنهم ليسوا من القبائل العدنانية التي كانت موجودة في هذه البلاد في ذالك العهد .

متى انتقلت حرب من اليمن إلى الحجاز ؟

لقد أوضح الهمداني زمن انتقال هذه القبيلة عن مواطنها القديمة في اليمن بمنطقة صعدة ، حيث كانت تستقر فروع خولان الأخرى إلى هذا العهد ، فقال في «الإكليل» ـ ١/٣٠٧ ـ: قالت علماء صعدة : إن بني حرب أجلت عن صَعْدَة في سنة إحدى وثلاثين ومئة ، وقد ثبتنا خروجهم والسبب الذي هاجه ، وكان أهل هذه البلاد الذي نزلها بنو حرب في قادم الدهر العماليق ثم جُذام ، ثم أجلت جرهم من مكة فنزلتها ، ثم نزلتها جهينة ، ثم نزلت عليها عنزة ومزينة . انتهى .

كثير ممن ألفوا عن الأنساب يجهلون انساب قبائل الجزيرة :

أما ماوقع في كتب المتأخرين من نسبة هذه القبيلة إلى بعض القبائل العدنانية فمن أسبابه :

١ ــ أن أؤلئك النسابين يكتبون مايتلقفونه من الرواة ، ولهذا وقعوا في كثير من الوهم بالنسبة لقبائل كثيرة لا لقبيلة حرب وحدها .

٢ ــ أن أنساب سكان الجزيرة لم تُسْتَوْفَ بالتدوين ، إذ أوائل من تصدَّى لهذا الكلْبِيَّان (محمد بن السائب وابنه هشام) دَوَّنَا مادونا منها وهما في العراق بعيدان عن منازل القبائل .

٣ ـ أن اسم حرب من الأسماء المألوفة عند العرب ولهذا كثرت الفروع المسماة به ، ومن هنا قال ابن حزم ماقال من نسبة القبيلة إلى بني هلال .

وأقرب الأدِلَّةِ على ذالك أن أخانا الأستاذ عبدالله بن محمد الحُجَيلي وقع في هذا الخطأ حيث ابتدأ كلامه بإيراد ماذكره الهمداني من أن صداء من حرب بن علة ، نقلاً عن «صفة جزيرة العرب» مستدلاً بهذا على نسبة قبيلة حرب المشهورة إلى قحطان .

وحرب بن علة من مَذْحِجَ ، وليسوا القبيلة المقصودة بكلام الأخ الباحث الحُجَيلي .

والاتفاق في الأسماء مدعاةٌ لوقوع الخلط في الأنساب كما أوضح ذالك الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» مشيراً إلى أن القبيلة عندما يوافق اسمها اسم قبيلة أخرى تنتسب إليها خطأ ـ انظر «صفة جزيرة العرب» ص ١٨٠ طبعة دار اليمامة ـ .

أما ماورد في كلام ابن فضل الله وفي كلام الحمداني فليس فيه مايصرح بنسبة القبيلة إلى العدنانيين ، وليس وصف القبيلة بأنها حجازية يعني نسبتها إلى عدنان ، كما يفهم من كلام الأخ الذي أشار إلى نصوص بعد المتقدمين ، وليس فيها ماهو صريح بالنسبة إلى عدنان فقد سكنت الحجاز منذ أقدم العصور قبائل قحطانية كخزاعة ، والأوس والخزرج ، وجُهينة وبَليٍّ ، وغيرها .

والشريف البركاتي ـ رحمه الله ـ في كتابه «الرحلة اليمانية» ليس حجة لكي يؤيد رأي القائلين بأن قبيلة حرب عدنانية ، فكتابه مشحون بالأخطاء في الأنساب ، وخاصة حينما يحاول ربط أنساب القبيلة الحديثة بقبيلة قديمة ، فله خلط عجيب في هذا .

وقول مؤرخ المدينة المراغي وغيره بأن هذه القبيلة حجازية يعنون السكنى لا النسب .

أما ما أشار إليه الباحث الكريم من أن قبيلة حرب يجمعون على أن (عزوتهم)

خندف وأنها تجمعهم مع قبيلة عتيبة وأن خندف هي قيس عيلان فيؤخذ على هذا : ـ

١ ـ انه خلاف المعروف ، إذ المعروف أن عزوتها (شبابة) لا (خندف) ـ انظر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ص ١٨٥ و ١٨٦ ـ .
٢ ـ إن الإعتزاء بخندف في الوقت القريب حينما كان الاعتزاء بهذا الاسم كان يدخل تحته قبائل قحطانية وعدنانية ، فمن القحطانية : البقوم وغامد وبجيلة ، ومن العدنانية : هذيل وسليم وثقيف ، ومن القبائل التي تجمع ألفافاً قحطانية وعدنانية : مطير .

اختلاط أنساب القبائل :

لاشك أن قبيلة حرب انضوى فيها وانضمَّ معها ودخل بين أحيائها شعوب عدنانية ليس هذا مجال البحث فيها ، بحيث أصبحت قبيلة حرب الآن تضم عدداً من الفروع من مختلف القبائل بين عدنانية وقحطانية ، كغيرها من كبريات القبائل مثل عُتَيبة ومطير وغيرهما باستثناء قبائل قليلة تعيش في بلاد منيعة ليست ممراً لهجرات القبائل الأخرى كالقبائل التي تستوطن سراة الحجاز من الطائف جنوباً إلى بلاد اليمن ، فهذه لاتزال مستقرة في بلادها لم تخالطها فروع أخرى إلا النادر اليسير .

ويبدو أن الأخ عبدالله بن محمد الـحُجَيلي كتب ماكتب على سرعة .

فقد نسب كتاب الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل إلى الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل .

وعد قبيلة عتيبة من هوازن بدون استثناء مع مادخلها من الفروع القحطانية .
وقال بأن عزوة قبيلة حرب خندف ، والواقع أنها شبابة كما تقدم إيضاحه .

ومع ذالك فالأخ الـحُجَيلي بإثارة هذا الموضوع حفزني إلى تذكر ماسبق أن نشرته فيه قبل أربعين عاماً ، وأوردت نصوصاً للهمداني وغيره عن نسب تلك القبيلة ، ولكن قَلَّ من قراء عهدنا من يتذكر ما أوردت ، فله مني أطيب تحية ،

حمد الجاسر

لَمَحَات عن تاريخ حوطة بن تَميم

(المجازة قديمًا)

لاشكَّ أنَّ كل باحث يعلم شُحَّ المصادر التاريخية التي كتبت عن جنوب نجد ، فلا تكاد تجد إلا نتفاً يسيرة مبعثرة في بعض الكتب ، أو قصائد متداولة بين أهالي تلك المنطقة ، تشير إلى بعض من تاريخها .

ولقد حاولت بقدر ما أستطيع تَحَرّي تاريخ منطقة (حوطة بني تميم) وعثرت على قصيدة تذكر شيئاً من تاريخ تلك المنطقة وصورة من تلك القصيدة مع هذه الرسالة .

وأوَدُّ أن أُشير إلى بعض الملاحظات على تلك القصيدة :

١ ــ أن تلك القصيدة قد قيلت منذ عدة قرون ، ويبدو لي أنها قيلت باللغة الفصحى ، ولكن بواسطة تناقلها عن الرواة العاميين حوروها مع مرور الزمن إلى اللغة العامية ، لأنها وصلتنا بواسطتهم فأدَّى ذالك إلى عدم اتِّزَان كثير من أبياتها ، وهذا لا يخفى على القارئ .

٢ ــ إن بعض أحداث تلك القصيدة مازال معروفاً لدى أهل الحوطة ، كانتقال بَنِـي هِزَّان إلى نَعَام .

٣ ــ أن قصر آل خويطر ـ الوارد ذكرهم في القصيدة ـ مازال موجوداً في منطقة تدعى أسفل الباطن في حوطة بني تميم .

٤ ــ وردت بعض أحداث تلك القصيدة في بعض كتب التاريخ كحادثة غزو الأشراف ـ أشراف مكة ـ لنجد وكحادثة غزو بني عُقَيْلٍ وحربهم مع بني تميم ، وحلفائهم من بني هِزَّان .

٥ ــ هذا ما استطعت الحصول عليه من تلك القصيدة وقد يكون لها بقية لم أعثر عليها ، وما لا يدرك كله لا يترك جُلُّهُ ، فأهمية هذه القصيدة في قيمتها التاريخية لا قيمتها الأدبية .

وأخيراً فإن هذا المقال ليس إلا خطوة في سبيل تحقيق الأهداف التي من أجلها أسست مجلة «العرب» وهو حفظ التراث الفكري والأدبي للعرب .

الراشديّ اللّي من (تميم) تحدُرْ ... أهل (يَبْرِين) وبيع الحمى مَرْعَانا
نَرْعَى بْنِيْدَانٍ كَمَا سُحْبٍ تَزَبْرَتْ ... نَتْبَعْ شفُها ولا نخاف عْدَانا
جَنْبَهَا من (تميم) مَدَابِيل خَيْلها ... يتبعون شفها يَوم إنها مَشْهَانا
دَارٍ ما مثلها لولا الكثر بها... ... يحلّ الضَّيْم عند ورد (الزبانا)
من الزّحام الصدور قِدْهَا فَايْضَة ... وفرجها الله بـ(ابن الأبْيَض) دعانا
دعَانا (العبدلي ابْن الأبْيَض رَاشد) ... (راشد العبدلي) من (تميم) نخانا
يقول (بني عُقيل) كثروا أعوانهم ... وأنا (ابن هزان) نَتْخَى الأعوانا
وأنتم أعواننا يا صُلْبَ جدّي وفَزْعَتي ... نَتْخَى القَرِيْب عند لزوم شعانا
يقول خَيَّالَ الخيل (أهل يَبْرين) يَا هَلِي ... هَيَّا يا (عْيَالْ عَبْدل) قبل تُسْبَى نسانا
يا طَارْشِي صِحْ في (تميم) كلها... ... هم فزعتي لاَ ضَامْنا العدوانا
أخاف يلحقكم همز عند القبايل ... لا من قهرونا بدارنا ومرعانا
ظَهَرْنَا مغَرِبِيْنَ ملبِّيْنَ للداعي كلنا ... من (يبرين) ظهرنا ما خشينا عدانا
وجمعنا الله بـ(آل راشد) بني عَمْنا ... وبـ(الوايلي) اللي للضدّ مَا لاَنا
وزَمَا جْمعنا حَوْل (المَجَازَة) واشتهر ... نَاوِيْن بالسُّوْءِ لمن هو نوانا
وتلاقَيْنا مع (بني عُقَيْل) الأشاوس ... وكَثْرَت الْجَنَايِزْ مِنَّا ومن عدانا
ثمانية أيام وإنا نَصَبِّحْهُمْ بغارة ... ونلتقي مع خيالة شجعانا
(آل مِعْضَادٍ) و(آل أبو سعيدٍ) بَان فعلهم ... و(آل راشد) و(آل داهوم) فعلهم بانا
تِرْثَة (عبدالله بن دارم) أهل الفعل ... وكذلك (الوايلي) و(بني هزانا)
وفي اليوم التاسع جابْهَا الله على المنى ... على (بني عُقَيْل) نصر من الله جانا
وغطى (المجازة) كَتَام عليها... ... خلوا (بني عُقَيْل) دارنا وحمانا
ولبست غَبْرًا (المجازة) ثوبها الحمر ... اكْتَسَتْ مِنْ دمْ الْعَدُوّ ودمانا
وطردناهم من فروع (المجازة) كلها ... ولجُّ الصيَاحْ من خَفْرَاتْهُم ونسانا
وحل (إبن رمية) بقرب (المجازة) ... وحمايْلِهْ حَلُّوا بنفس المكانا

وباقي (العبادل) يَمّ (يبرين) نكسوا	جمع على ديارهم ولهانا
و(بني هزّان) مع (راشد) أميرهم	... استقروا بـ(المجازة) حذانا
و(بني الأُبَيِّض) في نخيلهم وقصورهم	رضوا بإمارة (ابن رهمية) على (بني هزانا)
حيثمهم (وابن رهمية) في (راشد)	مقاديم (عبدل) نهار الطعانا
و(آل خويطر) بعد (إبن رهمية) تومروا	لا ثقلت القالات. هم ومرانا
يثنون دون دخيلهم بخيلهم...	يقولون: وَمَنْ ما دمت وسط حمانا
وعاهدوا (بني هزان) على حرب الشريف	يوم قاد قبايل سدّت الشعبانا
حاربوا (تميم) لا طرح الصلح بينهم	عقب حرب شيّب الولدانا

الدلم : عبدالرحمن بن عبدالله بن راشد آل حوتان

الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي

جاء في ترجمة الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي ، المنقولة عن كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد ، في مجلة «العرب» - س ١٢ ص ٧٦٨ - مانصه : (وكان قاضي بلدة ثادق من وادي سدير) .

وبلدة ثادق من إقليم المحمل ، وليست في وادي سدير .

نبه على ذالك الأخ إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن ربيعة .

قبيلة بلحارث بن كعب

عتب الاخوة الحارثيون على ما سبق أن نشرته «العرب» س ١٧ ص ٦٢٩ عنهم بتوقيع الأخ الكريم فراج بن شافي الملحم ، وبعد أن اطلع الأخ فراج على عتب الاخوة في «العرب» س ٢٥ ص ٢٦٨ علق بما هذه خلاصته :

١ ـ لا يجهل ما لقبيلة بني الحارث المستقرة حول مدينة نجران والتي يرى أنها من بقايا بني الحارث بن كعب الذين سكنوا تلك البلاد في الجاهلية وصدر الإسلام ، وورد ذكرهم في كثير من كتب التراث .

٢ ـ وهو يشكر الأخ محمد بن حمد بن عيبان لتقديمه معلومات جديدة عن هذه القبيلة التي تكاد أن تكون مجهولة .

٣ ـ ويؤكد له ولغيره من الاخوة الذين يهمهم الأمر أنه لم يشك لحظة في أصالة هذه القبيلة وعراقة نسبها ، وإنما نقل ما سمع .

٤ ـ ويعتذر الأخ فراج بأن غايته من الرحلة جمع معلومات تتعلق بمواضع في شمال نجران واسم القبيلة ورد عرضاً ولم ينقل شيئاً عن ابن قعوان وحده ، وإنما نقل عن كثير من أهل المنطقة وليس بالضرورة أن يكون كلامهم صحيحاً .

ويعد الأخ فراج بأنه سيقوم في أقرب فرصة ممكنة برحلة إلى منطقة نجران ليزور هذه القبيلة الكريمة (بلحارث) والمجاورين لها لجمع معلومات أوفر وأشمل فائدة إن شاء الله .

حُمَيد بن ثور الهلالي
نظرة في نسبه وشعره

أمتعت بما أضفاه أستاذنا الدكتور شاكر الفحام ، على ترجمة حميد بن ثور ، عند ابن عساكر ، من تعليقات ضافيةٍ إمْتاعاً وإيضاحاً وتفصيلاً ، ورأيته أطال النَّفَسَ حول نسب(*) حُمَيْدٍ إطالة حفزتني للمشاركة ، مشاركة استزادة من علم أستاذنا الجليل ، واستنارة بفهمه .

١ ـ يظهر أنَّ نَسَبَ حُمَيدٍ ، قد وقع فيه اختلافٌ بين المتقدمين ، خلاف ما أورد الدكتور شاكر من نصوص كلام بعضهم ، فأبُو عليٍّ الهَجْرِيُّ قال في كتابه «التعليقات والنوادر»(١) حدثني شيخ من بني هلال ، وسألته عن نسب حُمَيْدِ بن ثور ، وكان حدثني بعضُ من يعرف نسبَهُمْ أنَّهُ أثبَجِـيٌّ ، مِنْ بَالأَثْبَج ، فقال : لا ، حُمَيدُ بن ثور بن عبدالله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهِيْكِ بن هلال بن عامر ، قال : والأَثْبَجُ بن عامر ، فَجَدُّ حُمَيدٍ عبدُ الله والأَثْبَجَ ابْنا عامرٍ هذا المذكور أوَّلاً ، وأَحسِبُ أنَّ الذي حدثني لَـمَّا رآى دعوتهم واحدة ، بنو عبدالله وبنو الأَثْبَج بن

عبدالله نسبَه إلى ذلك ، وكذا روى أبو محمد التَّوَّزي عن أبي عَمْرِو بْن العَلاء ، ونسبه كما كتبنا قبل ، ولم يَذْكُرِ الأَثْبَجَ في نسبه . انتهى وحاول البُلْبَيْسِـيُّ في أنسابه[٢]، أن يوضح هذا أو حاول من نقل البلبيسي عنه ـ ولعله الرُّشَاطِـيُّ الأندلسيُّ فقال : الأَثْبَجِـيُّ في هلال بن عامر : الأثبجُ بن عامر بن أبي رَبيعة بن نَهيك بن هلال بن عامر ، منها حُمَيْدُ بن ثور بن عبدالله ، وعبدُ الله جَدُّهُ هو أخو الأَثْبَجِ ، فَنُسِبَ إلى عَـمِّ أبيه ، وكثيراً أتى هذا عن العرب ، قالوا في الأعشى : مازِنيٌّ ، وهو جِرْمازِيٌّ ، ومازن وجِرْماز أخوان . انتهى .

وحين يورد الْهَجَرِيُّ بعضَ أشعاره يقول : لِـحُمَيْدِ بن ثور الأَثْبَجي أَوْ للهلالي حُميد الْـجِمَال ، وهو أَحَدُ بني الأَثْبَج بن نَهيك[٣].

٢ ــ الرِّيَاحِــيُّ :

لا غرابة في نِسْبَةِ حُمَيْدِ بن ثور إلى رِيَاحِ ، فرياحُ : بطنٌ من بني نَهيك ، ونَهيك هو ابن هلال بن عامر ، وقد روى الهَجَرِيُّ عن بعض بني رِيَاحِ الهلاليين قال : أنشدني الأُعَيْمِشُ من ربيعة بنت هلال ، والرويني للمنتصر بن عبدالله بن مالك ابن ربيعة بن شراحيل الرِّياحيّ هلاليّ[٤]، وقال: وأنشدني الأُعَيْمِشُ من بني ربيعة بن هلال ، ولم أَرَ أَفْصَحَ منه للمنتصر الرِّياحي ، رياح نَهيك من هلال[٥].

من هنا لا غرابة ـ مادام وقع اختلاف في نسب حُمَيْدٍ ـ أن ينسب إلى رياح بن نهيك ، أو الأثبج بن عامر بن ربيعة بن نهيك ، أو غيرهما من بني هلال ، على عادة العرب في نسبة المرءِ إلى عَـمِّ أبيه على ما نقل البُلْبَيْسِـيُّ .

٣ ــ حُمَيد الـجِمال :

لا أدري كيف سَمَّى الهَجَرِيُّ حُمَيدَ بن ثور هذا حُمَيد الجمال[٦].

ولعلَّ هذا لِوَصْفِهِ الْـجِمال (جمع جمل من الإبل) .

وقد أشار إلى هذا ابنُ حبيب في «ألقاب الشعراء»[٧] ولكن هل بَرَزَ هذا وَاضِحاً فيما وصل إلينا من شعره .

٤ ـ وقد أورد الهجريُّ لحميد شعراً لم يَرِدْ في ديوانه الذي حققه أستاذنا الميمني ـ رحمه الله ـ مِمَّا لَـمْ أره فيما استدركه الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار[٨]، وقد رجعـا إلى كتاب الهجريِّ ، وهاهو ما اطلعت عليه في المخطوطة الهندية منه :

(١) للهلالي حُمَيْدِ الجمال ، وهو أحدُ بني الأَثْبَج بن نَهيك ، قال أنشدني هذا عُتْمِيٌّ أيضاً :

عَفَا السَّفْحُ من سَلْمَى فَيَغْنَى فَغُرَّبُ ... فَبُرْقُ جَنَاحٍ كُلُّها لِلْحَزَنِ تَطْرَبُ
خَرَائِدُ بِيْضٌ كالدُّمَى قُطُفُ الْـخُطَا ... سُلَيْمَى وَهِنْـدٌ والرَّبَابُ وزَيْنَبُ
وَسُعْدَى الَّتِي قَدْ أَقْصَدَتْكَ بِبَيْنِها ... فَقَلْبُـكَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا يَتَحَوَّبُ
عَقِيلَهُ أتـرابٍ وعُـوْنٍ كَـأَنَّهَا ... بِرَمَّانَ في رَأْدِ الْغَزَالَةِ رَبْرَبُ
ألا هَلْ لِدَهْرٍ قَدْ تَسَلَّفَ مَطْلَبُ ... وَهَلْ لِصُدُوْعٍ مِنْ نَوى الْحَيِّ مَشْعَبُ
جَرَى بِانْصِدَاعِ الْبَيْنِ ظَبْيٌ فَرَاعَنِي ... وَمَـرَّ غُرَابٌ حقَّقَ الْبَـيْنَ يَنْعَبُ
وَفِي الْحَقِّ مَنْجاةٌ وفي الْيَأْسِ رَاحَةٌ ... وَفِي الأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَـذْهَبُ
جَفَانِـي الْغَوَانِي إذْ رَأَيْنَ مَفَارِقِـي ... عَلاَهُنَّ صِبْغٌ وَاضِحُ اللَّوْنِ أَشْهَبُ[٩]

(٢) وأنشدني لِحُمَيْدِ الجمال بن رورٍ[١٠] الهلاليُّ ، قال أنشدني ابن ضيرغام السلمي من جعفر بن كلاب :

قَوْمِي بَنُو عَامِرٍ قَوْمٌ أُشِيْرُ بِهِمْ ... وَالأَصْـلُ مُجْتَمِعٌ وَالْفَـرْعُ مَنْشُوْرُ
والجَدُّ أَغْلَبُ أَعْيَا الْحَاسِدُوْنَ لَهُ ... حَـوْلاً ولَيْسَ لِخَلْقِ الله تَغْيِـيْرُ
وَنَحْنُ نَاسٌ بِأَرْضٍ لاَ حُصُونَ بها ... إلاَّ الأَسِنَّـةُ وَالْـجُرْدُ الْـمَغَاوِيـرُ
وَنَكَّلَ النَّاسَ عَنَّـا فِـيْ مَنَازِلِهِمْ ... ضَرْبُ الرِّقَابِ التي فِيْهَا الْعَصَافيرُ
وَدَّ الْمُلُوك بـأَشْرَافٍ مُجَـدَّعَـةٍ ... وأن أعـينَهُـم مَمْـسُوحَـةٌ عُـوْرُ
أَنَّ أَبَـاهُمْ أَبُـوْنَـا غَـيْرَ مُؤْتَشَبٍ ... إذَا نُسِبْنَا وَأَنَّ الْـجَدَّ مَنْصُورُ[١١]

وهذه الأبيات لها صلة بما ورد في الديوان[١٢]:

رَدَّكَ مَرْوَانُ لا تُفْسَخْ إمَـارَتُـهُ ... فَفِيكَ رَاعٍ لَهَا مَاعِشْتَ سُرْسُورُ

(٣) وأنشدَنِي لِحُمَيْدِ بن ثَوْرٍ الأَثْبَجِيِّ :

وَقَائِلَةٍ أَنْ قَدْ تَبَدَّلْتَ بَعْدَنَا وَغَالَتْكَ عَنَّا يَاحُمَيْدُ الْغَوَائِلُ
فَأَرْسَلْتُ أَنْ وَاللهِ مَابِعْتُ وَصْلَكُم بِوَصْلٍ وَلَا رَاقَتْ بِعَيْنِي الْبَدَائِلُ
تَجُمُّ عُلَالَاتُ الدُّمُوعِ لِذِكْرِكُمْ كما جَمَّ بِالْمَتْحِ الثِّمَادُ الضَّوَاهِلُ
وَلكِنْ عَدَتْنِي عَنْكِ أَشْيَاءُ سَمَّحَتْ عَلَيْنَا الْهَوَى وَاسْتَشْرَفَتْنَا الْقَبَائِلُ[١٣]

٥ ــ وأَبَحْتُ لنفسي في هذه المناسبة أن أنقل كلماتٍ يسيرة كتبتها في هامش نسختي من «ديوان حُمَيْد» حين اقتنيته في القاهرة في ١٢ شعبان ١٣٧٧هـ.

١ ــ في مقدمة أستاذنا الميمني ـ رحمه الله ـ بعد أن نقل قول الهجري : وأنشدني العَمْرِيُّ لحميد الجمال الهلالي يمدح عمر بن ليث :

أَثْنُوا بَنِيَّ عَلَى الَّذِي أَهْدَى لكم جُــزُراً ولم يُرْجِعْكُم بــدُيُــونِ

الخمسة الأبيات وقال : (وأراه متأخراً عن حُميدِنَا) هذا كلام شيخنا الميمني ، وأُضِيْفُ : عمر بن ليث هذا أحد بني جحش بن كعب بن عَمِيرة بن خُفَاف ، وليس عَمْرَو بنَ الليث الصفّار ، من أهل القرن الثالث الهجري ، الذي ذكره ابن جرير في حوادث سنة ٢٦٥ ، ولعل شيخنا توهمه الممدوح .

٢ ــ نقل عن الهجري قوله[١٤] : (معارف أسماء يذكرها حُمَيْد بن ثور) ثم سرد أسماء المواضع ولم يذكر تحديدها ، وهاهو نص كلام الهجري : معارف أسماء يذكرها حُمَيْد بن ثور . قال : إصْبع هضبة بجِلْدَان ، وجِلْدَان إذا خرجت ودَبَرْتَ لِيَّةَ تَعَدَّيْتَ في جِلْدَان ، غائط أبيض ، رَقَّةُ بيضاء ، آخِرَه كُلَاخ . وقال : هو اليكموك ، ولم يعرف كمول .

هَيْجٌ : وهما هَيْجانِ جَبَلانِ بالْـحَرَّةِ ، حَرَّة بني هِلَالٍ أسودَانِ ، بِسَوَاءِ الْـحَرَّةِ ، ومعنى سواء أوسط شيء منه .

وسألته عن الأَدْهَمَيْنِ ، فقال : هما حَزْمانِ أسفل من الدَّثِيْنَةِ شرقيًا نحو بَرِيدٍ

وما أشبهه . وسألته عن الأخرجين فقال : بُرْقَتَانِ مُتَأَزِّرَتَانِ برمْلٍ أبيض ، بقابل السود .

والسود : علم أبيضُ عن حَضَنٍ بميلين . انتهى كلام الهجري .

ومنه يتضح مافي تعليق أستاذنا بما نقله عن ياقوت من خطإ في تحديد هذه المواضع ، ولاشك أن كلام الهجري أصح .

٣ ـ ص ٣٣ : في تعريف الأخرجين .
يرجع إلى قول الهجري المتقدم .

٤ ـ ص ٣٧ : في الحاشية عن «معجم ما استعجم» : (قَرَن المنازل) وعلى الراء فتحة ، والصواب ـ السكون ـ وكلمة (بطن قَرَ) صوابها (بطن مَـرٌ) وهو المعروف (بمر الظهران) وادي فاطمة الآن .

٥ ـ ص ٥١ : (ذاتِ الـخَمار) ـ بفتح الخاء ـ على ما ضبط الحازمي في كتاب «البلدان»[١٥] وأورد البيت مطابقاً لما في «معجم ما استعجم» .

٦ ـ ص ٥٤ : الحاشية : (والبلي هنا وادٍ يصب على الحاضرة) وليس هذا مراد حُمَيْدٍ ، بل مراده موضع آخر حدده الهجري فيما نقله عن الشيخ الهلالي الذي أخبره بنسب حُمَيْدٍ . وسألتُهُ عن هَيْجَ فقال : هُمَا هَيْجَانِ ، جَبَلَانِ بِأَسْفَلِ رَنِيَةَ .
ودَارًا ـ مَقْصُورَةٌ مُذَكَّرٌ ـ والْغُضَارُ والْبُلِيُّ : كُلُّ هَذَا مِنْ مَدَافِعِ بِيْشَةَ ، حَيْثُ تُنَهِّي فِي الْغَائِطِ مَهَبِّ الشَّمَالِ ، وقال : حَرَّةُ بني هِلَالٍ مِعْتَرِضَةٌ مِنْ أَسْفَلِ سقْفِ الطَّوْدِ إِلَى مَهَبِّ الشمال أَرْجَحُ مِنْ سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ومن الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ شَطْرُ ذَالِكَ[١٦] .
انتهى .

٧ ـ ص ٦٣ :

صــدور دودان فــأعــلى تنضب   فــالأشهبيــن فجــمال فــالمجــج

البيت في كتاب «البلدان» للحازمي في باب (جُمَال ٍ وحَمّال ٍ)[17] و(فالمحج) وهو طريق .

٨ ـ ص ٦٤ : تَذَكَّرَ البِيضَ بِكَمُّول ٍ فَلَـجْ

الصواب : تذكر البيض بيكموك فلج .

وتقدم ذكر يكموك في كلامْ الهجري .

٩ ـ ص ٦٦ :

عَـرِيبِيَّةٌ لا نَـاحِضٌ منْ قَدَامَـةٍ وَلاَ مُعْصِرٌ تَجْرِي عَلَيْهَا الْقَلاَئِدُ

وعلق أستاذنا عريبية : منسوبة إلى عَرِيب ، حي من اليمن . انتهى .

والذي أرى أنها منسوبة إلى عَرِيب بن رُوَيْبة بن عبدالله بن هلال بن عامر ، وعَرِيبٌ هاؤلاء ذكرهم العسكري في كتاب «شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيف» وهم أقرب إلى أن يتغزل حُمَيْدٌ بفتياتهم .

١٠ ـ ص ٧٤ : (ثنية الشَّريد بالبقيع) .

الصواب : (بالنَّقِيع) ـ بالنون ـ وما أكثر ما يخلط بعض المتقدمين بين البقيع ـ بالباء ـ الواقع داخل المدينة ، والنقيع ـ بالنون ـ وهو الحمى المعروف خارج المدينة .

حمد الجاسر

الحواشي :

(*) «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق، المجلد الـ (٦٤ ـ ص ١٨٨ ـ ٢٠٧) .

(١) المخطوطة المصرية ـ ص ٥١ ـ .

(٢) مخطوطة مكتبة شيخ الكتاب في اسطنبول ـ رقم ٥٩٦ ـ ص ١٦ ـ .

(٣) المخطوطة الهندية ـ ص ١٩٣ ، ٢٠١ ـ .

(٤) المخطوطة الهندية ـ ص ٣٩ ـ .

(٥) المخطوطة الهندية ـ ص ٤٠٨ ـ .

(٦) المخطوطة الهندية ـ ص ٢٠١ ـ .

(٧) نوادر المخطوطات - ج ٢/٣١٤ - .
(٨) «مجلة معهد المخطوطات العربية» (طبعة الكويت) - المجلد الـ(٣٠ - الجزء الثاني) .
(٩) المخطوطة الهندية - ص ٢٠١ - .
(١٠) كذا ورد في المخطوطة (رور) ولا شك أنه تصحيف (ثور) .
(١١) المخطوطة الهندية - ص ٣٠٧- .
(١٢) (ص ٨٢) .
(١٣) المخطوطة الهندية - ص ١٩٣ - وأقرب مذكور ممن روى عنهم الهجري : (عتميٌّ بن محمد الجَذَمي السلمي) أكثر الرواية عنه .
(١٤) المخطوطة المصرية - ص ١١٣ - .
(١٥) مخطوطة لاله لي في استطنبول الورقة الـ(٢٥): (باب جِمار وجَماز ، وحِمار وحَمار وخَمار) إلى أن قال : وأما الخامس أوله خاء معجمة مفتوحة ثم ميم مخففة : موضع بتهامة ، قال حميد بن ثور :

وقد قلن: هذا حميد وأن يرى ... بعليـاء أو ذات الخَمار عجيب

(١٦) المخطوطة المصرية - الصفحة الـ(٥٢) .
(١٧) مخطوطة لاله لي في اسطنبول - الورقة الـ(٥٥) وفيه البيت :

صدور دودان فأعل تنضب ... فالأشهبين فجال فالمحج

قال الأوْديُّ : دودان : وادٍ ، والأشهبانِ : بلد ، وجُمالُ : بلد ، والمحجّ : طريق . انتهى .
(١٨) كنت اعتمدت على نسخة مصورة عن مخطوطة هذا الكتاب مشيراً إلى الورقة الـ (٨٠) وقد فقدت هذه المصورة ، ولم أهتد إلى موقع كلام العسكري في المطبوعة . إذ ليس لديَّ الكتاب .

آل بُوَيت الفضليين وفروعهم

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالرحمن بن حمد بن عودة آل بويت ماهذا نصه :

لقد سقط سهواً في العدد رقم (ج ١١ ، ١٢ الجماديان ١٤١٠هـ) أحد فروع أسرتي وهو فرع عايد أحد فروع أسرة آل بويت وصحة ذالك كالتالي :

١ - عايد . ٢ - عواد .
٣ - عودة (وفيه الإمارة ولاتزال حتى الآن) .
٤ - علـي . ٥ - مبارك .

هؤلاء أولاد بخيت آل بويت وهم من آل غزي من الفضول من بني لام أما أبناء عمومتهم منهم :

١ - آل مقرن . ٢ - آل عبيدالله .

وكتب إلى «العرب» الأخ حمد بن خليفة بن عودة آل بُوَيت ، يشير أنه سقط اسم عايد بن بخيت البويت ، من بين الأسماء المنشورة في مجلة «العرب» - س ٢٤ ص ٨١٣ - من أولاد بخيت آل بويت ، وأنهم عواد ، وعودة ، وعلي ، ومبارك .

وطلب إضافةَ اسم عايد ، وقال : بأنه أخو الأربعة المذكورين ، فما رأي الإخوة حمد بن علي بن عودة ، وعلي بن إبراهيم ، وعبدالرحمن بن حمد في هذا ؟!

آل حمد .. الوائليون أهل حريملاء

. . . هذه نبذة مختصرة عن أُسْرة آل حمد أهل حُرَيْملاء نرغب نشرها في مجلة «العرب» وأن تلحق في كتاب «جمهرة أنساب الأُسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه .

آل حَمَد من آل (أبو رَبَّاع) من الحسني من بشر من قبيلة عنزة ، سكنوا بلدة (أُشَيْقر) في القرن الخامس الهجري ، ونزحوا منها إلى بلدة (التُّوَيْم) في القرن السابع الهجري ثم انتقلوا منها إلى حُرَيْمِلاء في عام ١٠٤٥هـ وذالك بعدما اشتراها علي بن سليمان آل حمد من حمد بن عبدالله بن مُعَمَّر بستّ مئة أحمر ، وانتقل إليها هو وابنا عمه حسنٌ وسُوَيد ، ابنا راشد آل حمد ، فكان عليّ بن سليمان المذكور أميرَ (حريملاء) ومن بعده ذريته وأحفاده ، حتى بلغ النزاع منتهاه الذي حدث بين آل حمد وآل راشد عَلَى الإمارة ، وذالك بعد سقوط الدرعية بأربعة أعوام ثم انتقلت الإمارة إلى حمد بن مبارك آل راشد مدة عامين ، ثم طلبها من الإمام تركي بن عبدالله مع طلبات أخرى فوافق الإمام على إجابة ما طلب ، وذالك في عام ١٢٣٩هـ وبقيت الإمارة لحمد المذكور ومن بعده ذريته وأحفاده ، وكان آخرهم عليٌّ بن حمد بن مبارك آل راشد ، الذي أُعْفِي من إمارة حريملاء عام ١٣٥٦هـ ثم عين من بعده عبدالرحمن بن محمد بن مبارك آل حمد أميراً في حريملاء ثم من بعده حمد بن عبدالله بن حسن ، من آل حسن أهل ملهم ، ثم من بعده عبدالرحمن بن سليمان بن مِشْعل ثم من بعده عبدالرحمن بن إبراهيم بن مبارك آل حمد ، ثم من بعده عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم حتى نهاية عام ١٣٧٥هـ .

نرجع إلى علي بن سليمان آل حمد ـ ابناه هما : (١) حمد ـ وهذا هو حمد الأدنى (٢) راشد .

أما حمد فأبناؤه ثلاثة: (١) سند ـ جد آل سنَدٍ أهل الزبير ـ (٢) راشد ـ جدّ الزِّبرة أهل الزبير ـ (٣) مبارك ـ جد آل عدوان وآل مبارك ـ آل حمد ـ وآل شَبيب ، وآل ناصر الذين سكنوا (القَرِينة) وآل ابن ناصر في (حريملاء) والقلاعا ، وآل عكَّاش ، وآل ربيعة ، وآل يوسف أهْل (الدُّرْعيَّة) وآل مُقْرِنٍ في (حريملاء) و(البِير) والوايلي في (القرينة) وآل عبدالكريم في (مَلْهَم) وآل عُمَر في (رَغْبة) وآل حرقان في حُرَيْملَاء ومَلْهَم والوايلي في (البَرَّة) وآل حرقان في (قطر) .

أما راشد آل حمد فابناه هما: (١) حسن (٢) سويد . كما تقدم فحسن ينتمي إليه حمد بن مبارك ، وأخوه عبدالرحمن ، وفهد بن راشد ، وناصر بن محمد آل راشد ، وراشد آل إبراهيم وأتباعه ، وآل عبيد الله ، وآل غنام ، وآل دُوَيْرِج ، وآل ناصر الذين منهم آل مُنِيْس وآل مُلْـحِم وآل موسى .

والذي يظهر لنا حسب معرفتنا أن المذكورين من ذرية راشد بن علي بن سليمان آل حمد .

أمَّا سُوَيْد فذريته آل ناصر ـ عيال حريب الردى ـ وآل إبراهيم أهل (الزُّبَيْر) وآل مشاري ، وآل أبا عود ، وآل شبل .

تكميل : تخلل إمارة آل حمد وآل راشد أمراءُ من غيرهم ففي إمارة آل حمد . عين الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد موسى بن قاسم أميراً في (حريملاء) في الفترة من عام ١٢٢٨هـ إلى عام ١٢٣٣هـ . كما عين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أمراء في حريملاء في فترة إمارة آل راشد من عام ١٣٢١هـ إلى عام ١٣٢٤هـ وهم عبدالعزيز بن غيهب ، ثم علي بن قعيد ، ثم ناصر العمراني .

هذا وقد نزل (حريملاء) من قبيلة عَنَزَة من غير آل حمد ، آل بَدْرٍ ، وآل وَطْبان ، وآل ظفر ، وآل زيدان ، وآل سعد ، وآل ثاقب .

ولا ننسى أنه قد سكن (حريملاء) مع آل حمد غير من ذكر أُسَرٌ عديدة من قبائل

متفرقة وكان لهم إسهامات كبيرة في حماية هذه المدينة وتعميرها وتنميتها في جميع المجالات .

هذا ما أحببنا إيضاحه . والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد .

سعد بن محمد بن شبيب
عبدالعزيز بن عبدالرحمن المبارك
عبدالله بن عبدالرحمن المبارك

خالد بن الوليد.. لم ينقطع نسبه(١)

لقد ورد في كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ج ١ ص ٢١٥ : وتجدر الإشارة إلى خطإ شائع منذ عصور قديمة ، وهو انتساب بني خالد إلى خالد ابن الوليد الصحابي الجليل ، وخاصة فرقة يدعون بهذا الاسم كانوا في نواحي حمص ، حيث توفي خالد رضي الله عنه . وقد نصّ علماء النسب على انقطاع عقبه على ماذكر ابن فضل العمريّ في كتاب «مسالك الأبصار» في الكلام على أنساب العرب في عهده . . .

فأقول : بما أن ماذكرتموه في حقيقة أمره مخالف للحقيقة التي يعتقدها وتوارثها بنو خالد في نجد والشام وفي كل مكان يوجدون فيه منذ عصور قديمة . وبما أنكم ذهبتم مذهبكم في الرأي هذا اعتماداً على مانص عليه بعض علماء النسب ، وليس جميع علماء النسب . . أو بعض علماء التاريخ وليس جميع علماء التاريخ . . فأحببت أن أرسل إليكم هذا الخطاب ، وأرجو أن تصححوا ماذهبتم إليه ، وخاصة في كتابكم المذكور «الجمهرة» وأعرض عليكم مافاتكم .

أولاً : بنو خالد يعتقدون حقيقة بأنهم ينسبون إلى جدهم خالد بن الوليد المخزومي القرشي سيف الله رضي الله عنه . . والعرب أعرف بأنسابها .

ثانياً : إنّ ماذهب إليه بعض المؤرخين وليس النّسابين ومنهم ابن الأثير أن ذرية سيدنا خالد رضي الله عنه قد انقرضت فهذا خلاف المشهور المتواتر من جهة .

ومن جهة ثانية فابن الأثير الموصلي المؤرخ وقع في وَهْم أوقعه في خطإ ، حيث إجماع النسابين على أن لا عقب له في المدينة المنورة . وهذه الكلمة التي أوهمت ابن الأثير فقال : بانقراض الذرية الخالدية . . وقد أورد المصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» والمتوفي ٢٣٦هـ : (انقراض عقبه في المدينة المنورة وورث دارهم سلمة).

علماً بأن ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب» الذي اعتمده عن كتاب «الأنساب» للسمعاني أثبت هو بعد أن ثبت له وجود الذرية الخالدية ، ذرية خالد بن الوليد المخزومي القرشي سيف الله رضي الله عنه : فأورد في الجزء الأول (٤١٣) مانصه : وأبو الفتح حيدر بن محمد بن حيدر الفارسي الشيرازي الخالدي من ولد خالد بن الوليد ، خدم أبا اسحاق الشيرازي ، وصحبه وسافر إلى الشام وسكن في آخر عمره مرو ، وتوفى بمرو في شعبان سنة أربعين وخمس مئة .

وقد اتفق ابن الأثير في موضع آخر والطبري على رواية موت عبدالرحمن بن خالد أمير حمص ، وقد ثأر له ابنه خالد بن عبدالرحمن فقتل ابن أثال الطبيب النصراني ، وقد فخر بهذا على عروة بن الزبير ومحمد بن مسلمة ، في حكم معاوية ابن أبي سفيان وخلافته . وقد اعتمدها العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» في قصة مثيرة .

ثالثاً : والمشهور والمتواتر عند أئمة علم الحديث والفقه مثل الإمام السبكي ، وعبدالفاخر والسمعاني والتباعي وغيرهم نَصُّوا في طبقاتهم وتواريخهم : على وجود الذرية الخالدية وترجموا كثيراً من أكابر رجالها .

رابعاً : وقد سبقنا ردّ شيخ الإسلام السراج (؟) في صحاحه على ابن الأثير بقوله : (أمّا ما رواه العلامة ابن الأثير الموصلي في تاريخه من انقراض عقبه . وأن النسابين أجمعوا على ذلك فهفوة مؤرخ لا يعبأ لها ، بل إن إجماع النسابين على أن لا عقب له في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . وهذه الكلمة التي أوهمت ابن الأثير رحمه الله وقال بانقراض الذرية الخالدية بلا تؤدة) .

خامساً : ومثله ماقاله العدواني رحمه الله : (ولا ريب لدى عامة المحققين من النسابين كابن السمعاني ، وعبدالفاخر وغيرهما في أن عقب سيدنا خالد منتشر في الشام ونجد والعراق ومنهم بمرواكرود وبلاد الأفغان وهم ألوف مؤلفة وصفوف مصففة ، وعصائب وافرة بادية وحاضرة . .) .

سادساً : وقد ذكر في كتاب «الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام» تأليف الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي في - ص ٨ -: (إن من أشهر بطون قريش التي انتقلت إلى ديار الشام جماعات أكثرهم عدداً بنو مخزوم ، ويقال لهم الآن بنو خالد على أن الأمير سيف الله خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه منهم ، وقد رحل سلفهم إلى ديار الشام معه وبقيت ذريته المباركة فيهم . وقد انتشر منهم العدد الكثير . .) وفي الكتاب نفسه بعد نقله لأقوال أهل العلم يقول : (وإن الأكابر من المحدثين والفقهاء الذين سبق ذكر بعضهم قالوا بانتشار العقب الخالدي ، وهذا الذي صحّ وتواتر ورواه قبائل العرب ، وهم الحفظة لأنسابهم بلا دفاع ، وإن أمراء قبيلة بني خالد بديار الشام هم ذرية سيف الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهم عائلة جليلة وَلِـي آباؤهم من قبل الملوك السالفين رحمهم الله ، إمارة عرب الشام . وكانوا أعظم قبائل الشام شأناً ، وأشهرهم صيتاً وأقواهم مالاً وعدداً . . والرئاسة فيهم إلى أمراء بني خالد وشيوخها (آل عبدالقادر) وهم ينتهون إلى (ناصر بن عاصي بن مهنا بن سليمان بن مهنا بن محمد بن فارس بن عبدالكريم بن عيسى بن مهنا بن مدلج بن الفضل بن سليمان بن مدلج بن موسى بن حسام الدين المهنا بن عيسى بن مانع بن محمد الأشقر بن سليمان بن سيف بن فضل بن عيسى بن عبدالكريم بن مصلت بن مهنا ابن فضل بن محمد بن عبدالرحمن بن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه) .

وذكر أيضاً : (وقد كانت إمارة نَجْد والأحساء ورياسة قبائلها منحصرة في الأمراء من بني خالد رضي الله عنه من عهد أحفاده الكرام بطناً بعد بطن وآخرهم آل منيع وآل عريعر . .).

هذا وقد عرفوا أولاً ببني مخزوم ، ثم أطلق على قسم منهم بنو عُقَيْلٍ ، وآخر

آل الفضل ، وآل عيسى وغيرهم من الأفخاذ في الماضي ويعرف الجميع الآن ببني خالد . .

ــ وقد شاركوا في تاريخ العرب حاضرهم وماضيهم ، وقد أرخ لهم المؤرخون أمثال ابن خلدون ، وأبي الفداء صاحب حماه ، وابن كثير ، وخاصة في حروبهم ضد التّتار والصَّليبيين وقد ذكر أبو الفداء وابن كثير : الأمير حسام الدين المهنا بن عيسى ويطلق عليه الأمير سلطان العرب ، وكان كبير القدر محترماً عند الملوك كلهم بالشام ومصر والعراق ، وكان ديِّناً خيِّراً متحفزاً للحق . .

وكان يحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمهما الله حباً زائداً هو وذريته وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمتثلونه ، وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ، وكانت وفاته في (سليمة) شرقي حماة يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ . رحمه الله .

ــ وبعد : فهذه الرسالة المختصرة إليكم أرجو نشرها في مجلتكم «العرب» أولاً والأهم من هذا هو تصحيح ماورد في كتابكم (الجمهرة) ثانياً .

علماً بأن موضوع كتابكم أشبه بدليل لربط كل أسرة بقبيلتها ، والإشارة إلى نسب بني خالد من إرجاعه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه أو الطعن في هذا مخالفة للمنهج وخروج عن الموضوع لكتابكم «الجمهرة» ، وعبرتم عنها بكلمة (إشارة) ، وحبذا لو لم تذكر في هذا المقام . .

وكان الأفضل أن تأخذوا رأي بني خالد في هذا قبل نشره ، أما وقد نشر فلا بأس من الرجوع عنه إلى الصحيح ، وقديماً قيل : (كل كتاب يردّ عليه إلا القرآن الكريم) .

سوريا ـ حماة ـ كفر زيتا ـ اخوكم حسن عموري الخالدي

«العرب» : وهذا رأي مؤلف كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» من جوابه للكاتب الكريم .

١ ــ هاهو الكتاب بنصه منشوراً في مجلة «العرب» لأنني أرى أن من حق كل صاحب رَأيٍ أن يعبر عن رأيه ، ولأنه يتعلق بموضوع تحدثت عنه فأرغب أن يُعْرَفَ رَأْيُ الجانب الآخر فيه .

٢ ــ لست مقتنعاً بصحة الأقوال التي أوردتم لأن من قال بانقراض نسل خالد بن الوليد رضي الله عنه ، من النسابين أوثق ممن أوردتم نصوصهم ، ومن أقدمهم نسابة قريش المصعب الزبيري ، الذي قال في كتاب «نسب قريش» : وقد انقرض ولد خالد بن الوليد ، فلم يَبْقَ منهم أحد وورث أيوبُ بنُ سلمة دارهم بالمدينة ـ ص ٣٢٨ ـ الطبعة الثالثة .

وقال الإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، في «التبيين في أنساب القرشيين» ـ ص ٣٤٩ ـ: ولم يبق لخالدٍ عقب ، وابن فضل الله العُمَرِيُّ ، وهو من أجلة علماء النسب قال : بنو خالد عرب حمص ، يدعون النسب إلى خالد بن الوليد ، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه ، ولعلهم من ذوي قرابته من مخزوم ، وكفاهم ذالك فخراً أن يكونوا من قريش .

٣ ــ أنا أمُتُّ بالنسب إلى بني خالد ، لأن أخوالي منهم ، وأُسَرُّ بصلة نسبهم بالصحابي الجليل ، ولكن هذا ليس من الأمور التي تنال بالأماني ، إثبات الأنساب لا يقوم على أساس العواطف .

أكرر الشكر لاهتمامكم بهذه المباحث وغيرتكم في الدفاع عن أصل هذه القبيلة الكريمة ، وهو أصل أرى أنه لا يرجع إلى أب واحد بل إلى فروع متعددة .

ولا يتسع المجال للتفصيل .

السيد سامي كتبي :

لقد كان من أفذاذ الرجال

أُمْتِعْتُ بقراءة مانشرته جريدة «البلاد» في عدد يوم السبت (٢٢/٧/١٤١٠هـ) عن الأستاذ السيد سامي محمد الكتبي ـ رحمه الله ـ مما يتعلق بتفصيل مراحل

حياته ، ومن أبرزها صلاته بجم غفير من خِيْرة أبناء هذه البلاد ومن الوجهاء لما يتحلى به من كريم الصفات ، ويتصف به من سمو الأخلاق .

ولقد أسعدني الحظ بأن عرفت السيد الجليل ـ رحمه الله ـ حين كان ممثلاً للحكومة لدى شركة (أرامكو)، وقويتْ صلتي به في خلال سنة كاملة ـ هي سنة ١٣٦٥هـ ـ وكان يساعده في عمله الأستاذ عبدالله عثمان والأستاذ عبدالجليل عبدالجواد . ولقد كان الإخوة الثلاثة ممن جمعوا من محاسن الصفات ومحامد الطباع ما أبْرَزَهُمْ مِثَالاً في قمة موظفي الدولة في ذالك العهد ، نزاهةً وإخلاصاً في عمل ، ورعايةً لمصالح المواطنين .

وقد كان لعملي في ذالك العهد ـ وكنت رئيساً لمراقبة التعليم في الظهران ـ صلة قوية بالسيد سامي ، إذ العمل الذي أشرف عليه يتعلق بشؤون التعليم والمطبوعات في الشركة ، والسيد ـ رحمه الله ـ هو صلة الوصل بينها وبين الحكومة ، فكان العمل في تلك الأيام يسير على خير ما يرام ، لما عرف عن السيد سامي من حكمةٍ في معالجة الأمور ، ولما كان له من مكانة أثيرة عند أولى الأمر ، ورؤساء الشركة لما يتصف به من إخلاص في عمله ، ونزاهة قصد ، ورغبةٍ واتجاهٍ للخير والصلاح في جميع تصرفاته .

وكنت أتمنى لو أن المتحدثَ الكريم الذي تناول حياة السيد سامي ـ رحمه الله ـ بالتفصيل كنت أتمنى أنه أشار إلى تاريخ انتقاله إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ، لأنني كنت حتى قراءتي ما نُشِرَ أرى أنه لا يزال على قيد الحياة ، وصُدِمْتُ عندما قرأتُ الترحُّمَ عليه فيما نشر ، لأنه لم يبلغني خبر وفاته ، وقد يكون حدث هذا أثْنَاءَ إقامتي في بيروت ، أو غيابي خارج البلاد .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبغ على السيد سامي رداء رحمته ورضوانه ، وأن يسكنه فسيح جناته .

آل محمد في آل مُعَمّر أسرتان

لقد اطلعت على كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» القسم الثاني صفحة ٧٨١ مطبعة نهضة مصر الطبعة الأولى ١٤٠١هـ حيث ورد ذكر (آل محمد) في العُيينة ، وسدوس ، بنو محمد بن عبدالله بن مُعَمَّر ثم وضعتم الرقم (٢) وفي الهامش (٢ ـ ابن بشر ١٠٥٧هـ) . ولاشك في أن آل محمد كما يُعْرَفُون عند انفرادهم في أسرة آل معمر هم ذرية عبدالله بن معمر من المعامرة (آل معمر) من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ولكن الذي أحبُّ أن أوضحه إشارتكم إلى ماذكر ابن بشر في حوادث ١٠٥٧هـ والتي قال فيها: (وفيها قتل ناصر بن عبدالله بن معمر راعي العيينة قتله ابن أخيه دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر وتولى دواس المذكور في العيينة). ثم أن ابن بشر في حوادث ١٠٥٨هـ قال : (وفيها قتل دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر رئيس بلد العيينة وتولى في العيينة محمد بن حمد بن عبدالله ، وأجلى منها آل محمد فلم تتم لهم الولاية في العيينة إلا تسعة أشهر) وذكر ابن ربيعة في تاريخه أن (دواس) قتل في سابع ذي القعدة من السنة نفسها .

وفي إشارة فضيلتكم إلى ماذكر ابن بشر ١٠٥٧هـ رَبْطٌ وظن أن آل محمد الموجودين الآن في سدوس والعُيَيْنَة والرياض أنهم ذرية محمد بن عبدالله بن محمد ابن معمر الذي ابنه دواس بن محمد .

والحقيقة أن آل محمد الموجودين الآن في سدوس والعيينة والرياض ، هم ذرية محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن الأمير مشاري (الذي تولى إمارة العيينة بعد مقتل عثمان بن معمر عام ١١٦٣هـ وعزل مشاري عام ١١٧٣هـ وتوفى عام ١٢٠٢هـ) ومشاري هذا هو ابن إبراهيم بن عبدالله بن معمر المشهور المتوفى سنة ١٠٣٨هـ وهذا النسب أخذته منهم مشافهة وطبقته على ما لديهم من وثائق ووصايا وأوقاف وغيرها .

أما آل محمد من آل معمر الذين ذكرهم ابن بشر في حوادث عامي ١٠٥٧ ، ١٠٥٨هـ فلا نعرف عنهم شيئاً حتى الآن ، ربما انقطع عقبهم أو عرفوا بأسماء أخرى . وفي سدير والمزاحمية وحوطة بني تميم أُسَرٌ تنتمي لآل معمّر .

آمل من فضيلتكم نشر هذه الملاحظة عن آل محمد وتعديلها عند إعادة طبع كتاب «جمهرة أنساب الأسر» حيث يعتمد هذا الكتاب من المصادر التي يشار إليها بالبنان ويرجع إليها . . .

عبدالمحسن بن محمد بن عبدالعزيز آل معمر

العرب : شكراً للكاتب الكريم ، ومزيداً من التصحيح والإضافات المتعلقة بالكتاب المذكور .

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر» :

الشّقَيْرُ في القويعية

وبعد فمحبكم من المتابعين لمجلة «العرب» والمستحسنين لما ينشر فيها من مقالات وبحوث تعود على القارئ بالفائدة المرجوّة من ذلك .

وأراه لزاماً عليَّ أن أطلب من الله سبحانه أن يسدد خطاكم .

ولقد اطلعت على مانشر بمجلة «العرب» الغراء ج ٧ ، ٨ س ٢٢ محرم/صفر ١٤٠٨هـ وماكتبه الدكتور/ عبدالله الزيد ، والأستاذ/ أحمد اليحيا حول وضع معجم يضم أسر بني زيد ، وحيث أن هذا البحث من مراجعكم في سفركم النفيس «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فقد ورد في البحث ـ الآنف الذكر ـ اسم أسرة (الشُّقَيْرُ في القويعية من آل ناصر من الضعفان من آل علي من عطية من بني زيد) وماورد في البحث صحيحاً .

ولكن لوحظ سقوط الاسم سهواً من كتابكم «الجمهرة» أرجو ملاحظة ذلك ، وتداركه في طبعات الكتاب القادمة .

عبدالرحمن بن عبدالله الشقير

الدياحين من مطير

كتب الشيخ حمود بن عيَّاد المطرقة ، شيخ شمل الدِّيَاحِيْن ، إلى مجلة «العرب» معلقاً على ما نشرته في جزء القعدة والحجة ١٤٠٧هـ (س ٢٢ ص ٤٠٥) بقلم الأخ عوض بن عُوَيِّض بن لُوَيْحِق ، مِنْ أن الدياحين من بني عبدالله من مُطَيْر ، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وإمارتهم موزعة في المهد والقصيم .

كتب الشيخ حمود مانصه : والصحيح أن الدِّياحِيْن من واصل من بُرَيْهٍ ، من مُطَيْر ، وينقسمون إلى سبعة أفخاذ كبيرة هم :

١ ــ المشاهبة . ٢ ــ الكراكرة . ٣ ــ ذوي مبارك .
٤ ــ العناترة . ٥ ــ العكالا . ٦ ــ العزراء .
٧ ــ العقوط

وإمارتهم منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا في بيت المطارقة .

لذا آمل منكم ملاحظة التحفظ عند الدخول في مثل هذه المسائل قبل التأكد ومعرفة الصحة .

شيخ شمل الدياحين: حمود بن عياد المطرقة

وقد اطلع الأخ عوض بن عويض بن لويحق على ماتقدم فكتب تعليقاً جاء في آخره : لم أقل إن المعلومات التي ذكرتُها هي الصحيحة وماعداها كذب لا بل قلت ما أعرفه عن (الدياحين ، وقد طلبت من شبابهم المثقف القيام بإعداد بحث واف في الموضوع كما ورد ذالك ـ ص ٤٠٩ ـ من المجلة التي نشرت كلامي ، ولا أزال أكرر هذا ، شاكراً ومقدراً لكل من يهتم بهذا الموضوع بحثاً عن الحقيقة .

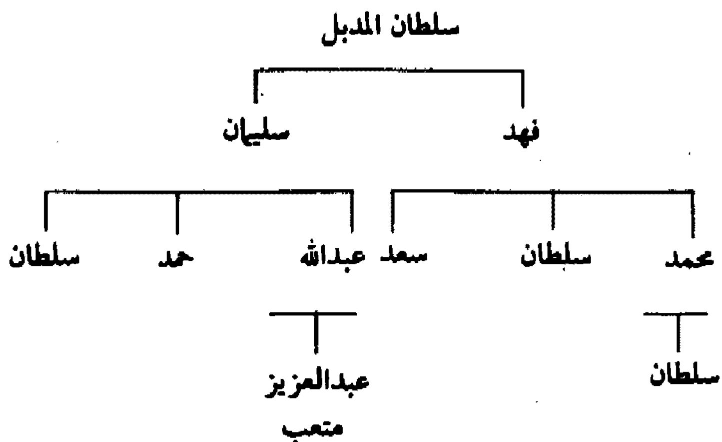
والعرب : تكتفي بنشر ما تقدم عن التوسع فيه .

آل منبَل من حنيفة

كانت «العرب» ـ س ٢٤ ص ٤٣٠ـ قد نشرت مشجراً لأسرة آل مدبل يوضح فروع هذه الأسرة ، بعث به الأخ محمد بن حمد بن علي الـمِدْبَل ، وقد بعث

أخيراً إلى المجلة بهذا التصحيح :

لقد اطلعت على ما نشر في «العرب» عدد شهري ذي القعدة وذي الحجة ١٤٠٩هـ عن موضوع نسب أسرة المدابلة ، وقد لوحظ أن الشجرة الخاصة بأسرة المدابلة المومى إليها كان فيها اسقاط الأسماء الآتية :



لذا أود نشر هذا التوضيح لتعديل الخطإ الحاصل في الشجرة ، وكذالك نلفت الانتباه أنه حدث خطأ في نسب هيا بنت حمد المدبل وهو : التي تزوجت الأمير عبدالله بن تركي وأنجبت عبدالعزيز وأخته حصة التي تزوجها الأمير مساعد بن جلوي وأنجبت الجوهرة التي تزوجها الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وأنجبت الأمير محمد والملك خالد رحمهم الله جميعاً .

هذا نَصُّ مابعث به الأخ محمد .

الحياة في بيشة قبل توحيد المملكة

لا أبالي حين أقول: إن بيشة كانت ميداناً للحروب والفتن قبل توحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز مثلما كانت ميداناً للحروب في آخر الجاهلية وذلك نتيجة لما حباها الله من خصوبة في أرضها ووفرة في مياهها وذلك أن تتصور قول أحد شعراء أكلب وأبناء هذه المنطقة الغالية التي كانت مطمعاً لكل قبيلة فكانت كل قبيلة تَسعى إلى امتلاك جزء منها ، وذلك الشاعر هو سعيد بن سحمة الهزري

الذي عاصر تلك الحروب وأعاصير التوتر فكان مما قال :

لـو سكن غيرنـا في ذَا الْبلاد كـان يعطي العـدو شـاة تقـادِ
بَيْـد حنًـا نِـردّ الـعـايْلينْ مثـل ردّ المهـدد بـالـقـيَـادِ
يـوم صاحتْ بنـا بيضاً عفيف تسحق الهيـل وتضيف الـزبـادِ
احـتزمنـا وجينـا فَـازْعـينْ نعجب العـينَ في أيام الـطرادِ
وأحـتزمنـا وجينـا فـازعـين بـاشهب دَايْفِيْنـه يـوم حَـادِ
ديـرتي بـالسَهْـل يـاغـافلينْ مانـزلها الربـاب اللي لـسدادِ
ديـرتي.. ديـرتي يـاجَـاهلين تـرهب القلْب مـافيهـا مبـادِ

وهذا الشاعر حمد بن عثمان الجنيبي يخاطب نفسه فيبين لنا شيئاً من مميزات بيشة : وكان هذا الشاعر قد جلا عن بيشة فَحنَّ إليها فقال مما قال :

سقى الله ياحمد بن عثمان بيشهْ لنـا في ربعهـا منـزلاً وديـارْ
لنـا فيهـا كـل غَنَّـا ظـليلهْ كبار الجنا كـأن الجذوع نْضـارْ
بلاد يجيها السيل من كل فجٍّ ويـردِمْ عليهـا من غثـا وزبـارْ
فعلى عقرات الحمر منّا منـازل دار ويـاحـلوىٰ عـليـك ديـارْ
تمشي وَرَا زَيزوم السرايا ظـافر زَبْنَ الْفُـلاَ وزعيم كـل ثبـار
ألا ماحلا رؤياه من فوق عَنْدَلْ ربيقيـة يَغْـدي العنـان كُسَـارْ
شيـخ لـه أفعـال كبـار جليلهْ إذا ماارتفع نقـع العجاج وثـارْ

وفيما يلي ذكر بعض الحروب التي حدثت في بيشة قبل عهد الملك عبدالعزيز وفي خلال العهد العثماني وقد يكون بعضها في العهد العباسي وسوف أذكرها دونما أدخل في تفاصيلها ودونما أستدل بالأشعار التي قيلت فيها لأن ذلك يحتاج إلى وقت أطول وهذا مالا أملكه ويحتاج إلى مجلد لا إلى رسالة ولو احتجت إلى تفاصيلها ياشيخ حمد فإني وبكل سرور أبعثها إليك حالما تطلبها ، وتلك الحروب هي :

١ ــ وقعة الجحف الهلالي : بين أكلب وسلول ـ قامت بسبب النزاع على قرية النّقيع .

٢ ـ فتنة بني عامر والمحلف : بين قسمي أكلب عامر والمحلف بسبب دخيل عند بني عامر .
٣ ـ معركة بجيد : بين أكلب والتّرك ـ ذكرها ابن بشر في حوادث سنة (١٢٣٠هـ) .
٤ ـ وقعة الرقيطاء : بين أكلب وشهران وقد قامتْ بسبب النزاع على الحدود .
٥ ـ النزاع على قُنيع : بين أكلب والرِّمْثَيْن من شهران .
٦ ـ وقعة المتّان : بين أكلب والفَزَع وخثعم السراة من جهة وشهران وناهس وكود من جهة أخرى .
٧ ـ وقعة سهواء : بين أكلب والفزع من جهة وغامد من جهة .
٨ ـ غزو الصَّنادلة من سبيع على الجنْبة ، وغزو الجنبة على صنادلة سبيع .

هذا وقد أبرزت هذه الحروب كثيراً من الشعراء والفرسان الذين لازالت أخبارهم حيّة تتناقلها الألسن وكلها مثبتة بالشعر ومعروفة لدى أهل بيشة وتلك الجهات . وهذا قليل من كثير حيث أن هناك غزوات أخرى بين قبائل بيشة والقبائل الأخرى لا أذكرها الآن .

الجبيل : عبدالله بن هادي الأكلبي

تطبيـــع

لفت نظر المجلة الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز بن سعود البليهي ، مدير التعليم في الوشم إلى وقوع خطأ في «العرب» س ٢٤ ص ٢٠٦ سطر ١٧ وهو كالآتي :

الخطـــــــــــأ	الصـــــــــــواب
﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكن أن ترثو النساء كرها ﴾ . سورة النساء ـ الآية: ١٩ .	﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ سورة النساء ـ الآية : ١٩ .

فشكر الله للأخ الكريم ولمن يعين على الحق . إذِ (المؤمن مرآة أخيه المؤمن) .

* المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد :

عُنِيَ الأستاذُ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العُثَيْمِين في جامعة أم القرى (مكة المكرمة) - عُنِيَ بتتبع المؤلفات المتعلقة بتراجم علماء المذهب الحنبلي ، من فقهاء وغيرهم وجمع من ذالك ما استطاع جمعه ، واتَّضَحَ له أنَّ أكثر كتب الطبقات يكمل بعضها بعضاً ، وأن الجمع فيها يكرر كثيراً من التراجم ، وأنه فات أصحاب تلك الطبقات الكثير من التراجم لعلماءِ المذهب مما ذكر في المشيخات والمسلسلات والإجازات وغيرها من تراجم الرجال ، فبدأ بتحقيق بعض كتب الطبقات وكان مما حقق «الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد» ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي (٨٤٠/٩٠٩هـ) و «نظم الفرائد وحصر الشرائد» للمهلب بن حسن بن بركات المهلبي المتوفى سنة ٥٨٣هـ - انظر «العرب» س ٢٢ ص ٧١٩ ، و ٧٢٠ - .

وهاهو الآن يصدر كتاب «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» للإمام إبراهيم بن محمد بن مفلح (٨١٥/٨٨٤هـ) ابتدأ فيه بترجمة الإمام أحمد ثم رتب التراجم على حروف المعجم إلى زمنه ، مع ميله إلى الاختصار .

وقد صدر هذا الكتاب في ثلاث مجلدات تبلغ صفحاتها: ٤٦٤ + ٥٥٢ + ٤٣٦ = ١٤٥٢ صفحة ويحوي نحواً من (١٣١٥) من التراجم ، مُقَدَّماً ببحث وافٍ عن طبقات الحنابلة ، وعن ابن مفلح وكتابه هذا ، كما ألحق بالكتاب فهارس شاملة تقع في ٢٦٦ صفحة من ص ١٦٩ إلى آخر الكتاب .

وقد بذل المحقق الفاضل جُهْداً برز أثره في كل صفحة من صفحات الكتاب بالإضافات والشروح وذكر مصادر التراجم .

وطباعة الكتاب جيدة حروفاً وورقاً وحسن إخراج ، وقامت بنشر الكتاب (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع) في الرياض وطبع في (مطبعة المدني) في مصر ، وصفت الحروف بطريقة الجمع التصويري ، وصدر في هذا العام (١٤١٠/١٩٩٠م) .

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦١٩٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٢٥ الربيعان سنة ١٤١١هـ - (تشرين ١، ٢ أكتوبر/نوفمبر) ١٩٩٠م

عــرب واعــراب

[هذا بحث أعده أستاذنا الجليل الدكتور إسحاق موسى الحسيني لإلقائه أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية الذي عقد في شهر رجب ١٤١٠هـ (فبراير ١٩٩٠م) ، ولضيق الوقت لم يتمكن من إلقائه .

ومجلة «العرب» تحيي الأستاذ الجليل بمناسبة بلوغه العام السادس والثمانين وتتحف القراء ببحثه القيم] .

حفزني إلى كتابة هذا البحث أمران ، الأول : حملة شَعْوَاءُ شَنَّها بعض الكتاب الغربيين على العرب عامة ، مسرفين في إظهار مثالبهم ، وإخفاء مناقبهم ، كأنهم أمة ضالة متوحشة بين أمم متحضرة . مثال ذالك قول أحدهم : (لقد كونت أوربا صورتها عن العربي منذ العصور القديمة من كتابات اليونانيين والرومان ، إلى جانب التثقيف الديني من التوراة والإنجيل . وقد وصف العرب بأنهم شعب كسول ، يمضون حياتهم على مهل ، يعتاشون من التجارة ونظم الشعر ويحلمون كثيراً ، لصوص ورعاة إبل . . والتوراة والإنجيل وصفا العربي أنه ساكن الخيام ، ينتظر القوافل التجارية القادمة من فلسطين لينهبها ، ويعتاش من اللصوصية . وحتى أيامنا هذه مازالت هذه الصورة موجودة وتسيطر على تفكير الغربيين وخاصة في برامج الاذاعة والتلفزيون(١).

ويقول كاتب آخر يزعم أنه خبير في اللغة العربية : (من الصعب جدًّا فهم اللغة العربية واستيعابها ، فكل كلمة عربية لها أربعة معان : المعنى الثاني هو المعنى المعاكس للمعنى الأول والمعنى الثالث يقصد به الـجمال والابل ، والمعنى الرابع لا يمكن طباعته ونشره فهو بذيء . واللغة العربية فيها أكبر عدد من العبارات والكلمات النابية البذيئة ، وكلمات شتم أكثر من أية لغة معروفة على وجه الأرض . . ولذالك من الصعب عليهم التفكير الواضح)(٢).

ويقول مؤرخ بريطاني معتدل هو: (Christopher Mayhew) أن سبب التحيز المعادي للعرب في الإعلام البريطاني يعود إلى التربية المسيحية منذ الطفولة ، وخاصة فيما يتعلق بالكتاب المقدس ، ثم ذكريات الحروب الصليبية ، ثم عصر الاستعمار البريطاني ، وخاصة مايسمى بعقدة الذنب الناجمة عن معاملة المسيحيين الأوربيين لليهود في المجتمعات الأوربية[٣].

هذا غيض من فيض حاولت أن أختصره وأسوقه بحذرٍ وتؤدة كيلا أثير الحقد على الغرب المعاصر ، حفاظاً على العلاقات الإنسانية الكريمة ، واتباعاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ - المائدة ٧ - .

والحافز الثاني : كتاب صدر باللغة الانجليزية للدكتور (جاك شاهين) سنة ١٩٨٤م عنوانه «العرب والتلفزيون» ذهب فيه المؤلف بعد رصدٍ دام بضعَ سنواتٍ للإذاعات الأجنبية إلى أنَّ صورة العربي في ذهن الغربيين تتمثل في أنه إنسان ثَرِيٌّ ، متوحش وغير مثقف ، زِئْرُ نساءٍ وإرهابي .

ما سِرّ هذه الحملة على العرب ؟ لابدَّ من أنها ترجع إلى أسباب بعيدة وقريبة أجملها المؤرخ البريطاني كما تقدم بعبارات موجزة . وأعتقد أن سببًا من أهم الأسباب هو عدم التفريق بين عربي وأعرابي ، حين اتصل العالَـمُ القديم منذ زمن الامبراطوريات البائدة ، الآشورية ، والبابلية ، والفارسية ، واليونانية ، والرومانية ، والبيزنطية ، كان العرب سكان الجزيرة العربية بحدودها الواسعة من أدنى الجنوب إلى أقصى الشمال - أي من اليمن إلى العراق - قسمين : قسم عرب مستقرون ، يسكنون القرى والمدن الصغيرة[٤]، وقسم أعراب يسكنون الخيام ، ويعتاشون على الكلإِ والاستجداء[٥] من المدن التي يتحلقون حولها ، يرعون الإبل والأغنام ، ويتاجرون بها . وإذا حَزَبَهُمُ الأمرُ غزوا الْأَبْعَدِيْنَ والْأَقْرَبِيْنَ على السواء ، بل قاتل بعضهم بعضاً في سبيل لقمة العيش وشربة الماء .

ولكن كانت لهم حسنات لا تنكر ، منها أنهم حافظوا على أصول الفصحى نقية ، فقصدهم اللغويون يجمعون من أفواههم مفرداتِ اللغة العالية وقواعدها . ومنها أنهم كانوا يُمِدُّوْنَ سكان المدن بدم نقي أصيل بالزواج حيناً وبالولاء حيناً

آخر . ومنها أنهم كانوا يُؤدُّوْنَ الأعمال الشاقة التي يعجز سكان المدن عن أدائها .

وكان العرب سكان المدن ـ في جميع الأزمنة إلى صدر الإسلام ـ تابعين لدولة من الدول الكبرى[٦]، يخضعون لسلطانها مباشرة أو غير مباشرة ، يدفعون لها الإتاوة أو يحصلون لها التجارة ، أو يمدونها بالمقاتلة ، أو ينقلون لها الْـمُؤَنَ والسلاح في حروبها المتواصلة .

كانت اليمن تتبع حينا الفرس ، وحينا الرومان ، وكان عرب البتراء يتبعون الرومان ، ويتأثرون بحضارتهم ، وكان عرب المناذرة في الـحِيرة تحت سلطان الفرس ، وكان عرب الغساسنة في الشام وعرب تَدْمر تحت سلطان الرومان . فالعرب ـ إذَنْ ـ وإن كانوا متحضرين بالقياس إلى الأعراب وعلى جانب من الثراء والازدهار ، ماعرفوا الاستقلال الكامل عن الامبراطوريات المجاورة .

لقد قسم القدامى سكان الجزيرة العربية إلى عرب عاربة ـ قحطانية ، ومستعربة ـ اسماعيلية ، ومتعربة . ولكن تقسيمهم إلى عرب وأعراب أقرب إلى طبيعة الأشياء .

وكان الخلاف دوماً كبيراً بين العرب والأعراب، فالأعرابي مقاتل خشن ، بدائي الطباع ، بسيط في ملبسه ومأكله ومشربه ، شجاع ، كريم ، محافظ على تقاليده ، مطيع لرؤسائه ، وأتيح لي أن أخالطهم في بادية الشام والحجاز لمدة قصيرة ، وأشهد أني رأيت فيهم من الشهامة والفروسية والمروءة وسرعة البديهة والفطنة ما أثار إعجابي . ولكن من الإنصاف أن نذكر أن لهم محاسنهم ومساوئهم وأنهم ككل قَبِيلٍ في المجتمع الإنساني يتأثرون بعوامل الطبيعة الجغرافية والاجتماعية والمعاشية ، وأنهم لا يبرأون من المعايب والنقائض ، ولا يخلون من المناقب . والحكم عليهم في جميع الأزمنة حكماً واحِداً مخالفٌ لطبيعة الحياة . قال الأصمعي : قلت لأعرابي : إنكم لأشقى الناس ، قال : ماعلمك ؟ قلت : بمقاساتكم في القيظ اللهيب الرمضاءَ وشدة الشمس فقال : إنه إذا كان ذالك كذالك عَدَا أَحَدُنَا ميلاً أو ميلين حتى يتصبب عَرَقًا ، ثم يَنْصِبُ عصاه ، ويطرح عليها كساءَهُ وينام تحته ، فما طِيْبُ إيْوانِ كِسْرَى إلا دونه ـ مخطوط «الفاضل» للوشاء ورقة ـ ١٢٧ ـ.

والفرق بين العربي والأعرابي يرجع إلى أسباب اجتماعية لا عرقية ، فالعربي إذَا هجر المدينة وسكن البادية سُمِّـيَ أعرابيًا ، والأعرابيُّ إذَا هجر البادية وسكن المدينة سمي عربياً ، وإذا لقب العربي بأعرابي غضب ، وإذا لقب الأعرابي بعربي سُـرَّ .

كان هذا هو الحال قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام دخل العرب والأعراب في التاريخ من أوسع أبوابه ، ولنبدأ من موقف القرآن الكريم من الأعراب : قَسَّمَ القرآن الكريم الأعراب إلى ثلاث طوائف : طائفة دخلت في الإسلام وجاهدت بأموالها وأنفسها : ﴿ وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ ، وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُـمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِـي رَحْمَتِهِ ، إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَحِيْـمٌ ﴾ التوبة ـ ٩٩ ـ .

وطائفة ثانية منافقة : ﴿ وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾ ـ التوبة ٩٨ ـ. ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلأَعْرَابِ مُنَافِقُوْنَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْـمَدِيْنَةِ مَرَدُوْا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيْمٍ ﴾ ـ التوبة ١٠١ ـ.

وطائفة ثالثة هم: ﴿ ٱلأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوْا حُدُوْدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴾ ـ التوبة ٩٧ ـ.

ولا أدري أكان أبو نُواس(٧) جادًّا أم هازلاً حين قال :

يبكي على طلل الماضين من أَسَدٍ لا دَرَّ دَرُّكَ قل لي من بنو أسد ؟
وَمَنْ تَميم ومن قـيس ولَفُّـهـما ليس الأعاريب عند الله من أحد !

ولاشك في أنه قرأ الآية الكريمة وعلم أنه لا يخرج عن حدودها .

والواقع ـ كما يبدو من القرآن الكريم ـ أن الرسول عانى كثيراً في تعريب الأعراب ، واغرائهم بالدخول في الإسلام بالوعد حينا وبالوعيد حينا آخر : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِيْنَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيْدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ

يُسْلِمُوْنَ ، فَإِنْ تُطِيْعُوا يُؤْتِكُمُ الله أَجْرًا حَسَناً ، وَإِنْ تَتَوَلُّوا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيْماً ﴾ ـ الفتح ١٦ ـ. ﴿ مَاكَانَ لِأَهْلِ الْـمَدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُـمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُوْلِ الله وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِـمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيْبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيْلِ الله وَلاَ يَطَأُوْنَ مَوْطِئاً يَغِيْظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لاَ يُضِيْعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنِيْنَ ﴾ ـ التوبة ١٢٠ ـ.

ولكن الرسول انتصر على الأعراب ، وخرج منهم مؤمنون مقاتلون وَرِعُون أتقياء ، وعُدَّ الأعرابي إذا رجع إلى البادية من غير عذر كالمرتد «لسان العرب» .

وأكبر فتح حققه الإسلام بعد (تعريب الأعراب) تحرير الجزيرة العربية كلها من أدناها إلى أقصاها من سلطان (الامبراطوريات) كان الرسول يتابع مجرى الأحداث في الجزيرة العربية ، وتصله أنباء الحروب بين الروم والفرس ، والنكبات التي تحل بالقوافل العربية فَيُرَوِّضُ قلبه ، ويتمنى على الله أن يتحد العرب في أمة واحدة موحدة بالله . ويتحقق حلمه فانتصر العرب في جميع المعارك التي خاضوها ، ولم يكتف الإسلام بتحرير العرب ، فحرر الشعوب غير العربية من طغيان حكامها وتألههم .

ولكن التاريخ تقهقر في أحيان مختلفة ، وعَدَتْ على العرب عَوَادٍ من أسوئها العصبية القبلية ، والعودة إلى حياة الأعراب ، فنشأت إمارات وطوائف وملل ونحل ، كانت أشبه بالردة .

وعاد الأعراب إلى ميدان الغزو ، وهذا مانجد أثره في كتب الرحالة الغربيين ، الذين زاروا المشرق العربي والبلاد المقدسة ، ويبلغ السوء مداه حين كان الأعراب يعتدون على قوافل الحجاج في طريقهم من مصر والشام إلى البلاد الحجازية ، ولم ينته الغزو إلا بعد أن حكم الملك عبدالعزيز آل سعود ، فقد أطعم البدو من جوع ، وطَبَّقَ الشرع فأنزل بالمعتدين منهم عقوبة صارمة دون هوادة .

وعادت قوافل الحجاج تنطلق من مختلف البلدان الإسلامية إلى بيت الله الحرام بأمن وسلام .

ولكن ظلت آثار الرحالة الغربيين في الكتب يقرؤها الجاهلون والحاقدون والمتعصبون ، فيخلطون العربي بالأعرابي ، ويتجاوزون صفحات مشرقات في تاريخ الإنسانية كلها لا كفء لها ولا نظير.

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

بيت المقدس: د. إسحاق موسى الحسيني

الحواشي :

(١) بحث نشرته جريدة «القدس» بتاريخ ١٩٨٨/٧/١٦م نقلًا عن جريدة «القبس» بعنوان (الإعلام في الشرق والغرب) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نقله من كتاب للمؤرخ المذكور صدر سنة ١٩٧٦م نشرتها جريدة «القدس» بتاريخ ١٩٨٨/٧/٢٣م نقلًا عن المصدر المذكور سابقاً .

(٤) لا يستطيع المرء إذا لم يعايش سكان الجزيرة من أبناء البادية وقتاً طويلاً أن يدرك كثيراً من مميزات أخلاقهم ، فهم فيما يظهر لأول وَهْلَةٍ ذوو خشونة وقسوة ولكنهم في الواقع يتمتعون بصفات كريمة من النبل والرقة والتعاطف والتراحم ، وقد تتغير بعض الخلال بسبب قسوة الزمان عندما يصابون بالفقر فتضطرهم قسوة الحياة إلى ارتكاب كثير من الأمور التي تظهرهم بمظهر الشراسة والبغضاء (العرب) .

(٥) ماكان أبناء البادية يتخذون من صلاتهم بالمدن وسائل للاستجداء أو الخنوع ، ولكنهم قد يتعاطون بعض الأعمال التي يبحثون بواسطتها عن الرزق ، وإن كانت تبدو بحالة لا تتلاءم بما يجب أن يتصف به ابن البادية من الإباء والترفع ، وليس في أعمالهم تلك مايصح أن يوصف بالاستجداء من أهل المدن (العرب) .

(٦) قد تكون بعض نواحي الجزيرة المتصلة ببلاد الأعاجم تخضع لنفوذ بعض الحكومات المسيطرة على تلك البلاد كالحالة في شرق الجزيرة المتصلة بالعراق حيث توجد إمارة الحيرة ، وكما هو الحال في السماوة والبلاد المتصلة بالشام حيث إمارة الغساسنة .

أما في داخل الجزيرة فما عُرِف أن لدولة من الدول الكبرى من الأعاجم من النفوذ والسيطرة مايمس بسيادة السكان .

وقد نشأت في اليمن حكومات عربية متحضرة امتد نفوذها إلى وسط الجزيرة ، ولم تعرف اليمن التغلغل والنفوذ الأجنبي إلا في فترات قصيرة قُبيل ظهور الإسلام من الأحباش (العرب) .

(٧) أبو نواس شعوبي يكره العرب ونشأ في عصر استعر فيه أوار فكرة الشعوبية ، ولهذا فليس من الغريب أن يستهين بالعرب وأن يهجوهم .

ومما يؤسف حقاً أن لأفكارِ الشعوبيين في تاريخنا العربي تَغَلْغُلًا ولتلك الأفكار آثاراً سيئة يجدر بكل من يعني بتاريخ أمتنا أن يكون ذا بصيرة ونظرة ثاقبة فيما يعرض له من قضايا تاريخ أمتنا . وسيجد القارىء ملامح من تلك الأفكار في كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها» (العرب) .

جرائم العِرْض عند العرب

قبـل الإســلام

جرى العُرْفُ عند العرب قبل الإسلام بالجزاء على بعض الأفعال بوصفها جرائم تنطوي على مسَاسٍ بالشرف والعرض . وأهم هذه الجرائم مايلي :

١ ــ الزنا . ٢ ــ السفاح . ٣ ــ الاغتصاب .

٤ ــ التعري على مشهد من امرأة . ٥ ــ تعرية امرأة .

٦ ــ تقبيل زوجة آخر .

٧ ــ ملازمة رجل لإحدى نساء العشيرة .

ونتناول فيما يلي كل هذه الجرائم في شيء من التفصيل .

اولاً ـ الزنا : نقصد بالزنا هنا وطء رجل زوجة آخر برضاها . فالغرض أن الوطء يحدث برضا الزوجة فإن دفع بغير رضاها كان اغتصاباً . والغرض أن الرجل الذي يطأ المرأة لا تربطه بها أية رابطة تُخَوِّلُهُ أن يفعل مافعل ويقودنا ذالك إلى الحديث عن تعدد الأزواج عند العرب قبل الإسلام . كذالك يفترض الزنا حدوث الوطء دون موافقة زوج المرأة وهو مايقودنا إلى الحديث عن عادة الاستبضاع .

(أ) ــ **تعدد الأزواج** : هناك من الشواهد مايدل على أن بعض القبائل العربية عرف ـ قبل الإسلام ـ ذالك النمط من الزواج الذي تتوحد فيه الزوجة ، ويتعَدَّدُ الأزواج .

فقد ذكر سترابو (جغرافي إغريقي عاش في القرن الأول الميلادي وكان قد صاحب حملة رُوْمِيَّةٍ أرسلتْ لاحتلال اليمن) أن الإخوة يشتركون في كل شيء : في المال وفي الزوجة ، فللإخوة جميعهم زوجة واحدة تكون مشتركة بينهم ، ولكن الرئاسة تكون للأخ الأكبر . وإذا أراد أحد الإخوة الاتصال بالزوجة وضع عصاه على باب الخيمة لتكون علامة تفهم الآخرين أن أحدهم في داخلها فلا يدخلها ،

وهم جميعاً يحملون الْعِصِيَّ معهم ، أما في الليلِ فتكون الزوجة من نصيب الأخ الأكبر[١] .

كذالك جاء في حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن أنكحة العرب في الجاهلية مايلي : ونكاح آخر ، يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملتْ ووضعتْ ومَرَّتْ ليالٍ بعد أن تضع أرسلتْ إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتَنِع ، حتى يجتمعوا عندها ، فتقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، إنِّي ولدتّ فهو ابنُك يافلان ، تُسَمِّي من أحبَّتْ باسمه ، فيلحق به وَلَدها لايَسْتَطيع أن يمتَنع به الرجل[٢] . فمن الواضح أن هذا الوصف ينصبُّ على علاقة دائمة بين الرهط من الرجال والمرأة ، وهي تُغَايِرُ العلاقة العابرة التي تكون طرفاً فيها إحدى البغايا .

كذالك روي أن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كان باليمن فأتِـي بامرأة وطئها ثلاثة أناس في طهر واحد ، فسأل كلَّ واحد منهم أن يُقِرَّ لصاحبه بالولد فأبى . فأقْرَع بينهم وقضى بالولد لِلَّذِي أصابته القرعةُ وجعل عليه ثُلُثي الدية ، فرُفِعَ ذالك إلى النّبيّ ﷺ فأعجبه ، وضحك حتى بدت نواجذه[٣] . وليس من الممكن تفسير هذه الواقعة إلا باعتبارها حالة من حالات تعدد الأزواج عجزت الزوجة فيها عن تحديد الزوج المسؤول عن إنْجاب الولد وذالك قبل أن يُحرِّم هذا النمط من الزواج .

ففي ظل نظام تعدد الأزواج إذن يكون لكل من الأزواج الحقَ في أن يطأ الزوجة المشتركة دون أن ينطوي فعله على مساس بحقوق الأزواج الآخرين .

(ب) ـ الاستبضاع : كان العرفُ عند العرب ـ قبل الإسلام ـ يسمح للرجل العقيم بأن يطلب إلى زوجته أن تستبضع من رجل آخر .

فقد جاء في حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ والذي سبقت الإشارة إليه أن الرجل في الجاهلية: (كان يقول لامرأته إذا طَهُرَتْ من طَمثها : أرسلي إلى فلان فاستَبضِعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسُّها أبداً حتى يَتَبَيَّنَ حملها من ذالك

الرجل فإذا تَبَيَّنَ حملها أصابها زوجها إذا أَحَبَّ ، وإنَّما يفعل ذالك رغبةً في نجابة الولد) . وإذا كان الرجل يلجأ إلى هذا الإجراء رغبةً في نَجَابة الولد فأولى أن يلجأ إليه من أجل الولد أَصْلاً .

كذالك رُوِيَ أنَّ الأفْعَى الجُرْهِيَّ أتى أمَّهُ فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تَحْت مَلِكٍ كثير المال ، وكان لا يولد له ، قالتْ : فَخِفْتُ أن يموت ولا ولد له فيذهب المُلْـكُ ، فأمْكَنْتُ من نَفْسي ابْنَ عَمٍّ له ، كان نازِلاً عليه[٤].

ومن البديهي أنَّ وطْءَ الرجل زوجة آخر بموافقة الزوج لم يكن يدخل في مفهوم الزّنا ومن ثَمَّ فإنّ مثْلَ هذا الرجل لم يكن يتعرض لأي جزاء .

ونَنْتَقِل الآن إلى الحديث عن الجزاء على الزنا فنتكلم أولاً عن جزاء الزاني ، ثم عن جزاء الزوجة .

أولاً ـــ جزاء الزاني : كان العرب قبل الإسلام ـ شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتمعات القَبَلِيَّةِ ـ ينظرون إلى الزنا باعتباره جريمة الزاني في المقام الأول . فكانوا ينظرون إليه باعتباره اعتداءًا من الرجل الزاني على ما للزوج من حق على زوجته . وهو اعتداء ينطوي على استهانة بالِغَةٍ بشأن الزوج . ولهذا كان الجزاء العادي للزنا ـ في حالة ضَبْط الفاعِل مُتَلَبِّساً ـ قَتْلَهُ في الحال ، وقد يستعاض ـ في بعض الأحيان ـ عن قَتْل الزاني بإلْزَامِهِ دفع تعويض لزوج المرأة .

والشواهد على أن القَتْل كان الجزاءَ المألوفَ للزاني في حالة ضبطه متلبساً ، كثيرة نجتزِيءُ منها بما يلي :

فقد رُوِيَ أن الْـمُتَجَرِّدَةَ زوجة النعمان بن المنذر ، رأت الـمُنَخَّل اليَشْكُرِيَّ وكان من أجمل أهل زمانه ، فأحبَّتْهُ . ورصدتْ غفلةَ النعمان إلى أن خرج يوماً للصيد ، فاستدعتْهُ المتجرّدة ، وألْقَتْ رِجْلها مع رِجْلِه في قَيْدٍ ، واشتغلا بالشرب واللهو ، فهجم عليهما النُّعمان وهما على تلك الحالة ، فقتل الـمُنَخَّل بالعذاب[٥].

وليس أدل على أن العرب كانوا ينظرون إلى قتل الزاني بوصفه أمراً عاديًا من موقف بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عندما نزلت الآية الكريمة : ﴿ وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَاجْلِدُوْهُمْ ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ـ النّور ـ ٤ ـ.

فقد رُوِي أنه لما نزلتْ هذه الآيةُ قال سعد بن عُبَادَة ، وهو سَيِّدُ الأنصار ، أهكذا نَزَلتْ يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ألا تَسْمَعُونَ يَامَعْشَرَ الْأَنْصار إلى مايقول سيدكم »؟ قالوا : يارسول الله إنه رجل غيورٌ ، والله ماتزوج امرأة قط إلاَّ بِكْراً ، وما طلّق امرأة قط فاجترأ رجل منَّا على أن يتزوجها من شدة غيرته ، فقال سعد : والله يارسول الله إني لأعلم أنها حقٌّ وأنَّها من عند الله ، ولكن قد تَعَجَّبتُ أن لو وجدتُ لَكَاع قد تَفَخَّذها رجلٌ لم يكن لي أن أُهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء ! ، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته[٦].

وَرُوِيَ أن رجلاً من الأنصار دخل المسجد فقال : لو أن رجلاً وَجَدَ مع امرأته رجُلاً ، فإنْ تكلّم جلدتموه ، وإن قَتَل قَتَلْتُموه ، أو سكت سَكَتَ على غَيْظٍ[٧].

فَموقف كل من هذين الصحابين لا يمكن تفسيره إلا إذا افترضْنَا أن ثَمَّةَ عُرْفاً قَبَلِيًّا سابِقاً كان يسمح للرجل بأن يقتُلَ من يجده مُتَلَبِّساً بالزنا بزوجته .

كذالك رُوِي أن رجلاً من أهل المدِيْنة دخل على امرأته وقد افترشها رجل فقتله ، وخرج حتى أتى عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو يأكل فأكل معه . فجاء أولياء المقتول فقالوا : الآكِلُ معك قَتَلَ صاحبنا ، قال له : أكذلك هو؟ قال نعم دخلت على امرأتي فإذا هو قاعدٌ منْها مَقْعَدِي ، فقتَلْتُهُ . قال له عمر : أحْسَنْتَ فإن عادَ فَعُدْ[٨].

والغالب أن قتل الزاني لا يستتبع ثأراً ولا يقتضي دفع دية . ومع ذالك ثمة شواهد تدل على أن أقارب الزاني قد يثأرون لقتله .

فقد روي أن رجلاً بلغه أن آخر يزني بزوجته فقتله . فعمد أخو الزاني إلى قتل الزوج أخذاً بثأره[٩].

وإذا لم يَقْتُلِ الزوجُ ـ لسبب أو آخر ـ الزَّانيَ المتلبِّسَ ، أو قام الدليل على الزنا دون أن تتوافر حالة تَلَبُّسٍ فقد نَتَساءل عن الجزاء الذي كان يتعرض له الزاني في هاتين الحالتين . لم يكن الزاني ، في هاتين الحالتين ، يتعرض على مايبدو للثّأر ، لكنه لم يكن يُعْفَى من كل جزاء . فقد عرف العربُ ـ شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتمعات القَبلية ـ جزاءاً آخر للزّنا ، يتمثّلُ في إلزام الجاني دفع قدر من المال لزوج المرأة .

فقد رُوِي أن رجلين اختَصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يارسول الله اقْضِ بينَنا بكتاب الله . وقال آخر ـ وهو أفقههما ـ أجَلْ يارسول الله ، فاقْضِ بيننا بكتاب الله وائْذن لي في أن أتكلم . فقال : «تكلّم». قال : إنَّ ابني كان عَسيْفاً (أجِيْرا) على هذا ، فزنَى بامْرأته ، فأخبرني أن على ابني الرجم ، فافتديْتُهُ منه بمئة شاة وبجارية لي ، ثم إني سألتُ أهل العلم فأخبروني بأن على ابني جلد مئة وتغريب عام ، وأخبروني إنما الرجم على امرأته[١٠].

فهذا الخبر يدل دلالة واضحة على أن الجزاء على الزنّا كان يتخذ ـ في بعض الأحيان ـ صورة قدر من المال على سبيل الدية أو الفدية . فقد اعتقد أبو الزاني أنه بدَفْعِ ماوقع من المال يمكنه الحول دون توقيع عقوبة الرجل على ابنه ، تماماً كما كان يحدث في حالة القتْل حيثُ كان لأقارِبِ القَتِيل التّخَلّي عن الثّأرِ مقابل الحصول على دية . فقد تصور الرجل أن الرجم حلَّ محلِ الثار كجزاءٍ على الزنا ، ومادام أن الزاني كان باستطاعته أن يفتديَ نفسه من الثّأرِ بدَفْعِ قدرٍ من المال ، فكذالك يمكنه أن يفتديَ نفسه من الرَّجْمِ بدفع قدر من المال . ومن ثَمَّ فإنَّ دفْع أبي الزاني قدراً من المال لزوج المرأة لم يكن اجتهاداً مِنْهُ ، وإنما كان اتّباعاً لعرفٍ يسمح به .

ثانياً ـــ جزاء الزوجة : كان العرب ـ على ما يبدو ـ يُفَرِّقُون في الجزاء على الزنا بين الرجل والمرأة . ففي حالة التّلبُّسِ لم يكن الزوج يَتَرَدَّدُ في قتْل الرجل الذي ضبطه يزني بزوجته . بَيْنَما لم يكن يعمد إلى قتْل زوجته . تدلنا على ذالك قصّةُ المتجردة فقد اقْتَصرَ النعمانُ على قَتْل المنخّل اليشكريِّ ، ولم يقتل زوجته . كما

يدلنا عليه خبر الرجل الذي قَتَل الزاني بزوجته ثم لَـجَـأ إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فهو أيضاً لم يقْتُلْ زوجته الزانية .

وإن صح ما ذَهبنَا إليه من أنَّ العرب لم يكونوا ـ في الأعم الأغلب ـ يَقْتُلُون الزوجة الزانية فإنَّ موقفهم في هذا الشأنِ يتَّفِقُ ومايجري به العرفُ لدى كثير من القبائل غير العربية التي تعيش في وقْتِنا الحاضر ومنها على سبيل المثال العديد من القبائل الإفريقية المعاصرة[١١].

ولعل جريان العرف عند العرب بعدم قتل الزوجة الزانية يرجع إلى أنهم كانوا ينظرون إلى الزنا باعتباره اعتداءاً من الرجل الغريب أكثر منه خيانة من جانب الزوجة . ولعل من أسبابه أيضاً أنهم كانوا ـ بصفة عامة ـ يأنفون من قتل النساء . وربما كانوا ـ شأنهم في هذا شأن شعوب أخرى ـ يعْتقدون أن المبادرة في الأمور الجنسية تأتي دائماً من الرجال . فضلاً عن أن قتْل الرجل زوجتَه سوف يحرمه من المطالبة باسترداد مهرها بخلاف ما لو اقْتَصرَ على تَطليقها .

وإذا كان الغالب عدم قتل الزوجة الزانية فَثَمَّة ما يشير إلى أن الزوج كان يعمد في بعض الأحيان إلى قتل الزاني والزانية في نفس الوقت . وقتْل الزوجة في مثل هذه الحالات كانت ـ على مايبدو ـ تبرره ظروف خاصة .

غير أن عدم قتل الزوج زوجته الزانية لا يعني أنَّها كانت بِمَنْجًى من كل جزاء . فلم يكن ثمَّة مايحول دون الزوج وتأديب زوجته بالامتناع عن معاشرتها أو ضربها أو حبسها . كذالك لم يكن ثمَّة مايحول دونه وأن يطلقها .

فقد رُوِي مثلاً أن هند بنت عتبة كانتْ عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان له بيت للضيافة بارز من البيوت ، يغشاه النَّاس من غير إذن ، فخلا ذات يوم فاضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته . وأقْبَل رجل ممن كان يغشي البيت فَوَلجه . فلما رآها رجع هارِباً . وأبصره الفاكهُ فأقبل إليها فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحداً ولا انْتَبَهْتُ حتى أنْبَهْتَنِـي . فقال لها : ارجعي إلى أمك[١٢].

ثانياً ــ السِّفاح : نقصد بالسِّفاح وِقَاعَ أنثى غير مُتَزَوِّجة برضاها سواءً كانت فتاةً لم تتزوج أم امرأة سبق لها الزواج وطُلِّقت أو ترمَّلت .

والسِّفاح بهذا المعنى لم يكن على مايبدو يشكل جريمة لدى بعض القبائل العربية . فثَمَّة شواهد تدل على أن وِقاع رجل لأنثى غيرُ متزوجة لم يكن لِيَسْتَتْبع جزاءً ، سواء بالنسبة للرجل أم بالنسبة للأنثى ، ولو تمخَّضت العلاقة عن حمل .

فقد رُوِي مثلاً أن جارية بن سَليطٍ كان أحسن الناس وجهاً ، وأَمَدَّهُمْ جِسماً ، وأنه أتى عكاظ فأبصرته جاريةٌ من خَثْعم فأعجبها ، وتلطفت له حتى وقع عليها ، فلما فرغَ قالت : إنك أتيتني على طُهْرٍ وإني لا أدري لعلي سأعلق لك ولداً فمَوْعِدُك فصَال ولديْ إن حملتُ لك ، فَسَمَّى لها اسمه ، حتى وافى عكاظ لرأس ثلاثة أحوال ، فوجدها قد ولدت غلاماً وفطمته ، فأقبلت الجارية معها أمها وخَالتُها يلتمسنه بِعكاظ حتّى رأته الجارية فعرفَتْهُ ، فلما رأته قالت الجارية : هذا جارية ، قالت أمها : بمثل جارية فَلْتَزْن الزَّانِيَةُ سرًّا أو علانية ، ثم دفعن إليه الغُلام فسماه عَوْفاً فَشَرَفَ وساد قومه ، وهو عَوْفُ الأَصَمُّ[١٣] .

كذالك رُوِي أن بعض العرب كانوا يأتون النّساء فإذا وُلد لأحدهم ألحقته المرأة بِـمَنْ شَاءَتْ ، فربما ادعاه ورُبَّـما أنكره لأنها كانتْ لا تمتَنِعُ ممن يَنْتَابُهَا[١٤] .

وروي أيضاً أن تَأَبَّطَ شرًّا أحبَّ جارية من قومه ، فطلبها زَمَناً لَا يقدر عليها ، ثم لقيتْهُ ذات ليلة فأجابتْهُ وأرادها فعجز عنها ، فلما رأت جزعه من ذالك تناومتْ عليه فآنَسَتْهُ وهدأ[١٥] .

ونحن لا نَشكُّ في أن هذا الموقف من العلاقات الجنسية خَارج الزواج كان مقصوراً على بعض القبائل العربية دون البعض الآخر . ولعل القبائل التي كانت تسمح بمثل هذه العلاقات كانت هي القبائل التي تأخذ بقاعدة النسب الأُمِّـيِّ ، حيث كان الأولاد الذين يولدون من امرأة ينسبون إلى جماعتها بِغَضِّ النظر عما إذا كانوا قد ولدوا من علاقة زوجيَّة أم من علاقة خارج الزواج . ومن المحتمل أن هذه القبائل الأخيرة كانت تعيش في جنوب الجزيرة العربية .

أما القبائل التي كانت تعيش في شمال الجزيرة العربية فَثَمَّة شواهد تدل على أنها كانت تَتَشدَّدُ في اقْتِضَاءِ العِفَّة من فتياتها ونسائها ، وكان العرف فيها يجري بالعقاب على الاتّصال الجنْسيّ الذي يقع بين رجل وامرأة ، ولو كان بِرضَا المرأة ، ولم يكن الجزاء يَقتَصِرُ على الرجل بل كان يمتد إلى المرأة . ومن المحتمل أن هذا الجزاء كان يتمثَّلُ في قتل الرجل والمرأة . ولا شك أن من أهم الأسباب التي دفعتْ قبائل شمال الجزيرة العربية إلى اتّخاذ هذا الموقف هو تأثرها ، على مدى عشرات المئات من السنين بشرائع الشرق الأدنى القديمة . فقد كانتْ هذه الشرائع ـ وبخاصة شريعة الأشوريين وشريعة العبريين ـ تَتَشدد في الجزاء على الجرائم الجنسية .

ثالثاً ـ الاغتصاب : نقصد بالاغتصاب وِقَاع الأنثى بغير رضاها ، سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة .

ومن صور الاغتصاب ماكان يقع من المقاتلين المنتصرين بسباياهم من نساء الأعداء . فقد جرى العرف عند العرب قبل الإسلام ـ بأن تَأْسِرَ القبيلة المنتصرة ما تقدر على أسرهِ من نساء القبيلة المهزومة ، وبخاصة الشرائف منهن . ولم يكن ثمَّة مايحول دون الأسرِ وَوِقاع المرأة التي سباها ولو رَغْماً عن إرادتها وسواء كانت فتاة بِكراً أم امرأة ، متزوجة أم غير متزوجة ، والجزاء على اغتصاب النساء الذي يحدث عقب الحروب هو المعاملة بالمثل . فقد كانت القبيلة التي تُسْبَى بعضُ نسائها لا تدخر وسعاً في استنقاذ نسائها ، وسَبْيِ ما تقوى على سبيه من نساء أعدائها . فاغتصاب بعض نساء إحدى القبائل كان يعقبه ـ ولو بعد حين ـ اغتصاب بعض نساء الْـمُغْتَصِبِينَ ، وهكذا دَوَالَيْك .

وفضلاً عن الاغتصاب الذي يقع في أعقاب الحروب القَبلية ، انتَقلتْ إلينا أخبارٌ عن حوادث اغتصاب فردية ، سواء من أشخاص غُرباء عن قبيلة المرأة ، أم من أشخاص من نفس القبيلة .

فقد روي مثلاً أن السُّلَيْك بن السَّلَكَةِ لقي رجلاً من خَثْعَمَ يقال له مالك بن

عمير ، معه امرأة له من خفاجة يقال لها النَّوار . فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك . فرجع إلى قومه وخَلَّف امرأته رهينة معه فنَكحها السُّلَيْكُ . وبلغ ذالك شُبَيْل بن قلادة وأنس بن مدرك الخَثْعَمِيَّيْن . فَخَالَفَا إلى السّليك على غفلة ، فشَدَّ عليه أنسٌ فقتَلَهُ وقتل شُبَيْلٌ وأصحابه من كان معه(١٦).

كذلك رويَ أن البُرْجَ بن مُسْهِرٍ الطائيَّ انْتَبه في الليل وكان شارباً فسمِع أُختَه النقّاطة وهي تبولَ فقال : (إنِّي لأسمع شَخَّةً لابُدَّ مِنْ أن أَزُخَّهَا زَخَّةً) . ثم واثبها . فقالت : (وَيْلك ! أنا أختك) . فلم يلبثْ أن افترعها . فلما أصبح هرب على وجهه في الشام ، فأقام هناك وتنصر(١٧).

ومن الواضح أن الجزاء على الاغتصاب كان يتمثل في قتل الـمُغْتَصِب . فقد أثار اغتصاب السُّليك لامرأة الخثعمي ثائرة أقاربه فانتقموا له بِقَتله . واضطر البرْج بن مُسْهِر إلى الهرب بعيداً عندما تَبيَّن جسامة ما ارتكب ، ومدى العار الذي جلبه على نفسه وأسرته . ولو لم يهرب لكان قُتِلَ على يَدَيْ أبناء قرابته . فقد كانتْ جريمتُه بالغة الجسامة لأنها كانت تشكل في نفس الوقت اغتصاباً وزنا بإحدى المحارم .

ومن صور الجزاء على الاغتصاب التي عرفها العرب قبل الإسلام المعاملة بالمثل إن استطاع وليُّ المرأة إلى ذالك سبيلاً .

فقد رُوِيَ مثلاً أن قبيلة إيادٍ كثرتْ فضاقت بها أرْضها ، فخرجُوا إلى الأرياف حتى نزلت بين الحيرة والبحرين على عهد بني أسد . وأن فارسيًا وثب على امرأة منهم فنكحها ، فوثب أخوها فنكح أخْت الفارسي(١٨).

والعقاب على الاغتصاب بالقتل أو بالمعاملة بالمثل لا ينبغي أن يدهشنا فإن ذالك هو ماكرسته إحدى الشرائع السامية وهي شريعة الأشوريين الذين نزحوا من الجزير العربية إلى شمال العراق .

ففي المادة الـ ١٢ من اللوحة الأولى نقرأ مايلي : (إذا كان رجل ، أبناء سير (؟) زوجة رجل آخر في الطريق ، قد أمسك بها قائلاً لها : دَعيني أُضاجِعك ،

فطالما أنها لم توافق وظلتْ تدافع عن نفسها ، لكنه أخذها بالقوة وضاجعها ، فسواء وجدوه على زوجة الرجل أم اتّهمه شهود أنه ضاجع المرأة ، فسوف يقْتُلُونَ الرجل ، دون أن يلحق المرأة لوم) .

وفي المادة الـ ٥٥ من نفس اللوحة نُطالع مايلي : (إذا أخذ رجل فتاة بكراً واغْتَصبها ، سواء وسط المدينة أم في العراء ، نهاراً أم ليلاً ، في الطريق أم في مخزن ، أم أثناء أحد المهرجانات ، فسوف يأخذُ أبو البكر زوجة المغتَصِبِ ويُسْلمها لِتُغْتَصَب وسوف لا يعيدها إلى زوجها)[١٩] .

فالاغتصاب لم يكن ينظر إليه باعتباره جريمة ماسَّة بالمرأة التي تكون ضحية له بقدر ماكان ينظر إليه بوصفه منطوياً على استهانة شديدة بزوج المرأة أو وليها ، ولم تكن ثَمَّةَ وسيلة لدفع هذا العار غير قَتْلِ الجاني ، أو معاملته بالمثل .

ومن البديهي أن المرأة التي تقع ضَحية اغتصابٍ لم تكن تتعرَّض لأي عقاب ، طالما قام الدليل على أنها كانتْ مغلوبة على أمرها .

رابعاً ـ التعري على مشهد من امرأة : كان العرب ـ قبل الإسلام ـ يَعُدُّونَ تَعَرِّي الرجل على مشهد من امرأة غير زوجته جُرْماً خَطيراً يستتبعُ الانتقام من فاعله بقتْله ، ولم يكن تجريم الفعل على مايبدو راجعاً إلى ماينطوي عليه من إيذاء لحياء المرأة ، وإنما نظراً لما يكشف عنه من استهانة بشأن زوج المرأة أو أوليائها وامتهانٍ لكرامتهم .

ومن الشواهد الدالة على نظرة العرب إلى هذا الفعل بوصفه اعْتِدَاءًا خطيراً على كرامة الزوج الخبر التَّالي : رُوِيَ أن شَاس بن زهير أقبل من عند الملك النعمان مُيَمِّماً موطنه وأهله فورد مَنْعِجاً وعليه خِبَاءٌ ملقى لرياح بن الأشَلِّ فيه أهله في الظهيرة فألقى ثيابه بفنائه ، ثم قعد يُهرِيْقُ عليه الماء ، والمرأة قريبة منه (امرأة رياح) فقال رياح لامرأته أنْطيني قوسي . فمدَّتْ إليه قوسه وسهماً فأهوى إليه فوضع السهم في مستدقِّ الصلب بين فَقَارَتَيْنِ فَفَصَلَهُمَا وخرَّ ساقِطاً[٢٠] .

ومن الطريف أن العرف ـ لدى بعض القبائل العربية المعاصرة (بعض قبائل

سيناء مثلاً) ـ مازال يعد هذا الفعل جريمة نكراء ، تَستَتْبِعُ قَتْلَ الفاعل ، أو الثأر من أحد أفراد قرابته[٢١].

خامساً ــ تَعْرِية امرأة : كان الفعل الذي ينطوي على تعرية امرأة يُعَدُّ جريمة خطيرة تستتبع قتل الجاني وقد تَفْضِـي إلى نشوب قتال بين قبيلة المرأة وقبيلة الجاني مِـمَّا يؤدّي إلى سقوط عدد من القَتْلَى .

فقد رُوِي مثلاً أن شباناً من قريش وكنانة كانوا ذَوِي غَرَامٍ فرأوا امرأة من بني عامر وضيئَة حسَّانة بسوق عكاظ جالسة وهي في فضل (في ثوب واحد) عليها برقُعٌ لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب وهي تحدثهم . فجاء الشَّبابُ من قريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تُسْفِر ، فَأَبَتْ . فقام أحدهم فَجلس خلفها وخَلَّ طرف رِدَائِهَا ، وشدَّهُ إلى فوق حُجْزَتَها (معقد الإزار من السراويل) بشوكة ـ وهي لا تعلم ـ فلما قامت انكشف دِرْعُها (قميصها) عن ظهرها . فضحكوا وقالوا : مَنَعْتِنَا النظر إلى وجهك وجُدْتِ لنا بالنظر إلى ظهرك . فنادت : ياآل عامر ! فساروا وحملوا السلاح وحملَتْهُ كنانة واقتتلوا ووقعت بينهم دماء يسيرة . فتوسط حربُ بن أُمية واحْتَمل دماء القوم ، وأرضى بني عامر عن مُثْلَةِ صاحبتهم[٢٢].

ورُوِي أن زُهير بن جُذَيمة كانت هوازن تدفع له إتَاوةً كل عام ، فإذا كان يوم عكاظ أتاها زهير كما يأتيها الناس من كل وجه ، فتَأتِيْهِ هوازن بالإتاوة من سمن وإقِطٍ وغنم ، فأتَتْهُ عجوز من بني نَصْرٍ من هوازن ، وشكتْ إليه السِّنِينَ التي تَتَابَعَتْ على النَّاسِ وقَدَّمَتْ إليه سَمْناً ، واعتذَرَتْ إليه ، فَذَاقَهُ فلم يرض طعمه ، فَدَعَّها بقوس في يده في صدرها ، فاستلقتْ على القفا ، فَبَدَتْ عورتُها ، فغَضِبت من ذالك هوازن ، وقال خالد بن جعفر : والله لأجعلنَّ ذراعيَّ وراء عُنُقِه حتىّ أُقْتَلَ أَوْ يُقْتَلَ . (وقد تمكن خالد بن جعفر ، وحُنْدجُ بن البَكَّاءِ من قَتْلِهِ بعد ذالك بزمن)[٢٣].

كذالك رُوِي أن امرأة من العرب قدمتْ بِجَلَبٍ لها فباعتْهُ بسوق بني قَيْنُقَاع ، وجلستْ إلى صائغ بها . فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبتْ ، فعمد

الصائغ إلى طرف ثَوْبِها فَعَقَدَهُ إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفتْ سَوْءَتها ، فضحكوا بها فَصاحتْ ، فوثَب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًا ، وشدَّتِ اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع(٢٤) .

سادساً ــ تقبيل زوجة آخر : كان العرف يجري عند العرب قبل الإسلام باعتبار تَقْبيل رجل زوجة آخر جُرْماً يستأهل جزاءاً . ولم يكن الجزاء على هذا الفعل بسبب ماينطوي عليه من خدشٍ لحياء المرأة ، وإنما لما يكشف عنه من استهانة بالغة بأمر الزوج . وهنا أيضاً يبدو أن الجزاء كان يتَمَثَّلُ في الثّأرِ من الجاني وذالك بتقبيل المجنِي عليه زوجة الجاني إن استطاع إلى ذالك سبيلاً .

فقد رُوي مثلاً أن امرأ القيس بن حُجْرٍ الكنديَّ كان جاراً لعامر بن جُوَيْنٍ الطائِيِّ . فقبَّلَ عامرُ امرأة امرئِ القيس ، فأعلمته بذالك . فسار يريد جارية ابن مُرٍّ الطائي . . . فأعلمه امرؤ القيس أن عامر بن جُوَيْن قبَّلَ امرأتهُ . فركب جارية في أسرته حتى أتى منزل عامر ومعه امرؤ القيس . فقال له : قبِّل امرأته كما قَبَّل امرأتك . ففعل(٢٥) .

سابعاً ــ ملازمة رجل غريبٍ لإحدى نساء الجماعة : تدل الأخبار التي انتَقَلتْ إلينا من العصر الجاهلي على أن القبائل العربية لم تكن تقف من جلوس الفتيان للفَتَيات للحديث والمسامرة موقفاً واحداً . فَمنها مَنْ كان يترخَّص في ذالك ومنها مَنْ كان ينحو مَنْحًى متشدِّداً .

فقد رُوِيَ مثلاً أن سارِية من بني قُشَيْرٍ نزلتْ بمالِهم على بني سِدْرة . فجعلتْ فتيانُ قُشَير تَرجَّل وتَتزيَّن وتَزُوْرُ بيوتَ سِدْرة ، فاسْتَنْهَوْهُم . فقال يَزِيد بن الطَّثْرية : ومافي هذا عليكم ؟ زُوْرُوْا بيُوتَنَا كما نزور بيوتكم . . ثم إن بني سدرة قالوا لِنِسَائهم : وَيْحكُنَّ فضحْتُنّا !! نأتي نساء هاؤلاء فلا نقدر عليهن ويأتونكنَّ فلا تحْتَجِبْنَ(٢٦) .

كذالك روي أن صِرْماً من جَرْم ساقَتْهُ السَّنَةُ والجدبُ من بلاده إلى بنِي

قشير . . فأجارتهم قشير وساعدتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها ، وكان في جَرْمٍ فَتى يقال له ميّاد ، وكان غَزِلاً حسن الوجه ، تام القامة ، آخذاً بقُلُوب النِّساء . والغزل في جرم جائزٌ حسن . وهو في قشير نائِرة (العداوة والشحناء) . فلما نازلتْ جَرْمٌ قُشَيْراً وجاورتْها ، أصبح ميّاد الجرميُّ فَغَدا إلى القشيريات يطلب منهن الغزلَ والصِّبا والحديث ، واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقْي والرعي وما أشبه ، فدفَعْنَهُ عنْهن وأسمعنه مايكره[٢٧] .

ولدى القَبائل التي لم تكن تنظر بعين الرضَا إلى جلوس الفتْيان إلى الفَتيات للحديث والغزل كان العرف يجعل من ملازمة رجل غريب لإحدى نساء الجماعة ـ رغم تحذيره ـ جُرْماً يستَتْبِعُ العقاب .

يدلُّنا على ذالك عدد من الأخبار التي ولو أنها وقعتْ في صدر الإسلام إلا أنها تكشف في ثناياها عن أوضاع سابقة عليه .

فقد رُوِي مثلاً أن العُجَيْر (شاعر عاش في عصر بني أمية) كان يَتَحدَّثُ إلى امرأة من بني عامر يقال لها (جُمْل) فَأَلِفَها وعَلِقَها . ثم انتجع أهلها نواحي نَصِيْبِينَ ، فتَتَبَّعتَها نفسه ، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً ثم رأوه منازلاً ملازماً محادثة تلك المرأة ، فنهوه عنها . وقالوا : قد رأينا أمرك فإما انْقطعت عنها ، أو ارتَحلت عنّا ، أو فَأْذَنْ بِحَرْبٍ فقال : مابيني وبينها مايُنكر ، وإنما كنتُ أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة ، فأما الرِّيبة فَحَاشَ الله منها . ثم عاود محادثتها ، فانْتَهَبُوا ماله وطردوه . فأتى محمد بن مروان ـ وهو يومئذ يتولّى الجزيرة لأخيه عبدالملك بن مروان ـ مُسْتَعْدِياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خاصَّةً ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام ، فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابِيِّ فَأُحْضِرَ ، فحبسه حتى ردَّ مال العُجَيْر ، وأمر العجير بالانصراف إلى حيِّه وترك النزول على المرأة أو في قومها[٢٨] .

فهذه الحادثة تدل على أن أهل المرأة كان لهم الحق في أن يطردوا العجير بالقوة ، وفي أن يستولوا على ماله . وإذا كان قَدْ وَجَدَ في العصر الإسلامي من يرد

عليه ماله المَنْهوبَ ، فإن ذالك لم يكن من السهل تَحَقُّقُه في العصر الجاهلي .

كذالك رُوِيَ أن أَبا لُبْنَى شَخَص إلى معاوية ، فشكا إليه قيساً وتعرضه لِإبْنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص (واليه على المدينة) يُهْدِرُ دمه إن ألـمَّ بها ، وأن يشتدَّ في ذالك فكتب مروان أو سعيد في ذالك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبْنَى كتاباً وكيداً[٢٩].

ويؤكد هذا الخبرُ ماسبق أن قُلناه من أن هذا الفعل كان فعلاً مَحْظُوراً بمتقضى العرف لما ينطوي عليه من مساسٍ بشرف أهل المرأة ، لدرجة أن معاوية أهدر دم قيس إن هو ألـمّ بِلُبْنَى . وإذا كان أبو لُبْنَى قد استعان بمعاوية ولم يأخذ حقه بيده ، فمردُّ ذالك إلى قيام سلطة عليا في الجزيرة العربية أخذتْ على عاتقها إقرارَ الأمن وردع المعتدين .

ورُوي أيضاً أن جميلاً عشق بُثْيْنة وهو غلام ، فلما بلغ خطبها فَمُنِعَ منها . فكان يقول فيها الأشعار ، حتى اشْتُهر وطُرد ، فكان يَأتيها سرًّا ، ثم تزوجتْ فكان يزورها في بيت زوجها خفيةً إلى أن اسْتُعْمِلَ دجاجةُ بن رِبْعيٍّ على وادي القُرَى ، فشكوه إليه ، فتقدم إليه ألا يُلـمَّ بِأَبْياتها ، وأهدر دمه إن عاود زيارتها . فاحتبس حِينَئِذٍ[٣٠].

د. محمود سلام زناتي

الهوامش :

١ ــ أورده دكتور جواد علي ، «المفصل في تاريخ العرب» ، بغداد مكتبة النهضة الطبعة الثانية ١٩٨٠م ، جـ ٥ ، ص ٥٤٠ .

٢ ــ «صحيح البخاري» جـ ٧ ، ص ١٥ .

٣ ــ ابن رشد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» جـ ٢ ، ص ٣٦٠ .

٤ ــ الميداني «مجمع الأمثال» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ ، جـ ١ فقرة ٣٢ .

٥ ــ الأندلسي (ابن سعيد) «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» تحقيق د. نصرت عبدالرحمن ، عمان مكتبة الأقصى ١٩٨٢م ، جـ ٢ ص ٦٣٤ .

٦ ــ النيسابوري (أبو الحسن الواحدي) «أسباب النزول» القاهرة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٨م ، ص ١٨٠ .

٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٨١ .
٨ ـ العسكري (أبو هلال الحسن) «الأوائل» بيروت دار الكتب العلمية ١٩٧٧م ، ص ١٠٨ .
٩ ـ الميداني ، جـ ٢ ، فقرة ٣٥٤ .
١٠ ـ «الموطأ» جـ ٣ ، ص ٤٠ .
١١ ـ انظر مقالنا (الزنا وجزاؤه في التقاليد القبلية الافريقية) مجلة «مصر المعاصرة» العدد ٣٢٨ ، أبريل ١٩٦٧م ، ص ١٨٩ ومابعدها .
١٢ ـ الزركلي (خيرالدين) «أعلام النساء» .
١٣ ـ الضبي ، «أمثال العرب» فقرة ١٩ .
١٤ ـ الميداني ، جـ ١ ، فقرة ٤٩٦ .
١٥ ـ «ديوان تأبط شراً وأخباره» تحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٤م ص ٢٧٠ .
١٦ ـ الأندلسي ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ .
١٧ ـ ابن حبيب (أبو جعفر محمد) «المحبر» بيروت دار الآفاق الجديدة ص ٤٧١ .
١٨ ـ العسكري ، ص ٦٥ .
١٩ ـ انظر للمؤلف (تعريب القانون الأشوري) بمجلة العلوم القانونية والاقتصادية ١٩٧٢م .
٢٠ ـ الاصبهاني (أبو الفرج)، كتاب «الأغاني» بيروت ، مؤسسة عزالدين ، جـ ١٠ ص ٨ .
٢١ ـ فقد نشرت جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٨٨م تحقيقاً صحفياً بعنوان (قضاة لا يتبعون وزارة العدل) عن جلسة صلح بين قبيلتي (النخامشة) و(العوامرة) (من قبائل سيناء) لإنْهاءِ خلاف بينهما بدأ منذ ثمانين عاماً حول حدود الأرض بينهما . وقد جاء في هذا التحقيق أن الصراع بين القبيلتين التهب بحدوث واقعة تعتبر أكبر جرائم الصحراء وذلك عندما تجرأ شاب من إحدى القبيلتين واستحم في عين ماء على مرأى من بدوية من القبيلة الأخرى على بعد أكثر من كيلو ونصف . وأصدر القضاة قراراتهم فيما يتعلق بالدماء التي سالت بين القبيلتين وفيما يتعلق بواقعة الاستحمام أمام المرأة البدوية أصدروا قرارهم بتطبيق حكم البشعة على أن الشاب لم يكن يقصد الاستحمام أمامها .
٢٢ ـ جاد المولى ص ٢٣٠ .
٢٣ ـ الاصبهاني ، جـ ١٠ ص ١١ .
٢٤ ـ «السيرة النبوية» لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٥ جـ ٣ ، ص ٤٨ ومازال العرف لدى بعض القبائل العربية المعاصرة يجري باعتبار تعرية امرأة جرماً بالغ الخطورة . فلدى قبائل الحجاز ـ عاتق بن غيث البلادي ، «الأدب الشعبي في الحجاز» ، دار مكة ١٩٨٢م ، ص ٢٦٥ ـ إذا تعرض رجل لامرأة فأماط لثامها أو خلع برقعها أو غدفتها قضى ذالك قطع يده . وهي قاعدة غير قابلة للنقض . وهنا تحدث المشكلة حيث ولي أمر المرأة يريد التنفيذ وأهل الجاني يرفضون . وقد حدثت قضية قريبة من ذالك بين قبيلتي حرب وعنزة أدت إلى حروب طاحنة بين القبيلتين . ولكن المسألة غالباً تسوى بشراء اليد . وقد تحدث المشكلة نفسها عند تقدير ثمن اليد .
٢٥ ـ ابن حبيب ، ص ٣٥٣ .
٢٦ و ٢٧ ـ الأصبهاني ، جـ ٧ ، ص ١٠٥ .
٢٨ ـ الأصبهاني ، جـ ١١ ، ص ١٥١ .
٢٩ ـ الأصبهاني ، جـ ٨ ، ص ١١٨ .
٣٠ ـ الأصبهاني ، جـ ٧ ، ص ٨١ .

الشعر والشعراء
في «النوادر والتعليقات» للهجري
- ٣ -

بدوية : (شاعرة)

١٣ ـ البريدي

وأنشدني[١] :

١ ـ تَمَنَّيْتُ إنْ جَاءَ الْحِسَابُ وَنُشِّرَتْ ... دَوَاوِيْنُ فِيْهَا ذِكْرُ كُلِّ صَغِيْرِ
٢ ـ فجئنا بـ . . . . كُلِّهَا ... إِلَى مَلِكٍ بِالْعَالَمِيْنَ بَصِيْرِ[٢]
٣ ـ فَقِيْلَ لِأَصْحَابِ الْجَحِيْمِ : أَلَا اذْهَبُوا ... بها ولهذا نظرة وسرور
٤ ـ فَقُلْتُ: تَشَفَّعْ عِنْدَنَا الْيَوْمَ واتَّخِذْ ... يدًا عندنا إن . . . . [٣]
٥ ـ فقُلْتُ لَهُ: إِنِّي وَرَبِّي ضَعِيْفَةٌ[٤] ... وَلِلنَّارِ نَاسٌ آخَرُوْنَ كَثِيْرُ

وأنشدني أيضاً :

١ ـ أَنَا ابْنُ الَّذِيْ أَقْسَمْتُ تَحْتَ ضَبِيْلَةٍ ... صَخُوْبٍ وَلَا صَهَّالَةٍ تَوْلِ مَلْعَبِ[٥]
٢ ـ وَلَا بِالَّتِي يَضْحَى الْكَنَائِنُ حَوْلَهَا ... لَوَاطِيْ مِنْ جُوْعٍ وَفِي الْبَيْتِ مُضْرَبُ[٦]

---

(١) (٤٨٨هـ) والضمير يرجع إلى البريدي وقد تكرر ذكر (البُرَيْدِيّ ويظهر أن المقصود بالبُرَيْدي ، أحد الثلاثة :

١ ـ البُرَيْدِيُّ منْ جُشَمٍ بن بَكْرٍ من هَوازِنَ، وهذا رَوَى عنه الهجري كثيراً، شعراً، ولغة، وأنساباً، ولم يرد ذكر اسمه فيما بين يَدَيَّ من كتاب الهجريّ ، ويغلب على الظّن أنه هو الذي أنشد الهجري المقطوعتين ولَيْسَتا لَهُ .

٢ ـ البُرَيْدِيُّ صاهِلِيٌّ هُذَلِيٌّ ، وهذا شاعر واسمه عبدالله بن محمد بن عطية ـ أورد له شعراً سيأتي .

٣ ـ البُرَيْدِيُّ شاعر أيضاً ـ ولم أرَ لنسبه ذِكراً ـ وسيردُ ذكره في موضعه.

(٢) قد يكون أول البيت: (فجئنا بأوراق الحفائظ).

(٣) قد يقرأ آخر البيت: (إن جئت بعد تزور) ولكن المعنى لايكون واضحاً.

(٤) قد تقرأ كلمة (ضعيفة) بالتاء فيكون الشعر لامرأةٍ.

(٥) في الهامش: (التول الجماعة من الناس والخيل وغير ذالك). وليس المعنى واضحاً.

(٦) في الهامش: (سِقَاء). ويلاحظ الإقواء بين البيتين.

١٤ ـ بَزِيْعُ بن جَيْهان الضِّبَابِـيُّ

قال الهجريُّ[١]: وأَنْشَدَنِـي جَمَاعةٌ من بني كِلَابٍ لِبَزِيْعِ بن جَيْهان[٢] الضِّبابي ، ثم أحد بني حَمَلٍ ، في يوم مُرَامِرَاتٍ لهم على بني فزارة :

١ ـ حَيِّ الْمَنَـازِلَ مَـابِهِنَّ عَـرِيْبُ   حَيْثُ الْتَقَى جَلَدٌ وَحَفٌ كَثِيْبُ

٢ ـ لَعِبَ الْبِلَى بِجَدِيْدِهَا وَمَعَ الْبِلَى   بَعْـدَ الْجَمِيْعِ حَـوَاصِبٌ وهُضُـوْبُ

٣ ـ حَتَّى كَـأَنَّ رُسُومَهَـا لَـمَّا بَـدَتْ   خِلَلٌ لَـوَائِحُ وَشْيُهُنَّ قَشِيْـبُ

٤ ـ عَـوَّجْتُ في دِمَنِ الـدِّيَـارِ وَإِنَّنِي   لَـمُـتَيَّـمٌ دَنِـفُ الْـفُـؤَادِ طَـرُوْبُ

٥ ـ إنْ كُنْتُ لَسْتَ بِـوَاقِفٍ في دِمْنَةٍ   إلَّا تَحَـدَّرَ دَمْـعُـكَ الْـمَسْكُـوْبُ

٦ ـ يَـاجُمْـلُ حُبُّـكِ لَايَزَالُ يَقُـوْدُنِي   قَـوْداً كَـمَا تَبِـعَ الْجَنِيْبَ جَنِيْبُ

٧ ـ مَـوَّتَّ نَفْسِي بِـالْعِـلَاقَـةِ حِقْبَـةً   زَمَنـاً وَأَنْتِ لِـمَا لَقِيْتُ طَبِيْـبُ

٨ ـ والْمَوْتُ نَأْيُكِ إنْ تَشَطُّ بِكِ النَّوَى   وَالْـمَوْتُ مِنْ طَرَفِ الْـحَيَاةِ قَـرِيْبُ

٩ ـ وَإذَا دَنَـوْتِ فَفِـي دُنـوِّكِ غِبْـطَةٌ   وَإذَا نَـأَيْـتِ فَـنَـازِحٌ مَحْـبُـوْبُ

١٠ ـ كَيْفَ السَّبِيْلُ إِلَيْكِ مَوْقِفَ سَاعَةٍ   لَـمَّا تَـغَـيَّـبَ كَـاشِـحٌ وَرَقِـيْـبُ

١١ ـ حَتَّى أَبُثَّـكِ مَالَقِيْتُ مِنَ الْهَـوَى   وَيَبِـيْنَ عِنْـدَكِ صَبْـرِيَ الْمَغْلُوبُ

١٢ ـ يَـامَنْ بَذَلْتُ لَـهُ الْـمَوَدَّةَ كُلَّهَا   قِـدْمـاً وَلَيْسَ لِـمَـا فَعَلْتُ يُثِيْـبُ

١٣ ـ وَتَـرَتْنِيَ التَّبْـلَ الْقَـدِيْمَ وَحُبُّهَا   بَـيْنَ الأَضَـالِـعِ وَالْحَشَا مَحْجُـوبُ[٣]

١٤ ـ إنِّي لأَهْجُـرُكُمْ وَمَابِيْ عِنْـدَكُمْ   صَـبْرٌ وَمَـالِي فِي الْعَـزَاءِ نَصِيْـبُ

١٥ ـ إلَّا مُحَافَـظَةً عَلَيْـكِ مِنَ الأَذَى   وَمَخَـافَـةً مِـنْ أَنْ يُـقَـالَ مُـرِيْـبُ

١٦ ـ مَـا يُنْسِينِي رَيْبُ الْحَـوَادِثِ إنَّنِي   لَـمُجَـرِّبٌ قَـدْ رَاضَـهُ التَّـجْـرِيْـبُ

---

(١) (١٠٢هـ) . (٢) في (٣١٧هـ) بَزِيع بن جَيْهَان . لم أر لِبَزِيع بن جَيْهَانَ الحملي الضِّبَابي الْكِلابي ـ ذكرا فيما بين يديَّ من المراجع ، ويظهر أنه ممن عاش في القرن الثالث الهجري لأنه ذكر يوم جَوُّ مُرامر ، وهو يوم جرى ـ في القرن الثالث ـ لبني كلاب على غطفان ومنهم بنو فزارة. وهذا اليوم ذكره ناهض بن ثومة، وهو ممن عاش في القرن الثالث ـ انظر «العرب» س ٢٥/١ ومابعدها.
ويظهر من نصوص المتقدمين أنه جَوُّ مُرَامِرٍ، وهو جَوُّ مُرَامِرَاتٍ ـ يقع شمال غرب القصيم في المنطقة المعروفة باسم القَرْعاء .

(٣) في الهامش: (روى المطرفي ... وروى القشيري ...).

١٧ ـ لَا أَنْسَ جَلْوَتَهَا عَشِيَّةَ أَتْلَعَتْ   جَيْـدَاءُ مُخْطَفَـةُ الْحَشَـا رُعْبُـوبُ
١٨ ـ نَطَقَتْ بِوَضَـاحٍ أَغَرَّ يَـزِينُهُ   قَـوْلٌ يَـرِفُ لَـهُ الْفُؤَادُ عَـرِيبُ(١)
١٩ ـ بِمُفَلَّجٍ أَلْمَى اللِّثَاتِ جَرَى بِهِ   مِنْ فَـرْعِ مُعْلَلِجِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ(٢)
٢٠ ـ كَالْأُقْحُوَانِ سَرَتْ عَلَيْهِ دِيمَـةٌ   وَطَـفَـاءُ فَهْـوَ مُـشَـرَّقٌ مَجْنُـوبُ
٢١ ـ غُـرٌّ الْأَشَـانِبِ زَانَـهُ تَفْلِيجُـهُ   وَبِـعَـارِضَـيْـهِ شَـنْـبَـةٌ وَلُـغُـوبُ
٢٢ ـ خَوْدٌ كَأَنَّ سَقِيطَ رَجْعِ كَلَامِهَا   عَـسَـلٌ يُشَـابُ بِـقَـرْقَفٍ فَـيَـطِيبُ
٢٣ ـ وَمُرَجَّلٍ وَحْفِ الْقُرُونِ كَـأَنَّـهُ   كَـرْمٌ تَهَصَّرَ نَـاعِـمٌ غِـرْبِـيـبُ
٢٤ ـ . . ـوِي النَّصِيفَ بَنَـانُهَا فَيَزِينُهُ   كَفٌّ كَهُـدَّابِ الـدِّمَقْسِ خَضِيبُ(٣)
٢٥ ـ ذَهَبَ الشَّبَابُ فَغَيْرُكَ الْـمَكْذُوبُ   وَعَـلَاكَ مِنْ وَضَحِ الْقَتِيرِ مَشِيبُ
٢٦ ـ وَتَلَبَّبَ ابْنُكَ فِي لَبُوسِكَ غَادِيـاً   نَحْـوَ الصِّبَـا طَـرِفَ الْفُؤَادِ نَجِيبُ
٢٧ ـ وَلَقَدْ رَأَيْتَ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبـاً   تَشْفِـي وَأَنْتَ مَـعَ الشِّفَـاءِ لَـبِيبُ
٢٨ ـ وَالْهَمُّ لَيْسَ بِرَاجِعٍ مَـاقَدْ مَضَى   مِنْـهُ، وَمَـالَمْ يَـأْتِ فَهْـوَ قَـرِيبُ
٢٩ ـ إِنَّ الرِّجَالَ إِذَا خَـزَرْتَ عُقُولَهُمْ   شَـتَّى فَمِنْهُـمْ مُخْـطِيءٌ وَمُـصِيـبُ
٣٠ ـ فَإِذَا هُمُ شَغَبُوا عَلَيْكَ فَلَا (. . .)   بِـالشَّغْبِ إِنَّ شُغُـوبَهُمْ لَشَـغُـوبُ(٤)
٣١ ـ وَإِذَا هُـمُ لَقُـوكَ مِـنْهُمْ غِـلْظَةٌ   فَـانْـطَحْ صَـفَـاتَهُم وَأَنْـتَ صَـلِيبُ
٣٢ ـ إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ مَنْ يَرَى لَكَ شَاهِداً   حَقًّـا وَمَنْ يَـرْعَـاكَ حِـينَ تَغِيبُ
٣٣ ـ وَيَكُفُّ عَنْكَ إِذَا لَجَجْتَ وَإِنْ تَكُنْ   تَـدْعُـوهُ نَحْـوَ عُـدَاكَ فَهْـوَ مُجِيبُ
٣٤ ـ وَيَكُوْنُ مِنْ دُوْنِ الْعُدَى لَكَ جُنَّةً   وَيَـكُـوْنُ لِلنَّـوْبَـاتِ حِـينَ تَـنُـوبُ
٣٥ ـ وَإِذَا الْعِـدَى قَطَبُـوكَ شَمَّرَ ذَيْلَهُ   حَـتَّى يَـلِينَ لِـسَـاقِـهِ طُـنْـبُـوبُ
٣٦ ـ وَإِذَا رَضِيتَ لَقِيتَـهُ بَلِجَ الرِّضَـا   وَإِذَا غَـضِـبْـتَ فَـعَـابِسٌ . . ـ ب

---

(١) (يريد فصيح) من الهامش.
(٢) كذا (معللج) في الأصل ولعل الصواب (معتلج).
(٣) قد تقرأ الكلمة الأولى (يلوي) إذ لم يتضح منها سوى (عوى).
(٤) قد تُقرأ : (فلاقِهِمْ بالشغب).

٣٧ - وَإِذَا طَلَبْتَ بِهِ الْـمَكَارِمَ لَمْ يَدَعْ ... فِعْلَ الْكَرِيمِ فَشَاكِرٌ... - ب(١)

٣٨ - وَإِذَا رَكِبْتَ مِنَ الْـمَرَاكِبِ مَرْكَباً ... فَلَهُ أَمَامَكَ مَوْقِفٌ وَرُكُوبُ

٣٩ - وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَيْهِ يَوْماً خَصْلَةً ... عَوْرَاءَ فَهْوَ إِلَى رِضَاكَ قَرِيبُ

٤٠ - لَيْسَ ابْنُ عَمِّكَ مَنْ يُعِدُّ لَكَ الزُّبَا ... بِالْغَيْبِ فَهْوَ مُحَانَةٌ وَدَبِيْبُ

٤١ - وَإِذَا رَأَى بِكَ شَكَّ ظَلْعٍ سَرَّهُ ... وَإِذَا سَلِمْتَ فَحَاسِدٌ وَعَيُوبُ

٤٢ - وَإِذَا رَدَيْتَ بِهِ الْعُدَى لَمْ يُرْدِهِم ... وَلَهُ عَلَى غَيْرِ الْعُدَاةِ قَبِيْبُ

٤٣ - وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْـمَكَارِمَ لَمْ يَحُزْ ... فِيْهِنَّ وَهْوَ لِغَيْرِهِنَّ كَسُوْبُ

٤٤ - وَهْوَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ غَيْرُ مُهَلِّلٍ ... وَعَنِ الْعَدُوِّ مُهَلِّلٌ وَهَيُوبُ

٤٥ - لاخير في رَجُلٍ يُنَفِّرُ قومَهُ ... عَمْداً وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَيْهِ ذُنُوْبُ

٤٦ - خَيْرُ الْعَشِيْرَةِ مَنْ يَكُوْنُ لِقَوْمِهِ ... رِفْداً وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ وَيَطِيْبُ

٤٧ - وَإِذَا الْقَطِيْعَةُ لاَزَمَتْ فِي مَعْشَرٍ ... صُبَّ الْبَلاَءُ عَلَيْهِمُ الْـمَصْبُوْبُ

٤٨ - وَإِذَا هُمُ لَزِمُوْا التَّوَاصُلَ أَصْبَحُوا ... مُتَجَاوِرِيْنَ وَعِزُّهُمْ مَهِيُوْبُ

٤٩ - وَالْعِزُّ أَنْ تَجِدَ الْعَشِيْرَةَ جِيْرَةً ... لَزَزاً وفُرْقَةُ بَيْنِهَا التَّلْبِيْثُ

٥٠ - وَكَتِيْبَةٍ صَاحَبْتُهَا بِزَوْرَةٍ ... وَقَرِيْنُهَا سَلِسُ الْقِيَادِ جَنِيْبُ

٥١ - تَغْدُوْ مُشَمِّرَةَ النَّجَاءِ وَسَيْرُهَا ... ذَاتَ الْيَمِيْنِ تَذَبُّلٌ وَخَبِيْبُ

٥٢ - بَلْ لَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ يُخَبِّرُ عَامِراً ... والنَّأْيِ بِالشَّطَنِ الْخَبِيْبِ شَطِيْبُ(٢)

٥٣ - أَنَّا غَدَاةَ مَفِيْضَ (جَوِّ مُرَامِرٍ) ... وَالنَّائِبَاتُ مِنَ الزَّمَانِ تَنُوْبُ

٥٤ - وَالْبَنْدُ يَخْفِقُ وَالْجَمَاجِمُ تَخْتَلَى ... وَالْمَوْتُ تَحْتَ لِوَائِنَا مَعْصُوْبُ

٥٥ - وَابْنَا ذُؤَيْبَةَ يَسْعَرَانِ وَلِلْقَنَا ... قَصَدٌ وَتُخْضَبُ أَوْجُهُ وَتَسرِيْبُ

٥٦ - وَكَتِيْبَةُ الْبَزَرَى كَأَنَّ سُيُوْفَهُمْ ... ضَرَمٌ يَشُبُّ وَقُوْدَهُ التَّلْهِيْبُ

٥٧ - وَالْقَوْمُ بَيْنَهُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ... ضَرْبٌ يَكُوْنُ أَقَلَّهُ التَّذْوِيْبُ

٥٨ - وَالطَّعْنُ مِنْ ثُغَرِ النُّحُوْرِ تَمُدُّهُ ... دُفَعٌ لَهُنَّ وَعَانِدٌ مَشْعُوْبُ

٥٩ - وَالْخَيْلُ مُشْعِلَةٌ لِوَقْعِ نُسُوْرِهَا ... فَوْقَ الْمِتَانِ عَلَى الْجِذَابِ... ب

---

(١) قد تكون (ومثيب).

(٢) في الهامش: (ويروى: والناي بالخبر).

٦٠ - يُذْرِي الْعَجَاجُ بِحَاصِبٍ مِنْ رَكْضِهَا ... كَـالْـوَبْـلِ لا ثِقَـلٌ ولا تَقْـرِيْبُ
٦١ - شُعْثٌ تَخَطَّفُ كُلَّ بَاغٍ ظَالِمٍ ... خَـطْفَ الأَجَـادِلِ بَلْهَـا التَّهْضِيْبُ
٦٢ - يُرْغِمْنَ كُـلَّ مُعَانِدٍ فِي دِيْنِـهِ ... غَـمْـرِ الْفُؤَادِ، سِـلاَحُـهُ مَسْلُوْبُ
٦٣ - يـوم التنـازع والتَّغَـالُبِ تَكْتَسِي ... عَلَقَ النَّجِيْـعِ وَتُخْضَبُ الأَنْبُـوْبُ
٦٤ - أو يَوْمَ فَارِعَةِ الرُّسَيْسِ وَقَدْ بَدَا ... لِـلْحَـرْبِ ثُمَّ نـواجـدٌ ونُـيُـوب
٦٥ - يَعْلُو بِهِنَّ إِذَا الْعُقَـابُ تَبَلَّلَتْ ... بِـدَمٍ فَمُشْعِـلُ طَعْـنَـةٍ وَضَرُوبُ
٦٦ - يُخْرِجْنَ مِنْ لَجَبٍ كَـأَنَّ زُهَـاءَهُ ... قِلَعُ السَّحَـابِ لِـوَاؤُهُ مَنْصُـوْبُ
٦٧ - والـنَّصْرُ مُخْتَضِرٌ تَهُبُّ رِيَـاحُـهُ ... وَلِكُـلِّ نَصْرٍ حِـيْنَ حَـانَ هُبُـوبُ
٦٨ - لـو يَشْهَدُوْنَ بَـلاَءَنا لَـمَّا الْتَقَتْ ... حِـزَقُ الْكُمَـاةِ وَكُلُّهُـم مَكْـرُوبُ
٦٩ - ضَرْباً يُذَبِّبُ عَنْ فَضِيْحَةِ عَامِرٍ ... وَالنَّقْـعُ بِـالْجَلَدِ الصَّعِيْـدِ يَثُـوْبُ
٧٠ - لَـمَّا رَأَتْ غَـطَفَـانُ أَنَّ مَحَلَّنَـا ... مِنْ عَـامِرٍ شَـطِنُ الْـمَـزَارِ جَنِيْب
٧١ - عَـزَمَتْ عَـزِيْمَةَ غَصْبِنَا أَمْـوَالَنَا ... إِنَّ الْمُجَـاوِرَ فِيْهِـمُ مَغْصُوْبُ
٧٢ - فَغَـدَوْا بِـأَرْعَنَ قَـادَهُ طُمَّـاعُـهُ ... إِنَّ الْغَـوِيَّ مُحَيَّنٌ مَكْبُـوْبُ
٧٣ - لَجِبٌ كَعَـوَّاصِ الْحَبِيِّ يَـقُـودُهُ ... حَيْنٌ وَسَـاقَ حُتُـوْفَـهُ التَّسْبِيْبُ
٧٤ - بَـاغٍ تَـبَكَّـرَ غُـدْوَةً وَرَجَـاءَهُ ... عَـوْجٌ يُسَـاقُ، وَكَـاعِبٌ رُعْبُـوْبُ
٧٥ - كَـذَبَ الـظَّلُوْمُ وَخَيَّبَتْ شِدَّاتُـهُ ... إِنَّ الـظَّلُوْمَ مُخَـيَّـبٌ وَهَـيُـوْبُ
٧٦ - لاَقَتْ فَـزَارَةُ مِنْ ذُؤَابَةِ عَـامِرٍ ... سَـنَـنـاً لِـطَـخْـمَـةِ وِرْدِهِ شُؤْبُـوبُ
٧٧ - سَنَناً يُطَاعِنُ دُوْنَ كُـلِّ خَرِيْـدَةٍ ... فِي الْمَجْـدِ رُكِّبَ حَـدُّهَـا الْمَذْرُوْبُ
٧٨ - عَمِلٌ يُذَبِّبُ عَنْ فَضَائِحِ عَـامِرٍ ... إِنَّ الْكَـرِيْمَ لِفَعْلِهِ التَّذْبِيبُ
٧٩ - حَتَّى إِذَا ذُعِرَ الْبَرِيُّ وَقَـدْ دَعَا ... يَـرجُـو الْغِيَـاثَ بِصَوْتِـهِ الْمَكْرُوب
٨٠ - . . . سعت مَرَاغِمَنَا الْمَكَارِمُ بَعْدَمَا ... جَـاشَتْ إِلَى ثُغَرِ النُّفُـوسِ قُلُوبُ(١)
٨١ - كُنَّا عَلَى الْحَسَبِ الْـمُغَيَّبِ زِيْنَةً ... إِنَّ الْكَـرِيْمَ يَـزِيْـنُ حِـيْنَ يَغِـيْبُ
٨٢ - إِنَّـا لَنَعْلَمُ حِـيْنَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا ... أَنَّ الَّـذِيْ هُـوَ كَـائِنٌ مَكْتُـوْبُ
٨٣ - وَالْمَـرْءُ يَـأْمُـلُ وَالْمَنِيَّـةُ خَلْفَـهُ ... يُـوفِي الأَكَـامَ بِهَـا عَلَيْـهِ رَقِيْب

---

(١) فوق كلمة (إلى ثغر): (لدى ثغر).

٨٤ - والْمَرْءُ يُفْلِتُ بَعْدَمَا يَغْشَى الْوَغَا ... وَلَقَدْ يَمُوتُ الْمَرْءُ وَهْوَ هَيُوبُ
٨٥ - إذْ لا تُخالِف غَيْرَ مُشْرِفَةِ الْقَطَا ... قُبٌّ بِهِنَّ تَحَنُّبٌ وشُزُوْبُ
٨٦ - مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ يَئِذُّ عِنانها ... طُوْلَ التَّلِيْلِ، وخَلْقَهَا التَّحْنِيْبُ
٨٧ - مِثْلِ الْمُدِلَّةِ فِي الظَّلَامِ بِكَوْكَبٍ ... عَزَمَتْ ودُوْنَ مَصَادِهَا شُنْخُوبُ[1]
٨٨ - أَوْ كُلُّ مُشْتَرِفٍ كَأَنَّ تَلِيلَهُ ... جِذْعٌ تَحَسَّرَ نَاعِمٌ مَشْذُوْبُ
٨٩ - نَزِقُ التَّقَفُّزِ فِي الطِّرَادِ وإنَّهُ ... عِنْدَ الْقِيَادِ لَسَلْهَبٌ سُرْحُوْبُ
٩٠ - ضَرِمِ الرِّفَاقِ إذَا ادْلَهَمَّ دَهَاسُه ... وإذَا أُجِدُّ فَسَابَحٌ ... ب
٩١ - يَبِسَ الْجَمِيْمُ عَلَى حُجُومِ كُعُوبِهِ ... حتَّى اسْتَحَالَ وَلَوْنُهُ غِرْبِيْبُ
٩٢ - إنَّ (الْعَقِيْقَ) غداً لَوْ أنَّ صَرِيْخَنَا ... وَرَدَ (الْعَقِيْقَ) لَعِزُّنَا الْمَهْيُوب
٩٣ - وبِحَاقَةِ (الْفَلَجَيْنِ) أكْبَرُ عِزِّنَا ... وبِجَنْبِ (أَكْمَةَ) مُصْرِخٌ ومُجِيْبُ[2]
٩٤ - والصُّهْبُ عِنْدَهُمُ لَنَا مُسْتَصْرَخٌ ... لَوْ كَانَ يَأْتِيهِمْ وَنَحْنُ قَرِيْبُ
٩٥ - ثم الْمُعَوَّلُ لَوْ نَنَالُ مُعَوَّلاً ... لَكِنْ تَبَاعَدَ مُنْجِدٌ وحَبِيْبُ
٩٦ - فَالصَّبْرُ أكْرَمُ حِيْنَ لا مُسْتَصْرَخٌ ... يُرْجَى ولا نَسَبٌ هُنَاكَ ...

وأَوْرَدَ لَهُ بَيْتاً سيأتي فِي الرَّجز.

* * *

١٥ — بزيع بن علي

ومن إنشاد أبي أُمِّ شَوْقٍ، مُعَاوِيٌّ رَدَّادِيٌّ، واسمه بَزِيْع بن علي[3]:

١ - أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي الَّذِيْ طَالَمَا وَشَى ... بِمَيَّةَ أَقْصِرْ كُلُّ قَوْلِكَ كَاذِبُ
٢ - هِيَ الْمُتَمَنَّاةُ الَّتِي لا يَعِيْبُهَا ... عَدُوٌّ وَلَا وَاشٍ وَلَا مَنْ يُقَارِبُ
٣ - وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى عِذَابٍ كَأَنَّهُ ... أَقَاحِيَّ رَمْلٍ زَيَّنَتْهُ الْهَوَاضِبُ

(١) في الهامش: (العالي من الجبال والجمع مُضْدَان).
(٢) في الهامش: (أكمة إحدى قريتي الفلج.. الغيل وبها الصهيب (؟).
(٣) (٣٧٧م) كذا ورد: (من إنشاد أبي أُمِّ شَوْقٍ) ولا أستبعد أن يكون الصواب: (من إنشاد صاحب أم شوق).
←

٤ ـ مَلِيْحَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ مَهْضُوْمَةُ الْحَشَا كَمُزْنَةِ صَيْفٍ زُعْنَ عَنْهَا الْجَنَائِبُ(١)

ولــه :

١ ـ فَمَا أَنْسَ مِلْ أَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَنْظِراً بِـ(حَمرَّانَ) أَشْقَتْهُ بُكُـوْراً صَبِيْرُهَـا
٢ ـ رَأَيْتُ غَـزَالاً وَاقِفاً تَحْتَ سِـدْرَةٍ بِـ(حَمـرَّانَ) وَالْوَاشُـوْنَ مُلْهًى بَصِيْرُهَا
٣ ـ رَأَيْتُهُ مُفْتَرًّا وَذُو الْعَـيْنِ نَـاظِـرٌ عَـلَى عَجَلٍ وَالْـوَحْشِ تَفْتَرُّ نُوْرُهَا
٤ ـ مَلِيْـحُ مَجَالِ الـطَّوْقِ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ بِـأَرْضٍ حَـوَتْهُ بَدْوُهَا وَحُضُـوْرهَـا
٥ ـ فَمَنْ يَـرَ مَا عَـايَنْتُ يَوْمَ قُصُـوْرِهِ أَشَـائِبَ لَـمْ تَنْفَـلُّ عَنْهَـا أُشُـوْرُهَـا
٦ ـ وَجِيْداً كَجِيْدِ الْعَوْهَجِ الْفَرْدِ آنَسَتْ شُخُـوْصاً، فَهِـيْ مُشْتَـاقَةٌ تَسْتَخِيْرُهَا
٧ ـ مُنَعَّـمَـةٌ رَيَّـا الْـعِـظَامِ كَـأَنَّهَا عَقِـيْرٌ تُزَجِّي لا يُـرَجَّى جُبُـوْرُهَـا
٨ ـ فَمَنْ لَامَني فِي حُبِّ (كِشْبِ) وَأَهْلِهَا أَصَـابَتْـهُ حُمَّى لَا يَغِبُّ فُتُـوْرُهَـا
٩ ـ وَلَا اكْتَحَلَتْ عَيْنِي بِـطُمَّةِ نَخْلِهَا عَـلَى آلَـةٍ إِلَّا عَصَـانِي بَـدِيْـرُهَـا(٢)

١٦ ـــ بشار الحرشي

بَشَّارُ الْـحَرَشِي(٣)، واجْتَوَى مكةَ واشتاق ـ من رَبِيْعَةَ الْـحَرِيْش ـ إلى الْهَدَّارِ هَدَّارِ الْـحَرِيْشِ :

→

= ويظهر أن الرُّشَاطِيَّ اطلع على نسخة من «نوادر» الهجري أوفى من هذه التي بين يديَّ، فقد ذكر البلبيسي في مختصر كتابي الرشاطي وابن الأثير مانصه: الرُّدَّادِي ـ بفتح الراء وتشديد الدال وفتحها وألف ودال أخرى ـ: في عُقَيْلٍ رَدَّادُ بن قيس بن معاوية بن حزن بن عبادة بن عُقَيْل. قال الهجري: أنشد بُزَيْع بن علي الردادي أبو أمِّ شوق الـمُعَاوِيُّ. ثم أورد الأبيات الأربعة، وبه يتضح أن الشاعر عُقَيْلِيٌّ عَامِرِيٌّ.

(١) كذا في الأصل، وفي كتاب البُلْبَيْسي نَقْلاً عن الهجري: (زَعْزَعَتْهَا).

(٢) فوق كلمة: بديرها (مطيرها).

(٣) : (١١٠م). لم أعرف عن هذا الشاعر شيئاً سوى موطنه وقبيلته التي نسب إليها فهو ـ حَرشي ـ من بني الْحَرِيش ـ واسم الحَرِيش معاوية ـ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ورَبِيعة من فروعهم المشهورة، وهم وإخوتهم بنو جَعْدَة أصحاب الْفَلَج (الأفلاج الآن) وقد فصل الهمداني في «صفته جزيرة ←

١ - لَعَمْرِي لَوَادٍ قَابَلَ الرَّمْلَ فَأْوُهُ[١] دَمِيثٌ عَلَى شُطْآنِهِ حَزَقُ النَّخْلِ
٢ - بِـهِ لَغَطُ الشُّرَّابِ تَسْمَـعُ بَيْنَهُمْ مِـرَاءً وَقَـوْلاً: إِنَّمَا غَـرْفُـكَ الْقَتْـلُ
٣ - أَحَبُّ إِلَى نَفْسِي وَأَعْجَبُ سَاكِناً وَأَجْـدَرُ يَوْماً أَنْ يَكُوْنَ بِـهِ الْأَهْـلُ
٤ - مِنَ الْـخَيْفِ وَالْعُبْدَانِ وَ(الزَّيْمَةِ) الَّتِي يُحَـاطُ عَلَيْهَـا ثُمَّ يُغْلَقُ بِـالْقُـفْـلِ
٥ - فَهَلْ أَشْرَبَنْ مِنْ مَاءِ (صَدَّاءَ) شَرْبَةً بِدَلْوَيْنِ لَم أَشْرَبْ بِكُوْزٍ ولا سَـطْلِ
٩ - وَهَلْ أَرِدَنْ (الْقَاعَ) قَدْ فَقَّعَتْ بِهِ بِقَايَا نِطَافِ الْمُزْنِ فِي مَنْقَـعٍ ضَحْلِ
١٠ - وَهَلْ أَزْجُرَنْ الْعَنْسَ بَعْدَ كَلَالِهَا وَقَدْ أَسْهَلَتْ أَيْدِي الْمَطَايَا مِنَ الْجَبَلِ

١٧ ـ بُشَيْرُ بن عُطَيّ العُبيدي

وأنشدني لِبُشَيْرِ بن عُطَيٍّ الْعَبِيْدِيِّ[٢] أَحَدِ بني معاوية بن قشير صاحب أم واهب :

١ - لَقَدْ لَامَنِي الْوَاشُوْنَ فِي أُمِّ وَاهِبٍ وَالْـلَوْمُ مِنْ نَفْسِي أَرَى مَنْ يَلُوْمُهَـا
٢ - أَهِشُّ لِقُرْبِ الدَّارِ مِنْ أُمِّ وَاهِبٍ وَلَـوْ قَرِبَتْ لَمْ يُقْضَ شَيْئاً غَـرِيْمُهَا
٣ - أَلَا إِنَّ قُرْبَ الدَّارِ أَجْدَرُ أَنْ تَرَى خَلِيْلَكَ يَـوْماً نَـظْرَةً يَسْتَـدِيْمُهَـا[٣]

← العرب» والأصفهاني في «بلاد العرب» الكلام في الْفَلَج وسكانه من القبيلتين، وهَدَّار الْـحَرِيْش من أشهر أودية الأفلاج، لايزال مأهولاً ، ذا نخل ومياه ، وأضافه هنا إلى الْـحَرِيش للتمييز بينه وبين هدَّار بني حنيفة في أعلى واديهم (باطن الرياض) حيث وُلِد مسيلمة ، و(صَدَّاء) في البياض بمنطقة الأفلاج و(الفأو) فَجُّ الوادي، فَمُهُ، و(الزَّيْمَةُ) من قرى وادي نخلة اليمانية بقرب مكة، معروفة، و(الخيف) هنا العين ذات النخل والسكّان ـ عند أهل الحجاز ـ.

(١) في الهامش : (الْفَأْوُ مَهْبِطُكَ إِلَى سَعَةٍ).

(٢) : (٥٣ م) .

(٣) الشعر ناقص بانتهاء صفحة المخطوطة وتعقيبة الصفحة التي تليها هي: (يديم النظر إليها) وليست في الصفحة الموالية للتي فيها الشعر .

بَشِير بْنُ عُطَيٍّ الْعَبِيْدِيُّ أحدُ بني دَيْسَقٍ من معاوية بن قشير، صاحب أمّ واهب[1]

١ - وَذِيْ حَنَقٍ قَدْ ظَنَّهَا مِنْ قَبِيْلِهِ ... وَلَمْ يَدْرِ إلَّا رَجْمُهُ بِظُنُوْنِ
٢ - فَبِاللهِ مَا إنْ مِنْكُمُ أمّ وَاهِبٍ ... وَلَا أخْتَهَا فَاسْتَيْقِنُوْا بِيَقِيْنِ

١٨ ــ بَطَّالُ بن معاوية

وأنْشدني لِبَطَّالِ بْنِ معاوية، أحد بني مَالِكِ بْنِ سَلَمَة، وتشوق إلى (الرَّيْبِ)[2] بمصر:

١ - أيَا أجْزِعَ (الرَّيْبِ) الَّذِيْ لَسْتُ ذَاكِراً ... ظِلَالَكِ إلَّا اعْتَادَ عَيْنَيَّ مَائِحُ
٢ - فَإنِّيْ وَإنْ لَمْ أغْنِ شَيْئاً لَقَائِلٌ ... سَقَتْكِ مُلِثَّاتُ الْغَمَامِ الرَّوَائِحُ
٣ - مَنَازِلُ كَانَتْ فِيْ الزَّمَانِ الَّذِيْ مَضَى ... نَحُلُّ بِهَا وَالدَّهْرُ إذْ ذَاكَ صَالِحُ

---

(١) : (١٠٨ م). لا أعرف عن هذا الشاعر شيئاً ـ أما نسبه فقد أورده الهجري في مكان آخر عند ذكر ابن أخيه بهيج بن سرور بن عطي، أنه: بُشير ـ بالتصغير على ماورد مضبوطاً ضبط قلم في المخطوطة ـ بن عطي بن حزن بن دَيْسَق بن مالك بن عَبيدة أحد بني عطارد من معاوية بن قُشير، ومعروف نسب قُشَيْر، وَعَبِيْدَة قَوْمُ بُشَيْر كانوا يسكنون الرَّيْبَ المعروف الآن باسم (الرين) وكثيراً ماتحرف العامة الأسماء، فيسمون الرُّقَم (الرقب) والرَّيْب (الرَّيْن)، وأسنان بلالة (ثنايا بلال) وهكذا.
والرَّيْبُ: من (عرض شَمام) المعروف الآن باسم (عرض القويعية) منطقة ذات قرى وزراعة، وسكانه ينتمون الآن إلى قحطان (مَذْحِج قديماً) ويظهر أنَّ عبيدة القشيريين انضموا إلى عَبيدة قحطان لاتفاق الاسمين، وهذا يحدث بين قبائل العرب كما أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وأشار إلى أنه مما يسبب الخلط في الأنساب ـ ص ١٨٠ طبع دار اليمامة ـ يضاف إلى هذا انسياح الفروع القحطانية في نجد وكثرة انتشارهم مع قوتهم في وقت تفكك فروع بني عامر وضعفهم.

(٢) (١٤٥ م). بَطَّالٌ هذا قُشَيْري، فهو أحد بني مالك بن سلمة الخير بن قشير.
والرَّيْب: تقدم الحديث عنه، وهو منطقة مأهولة تعرف الآن باسم (الرَّيْن) من إمارة العرض (عرض القُوَيْعِيَّة)، قال الشاعر هذه الأبيات وهو في مصر متشوقاً إلى بلاده، وليس فيها ذكر الهجري مايدل على الزمن الذي كان فيه في مصر، ولا الغاية التي أبلغته هذه البلاد مع أن أحدهم زعم أنه (كان مقيماً في مصر مع الجيوش الإسلامية) وأحال إلى كتاب «التعليقات والنوادر» في هذا الموضع!!

١٩ ــ بَاهِلِــــــيٌّ

وأنشدني لبعض باهِلَة(١):

١ - مَازِلْتُ مِنْ نِيَّةِ الْحَيَّيْنِ فِي أَمَلٍ ... حَتَّى رَأَيْتُ غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ حَجَلا
٢ - وَالبُــزْلُ تَنْهَضُ بِـالأَحْمَـالِ مُثْقَلَةً ... كَـأَنَّمَـا تَـتَّـقِـي جِـلاَّتُهـا وَحَـلاَ
٣ - أَتـبَـعْـتُهُـمْ وَسَرَاةُ الْحَـزْنِ دُونَهُمُ ... عَيْناً تَرَقْـرَقَ فِيهَا الـدَّمْعُ أَوْ هَمَـلا
٤ - مَبْلُوَّةً بِـالْقَـذَى لَمْ يَجْـلُ غُـرْبَتَهـا ... قَـدْ ذُرَّ إِنْسَانُهَا بِـالشَّوْقِ(٢) وَاكْتَحَـلاَ
٥ - كَـأَنَّ أَظْعَـانَهُمْ وَٱلآلُ يَـرْفَعُهَـا ... طَوْراً وَيَخْفِضُهَا طَوْراً إِذَا عَـ........ـلا
٦ - أَثْـلُ تَنَـاغَـمَ فَـالْتَفَّتْ حَـزَائِقُـهُ ... فَـلاَ تَـرَى الْعَــيْنُ فِيـمَا بَيْنَـهُ خَلَلاَ
٧ - أَوْ نَخْـلُ سـائِلَةٍ يَعْلُو رَطَـائِبَـهُ ... مَيْـلُ الشَّمارِيْخِ واللَّوْنَانِ قَـدْ فَصَلاَ

٢٠ ــ ابن بَغِيْضٍ الْمُعْرِضِـيُّ

وأنشدنـي لِابْنِ بغيضٍ اللِّصِّ أحدِ بني معاوية بن حزن، ثم أحد بني مُعْرِضٍ من كلمة له(٣):

١ - فَتَوْبَتِي عَنْ حُزُومِ الْبَزِّ إِذْ عَرَضَتْ ... كَتَوْبَةِ الـذِّئْبِ عَانَ الـذِّئْبُ طُلْيَـانَـا
٢ - مَضَى لَهُ نِصْفُ شَهْرٍ لَمْ يَذُقْ قَنَصاً ... فَعَـايَنَ الـصَّيْـدَ بَـعْـدَ لُقْـيَـانَـا(٤)
٣ - حَـوْكُ الْعِـرَاقِ وَأَثْـوابٌ مُنَيَّـرَةٌ ... تَغْلُو عَلَيَّ إِذَا مَـا بِعْتُ عُـرضـانـا

٢١ ــ أَبُو البقرات النَّـخَعِـي

أنشدني الرُّدَيْني الحارثي أحدُ بني الْحِماس رهطِ النجاشي شاعر صِفِّيْنَ، لأبي

(١) (٢٥٧م). والـمُنْشِدُ هو أبو الغَطَمَّش المعرضي - من مُعْرِض أحد بطون معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل، روى عنه الهَجَرِيُّ كثيراً، وأورد له نوادر: وباهِلَةُ القبيلة القَيْسِيَّةُ العدنانيَّةُ المعروفة.

(٢) قد تقرأ (بالشوك).

(٣) (٢٥٩م) والمنشد لعله أبو الغطمش المعرضي العقيلي فهو أقرب مذكور، وبنو معرض من بطون معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل.

(٤) كذا في الأصل.

البقرات النخعي، في حربهم، وحَرْبِ أَوْد بن سَعْدِ الْعَشِيْرَة[1]:

١ - كُنَّا وَسَعْدٌ إِخْوَةً جِيْرَةً ... أَعِزَّةً وَالْفَضْلُ لِلْفَاضِلِ
٢ - نَنْقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِم نَبْلَهُمْ ... وَلَا يُعِيْنُوْنَا عَلَى نَابِلِ
٣ - حَتَّى بَغَتْ سَعْدٌ عَلَيْنَا فَقَدْ ... أَحَاطَ وِرْدُ الْبَغْيِ بِالْجَاهِلِ
٤ - سَائِلْ بِنَا سَعْداً وَقَدْ أَجْمَعَتْ ... سَعْدٌ مِنَ السَّرْوِ إِلَى السَّاحِلِ
٥ - كَيْفَ رَأَتْ صَبْرَ بَنِي عَمِّهِمْ ... عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأَسَلِ النَّاهِلِ[2]
٦ - لَا صُلْحَ بَيْنَ الْحَيِّ مَا غَرَّدَتْ ... خَطْبَاءُ فِي ذِي فَنَنٍ مَائِلِ
٧ - حَتَّى يَصِيْرُوا تَحْتَ قَيْدُوْمِهَا ... مِثْلَ جُلَالِ الْقَصَبِ الْجَائِلِ
٨ - فَقَدْ بُلْتَ يَاشَعْثَمُ مِنْ حَرْبِنَا[3] ... لَا عُذْرَ يَاشَعْثَمُ لِلْبَائِلِ

يعني شَعْثَمَ بن مطرف شاعراً من بني سعد، وكان يهاجيه، ولشعثم شعر كثير يجيبه فيه وفي غيره.

وله أيضاً[4]:

١ - وَعَجَّتْ بَنُو شَحْبٍ عَجِيْجاً كَأَنَّهُ ... عَجِيْجُ جِمَالٍ تَشْتَكِي الْجَرَّ نِيْبُهَا

شَحْبٌ وسُخَيْطَةُ ومُزَاحِم وكَثِيْفٌ وَشَبِيبٌ وحَبَّابٌ قبائل من سَعْدِ أَوْدٍ.

٢ - وَعَجَّتْ بِإِعْوَالٍ سُخَيْطَةُ بَعْدَمَا ... أَذَاعَ بِجَهْلٍ مِنْ سُخَيْطَةَ شِيْبُهَا

ولـه[5]:

١ - وتُوَلُّونَ أَنَّا لا نَعُوْدُ إِلَيْكُمُ ... كَذَبْتُمْ وَتَأْوِيْلِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
٢ - فَتَعْتَرِفُنَّا إِنْ يشَا اللهُ جَهْرَةً[6] ... بِذِي لَجَبٍ كَاللَّيْلِ أَرْعَنَ جَحْفَلِ
٣ - مِنَ الْغُرِّ مِنْ أَوْلَادِ جَلْدِ بْنِ مَالِكٍ ... إِذَا نَابَ خَطْبٌ لَمْ يَكُوْنُوا بِعُزَّلِ

---

(١) : (٤٤ م). (٢) في الهامش فوق (الناهل): (والذابل).
(٣) كذا (فقد) بترقيل حرف. (٤) : (٤٥ م). (٥) : (٤٦ م).
(٦) فوق (يشاء الله) كلمة (صل).

وأنشدني لأبي البقَراتِ النخعيّ في سَعْدِ أَوْدٍ[1]:

١ ـ مَازَالَ عِزُّ بَنِي سَعْدٍ وَنَخْوَتُهُمْ   يَبْغُونَ مِنْ عِنْدَنَا لِلْفِتْنَةِ الطُّرُقَا
٢ ـ حَتَّى تَرَكْنَا بَنِي سَعْدٍ وَنَخْوَتَهُمْ   مِثْلَ الطَّرِيْقِ الَّذِي مَنْ مَرَّهُ دَحَقَا[2]

وله في أخيه:

١ ـ وأَصْبَحْتُ بَعْدَ ٱلأَبْلَجِ بْنِ مُطَرِّفٍ   أُدَارِي ذَوِي ٱلأَضْغَانِ أَدْفَعُهُمْ دَفْعَا

وله:

١ ـ لَا صُلْحَ فِيْ ٱلأَبْلَجِ فَاحْفُوْا بِهِ   فِي مَحْضَرٍ مِنَّا وَلَا فِي مَغِيْبْ
٢ ـ أَوْ تَعْرُكَ الْخَيْلُ بِكُمْ عَرْكَةً   كُلُّ كُمَيْتٍ وطِمِرٌّ نَجِيْبْ
٣ ـ فِيْنَا أَبُو الْفَضْلِ عَلَى قَارِحٍ   أَحْوَى كُمَيْتٍ مَرِحَانٍ خَبُوْبْ

٢٤ ــ بكر بن النطاح

من كلمة بكر بن النَّطَّاحِ أَحَد بكر بن وائل[3]:

١ ـ وَإِنْ تَرَنَا هَزْلَى فَأَعْرَاضُنَا لَنَا   مُوَفَّرَةٌ مِمَّنْ يَجُوْدُ ويَبْخَلُ
٢ ـ وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْهَا أَدِيْمَهَا   فَصَحَّتْ لَنَا الأَعْرَاضُ وَالْقَوْمُ هُزَّلُ
٣ ـ وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنَّا يَعِشْ بِحُسَامِهِ   وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ

---

(١) (٣٢٧ هـ) وَالمُنْشِدُ هو أبو أحمد بن علكم بن يزيد بن حدرة المرادي من أهل مأرب ـ كما تقدم (٣٢٦ هـ).

(٢) فوق كلمة (دحقا): (مثل وَطِيْ).

(٣) : (١٨٠ م). وبكر بن النَّطَّاحِ من بني حَنِيْفَة أهلِ اليمامة، وقد سكن البصرة ثم بغداد ، وعاش في زمن هارون الرشيد ، ويعد من أشعر المحدثين ، وله قصيدة طويلة أشاد فيها بمفاخر قبيلته ربيعة أوردها ابنُ المعتز في «طبقات الشعراء» ، وبينه وبين أبي العتاهية والعباس بن الأحنف ، والعتابي ومنصور النميري صِلاتٌ ، وفي «الأغاني» ـ ٣٦/١٩ ـ طرف من أخباره.

ولما توفي رثاه أبو العتاهية فقال:

مَاتَ ابْنُ نَطَّاحٍ أَبُو وَائِلٍ   بَكْرٌ فَأَمْسَى الشِّعْرُ قَدْ بَانَا

وقد أرخ الأستاذ الزِّرِكْلِيُّ وفاتَهُ سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م) وهذا قريب من قول صاحب «فوات الوفيات» أنه توفي في حدود المئتين، وقد جمع صديقنا الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن شعره ، ولكنه أَخَلَّ بهذه المقطوعة.

٤ ـ فَـإِنْ تَكُنِ الْأَيَّـامُ فِينـا تَقَلَّبَتْ ... بِبُؤْسَى ونُعْمَى وَالْحَـوَادِثُ تَفْعَـلُ
٥ ـ فَـمَا لَيَّنَت مِنَّـا قَنَـاةً صَلِيبَـةً ... وَلَا عَـرَّضَتْنَـا لِلَّذِيْ لَيْسَ يَجْمُـلُ
٦ ـ وَلٰكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُـوساً كَـرِيمَةً ... تُحَمَّـلُ مَـالَا تَسْتَـطِيْـعُ فَتَحْمِـلُ
٧ ـ غَضَضْنَا مِنَ الْأَبْصَارِ مِنْ أَنْ نَمُدَّهَا ... إِلَى مَطْمَعٍ فِيْـهِ عَلَى الْحُرِّ مَدْخَلُ

٢٣ ـ بهيج بن سرور بن عُطَـيٍّ الْعَبِيدِي

وقال أنشدني[١] زيد بن قايد بن غالب بن بُشَيْر بْنِ عُطَـيٍّ بن حَزْن بن ديسق ابن مالك بن عَبِيدَة بن قُشَيْرٍ[٢]، لِبَهِيج بن سُرُور بن عُطَـيٍّ الْعَبِيْدِيّ:

١ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَتْ هَوَاكَ حَمَامَةٌ ... تَغَنَّتْ عَـلَى خَضْرَاءَ جَثْلٍ عَسِيْبُهَـا
٢ ـ نَفَى السَّيْلُ عَنْهَا الدِّمْنَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... بِـوَعْسَـاءَ رَمْـلٍ مَـالَ عَنْهَـا كَثِيْبُهَـا
٣ ـ تُغَنِّي عَلَيْهَـا بِالْعَشِـيِّ وبِـالضُّحَى ... مُـطَوَّقَـةٌ أَزْرَى بِـجِسْمِي نَـحِيْبُهَـا
٤ ـ كَـأَنِّي وَإِيَّاهَا اصْـطَبَحْنَـا مُـدَامَـةً ... مُعَتَّقَـةً فِـي الدَّنِّ مَـزًّ[٣] صَبِيْبُهَـا
٥ ـ أَصَابَكِ سَهْمٌ صَائِبُ الْحَيْنِ قَاصِدٌ ... بِمَـا هِجْتِ أَحْزَاناً طَوِيْلاً نُشُوْبُهَا
٦ ـ وَسَفَّهْتِ عَقْلِيْ بَعْدَ مَانُؤْتُ بِالْعَصَا ... قِيَاماً وَخَـلَّى صِدْقَ نَفْسِي كَذُوْبُهَا
٧ ـ وَصِرْتُ أَرَى أَشْيَاءَ كَانَتْ عَجِيْبَةً ... إِلَيَّ فَـلَا تَحْـلَى بِـعَيْنِيْ عَجِيْـبُـهَـا

٢٤ ـ التبالـــي

وأنشدني التَّبالي[٤]:

١ ـ وَقَـائِلَة لَـمَّا اسْتَقَـلَّ حُمُـولُنَـا ... وَدَمْـعَتُـهَـا تَجْـرِي دَمًـا[٥] وَدُمُـوْعُ

---

(١) : (٤١٧ م).
(٢) كذا وَلَيْسَ عَبِيْدَةُ ابْنَ قُشَيْرٍ لَـحًا، بَلْ بينهما آباءٌ عِدَّةٌ، كما تقدم في ترجمة بُشَيْرِ بْنِ عُطَـيٍّ.
(٣) (مَزًّا) في الهامش: (بفتح الميم).
(٤) (٣٦٣م). التَّبالِـي هذا ممن روى عنه الهجري، ولم أره ذَكَرَ اسمه فيما بين يدي من كتابه، وهو منسوب إلى تَبَالة البلدة التي لاتزال معروفة، وهي في وادٍ بهذا الاسم من روافد وادي بِيْشَة، وقد ذكر البلبيـي في أنسابه: التَّبَاليّ، فتحدث عن تَبَالة ونقل عن ابن خُرْدَاذْبَة أنها مدينة كبيرة فيها عيون كثيرة، وحاول الجمع بين استصغار الحجاج لها وبين القول بأنها مدينة كبيرة.
وقال عن التباليّ: لم يذكر الرِّشاطيُّ اسمه وأورد هذه الأبيات، وعلق: دم ودموع النصب وقوله لكل اجتماع فرقة وربوع الاقامة يقال: ربع المكان إذا أقام به، والمعنى على هذا: لكل اجتماع فرقة وإقامة، وليس كذالك، قَدْ وَقَدْ، والله أعلم.
كذا قال، وكأنه صحف كلمة (ريوع) بالياء المثناة التحتية من الريع، وهو العَوْدُ والرُّجوع. رَاعَ يَرِيْعُ وَرَاهَ يَرِيْهُ أَيْ رجَع ـ كما في كتب اللغة ـ.
(٥) فوق كلمة: دما (دم).

٢ ـ أَلَمْ يَـأْنِ لِلرَّكْبِ الَّذِيْنَ تَحَمَّلُوا ... إِلَى بَلَدٍ فِيْـهِ الْحَبِيْبُ رُجُوْعُ
٣ ـ فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ ... نَـطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْـهِ ضُلُوْعُ
٤ ـ تَبَـيَّنَّ فَكَمْ دَارٌ تَفَـرَّقَ أَهْلُهَـا ... وَكَمْ مِنْ شَتِيْتٍ كَـانَ وَهْـوَ جَمِيْـعُ
٥ ـ وَمَا الدَّهْرُ وَالأَيَّامُ إِلاَّ كَمَا تَرَى ... لِـكُـلِّ اجْتِـمَـاعٍ فُـرْقَـةٌ وَرُبُـوعُ

٢٥ ـ تَمِيم بْنُ أُبَـيِّ بْن مُقْبِلٍ

وروى[١] في بيت ابن الأحول السعدي :

١ ـ فَـمَا رَوْضَـةٌ فـي مَقْصِـر

قال في مَرْصَنٍ :

والرصَنُ والأَرْصَانُ والْـمَرْصِنُ الْغِلَظُ[٢] . . . مَوْضِعاً سَهْلاً يَسِيْلُ الماءُ من الْغِلَظِ وهو عالٍ فيستريض فيها ، وهي في لغة ختعم ونَهْدٍ وبَلْحَارِث بن كعب مُجْتَمَع ملتقى الواديَيْنِ ، يصبان في الغائط ، ومنه قول تميم بن أُبَـيٍّ بن مُقْبِلٍ يهجو النجاشي :

١ ـ أَقْـرَتْ بِـهِ نَجْـرَانُ ثُمَّ حَبَوْنَنْ ... فَتَثْلِيْثُ فَـالأَرْصَـانُ فَـالْقَـرَطَـانِ[٣]

---

(١) : (٤٠٤هـ). (٢) كلمة غير واضحة .
(٣) ورد البيت في ديوان الشاعر بـ ٣٤٥ :

أَقْـرَتْ بِـهِ نَـجْـرَانُ ثُـمَّ خَـبَـوْنَـنُ ... فَـتَـثْـلِيْـثُ فَـالأَرْسَـانُ فَـالْـقَـرَظَـانِ

وتَمِيْمُ هو ابنُ أُبَـيّ بن مُقْبِل بن عَوف بن حُنَيْف بن العَجْلاَنِ ـ وهو عَبْد الله بن كَعْب بن رَبيعة بن عَامر بن صَعْصَعة ، شاعِرٌ مُخَضْرَمٌ ، أَدْرَكَ الجاهلِيَّةَ والإِسْلاَمِ وعاش إلى مابعد وَقْعَةِ صِفِّين سنة ٣٧ ـ وقَدْ طبع ديوان شعره بتحقيق الدكتور عزة حسن ، مُصَدَّراً بمقدمة ضافِيَةٍ عَن حياته ، طبعته وزارة الثقافة السورية ، سنة ١٣٨١هـ (١٩٦٢م). ←

٢٦ ـ التميمـــي

وأنشدني[1] أبو كُلَيْبٍ حُمُرُ بنُ الأَشْهَبِ، من بني عامر بن ربيعة للتميمي في ماعز بن مالك الْبَكَّائِي، وهِيَ تامَّةٌ هَاهُنَا:

١ ـ أَتَانِي نَعِيٌّ لِلأَغَرِّ بْنِ مَالِكٍ ... فَبِتُّ وَلَيْلِي بِـالْعِـرَاقِ طَـوِيْـلُ

٢ ـ أَتَانِيَ أَنَّ الْمَوْتَ غَالَ ابْنَ مَاعِزٍ ... ولِلْمَـوْتِ يَـوْمـاً قَـائِـدٌ وَدَلِيْـلُ

٣ ـ فَبِتُّ أُعَزِّيْ النَّفْسَ أَنْ يَشْمَتَ الْعُدَى ... وَفِي النَّفْسِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ غَلِيْـلُ

٤ ـ فَتًى كَانَ يَقْرِيْ الأَلْفَ فِيْ لَيْلَةِ الصَّبَا ... إِذَا هَبَّ مِنْ رِيْـحِ الشِّتَاءِ بَلِيْـلُ

٥ ـ وَكَـانَ أَخَـا الْعَزَّاءِ فِيْـمَا يَنُـوْبُنَا ... عَـلَى حِيْنَ إِخْـوَانُ الثِّقَاتِ قَلِيْـلُ

٦ ـ ذَكَرْتُ أَبَا الْمُخْتَارِ والرَّمْسُ دُوْنَهُ ... وذِكْـرَايَ عَبْـدَ اللهِ غَـيْرُ قَـلِيـلِ

٧ ـ كَـأَنَّ جُـرُبَّـانَ الْقَمِيْصِ بِمَتْنِـهِ ... عَـلَى مَتْنِ هِنْـدِيٍّ أَغَـرَّ صَقِيْـلِ

٨ ـ وَمَـا اكْتَحَلَتْ عَيْنِي بِذِكْـرِ أُخَيِّهَا ... أَبِي جَـعْـفَـرٍ إِلَّا أَجَـدَّ عَـوِيْـلِ

٩ ـ مَرَرْنَا عَلَى (مَرَّانَ) لَيْلاً فَلَمْ نَعُجْ ... على أَهْـلِ آجـامٍ بِـهِ وَنَخِيْـلِ[2]

١٠ ـ لَقَدْ كَانَ لِلسَّارِّيْنَ خَيْرُ مُعَرَّسٍ ... وَقَـدْ كَـانَ لِلْغَـادِيْنَ خَـيْرُ مَقِيْـلِ

١١ ـ أَبَعْدَ الطِّوَالِ الشُّمِّ مِنْ آلِ مَاعِزٍ ... يُرَجِّي بِـ(ـمَرَّانَ) الْقِـرَى ابْنُ سَبِيْلِ

١٢ ـ كان بـ(مَرَّان) الوفاد حول ابْنِ مَاعِزٍ ... بِـ(ـمَرَّانَ) أَوْ بَيْنَ (الرَّجَا) و(كَثِيْلِ)[3]

١٣ ـ فَلَمْ يَبْـرَحُـوا حَتَّى يُفَـرِّقُ بَيْنَهُمْ ... قَضَـاءٌ بِعَـدْلٍ أَوْ عَـطَاءُ جَزِيْـلِ

١٤ ـ ثِمَـالُ الْيَتَامَى مَـاعِزُ بْنُ مُجَالِدٍ ... أَبِي الضيف وَالْمُـوْفِي بِكُـلِّ جَمِيْـلِ

١٥ ـ بَنِيْ مَاعِزٍ صَلَّتْ عَلَيْكُمْ وَسَلَّمَتْ ... مَـلاَئِكُ تَـدْعُـو اللهَ كُـلَّ أَصِيْلِ

١٦ ـ وَصَلَّى عَلَيْكُمْ كُلُّ مَلْكٍ مُقَرَّبٍ ... وَكُـلُّ حَـوَارِيٍّ وَكُـلِّ رَسُـوْلِ

---

(١) : (٢٣٨م). (٢) فلم نعج على أهل آجام ونخيل.

(٣) في الهامش: (الرجا أرض مرتفعة ... غلظ من الأرض، وكثيل طور مشهور). وصدر البيت غير واضح في الأصل.

١٧ - بَنِي مُحْصَنَاتٍ لَمْ تُدَنَّسْ جُيُوبُهَا يُـرَبِّيـنَ أَوْلاَدًا بِـخَـيْرِ بُـعُـوْلِ
١٨ - بَنِي مَاعِزٍ مَـاذَا تُجِنُّ قُبُـوْرُكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نَدًى وَقَبُـوْلِ[١]

٢٧ ــ توبة صاحب ليلى

صاحبُ لَيْلَى تَوْبَةُ أوِ الْـمَجْنُون[٢]:

١ - كَفَى حَـزَنـاً أنِّي مُـقِيْـمٌ بِبَـلْدَةٍ مُجَـاوِرَتِـي لَـيْـلَى بِهَـا لاَ أَزُورُهَـا
٢ - وَلَـوْ أنَّ لَيْلَى فِيْ ذُرَا مُتَمَنِّـعٍ بِـ(نَجْـرَانَ) لاَلْتَفَّتْ عَلَيَّ قُصُـورُهَا
٣ - وَلَوْ أنَّ لَيْلَى فِي السَّمَاءِ لَصَعَّدَتْ إلَيْهَـا بَصِيرَاتُ الْعُيُـونِ وغُـورُهَـا
٤ - أمَا وأبِي لَيْلَى لَقَـدْ كُنْتُ مَرَّةً أُحِبُّ غُـدُواً نَحْـوَ لَـيْـلَى أَزُورُهَـا
٥ - وَلَكِنَّ لَيْـلَى قَطَّعَتْ كُـلَّ مِـرَّةٍ وَكُـلُّ قُـوًى كُنَّـا قَدِيمـاً نُغِيْـرُهَـا

٢٨ ــ ثابت بن عبدالله الهذلي: أبُو المسيب

قال[٣]: وأنشدني سُبَيْعُ بنُ عمروٍ الكعْبيُّ لأبي الْـمُسَيَّبِ ثابتِ بن عبدالله الـمُلَجِمِـيُّ وكلاهما من هذيل :

(١) جاء في ص ٢٠٥هـ: زيادة في مرثية - ثم أورد هذا البيت بنصه ولم يزد وورود بيت من هذه المرثية في رسالة غَرَّام يدل على أن قائلها من أهل القرن الثالث الهجري أو قبله ، إذ غَرَّم كما يتضح من تراجم رواة رسالته من أهل ذلك القرن - انظر ص ٦٩ ومابعدها من كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» .

(٢) : (٤٥٢م).
تَوْبة بن الْـحُمَيِّر الخفاجي العقيلي المتوفى سنة ٨٥هـ، هو صاحب لَيْلى الأخيلية العقيلية .
والمجنون هو : قَيس بن الْـمُلَوَّح العامري المتوفى سنة ٦٨هـ ، وصاحبته التي جُنَّ بِهَوَاها تدعى لَيْلَى ، والاثنان من قبيلة واحدة ، وهما متعاصران ، واسم عشيقتيهما واحد ، ولهذا اختلط شعرهما ، ونسبت الأشعار التي يرد فيها ذكر لَيْلى إلى المجنون ، كما قال الجاحظ : ماترك الناس شِعْراً مجهولَ القائل فيه ذكر ليل إلاَّ نسبوه إلى المجنون ، و«ديوان شعر توبة بن الحميِّر الخفاجي» حققه الأستاذ خليل إبراهيم العطية ، وطبع في بغداد سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، وفي أوله قصيدة تقع في ٧٩ بيتاً ورد فيها البيت الثاني من هذه المقطوعة ، وشعر المجنون جمعه الأستاذ عبدالستار فراج ، ولم أر فيه المقطوعة هذه وفيه ثلاث مقطوعات من بَحْرِهَا ورَوِيِّها .

(٣) : (٢٨ هـ).

١ - أَلَمْ يَشْفُكَ الْبَرْقُ الَّذِي بَاتَ يَلْمَعُ … هُدُوًّا تَلالاً لِي فَمَا كِدْتُ أَهْجَعُ
٢ - يُضِيءُ سَنَاهُ الأَثْلَ تَبْدُو فُرُوعُهُ … مِنَ اوْطَانِ سَلْمَى حَيْثُ كَانَتْ تَرَبَّعُ
٣ - رُدَافُ السَّنَا جَوْنُ الذُّرَى لِبُرُوقِهِ … رَفِيفٌ إِذَا مَسَّ النُّعَامَى يُزَعْزِعُ
٤ - فَبِتُّ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ رَائِياً … أَرَى أَنَّهُ يَسْمُو مِرَاراً وَيَضْجَعُ
٥ - أُرَاوِحُ بَيْنَ الْمِرْفَقَيْنِ كِلَيْهِمَا … لَهُ شَاخِصاً مَا يَاتَطِي بِيَ مَضْجَعُ
٦ - وَقُلْتُ عَلَى سَلْمَى وَجَارَاتِ بَيْتِهَا … سَنَا صَوْبِهِ وَانْهَلَّتِ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
٧ - لِذِكْرَى حَبِيبٍ طَالَمَا قَدْ هَجَرْتُهُ … عَلَى سَقَمٍ مِنِّي أُبِلُّ وَأُرْدَعُ
٨ - أَبَا حَبَّذَا سَلْمَى وَنَشْوَةُ طَلِّهَا … إِذَا نَشْرُهَا مِنْ طِيبِهَا يَتَضَوَّعُ
٩ - وَبَرْدُ ثَنَايَاهَا إِذَا سَقَطَ النَّدَى … وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا تَتَلُّعُ
١٠ - فَإِمَّا تَجُدْ سَلْمَى فَقَدْ طَالَ بُخْلُهَا … عَلَيْنَا وَقَدْ طَالَ الْبُكَا، وَالتَّضَرُّعُ
١١ - وَكُنَّا عَلَى مَانَشْتَكِي مِنْ فَعَالِهَا … يُقِرُّ بِعَيْنِي قُرْبُهَا حِينَ تَجْمَعُ
١٢ - فَأَصْبَحْتُ لاَتَجْرِيْ الظِّبَاء بِقُرْبِهَا … وَتَجْرِي إِذَا مَاشِئْتُ بِالنَّأْيِ تَقْدَعُ
١٣ - فَقَدْ أَعْضَبَتْ بِي لَوْ فَرُقْتُ بِشَأْنِهَا … فَأَصْبَحْتُ مَا أَدْرِيْ بِهَا كَيْفَ أَصْنَعُ
١٤ - أَأَتْبَعُ مِنْهَا وَانِيَ الْوَصْلِ قَدْ بَدَا … وَلَيْسَ لِذِيْ رَأْيٍ عَلَى الْهُوْنِ مَتْبَعُ
١٥ - أَمَ اهْجُرُ سَلْمَى وَالْفُؤَادُ يُحِبُّهَا … وَهَلْ مِثْلُهَا لَاهٍ ابنُ عَمِّكَ يَقْطَعُ
١٦ - أَصُدُّ سِوَا.. الْوَجْهِ وَالْقَلْبُ مُقْبِلٌ … عَلَيْكَ وَسَمْعِي نَازِعٌ لَكِ أَحْرَعُ(؟)
١٧ - فَيَالَيْتَ حَظِّيْ مِنْكِ أَنَّكِ خُلَّةٌ … تَضُرُّ، وَأَرْجُو النَّفْعَ مِنْهَا فَتَنْفَعُ
١٨ - فَتَصْبِرَ فِي هٰذِي وَنَأْمُلُ هٰذِهِ … وَلَا تُخْلِفِينِيْ طَمْعَتِي حِينَ أَطْمَعُ
١٩ - وَلَيْتَ الَّذِي تُخْفِينَ مِنَ الأَمْرِ قَدْ بَدَا(١) … لَنَا فَعَلِمْنَا أَيَّ حَالَيْكِ نَتْبَعُ
٢٠ - فَإِنْ تَهْجُرِينَا لَانَكُنْ أَهْلَ صُرَّةٍ … وَإِنْ تَصِلِينَا لَانَكُنْ نَحْنُ نَقْطَعُ
٢١ - وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَلَا تَحْسِبِيْنَنِي … عَلَى الْهُوْنِ رِيَاعاً وَلِي عَنْهُ مَنْزِعُ
٢٢ - وَمَا أُمُّ خِشْفٍ بِـ(الْمِرَاضَيْنِ) آلَفَتْ … بَرِيرَ أَرَاكٍ نَاعِمٍ حَيْثُ تَرْتَعُ
٢٣ - تَرَعَّى بِهِ مَا أَبْرَدَتْ مِنْ تِلَاعِهِ … وَتَنْزُهُ عَنْهُ... بِهِ حِينَ تَفْزَعُ
٢٤ - تُرَشِّحُ مَكْحُولاً كَأَنَّ بُغَامَهُ … تَشَكِّي سَقِيمٍ مَلَّ مِنْهُ الْمُوَجَّعُ

(١) فوق (الأمر): (صل) ولعل المراد حذف النون من (من الأمر).

٢٥ - بِأَحْسَنَ مِنْ سَلْمَى لَبَاناً وَمُقْلَةً   عَشِيَّةَ عُوِّجْنَا عَلَيْهَا نُوَدِّعُ
٢٦ - وَأُخْبِرُهَا أَنْ قَدْ ذَهِلْتُ عَنِ الصِّبَا   وَنَفْسِيْ بِمَا أَلْقَى إِلَيْهَا تَضَرَّعُ
٢٧ - تَسَرَّعْتُ أَهْوَى كَيْ أُصَادِفَ خَلْوَةً   وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُلْفِنِي أَتَسَرَّعُ
٢٨ - إِذَا قُلْتُ أَسْلُو أَوْ تَجَلَّ عَمَايَتِي   تُجَاوِبُ قُمْرِيٌّ (الْخَرِيقَيْنِ) يَسْجَعُ
٢٩ - نَوَائِحُ لَا يُذْرِينَ دَمْعاً وَلا يُرَى   لَهُنَّ إِذَا مَا لَمْ يَنُحْنَ تَفَجُّعُ
٣٠ - فَذَكَّرْنَنِيْ عَيْشاً تَوَلَّى فَلَيْتَهُ   إِلَيْنَا كَمَا قَدْ كَانَ فِي الدَّهْرِ يَرْجِعُ
٣١ - فَلَوْ كَانَ هٰذَا الدَّمْعُ يَجْرِي حَمَامَةً   عَلَى غَيْرِ سَلْمَى قُلْتُ: دَمْعٌ مُضَيَّعُ

قال وأنشدتني الدَّعْدِيَّةُ وأَبُو سُلَيْمانَ ، لِأَبِي الْمُسَيَّبِ ثابتِ بن عبدالله الـمُلَجِّمِي ، وكُلٌّ من هُذَيل(١):

١ - فَمَا سَامِدٌ عَصْمَاءُ خَفَّاقَةُ الْحَشَا   بِعَيْطَاءَ دُوْنَ النَّجْمِ صَعْبٌ حُيُودُهَا
٢ - فَلَيْتَهُ طُرَّادٍ نَجَتْ بَعْدَ لَمَّةٍ   بِهَا مِنْ ظِلَالِ الْمَوْتِ كَادَتْ تَصِيْدُهَا
٣ - بِأَبْعَدَ مِنْهَا حِينَ يُمْتَاحُ بَذْلُهَا   صَدَى هَامَةٍ حَرَّى بَعِيْدٌ وُرُودُهَا
٤ - وَمَا الْبُخْلُ مِنْهَا بِالَّذِيْ يُحْدِثُ الْقِلَى   وَيُبْرِدُ لَيْعَاتِيْ بِهَا بَلْ يَزِيْدُهَا
٥ - وَلَوْ غَيْرُ سَلْمَى أَظْهَرَ الْبُخْلَ والقِلَى   لَنَا وَتَوَلَّى رَثَّ عِنْدِيْ جَدِيْدُهَا
٦ - وَلٰكِنْ أَنَاةَ النَّفْسِ مِنْهَا خَلَائِقٌ   بِهَا اسْتَمْكَنَتْ عِنْدِيْ وَإِنْ قَلَّ جُوْدُهَا
٧ - صَدُوْدٌ إِذَا الْهُوجُ الْعَمَاهِيجُ لَمْ تَزَلْ   لِمُسْتَبْشِرٍ فَاتَ.... ـهـا
٨ - فَإِنْ لَاتُرَى بَيْنَ الْبُيُوْتِ عَشِيَّةً   تُنَاجِي وَلَا يُلْفِي يناجي... ـهـا
٩ - وَوَزْنًا بِمَا قَالَتْ كَمَا اخْتَارَ جِدَّةً   مِنَ النَّقْدِ حَانُوتِيُّهُ يَسْتَجِيْدُهَا(٢)
١٠ - وَتَصْبَحُ خُوطَ الْإِسْحِلِ الْجَوْنِ بُكْرَةً   مُفَلَّجَةً غُرًّا لِطَافاً قُيُودُهَا
١١ - مُفَلَّجَةً غُراً عِذَاباً كَأَنَّهَا   أَقَاحِيُّ دَجْنٍ بَاتَ رَهْمٌ يَجُودُهَا
١٢ - لِيَهْنِكِ مُمْسَانَا وَمُلْقَى رِحَالِنَا   بِأَجْزَعَ ذِي الأصباء وَعْثٌ... ـها
١٣ - فَبِتْنَا وَلَمْ نُحْبِسْ نَوَالاً وَلَا قِرًى   وَخَيْرُ الْقِرَى أُنْسُ الْحَدِيْثِ... ـها

(١) : (٧٢هـ) . (٢) فوق كلمة (اختار): (صل) وفوق و(جدة): (عدّة).

١٤ ـ لَكِ الْمَنْزِلُ الْأَعْلَى وَلِلنَّاسِ بَعْدَكُمْ ... مَنَازِلُ إِنَّ الْحُبَّ... ـهـا
١٥ ـ لَكُمْ صَوْنُ وُدِّي لَمْ أَصُنْهُ لِغَيْرِكُمْ ... وَلَا يَشْتَوِي صَوْنَ الحديث... ـها

وله[1]:

١ ـ ... إِذَا دَنَتْ دَارٌ بِسَلْمَى ... جَزِعْتُ حِذَارَ عَاقِبَةِ اللَّيَالِي
٢ ـ فَحُمَّ فِرَاقُهَا عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ... وَمَا كَانَ التَّفَرُّقُ عَنْ تَقَالِ

أنشدني[2] عبيدُ الله بنُ دُحَيْمِ بن عُبيدِ الله بن الوليد بن نافع بن زُهَير بن شَرِيك بن نُعَيلة بن كعب بن صُبْحٍ ـ وزَعَمَ أَنَّ زُلَيْفَةَ هُوَ صُبْحُ بن كَاهِلِ بن الحارث بن تَمِيْم بن سعد بن هذيل ـ لِأَبِي الـمُسَيَّبِ الْـمُلَجَّمِي مِنْ قِرْدِ هُذَيْلٍ ، قال أبو عليٍّ : أَبُو بَكْرٍ المذكور في الحديث زُلْفِي[3]:

١ ـ نَفَى نَوْمَ عَيْنَيْكَ الْخَيَالُ الْمُؤَرِّقُ ... وَنَوْضُ سَنًا بَاتَتْ لَهُ الْعَيْنُ تَأْرَقُ
٢ ـ فَبِتُّ كَأَنِّي لِلْخَيَالِ وَلِلسَّنَا ... سَلِيْمٌ يُعَنَّى أَوْ مَرِيضٌ يُغَفَّقُ[4]
٣ ـ وَأَنَّى اهْتَدَى الطَّيْفُ الَّذِي زَارَ مَوْهِنًا ... إِلَيْكَ وَتَالِي النَّجْمِ قَدْ كَادَ يَخْفِقُ
٤ ـ أَلَمَّ بِنَا يَسْرِي وَمِنْ دُوْنِ أَرْضِهِ ... مَهَامِهُ مَجْهُولٌ مِنَ الطَّوْدِ أَعْنَقُ
٥ ـ فَبَاتَتْ تُنَاجِيْنَا حَدِيْثًا كَأَنَّهُ ... جَنَى النَّحْلِ أَنْسَاهُ الرَّحِيْقُ الْمُعَتَّقُ

أُنساه : مزجه ، انْسِ اللَّبَنَ بالماءِ أي اخلطه به ، ومثله النَّسْءُ وَزْنُ السَّبْعِ وهو اللبن المخلوط بالماء .

٦ ـ وَتَزْعُمُ أَنِّي قَدْ صَحَوْتُ وَإِنَّمَا ... وِصَالِيْ وَعَهْدِي عَهْدُ مَنْ يَتَمَلَّقُ

(١) : (٧٤هـ). (٢) : (٢٩٥هـ) .
(٣) في «جمهرة النسب» لابن الكلبي: وولد صُبْحُ بن كاهل زُلَيْفَة وزمع ، أي إنَّ زُليفة هو ابن صُبْح . أبو بكر المحدث هو سُلْمِيُّ بن عبدالله بن سُلْمِيِّ بن عبدالله بن حبيب بن عويمر بن مالك بن كعب بن كاهل على ماذكر ابن الكلبي في «جمهرة النسب» وترجمه الحافظ بن حجر في «تهذيب التهذيب» في الكُنى ، ونقل عن ابن أبي عاصم انه توفي سنة سبع وستين ومئة ، وأورد أقوالاً في تضعيفه ، وعن الجوزجاني: من علماء الناس بأيامهم . انتهى . وإلى أبي بكر الهذلي هذا ينسب مسجد الهذلي في البصرة .
(٤) في الهامش: (يلوثه المرض) .

٧ ـ وَوَلَّتْ وَطَارَ النَّوْمُ عَنِّي وَشَاقَنِي سَنَا بَارِقٍ فِي عَارِضٍ يَتَأَلَّقُ
٨ ـ كَأَنَّ سَنَا أَنْوَاضِهِ حِينَ أَنْ بَدَتْ ذُرَاهُ حِصَانٌ يَرْمَحُ الْخَيْلَ أَبْلَقُ
٩ ـ تَدَلَّى كَتَخْفَاقِ الْجَنَاحِ وَدُونَهُ شَمَارِيخُ تَبْدُو مِنْ (يَسُومَيْنَ) بُسَّقُ
١٠ ـ فَلَمَّا عَلَا ذَا النَّخْلِ عَجَّ صَبِيرُهُ وَأَسْبَلَ مِنْهُ رَيِّقٌ ثُمَّ رَيِّقُ
١١ ـ وَجَلْجَلَ وَانْهَلَّتْ خَنَاتِمُ مُزْنِهِ بِمُسْحَنْفِرٍ مِنْ مَائِهِ يَتَبَعَّقُ
١٢ ـ لِتَرْوَى بِهِ سَلْمَى وَتُصْبِحَ أَرْضُهَا بِهَا مُسْتَنِيرٌ نَاعِمُ النَّبْتِ مُؤْنِقُ
١٣ ـ وَقَدْ سَلَفَتْ مِنْهَا عَلَى ذَاكَ لَوْ وَفَتْ بِذَالِكَ أَيْمَانٌ غِلَاظٌ وَمَوْثِقُ
١٤ ـ فما أنسَ من الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا(١) سُحَيْرًا وَجَارِي دَمْعِهَا يَتَرَقْرَقُ
١٥ ـ أَحَقّاً بِأَنَّ الْبَيْنَ لَاشَكَّ وَاقِعٌ غَداً بِالَّذِي مِنْهُ نَخَافُ وَنُشْفِقُ
١٦ ـ وَمُنْقَطِعٌ حَبْلُ الصَّفَاءِ وَشَامِتٌ عَدُوِّي وَمَقْدُورٌ عَلَيْنَا التَّفَرُّقُ
١٧ ـ فَقُلْتُ لَهَا: لَنْ يُقْدَرَ الْبَيْنُ أَوْ يَقَعْ عَلَيْنَا بِهِ قَدْرٌ مِنَ اللهِ سَابِقُ(٢)
١٨ ـ فما انا بناسيكم وما انا بِزَايِلٍ عَنِ الْعَهْدِ مَاغَنَّى الْحَمَامُ الْمُطَوَّقُ(٣)

أَبُو الْمُسَيَّبِ(٤):

١ ـ أَقُولُ لِعَيْنَيَّ اللَّجُوجَيْنِ كُلَّ مَابَدَتْ حُسْرًا أَعْلَامُ سَلْمَى أَبِينْهَا(٥)
٢ ـ أَفِيضَ الْبُكَا مِنْ أَجْلِهَا وَيَزِيدُنِي إِذَا حَنَّتِ الْآلَافُ وَجْداً حَنِينُهَا
٣ ـ فَبَسْلاً(٦) لِهَذِي النَّفْسِ بَسْلاً فَإِنَّهَا عَصَتْنِي إِلَى سَلْمَى وَسَلْمَى تُهِينُهَا
٤ ـ هَجَرْتُ سُلَيْمَى لَا مُضِيعاً لِسِرِّهَا وَلَا مُتْبِعاً سَلْمَى ثَنَاءًا يَشِينُهَا

٢٩ ــ ثابت بن عبدالملك العريجي

وقال(٧): أنشدني شيخٌ من جُرَش لثابت بن عبدالملك الْعُرَيْجِي ـ بطنٍ من

---

(١) في الأصل: (فما أنس من الأشياء) ولا يستقيم به الوزن، وسبق مثل هذا (وليت الذي تخفين من الأمر).
(٢) في الهامش: (قال أبو علي: ليس سنتها).
(٣) فوق كلمة (انابناسيكم) كلمة (صح) ولعلها فوق (انابزايل).
(٤) : (٧٤هـ). (٥) كذا ويستقيم الوزن (لها حُسَّراً). (٦) في الهامش (معناه بُعْداً).
(٧) : (٣٤٠م) مدينة جرش كانت من أشهر مدن السراة وقد درست الآن وموقعها معروف وآثارها باقية، وبنو مالك بطن لايزال معروفاً من بطون قبيلة عسير المشهورة.

بني مالك من عَنْزِ بن وَائِلٍ :

١ ـ ألَا أَيُّهَا الرِّيحُ الَّتِي نَسَمَتْ لَنَا ... مِنَ الْأُفُقِ الشَّامِيِّ فَطَابَ نَسِيْمُهَا
٢ ـ فَقَدْ نَسَمَتْ مِنْ نَحْوِ مَنْ بَاتَ حُبُّهُ ... يُؤَرِّقُنِي مِنْ مَضْجِعِي فَأَرُوْمُهَا
٣ ـ لِأَغْشِمَ هَوْلَ الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... بِلَيْلٍ وَفِيْ عَرْضِ السَّمَاءِ نُجُوْمُهَا
٤ ـ فَأَشْفِيَ قَلْبِي مِنْ هَوَاهُ بِلَمَّةٍ ... فَهُوَّ هَوَى نَفْسِيْ وَمَا إِنْ أَلُوْمُهَا
٥ ـ سَبَتْنِيْ بِمَيَّالِ الْقُرُوْنِ كَأَنَّهُ ... عَنَاقِيْدُ حَالِيٍّ[1] تُرَوَّى كُرُوْمُهَا
٦ ـ إِلَى كَفَلٍ نَابِي الْمِجَسِّ وَبَطْنُهَا ... كَأَعْطَافِ رَيْطٍ حِيْنَ تُبْدَى عُكُوْمُهَا
٧ ـ إِلَى قَدَمٍ مُخْصُوْرَةٍ لَا قَبِيْحَةٍ ... وَلَمَّا يُشَقِّقْهَا بُكُوْراً تُقُومُهَا
٨ ـ أُرُوْجِ الضُّحَا رُعْبُوْبَةٌ عَذْبَةُ الشُّعَا ... نَشَتْ فِيْ غِنَىً جَمٍّ وَدَامَ نَعِيْمُهَا
٩ ـ وَإِنِّيْ لَمُسْتَشْنِقٌ لِأَرْضٍ تَحُلُّهَا ... كُتَيْمَةُ وَبِلَا بَعْدَ وَبِلٍ جَمِيْمُهَا
١٠ ـ تَكُوْنُ نَواشِيْهِ نَوَاغِشَ كُلُّهَا ... إِلَى (عِبِلٍ)[2] أهضَامُهَا فَحُزُوْمُهَا
١١ ـ عَلَى عين أَنْ أَمْسَتْ كُتَيْمَةُ حَلَّلَتْ ... .. فَسقَى الرَّحْمٰنُ أَرْضاً تُقِيْمَهَا[3]
١٢ ـ أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ إِنْ أَتَاهَا مُخَبِّرٌ ... أَلَا ثَابِتٌ جَاهٍ لِنَفسٍ حَمِيْمُهَا
١٣ ـ أَمُسْبِلَةٌ بِالدَّمْعِ مِنْهَا كَظِنَّتَنَا ... بِهَا أَوْ تُعَزِّيْ نَفْسَهَا وَتَلُوْمُهَا

٣٠ ـ ثَبُوحُ مولى المختار الكُلَيْبي

وأنشدني[4] لِثَبُّوحٍ مولى المختار بن الخطاب الكُلَيْبِي كُلَيْب خفاجة :

١ ـ نَظَرْتُ وَمِنْ دُوْنِي (شَثِيْرٌ) وَمُقْلَتِي ... تَجُمُّ مِرَاراً دَمْعُهَا وَيَفِيْضُ
٢ ـ لِأُوْنِسَ أَضْعَاناً بِدَفِّ (شُثَيْرٍ) ... بَدَوْنَ لِعَيْنِي وَالنَّهَارُ غَضِيْضُ
٣ ـ قَوَاصِدَ أَطْرَافِ (السِّتَارِ) لِـ(غَايِرٍ) ... بَوَاكِرَ يَحْدُو سَيْرَهُنَّ قَبِيْضُ

---

(١) في الهامش : (إلى الحال من السراة) ـ سراة الحال ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وأنها لشكر ، وشكر هاؤلاء من أهل السراة وكانت بلادهم مجاورة لقبيلة غامد في منطقة بلجرشي .

(٢) فوق عِبَل : (فعل بَلَدٌ) ـ عِبِلٌ: وادٍ لايزال معروفاً في سراة رجال الـحَجْرِ بمنطقة النَّماص .

(٣) كذا ويستقيم : (ألا فسقى) الخ .

(٤) : (٢١٧هـ) كذا ورد الاسم (ثبوح) وقد يكون مصحفاً عن (شبوح) إذ (ثبح) ليس مستعملاً في اللغة .

سَرْبُهن : بفتح السين في معنى النعم ، والستار وغاير جبلان قرب سُقْيَان ، من رَنِيَّةَ ، وسُقْيَان ماءة في هَضْبِ[1] والقَبِيض المسرع ، قبض يقبض إذا أسرع في سيره ، والطاير في طيرانه ، والفرس في عدوه ، وأشباه ذالك .

٤ ـ كَأَنَّ بِعَيْنِي فُلْفُلاً كُحِلَتْ بِهِ ... عَلَى رَمَدٍ يَعْتَادُهَا وَمَضِيْضُ

وله أيضاً يجيب الْحَكِيميَّ من بني خُويلد ، وكان من قوله :

١ ـ تُبَكِّي عَلَى عِمْرَانَ ثُمَّ يَزِيْدُهَا ... بِهِ حَزَنَاً أَلَّا سَوَامَ يَؤُوْبُهَا

فأجابه :

١ ـ عَجِبْتُ لِمُهْدٍ شِعْرَهُ حِيْنَ شَبَّهُ ... وَهُو بِجِبَالِ (الْفَرْدِ؟) غُبْرٌ لُحُوبُهَا
٢ ـ تَغَنِّي مُغَنٍّ مِنْ حَكِيْمَةَ كَاذِبٌ ... وَمِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ كَذُوْبُهَا
٣ ـ فَلَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ صَمِيْمِ خُوَيْلِدٍ ... يُحَامِي عَلَى الْأَحْسَابِ مِمَّنْ يَنُوْبُهَا
٤ ـ وَجَدْكَ لَمْ تَذْكُرْ كَوَاعِبَ أُفْرِيَتْ ... عَلَى كُرْهِنَا مِنَّا وَمِنْكُمْ جُيُوبُهَا
٥ ـ أَتَذْكُرُ عِمْرَاناً وَتَنْسَى عِصَابَةً ... بِفُوْهَةِ (الْهِدَارِ) شَبْعَانُ ذِيْبُهَا
٦ ـ يُنَادُوْنَ بِـ(الْهُدَّارِ) عَوْفَ بْنَ عَامِرٍ ... بِأَسْمَائِهَا لَا بِالْكُنَى مَا يُجِيْبُهَا

وله يقولها لِلْعُبَادِيِّ وغيره :

١ ـ فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَمْسَحَ الْمُهْرَ سَابِقاً ... وَرُمْحٌ رُدَيْنِيٌّ وعَضْبٌ مُشَطَّبُ
٢ ـ بِكَفَّيْ عِكَبٍّ لَا يَزِيْنُ مَقَامَهُ ... إِذَا كَانَ يَوْمٌ سَابِغُ الشَّرِّ أَنْكَبُ

والعِكَبُّ : الضخم السمين ، وقد سمن الرجل ، وهو في أسماء تَغْلِبَ .
وفي نسب الحواري العتكي :

٣ ـ حَسِبْتَ طِرَادَ الْخَيْلِ تَفْرِيْغَ عُلْبَةٍ ... مِنَ الضَّأْنِ فِيْ بَطْنٍ كَأَنَّهُ مِرْوَبُ

الْمِرْوَبُ : سِقَاءٌ كَبِيْرٌ يُحْقَنُ فيه اللبن .

---

(١) شثير : جبل لايزال معروفاً يقع غرب هضب الدواسر ، وسقيان : ماء بالهضب يقع شرق شَثِير ، وشُثَيْر : بالتصغير جبل يقع جنوب جبل شَثِير بقربه ، وغاير جبل في الشمال الغربي من (هضب الدواسر) في مفيض سقيان . وهذه المواضع تقع شرق منطقة رنية .

٣١ ــ الثُّرَيْزُ بنُ قُرَيْنٍ

وأَنْشَدَني[1] لِلشَّرِيْدِيِّ ، واسمه الثُّرَيْزُ بن قُرَيْنٍ الزُّرَيْزِيُّ ، يَمْدَحُ بَني ذَكْوان مِنْ سُلَيْمٍ :

١ ـ أَلَا إِنَّمَا ذَكْوَانُ شِبْـهُ قَـرَارَةٍ ❊ بِهَا السَّعْدُ وَالرَّيْحَانُ مَوْلِيَّةٌ تَنْدَى
٢ ـ تَلَاقَا خَلِيْجَاهَا فَسَالَا كِلَاهُمَا ❊ فَخَالَطَ مَوْلِيُّ الْعَرَارِ بِهَا نَقْدَا
٣ ـ أَلَا يَابَنِي ذَكْوَانَ رَشْحُ طِفْلُكُمْ ❊ وَلُقِّيْتُمُو فِي كُلِّ أَمْرِكُمْ رُشْدَا

ولـه :

١ ـ عَزَمُوا الرَّحِيْلَ وَقَرَّبُوا مَلْمُومَةً ❊ صُهْباً بِهَا لَبَدُ الشِّتَاءِ وَجُونَا
٢ ـ يَقْتَادُهُنَّ إِلَى الْخُدُوْرِ أَوَانِسٌ ❊ بِيْضٌ لَقِيْنَ مِنَ الْمَعِيْشَةِ لِيْنَا
٣ ـ بِيْضٌ كَأَنَّ ظِبَاءَ فَارِعَةِ (الْحِمَى) ❊ عَاوَرْنَهُنَّ سَوَالِفاً وَعُيُونَا

٣٢ ــ الثعلبي

الثعلبي[2]:

١ ـ أَشَاقَكَ بَرْقٌ بِالْحِجَازِ وَمِيْضُ ❊ وَمِيْضٌ فَقُلْتُ الثَّعْلَبِيُّ مَبِيْضُ
٢ ـ مَهِيْضٌ بِذِكْرَى أُمِّ عَمْرٍو وَدُوْنَهَا ❊ مَسَافُ لِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ عَرِيْضُ
٣ ـ عَرِيْضٌ بِهِ رُبْدُ النَّعَامِ أَوَابِداً ❊ لَهُنَّ أَدَاحِيُّ بِهِ وَمَبِيْضُ

---

(١) : (٢٦٣هـ) . هذا الشاعر الشَّرِيْدِيُّ من بني الشَّرِيْدِ وهو : عمرو بن يقظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القَيْسِ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم .
أما الاسم فهو: (الثريز بن قرين) كما ورد في المخطوطة وأنا في شك من صحة الإسْمَيْنِ ، فهادة (ثرز) مهملة ، وقد يكون الاسم (الترين) والمخطوطة ليست متقنة الكتابة ولا مصححة ولا مقروءة على عالم .

(٢) : (٩٣م) .
(الثعلبي) كذا ورد الاسم ، واسم ثعلبة يطلق على فروع قبائل عدة .
ولم أر فيما بين يدي من الكتاب ما يقاربه سوى ماجاء في ـ ص ٢٦٥ هـ ـ: وحدثني وهيب بن مسلم بن أسوار التغلبي ثم أحد بني عمير . وسألته عن الْعُرَدَة ـ ومأارى (التغلبي) هنا سوى تصحيف (الثعلبي) إذِ الْعُرَدَةُ تلك في شمال الحجاز بقرب بلاد غطفان ، وثعلبة عند الاطلاق ينصرف غالباً إلى ثعلبة ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان (انظر فزارة في قسم الأنساب) حيث تجد (عميرة) و(ثعلبة) .

٤ - مَيِّضٌ فَكَمْ مِنْ مَنْزِلٍ قَدْ تَرَكْتَهُ ... بِهِ رَبْعُ رَخْصِ الْعِظَامِ جَهِيْضُ
٥ - جَهِيْضٌ عَلَى عَرْضِ الْفَلَاةِ رَمَتْ بِهِ ... قَلُوْصٌ بِأَجْوَازِ الْفَلَاةِ نَهُوْضُ
٦ - نَهُوضٌ وَقَدْ صَارَ السَّرَابُ كَأَنَّهُ ... مِلَاءٌ بِأَيْدِي الْغَاسِلَاتِ رَحِيْضُ

٣٣ ـ أَبُو ثُمَامَةَ الْجَعْدِيُّ

وأَنْشَدَنِي لِأَبِي ثُمَامَةَ الْجَعْدِي(١):

١ - إِذَا شِئْتُ مَالَ اللَّهْوُ بِيْ نَحْوَ فِتْيَةٍ ... يُدِيْرُوْنَ جَيَّاشاً مِنَ الْخَمْرِ آنِياً(٢)
٢ - وَكَأْسُهُمُ فِيْ كَفِّ أَبْيَضَ مَاجِدٍ ... كَرِيْمٍ جَعَلْنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ قَاضِيَا
٣ - يَغُضُّ عَنِ السُّكْرَانِ مِنْ فَضْلِ كَأْسِهِ ... وَيَمْلَا عَلَى مَنْ كَانَ فِيْ الْقَوْمِ صَاحِيَا
٤ - فَرَاحُوْا وَمِنْهُمْ ذَاهِلٌ عَنْ ثِيَابِهِ ... وَمُنْتَعِلٌ فِيْ الْقَوْمِ قَدْ رَاحَ حَافِيَا
٥ - فَلَمَّا الْتَقَيْنَا مِنْ غَدٍ قَالَ قَوْلَةً ... أَلَا يَا ابْنَ كَعْبٍ هَلْ أَحَسْتَ ثِيَابِيَا
٦ - يُسَائِلُنِيْ عَنْهَا وَهِيَ فِيْ مَكَانِهَا ... وَلَوْ لَبِثَتْ حَوْلاً أَقَامَتْ كَمَا هِيَا

وأَنْشَدَنِي لأبي ثُمَامَة يقولها لأخِيْه، وتنازعا إمارَة الْفَلَجِ، وهُمَا مِنْ بَنِي جَعْدَة(٣):

١ - وَدَاوَرْتَ(؟) بَعْدَ الْأَرْبَعِيْنَ تَخَشُّلِيْ ... وَقَدْ لَاحَ شَيْبٌ فِيْ الْمَفَارِقِ والطُّرَر

التَّخشُّلُ: مأخُوذٌ من خَشَل المتاع، رديْئِه، أيْ تَضْهَدُني، وترى أَلَّا نكير عندي، والخَشْلُ عند العرب كُسَارُ صوْغ الفضة.

٢ - نُعِيْتُ إِذاً مِنْ نَائِلٍ وَمِنَ الْحَمْدِ ... إِنْ نِلْتَ ذَاكَ وَمِنْ عُمَرْ(٤)
٣ - لَتَعْتَرِفَنِّيْ بِالْمُهَنَّدِ قَابِضاً ... وَتُنْكِرُ مَاقَدْ كُنْتَ تَعْرِفُ فَانْتَظِرْ

←

(١) : (٦٥م) هذا الجعدي من جعدة بن كعب بن ربيعة بن صعصعة وهم بنو قشير أصحاب (الْفَلَجِ) المعروف الآن باسم (الأفلاج) منطقة واسعة مأهولة في جنوب جبل عارض اليمامة، ويظهر أن أبا ثمامة هذا تنازع هو وأخوه إمارة الفَلَجِ في عهد قريب من عهد الهجري.
(٢) في الهامش: (يروى: ربعيا من النخل آنيا أي أدرك منتهاه).
(٣) : (١٢١م). (٤) كذا وهو ناقص.

رحلة أبي عصيدة البِجَائِي
من بِجَايَة إلى الحجاز

أَبُو عصيدة أحمد البِجائي من أدباء الجزائر في القرن التاسع الهجري . تعلم وعاش في الجزائر وتونس أثناء العهد الحفصي ، ثم هاجر إلى المشرق العربي مبكراً ، فمر بتونس ومصر والقدس وطرابلس الشام ، ثم استقر بالحجاز ،

← قَالَ أَبُو ثُمَامَةَ فِي جَرَّةِ النَّبِيْذِ وَكَانَتْ خَضْرَاء[1]:

١ - وَجَدْتُ عَلَى الْـخَضْرَاءِ وَجْداً لَوَ انَّهُ ... عَلَى فَرَسِي مَاازْدَدْتُ حُزْناً وَلَا وَجْدَا
٢ - فَلَوْ كُنْتُ يَوْمَ (الْأَبْرَقَيْنِ) شَهِدتُّهَا ... نَحَرْتُ نَجِيْبِي الرَّسْلَ وَالْقَارِحَ الْوَرْدَا
٣ - وَكَفَّنْتُهَـا فِي حُلَّةٍ بَعْـدَ حُلَّةٍ ... مِنَ أَنْفَسِ أَثْوَابِيْ وَأَشْعَرْتُهَا الْبُـرْدَا
٤ - تَسِيْـلُ شِعَابُ (الْأَبْـرَقَيْنِ) فَتَلْتَقِي ... عَلَى كِسَرِ الْـخَضْرَاءِ حِيْنَ عَلَتْ نَجْدَا
٥ - لَوَ انَّ شِعَابَ (الْأَبْرَقَيْنِ) تَقَابَلَتْ ... عَلَى جَدَفِ الْـخَضْرَاءِ لَـمْ تَمْلَهَا جِدًّا
٦ - إِذَا اسْتَمْنَحَتْنِيْ نَخْلَةً قُلْتُ قَـرِّبِيْ ... بِسَاطَكِ وَادْعِي الْـمَاهِرَ الْقَاطِعَ الْـجَلْدَا
٧ - فَأَجْعَلُ مِنْ خَلْطِ الطَّعَامِ لِصِبْيَتِيْ ... وَأَجْعَـلُ لِلْخَضْرَاءِ بَـرْنِيَّهَـا الْكُبْـدَا
٨ - إِذَا اسْتَطْعَمَتْنِي[2] قِطْعَةً لَمْ أَقُدْ لَهَا ... عَـرِيْضـاً وَلَـمْ أَذْبَحْ لِسَيِّـدَتِي فَهْـدَا
٩ - فَبِيْنِي بِهٰـذَا وَاعْلَمِي أَنَّ عِنْـدَنَـا ... لَكِ الْـمَرْجِعَ الْـمَحْمُوْدَ وَالْوُدَّ وَالرِّفْدَا
١٠ - إِذَا رُفِعَتْ عَنْهَا الْغِطَاءُ وَلِيْـدَتِيْ ... وَجَـدْتُ لِـرَيَّـاهَـا عَـلَى كَبِـدِيْ بَـرْدَا
١١ - إِذَا أَنْشَجَتْ فِيْ السِّرِّ خِلْتُ نَشِيْجَهَا ... نَشِيْجَ عَرُوْسٍ أَوْ حَسِبْتُ بِهَـا وِرْدَا
١٢ - وَلَـوْ أَنَّنِي أَحْبَبْتُ شَيْخَيَّ حُبَّهَـا ... رَجَـوْتُ مِنَ الـرَّحْمٰنِ جَنَّتَـهُ الْـخُلْدَا
١٣ - وَقَدْ صَاحَبَتْنِي مِنْذُ سِتِّيْنَ حِجَّـةً ... فَـمَا ازْدَدْتُ إِلَّا رَغْبَـةً وبِهَـا وَجْـدَا
١٤ - أَلَا أَطْعِمُوا الْـخَضْرَا طِبَاقَ كِبَاشِكُمْ ... وَلَا تُطْعِمُوْا الْـخَضْرَاءَ جَدْياً وَلَا فَهْدَا

(للبحث صلة)

---

(١) (٢٣٩م). (٢) في الأصل (استطمعتني).

وجاور بالمدينة المنورة . وهناك ظل يراسل بعض الأعلام من وطنه الأصلي ، مثل أبي الفضل المشدالي ، الذي كان مستقرًّا حِيْنَئِذٍ بالقاهرة .

و«رسالة الغريب إلى الحبيب» إحدى ثمرات هذه المراسلات . فقد بعث بها أبو عصيدة إلى المشدالي وضمنها طرائف أدبية ، وشذراتٍ علمية ، وأخباراً عن الرحلة ، كما أنه عرض فيها لكتاب آخر له سماه «أنس الغريب وروض الأديب» وهو الآن مفقود .

وقد حصلنا على نسخة شريطية (ميكروفيلم) من مخطوطة «رسالة الغريب» من مكتبة جامعة برنستون (أمريكا) ، وهي في قسم يهودا ، رقم ١١٩٥ ، ٧٥ صفحة واستفدنا منها في أعمالنا عن تاريخ الجزائر الثقافي ، وقدمناها في بعض المحاضرات ، ولكن نص المخطوطة ظل يشغل بالنا إلى هذه اللحظة[1].

لقد أشار أبو عصيدة إلى الرحلة في قوله لصديقه المشدالي : إنه كتب إليه بتاريخ ذي الحجة (حوالي ٨٥٦هـ) - رسالة عرّفت فيها جميع ما تضمنته الرحلة المباركة من حين انفصالي من مقركم إلى حين كتبي لمقامكم ، وعَرَّفْتُ ببعض ما اعتراني من الشوق الملازم ، والذكر المتصل الدائم . ثم ذكر أنه وجه الرسالة رفقة بعض الحجاج . وهذا يدل على أن هذه (الرحلة المباركة) كانت من القاهرة إلى الحجاز .

وفي «رسالة الغريب» يخبر أبو عصيدة صديقه المشدالي بأنه قد حقق ما كان يصبو إليه بنزوله بالحجاز ، وبالمجاورة في الحرم المدني ، وأنه حقق الراحة النفسية واطمئنان البال ، وأخبر فيها أنه كان يقضي أوقاته في التدريس ، وخصوصاً كتب الصحاح ، و«شفاء» القاضي عياض ، ووصف حفلاً جرى في السنة المذكورة عند ختم «الشفاء» حضره العلماء ، وأنشد فيه أحد الـمُدَّاح - كما قال - قصيدة جليلة ، أطربت جميع الحاضرين ، كما نظم أبو عصيدة نفسه قصيدة بهذه المناسبة ، أولها :

سَلُوا مَنْ سَلاَ ذِكْرَ الْـحَبِيْبِ وَمَا دَنَا   وَلَـمْ يَدْرِ أَنَّ الْقَلْبَ أَوْلَى لِمَنْ دَنَا

وهي قصيدة تعرض فيها إلى أحواله في الحجاز ، ولم ينس فيها ذكر سلطان الحفصيّين عندئذ وهو أبو عمرو عثمان ، وقد نعته بـ (بسلطاننا ومالك أرضنا) مشيراً إلى أنه ما يزال متصلاً عاطفياً بأرض المغرب العربي ، وخصوصاً إقليم بجاية الذي كان يتبع الدولة الحفصية التي كانت عاصمتها (تونس) . وهكذا اغتنم أبو عصيدة هذه المناسبة الدينية فدعا بالخير وطول البقاء والتمكين للسلطان المذكور .

ثم أخبر أنه عندما تدخل الأشهر الحرم كان يرافق الوافدين على حضرة الرسول ، ﷺ ، ووصف عدداً من هؤلاء الوافدين ، ومناسك الحج ، وأورد بعض الشعر له في ذلك منه قصيدة أولها :

بِفَيْضِ فَضْلِكَ ... ... (البيـــــــــــــت)

وأخبر كذلك أنه قد ورد عليه في الحجاز بعض المغاربة صحبة الشيخ أحمد القروي أحد متصوفة تونس والمشتهر بأنه كان يجيء بركب الحج كل عام (ت ٨٦٩)[٢]. وأخبر أبو عصيدة أن الشيخ القروي قد لامه على البقاء في الحجاز ، (وأطال العتب في ذالك والملام) ، وكرر له النصح بالعودة إلى وطنه ، وذكره بأحاديث نبوية وشواهد في هذا المعنى ، ولكن أبا عصيدة رد عليه حججه ، وأصر على أن البقاء في مجاورة الرسول ﷺ أفضل عنده من كل شيء آخر ، ولو أدى ذالك إلى الفقر والاغتراب .

هذا عن الرحلة الثانية للحجاز ، أما الرحلة الأولى فلم نعرف وقتها ولكنه نوه بها بقوله : انه كان قد جاء إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج ، وأنه لم يبق عندئذ (إلا بعض أعوام) ثم رجع . وأخبر أنه لما وصل إلى تونس ، بلد الشيخ القروي المذكور ، سأل عن علمائها وأعيانها الذين كان يعرفهم وكان يصاحب بعضهم ، فما راعه إلا خبر وفاتهم ورحيلهم إلى العالم الآخر . (التقطهم الموت كما يلتقط الحب الحمام) . وقد سأل أيضاً ـ وهو بتونس ـ (عمن تركناه بالأوطان من الأهل والسكان والأتراب والاخوان) ، ويعني بالأوطان هنا (بجاية) وما حولها حيث ولد

وعاش ، ولكنه علم أيضاً أن هؤلاء (قد شتت شملهم هاذم اللذات . . . وصاروا في الأجداث والأكفان) .

وكان أبو عصيدة يخاطب بهذا الشيخ أحمد القروي التونسي الذي نصحه بالعودة إلى وطنه ، وقد أضاف أنه أثناء رجوعه إلى تونس كان قد مثل بين يدي الشيخ القروي نفسه . ونستنتج من السياق أن أبا عصيدة قد أطال الإقامة في الحجاز أول مرة ، وأن عبارة (بعض الأعوام) التي أشار إليها تعني سنوات طويلة ، مادام قد حدث بعده كل هذا التغيير في تونس وبجاية . وعلى كل حال فإن أبا عصيدة أخبر أنه لم يواصل السير إلى بجاية ، وأنه قد رجع من تونس إلى الحجاز عبر مصر : (فثَنَيْتُ عند ذالك عناني ، وقد خامر الْوَلَهُ قلبي ولساني) . .

والإشارة الأخرى إلى الرحلة (الثانية) هي قوله في «رسالة الغريب» مخاطباً المشدالي : إنه ينتظر منه إرسال بعض شعره ليضمه إلى ما جمعه له في كتابه «أنس الغريب وروض الأديب» وهو الكتاب الذي ما يزال مفقوداً ، ولا نعرف عنه إلا ما ذكره مؤلفه أبو عصيدة في «رسالة الغريب» . ونلاحظ أنه قال عن «أنس الغريب» أنه جمعه أثناء رحلته الثانية التي عبر عنها بقوله : (مدة هذه الإقامة) وقال : (إنه كتابٌ يَسْبِي بِرَوْنَق آدابه الْـخواطِرَ والعقول ، ويُسَلِّي عن المعاهِدِ والطلول) . وقال : (إنه يحتوي على مقدمة وأبواب وفصول) وتهمنا هنا المقدمة التي ضمنها أخبار رحلته (الثانية) من تونس إلى الحجاز عبر مصر . وقال : إنه ذكر فيها بعضاً ممن لقيه خلالها ، مفيداً أنه ابتدأ بورود (حفيدنا) محمد المشدالي على تونس ، وكذالك ورود كتاب والد أبي الفضل المشدالي ، وأنه تحدث في «أنس الغريب» عن أخلاق والد المشدالي .

واغتنم فرصة الحديث عن الشيخ المذكور فألم (بوصف حال الأوطان والأهل والجيران ونبذا من مآثر الأصحاب والإخوان ، ثم من لقيته بطريقي في سائر البلدان إلى هذا الأوان) . ونحن نفهم من هذا النص أن أبا عصيدة قد تعرض لأخبار من ذكر من بجاية وتونس ومصر والحجاز وغيرها من الأماكن التي مرَّ بها أو كوّن بها صحبة .

وبعد هذا التعميم ، خص لقاءه بأبي الفضل المشدالي بالقاهرة ، وتوسع في ذالك مادام هو المقصود بالخطاب في «رسالة الغريب» ، لذالك قال أبو عصيدة : (ترجمت كتابي بترجمته الفاخرة العلية) . وأشار إلى أنه فصل القول عن رحلة المشدالي نفسه ، المغربية والمشرقية ، أي تنقلات المشدالي وأخباره في المغرب والمشرق ، سيما في مكة والمدينة ومصر والقدس وبيروت وقبرص وطرابلس الشام ، ثم تونس وتلمسان وقسنطينة .

وبعد ترجمة المشدالي ، ذكر أبو عصيدة أنه ترجم أيضاً لعدد من العلماء الذين لقيهم بالحرمين الشريفين ومَنْ ورد عليه فيهما من الزوار ، (وبعض ما اتفق من الأحوال والأخبار) .

هذا عن مقدمة «أنس الغريب» أما بقية الكتاب فهي في العبادات والتبتل وأنواع الطاعات وما يحتاجه المريد من جميع الإرادات ، كما ضمنه نكتاً وآداباً ونوادر الخ . وبذالك جعله (خير جليس ، ونعم الأنيس) ثم عدد مصادره التي استقى منها معلوماته وأخباره المذكورة .

ويهمنا أنه أخبر أن (بعض أصحابنا المجاورين) قد اطلعوا على هذا الكتاب ولاسيما ترجمة المشدالي فيه ، منهم : فخر الدين عثمان الطرابلسي الشامي ، وهو أحد مدرسي الحرم النبوي ، وهو على مذهب الإمام أبي حَنيفة ، وله مشاركة في الشعر والأدب ومن تلاميذ شيخ الإسلام كمال الدين بن الهمام المجاز من قبله . وكان الشيخ فخر الدين المذكور قد تعرف على المشدالي حين نزوله بطرابلس الشام أثناء رحلته المشرقية . ومنه استفاد أبو عصيدة أخبار المشدالي الموسعة في طرابلس .

ومن الشيوخ المجاورين الذين اطلعوا وأشادوا بكتاب أبي عصيدة وترجمة المشدالي فيه ، أبو الفتح بن علي بن إسماعيل الأزهري المصري ، وهو عالم لغوي ، وفقيه شافعي ، كان مدرساً بالحرم النبوي الشريف ، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ كمال الدين بن الهمام ، وله إجازة منه . وأخبر أبو عصيدة أن العلماء اختلفوا في تقييم ترجمة المشدالي ، وأرجع آراء بعضهم إلى (حمية نفسانية) وهو

يعني بذالك الحسد ، إذ لم يُسَلِّمْ بعضهم أن يكون المشدالي هو أعلم علماء وقته في المشارق والمغارب . ومن العلماء الذين ذكرهم أبو عصيدة في الحرم النبوي أيضاً الشيخ أحمد الليدي (أو الأيدي) .

وأفادنا أبو عصيدة أن الخلاف حول مكانة أبي الفضل المشدالي لم يحسم إذ قال : (وانقضى المجلس على هذا الشان ـ من الخلاف ـ ومازالت الوحشة في الخواطر الآن) .

ويتضح من هذا أن أبا عصيدة قد رحل مرتين إلى الحجاز ، وجاور طويلاً في كلتيهما . الرحلة الأولى غير محددة التاريخ ، وقد قال عنها إنها دامت (أعواماً) . فلما أخذ في الرجوع إلى بلاده عبر تونس إذا به يفاجأ ـ وهو مايزال في تونس ـ بخبر موت كل من كان عرفهم من الأعيان والعلماء والأهل والإخوان والأتراب سواء في تونس أو بجاية . فصمم على الرجوع إلى الحجاز من تونس ، وعدل عن مواصلة السير إلى بجاية . ومن ثمة تبدأ الرحلة الثانية .

أما الرحلة الأولى فلا نعرف عنها شيئاً تقريباً . وأما الثانية فهي التي ساق بعض أخبارها في كتابه «أنس الغريب» الذي ساقه بدوره في رسالته إلى المشدالي والمعروفة بـ «رسالة الغريب إلى الحبيب» ، وهذه الرسالة هي التي صورناها على الشريط ، وأخذنا في تحقيقها .

ونرجو أن نتمكن من نسخة أخرى منها ، كما نرجو أن نتمكن من العثور على نسخة من «أنس الغريب وروض الأديب» الضائع .

أبو القاسم سعد الله
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

الحواشي :

(١) ترجمنا لأبي عصيدة وأبي الفضل المشدالي ، ودرسنا محتويات «رسالة الغريب» وأقسامها في بحث قدمناه إلى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) انظر «الضوء اللامع» للسخاوي ، ٢/٢٥٧ .

مواضع سيناء في النصوص القديمة وتحديدها في عصرنا
(٢)

الجفـــار : قال الإصطَخْرِيُّ وهو يحدّد مصر : وأما مصر فإن لها حدًّا يأخذ من بحر الروم بين الاسكندرية وبُرْقَة ، فيأخذ في براري حتى ينتهي إلى ظهر الواحات ويمتد إلى بلد النوبة ، ثم يعطف على حدود النّوبة في حدّ أسوان إلى أرض الْبُجَةِ من وراء أسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم على البحر إلى طور سيناء ويعطف على تيه بني إسرائيل ويمتد حتى ينتهي إلى بحر الروم في الجفار خلف رفح والعريش ويمتد على بحر الروم إلى الاسكندرية ويتصل بأول الحد الذي ذكرناه . وقال وهو يذكر بحيرة تِنِّيس : ومن حد هذه البحيرة إلى حد الشام أرض كلها رمال متصلة حسنة اللون تسمى الجفار بها نخيل ومنازل ومياه مفترشة غير متصلة ويتصل حد الجفار ببحر الروم وحد بالتيه وحد بأراضي فلسطين وحد ببحيرة تنّيس وما اتصل به من ريف مصر إلى حدود القلزم . وقال أيضاً يذكر الجفار : وبالجفار حيات في مقدار الشبر تثب من الأرض حتى تقع في المحامل فتلسع ، وأهل مصر في أخبارهم يزعمون أن الجفار في أيام فرعون كانت معمورة بالقرى والمياه وإن الذي قال الله تعالى : ﴿ ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون ﴾ هو الجفار ولذالك سمي العريش عريشاً .

قلت : الجفار هو المعروف اليوم ببلاد العريش ، ويمتد من القنطرة على ساحل قناة السويس الشرقي غرباً إلى حدود مصر مع الشام شرقاً ، ومن مدنه ومعالمه التي ذكرها الجغرافيون العرب قديماً : رفح والعريش والزعقا (الزُّعْقَة) والقسّ والورّادة والبقّارة والفَرَما وقَطْيَة والخُروبة وأم العرب وأبو عروق والأعراس والعذيب والشّجرتين وبِئْرًا أبي إسحاق وبدر ، والبرمكية والغرابيّ ، وحطّين ، ودير النصارى والمخلصة وحبْوَة والسّوادة والمطيلب والدقهلة وغيرها كثير لاتزال آثارها بارزة حتى يومنا هذا .

وأهم مدنه وقراه في زماننا هذا رفح والعريش وبئر العبد والشيخ زويِّد والقنطرة شرق ، وأبو صقل ونجيلة والرّوضة والطهير والشلاق والخربة وأبو طويلة والقريعة والجورة وزمانة وبالوظة وقطية وجلبانة وأخرى غيرها، سنأتي عليها في أبحاثنا عن مواضع سيناء بمشيئة العليّ القدير .

وقال القزويني جِفَارُ : أرض بين فلسطين ومصر مسيرة سبعة أيام كلها رمال سائلة نبض فيها قرى ومزارع ونخل كثير ، وأهلها يعرفون آثار الأقدام في الرمل حتى يعرفون وَطْءَ الشّباب من الشيخ والرجل من المرأة والبكر من الثّيّب ، ومع كثرة بساتينهم لا حاجة لهم إلى النواطير لأِن أحدهم لا يقدر أن يعدو على غيره لأِن الرجل إذا أنكر شيئاً من بستانه يمشي على آثار القدم ويلحق سارقه ولو سار يوماً أو يومين . بها نوع من الطير يأتيهم من بلاد الروم يسمى (المرغ) يشبه السُّلْوَى ، يأتي في وقت معين يصيدون منها ماشاء الله ويمّلحونها ، ويأتيهم أيضاً من بلاد الروم على البحر في وقت من السنة جوارح كثيرة : الشواهين والصقور والبواشق وكلّما يقدرون على البازي وماسواه يصيدونها وينتفعون بها ، وذكر أن الجفار هو رمال مصر .

قلت : ماذكره عن معرفة أهلها لآثار الأقدام في الرمل ذكره قبله صاحب «معجم البلدان» وغيره .

والنواطير جمع ناطور وهو حافظ الزرع والتمر والكرم ، وقوله المرغ بالغين المعجمة تصحيف المرع بالعين المهملة وهي نوع من الطيور ، قال ابن منظور والْـمُرَعُ : طير صغار لا يظهر إلاّ في المطر شبيه بالدُّرّاجة واحدته مُرَعة ، مثل همزة مثل رُطَبٍ ورُطَبَة ، وعن ابن الأعرابي : المرعة طائر طويل وأضاف يقول قال : أبو عمرو : المُرَعة طائر أبيض حسن اللون طيّب الطعم في قدر السماني، وفي حديث ابن عباس : أنه سئل عن السَّلْوَى فقال : هي الـمُرَعة قال ابن الأثير : هو طائر أبيض حسن اللون ، طويل الرجلين بقدر السُّماني قال : إنه يقع في المطر من السماء ، وهو يأتي إلى هذه البلاد حتى اليوم ويسمى السمان ، وحول صيده وزمان هجرته إلى سيناء كتب الدكتور عباس مصطفى عمار نقلاً عن

(جارفن الانجليزي) فقال : في الحديث عن صيد السمان : صيد السمان يشهد الزائر للمنطقة الساحلية في شمال سيناء في المدة بين أواخر شهر أغسطس - أي آب - ومنتصف شهر أكتوبر - أي تشرين الأول - أن بدو سيناء يعملون بنشاط في صيد السمان ، ويرى المسافرون بطريق حديد سكة فلسطين في المحطات المختلفة حركة كبيرة لشحن ذالك الطائر الذي يزيد مايصدر منه على خمسين ألف سمانة في اليوم ثمن الزوج منها حوالي القرش لا يقبض البدوي أكثر منه ، وإن كان الوسطاء سواء في سيناء أو في خارجها يبيعون السمان بثمن أعلى للمستهلكين ، وهذه المقادير ترسل يومياً إلى مدينة بورسعيد لتصدر منها إلى أسواق أوروبا : مرسيليا وجنوة وأثينا والبندقية ، وقد يصل بعض البلاد الأخرى كلندن وغيرها جزء قليل من السمان . ومركز هجرة ذالك الطائر هو سهول القمح في روسيا ورومانيا والمجر ، يتوالد فيها ويقضي أشهر الصيف هنالك ، فإذا كان الخريف هاجر إلى وسط أفريقيا مارًّا بسواحلها الشمالية وما يرجع إلاّ في شهري فبراير - شباط - ومارس - آذار - وقد يؤخر نضوج القمح في مصر فهو يتغذى عليه مرة أخرى قبل رجوعه إلى أوروبا ، والشاهين والصقر والباشق والبازي جميعها طيور جارحة .

والجفار : هو القسم الشمالي من سيناء وقد غلب عليه اسم الْعَريش ، فالمنطقة الممتدة من قناة السويس غرباً وحتى حدود مصر مع فلسطين شرقاً في القسم الشمالي من سيناء تعرف باسم بلاد الْعَرِيش ، وقد ذكرها نَعُّوم بك شقير فقال : وأما بلاد العريش فهي سهول متسعة من الرمال يتخللها بقاع صالحة للزراعة مساحتها بالتقريب نحو خمسة آلاف ميل مربع وحدها الطبيعي من الجنوب الفاصل بينها وبين بلاد التيه جبل المغارة .

وأهم قواعد ومدن هذه البلاد هي العريش : عاصمة شمال سيناء ، ورفح ، وبئر العبد ، والقنطرة شرق والشيخ زُويِّد وقرى أخرى كثيرة .

الـجِفَارات : موضع على درب الحاج شرقي التِّيْه بين نَخْل وعَقَبَةِ أيلة قرب الثَّمد . قال الجَزيري :

وبعد ذا عُرْقـوب رِجْلِ البَغْلَةِ من بعدها تأتي الْـجِفاراتُ التي
تُعْـرَفُ أُخْـرَاهـا بِسَـطْحِ أَيْلَة يبيتُ فيهـا الـرُّكبُ فَـرْدَ ليلة

دَيْرُ طُورِ سَيْنَاء : قال أبو عبيد البكري في الكلام على فاران : وفي مدينة من مدن العمالقة على تل بين جبلين فيه نُقَرٌ لا تحصى مملوءة أمواتاً ، وفي سفح أحدهما بيعة للنصارى وحصن عليه سور من حجارة ذو شرفات وأبواب حديد داخلهُ عين ماء وعلى العين درابزين لئلا يسقط فيه أحد ، وقد أجرى ماؤها في قني رصاص إلى ماحوالي الدير من الكروم والأشجار . . . وعلى خطوات من هذا الدير أول العقبة التي يصعد منها إلى رأس طور سيناء وهي ستة آلاف وست مئة وستون مرقاه قد نحتت درجات في الصخر .

وقال القزويني : دير طور سيناء : على قُلَّةِ طور سينا ، وهو الجبل الذي تجلّى فيه النور لموسى عليه السلام ، وخرَّ موسى صعقا هناك ، والدَّيْر مبني بالحجر الأسود ، وفي غربيّه باب لطيف قدّامُهُ حجر إذا أرادوا رفعه رفعوه وإذا قصدهم قاصدٌ أرسلوه فانطبق على الموضع ولم يعرف مكان الباب ، وفي داخله عين ماء ، وزعم النصارى أنَّ بها ناراً من النار التي كانت ببيت المقدس ، وهي نار بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق ، وتقوى إذا أوقد منها السرج ، وهو عامر بالرهبان ، والناس يقصدونه قال فيه ابن عاصم :

يَاراهبَ الدّيْرِ ماذَا الضَّوْءُ والنُّوْرُ وقد أضاءَ بما في دَيْرِك الطُّوْرُ
هَلْ حَلَّتِ الشَّمْسُ فيه دونَ أبرُجِهَا أَمْ غُيِّبَ البَدْرُ عَنْه فهو مَستُورُ

قلت : الدير من أشهر معالم سيناء وهو أحد أشهر أديرة النصارى في العالم ، وقد زاره الباحث الفرنسي (ج كوتل) عام ١٨٠٠م ، وكتب في رحلته متحدثاً عن الدَّيْر بحثاً مطولاً يحسن الرجوع إليه .

قلت : هو الدير المعروف بديرسانت كاترين نسبة إلى القديسة كاترينا التي يعتقد النصارى ورهبانهم أن الملائكة حملت جثتها من مكان استشهادها في الاسكندرية سنة ٣٠٧ م إلى طُور سيناء على رأس الجبل الذي حمل اسمها .

وقد كان الدير يستمد حاجته من الماء من فاران (فيران) الغنيّة بمياهها الغزيرة التي تروي الكروم والأشجار التي حول الدير ، ولاتزال قائمة حتى يومنا هذا .
ومن ناحية الدير يتم الصعود إلى جبل طور سيناء المبارك ، وقد ذكره أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري فقال في ذكر حوادث سنة ٧٠٣هـ : وهذا الطور فمن عجائب الدنيا وهو الذي كلم الله تعالى فيه موسى تكليماً ، وله درج إلى أعلاه عدة سبع ألف وثمان مئة درجة وهناك دير عظيم مابني في جميع الأديرة له نظير ، ومقيم بها نيف وأربع مئة راهب أكثرهم ملوك وأولاد ملوك من الفرنج قد خرجوا عن الدنيا وانقطعوا عن العالم يعبدون الله تعالى على دينهم وأمرهم إلى الله تعالى ، وهذا الطور على بحر المالح ومأكلهم السمك الكثير يعملوه عدة ألوان والتمر والعجوة والرطب الكثير ، فإن ثم هناك نخيلاً كثيرة في غاية الحسن وأكثرهم متمولين وفيهم خير وعندهم لم تبرح القمصان الخام والطواقي والمشايات يؤثروا بها الحجاج التائهين من الركب وربما أنهم كانوا في غير هذا الوقت إذا وصل إليهم إنسان وشكي لهم فاقة وفقرًا وعائلة وتحققوا ذالك منه يقولون له : تفترض للآخرة ؟ فإن قال نعم أعطوه على مايروه من الألف والألفين وأكثر وأقل . هذا كان من قبل هذا الوقت وإنما في هذا الوقت ماعادوا يعطون إلاّ من يخشون منه والله أعلم .

راس الثّغرة : موضع بوادي الحاج ـ القباب قديماً ـ غربي بلاد التية على درب الحاج المصري ، قال الجزيري :

وان أتـيـت وادي الـقـبـاب من بُكْـرة النّهار بـالأصحـاب
فسِرّ ولا تـقـعـد بـقـدر ذرّة وبت مع الركب بـرأس الثّغرة

رفـح : قال الاصطخري في تحديد مصر ، فإن لها حداً يأخذ من بحر الروم . . . ويعطف على تيه بني إسرائيل ، ويمتد حتى ينتهي إلى بحر الروم في الجفار خلف رفح والعريش . قلت : بنصه هذا أدخل الاصطخري رفح في حدود الديار المصرية وهو مايشاركه فيه غيره من الكتاب القدماء ، والحدود بين الشام (فلسطين) والديار المصرية في هذه الأنحاء تمر في وسط مباني رفح فاحداهما

فلسطينية والأخرى مصرية ويبلغ عدد سكان رفح المصرية وفقاً لاحصاء عام ١٩٨٢م (٧٦٤٠) نسمة ويبلغ عدد سكانها مع توابعها أي إجمالي مركز رفح (٢٣٢٣٢) نسمة . ورفح مدينة قديمة ولم يبق من آثارها القديمة إلا شيء قليل ، قال الدكتور أحمد فخري حول آثار رفح : . . . وآخر المدن الهامة على الطريق الحربي قبل الوصول إلى فلسطين هي مدينة رفح ، وقد ورد اسمها في النصوص المصرية القديمة (را ـ بح) التي لعبت منذ أيام الفراعنة دوراً كبيراً في تاريخ مصر ، وكانت مدينة عامرة في العصر الروماني ، وترى في طرقاتها الآن كثيراً من بقايا الكنائس والمنازل ، ولاشك أن الرمال قد غطت كثيراً من آثارها وقد عثر الأهالي في عام ١٩٥٢م ، عند بحثهم عن أحجار للبناء على بعض تلك المباني ، ومن بينها حمام روماني كما استخرجوا أيضاً بعض الأعمدة ذات التيجان الكورنثية وبعض التماثيل التي وصل بعضها إلى مصلحة الآثار وتسرب البعض الآخر إلى خارج البلاد .

قال اليعقوبي في الكلام عن طريق الشام إلى مصر : ثم إلى مدينة غزة وهي على الساحل أيضاً ثم إلى رفح وهي آخر أعمال الشام ثم إلى موضع يقال له الشجرتين .

قلت : رفح هي اليوم بلدة عامرة على حدود مصر مع الشام ذكرتها في بحثي عن مواضع سيناء عند البكري وقد ذكرها كثيرون قال ابن منظور ، وفي حديث : إن الله بارك في الشام وخص بالتقديس من فحص الأردن إلى رفح . الأردن . النهر المعروف تحت طبرية وفحصه مابسط منه وكشف من نواحيه ورفح قرية معروفة هناك ، وقال ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) رفح : منزلة في طرف الجفار من جهة الشام على مرحلة من غزة .

وقد أدخلها الاصطخري من أهل القرن الرابع للهجري في حدود مصر ، وذكر أن حد مصر شرقاً خلف رفح والعريش . وجاء حول رفح في «الموسوعة المصرية»: بلدة على الحدود بين مصر وفلسطين وهي على شاطيء البحر المتوسط تردد ذكرها في نصوص الدولة الحديثة ، ولكن لم يبق من آثارها شيء هام إلاّ

بعض بقايا من أحجار كنيسة مسيحية في القرن الثامن الميلادي ، ويمر خط الحدود في وسط منازل البلدة ، وقد عثر عام ١٩٥٢م على حمامات من العصر الروماني في رفح الفلسطينية ، كما عثر أثناء أخذ الأهالي لا حجار تلك الحمامات على بعض التماثيل . كان اسمها في المصرية القديمة ربح وهو اسمها الحالي ، وعلى قول أنها سميت على اسم رجل يدعى رفح والله أعلم . قال أبو عبيد البكري : رَفح - بفتح أوله وإسكان ثانيه وقد يفتح بعدها حاء مهملة - موضع بالشام معروف ، وفي حديث كعب : إن الله عز وجل بارك في الشام من الفرات إلى العريش وخص بالتقديس من فحص الأردن إلى رفح .

قلت : رَفَح - بفتح أوله وثانيه ولا يسكنون ثانيه أبداً على مايلفظه ويعرفه به عرب هذا الزمان وهي آخر الشام وأول مصر وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الدولة العلية العثمانية ومصر سنة ١٣٢٤هـ الموافقة لعام ١٩٠٦م وهي في يومنا هذا قسمان ، قسم شرقي لفلسطين الشامية وقسم غربي لسيناء المصرية ، وهما متصلا البنيان كأنهما بلدٌ واحد لولا ذالك الحاجز المشبك بينهما . ولها ذكر غير خامل .

الرَّمـــل : هو رمل مصر المعروف بالجفار ويشمل شمال سيناء من القناة غرباً وحتى الحدود مع فلسطين شرقاً ويعرف باسم بلاد العريش . وقد ذكره الرحّالون فأكثروا ذكره في أشعارهم .

الزُّغْقَـا : هي مدينة الشيخ زويد ، بين العريش ورفح في شمال شرق سيناء غير بعيد عن الساحل قال السيد كبريت :

ثـم أتينـا بعـده لِـلزُّغـقَـا أَقْبِحْ بـه وَادٍ تجـافَى الـرُّفْقَـا
مـافيـه من خـانٍ ولا أنيس بـل بيرُ مـاء مـالـحٍ حبيس

وقال بعضهم :

من زَغْقَة الغُراب بعد الملتقى فـارَقْتُ مصراً وبهـا أحبـابي
وفي طريق الرمل صرت حائرًا مُـرَوَّعـاً بِـزَغْـقَـةِ الـغـراب

وقد ورد ذكرها باسم الزَّعقة في أحد مخطوطات «جمهرة النَّسب» لابن الكلبي بخط ياقوت الحموي إذ قال مانصه : (وتم الكتاب المعروف بـ «جمهرة النسب» عن ابن الكلبي رواية ابن حبيب عنه رواية السكري عنه، وذالك بالمنزل المعروف بالزعقة من طريق ديار مصر في العشرين من ذي الجحة سنة عشر وست مئة، وأنا متوجه إلى مصر، وكتب ياقوت بن عبدالله مولى عسكر الحموي). مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول رقم ٩٩٩ . ولكنه مع ذالك لم يذكرها في «معجم البلدان» وانظر عنها «صبح الأعشى» ٣/٣١٠/٣١١/٣١٢ و ١٤/٣٧٨ .

السَّبْخَــة : موضع في وادي الحاج - القباب قديماً - غربي بلاد التيه ، قال الصلاح الصفدي :

وكل هضْبٍ كرأسٍ شاب من كبر تشينه سبخةٌ في مفرق الطُّرُقِ

الشَّجرتان : قال اليعقوبي في طريق الشام إلى مصر : ثم إلى رفح وهي آخر أعمال الشام ثم إلى موضع يقال له الشجرتين وهي أول حد مصر ثم إلى العريش .

قلت : يستفاد مما ذكره المهلبي أن الشجرتين في منتصف المسافة بين رفح والعريش فبينها وبين رفح ١٢ ميلاً ، وبينها وبين العريش ١٢ ميلاً . وهذه المسافات تقريبية لا تتوافق مع واقع المسافات الحقيقي ، وقد ذكرها ابن فضل الله العمري فقال - وهو يحدد مصر : وأما الحد الشمالي وتسميه أهل مصر البحري مما بين الزعقة ورفح حيث الشجرتان ، وما إخال اليوم بقاء الشجرتين وإنما هما موضع الشجرة التي تعلق فيها العوام الخرق وتقول هذه مفاتيح الرمل وهي حيث الكثب المجنبة عن البحر الشامي قريباً من الزعقة ، وماذكره العمري يكاد ينطبق على شجرتي سدر تزاران بقرب الزعقة (الشيخ زويد) وهما إلى الداخل بين الكثبان الرملية عن الساحل بين رفح والزعقة ، قال نعوم بك شقير : وعلى نصف ساعة جنوبي بئر رفح شجرتا سدر الواحدة بجانب الأخرى تدعيان القرونتين ، ويقال لكل منها الفقيرة وللغربية منها غصن مجوف ينحني حتى يمس الأرض ، وجدت في تجويفه قطعاً صغيرة من النقود القديمة والحديثة ، ومسامير وخرز وحب

وعدس ، وقد علق في أغصان الشجرتين أباريق الزيت فسألتهم في ذالك فقالوا : إن نساء البدو يكرمن هاتين الشجرتين وينذرون لهما النذور ومتى جئن للزيارة وضعن شيئاً من آثارهن فيهما وأنرنهما بسرج الزيت كما يفعل البدو كافة عند زيارة الأولياء ، ولعل هاتين الشجرتين يزورهما البدو لجهلهم بالإسلام هما بموضع الشجرتين القديمتين وتلك التي ذكر العمري أن العوام تزورها والله أعلم .

صَــــدْر : بلدة معروفة إلى الغرب من نخل ، مع ميل إلى الجنوب في غربي بلاد التيه ، جنوب شرق السويس ، قال ابن الساعاتي :

سَرَى مَوْهِناً والأَنْجُمُ الزُّهْرُ لاتسرِي   وللأفْقِ شوق العاشقين إلى الفجر
تأهَّبَ ،من صَدْر يَخُبُّ به الكرى   فمازال حتى بات منزله صَدْرِي

الطُّــــور : قال الاصطخري في الحديث عن بحر القلزم : . . . حتى ينتهي على تاران وجُبَيْلات وماحاذى جبل الطور إلى أيلة ، وقال وهو يحدد مصر : فإن لها حدًّا يأخذ من بحر الروم . . . ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم على البحر إلى طور سيناء يعطف على تيه بني إسرائيل ، وقال في الحديث عن التيه : يتصل حد له بالجفار وحد بجبل طور سيناء وحد بإزاء بيت المقدس .

قلت : الطور هي القسم الجنوبي من سيناء ونسبة إلى الطور وهو القسم الواقع بين ضلعي البحر الأحمر سميت سيناء بشبه جزيرة سيناء مع أن شبه الجزيرة الفعلي هو بلاد الطور فقط وقد أوفى المتقدمون الحديث عن بلاد الطور وكذا المتأخرون من الباحثين كنعوم شقير وغيره فأطالوا الحديث بما لا يتسع له المجال .

طُــــوَى : قال أبو عبيد البكري : طُـوَى ـ بضم أوله وكسره مقصورة ـ اسم وادٍ في أصل الطور بالشام وهو المذكور في التنزيل ، وقيل بل طوى جبل هناك .

قلت : طوى هو وادي فيران الذي يسمى أعلاه وادي الشيخ ، والواقع غربي جبل طور سيناء وقد ورد له ذكر في كتاب الله تعالى في أكثر من آية .

قال تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا ﴾ الآية الـ(٥٢)

من سورة مريم ، ولا يتسع المجال لما ورد عن المفسرين في الكلام على طوى فيحسن الرجوع إلى أقوالهم .

عراقيب البغلة : موضع بقرب قرية الثُّمد شرقي بلاد التيهِ على نحو ٣٠ كيلاً من رأس النقب ويعرف باسم دَبَّة البغلة أو الدَّبَّة . قال الجزيري :

وبعد ذا عُرْقوب رِجْلِ البَغْلَةِ   من بعدها تأتي الجفارات التي

وقال الشيخ عبدالغني النابلسي :

ليت المنازل من مصر لطيبة لو   تدنو ففي بُعْدِهَا لِي فرط تشبيب
حتّى ركبنا طريقاً حين حاد بنا   عن بغْلَةِ الدُّرْب بتنا في العراقيب

العريش : قال الأصطخري في الكلام عن الجفار : .. وإن الذي قال الله تعالى : ﴿ ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون ﴾ هو الجفار ، ولذالك سمي العريش عريشاً . وقال في تحديده لمصر : فإن لها حدًّا يأخذ من بحر الرّوم . . . ويعطف على تيه بني إسرائيل ويمتد حتى ينتهي إلى بحر الرّوم في الجفار خلف رفع والعريش .

قلت : العريش : هي قاعدة شمال سيناء ، وقد عمّ اسمها بلاد الجفار ، التي أصبحت تعرف باسم بلاد العريش ذالك أنها أكبر مدن الجفار وأشهرها ، ذكرها محمد رمزي فقال : العريش قاعدة قسم سيناء الشمالي ، مدينة قديمة واقعة على شاطيء البحر الأبيض المتوسط قرب نهاية الحد الشرقي لأرض مصر ، بينها وبين رفح الواقعة على رأس الحد الفاصل بين مصر وفلسطين ٤٥ كيلاً واسمها الرومي (رينو كورورا) وكانت العريش من ثغور مصر ثم جعلت محافظة في سنة ١٢٢٥ (١٨١٠م) وبها من قديم قوة عسكرية لوقوعها قرب حدود مصر الشرقية وهي اليوم قرية وبها سوق عام ، وبسبب الحرب الأوروبية العامة التي وقعت بين سنتي ١٩١٤م و١٩١٨م أنشأت الحكومة المصرية في أول سنة ١٩١٧م مصلحة لأقسام الحدود ، فكان من محافظاتها محافظة سيناء ، وجعل مركزها العريش ، ويقيم بها كتيبة من كتائب الجيش المصري ، وفصيلة من المدفعية وفصيلة من عساكر

مصلحة الحدود . وقد كانت العريش سابقاً عاصمة محافظة سيناء التي كانت تشمل شبه الجزيرة كلها فيما هي اليوم عاصمة محافظة شمال سيناء .

وقال اليعقوبي في ذكر درب الشام إلى مصر : ثم إلى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم ، وهي قرية على ساحل البحر .

قلت : قوله أول مسالح مصر أي أول أماكن حراستهم المتقدمة ، قال ابن منظور : المسلحة قوم ذو سلاح . وقال : والمسلحة : قوم في عدّة بموضع رصد قد وكلوا به بإزاء ثغر ، واحدهم مسلحي ، والجمع المسالح . والمسلحي أيضاً الموكّل به والمؤمر والمسلحة كالثغر والمرقب .

والعريش من ديار جذام قال الهمداني (ت ٣٥٠ هـ تقريباً): ويغلب على عريش بنو الثعل من بني جري . وهم بطن من بني حشم من جذام ، وقد مَرَّ ذكرها في مواضع سيناء عند البكري ومما جاء في ذكرها مارواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : لما قسم نوح عليه السلام الأرض بين ولده جعل لحام مصر وسواحلها والغرب وشاطيء النيل ، فلما قدم بيصر بن حام وبلغ العريش قال : اللهم إن كانت هذه الأرض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح وجعلتها لنا منزلاً فاصرف عنّا وباها وطيب لنا ثراها واجمع ماها وأنبت كلاها وبارك لنا فيها وتمّم لنا وعدك إنك على كل شيء قدير وإنك لا تخلف الميعاد وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها به .

وقد ذكرها كرنيلوس فنديك الأمريكي فقال : وأما العريش فمنهم من يحسبها من غزة وهي محصنة بين الرمال الثائرة وفيها آثار قديمة .

وجاء حول العريش في الموسوعة المصرية : أهم مدن شاطيء سيناء وعاصمة هذه المحافظة وكانت منذ أقدم عصور التاريخ المصري ميناء عاماً على البحر ومركزاً استراتيجياً على الطريق الحربي الكبير الذي كان يعرف باسم طريق حورس ، وكانت تسير عليه الجيوش في طريقها إلى فلسطين وكانت العريش أحد

المراكز الرئيسة للجيش في أيام الدولة الحديثة ، ولكن لم يبق من حصونها ومعابدها القديمة شيء يذكر ، وربما عثر على شيء منها في المستقبل ، وكل ما بقي هناك آثار قليلة من كنيسة مسيحية نرى بعض أجزاء من أعمدتها وزخارفها مبعثرة بين طرقاتها وقد ذكرها جغرافيو الرومان تحت اسم (رينو كورورا) ومعناه : مقطوعوا الأنوف ، وفسر سترابون ذالك بأن بعض الذين كانوا يرتكبون جرائم كبيرة كان يحكم عليهم بقطع أنوفهم ونفيهم إلى هناك .

ومدينة العريش أكبر بلاد سيناء ويبلغ عدد سكانها (٤٠٨٣٣) نسمة ـ احصاء سنة ١٩٦٦م ـ أما عدد سكانها وما حولها من قرى ووديان تابعة لها فهو (٥٠٦٧٥) نسمة وقد بلغ سكان العريش وحدها في احصاء سنة ١٩٨٢م (٤٨٨٢٨) نسمة .

وقال القزويني : العريش مدينة جليلة من أعمال مصر هواؤها صحيح طيب وماؤها عذب حلو قيل إن اخوة يوسف عليه السلام لما قصدوا مصر في القحط لامتيار الطعام فلما وصلوا إلى موضع العريش وكان ليوسف حراس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فسكنوا هناك ، وكتب صاحب الحرس إلى يوسف : إن أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد للقحط الذي أصابهم فإلى أن أذن لهم عملوا عريشا يستظلون به فسمي الموضع العريش ، فكتب يوسف عليه السلام يأذن لهم فدخلوا مصر وكان من قصتهم ماذكر الله تعالى . وبها من الطير الجوارح والمأكول والصيد شيء كثير ، والرمان العريشي يحمل إلى سائر البلدان لحسنه وبها أصناف كثيرة من التمر ، وغدر دهقانها يضرب به المثل ، يقال : أغدر من دهقان العريش . وذاك أن عليًّا لما سمع أن معاوية بعث سراياه إلى مصر وقتل محمد بن أبي بكر ولى الأشتر النخعي مصر وأنفذه إليها في جيش كثيف فبلغ معاوية ذالك ، فدس إلى دهقان كان بالعريش ، وقال : احتل بالسم في الأشتر فإني أترك خراجك عشرين سنة . فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقان أي طعام أعجب إليه ؟ قالوا : العسل ، فاهدى إليه عسلاً وكان الأشتر صائماً فتناول منه شربة فما استقر في جوفه حتى تلف فأتى من كان معه على الدهقان وأصحابهم وأفنوهم . وقال في ذكر الشام : هي من الفرات إلى العريش طولاً . وقال في ذكر

مصر : طولها من العريش إلى أسوان .

قلت : العريش هي قاعدة شمال سيناء وعاصمتها وهي أكبر مدن مصر في اتجاه الشام في سيناء تحدث عنها نعوم شقير في كتابه الصادر عام ١٩١٦م فقال : أما بلدة العريش فهي بندر بلاد العريش ، وفيها نحو ٦٠٠ بيت وشوارعها متسعة نظيفة وبناؤها بالطوب النيء والطين ولكن طوبها متين كالحجر ولكل بيت من بيوتها فناء مسور بباب عظيم لإيواء الإبل والخيل والغنم وأسوارها مرتفعة جداً حتى أن راكب الهجين في شوارعها لايرى مافي داخل أفنيتها ، وللبلدة سوق صغيرة بجانب القلعة ، فيها نحو ٧٠ حانوتاً تباع فيها الأقمشة والحبوب والزيت والسمن واللحم والسكر والصابون والبن وأصناف الفاكهة والخضر وفيها جامع صغير يضم قبر الشيخ محمد الدمياطي وقد جدد هذا الجامع بأمر سمو الخديوي الحالي فاستخدم في بنائه حجارة القلعة الرومانية على جبل الـحفن كما مر - أي في كتابه - ونقش على عتبة بابه بأحرف ناتئة : أنشيء هذا المسجد المبارك في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م . ولها مدرستان مدرسة وطنية يؤمها نحو ٩٠ تلميذاً يعلم فيها القراءة والكتابة العربية والقرآن ومدرسة لجمعية انجيلية فرع من مدرسة المرسلين الانجليز في غزة يؤمها نحو ٥٠ تلميذاً تدرس فيها العربية والانجليزية ومباديء الحساب والجغرافية ، وللعريش محكمة جزئية تابعة لمحكمة الزقازيق الكلية ومحكمة شرعية ونفر من البوليس الوطني وناظر مصري ومفتش انجليزي وهي واقعة في الطريق التجارية الشهيرة المنسوبة إليها التي تربط مصر بسوريا ويربطها بمصر خط التلغراف ، وبنخل ورفع والقصيمة خط التليفون ولها بريد أسبوعي يحمل على الإبل يربطها بالقنطرة ومصر . هذا شأنها في عهد نعوم بك شقير ، أما اليوم ومنذ أن استعادها المصريون من اليهود سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م فإنها قد ازدهرت في جميع نواحيها ، ولا يقل اليوم عدد سكانها عن ٦٢٠٠٠ نسمة .

فـــاران : قال أبو عبيد البكري : ثم تسير مرحلتين في فحص التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل حتى توافي ساحل البحر بموضع يقال له بحر فاران وهو الذي غرق فيه

فرعون ، ومن هنا إلى القلزم مرحلتان وإنما نسب هذا البحر إلى فاران وهي مدينة من مدن العمالقة على تل بين جبلين فيه نقر لا تحصى مملوءة أمواتاً ، وفي سفح احدهما بيعة للنصارى وحصن عليه سور من حجارة ذو شرفات وأبواب حديد داخله عين ماء عذب وعلى العين درابزين من نحاس لئلا يسقط فيه أحد ، وقد أجرى ماؤها في قنى رصاص إلى ماحوالي الدير من الكروم والأشجار ويقال : إن على هذه العين كان شجر العليق الذي آنس موسى عنده النار ، وعلى خطوات من هذا الدير أول العقبة التي يصعد منها إلى رأس طور سيناء .

قلت : بحر فاران هو خليج السويس في زماننا هذا والذي عرف قديماً ببحر القلزم ، وقد سمي هذا البحر بفاران نسبة إلى مدينة فاران حاضرة العماليق في بلاد الطور جنوبي سيناء . والعماليق أو العمالقة من طوائف العرب العاربة ، قال القلقشندي : العمالقة قبيلة من العرب العاربة البائدة وهم بنو عمليق ويقال عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والجثمان قال الطبري : وتفرقت منهم أمة في البلاد فكان منهم أهل المشرق وأهل عمان والبحرين والحجاز وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر ، وذكر البكري أبو عبيد من ملوكهم ملك العرب ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العمليقي . أما مدينة فاران القائمة على تل بين جبلين فإنها قد أصبحت من مراكز النصارى في بلاد الطور ، وقد هذا . . . . بضع مئات من السنين قال نعوم بك شقير مشيراً إلى ذالك : تاريخ فيران : ومما زاد في شهرة هذا الوادي أنه في سفح جبل سربال العظيم قيل إن الأقدمين قدسوه وحجوا إليه كما مر - أي في كتابه - وأنه في طريق المسافر براً من مصر إلى البتراء وبلاد العرب ، وقد مَرَّ به موسى النبي ، إذ خرج بقومه من أرض مصر ، وفيه قهر العمالقة أسياد النبع في ذالك العهد ، وطرقه النبطيون والأدوميون من قبلهم في تجارتهم ، وهنا أسس الرهبان والنساك في صدر النصرانية أبرشية عظيمة دامت بضع مئين من السنين كما تدل الآثار الباقية هناك إلى هذا العهد وقد دلت أصناف النقود التي وجدت فيها أنها بلغت أوج مجدها بعد عصر الملك قسطنطين

في آخر القرن الرابع وبقوا إلى أن جاء العرب المسلمون في صدر الإسلام فاغتصبوا البلاد منهم واحتلوها في مكانهم إلى اليوم كما سيجيئ ، وأضاف يقول في ذكر آثارها : آثار فيران ، وأشهر آثار هذا الوادي عدا الصخور النبطية في وادي عليات وسفح سربال المار ذكرها : آثار دير وكنيسة في وسط حديقة النخيل وآثار دير وكنيسة على تل المحرد عند مصب وادي عليان بوادي فيران وبين تلك الآثار عمد مضلعة ومستديرة ومربعة من الرخام والحجر الرملي ، وهي مؤلفة من قطعة واحدة أو عدة قطع ، وقد رسم على بعضها صورة الصليب ووجد على حجر كتابة باليونانية فيها ذكر التابوت المقدس وآثار كنيسة بالحجر المنحوت ودير عند فم عليات في أسفل تل المحرد وآثار كنيسة وطاحونة على تل الطاحونة تجاه تل المحرد وآثار قرية قديمة في أسفل جبل الطاحونة وآثار منازل بالحجر والطين ، وقبور على جميع التلال التي ترى من تل المحرد عن جانبي الوادي وكلها من آثار المسيحيين في صدر النصرانية ، وقد أشار إلى آثار فيران الباحث الفرنسي . ج. كوتل الذي مَرَّ بها عام ١٨٠٠م فقال : بعد ساعة من خروجنا من وادي فيران . اكتشفنا فوق تل يبلغ ارتفاعه حوالي ثلاثين متراً (١٥ قامة) وجود هضبة تحيط بها جبال عالية ، وقد رأيت وسطها كذالك انقاض مساكن قديمة تفتقد الذوق في بنائها ، وقد بنيت هذه بكتل من الحجارة غير المشذبة كما بني جزء منها بالطوب النيء ويوجد في أسفل الجبل بقايا جدار سميك يبدو أنه بني بقصد دعم التربة أو لاستخدامه كسور توجد قمة مغارات في الصخور ، ولكن بداخلها ظلت ناتئة غير مشذبة ويؤكد العربان والرهبان أن المباني الموجودة فوق التل وسط الهضبة هي أطلال مدينة صغيرة كان يسكنها المسيحيون وخربها العربان الذين طردوهم منها ، ويزعم آخرون أن هذه المدينة قد انهارت فوق سكانها الذين وجدت جثثهم تحت انقاضها ، وجاء في رحلة القنصل البريطاني في مصر إلى بلاد الطور سنة ١٩٣٤م ، السيد رابينو ، حول فاران : هناك حديقة وصومعة تابعتان لدير سانت كاترين ، والماء طيب ، وقد جاء ذكر مدينة فاران في التاريخ في القرن الثاني الميلادي ، وكانت مركز أسقفية حوالي ٤٠٠ سنة ، وبعد أن غزا عمرو مصر طرد المسلمون الرهبان المسيحيين المقيمين بفاران ، فأصابها عوامل الفناء ، ثم

انتعشت فترة وجيزة أثناء حكم الصليبيين في القرن الثاني عشر ، وكانت المدينة واقعة على جبل (المحرد) وهو تل صخري يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً ، وكان يحيط بسفحه سور وكانت المباني ممتدة على سفوحه حتى القمة وهي اليوم خرائب ، وكانت الكنيسة في شمالها ، وكان برج في شرقها ، وإلى الشمال من جبل (المحرد) يقع جبل (الطاحونة) الذي يطل على بحيرة ارتفاعها ٢١٥ متراً ، ويقال: إن موسى وقف هناك يصلي أثناء الحرب ضد العمالقة ، وهناك بقايا ثلاث كنائس ، وفي فاران وما يجاورها عدة كهوف كان يعيش فيها النساك ، ومقابر ذات طراز خاص ، فالدور الأرضي منها مكون من أروقة متوازية مغطاة ببلاطات ومفصول بعضها عن بعض بحيطان ضخمة والدور الأول مكون من أروقة متعامدة على الأروقة السفلى ولاتزال الأجساد في بعض هذه المقابر مكانها وهي موضوعة بعضها بجانب بعض في الأروقة ، وجاء في رحلة الدكتور عبدالوهاب عزام : بعد نصف ساعة من الراحة الأولى رأينا أشجاراً ونخيلاً تملأ الوادي فعرفنا أننا في وادي فاران ، وبعد مسيرة خمس دقائق في هذه الخضرة بلغنا ديراً عليه سور قصير وفيه حديقة وهو دير فاران التابع لدير (سانت كاترين) الكبير نزلنا هناك لنستريح في الدير ونرى مافيه . دخلنا الدير فرأينا مجرى ماء بارد عذب فعرفنا أنه ينبوع الحياة في هذه الواحة الكبيرة ، وصعدنا على سفح الجبال المشرفة على الدير فإذا بناء قديم من اللبن وهدم ، وهو بقية كنيسة ورأينا على عدوة الوادي الثانية وفي بسطته انقاض أبنية وآجر وحجارة منثورة قيل : إنها آثار مدينة فاران وصوامع كانت لتعبد الرهبان فيه وهي على ١٢ كيلاً شمالي الطور وعلى ١٣٠ كيلاً إلى الجنوب والغرب من قلعة نخل وهي مذكورة في التوراة في أخبار إبراهيم وموسى ففي سفر التكوين أن اسماعيل سكن برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من مصر ، وفي التثنية : هذه هي البركة التي بارك فيها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق من سعير وتلألأ من جبل فاران ، وأضاف يقول : ورأينا على عدوة الوادي اليسرى أنقاضاً في الجبل يقال : إنها قبور قديمة كان أهل فاران يدفنون موتاهم فيها .

قلت : وعرب سيناء اليوم يعرفون فاران بفيران حولوا ثانيه من ألف إلى ياء ،

وشجر العليق الذي ذكره البكري هي الشجرة التي يذكرون أن موسى عليه السلام آنس عندها النار قال في «لسان العرب»: العليق : نبات معروف يتعلق بالشجر ويلتوي عليه ، وقال أبو حنيفة : العليق شجر من شجر الشوك لا يعظم وإذا نشب به شيء لم يكد يتخلّص من كثرة شوكه وشوكه حُجَزٌ شداد ، قال لذالك سمي عليقاً ، قال : وزعموا أنها الشجرة التي آنس موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيها النار .

الفَرَمــا : قال الاصطخري : الفرما على شط البحيرة وهي مدينة صغيرة وبها قبر جالينوس اليوناني ومن الفرما إلى تنيس نحو فرسخين في البحيرة ، يعني بحيرة تنيس ، قلت : لم يبق من الفرما إلا أطلال وخرائب أثرية تدل على تاريخ عريق ضارب في القدم والحضارة ذكرها الزمخشري ، ولم يزد في ذكره لها على قوله (الفرمى موضع) وجاء حولها في «الموسوعة المصرية»: تسمى أحياناً تل الفرما وهو الاسم العربي للبلدة التي عرفت قديماً باسم بلوزيوم ، وكانت أهم الحصون للدفاع عن الدلتا بين ناحية الشرق وسجل التاريخ اسمها كموقع حدثت فيه مواقع حربية هامة من أهمها المعركة التي حدثت بين جيش المسلمين تحت إمرة عمرو بن العاص وجيش الرومان ، الذي كان يقيم في حصونها في شهر يناير عام ٦٤٠م ، وموقعها خال من السكان حالياً ، وهو على الشاطئ شرقاً من بورسعيد ، ولا نجد فيه إلّا آثاراً قليلة من بقايا حصونها ومعابدها ، وقد كانت عامرة في العصور القديمة لأن أحد فروع النيل القديمة على مسافة سبعة كيلات إلى الشمال الشرقي منها وهو الفرع البيلوزي كان يمر على مقربة منها وكانت محاطة بالحدائق والحقول ، ومازالت آثار بعض ضواحيها باقية إلى اليوم ومن بينها تل الفضة واللولي ويذكر تاريخ مصر في آخر أيام البطالمة أنه عندما جرى الخلاف بين كيلوبترا الشهيرة وأخيها الصغير بطليموس فرت كيلوبترا إلى سوريا حيث جمعت جيشها وسارت به على مصر ووقف أخوها عند الفرما استعداداً للحرب معها (٤٨ ق.م) وعسكر الجيشان بعضهما أمام بعض استعداداً للمعركة ، وفي هذا الوقت بالذات ظهرت سفينة القائد الروماني بومبي ، وكان فارًّا من وجه يوليوس

قيصر وقد أتى ينشد حماية ابن صديقه القديم ولكن بطليموس استجاب لنصيحة قواده فقتلوا ضيفهم الذي يطلب حمايتهم غيلة اعتقاداً منهم بأن ذالك يكفل لهم صداقة يوليوس المنتصر ولكن الأمر كان على العكس .

ومما جاء حول الفرما في كتاب صدر بمناسبة العيد القومي الثاني لمحافظة شمال سيناء عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م أن مدينة الفرما : من أهم المدن التاريخية . تقع شمال غرب قرية بالوظة الحالية بمسافة أربعة أكيال في اتجاه الساحل ، ولها آثار باقية حتى الآن عرفت قديماً بأسماء عدة . والحديث عن الفرما وماورد عنها في الكتب القديمة (الحديثة) لا تتسع له هذه الصفحات .

الفيحـــاء : يعرف هذا الموضع بوادي الفيحى على درب الحاج بين نخل والثّمد في القسم الشرقي من بلاد التيه . قال الجزيري :

وارْحَـل إذَنْ منها إلى الفَيْحـاء   وبــعــدهــا ٱلأبَــارُ لِــلْعَــلاَءِ

وذكرها الشيخ عبدالغني النابلسي في رحلته .

فيفـا خُرَيْـم : الفيفا الصحراء الواسعة وخريم لعلها إخْرم إلى الشمال من نخل مع ميل إلى الشرق في بلاد التيهِ فلعل إخرم محوّرة عن خريم .

وفيفا خريم موضع في التِّيه . قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» في حديثه عن كثير عزّة وأخباره : خرج كثير إلى مصر وعزة بالمدينة فاشتاق إليها فقام إلى بغلة له فأسرجها وتوجه نحو المدينة لم يعلم به أحد فبينا هو يسير في التيه بمكان يقال له فيفاء خريم إذا هو بعير قد أقبلت من ناحية المدينة في أوائلها محامل فيها نسوة وكثير متلثم بعمامة له وفي النسوة عزة فلما نظرت إليه عرفته وأنكرها فقالت لقائد قطارها : إذا دنا منك الراكب فاحبس فلما دنا كثير حبس القائد القطار فابتدرته عزة فقالت من الرجل ؟ قال : من الناس ، قالت : أقسمت قال : كثير قالت : فأين تريد في هذه المفازة ، قال : ذكرت عزة وأنا بمصر فلم أصبر أن خرجت نحوها على الحال التي ترين . قالت : فلو أن عزة لقيتك فأمرتك بالبكاء أكنت تبكي قال : نعم ، فنزعت عزة اللثام عن وجهها ، وقالت : أنا عزة فإن كنت صادقاً فافعل ماقلت فأفحم ، فقالت للقائد : قد قطارك فقاده وبقي كثير مكانه

لا يحير ولا ينطق حتى توارت ، فلما فقدها سألت دموعه وأنشأ يقول :

وقَضَّـيْنَ ماقَضَّـيْنَ ثم تـركْنَني بفَيْفـا خُـرَيْمٍ قـائمـاً أتَلَدَّدُ

في أبيات .

قَبْرُ ابي حُمَيْد ـ القِباب : قال أبو عبيد البكري في ذكر الطريق من مدينة النبي ﷺ إلى مصر على الجادة : إلى أيلة إلى بطن نجد إلى قبر أبي حميد وهو القباب إلى جب عميرة إلى مصر ، وقال في الحديث عن التيه : وأول حدّه مادون قبر أبي حميد وبطن نجد .

قلت : قبر أبي حميد لم يعد معروفاً ، ويبدو أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى أحد الحجاج أو المسافرين ، أو إلى رجل صالح أو مشهور يسمى بأبي حميد : قُبِر في هذا الموضع حتى كان قبره أشهر معلم بنواحيه . وقوله وهو القباب أي أنه هو القباب ويبدو من ذالك أن قبر أبي حميد لم يعد معروفاً وحل بدلاً منه اسم القباب ويدلنا على هذا ماذكره الجزيري من أهل القرن الهجري العاشر نقلاً عن أبي عبيد البكري أن وادي القباب يعرف قديماً بقبر أبي حميد ، وقد انحسر اسم القباب أيضاً عن الوادي ليصبح اسماً لتماثل معروفة في الوادي ، أما الوادي فقد سمي بوادي الحاج لأنه أول وادٍ يلاقيه الحج المصري في سيناء الغربية ينبع من جبل الحيطان شرقاً ويسيل غرباً بجهة السويس ، ذكره نعوم بك شقير فقال وادي الحاج : ينشأ من جبل الحيطان أحد جبال الراحة ويسير متعرجاً غرباً بجنوب إلى أن ينتهي في الترعة عند كوبري السويس ، إذ يغور في الرمال قبل وصوله الترعة ، أي قناة السويس ، قال : ويعرف هذا الوادي في أعلاه بوادي الحيطان لأنه في أعلاه من شرفة الحاج إلى مفرق وادي الحاج مسيرة ساعة ونصف يجري بين جبلين قائمين عند جانبيه كحائطين عظيمين ، وله فروع كثيرة أهمها وادي أبو صوان ووادي الطوال ووادي الجايفة ووادي أبو ينتون . ولوادي الحاج ذكر كثير باسمه القديم أي القباب في الرحلات الحجازية .

القِبـــاب : هو وادي القباب الذي يعرف اليوم بوادي الحاج غربي نخل في القسم الغربي من بلاد التيه باتجاه السويس . قال الشيخ بدر الدين بن جماعة :

ولـمّا رأت وادي القباب تبادرت وفي نخل أمست وطاب مساها

←

٢٨٨ ـ بابُ حِمْصَ ، وحِمَّص ، وَحَمْض(١)

أمّا الأوّلُ : بِكَسْرِ الْحَاءِ وسُكُونِ الْمِيْمِ : ـ الْبَلْدَةُ الْمَشْهُوْرَةُ بالشَّام ، نَزَل بها جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ ، وَلَهُمْ تَارِيْخٌ ، وَهيَ في قَدِيْمِ الزَّمَانِ كَانَتْ أَذْكَرَ مِنْ دِمَشْقَ(٢).

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : بَابُ حَمْض وَحَمَض وحِمْص .

(٢) قَالَ نَصْرٌ : حِمْصٌ . . . مِنْ أَجْنَادِ الشَّام . وسَمِعْتُ أبَا مُحَمَّد الأثيريّ يَقُولُ : بِالْمَغْرِب بَلَدٌ يُقَالُ لها حِمْصَ أيضاً . وأطالَ صَاحِبُ «معجم البلدان» الكَلامَ عَلَى حِمْص ، إلاّ أنّهُ أتى بِأَهْلِهَا بِمَا يَظْهَرُ أنَّهُ مِنْ آثارِ ما يَحْدُثُ بَيْنَ أهْلِ الْبَلَدَيْنِ الْمُتَجَاوِرَيْنِ . فياقُوتُ حَمَوِيٌّ ، ولكنَّ ما أتى بِهِ غريبٌ مِنْ عَالِمٍ هدَفُهُ الحقُّ والإنْصَاف وأوْرَدَ شِعْرًا لَهُ صِلَةٌ بِمَوَاضِع في الْجَزِيْرَة يَحْسُنُ إيْرَادُهُ ـ قالَ عبدالرحمن :

خَلِيلَيَّ إنْ حَانَتْ بِحِمْصَ مَنِيَّتِي ... فَلاَ تَدْفِنَانِي وارْفَعَانِي إلى نَجْدِ
ومُرَّا عَلَى أَهْلِ الْجَنَابِ بِأَعْظُمِي ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْجَنَابِ عَلَى الْقَصْدِ
وَإِنْ أَنْتُمَا لَمْ تَرْفَعَانِي فَسَلِّمَا ... عَلَى صَارَةٍ فَالْقَوْرِ فَالأَبْلَقِ الْفَرْدِ
لَكَيْمَا أرى الْبَرْقَ الَّذِي أَوْمَضَتْ لَهُ ... ذُرَى الْمُزْنِ عُلْوِيًّا، وَمَاذَا لَنَا يُبْدِي =

→ وقال الجزيري :

وإن أتـيـت وادي الـقـبـاب ... من بكـرة النّهار بـالأصحاب
فسر ولا تـقـعـد بـقـدر ذرة ... وبت مع الركب برأس الثّغرة

وقال شاعر :

شاقنا وادي القبـاب المرتضى ... في اسمه وهو فسيح في الرّبى
فـوصلنـاه وقـد قـلنا عسى ... بـعـده نـأتي إلى وادي قُـبـا

القُرَيْـــص : وادي القريص في شرقي بلاد التيه بين نخل ورأس النقب ، قال شاعر :

في وادي القـريّص كم سـائـر ... من غـير نعـل ثـابت الكعب
قد صار كـالأعجام من شـوكه ... يرقص من قَرْصٍ على الكعب

(للبحث صلة) العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

وأَمَّا الثَّانِي : بِكَسْرِ الْمِيْمِ وَتَشْدِيْدِهَا ـ: دَارُ الْحِمَّصِ سُوْقٌ بِمِصْرَ عِنْدَ الْمُرَبَّعَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيْرٍ الْحِمَّصِيُّ الْمِصْرِيُّ ، ذَكَرَهُ أَبُو سَعِيْدِ بْنِ يُوْنُسَ فِي تَأْرِيْخِ مِصْرَ ، وَ[قَالَ]: كَانَ يَسْكُنُ دَارَ الْحِمَّصِ الَّتِي فِي الْمُرَبَّعَةِ ، فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ مَوْلَى بَعْضِ آلِ غُشَيْمٍ ، مَوْلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ الأَنْصَارِيِّ ، كَانَ مُوَثَّقاً عِنْدَ الْقُضَاةِ(٣).

وأَمَّا الثَّالِثُ : بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُوْنِ الْمِيْمِ وَآخِرُهُ ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ـ: وَادِي حَمْضٍ قَرِيْبٌ مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ(٤).

---

* كَذَا نَسَبَ الأَبْيَاتَ هُنَا إِلَى عَبْدِالرَّحْمٰنِ ، وفِي رَسْمِ الْجَنَابِ نَسَبَهَا لابن دارة وهما اثْنَانِ عَبْدُالرَّحْمٰنِ وسَالِمٌ .

(٣) لم يَذْكُرْ نَصْرٌ هَذَا الْمَوْضِعَ وأَوْرَدَ فِي «مُعْجَم البلدان» نَصَّ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ بِدُوْنِ زِيَادَةٍ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَبَّعَةَ فِي مَوْضِعِهَا مَعَ ذِكْرِهِ مَوَاضِعَ تُسَمَّى بِهَذَا الاسْمِ ، وهي في «المعجم» (المربغة) الغين مُعْجَمَةً كما فِي الْمَخْطُوطَة الثانِيَةِ مِنْ كِتَابِ الْحَازِمِيِّ . وَفِي «القَامُوس» وشَرْحِهِ : وإبراهيم بنُ الحجّاج بْنُ مُنِيْرٍ الحِمِّصي المِصْريُّ لِسُكْنَاهُ دَارَ الْحِمَّصِ الَّتِي فِي الْمُرَبَّعَةِ بِمِصْرَ ، وَكَذَا عَمُّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيْرٍ الْحِمَّصِيُّ ، رَوَيَا ، ذَكَرَهُمَا ابْنُ يُونُسَ فِي «تَأْرِيْخِ مِصْر». وزَادَ السَّمْعَانِيُّ النِّسْبَةَ إِيضاحاً فَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيم بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ مُنِيْرٍ الْحِمَّصِيِّ : هذا الرَّجُلُ كَانَ يَقْلِي الْحِمَّصَ وَيَبِيْعُهُ ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالْقَلَّاءِ وقال عن عَبْدِالله بن مُنِيْرٍ : وَكَانَ يَسْكُنُ دَارَ الْحِمَّصِ الَّتِي فِي الْمُرَبَّعَةِ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ـ إلى آخر ماذكر ـ نَقْلاً عن «تاريخ المصريين» لابن يُونُسَ .

(٤) عِنْدَ نَصْرٍ : وَادِي حَمْضٍ قُرْبَ الْيَمَامَةِ . وبِفَتْحِ الْمِيْمِ : مَنْزِلٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ والْبَحْرَيْنِ مِنْ شَرْقِيِّ الدَّهْنَا ، وقِيْلَ : بَيْنَ الدَّوِّ والسَّوْدَةِ ، وأَظُنُّ أَنَّهُ الَّذِي بالسُّكُوْنِ . انتهى وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ فِي «المعجم» نَصَّ كَلَامِ الحَازِمِيِّ بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ ـ كما ضَبَطَهُ ـ ولَمْ يَزِدْ . وَقَالَ : حَمَضٌ ـ بِفَتْحَتَيْنِ وعُرَيْقٌ ـ بالتَّصْغِيرِ ـ: مَوْضِعَانِ بَيْنَ الْبَصْرَةِ والْبَحْرَيْنِ ، وَقَالَ نَصْرٌ ـ وَأَوْرَدَ كَلَامَهُ إِلَى السَّوْدَةِ ـ وجَعَلَهَا (سودة) وَزَادَ : وَهُوَ مَنْهَلٌ وقَرْيَةٌ عَلَيْهَا نُخَيْلَاتٌ لِبَنِي مَالِكِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

يَا رُبَّ بَيْضَاءَ لَهَا زَوْجٌ حَرَضْ   حَلَّالَةٍ بَيْنَ عُرَيْقٍ وَحَمَضْ

تَرْمِيكَ بالطَّرْفِ كَمَا تَرْمِي الْغَرَضْ

وحَمَضٌ هذا لايَزَالُ مَعْرُوفاً . وَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْهُ بِتَوَسُّعٍ في قسم (المنطقة الشرقية) مِنَ «المعجم الجغرافي» وَمِمَّا قُلْتُ : حَمَضُ الآنَ يُطْلَقُ عَلَى آبَارٍ وَاقِعَةٍ فِيْمَا كَانَ يُعْرَفُ قَدِيْماً بِاسْمِ النِّقَارِ ، شَمَالَ مَنْهَلِ النُّقَيْرَةِ بِنَحْوِ خَمْسَةَ عَشَرَ كِيْلاً ، فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ أُبَرِقِ الْكِبْرِيتِ (بِقُرْبِ خَطِّ الطُّول: ١٠/٤٨° وخط الْعَرْضِ : ٥٩/٢٧°ـ وَهُوَ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّوْدَةِ والدَّوِّ (الدِّبْدِبَة) عَلَى طَرِيقِ الْمُتَّجِهِ مِنَ الأَحْسَاءِ (الْبَحْرَيْنِ قَدِيْماً) إِلَى الْكُوَيْتِ فَالْبَصْرَةِ ، وفي ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٨هـ حَدَثَتْ مُنَاوَشَةٌ فِيهِ بَيْنَ الإِخْوَانِ وبَيْنَ الْجَيْشِ الْكُوَيْتِيِّ فَانْهَزَمَ هذا الْجَيْشُ ، وبُنِي حَوْلَ الْكُوَيْتِ سُوْرٌ مَنِيْعٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ ذَالِكَ الْعَامِ .

٢٨٩ ــ بابُ حِمَّانَ ، وخَمَّانَ ، وجُمَانَ[١]

أمّا الأوّلُ : بِكَسْرِ الْحَاءِ بَعْدَهَا مِيمٌ مُشَدَّدَةٌ ـ: بَنُو حِمَّانَ مِنْ مَحَالِّ الْبَصْرَةِ ، سَكَنَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَنُسِبُوا إِلَيْهَا ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وهم بَنُو حِمَّانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةِ بْنِ تَمِيمٍ ، واسْمُ حِمَّانَ عَبْدُ الْعُزَّى[٢] .

وَأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ مَاقَبْلَهُ ـ: نَاحِيَةٌ بِالْبَثَنِيَّةِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ[٣] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا مِيمٌ مُخَفَّفَةٌ ـ: جُمَانُ الصُّوَى مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ[٤] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْخَاءِ : (بابُ خَمَّانَ ، وجُمَانَ ، وخِمَارٍ ، وحِمَارٍ ، وخَمَّارٍ ، وجُمَّازٍ ، والْجِمَارِ) .

(٢) لَمْ أَرَهُ فِي كِتَابِ نَصْرٍ ، وَهُوَ فِي «المعجم» غَيْرَ مَنْسُوبٍ بِنَصٍّ : وَقَدْ سَكَنَ هذِهِ الْمَحَلَّةَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِن الْقَبِيلَةِ .

(٣) هو نَصُّ قَوْلِ نَصْرٍ ، وَمِثْلُهُ فِي «الْمُعْجَمِ» وَقَالَ مُؤَلِّفُهُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعْلَانَ مِنْ خَمَّ الشَّيْءُ إِذَا تَغَيَّرَ مِنْ أَصْلِهِ ، لِنَدَاوَةٍ نَالَتْهُ أَوْ حَرٍّ لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يُجَفِّفَ . وَنَقَلَ عَنِ الْعِمْرَانِي قَوْلَهُ : خِمَانُ ـ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَتَخْفِيفِ ثَانِيهِ وَآخِرُهُ نُونٌ : جِبَالٌ فِي بِلَادِ قُضَاعَةَ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ ـ وَأَضَافَ : وَأَخَافُ ان يَكُونَ الَّذِي قَبْلَهُ وَقَدْ صَحَّفَهُ ، عَلَى أَنَّهُ ذَكَرَهُمَا جَمِيعاً . والْبَثَنِيَّةُ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَذْرِعَاتٍ .

(٤) كَقَوْلِ نَصْرٍ ، وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ سِوَى : وَالْجُمَانُ خَرَزٌ مِنْ فِضَّةٍ . وَقَالَ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ الْأَكْوَعُ فِي «الْبُلْدَانِ اليمانيّة» عِنْدَ يَاقُوتٍ عن: جُمَانِ الصُّوى : غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ .
وَمَا زَادَهُ نَصْرٌ : ـ وتَقَدَّمَ فِي حَرْفِ الجيم مِنْ كِتَابِ الْحَازِمِيِّ :
١ ــ خِمَار ـ بِخَاءٍ مَكْسُورَةٍ وآخِرُهُ رَاءٌ ـ: ذَاتُ الْخِمَارِ نَاحِيَةٌ تِهَامِيَّةٌ . وَفِي «معجم البلدان» مَوْضِعٌ بِتِهَامَةَ ذَكَرَهُ حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ فَقَالَ:

وَقَدْ قَالَتَا : هذا حُمَيْدٌ وَأَنْ يُرَى   بِعَلْيَاءَ أَوْ ذَاتِ الْخِمَارِ عَجِيبُ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَمَرِ ، وَهُوَ مَاوَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ وَادٍ او جَبَلٍ ، وفي كتاب أبي زِيَادٍ : ذَاتُ الْخِمَارِ بِكَسْرِ الْخَاءِ ، وَأَنْشَدَ لِحُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ .

وَقَائِلَةٍ زَوْرٌ مُغِيبٌ وأَنْ يُرَى   بِعَلْيَةَ أَوْ ذَاتِ الْخِمَارِ عَجِيبُ

وَفِي «معجم ماستعجم»: ذَاتُ الخِمَارِ ـ عَلَى لَفْظِ خِمَارِ الْمَرْأَةِ ـ: مَوْضِعٌ تِلْقَاءَ عَلْيَاءَ وَأَوْرَدَ قَوْلَ حُمَيْدٍ عَلَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى ، وَلَمْ يُحَدِّدْ (عَلْيَاءَ) غَيْرَ مُعَرَّفَةٍ ـ فِي مَوْضِعِهَا ـ وَتَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ فِي (حَرْفِ الْجِيمِ) الْخَمَارُ ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ ـ وَأَوْرَدَ بَيْتَ حُمَيْدٍ عَلَى الرِّوَايَةِ الأولى أيضاً .
٢ ــ حِمَار ـ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ : وَادٍ يَمَانٍ ، وَعِنْدَ يَاقُوت : وادٍ بِالْيَمَنِ ، وقَالَ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ الْأَكْوَعُ فِي «الْبُلْدَانِ الْيَمَانِيَّةِ»: لَعَلَّهُ وَادٍ بِالْجَوْفِ وَفِيهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ : أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ ـ كَذَا قَالَ وَنَصُّ =

٢٩٠ ــ باب خَنِيف، وَخَيْنَف[1]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَكَسْرِ النُّونِ ـ: وَادٍ يُذْكَرُ فِي الشِّعْرِ[2].

وأَمَّا الثَّانِـيْ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ثُمَّ نُوْنٌ مُخَفَّفَةٌ ـ: وَادٍ بِالْـجَزِيْرَةِ .

= الرجوعُ إلى كُتُبِ الأَمْثَالِ في هذا ـ وَتَقَدَّمَ الكَلامُ على هذا .

٣ ــ حَمَّار ـ بِفَتْحِ الْـحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وتَشْدِيْدِ الْـمِيْمِ : مِنْ أَرْضِ الْـجَزِيْرَةِ ؛ وَمِثْلُهُ قَالَ الْـحَازِمِيُّ وَيَاقُوتُ بِدُوْنِ زِيَادَةٍ .

٤ ــ جَمَّاز ـ بِفَتْحِ الْـجِيْمِ وَتَشْدِيْدِ الْـمِيْمِ وآخِرُهُ زَايٌ ـ: بَلَدٌ بَحْرِيٌّ فِي جَزِيْرَةٍ تُوَاجِهُ الْيَمَنَ قَرِيْبَةٍ مِنْهُ . وَلَـمْ يَأْتِ يَاقُوتُ بِمَا يَزِيْدُ إِيْضَاحاً وَلَمْ يَأْتِ الْهَمْدَانِيُّ فِي «صفة جزيرة الْعَرَبِ» وهُوَ الْـحَفِيُّ بِذِكْرِ الْـمَوَاضِعِ الْيَمَنِيَّةِ بِذِكْرِ هَذَا الْبَلَدِ ، ولكِنَّهُ ذَكَرَ مَوْضِعاً بِمِنْطَقَةِ سُدَيْرٍ فقال ـ ٢٨٥ ـ: ثُمَّ تُسْنِدُ فِي عَارِضِ الفَقْيِ فَأَوَّلُ قُرَاهُ جَمَّاز ـ والْفَقْيُ هُوَ سُدَيْرٌ فِي شَمَالِ عَارِضِ الْيَمَامَةِ .

٥ ــ جِمَار ـ بِكَسْرِ الْـجِيْمِ وَآخِرُهُ رَاءٌ ـ: الْـجِمَارُ الثَّلاثُ بِمِنَى . وَقَالَ صاحِبُ «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: جِمَارٌ ـ جَمْعُ جَمْرَةٍ وَهِيَ الْحَصَاةُ ـ اسْمُ مَوْضِعٍ بِمِنَى ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْـجَمَرَاتِ الثَّلاثِ ، قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : سُمِّيَتْ بِذَلِكَ حِيْنَ رَمَى إبراهِيمُ الْـخَلِيْلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِبْلِيْسَ فَجَعَلَ يَجْمُرُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ـ أَيْ يَثِبُ ـ وَكَانَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ :

وَإِذَا حَرَّكْتُ غَرْزِيْ أَجْمَرَتْ

وقال الشَّاعِرُ :

إِذَا جِئْتُـمَا أَعْـلَى الْـجِمَـارِ فَعَـرِّجَـا ... عَـلَى مَنْـزِلٍ بِـالْـخَيْـفِ غَـيْرِ ذَمِيْـمِ

وَقُـولَا سَقَـاكَ اللهُ عَنْ ذِيْ صَبَـابَـةٍ ... ـ إِلَيْـكَ عَلَى مَـا قَدْ عَهِدْتَ ـ مُقِيْمِ

(١) بِنَصِّهِ فِي كِتَابِ نَصْرٍ .

(٢) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ على (وَادٍ) . وَيَاقُوتُ قَالَ ـ بَعْدَ تَفْسِيْرِ الْـخَنِيْفِ ـ: وَخَنِيْفُ اسْمُ وَادٍ .

(٣) وَكَذَا قَالَ نَصْرٌ . وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ شَاهِداً مِنْ شِعْرِ الْأَخْطَلِ :

أَتَعْـرِفُ الْيَـوْمَ مِـنْ مَـاوِيَّـةَ الـطَّلَلَا ... تَحَمَّلَتْ إِنْسُـهُ عَنْـهُ، وَمَـا احْتَمَـلَا

بِبَـطْنِ خَيْنَفَ مِـنْ أُمِّ الْـوَلِيْـدِ وَقَـدْ ... تَـامَـتْ فُؤَادَكَ أَوْ كَـانَـتْ لَـهُ خَبَـلَا

وَأَغْرَبَ الْبَكْرِيُّ فِي «معجم ما استعجم» فَقَالَ: خَيْنَفُ وَادٍ بِالْـحِجَازِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ :

حَتَّى لَحِقْنَـا وَقَـدْ زَالَ النَّهَـارُ وَقَـدْ ... صَـالَتْ بِهِنَّ بِـأَعْـلَى خَيْـنَفَ الْبُـرَقُ

سبيع : بطونها وبلادها

[بعث الأخ فُهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي بحثاً مطولاً عن قبيلة سبيع أورد فيه كثيرا من المعلومات المتعلقة بهذه القبيلة قديماً وحديثاً ، واستعرض آراء عديدة حول أصلها ونسبها ، ورغب نشر ما يصلح للنشر منه في هذه المجلة ، ومن ذالك البحث نقتطف بعض هذه المعلومات عن قبيلة سبيع لأن الأخ فهيد من أبناء هذه القبيلة ، وكما جاء في المثل : (أَهْلُ شُعَبَى أدرى بشعابها) .

وقد رغبت المجلة منه أن يكتب بحثاً منسقاً وافياً في الموضوع ، وهاهي تنشر ملخصاً مما بعث به مع عدم التوسع في إيراد بعض الآراء التي تحتاج إلى تمحيص وتدقيق وتحقيق مما جاء في البحث :].

١ ــ الْعِتَــرَةُ : فخذ من أفخاذ بادية قبيلة الْقُرَيشات ، التي تستوطن وادي تُرَبَة مما يقع في بلاد سبيع ، وليس لهم أو لعشيرتهم وجودٌ في وادي رَنْيَة أو في قراه ، عدا جُذُوْر القربى التاريخية التي تربطهم بالزُّكُور ، كبقايا من فروع كعب ابن ربيعة ، ومثلهم بنو ثَوْرٍ في وادي تُرَبَة ، إذ لاتزال أواصر القربى وعواطفها بين تلك الفروع قائمة ، وماذكرته عن الْعِتَرَة لايغض من شأنهم فهم أخوال كاتب هذه السطور ، وهم أعزة كرام ، ولكنني أردت إيضاح الثابت بشأنهم .

٢ ــ كتب الأنساب وسائر المراجع لم تذكر لعامر بن صعصعة من الأبناء أو الحفدة من يدعى سُبَيْعاً .

٣ ــ يقال : **(أولاد علي)** : ولا يقال : (بنو علي) ، وأولاد علي هم عمادُ الزُّكُور ، وفيهم نخوتهم ونداؤهم في الحرب (يَاالأَدْ علي) وتلك دعوتهم الشاملة الجامعة مذكورة في تراثهم وأخبارهم منذ العهد القديم قال راضي بن رشود الصندلي العميري من قصيدة طويلة :

(أولاد عـلي) قدمهـا ممسي لهـا ... إلى من غَشَى شهبَ النجوم ظْلاَلْهَا
ربعٍ حَمَوْا (رَنْيَهْ) من الشام واليمن ... سيوف هندٍ في اللقاء يُغْنَى لها

وقال شذي المجمعي الزكري من قصيدة له :

(أولاد علي) على عزمي والعصابة يسعد أهل هجين إلَى خَتّغْنِي

ومن قصيدة لابن قطنان شيخ المراغين من الزكور :

أنا احمد الله يومهم لآبَة لِـي (أولاد علي) اللي يرسون الآمْدَار

٤ ـ **(الغلباء) في سبيع** : مسمى تدعى به هذه القبيلة منذ القديم ، ورد ذكره في الأشعار والأخبار المتناقلة ولايزال حتى اليوم ، ولا أراه يختص بقوم دون آخرين من سُبَيع ، والبعض يَدَّعِـي أنه نِخْوة أو شعار أو صفة ، وقالوا أيضاً : إن هناك نخوة لسبيع هي (خيال الْعَرْفَا سبيعي) . ومن الشعر القديم الذي ذكر الغلباء من سبيع قول خدعان المشعبي :

لينِـي على صَفْراً تشـوقَ الْبَالْ ومِـزَرِّجٍ نَـقْـلِهْ مـنَ الـلذاتْ
نطعن من اجْلِ دقّها الاجهال واللِّيْ بها دُوْنَ الْـجَمل خَلْفَاتْ
لعيـون شُـوْلٍ لِلْغضَـا دِهَّـالْ تَبْرَى له (الْغَلْبَا) عَلَى الـزُّلْبَاتْ

وقول ابن مخشوش السبيعي :

أعـدّ فعـايـلْ لأبْتِـي لاَعَـدِبْتهُمْ وافْخَرْ بهم لاَحَلَّ قَوْلَ الْقَايِـلْ
إنا من (الغلبا) سبيع آل عامر أهل الشجَاعَة والْفُعُولَ الْـجَزَايِلْ

من قصيدة طويلة .

٥ ـ **الزُّكُوْر** : والزكور هاؤلاء بطون متعددة ، ترجع في انتماءتها وجذورها إلى أحياء قديمة من مختلف تفرعات فرعي ربيعة بن عامر بن صعصعة كعب وكلاب ، ولعل غالبهم كما تشير بعض المصادر من بني عُقَيْلٍ بن كعب بن ربيعة ، وهذا لا يمنع دخول فروع أخرى من بني عامر أو حتى امتزاجهم بعناصر أُخرى من غيرهم ، والزكور الآن هم سكان مدينة رَنْيَة قاعدة الوادي .

وهذه فروع قبيلة الزكور ومن لف لفهم في رنية :

أولاً : الْـمَجَامِعَةُ : واحدهم مَجْمعِي ، وأميرهم فيحان بن منيع : ـ وهم :

أ ـ الوثالين ـ واحدهم وثلاني ـ منهم : ـ

١ ـ آل باتل ، آل ظافر ، وهما آل مجري ، وآل زوير .

٢ ـ آل عمرو ، وهم : آل طماح ، وآل محمد ، وآل الحميدي .

٣ ـ آل ظوفر ، وآل هادي .

٤ ـ آل وتيران ، وآل وندان ، منهم آل هذلي .

٥ ـ القطانين ، منهم آل فريعة وآل مصاول .

٦ ـ الثقيبات ، منهم آل سويدان ، وآل خريف ، وآل دخيل ، وآل جمعان .

٧ ـ آل دغيم ، منهم آل سهل .

٨ ـ الزيابيد ، منهم آل حشر ، وآل جيشان .

٩ ـ الحواين ، منهم آل معطش (آل سريع) وآل سحيم ، وآل معيطش الوعلان .

١٠ ـ الشنافين ، منهم آل عبدالرحمن وآل عمرو ، وآل جهم ، وآل برجس ، وآل دهيم .

ب ـ الطوارشة ـ واحدهم طويرشي ـ ومنهم : ـ

١ ـ آل حسن (آل عوير) . ٢ ـ الجغاثمة، وآل جنبان، وآل غانم .

٣ ـ السلاميين، وآل منيس .

٤ ـ آل فهاد .

جـ ـ المخاضير ـ واحدهم مخضاري ـ منهم : ـ

١ ـ آل فهيد . ٢ ـ آل دايل .

د ـ المنيفات ـ واحدهم منيفي ـ منهم : ـ

١ ـ المشانين ، آل قذلان ، آل مجري .

٢ ـ الغيادين ، آل بطي ، والمداعثة .

٣ ــ الغرابات . ٤ ــ آل ماضي . ٥ ــ الرداعين .

و ــ الوركان ، منهم : -

١ ــ آل حمد ، وآل شريران . ٢ ــ آل مناع . •

هـ ــ الشيابين - واحدهم شيباني - وليس لهذا المسمى علاقة بشيابين عتيبة ، فهم مجامعة ، زكور، ولهذا المسمى قصة خاصة ، ومن أفخاذهم : -

١ ــ الحباجبة ، منهم العمس والجعابية وآل برجس وآل سدحان .

٢ ــ آل كليب . ٣ ــ الحققة - واحدهم حقي .

٤ ــ آل زامل . ٥ ــ آل صوان .

ثانياً : الفراعنة (المورکة) قديماً - «العرب» ٢١/٥٣٨ - وهم مايلي :

أ ــ عبيد ، وهو جاهر ، وإليه ينسب أكبر بطون الموركة (الجهران) واحدهم جهري ، منهم :

١ ــ آل مجير .

٢ ــ آل ذيخ ، وفيهم كانت زعامة الْـجُهَّر لعموم القبيلة وهي زعامة وراثية عريقة وكان آخرهم الشيخ ناصر بن محبوب الجهر .

٣ ــ آل براك . ٤ ــ آل ناهض، منهم آل شبيب .

٥ ــ آل عشتل منهم آل خجيم . ٦ ــ السعادية واحدهم سعدى

٧ ــ الزنانيح واحدهم زنوح . ٨ ــ آل قيلان .

٩ ــ السلايين . ١٠ ــ المهاريس واحدهم مهراس

١١ ــ آل رباح ١٢ ــ الدماعين .

١٣ ــ البدرة .

ب ــ الطلاحين - واحدهم طلحاني - ونائبهم سعد بن فراح بن محسن ، وهم : آل مشبب - منهم :

١ ـ آل محسن . ٢ ـ آل بداح .
٣ ـ آل ناصر . ٤ ـ آل منصور .
٥ ـ آل شريم .

ـ آل شويِّع ـ بتشديد الياء ـ منهم :

١ ـ آل تركي . ٢ ـ آل شويِّع .
٣ ـ آل مرزوق . ٤ ـ آل سعد .
٥ ـ آل عبدالله (آل رميزان).

جـ ـ القنافذة واحدهم قُنيفذي ـ منهم : ـ

١ ـ آلمعطش(آلمفرق)قديماً . ٢ ـ آل شباط (آل خالد).
٣ ـ البشارين واحدهمبشراني . ٤ ـ النشيرات .
٥ ـ آل هريس .
٦ ـ آل مانع .
٧ ـ آل مهدرس ـ منهم الشاعر فارس بن مهدرس ـ يرحمه الله .
٨ ـ آل درع . ٩ ـ آل نادر منهم آل ثعلي.
١٠ ـ العضبان واحدهم عضب .

د ـ الشهالين ـ واحدهم شملاني ـ وفيهم إمارة عموم القبيلة حالياً ، منهم عبيد ابن شديد بن ذبيان ، ومنهم :

١ ـ آل ذبيان (آل إبراهيم). ٢ ـ آل حمود .
٣ ـ الزواحم . ٤ ـ المراجيع .

هـ ـ الغضاوين ـ واحدهم غضياني ـ من أفخاذهم : ـ

١ ـ آل رماح . ٢ ـ آل مليس .
٣ ـ الضرسة . ٤ ـ آل بصيص .
٥ ـ آل ردعان . ٦ ـ آل سعود .
٧ ـ المشالحة .

ثالثاً : المراغين - واحدهم مرغاني - منهم : -

١ ـ القطانين وفيهم مشيخة القبيلة وشيخهم سعد بن ناصر القطنان .

٢ ـ آل غرابان ، منهم المعابيد .

٣ ـ الصنادحة من الـجُمَيْلات نسل فيصل الْـجُميلي - انظر «العرب» ٢٠/٤٢٤ -.

٤ ـ الجلمان واحدهم جليم .

رابعاً : الشماسات واحدهم شماسي من الزكور .

أ ـ في رنْيَة منهم :

١ ـ النعسة - واحدهم نعيسي - وفيهم رئيس القبيلة حالياً سعد بن مقعد بن نعيس .

٢ ـ البعاجين .

٣ ـ الجوارية - واحدهم جويرية .

٤ ـ البعاضا ، منهم آل دحيان والطهاميز - واحدهم طهماز -.

٥ ـ القواشين وهاؤلاء انقرض معظمهم أو جلهم تقريباً ، منهم ابن جازع .

ب ـ الشماسات خارج رَنْية : القبابنة - واحدهم قباني ومنهم : -

١ ـ آل قويزاني في الحريق .

٢ ـ آل مسرع في الحلوة .

٣ ـ آل ابن علي في الحلوة .

وفي أسفل الباطن بالحوطة أسر من القبابنة الزكور منهم :

١ ـ آل جليميد .

٢ ـ آل دابان .

٣ ـ آل مساعد .

٤ ـ آل فراج .

٥ ـ آل عويضة .

٦ ـ آل عمر - «العرب» ٢٤/١٣٥ -.

خامساً : الوِزْران ـ واحدهم وِزْري ـ من أفخاذهم : ـ

١ ـ الحراملة ـ واحدهم حرملي ـ منهم رئيس القبيلة حالياً عبدالله بن رميزان بن عبدالله الوزري .

٢ ـ الدواغرة ، ومنهم آل جبيلان في الأحساء ، وآل هتلان في الثقبة من المنطقة الشرقية .

٣ ـ آل عنان ، ومنهم آل وصل ، وآل دخيل في الأحساء .

٤ ـ الصعبة وهم قلة جداً منهم عبدالله بن صعب وفلاح .

٥ ـ السواسنة كذالك منهم أبو شاتين .

٦ ـ الزبادين كذالك منهم ابن دليبح .

٧ ـ الكرابيج كذالك منهم ابن طلميس .

٨ ـ الغوالبة ، ومنهم آل دخنان في حوطة بني تميم ، انتقلوا إليها من رَنْيَة في القديم .

سادساً : الـمُلُوح ـ واحدهم ملحي ـ منهم : ـ

١ ـ الوهاطين وفيهم مشيخة القبيلة ، منهم حالياً الشيخ مناحي بن دغيم بن وهطان .

٢ ـ العضادين .

٣ ـ آل هيف .

٤ ـ النباعين .

٥ ـ آل سعيد .

٦ ـ المجارسة .

٧ ـ آل وهيطة وهم غير الوهاطين .

سابعاً : آل محمد واحدهم محمدي ـ منهم : ـ

١ ـ الزهاوين واحدهم زهيَّاني .

٢ ـ الضهانين .

٣ ـ الربايع .

٤ ـ الخواطرة .

٥ ـ آل عجين .

٦ ـ الْـمُطْرَان ـ بضم الميم وسكون الطاء ـ منهم آل عسل والرداعين .

٧ ــ المهادية ـ واحدهم مهدي . ٨ ــ المساورة منهم البطاحين.
٩ ــ آل عُمَيْر وهم غير آل عمير (بُرَيْهَة).

ثامناً : السُّوَدَةُ ـ واحدهم سُوَيْدِي ـ منهم :

أ ــ المشاهيب ـ واحدهم مشهابي ـ منهم :

١ ــ آل محمد وفيهم البواحص ، منهم الشيخ فيحان بن طامي آل باحص حالياً .
٢ ــ الوساما . ٣ ــ التعابين ـ واحدهم تعيبان ـ.
٤ ــ الشماعيل .

ب ــ المحاورة ـ واحدهم محيوري ـ منهم :

١ ــ آل داخل . ٢ ــ الذياخين . ٣ ــ الغواة واحدهم غاوي.

جـ ــ آل عاتب ـ واحدهم عاتبي ـ وفيهم العدد ـ منهم :

١ ــ آل سعد. ٢ ــ الضبابين. ٣ ــ المسارعة.

د ــ الفصلات ـ واحدهم فصلاني ـ منهم : ـ

١ ــ آل شداد. ٢ ــ آل معرد .

هـ ــ الشموس ـ واحدهم شمسي ، منهم : ـ

١ ــ الدلاقمة ـ واحدهم دليقم.
٢ ــ الشوايعة. ٣ ــ المناغصة. ٤ ــ السماحين.

تاسعاً : الرُّوَبَة ـ واحدهم رُوَيْبي ـ منهم :

أ ــ بنو قرة ، منهم القراوين ، وفيهم مشيخة القبيلة الشيخ مترك بن نايف بن قريان حالياً ومنهم :

١ ــ الخشمان . ٢ ــ السراحين ـ واحدهم سريحان .

٣ ــ البهشة . ٤ ــ آل فريريج ـ بالتصغير ـ.
٥ ــ السنينات . ٦ ـ البدان .

ب ــ بنو بعجة ، ومن أفخاذهم :

١ ــ الفياحين. ٢ ــ آل هويدي. ٣ ــ آل مطلق .
٤ ــ آل مدعث .
٥ ــ المغاليث ـ واحدهم مغلوث ـ هؤلاء استوطنوا الأحساء قديماً .

جـ ــ البدنة ، وهم غير البدان منهم :

١ ــ آل سنان . ٤ ــ الطوال .
٢ ــ الجهايمة . ٥ ــ الخنشل .
٣ ــ آل جلال .

ويؤكد شيخ الرُّوَبَة على أن مَليح الموجودين حالياً في نواحي رماح والمنطقة الشرقية والقطيف أنهم من الروبة هاؤلاء ، وقد استوطن الأحساء في المبرز مختلف أفخاذ من الرُّوبة لايزالون من سكانه . انتهى .

عاشراً : الجهوم ـ واحدهم جهمي ـ هاؤلاء معظمهم ـ إن لم يكن كلهم ـ الآن في نواحي بِيشة ، ومنهم في القديم من يحُلّ الأطراف الغربية الجنوبية من وادي تَثْلِيث ، ويزعم البعض أنهم من بقايا بني هلال بن عامر ، التي انضوت تحت مسمى قبيلة سبيع المعروفة ، ويسكن شيخ شمل هذه القبيلة في قرية الْـمَدْرَاء من قرى بيشة ، ويدعى منيس بن ناصر المقيطيف ، ونائب الجهوم في رنية يدعى مسلط بن فرزان الجهمي ، وأملاك الجهوم في رنية قليلة بالنسبة لغيرهم ، ولهم مورد بقعا في الطرف شمال غرب رنية ـ «العرب» ٢١ /٥٤٦ ـ.

٦ ــ آل عُمَير (بُرَيْهة) هم سكان عليا وادي رنية وروافده لجهتيه الشمالية والجنوبية ، إذ يخترق الوادي في انحداره الطرف الجنوبي من حرة بني هلال ،

والمرتفعات الملاصقة لها ، لذا فهم يحلون نواح من الحرة في موضعهم المذكور شمالاً عبر الحرة حتى مشارف الْغَرِيف من وادي تربة إذ يختلطون بإخوتهم من سكانه في الحرة من بني عَمْرٍو وسبيع الخرمة ، ومنهم شمالاً شرقياً تحل الصُّمَلَةُ من الحرة ، والرُّوَبَةُ ، وآخرون من سبيع ، كما يحل آل عمير جنوباً حتى المشارف الشمالية لأسافل تَبَالة وبيشة ، ثم تشرق من بلاد آل عمير حتى يخالطون إخوتهم الزكور في أراضيهم ناحية رنية ، وقد ذكر أبو علي الهجري من فروع عمرو بن معاوية بن كلاب قاسط وفيه العدد ، وحمري والنسبة إليه حمري وتولب . إلى آخر ماذكر ، وهذه المسميات الثلاث لاتزال موجودة في ثلاثة من أربعة بطون من آل عمير (بريهة)، فقاسط حُرِّفَ إلى (قاسي) وهاؤلاء عمود الصنادلة وامراؤهم منذ القديم ، وكان عندهم مقطع حَقٍّ سبيع ، إذا كانوا مَرْضِيِّيْنَ مَنَ الكل في رنية ، ومثلهم في الخرمة الغزايلة ، ومنهم ابن غزيل من بني ثور في وادي تُرَبَة ، وهذا كان في زمن الجاهلية ولعلهم يعنون بزمن الجاهلية هذا هو قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمه الله ـ.

وأما حمري ـ ففرع من قبيلة المكاحلة .

وتولب أيضاً فرع من قبيلة المفالحة .

وأما الرابع وهم المشاعبة فهم يقولون عنه : إنه من السهول إن لم تكن السهول منه ، ولاشك أن آل عمير يبدون تَقَارُباً(؟) بينهم دون المشاعبة هاؤلاء ، ويقول العارفون منهم ومن غيرهم أن المشاعبة تلي الفراعنة من الزكور ، والشماسات والسهول كما هو معلوم ترجع في أصولها إلى فروع من عامر بن صعصعة العدنانية ، مثل الظهران وآل محيميد والمحلف والقبابنة وآل منجل والزقاعين وآل مرصوع وغيرهم فهاؤلاء من المشاعبة ومن الشماسات وغيرهم من سبيع الآخرين .

ولو نظرنا في بعض التواريخ وما تشير إليه من إحداث وصراعات قبلية منذ القرن الحادي عشر الهجري ومابعده في نجد لوجدناها دائماً تذكر السهول إلى

جانب سُبيع أو سُبيع إلى جانبها في تلك الأحداث ، وهذا لا يخرج عما ذهبنا إليه من وجود الصلة .

وعن السهول قال الشيخ حمد الجاسر : وممن روى عنه أبو علي الهجري السهلي من بني أبي بكر بن كلاب ، وأبو علي هذا ممن عاش في آخر القرن الثالث الهجري وأول الرابع . ثم أضاف قائلاً : إن أول ماعرف من أخبار السهول سنة ٩٢٠هـ في أول القرن العاشر الهجري حيث أغار الدواسر على السهول وهم على الرويضة فلم ينالوا شيئاً ، ثم تتالت أخبار السهول .. الخ .

قلت : وهذا الواقع الذي تم ذكره عن تلك البطون من سبيع وبلادها سواء من المصادر القديمة أو المنقولة من كبار السن .

وهاهي قبائل آل عُمَيْر وفروعها : ـ

أ ــ الصنادلة ـ واحدهم صندلي ـ ومن أفخاذهم : ـ

١ ــ قاسي ـ منه القواسي ، وفيه زعامة القبيلة ، منهم محمد أبرق نَفيش ، كان معاصراً للشريف حسين بن علي حاكم الحجاز وشيخ القبيلة حالياً . محمد بن فلاح بن محمد أبرق نفيش . ومنهم الآن آل سيف ، وآل محمل ، وآل فهاد ، وآل فايز ، والمجاولة .

٢ ــ المخاضير : منهم المحاسنة والهراسين والظوافرة .

٣ ــ الكلاهيس وهم آل جبوب قديماً .

٤ ــ الزورة وهم سكان الحرة حتى الآن منهم آل محمد وآل فطيس .

٥ ــ آل برور منهم آل أبو ليل ، والعواوضة وآل محسن .

٦ ــ آل بُنَيَّة ، منهم الشراحين والشنافين والملاعقة وآل عبدالله وآل راضي وآل وقيان .

ب ــ المكاحلة واحدهم مكيحيلي أو مكحلي ، ومن أفخاذهم ـ وهم قسمان ـ :

١ ــ آل ماضي وفيهم مشيخة القبيلة والشيخ حالياً فضاء بن هذال بن ماضي .

٢ ــ آل جار الله . ٣ ــ الدوادرة . ٤ ــ الهاجين .
٥ ــ المعازة واحدهم معاز . ٦ ــ الرشادين . ٧ ــ السوالمة .
٨ ــ الشعالين .

ــ الحمايرة واحدهم حمري .

١ ــ آل فضل . ٢ ــ البيايشة . ٣ ــ الحواضرة . ٤ ــ المجاولة.

وقد استوطن الأحساء بالمنطقة الشرقية أكثر من ٣٠ أسرة من المكاحلة وهم في حي عين علي ، وفي المبرز والحفيرة ، وكذا منهم في قطر كما أن الكثير قد استوطن بيشة ، من الزواخين والهاجين والحواضرة والبيايشة وآل جار الله ، ويوجد حلف قديم بين المكاحلة وبين فروع من غامد مثل القنازعة وآل مسلم والدغاجين وغيرهم .

جـ ــ المفالحة ـ واحدهم مفيلحي ـ ومن أفخاذهم : ـ

١ ــ التوالبة ، منهم آل تالب وآل ظاهر وآل شتوي وآل طامي وغيرهم .
٢ ــ الجلادين وفيهم إمارة القبيلة الآن عبدالله بن وهيطان .
٣ ــ القفصة . ٤ ــ الحمادين . ٥ ــ السلابين .
٦ ــ البذاحين . ٧ ــ الهيايلة ـ واحدهم هييلي .
٨ ــ آل مفرج . ٩ ــ القصيبات . ١٠ ــ المعارفة .
١١ ــ الدهيرات . ١٢ ــ العششة . ١٣ ــ آل ناجي .
١٤ ــ الطويرات . ١٥ ــ النغامشة .
١٦ ــ آل دكان ، منهم أناس في السودان .

د ــ المشاعبة ـ واحدهم مشعبي من أفخاذهم وهم ثلاثة أقسام : ـ

١ ــ العودة وفيهم مشيخة القبيلة منهم مذكر بن ثُقَيِّل العويد الأمير الآن .

٢ ــ الشذاوين . ٣ ــ آل خضر . ٤ ــ الخصاوين .

ب ـ آل مسفر ومنهم :

١ ـ المغاتير . ٢ ـ آل منيس . ٣ ـ الذيابيل .

جـ ـ الحجلة : منهم :

١ ـ آل داهم . ٢ ـ الدهامين . ٣ ـ الدخايلة .

٤ ـ الشعابا في الأحساء انتقلوا إليها من رنية .

ومن المشاعبة أناس دخلوا في قبيلة مطير ، لايزالون يحملون اسم المشاعبة ، وقد سئل أحد كبار السن منهم فأجاب أنهم من مشاعبة سُبَيْع رَنْية ، ولكنه لا يدرك متى دخلوا في مطير ويقول : إن جماعته الآن كثير وهم يدركون انتماءهم إلى المشاعبة هاؤلاء .

رنية : فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي .

سراة جَنب وسكانها

لاشك أن الحديث عن أي جزء من وطننا الغالي حديث شيق ، وسراة جنب المعروفة اليوم بـ (سَراة عَبيدة) نِسبة إلى قبيلة عَبيدة إحدى قبائل قحطان الجنوب - جزء من وطننا ندرت الكتابة عنها إلا من إشارات نجدها في بعض المصادر القديمة أو المؤلفات الحديثة ، أو مقالات تنشر بين الحين والآخر في مجلة «العرب» وسوف أشير إلى هذه المصادر ، التي اعتمدت عليها في كتابة بحثي هذا . أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم شيء مفيد ، ولو مساهمة يسيرة للقاريءِ الكريم .

وسَراةُ جَنْبٍ كغيرها من سروات الحجاز ، التي يسكنها ولاتزال تسكنها القبائل العربية منذ أقدم العصور إلى اليوم ، تقع ضمن بلاد قحطان في المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية وتشكِّلُ قِطاعاً كبيراً وهامًّا من إمارة منطقة عسير .

ولقد اصطلح الجغرافيون والمؤرخون العرب على إطلاق اسم (جبال السروات أو مرتفعات السروات) على المرتفعات الغربية للجزيرة العربية يقول صاحب مجلة «العرب» : (إن السراة هي أبرز معالم جزيرة العرب الجغرافية فهي سلسلة الجبال المرتفعة الواقعة غرب الجزيرة الممتدة من أقصى اليمن جنوباً إلى بلاد الشام شمالاً ، وتعرف أيضاً باسم الحجاز ويُعْنَى بهذا القسم الفاصل بين نجد وتِهامة

التي هي ساحل البحر الأحمر[١].

ثم يقول : (وكان كل قسم منها ينسب إلى سكانه كسراة ثَقيفٍ ، وسراة عَدْوان ، وسراة بَجِيْلَة ، وسراة الأَزْدِ ، وسراة دَوْسٍ وسراة الْحَجْرِ ، والجانب الشرقي يعرف قديماً بِسراة جَنْبٍ وهو المعروف الآن بسراة عَبيدة)[٢].

ولقد عَرَّف العلماء السراةَ بأنها المكان المرتفع الذي يعلو على ماجاوره من الأرض ، وسراة القوم عِلْيَتُهُمْ وخِيارهم يقول الأفوه الأَوْديُّ واسمه صلاءَةُ بن عَمْرٍو[٣] :

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّـالُهُمْ سَـادُوا
إِذَا تَـوَلَّى سَرَاةُ الْقَـوْمِ أَمْـرَهُمُ ... نَمى عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا

أما جَنْبٌ ـ بالفتح ثم السكون ـ فهي مأخوذة من الفعل جانب أي افترق عنه ، وأما اسم جنب الذي أطلق على هذه السراة أو أضيفت إليه فيما بعد فهو عَلَمٌ على حِلْفٍ من الأحلاف القديمة عند العرب قبل الإسلام التي جاء الإسلام عليها فجَبَّهَا[٤] وآخى بين القبائل العربية ، وتوحدت صفوفها تحت لوائه فأصبح الناس في دين الله إخواناً ، ولاشك أن هذه المؤاخاة وهذه الوحدة صارت نواة للأمة الإسلامية ، فالإسلام هو الرابطة الحقيقية بين أبنائه في أي زمان أو في أي مكان قال تعالى : ﴿ واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ الآية وقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَهُ » .

وإن كنا إلى اليوم نسمع أو نقرأ عن أسماء هذه الأحلاف القديمة فهي لا تعدو أن تكون أعلاماً على بعض القبائل تعارف عليها المؤرخون ، وتناقلوها في كتاباتهم ، وحديثنا عن حِلف جَنْبٍ ، والسراة التي كانت تعرف به من باب العلم بالشيء أفضل من الجهل به ولأَنَّ هذه السراة جُزْءٌ من وطننا الغالي ، والكتابة عنه واجبنا جميعاً ، وإن كنت أعلم مسبقاً بقصر باعي وقلة تجربتي في هذا المجال . (فلكل ميدان فارس وحصان) إلا أنني أستميح القارئَ الكريم عُذْراً إذا لم أُعْطِ الموضوع حقه من البحث والتقصي .

سببُ التّسمية : ولأجل معرفة سبب اطلاق هذا الاسم القديم على هذه السراة كان لابُدَّ من العودة لمصادر التاريخ العربي القديمة الجغرافية منها والتاريخية ، وبالذات التي عُنِـيَ مؤلفوها بأنساب القبائل العربية وأخبارها ومواطنها في الجزيرة العربية ، ومن هذه المصادر التي استطعت الحصول عليها أثناء ترددي على بعض المكتبات العامة في أبها وفي مقدمتها مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والمكتبة العامة بأبها التابعة لإدارة التعليم ، ومكتبة النادي الأدبي بأبها . من هذه المصادر التي أوردت طرفاً عن خبر هذا الحلف «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم إذ يقول في صفحة ٤١٣ من هذا الكتاب : (أولد يزيد بن حَرْبٍ صُدَاءَ بطنٌ ضخم ومُنَبِّه والحارث والغَلَى وسَنْحان وهِفَّان وشِمْرَان[٥].

تحالف هؤلاء الإخوةُ الستةَ على ولد أخيهم صُدَاءَ فَسُمُّوا جَنْباً . . ثم يقول : (حالفت جَنْب وهم الستة المذكورون بنو يزيد بن حرب بن عُلَةٍ بن جَلْدٍ بن مالك ، بني عمهم بني سَعْدِ العشيرة بن مالك بن عُلَةٍ بن جلد بن مالك ، وحالفت صُدَاءُ بَنِـي الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَةٍ بن جَلْدٍ بن مالك[٦].

أما ابن عبد ربه صاحب كتاب «العقد الفريد»[٧] فيوافق قوله قول ابن حزم مع اختلاف في بعض الأسماء ربما يكون تصحيفاً من الطابع : وفي «نهاية الأرب في أنساب العرب» للقلقشندي يقول (جنب : وهم بنو منبه ـ (ثم عددهم) الحارث والغلى وسنحان وشمران وهفان بن يزيد بن حرب بن عُلَةٍ بن جَلد بن مالك . قال أبو عبيدة : وسُمُّوا بجنب لأنهم جانبوا عمهم صُدَاءَ ، وحالفوا سَعْدَ العَشيرة ، وحالفت صُدَاءُ بَني الحارث بن كعب)[٨] انتهى ومع أن القَلْقَشَنْدِيَّ يوافق ابن حزم وابن عبد ربه في سبب تسمية هؤلاء الإخوة بجنبٍ إلا أنه جعلهم خمسة وقال : إنهم أبناء لمنبه بن يزيد بن حرب .

ويقرب من هذا القول ماورد في «صفة جزيرة العرب» الصفحة ٢٥١ : (ديار جنب وهو منبه)[٩] ثم عَدَّدَ بعد ذالك ديارهم فالهمداني هنا قصرَ اسم جَنْبٍ على مُنَبِّه أي بني مُنَبِّه (والله أعلم) وهم الخمسة الذين أورد أسماءهم القَلْقَشَنْدِيُّ فيما بعد في مؤلفه السابق أما المعاجم كـ «معجم البلدان» لياقوت الحموي . مادة (جنب) و«تاج العروس» ، لمحمد مرتضى الزبيدي رسم (جنب) و«معجم قبائل

العرب» لعمر رضا كحالة والكتاب الأخير من المؤلفات الحديثة فنلاحظ أنها أوردت جميعها خبر هذا الحلف ، إلا أن صاحب «معجم قبائل العرب» يضيف في موضع آخر قائلاً (وجنب بطن من قحطان نجد ، ينقسم إلى قسمين عُبيل وشُريف) .

وأعتقد أنه يريد عَبِيْدَةَ وشُرَيْف إذ ليس في قبائل جنب النجدية عبيل كما أعلم بل عَبِيدةَ جَنْب ، وهم فرع من قبيلة عَبِيْدَةَ الأُمّ التي ينتمي معظم فروعها إلى جنب المارِّ ذكرهم ، والذي يعنيهم شاعر نجد الشعبي في قوله :

جِنّا عَبِيْدَهْ لَا عَبِيْدَهْ غَيْرنـا   إلَّا عَبِيْدَهْ جَنْبْ وَاهْلَ ابْـرَادْ

من هذه الإشارات الواردة في هذه المصادر نستخلص أنها جميعاً اتفقت على أن حِلْفَ جَنْبٍ عَلَمٌ عُرِفَ به هؤلاء ، وليس اسم أبٍ كما يعتقده البعض ، ونستخلص أيضاً أن كلًّا من ابن حزم وابن عبد ربه الأندلسيَّيْن ويوافقهما ياقوت الحموي في معجمه اتفقوا فيما أوردوه بأن الإخوة الستة وهم منبه والحارث والغلى وسنحان وشمران وهفان هم الذين عُرِفُوا بِجَنْبٍ ، فيما نجد الهمداني وهو مؤرخ قديم ، ويوافقه القَلْقَشَنْدِيّ يكادانِ يتفقان على أن جنبا هو منبه أي أولاد منبه ، الذين أوردهم القلقشندي . ولاشك أن الهمداني والقلقشندي من بعده في رأيي لا يَعْدُوَان الحقيقة وأن جنباً عُرف به أولاد منبه لأسباب منها: ـ

اولاً : لو أمعنا النظر في نسب بعض الجنبيين سواء في الجاهلية أو في الإسلام لوجدناهم يتصلون نسباً بـ (منبه) منهم على سبيل المثال (معاوية الجنبي) المعروف بمعاوية الخير بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب[١٠] وهو مُجِيْر عَدِيٍّ بن ربيعة المعروف بالمهلهل التغلبي على بني بكر بن وائل في الجاهلية ، كما في أكثر الروايات التاريخية . أما في الإسلام فنجد الفقيه أبَا ظَبيان الجنبيَّ ، واسمه الحسين بن جندب بن عمرو بن الحارث بن مالك بن وحشي بن مالك بن ربيعة بن منبه بن يزيد بن حرب وابنه قابوس ومحدثان يحدثان عن علي بن أبي طالب ، وسلمان الفارسي ـ رضي الله عنهما ـ روى عنه إبراهيم والأعمش مات سنة ست وتسعين هجرية[١١].

ثانياً : أن الهمداني وهو مؤرخ ورحّالَةٌ يمنيّ عاش كما تشير إلى ذالك الروايات التاريخية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين ، فقد يكون أقدم من تحدث عن هذه النواحيَ من الجزيرة العربية من غيره من المؤرخين والرحالة العرب ، بالإضافة إلى قُرْبِهِ زماناً ومكاناً من مواطن قبائل الجزيرة العربية ، وقد يكون من يشاهد عن كثب أقدر على التّمْييز والكتابة وإبراز الحقائق ممن يعتمد على النقل والرواية ، بالإضافة إلى ذالك فالمؤرخون يصفون الهمداني بأنه من أكثر مؤرخي العرب القدماء دقةً واهتماماً وتَقَصِّياً لأنساب القبائل العربية وأخبارها القديمة في جزيرتها .

موقعها الجغرافي : نجد أن من أقدم مصدر عربي أورد اسم وموقع (سَراة جَنْب) وذكر أسماء قبائلها هو الهمداني في «صفة جزيرة العرب» لأننا نجد كثيراً ممن ألف بعده ينقل عنه ، ولقد حدّد موقع هذه السراة فقال : في صفحة ١١٨ بعد حديثه عن سراة خولان : (ثم يتلوها ـ أي سراة خولان ـ سراة جنب وبلد العرعر المعصور ، وقرية جنب في هذه السراة الكُبيبة) إلى أن يقول (. . . . ثم الجبل الأسود إلى الشُقرار ، وسِعيا ، من أرْضِ جُرش ، . . . . ثم يتلوها سراة عَنْزٍ وسراة الـحَجْر . .) وفي صفحتي (٢٥١ ـ ٢٥٢) يقول (ديار جَنْب وهو مُنَبَّهٌ : الـمُخْتَلَف ، وأعقق وفيه يقول عمرو بن مَعْدي كرب :

سِوَى أَنَّ أَصْوَاباً بِأَعْقُقَ لَـمْ يَزَلْ بِهَا آنِسٌ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرُ بَارِحِ
وَجَدْنَا بِهَا الْعَمْرَيْنِ عَمْرَو بْنَ عَذْيَةٍ وعَمْرُو بن عَمْرٍو في حِلاَلٍ سَلاَطِحِ

إلى أن يقول :

مُصَـافِيْنَ أَصْهَـاراً وَرِحْماً وَجِيْـرَةً وَمَا كَانَ فِيْهِمْ فَارِسٌ غَيْرُ جَامِحِ

ثم يقول : أصواب قران بلدة في الحمرة من المختلف ، ويسمى المنشر ، ومن ديارهم سَرُوْمُ الْعُقدة وسَرُوم الْعَيْنِ وسَروم الْفَيض وهي سَرُوْم الطَّرْفاء والسفسف)[١٢] .

ويقول المحقق الأستاذ محمد الأكوع : المختلف من ديار سنحان من جنب ويسمى الحمرة والمنشر . . . إلى أن يقول : والعقدة رأس الوادي وادي سروم واد

ذو زرع وكرم وعضاه من عضاه الثمار والسفسف هي عقبات بهذا الاسم في بلاد عَبِيدة من جنب . وفي موضع آخر يقول الهمداني : (والجبل الأسود وهو معظَم بلد جنب وهو مابين منقطع سراة خولان بحذاء بلد وادعة إلى جَرش ، وفيه قرى ومساكن ومزارع وهو يشبه بالعارض من أرض اليمامة . ومن بلد جنب رَاحة ومَحلاة واديان يصبان من الجبل الأسود إلى نجد شرقاً وله أودية تهامية ونجدية منها جوف الحُزَيْميين وهو جوف مَرْزوق وعاش ثمانية وثلاثين ومئة سنة ، ولقيته ابن خمس وثلاثين مئة سنة وقريتا جنب الكبيبة لبني وقشة ، والقريحاء حذاءها لبني عَبِيدة ، وصُنان غير صنان خثعم ، عبيد وعفارِين لبني شُريف وبني رَنِيَّة)[١٣] . وفي صفحة ٢٦٢ من نفس المصدر يقول : (تخرج من جرش قصد صعدة على بلد جنب في سعيا وادي بني بشر ذي أعناب وزروع وأسفل أنيس ثم وادي طرطر ثم وادي منيع ، ثم جزعت منه في وادي نحيان وهي الخنقة ، ثم ظلامة ثم سراة جنب . .) .

مما تقدم نستنتج أن (سراة جنب القديمة) تقع جغرافياً فيما بين بلاد وادعة جنوباً وبلاد رُفَيْدَة شمالاً ، ويحدها من الغرب أغوارها التهامية ، ومن الشرق نجودها الشرقية ، وتنتشر قبائلها شرقاً حتى وادي الدواسر ، وإلى نجد ، وأن معظم الأسْماء التي أوردها الهمداني لازالت في أكثرها ، وأنها تقع ضمن بلاد قحطان ويطلق عليها اليوم (سرَاة عَبيدة) .

القبائـل : ويقطن سراة جنب اليوم بما فيها أغوارها التهامية الغربية ، ونجودها الشرقية قبائل قحطان بن عامر وسوف نتقصر على إيراد أسماء القبائل وبعض فروعها الرئيسَة دون التعرض لتفريعاتها الأخرى نظراً لعدم توفر معلومات كافية عن بعض هذه الفروع في الوقت الحاضر على أمل أن نتمكن من ذالك مستقبلاً عند توفر تلك المعلومات مع العلم بأنه سوف يشار إلى القبائل التي سبق الكتابة عنها في مجلة «العرب» لمن يريد زيادة الاطلاع .

ويمكن تقسيم هذه القبائل إلى ثلاثة أقسام تبعاً لطبيعة إقامة كل قسم منها .

القسم الأول : وهي القبائل التي تستوطن قمم السراة وأوديتها وهي من كل قبائل ـ عَبيدة ـ بني بشر ـ شُرَيْف ـ سَنْحَان ـ الْـجَبَاب ـ ووَقْشَة . وهذه القبائل وردت في «صفة جزيرة العرب» وعرفت في المصادر القديمة بجنب .

وإياها يعني الشاعر : محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي الـحِمْيَري ، وقد عاش في القرن الرابع الهجري في قصيدته التي منها(١٤) :

أبَى لِـيَ أن أرْضى الظلامة مَعْشَرٌ ... أُنُوفٌ عَلَتْ مِنْ حِمْيَرٍ في الذَّوَائِبِ
وَكَيْفَ تَرَى عَنْزٌ خضوعي وذِلَّتِي ... و(نَهْدٌ) (وجَنْبٌ) جِيْرَتِـي وأقَارِبِـي
وَهُمْ عُدَّتِي في النَّائِبَاتِ وَجُنَّتِي ... ودِرْعِـي وحِصْنِـي في الْوَغَا وَمَخَالِبِـي

إلى أن يقول(١٥) :

سَقَى الله جَنْباً وَالْعَلَا سَنْحَانَها ... لَقَدْ صَبَرُوْا صَبْرَ الْكِرَامِ الْأَطَايِبِ

اما القسم الثاني : فالقبائل التي تستوطن الأغوار التهامية والمعروفة (بتهامة قحطان) وهذه القبائل من الشمال إلى الجنوب ـ قبائل جَنْبِ بن سَعْدٍ نسبة إلى الحلف المشار إليه ، وسعد هو سعد بن مالك المعروف (بسعد العشيرة) وهذه القبيلة تتكون من خمسة فروع هي : آل الحسن ـ وآل حسَّانْ ـ وآل خُزيم وآل مسعود ، وآل علي بن قيران .

قبيلة آل السِّرِي وهذه القبيلة فرعان : آل حيّان وآل يزيد .

قبيلة الـجِبَاب تهامة : وهي ثلاثة فروع : آل مَقرح ـ بالقاف ـ وآل مفتاح ـ وآل مكاذب(١٦) .

اما القسم الثالث : من هذه القبائل فهي تلك القبائل التي تستوطن النجود الشرقية ، وأوديتها ، ومنها فروع انتقلتْ في القرون الماضية إلى نجد والمنطقة الشرقية من المملكة . من هذه القبائل ـ قبيلة الْـجَحَادِر ، وهي من أكبر قبائل قحطان بنجد ، وتنقسم إلى فرعين كبيرين : ـ آل محمد ـ وآل الجَمَل ، ويتفرع من هذين القسمين بطون كثيرة ، ويقيم معظمها في تَثْلِيْث ، وفي نَجد ، وعن

هذه القبيلة راجع مجلة «العرب» س ١٦ الربيعان ١٤٠٢هـ .

قبيلة الْـحِباب ـ بكسر الحاء ولهذه القبيلة فروع في كل من تهامة والسَّرَاة والمنحدرات الشرقية إلى قرب تَثْلِيْثَ ، وفي نجدٍ ، وبعض دول الخليج العربي فروع من قبيلة الحباب ، وعن هذه القبيلة وفروعها الأخرى انظر مجلة «العرب» س ٧ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ وس ١٧ القعدة والحجة ١٤٠٢هـ وس ١٩ رمضان وشوال ١٤٠٤هـ .

قبيلة جَنْب النجدية : وهي عدة فروع تنتمي إلى كل من قبيلتي شُرَيْفٍ وعَبِيْدة ، ومنها الفَهر والَمسارِدة ، وبني هَاجِر القبيلة المعروفة ، والتي استقرت فيها بعد في المنطقة الشرقية من المملكة ولها فروع في دولتي قطر والإمارات وهم أهل كرم وشجاعة . يقول أحد شعرائهم الشعبيين :

جَنْب مْـرَوِّيَة الغلب بـالْمَلاَحِيْقْ   إليـا تعلو كـل قَبًّـا قُحُـوم
وأفعالهم تشهدْ لَهُمْ حَزَّة الضيقْ   يَاتِـي لَهُمْ يَوْمَ القَلاَيِعِ رْسُوم
وِالْيَا لَفَتْ هِجْنٍ بْرِبْعٍ مطاليقْ   تَشْكِي مَضَارِيْبَ الْخَفَا بـالنّسُوم
نَذْبَحْ لهم حِيْلٍ تِهِزّ الْـمَعَـالِيْقْ   ونِلْحِقْ عَلَى تَرْحِيْبْنَا بالشُّحُوم[١٧]

قبيلة حُمالة : وهذه القبيلة فرع من قبيلة بني بِشْرٍ ، إحدى قبائل السراة المار ذكرها ، وقد انتقلت قبيلة حمالة إلى نَجْد في القرون الماضية واستقرت بوادي جَوٍّ قرب الـمُزَاحِمِيَّة بمنطقة الرياض . ولاشكَّ أن هناك فروع أخرى كانت تستوطن هذه السراة ، لو استعرضناها لطال بنا الحديث وأرجو من الله أن تتاح لي الفرصة قريباً للكتابة بصفة عامة وشاملة عن هذه القبائل إنه تعالى القادر على ذالك .

أبها ـ علي بن عبدالهادي بن سحمان البشري

الهوامش :

(١) و(٢) مجلة «العرب» س ٢٣ محرم وصفر عام ١٤٠٩هـ صفحة ٥٧١ .

(٣) يقول الألوسي في «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» ج ٣ ص ١٠٥ : الأفوه لقب واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء ←

نونية الكميت بن زيد الأسدي

كانت مجلة «العرب» ـ س ١٣ ص ٦٨٧ ـ قد نشرت نونية الكميت عن مخطوط يَمَنِـيٍّ وُصِفَ في أول الكلام على النونية ، وقد اطلعت في مخطوط يمني آخر ـ سيأتي وصفه ـ على نص مطول ذي صلة بالنونية ، أو بمعنى آخر يوضح أهم أسباب إشعال العصبية بين النزارية والقحطانية ، وهذا النص منسوب إلى أبي الحسن علي ابن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه محمد بن سليمان ، وعلي هذا من رجال القرن الثاني الهجري ـ انظر مقدمة كتاب «المناسك» ص ١٣٦ ـ وهو ذو صلة بالدولة العباسية ، وقد أكثر الرواية عنه بالواسطة صاحب «الأغاني» ومما روى عنه بعض أخبار الكميت .

← القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وهذان البيتان من قصيدته التي مطلعها :

والبيتُ ما يُبتنى إلا على عمدٍ ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

(٤) الإسلام لم يبطل الأحلاف التي قبله بل ورد الحديث الشريف «لاحلف في الإسلام، وأيُّما حلف كان في الجاهلية لم يزدْه الإسلام إلا شدّة » «العرب».

(٥) هو يزيد بن حرب بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٦) «جمهرة أنساب العرب» ـ لابن حزم الأندلسي صفحة ٤١٣ طبعة ١٩٧١م دار المعارف بمصر .

(٧) «العقد الفريد» ـ لابن عبدربه الأندلسي ج ٣ ص ٣٤٣ ط ١ عام ١٤٠٤هـ العلمية ـ بيروت .

(٨) «نهاية الأرب» ـ للقلقشندي ج ١ ص ٣٢٥ ط : ١٣٨٣/١٩٦٣م ، وزارة الثقافة والارشاد المصرية .

(٩) «صفة جزيرة العرب» ـ للهمداني ـ دار اليمامة الرياض ١٣٩٧هـ .

(١٠) «جمهرة أنساب العرب» ص ٤١٢ .

(١١) «الأنساب» للسمعاني ـ ج ٣ ص ٣٤٢ .

(١٢) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ١١٨ . وأعقق المعروف اليوم بعقق ، والسقف المعروف اليوم بالسقوف .

(١٣) المصدر السابق صفحة ٢٥٢ .

(١٤) مجلة «العرب» س ١٩ رمضان وشوال عام ١٤٠٤هـ صفحة ٢٥٦ .

(١٥) مجلة «العرب» س ٢٤ رمضان وشوال عام ١٤٠٩هـ صفحة ١٩١ .

(١٦) مجلة «العرب» س ٧ ربيع الثاني عام ١٣٩٣هـ .

(١٧) «ديوان الشعر العامي» بلهجة أهل نجد أو «تاريخ نجد في عصور العامية» ـ لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري السطر الرابع الصفحة ٩٠ ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض .

ومن الجدير بالملاحظة أن (الهاشميات) بشرح أبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي وردت في هذا المخطوط متصلة بذالك النص كما يتضح للقارئ ، وأبو رِيَاش هو شارح نونية الكُمَيْت .

ويحوي هذا المخطوط : ـ

١ ـ كتاب «تمام المتون من رسالة ابن زيدون» أي شرح الصفدي لرسالة ابن زيدون في ١١٥ ورقة (من ص ٧ - إلى ٢٣٦) وتاريخ نسخه ١٦ ذي القعدة سنة ١٠٩٤ بمدينة ضوران .

٢ ـ ترجمة خليل بن أيبك الصفدي في صفحة واحدة (ص ٢٣٧) .

٣ ـ ترجمة محمد بن محمد بن سيِّد الناس نقلاً عن كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي في ٧ ورقات (من ص ٢٣٨ إلى ٢٥١) .

٤ ـ ترجمة ابن نباتة الفارقي المصري نقلاً من كتاب الصفدي في ٨ ورقات (من ص ٢٥١ إلى ٢٦٤) .

٥ ـ قصائد مختارة من شعر أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي منقولة من ديوانه يمدح الخصيب بن عبد الحميد في ٥ ورقات (من ص ٢٦٨ إلى ٢٧٧) .

٦ ـ ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمانية في ورقتين (من ص ٢٧٧ إلى ٢٨٠) .

٧ ـ (الهاشميات) للكميت بشرح أبي رياش في ٥ ورقات (من ص ٢٨١ إلى ٢٩٠) منسوخة في ٢٨ القعدة ١١٩٣ .

٨ ـ قصيدة لِدِعْبِل بن علي الخزاعي في ورقتين (من ص ٢٩٠ إلى ٢٩٣) . وهي القصيدة التائية المشهورة .

٩ ـ قصائد منقولة من ديوان سبط بن التعاويذي في ٨ صفحات (من

ص ٢٩٣ إلى ٣٠٠) .

١٠ ــ قصيدة لعبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب بعث بها إلى كمال الدين عبدالرحمن الأنباري في ٣ صفحات (من ص ٣٠١ إلى ٣٠٣) مطلعها :

سَلَا صاحِبِي بِالْجِزْعِ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى　　عَنِ الظَّبَيَاتِ الْخُرَّدِ الْبِيضِ كَالدُّمَى

يسأله عن كلمات لغوية عويصة في ١١٢ بيتاً .

١١ ــ أقوال منسوبة لمعاوية بن أبي سفيان في ٤ صفحات (من ص ٣٠٤ إلى ٣٠٨) .

١٢ ــ قصيدة بائية لإسماعيل بن محمد الحميري (السيِّد الحميري الشاعر) في ٤ صفحات (من ص ٣٠٨ إلى ٣١١) مطلعها :

هلا وقفت على المكان المعشب　　بين الطويلع فاللوا م الكوكب

١٣ ــ ثم شرح قصيدة السيد الحميري للأستاذ أبي الحسن علي بن شهفيروز في ٥ صفحات (من ص ٣١١ إلى ٣١٥) .

١٤ ــ خبر مقتل بُجَير بن الحارث بن عُبَاد منقول من كتاب أخبار بكر بن وائل وبني تغلب والحرب التي وقعت بينهم المسماة حرب البسوس في ٤ ورقات (من ص ٣١٦ إلى ٣٢٢) .

١٥ ــ قصائد للشريف الرضي الموسوي وهي في المدح في ١١ ورقة (من ص ٣٢٤ إلى ٣٤٥) .

١٦ ــ رسالة أدبية هي «نسيم الصبا» تحوي ٣٠ فصلاً عن السماء والنجوم والسحاب والمطر وفصول العام والأشجار والأثمار والروض والأزهار والغلمان والجواري والشمعة والنار والعشق والفراق والاستعطاف في ١٤ ورقة (من ص ٣٤٦ إلى ٣٧٣) .

١٧ ــ قصيدة رائية لنشوان بن سعيد الحميري يفتخر فيها باليمن في ورقتين

(من ص ٣٧٤ إلى ٣٧٧) مطلعها

ليس المحب عن الحبيب بِمُقْصِرِ   كلا ولا هو في الهوى بِمُقَصِّرِ

والمخطوط نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن ، البعض قريب إلى الجيد ، بعض الصفحات مجدولة بالحمرة ، العناوين والفواصل بالحمرة ، وفي بعض الهوامش تعليقات ، والكلمات مشكلة ، وبعض الصفحات بها آثار رطوبة ، وبعض الموضوعات يوجد بها نقص في آخرها ، وقد تم نسخ هذا المجموع في القرن الحادي عشر الهجري . وقد أهديته إلى (المكتبة السعودية) قبل عشرين عاماً حين افتتاحها في عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ.

وهاهو ماورد في ذالك المخطوط حول نونية الكميت :

ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمانية :

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفليّ قال : حدثني أبي قال : لما قال الكميت بن زيد الأسدي ـ أسَدِ مُضَرَ بن نزار «الهاشميات»، قدم البصرة ، فأتى الفرزدق فقال : يا أبَا فِراس أنا ابن أخيك . قال : ومن أنت ؟ فانتسب له : فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نُفِثَ على لساني وأَنْت شيخ [مضر] وشاعرها : وأحببت أن أعرض عليك ماقلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذالك أمرتني بستره وسترته عليَّ . فقال : يا ابن أخي إني أُحسب شعرك على قدر عقلك فهات ماقلت راشداً ، فأنشده :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إلى الْبِيْضِ أَطْرَبُ   وَلاَ لَعِباً مِنِّي أَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

قال : بلى فالعب ، قال :

وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلاَرَسْمُ مَنْزِلٍ   وَلاَ يَـطِرِّبْنِي ذُوْ بَنَانٍ مُخَضَّبُ

قال : فَمَا يُطْرِبُكَ إذًا ، قال :

وَلاَ أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ   أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ

فيرنا على ابنا والتفسير يصرح بجحش مغفول له

قال أيضًا

قال لي يوما سليمى ، وبعض القول شنع
قال صفني وعليًا ، أينا أتقى وأورع
قلت إني إن أقل ، ما فيكما بالحق يجزع
قال كلا قلت مهلا ، قال صفني قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي ، قال صفني قلت يشبع

انتهى المراد نقله من ديوان ابي الحارث وقد تضمن اكثر المعاني فيه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

ذكر الشيب حجة بين الفرزدق والكميت

ذكر ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابي قال لما قال الكميت بن زيد الأسدي اشعره مضر ونزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك قال ومن أنت وانتسب فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لساني وأنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان اعرض عليك ما قلت فإن كان حسنًا امرتني بإذاعته وإن كان قبيحًا امرتني بستره وسترته علي فقال يا ابن أخي إني احسب شعرك على قدر عقلك فهات ما قلت رحمك الله فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ، ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
قال بلى يا ابن أخي فالعب فقال
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ، ولم يتطربني بنان مخضب
قال فما يطربك إذن فقال
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ، أصاح غراب أم تعرض ثعلب
قال فأنت ويحك بالناس تتمثل فقال
ولا السانحات البارحات عشية ، أمر سليم القرن أم مر أعضب
فقال أما هذا فقد حسنه فقال

(صفحة من المخطوط)

قال : فَمَا أَنْتَ وَيْحَكَ وَإِلَى مَنْ تسمو؟، فَقَالَ :

وَلَا السَّانِحَاتُ النازحات عَشِيَّةً أَمَرَّ سَلِيْمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ

فقال : أمّا هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

وَلٰكِنْ إلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَّاءَ وَالْخَيْرُ يُطْلَبُ

فقال : مَنْ هُمْ وَيْحَكَ ؟ قال :

إلَى النَّفَرِ الْبِيْضِ الَّذِيْنَ بِحُبِّهِمْ إلَى الله فِيْمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

فَقَال : أرِحْنِي ويحك من هاؤلاء ؟ قال :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ وَبِهِمْ أَرْضَى مِرَاراً وأَغْضَبُ

قال : لله دَرُّكَ يابُنَيَّ أَصَبْتَ وأحسنْتَ إذْ عَدَلْتَ عن الزعانف والأوباش ، إذ لا يَصِرِ سَهْمُكَ ، ولا يكذب قولك ، ثُمَّ مَرَّ فِيْها . فقال له : أَظْهِرْ ثُمَّ اظْهِرْ ، وكد الْأَعْداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي فَحِينئذٍ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأَذِنَ له ليلاً وأنشده ، فلما بلغ من الميمية قوله :

وَقَتِيْلٌ بِالطَّفِّ غُودِرَ مِنْهُمْ بَيْنَ غَوْغَاءِ أُمَّةٍ وطَغَامِ

بكى أبو جعفر ، ثم قال : ياكُمَيْتُ لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك ، ولكن لك ماقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : «لَازِلْتَ مُؤَيَّداً بروح الْقُدُسِ ماذَبَبْتَ عنا أهل البيت» فخرج من عنده فأتى عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي فأنشده ، فقال : يا أبا المستَهِلّ إن لي ضيعة أُعْطِيْتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذالك شهوداً ، وناوله إياه ، فقال : بأبي أنت وأُمّي كنت أقول الشعر في غيركم أُرِيد بذالك الدنيا والمالَ ، ولا والله ماقلت فيكم إلا لله ، وما كنت لِآخُذَ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً ، فألَحَّ عبدالله عليه ، وأَبى من

إعفائه ، فأخذ الكميتُ الكتابَ ومضى ، فمكث أياماً ثم جاء إلى عبدالله فقال : بأبي أنت وأمي يابن رسول الله إن لي حاجة ، قال وماهي وكل حاجة لك مقضية ؟ قال : وكائنة ماكانت ؟ قال : وكائنة ماكانت قال : هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة . ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبدالله ، ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام فأخذ ثوباً جَلِداً فدفعه إلى أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دُوْرَ بني هاشم ويقول : يابني هاشم هذا الكميت قال فيكم حتى صُمِّتِ الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ، فيطرح الرجل في الثوب ماقدرعليه من دنانير ودراهم ، وأعلم النساء بذالك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى أنها تخلع الحلي عن جيدها ، فاجتمع من الدنانير والدراهم قيمة مئة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكُمَيْت وقال : يا أبا الـمُسْتَهِلّ أتيناك بجهد الـمُقِلّ ، ونحن في دولة عدونا ، وقد جمعنا لك هذا المال وفيه حلي النساء كما ترى فاستعن به على دهرك ، قال : بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطنبتم ، وما أردت بمدحي إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أكُ لِآخُذَ على ذالك ثمناً من الدنيا فاردُدْهُ إلى أهله . فجهد به عبدالله أن يقبله بكل حيلةٍ فأبى ، فقال : إذا أبيت أن تقبل فإن رأيت أن تقول شيئاً تُغضِبُ به بين الناس لعل فتنة تحدث ، فيخرج بين أصابعها بعضُ ما نُحب ، فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مُضَرَ بنْ نزار بن معد ورَبيعة بن نزار ، وإياد وأنمارٍ ابنَيْ نزار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان ، فعصب بها بين اليمانية والنزارية ، وهي قصيدة فيما ذكرناه التي أولها :

أَلاَ حُـيِّـيتِ عَـنَّـا يَـامَـدِيْـنَـا وَهَـلْ بَـأْسٌ بِقَـوْلِ مُسَلِّمِيْنَـا

إلى أن انتهى إلى قوله تصريحاً وتعريضاً باليمن فيما كان من الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله :

لَنَـا قَمَـرُ السَّـمَاءِ وكُـلُّ نَجْمٍ تُشِـيـرُ إلَيْـهِ أَيْـدِي الْمُهْتَـدِيـنَـا
وَجَـدْتُ الله إِذْ سَمَّى نِـزاراً واسْكَنَهُـمْ بِمَكَّـةَ قَـاطِنِـيـنَـا
لَنَـا جَعَلَ الـمَكَـارِمَ خَـالِصَـاتٍ ولِلنَّـاسِ الْقَفَـا وَلَنَـا الجَبِيْنَـا

وَمَا ضَرَبَتْ هِجَانَ مِنْ نِزَارٍ فَوالِجُ مِنْ فُحُوْلِ ٱلأَعْجَمِيْنَا
وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عِتَاقٍ مُطَهَّمَةٍ فَيُلْفَوْا مُبْغِلِينَا
وما وُجِدَتْ بَنَاتُ بَنِي نِزَارٍ حَلائِلَ أَسْوَدِيْنَ وأَحْمَرِينَا

وقد نقض دِعْبِلُ بنُ عليّ الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها ، وصرح وعَرَّضَ بغيرهم كما فعل الكميت وذالك في قصيدته التي أولها :

أَفِيْقِي مِنْ مَلاَمِكِ يَا ظَعِينَا كَفَاكِ اللَّوْمَ مَرُّ ٱلأَرْبَعِيْنَا
أَلَمْ تَحْزُنْكِ أَحْدَاثُ اللَّيَالِيْ يُشَيِّبْنَ الذَّوَائِبَ وَالقُرُوْنَا
أُحَيِّيْ الْغُرَّ مِنْ سَرَوَاتِ قَوْمِي وَلاَ حُيِّيْتِ عَنَّا يَا مَدِيْنَا
فَإِنْ يَكُ آلُ إِسْرَائِيْلَ مِنْكُمْ وكُنْتُمْ بِالأَعَاجِمِ فَاخِرِيْنَا
فَلاَ تَنْسَ الْخَنَازِيْرَ اللَّوَاتِي مُسْخِنَ مَعَ القُرُوْدِ الْخَاسِئِيْنَا
بِأَيْلَةَ وَالْخَلِيْجِ لَهُمْ رُسُوْمٌ وأَثَارٌ قَدِمْنَ وَمَا مُحِيْنَا
وَمَا طَلَبَ الْكُمَيْتُ طِلاَبَ وِتْرٍ ولَكِنَّا لِنَصْرَتِنَا هُجِيْنَا
لَقَدْ عَلِمَتْ نِزَارٌ أَنَّ قَوْمِي إِلَى نَصْرِ النُّبُوَّةِ نَاجِدِيْنَا

وهي طويلة ونمى قول الكميت في النزارية واليمانية ، وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار ، وأدلى كل فريقٍ منهم بماله من المناقب ، وتحزب الناس ، وثارت العصبية في البدو والحضر ، فَقَبَّحَ ذالك أمر مروان بن محمد الجعدي ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحراف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية ، وتقلقل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم ، ثم ماتلا ذالك من قصة معن بن زائدة باليمن ، وقتلِه أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ، وقَطْعِهِ الحلفَ الذي كان بين اليمن وربيعة في القديم ، وفعلِ عُقْبَة بن مسلم بعُمَانَ والبحرين ، وقتلِهِ عَبْدَ القيس وغيرهم من ربيعة كِيَاداً لمعنٍ ، وتعصُّباً من عقبة بن مسلم لقومه من قحطان ، وغير ذالك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان . انتهى ماقاله أبو الحسن .

وهذه القصيدة المشار إليها أنشدني أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي القصائد الهاشميات الكميتية وقرأها عليه وأملا علي تفسيرها ومعانيها وقال : هو الكميت بن زيد . ثم سرد النسب إلى (نزار) وبعده : يمدح بني هاشم ، ويذكر ظلم بني أمية وجورهم .

انتهى ما نقلناه من المخطوطة التي تقدم وصفها .

وقد أعاد الأستاذ الدكتور داوود سلوم - في جامعة بغداد - نشر نُوْنية الكميت ، حين أعاد طبع ديوانه . وقد لفت نظري أستاذنا الجليل أبو فهر محمود ابن محمد شاكر إلى وقوع أخطاء كثيرة ، فيما نشرته أوّلاً وقد وَعَد ببعث تصحيح لتلك الأخطاء ، ويسعد «العرب» أن تتلقى من الأستاذ الجليل ما يتطلع إليه كل مستزيد من علم الأستاذ . وليس عجيباً ولا غريباً أن يخلو كتاب اعتمد على نشره على أصل واحد من الخطإ بل سيبدو للقارئ أنني لم أكن حين نشر النونية على درجة من التثبت في قراءة النَّصِّ ، يتضح هذا من أنني قلت (س ١٣ ص ٦٨٩) أن البيت :

وَضَمَّ قَــواصِــيَ ٱلْأَحْيـاءِ مِنْهُــمْ   فَقَــدْ رَجَعُــوْا كَحَــيٍّ وَاحِــدِيْنَـا

قلت: لم يَرِدْ له ذكرٌ في القصيدة، ولعل المقصود به قصي بن كلاب - وهذا كله خطأ، فقد ورد البيت في القصيدة - هو البيت الرابع عشر - ص ٧٠٩ - والمقصود به نزار ، كما في البيت الذي قبله .

تؤام وحبرير ودَبا

اتصل الأخ سعد بن أحمد من المنطقة الشرقية ، يستوضح عن موقع تؤام ، التي ورد لها ذكر كثير في المؤلفات القديمة .

تُــؤَام :

ويجد القارئُ السائل الكريم إجابة لسؤاله ، في قسم المنطقة الشرقية من

«المعجم الجغرافي» - ج ١ ص ٢٩٣ - وما بعدها .

وبالإضافة إلى ماورد في الكتاب ، فإن المؤرخين في هذا العصر يكادون يجمعون على أن بلدة البُرَيْمِـي الواقعة بين الإمارات العربية المتحدة وعُمَان ، هي تؤام القديمة ، فقد ورد في كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة» - ١ / ٤٠ - مانصه : التقى مُجَّاعة بن شعواء المزني ، الذي أرسله الحجاج قائدًا لجيش لإخماد ثورة في عُمَان ، التقى برجل من أهل تُؤَام ، أي مدينة البريمي العمانية المجاورة لمدينة العين .

وقال في الكتاب المذكور - ج ١ ص ٤٣ - الوارث بن كعب الخروصي ، كان والي هارون الرشيد على عُمَان ، فخرج عن الطاعة وحدث بينه وبين عيسى بن جعفر قائد جيش الرشيد معركة في تؤام الجو ، أي مدينة البريمي ، المجاورة لبلدة العين انتصر فيها الوارث ، وهرب القائد عيسى إلى جُلْفَار (رأس الخيمة) فَأُسِر .

حَبْرِيـــر :

كما سأل عن جبل (حبرير) الذي ورد في «معجم البلدان» عنه حِبْرِير : جبل بِتُؤام .

ويظهر أن اسم حِبْرِير قد تغير ، فأشهر جبل بقرب تؤام يدعى الآن جبل (حَفِيْت) وهو سلسلة تكاد تحيط بالمنطقة من جنوبها وغربها وقد اكتشفت فيه آثار قديمة فقد جاء في مجلة «الآثار» الصادرة سنة ١٩٧٥م عن دولة الإمارات العربية المتحدة - ص ١٦ - مانصه : المدافن الحجرية في جبل حَفِيت : يعتبر جبل حَفيت حَـدٌّ جنوبياً لواحة البريمي ، حيث تقع مدينة العين ، ويبلغ ارتفاعه ٤٠٠٠ (أربعة آلاف قدم) وتتفرع منه سلسلتان متوازيتان تنتهيان عند مدينة العين من جهة الجنوب ، أقيمت فوق سفوح هاتين السلسلتين والمرتفعات المحصورة بينهما أقدم مجموعة معروفة من المدافن في (أبو ظبي) الآن ، يرجع أغلب هذه المدافن إلى العصر الزمني المعروف بعصر جمدة نصر ، في حدود نهاية الألف الرابع قبل

الميلاد (٣٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) وقد سمي هذا العصر بهذا الاسم نسبة إلى جمدة نصر في وسط العراق ، حيث كشفت آثاره لأول مرة .

دَبَـــــا :

وسأل الأخ الكريم عن موقع بلدة (دبا) التي تكرر ذكرها في حوادث عمان في صدر الإسلام .

وبلدة دَبا ، لاتزال معروفة ولكن يظهر أن الاسم كان يطلق على منطقة واسعة ـ انظر «العرب» س ٢٢ ص ١٤٩/١٥٤/١٥٥/١٥٦/١٥٨ ـ.

أما موقع المعركة من هذه المسميات الثلاث : (دبا) و(دبا البيعة) و(دبا الحصن) فإن مؤرخي عصرنا يرون وقوع المعركة في مايعرف باسم (دَبَا البيعة) جاء في كتاب «المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة» ـ ج ١ ص ٣٧ مانصه : اختار الصديق لقيادة الجيش المتجه إلى عمان حذيفة بن محصن الغلفاني (البارقي) وعكرمة بن أبي جهل المخزومي ، ومعه عرفجة البارقي ، وأمر الجيش بأن يَتَّصل بالأخوين الجلنديَّيْن عَبَّاد وجَيْفر ، ثم يقوم الجميع بالهجوم واكتساح قوات لقيط [بن مالك ذي التاجين] الممتدة من صُحَار في عُمان إلى دَبَا في الفجيرة في يومنا هذا . . . وفي دبا حدثت الوقعة الأخيرة حيث سقط أكثر من عشرة آلاف قتيل بين الطرفين ، وانتهت بمصرع رأس الفتنة لقيط ذي التاجين ، ومازالت قبور ضحايا تلك المعركة الرهيبة شاهدة إلى يومنا هذا في مقبرة (أمير الجيوش) بالقرب من دبا .

ولما استتب الأمر هناك ، عاد عكرمة وعرفجة ، أما حذيفة فقد أقام في دبا التي صار اسمها الآن (دبا البيعة) وتقابلها (دبا الحصن) كما هي عليه في يومنا هذا .

وكما أوضحت في مجلة «العرب» فإن منطقة دبا امتداد لواد يسمى بهذا الاسم ، يمتد من شمال بلدة (الْـمَسَافِـي) ويتجه نحو ستة عشر كيلًا نحو الشمال ، ثم ينحرف باتجاه الشمال الشرقي ، بحيث يبدأ انفراج الوادي واتساع أرضه ، ويستمر بالاتساع حتى دَوْحَة دبا على البحر ، بعرض خمسة أكيال ، بعد أن يقطع

حوالي سبعة عشر كيلاً .

وفي وادي دبا ، قامت مراكز للاستقرار منها عجمية وطيبان وعينية .

وماء آبار منطقة دبا نسبة الملوحة فيه مرتفعة لقربه من البحر .

ولعل من أوفى من تكلم عن دبا ، الأمير سلطان بن محمد القاسمي ـ حاكم الشارقة ـ في كتابه (THE MYTH OF ARAB PIRACY IN THE GULF) .

إذ قال ماتعريبه : إذا اتجهت جنوباً متبعاً لحافة الجبال والخلجان الصغيرة على الجانب الشرقي لمسندم ، فإنك تصل إلى دبا .

وهذا الجزء من دبا إلى كَلْبَا في الجنوب ، ورد وصفه في تقرير رحلات السفينة الهولندية ميركات (MEERKAT) عام ١٦٦٦ بما هذا نصه : إن دبا عبارة عن قرية صغيرة تتألف من ٣٠٠ منزل بنيت من سعف النخل ولاتزال أكبر القلاع الأربع التي شيدها البرتغاليون قائمة حتى اليوم ، ويتزود المكان بالماء العذب من الآبار كما يوجد عدد من النخيل هناك .

ومن الجهة الشمالية للقرية توجد عين للماء ، أما في الركن الجنوبي لدبا إلى الْبَدْيَا فإن الطريق يتجه جنوباً بمسافة ميلين ونصف بعمق يتراوح بين ١٩ ـ ٢٢ قامة (٦ أقدام) وينتهي بقعر رملي .

وتتألف البديا من ٢٠٠ منزل بنيت من سعف النخل قرب الشاطيء وتحصل على الماء العذب من الآبار الموجودة بها ، وبها عدد ضخم من النخيل وبعض أشجار التين والبطيخ . ويمكن شراء الأغنام والأبقار والماعز من هذا المكان .

ويوجد المرسى على بعد ربع ميل من الشاطيء بعمق يتراوح بين ١٠ ـ ١٢ قامة بقاع رملي .

ومن الركن الجنوبي للبديا حتى الركن الجنوبي لخليج (خَوْرفَكّان) يتجه الطريق نحو الجنوب ، وتطل (خورفكان) على خليج عميق بقاع رملي عمقه يتراوح من ١٦ ـ ٣٥ قامة ، وبالمدينة ٢٠٠ منزل مبنية من سعف النخيل .

وعلى الجهة الشمالية من الخليج لاتزال توجد قلعة مثلثة بناها البرتغاليون ولكنها متهدمة ، وهناك قلعة أخرى مبنية على جبل في الجهة الجنوبية للخليج ، وهي أيضاً متهدمة ، ويبدو وادي (خورفكان) جميلاً تملأه أشجار النخيل والليمون والبرتقال والتين ، كما ينمو به البطيخ والخربز ، وقد استعملت مياه الآبار للري . وخلف وادي خورفكان توجد أرض جبلية جرداء . ويعيش السكان ، وهم فقراء ، على الزراعة الفردية للوفاء بحاجاتهم ، إذ ليس هناك تجارة . وتوجد الأبقار والماعز والدجاج والفاكهة بخورفكان .

ويبلغ عرض خليج خورفكان نصف ميل كما توجد جزيرة صغيرة بركنه الجنوبي تبعد حوالي ١٠٠ متر عن البحر .

ومن الركن الجنوبي لخورفكان إلى كلبا يتجه الطريق جنوباً، ويخلو من الصخور والأصداف أو الجرف في المنطقة المغمورة . ويبلغ عمق المرسى الذي يبعد عن الشاطيء بأربعة أميال حوالي ٢٠ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٥ قامة بقاع رملي أسود .

ومن خور كلبا نحو الجنوب إلى مَسْقَط ، فإن الأرض الواقعة بين سلسلة الجبال والبحر تسمى شاطيْ البطينة ، وهو رملي ، وعلى طوله توجد عدة قرى تحيط بها بساتين النخيل الكثيفة .

وتوجد مدينة شيناس (؟) في الشمال ، وصحار مدينة أخرى على نحو ٢٧ ميلاً جنوباً .

وقد اضطلعت شيناس (؟) بقدر كبير من التجارة الساحلية وعاش السكان على الزراعة وصيد الأسماك . أما صحار فهي مركز تجاري قديم ، على هذا الجزء من الشاطيْ ، وقد بلغ سكانها ٤٠٠٠ نسمة ، ووجدت بها بكثرة الخضروات والفواكه والماشية والدجاج والأسماك .

أما مطرح فقد كانت مدينة غنية تبعد نحو ميلين ونصف شمال مسقط يسكنها حوالي ١٥٠٠٠ ـ ١٨٠٠٠ نسمة منهم ألف نسمة من بني ياس . ووجد بهذه

المدينة نحو ٥٠ مركباً للتجارة تتراوح حمولتها بين ٣٠٠ - ٣٠ طن .

وجاء في كتاب «تحفة الأعيان في تاريخ عمان» - ج ١ ص ٥٨ - عن وقعة (دبا) ماهذا نصه : وقال الشيخ خلف بن زياد البحراني في سيرته : بلغنا أن أبا بكر بعث إلى أهل عُمان مُصَدِّقاً يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله ، فأعطوه الصدقة جميعاً ، لم يمنعها أحد منهم ، غير أن امرأة من أهل دبا شاجرتْ بعض المصَدِّقين ، فزعمت أنه قد استوفى جميع حقه ، وزعم أنه بقي عليها بقية منه ، فتنازعا في ذالك فقرعها قرعة فاستغاثت ببعض أهلها فأغاثها ، فأقبل ومن معه إلى الذي قرعها ومن معه من المصدِّقين ، فتواقعوا وتنادوا عند ذالك يا آل بني فلان ، حين رأوا أن القبائل قد نَشَبتْ بينهم قال : وكانت دَعوَةً جاهلية قد كان يقال : إن من دعى بها حَلّ دمه حين يدعو بها أو يتوب ، فاقتتلوا ماشاء الله وظهر المصدِّقون عليهم ، فجاء حذيفة الغلفاني ، وكان وَلِي ذالك فسبا أهل دبا وفيهم ذرية من لم يقاتلهم من النساء والولدان ، وذرية من كان قد غاب أو كان قد مات ، وهو مسلم ونساؤه في غَيْرِ إنكار منهم بشيء من التنزيل ، ولا امتناع منهم بما قِبَلَهم من الحق قال : فلم يبقَ أحد من أهل دبا قدر عليه إلا سباه ، فوافق بذالك عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - وكان أول مبعثهم في حياة أبي بكر - رحمة الله عليه - فقال له عمر حين انتهى إليه وحلف له بالله : أن لو أعلمك تسبيهم بدين دوني تقطع فيهم علي ، لقطعتك طوائف ، ثم بعثت إلى كل مصر منك بطائفة قال : ثم نقض أمر أهل دبا ، وردّهم إلى منازلهم بأموالهم إلا من استخفى بشيء منهم خيانة ، قال : وأجاز المسلمين بما أصيب منهم وأصابهم من البلا ، بثلاث مئة ، ثلاث مئة ، وأخرج ذالك لهم من مال الله . هذا حاصل قضية دبا من الكتب العُمَانيَّة ، وهم أعرف بحالهم وبما عليه أوائلهم ، ولا يصح ماذكره ابن الأثير في «كامله» حيث قال : وأما عُمَانُ فإنه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ، وكان يسمى في الجاهلية الجلندى ، قال : وادعى بمثل ماادعى من تنبأ وغلب على عُمان مرتدًا قال : والتجأ جيفر وعباد إلى الجبال ، وبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره ويستمده عليه قال : وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني

من جِمْيَرَ ، وعرفجة البارقي من الأزد ، حذيفة إلى عمان ، وعرفجة إلى مهرة ، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه ، فإذا قَرُبَا من عُمَان يكاتبان جَيْفَرا ، فسارا إلى عمان ، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل وكان بعثه إلى اليمامة فأُصِيب ـ فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عُمَان ومهرة ، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن ، فلحقهما عكرمة قَبْلَ عُمَان ، فلما وصلوا رجاما وهي قَرِيْبٌ من عُمَان كاتبوا جيفراً وعبادا ، وجمع لقيط جموعه وعكسر بِدَبَا ، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بِصُحَار ، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما ، وكاتبوا رؤساء مع لقيط ، وارفضُوا عنه ، ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، واستعلى لقيط ورأى المسلمون الخلل ، ورأى المشركون الظفر ، قال : فبينما هم كذالك جاءت المسلمين موادُّهم العظمى من بني ناجِية ، وعليهم الخرِّيْت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان ، وغيرهم فقوى الله المسلمين ، فولى المشركون الأدبار ، قال : فقتل منهم في المعركة عشرة آلاف ، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم ، وسبوا الذراري ، وقسموا الأموال ، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة ، وأقام حذيفة بِعُمَان يُسَكِّنُ الناس . انتهى .

الصحافة في الإمارات العربية المتحدة

ويسأل أحد القراء عن الصحافة في الامارات العربية المتحدة ، وقد كنت قد كتبت كلمة عنها حين زرت تلك البلاد ، هاهي خلاصة ما يتعلق بالجرائد اليومية منها في سنة ١٤٠٧هـ :

١ ــ جريدة «الاتحاد» في مدينة (أبو ظبي) عن (مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر) في ٢٤ صفحة في الغالب ، وقد بدأت في الصدور منذ أكتوبر سنة ١٩٦٩م ، ومديرها ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالله النويس ، وهي أوسع الصحف انتشاراً في الإمارات .

٢ ــ جريدة «الخليج» سياسية مستقلة ـ أسسها الأستاذان تريم عمران ، وعبدالله عمران سنة ١٩٧٠م ، في مدينة الشارقة ، في ١٨ صفحة ، وهي ذات

أسلوب متميز في معالجة بعض القضايا العربية ، تبدو فيه الصراحة واستقلال الرأي .

٣ ــ جريدة «البيان» تصدر في مدينة دبي ، في ٢٢ صفحة ، ومديرها ورئيس تحريرها الأستاذ حشر بن مكتوم ، انشئت سنة ١٤٠٠هـ .

٤ ــ جريدة «أخبار الخليج» تصدر في (المنامة) البحرين منذ سنة ١٣٩٦هـ ، ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد سليمان كمال - وصفحاتها ١٤ صفحة .

٥ ــ جريدة «الوحدة» أنشئت سنة ١٩٧٣م - سياسية مستقلة - تصدر في (أبو ظبي) في ١٦ صفحة .

٦ ــ جريدة «الفجر» تصدر في (أبو ظبي) في ١٢ صفحة ، وقد أنشئت سنة ١٩٧٥م ، ويرأس تحريرها الأستاذ عبيد حميد المزروعي .

أبو بكر سراج الدين (مارتين لنجز)



الشيخ أبو بكر سراج الدين

كنت تحدثت في كتاب «رحلات للبحث عن التراث» - ص ٢١٩ - عن عالم انجليزي أسدى إليَّ معونة لا أنساها حين زرت المتحف البريطاني في يوم السبت ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٨٠هـ (٨ أكتوبر سنة ١٩٦٠م) وكان مما قلت عنه : إنه يدعى الدكتور (مارتين لنجز) ويشغل وظيفة مساعد حافظ في القسم الشرقي من مكتبة المتحف البريطاني ، وقد أسلم وحج عام ١٩٤٨م ، وأقام في مصر من سنة ١٩٣٩م إلى سنة ١٩٥٢م واشتغل فيها في التدريس في كلية الآداب في الجامعة ، وألف مؤلفات في التصوف ، باللغة الانجليزية ، وهو يتكلم العربية بطلاقة ، واسمه بعد ما أسلم الحاج أبو بكر سراج الدين ، ولكنه لا يعرف في المتحف البريطاني إلا باسم لينجز .

الاسم الانجليزي الأول .

ويقوم الآن بتأليف كتاب عن الشيخ أحمد العلوي المستغانمي الجزائري سينشر في أول العام القادم (١٩٦١م). انتهى .

وعلمت فيما بعد أنه تولى إدارة القسم الشرقي من مكتبة المتحف البريطاني وزرت ذالك القسم أثناء توليه العمل ولكن مديرة مكتبه لم تمكني من مقابلته . بحجة أنه مشغول بكثرة أعماله .

ومما لم أذكره عن الرجل أنه سنة ١٩٥٢م وكان مدرسًا في كلية الآداب في الجامعة أُخْرِجَ من مصر كغيره من الأجانب الكثيرين .

ويدور الزمان دورته ويقام في مصر حفل كبير للاحتفاء بالدعاة إلى الإسلام وبإكرامهم ، فيكون الرجل الذي أخرج من مصر منذ مايقرب من تسعة وثلاثين عاماً بين الذين دُعُوا من بلادهم ليقابلوا بالإكرام والتقدير ـ في حفل كبير حضره رئيس جمهورية مصر العربية ، وكان من بين المكرمين فيه الشيخ أبو بكر سراج الدين .

وأرى من قبيل الوفاء لهذا العالم الجليل أن أنشر نبذة مما نشرته عنه جريدة «الأخبار» المصرية بعنوان : (الداعية الانجليزي الذي كرمته مصر): المستشرق الانجليزي مارتن لنجز أو الشيخ أبو بكر سراج الدين واحد من الباحثين الغربيين الذين شهروا إسلامهم منذ نصف قرن ، وخدموا الدين الإسلامي من خلال مؤلفاتهم سواء في السيرة أو الفقه ، والشيخ سراج الدين تخلى عن بذلته وارتدى العباءة والعمامة واستمر يُدَرِّسُ الأدب الانجليزي في جامعات أوربا والقاهرة ، وألف كتابًا عن حياة النبي ﷺ واشهر الكثير من الشباب البريطاني إسلامهم على يديه .

هذا الشيخ كرمته مصر في احتفالاتها بعيد الدعاة تقديراً لدوره .

يقول الشيخ أبو بكر : إن رحلتي مع الإسلام طويلة جدًّا ، وتعود إلى أيام

دراستي بالجامعة ، فقد ولدت في مدينة لانكشير عام ١٩٠٩م وعندما كنت طالباً في جامعة اكسفورد هزتني أزمة عارضة ، أغرقتني في بحور الشك الفلسفي ، وحاولت أن أنجو بنفسي من هذا الجحيم ، فعكفت على دراسة كل الأديان وركزت قراءاتي في مؤلفات المستشرق الفرنسي (رينيه جينو) الذي كان قد كتبها بالفرنسية ليخاطب بها المثقفين في أوربا .

وقد أُعجب الشيخ أبو بكر بأفكار ودراسات (جينو) وتأثر بها وبدأ ينقب عن كتب التصوف للاطلاع عليها بعد أن توصل خلال دراسته للأديان إلى أن التصوف هو منقذه ومخرجه الوحيد من شكوكه التي استمرت معه إلى بعد تخرجه ، وعند بلوغه التاسعة والعشرين أعلن إسلامه بعد أن اعتنق أفكار (رينيه جينو) وعرف أنه اعتنق الإسلام أيضاً وعاش في مصر وتزوج بمصرية .

واقترب مارتن لينجز من دينه الجديد أكثر والتحم ببعض المسلمين العرب الموجودين في فرنسا وسويسرا وتعلم معهم الصلاة وقراءة القرآن ، وعكف على تعليم نفسه اللغة العربية لقراءة المؤلفات الإسلامية في الحديث والفقه والسيرة ، وكان أول مؤلف إسلامي عربي يلتقي معه بعد إسلامه هو رسالة الإمام الغزالي «المنقذ من الضلال» وحببت إليه التصوف : ويقول في وصف الرسالة : إن للكتاب لذة ومتعة لا تقاوم تسمو بالروح وتنقيها .

وقام بتأليف كتاب عن النبي ﷺ بعنوان « محمد ﷺ حياته من المصادر الأولية» الذي منحته عنه باكستان جائزة أحسن كتاب عام ١٩٨٤م لمستشرق عن الإسلام وقيمة الجائزة خمسة آلاف دولار .

والتصوف عند الشيخ أبو بكر يقوم على الذكر والفكر فيه التجربة الروحية وجانب العمل أيضاً ، والإيمان عنده أساسه قول النبي ﷺ : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ويقول : إن الكعبة المشرفة ومسجد الرسول ﷺ أجمل بقاع الأرض ، وانه شديد الاعجاب بمسجدي السلطان حسن وابن طولون في مصر .

الحَمّود في القراين من الوهبة

نبه الأخ حمد بن عبدالعزيز الْـحُمَيِّد في معهد النور في الرياض إلى أن أسرة (الـحَمُّود) ـ بفتح الحاء وضم الميم المشددة بعدها واو فدال ـ في بلدة القراين من الوشم ، هم أبناء إبراهيم بن سليمان بن حمد ـ ولقبه حَمُّود ـ بن حمد بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد ـ ولقبه حُمَيِّد بتشديد الياء وكسرها ـ بن لُهَيب بن شيحة بن شُبَرمة . وهم ممن لم يرد لهم ذكر في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ، فهم أبناء عم لآل حُمَيِّدِ الذين في أُشيقر ، والأسرتانِ من الوهبة ، ونسب الوهبة إلى تَميم معروف .

أوهام في جزء رمضان من «العرب»

ليس بدعًا أن تقع أوهام كثيرة في مجلة «العرب» في أجزائها الأخيرة ، فكل إنسان له طاقة محددة من القوة والنشاط ، وكما قيل : (المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه) ولهذا فإنَّ ما يُفْضِلُ به القراء من تنبيه أو تصحيح أو استدراك يقع من صاحب المجلة موقع الاستحسان والتقدير والشكر .

لقد كتب الأخ الكريم الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي ملاحظًا على جزء رمضان/شوال ١٤١٠هـ من المجلة :

١ ـ أن بيت حاتم ـ ص ١٤٥ ـ :

دَعِيْنِيَ أَنْفَعْ في حَيَاتي فَإِنَّني ... مَتَى مَا أُمُتْ لاَ تَبْكِ نَابٌ وَلاَ بَكْرُ

لا صلة له بقصيدته التي مطلعها :

إِذَا أُزِّرُوا بِالشَّوْكِ أَعجَازَ نخْلِهِمْ ... رَأَيْتَ عِـذَاقي بَيْنَهَا مَـا تُؤَزَّرُ

لاختلاف القافيتين وقد سبق التنبيه على هذا في جزء القعدة/ الحجة ص ٤٢٦ .

٢ ــ استوضح الأستاذ الكريم معنى اختلاف المعنى والقافية بين الأبيات ـ ص ١٤٧ ـ التي مطلعها :

رَأَيْتُ وَحُجَّاجُ البَنِيَّةِ وُقَّفٌ بِبَطْنِ مِنًى رُوْمِيَّةً فُرِمِيْتُ

وبين ماقبلها ، والمقصود هو عدم الاتصال بين الورقتين فإحداهما تتضمن شعراً لزيد بن سُلْمي الْحُرَيْدي مختلف المعنى والقافية والورقة الثانية التي تليها تبدأ بالبيت :

رَأَيْتُ وَحُجَّاجُ البَنِيَّةِ وُقَّفٌ بِبَطْنِ مِنًى رُوْمِيَّةً فُرِمِيْتُ

من هنا لم يتضح إذا كان هذا البيت مرتبطاً بأبيات قبله أو غير مرتبط .

٣ ــ أشار الأستاذ الكريم الفريق يحيى إلى تطبيع وقع في كلمة (في إحدى وتسعين بيتاً) ـ ص ١٤٥ و ١٤٨ ـ والصواب كما ذكر الأستاذ : (في واحد وتسعين بيتاً) .

فله ولكل من أرشد إلى خطإ أجزل شُكْرٍ وأعظم رجاء في مواصلة التنبيه والإيضاح والتصحيح .

حول كتاب :

في شمال غرب الجزيرة

كتب إلى «العرب» الأخ سليم بن دهيم الشراري بملاحظات حول كتاب «في شمال غرب الجزيرة» منها :

١ ــ عشيرة (الرهيدات) التي ورد عنها في ذالك الكتاب ص ٤٥ : (الضباعين وفروعها : الرهيدات واحدهم (رهيدي) .

يقول الأخ سليم تعليقاً على هذا : لدى سؤال كثير من مُسِنّي الشرارات أدركت أن أكثر من نصفهم ينطق (الرهيدات) بحرف الفاء (الرفيدات) ولهذا استغربت ورود الاسم بالهاء .

٢ ــ المسنون من قبيلة الشرارات إذا سُئِلُوا من أي القبائل هم ؟ يكون جوابهم : كبارنا وأجدادنا الأولون يقولون : إن السرحان منا . أي إن قبيلتي السرحان والشرارات ينتمون إلى مكلب (كلب) .

٣ ــ ورد في «المعجم الجغرافي» ـ قسم شمال المملكة ـ: تل جريميز وهو تل يفصل بين دومة الجندل وعريق الدسم . كذا ورد الاسم بالجيم (جريمز) .

ولكن المعروف أن اسمه (قريمز) بالقاف بالجيم ، وقريميز اسم لأحد كبار شيوخ شمر قتل في معركة جرت بينهم وبين قبيلة الشرارات في ذالك المكان فسمي التل باسم الشيخ الذي قتل فوقه .

العضيلات مرة أخرى

كانت «العرب» بعثت بالكلمة المتعلقة بنسب العضيلات المنشورة في ٤٢٩ ـ إلى الأخ عوض بن عويض بن لويحق المطيري وهو من المهتمين بالبحث عن نسب قبيلة مطير ، وقد أفضل بهذا التعليق الذي اعتمد فيه على كتابه «البرهان في معرفة بني عبدالله من غطفان» قال ما ملخصه :

١ ــ ليس جد العضيلات مرشد بن عضي ، بل هو عضيل بن عضيول بن خيفر بن كامل . أما مرشد فأحد فروع العضيلات وليس بجد .

أما صعيب فلقب يجمع قبائل الصعوب الستة :

١ ــ المجال . ٢ ــ العضيلات . ٣ ــ الشعلر .
٤ ــ المهالكة . ٥ ــ الحشوش . ٦ ــ المشاريف .

ومن الصعوب العطايين .

والقول بأن مرشداً خلف سافرا ورويشدا وعبيداً .

فالصحيح أن عضيلا خلف مرشدا الملقب (بالعقص) ورشود ، فرويشد بن مرشد . وسافر وعبيد ابنا رشود .

وعن أقسام سافر : فإن كليبان بن سافر بن غوين بن غانم بن سافر ، والذنبان من سفر بن غوين بن غانم .

وأبناء هشال : عاتق ، ومساعد ، وهادل .

والصفيان والرماحين أبناء عاتق .

وآل معاضد وآل شديد والفتران أبناء خاتم بن العقيد بن سافر .

والسحامين أبناء سعد بن سافر وهم من أمراء العضيلات .

والمساعيد من سافر .

والذنبان والرويتعات والكلابين والرشفان يرجعون إلى غانم الملقب (الأنتشم) . والملقب بالعقص هو مرشد بن عضيل وليس رويشد ، فرويشد المذكور هو ابن مرشد أخ لرشيِّد .

والصواوية وذو حامد بطن من رويشد .

وذوو ماوي وذوو دمليج بطن في عويمر بن رويشد بن مرشد وهم الصواوية .

والعيورة أبناء رشيِّد بن مرشد وهم قسمان :

الأول : آل سلوم   الثاني : آل طويلع .

ومن العقصان : السيورة .

وفات الكاتب ذكر أفخاذ أخرى مثل الجبلة والشعورة والمواسمة .

هذا ملخص مالاحظه الأخ عوض بن عويض بن لويحق . [توفي رحمه الله قبل صدور هذا الجزء] .

أكْلُبْ : فروعها وبلادها

(١) بنو عَامِر

أولاً ــ الـمَزَايْدة : بالميم المفتوحة والزاء المعجمة المفتوحة فألف فياء ساكنة فدال آخرها هاء .

وفخوذهم :

١) الـمَدَافَعْة : بالميم المفتوحة والدال المهملة المفتوحة ثم فاء مفتوحة وعين ساكنة وآخرها هاء ومنهم :
الشّعالِيْن ، والقَنَازِعَةُ والسُّهُوْل ، وآل سُرَيْحَان .

٢) آلُ غُنَيْم : بالغين المعجمة فنون فياء ساكنة فميم .

٣) الـجَمَاعِيْن : بفتح الجيم والميم فألف ثم عين مكسورة وتليها ياء ساكنة وآخرها نون .

٤) الْـخَشَاشِرَةُ : بِالْـخَاءِ والشِّيْن المفتوْحتين ثم ألف فشين معجمة ساكنة فراء مهملة فهاء .

٥) القنانْصَة : بفتح القاف وفتح النون تليهما ألف ثم نون ساكنة وصاد مهملة مفتوحة وآخرها هاء .

٦) العَصَادِيْن : بفتح العين والصاد تليهما ألف فدال مهملة مكسورة فياء ساكنة وآخرها نون .

ثانياً ــ الْـجُنَبَةُ : بضم الجيم وفتح النون والباء الموحدة فهاء .

وفخوذهم هي :

١) الزَّهَارِيْنُ : بالزاي المشددة ، ثم هاء مفتوحة تليها ألف ثم راء مهملة

مكسورة وبعدها ياء ساكنة وآخرها نون .

٢) الْـمقَاطِعَةُ : بسكون الميم وفتح القاف ثم ألف وبعدها طاء تليها عين مفتوحة فهاء .

٣) السَّعَدَات : بفتح السين والعين فدال مفتوحة فألف فتاء ـ ويسمون أيضاً السعيدات ـ .

٤) آل إجْنَابِنْ : همزة مكسورة ثم جيم ساكنة فنون مفتوحة فألف فباء مكسورة موحدة فياء ساكنة وآخرها نون .

٥) العَثَامِينْ : بالعين المهملة المفتوحة تليها ثاء مثلثة فألف وبعدها ميم مكسورة فياء ساكنة فنون .

٦) الْغَرَاسِينْ : بالغين المعجمة المفتوحة تليها راء مهملة مفتوحة ثم ألف فسين مهملة مكسورة فياء ساكنة فنون .

٧) الْـقُمَزَةُ : بالقاف والميم فزاي معجمة مفتوحة فهاء .

ثالثاً ــ **الـجُبَرَة** : بضم الجيم وفتح الباء الموحدة فراء مهملة مفتوحة فهاء .

وفخوذهم هي :

١) آل بِشْرٍ : بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة فراء مهملة .

٢) الْـحُفَش : بالحاء المهملة يليها فاء مفتوحة وآخرها شين معجمة .

٣) الْـفُـرُود : بالفاء وضم الراء المهملة يليها واو وآخرها دال مهملة .

٤) الـمَسَامَحَة : بفتح الميم والسين ، ثم ألف وبعدها ميم ساكنة فحاء مفتوحة وآخرها هاء .

رابعاً ــ **العَطاوِيْن** : بفتح العين والطاء وكسر الواو ، وسكون الياء وآخرها نون .

وفخوذهم :

١) آلُ عُطَيَّان : بالعين المهملة والطاء المهملة وفتح الياء يليها ألف وآخرها نون .

٢) الـجَبَارِيْن : بفتح الجيم وفتح الباء الموحدة فألف ثم بعدها راء مهملة مكسورة فياء ساكنة فنون .

٣) الشُّبَلَة : بالشين المعجمة يليها باء موحدة مفتوحة ثم لام وآخرها هاء .

٤) الْـحُوْيَان : بضم الحاء المهملة يليها واو ساكنة فياء مفتوحة متصلة بألف وآخرِها نون .

٥) العَيَاشِيِنْ : فخذ منقرض لم يبق منه سوى أفراد قليلة لا تنطبق عليها شروط الفخذ وقد كتبتها سابقاً في المقال حيث ذكر لي الشيخ عبدالله بن مضف شيخ شمل أكلب على أنه فخذ ولكن بعد البحث والتحري ثبت غير ذالك لذا آمل حذفها من المقال .

خامساً : **آل بَالشِّنِيْن** : مركبة من باء موحدة وألف . . ثم لام وشين معجمة مشددة يليها نون مكسورة وبعدها ياء ساكنة وآخرها نون .

وفخوذهم هي :

١) آل عُمَر : بضم العين وفتح الميم تليها الراء .

٢) آل عَمْرو : فتح العين المهملة وتسكين الميم وآخرها راء مهملة فواو التفريق بين (عُمَرَ) و(عَمْرٍو) .

٣) آل بَخِيْتَان : بالباء الموحدة وكسر الخاء المعجمة وتسكين الياء وفتح التاء المنقوطة بنقطتين تليها ألف ثم نون .

٤) آل رُكْبَان : راء مضمومة تليها كاف ساكنة ثم باء مفتوحة ، يليها ألف ثم النون .

٥) آل خَلِيْفَة : بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام ثم ياء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء .

سادساً : آل مَنِيْع : بفتح الميم وكسر النون تليها ياء ساكنة وآخرها عين مهملة .

وفخوذهم هي :

أ ــ الْـمَخَارِطَةُ : بفتح الميم والخاء تليها ألف وبعدها راء مهملة فطاء مهملة مفتوحة وآخرها هاء . وهم :

١) العَوَاسِفُ : بفتح العين والواو ثم ألف فسين وآخرها فاء .
٢) الغَوَارِيْن : بفتح الغين المعجمة وفتح الواو تليها ألف فراء مهملة وبعدها ياء ساكنة .
٣) الفَقَاعِسْةُ : بفتح الفاء والقاف يليهما ألف فعين مهملة فسين مفتوحة وآخرها هاء .
٤) الدَّلَامِيْن : بفتح الدال المهملة ثم لام مفتوحة وبعدها ميم مكسورة فياء ساكنة وآخرها نون .
٥) العَزَارِيْن : بفتح العين والزاي تليهما ألف فراء مهملة مكسورة بعدها ياء ساكنة وآخرها نون .
٦) آل بُرَيْم : بالباء الموحدة وبعدها راء مهملة فياء وآخرها ميم .
٧) آل حَمْد : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فدال مهملة .
٨) النَّعَارِيْن : بفتح النون والعين المهملة وبعدها ألف فراء مهملة مكسورة فياء ساكنة وآخرها نون .
٩) آلُ دِرْع : بكسر الدال وسكون الراء وبعدها عين .

ب ــ آل بُو مُعيْن : مركب من باء موحدة وواو ، ثم ميم مضمومة وعين مكسورة وياء ساكنة وآخرها نون . وهم :

١) الْوَطَابِيْن : بفتح الواو والطاء وبعدها ألف ثم باء موحدة مكسورة فياء

ساكنة وآخرها نون .

٢) الْـحَشَايَا : بفتح الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف فياء مفتوحة وآخرها ألف .

٣) الْقَضَامِينُ : بفتح القاف والضاد وبعدها ألف فميم مكسورة ، فياء ساكنة وآخرها نون .

٤) الْعَصَافِرَةُ : بفتح العين والصاد المهملتين فألف وبعدها فاء فراء مهملة وآخرها هاء .

٥) الشَمَاخِةُ : بفتح الشين وفتح الميم وبعدها ألف ثم ميم وخاء مفتوحة وآخرها هاء .

جـ ــ الزُّوَابِرَة : بالزاي المعجمة وفتح الواو وبعدها ألف ثم باء موحدة تليها راء وآخرها هاء . وهم :

١) آل رَفِيْع : بفتح الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الياء وآخرها عين .

٢) الـمَغَاضِبة : بفتح الميم والغين المعجمة وبعدها ألف ثم ضاد معجمة تليها باء مفتوحة وآخرها هاء .

٣) آل شَاهِرِ : بفتح الشين وسكون الألف وكسر الهاء ثم راء مهملة .

٤) آلُ عُوِيْنَان : بضم العين وكسر الواو وسكون الياء وفتح النون فألف بعدها نون .

٥) السَّيَايِرَةُ : بفتح السين المشددة بعدها ياء مفتوحة تليها ألف وبعدها ياء مكسورة فراء مهملة وآخرها هاء .

سابعاً ــ **الاغامشة**: وفخوذهم هي :

١) المَسَاتِيْرُ : بفتح الميم والسين المهملة تليهما ألف فتاء مكسورة وياء ساكنة وآخرها راء مهملة .

٢) آلُ عُبَيْدِ الله : بضم العين المهملة وبالباء الموحدة وسكون الياء وبعدها دال مهملة وبعدها لفظ الجلالة .

٣) العَزَارِيْن : بالعين المهملة المفتوحة والزاي المفتوحة ثم ألف فراء مهملة مكسورة وبعدها ياء ساكنة فنون .

٤) الصُّقُور : بالصاد وضم القاف فواو وراء مهملتان .

ثامناً ــ **الحُصَنَة** : بالحاء المضمومة تليها الصاد المفتوحة والنون المفتوحة فهاء .

وفخوذهم هي :

١) السَّرَاحِيْن : بالسين المشددة المفتوحة فالراء المهملة المفتوحة فألف بعدها حاء مهملة مكسورة وياء ساكنة ونون أخيرة .

٢) الْعُصَمْ : بضم العين المهملة وفتح الصاد وميم أخيرة .

(٢) قبيلة الْمَحَلَف

أولاً ــ **بنو سَعْد** : بفتح السين وسكون العين فدال مهملة وفخوذهم هي :

١) العَوَاجِيْن : بالعين المهملة المفتوحة تليها واو مفتوحة فألف فجيم مكسورة وياء ساكنة فنون أخيرة .

٢) الذُّوَيْبَةُ : بالذال المشددة ثم الواو المفتوحة يليها باء موحدة فهاء أخيرة .

٣) الْعُنْقَان : بالعين المضمومة فنون ساكنة فقاف مفتوحة فألف فنون .

٤) الورْكَان : بالواو والراء المهملة الساكنة فكاف مفتوحة تليها ألف فنون .

٥) الـجِذْمَان : بكسر الجيم المعجمة وسكون الذال المعجمة وفتح الميم فألف فنون أخيرة .

٦) الـمَصَالْـمَةُ : بفتح الميم والصاد فألف ساكنة بعدها لام ثم فتح الميم الثانية فهاء .

٧) السُّلَسْة : بالسين ثم اللام المفتوحة فسين ساكنة أخرى فهاء .

٨) النَّهَدَة : بالنون وفتح الهاء بعدهما دال مهملة مفتوحة .

٩) السَّمَنَافِيرُ : بفتح الميم والنون فألف ففاء مكسورة بعدها ياء ساكنة وراء مهملة .

١٠) الرَّغَاوِيْنُ : بفتح الراء المهملة وفتح الغين المعجمة يليهما ألف فواو مكسورة فياء فنون .

١١) آلُ عُبَيْد : بضم العين المهملة وبالباء الموحدة بعدها ياء ساكنة فدال مهملة .

١٢) الهُوْدَان : بضم الهاء بعدها واو فدال مفتوحة فألف فنون .

ثانياً ــ **بنو هِزْر** : بكسر الهاء وسكون الزاي المعجمة فراء مهملة وفخوذهم هي :

١) الصَّرْيَان : بالصاد والراء بعدهما ياء معجمة مفتوحة تليها ألف فنون .

٢) البُقْرَان : بضم الباء وسكون القاف وفتح الراء فألف فنون .

٣) اللَّوَامِيَةُ : بفتح اللام وفتح الواو بعدهما ألف فميم مكسورة فياء معجمة فهاء .

٤) الصَّهَبَة : بالصاد وفتح الهاء بعدهما باء موحدة فهاء .

٥) الـجَرَاذِيَّة : بفتح الجيم المعجمة والراء المهملة فألف ثم ذال ساكنة معجمة فياء مشددة مفتوحة فهاء .

٦) الشيَّاحِيْنُ : بالشين المعجمة يليها ياء مشددة مفتوحة فألف فحاء مهملة مكسورة فياء ساكنة فنون .

٧) الصُّلْمَانُ : بالصاد واللام وفتح الميم بعدها ألف ونون .

٨) النَوَاجِـي : بفتح النون والواو بعدها ألف فجيم مكسورة فياء .

ثالثاً ــ **النَّشَاوَى** : بفتح النون والشين المعجمة فألف فواو مفتوحة فألف

مقصورة . وفخوذهم هي :

١) آلُ مَشْرِي : بفتح الميم وسكون الشين المعجمة فراء مهملة مكسورة فياء ، ومنهم آل غُصْن .

٢) آل عِقّال : بكسر العين المهملة وفتح القاف بعدها ألف فلام .

٣) آل بَقِيَّة : بفتح الباء وكسر القاف بعدها ياء مشددة مفتوحة فهاء .

رابعاً ـ آل سَمْرَة : بفتح السين وسكون الميم وفتح الراء فهاء .

وفخوذهم هي :

١) آلُ فَهَد : بفتح الفاء والهاء فدال مهملة .

٢) آل مُلْفِي : بالميم واللام الساكنة بعدها فاء مكسورة فياء .

خامساً ـ الجَيَاهِيْن : بفتح الجيم المعجمة وفتح الياء فألف بعدها ثم هاء مكسورة فياء ساكنة فهاء . وفخوذهم هي :

١) آل خِزَام : بكسر الخاء المعجمة فزاي معجمة مفتوحة فألف فميم .

٢) آل حَمَّاد: بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة فألف فدال مهملة .

بلادها ومنازلها

تقع بلاد أكلب في الجزء الجنوبي من مملكتنا الحبيبة ، فتحدها بلاد سُبَيع ومنطقة أُجْرُب شمالاً ، وبلاد شهران شرقاً ، وبلاد بلحارث في تَرْج جنوباً ، وبلاد الْفَزَع في أعالي تَبالة غرباً .

ولكن بواديها تتخطى هذه الحدود فتصل إلى منطقة أُجْرب والْعقيق من بلاد غامد وأعالي شواص ، وماصاقب تلك البلاد وإلى أرض الميثب المنبسطة جنوب بيشة بناحية تَثْليث وإلى ضَلْفع وماجاورها ، ويتضح ذالك جَلِيًّا من قول شاعرها الشعبي محسن المدافع ـ الذي عاش قبل خمسة قرون تقريباً :

يَرْحَذُنا الحِمَّان حمَّانْ ضَلْفع   تَلْقَى بِهَا حيراَنْهنّ رُقُوْدْ
وَيَرْحَذُنا بسقان[1] من مشرقها   والسدر من يَمّ الحجاز يَقود

ومن قوله أيضاً :

على العقرات الحمر منَّا منازل   وَيَرْدُ الْجَرَى من صَوْب بُرْق الْيَتَايِمْ[2]

ورغم التنافس الشديد وحب السيطرة بين القبائل المتجاورة ، الذي فرضته ظروف الحياة القاسية والاعتماد على حياة القوة والنهب والسلب في العهود القديمة ، إلا أن قبائل أكلب استطاعتْ الصمود أمام كل هذه التَّحدِّيات ، ولبثتْ محتفظة بحدودها معتمدة على قوتها ، ويتضح ذالك من قول شاعرها الشعبي :

لوان غيرنا في ذا البلاد   كان يعطي العرب شَاةٍ تُقَادِ
غير حنَّا نردُّ العايلين   مثل ردُّ المهدر في الْقيادِ

وأيضاً بشهادة مجاوريها فقد قال الشاعر الشعبي سالم الشهراني :

أكلب لِيَ ذَمَّيْتها عَيَّت الملا   شيوخ نَجْد والذي في شروقها
بني تَغْلب كم تَيَّهُوا منْ طْلاَبه   إلا طلايبْنَا خَذْيْنا حْقُوقْها[4]

ومنازلها تقع على ثلاثة أودية رئيسة هي :

١) وادي تَبَالة : هذا الوادي الشهير ، الذي كثر ذكره في كتب الأدب والتاريخ .

وكانت تشتهر بالظباء والغزلان والنعام فقال امرؤ القيس :

هما ظَبْيَتانِ من ظِبَاءِ تَبالَة   على جُؤْذرين أَوْ كَبَعْض دُمَى هَكرِ

وقد بقي النعام في هذا الوادي إلى عهد قريب ، أما الآن فقد انقرض تماماً .

وتبالة كانت تكثر بها الأسد ، لأنها قريبة من تَرْجٍ وبِيْشَةَ وهما مأسدتان . وقد ذكرها عبدالله بن عبدالرحمن الأزدي فقال :

وأكـثرهم شبـابـاً في كهـولٍ كَـأسـدِ تبـالـة الشهب الْـوِرَادِ

وعلى جوانـب هذا الوادي ، تقع معظم قرى قبائل أكلب ، وسنذكرها بالتفصيل وهي :

المختدرة : وهي قرية قديمة تقع جنوب الوادي ، تغرس فيها النخيل وتزرع الحبوب بأنواعها ، ويسكنها فخذ الجبارين من العطاوين .

الحرمل : وهي قرية حديثة ، تقع على ضفة الوادي الشمالية ، أخذت اسمها من نبات الحرمل المعروف الذي كان يملأ شعابها في القدم ، وهي الآن بويتات متناثرة تقع بجوار حدائق النخيل الواقعة على ضفة الوادي ، ويسكنها آل باشنين .

الْـمَخْرِم : وهي قرية ومزارع قديمة كثيرة السكان ، تقع شمال الوادي ، ويسكنها قبيلة آل باشنين ، وفيها من الدوائر الحكومية إمارة وشرطة ودفاع مدني ومحكمة ، وهذه الدوائر تخدم جميع القرى الواقعة على جوانب الوادي من قبائل أكلب .

البَرْدَان : وهي قرية صغيرة ومزارع قديمة ، تقع على جانب الوادي من الشمال ويسكنها فصيلة المهاري ، وفخذ الجراذية من بني هزر ، والبَردان من أقدم قرى هذه المنطقة قال عنها الراجز في أرجوزة الحج :

يَشْرَعْنَ في ذي جَدْوَلٍ فَضْفَاضِ لِـلْبَرْدَانِ مُـتْرَعِ الحسيَـاضِ

وقال الهمداني : في شرح هذا البيت البردان : قليب بتبالة طيب الماء عذبة .

الفِدْنَةُ : قرية قديمة تقع جنوب الوادي وتكثر بها بساتين النخيل القديمة وبعض بيوت الطين المتهدمة ، ويسكنها من أكلب النشاوي والأعامشة .

ضُرَيب السوق : وهو تصغير ضرب وهو جبيل مرتفع عن الأرض ، تكونت حوله قرى مزدحمة السكان ، توجد فيها حدائق النخيل ، تقع شمال الوادي ويسكنها العطاوين .

الجهلية : وهي قُرَيَّة صغيرة تقع جنوب الوادي تكثر بها حدائق النخيل ، ويسكنها فخذ الشبلة من العطاوين .

النواجي : قرية صغيرة تقع شمال الوادي يقسمها خط الطريق المبلط المتجه إلى قرية المخرم إلى نصفين ، تحمل اسم سكانها وهم فخذ النواجي من بني هزر .

الْغُدَيِّر : قرية قديمة تقع شمال الوادي . تكثر فيها بساتين النخيل ، يسكنها بعض المزايدة .

مطوية : وهي قرية قديمة تقع شمال الوادي ، ويسكنها فخذ البقران من بني هزر ، ويوجد بها بعض الآثار القديمة ، وتسمى (الحوطة) ينسبها بعض المعمرين الى بني هلال ، وهي تقع في الجهة الشمالية الشرقية من هذه القرية .

القوزية : وهي قرية تقع وسط الوادي وتكثر بها حدائق النخيل القديمة ويسكنها بعض قبيلة النشاوى .

شبرة : وهي قرية حديثة تقع جنوب الوادي عن قرية القوزية جنوباً ، يسكنها قبيلة النشاوى .

مصر : وهي قرية حديثة سميت على القطر العربي المعروف ، تكثر فيها حدائق النخيل ، تقع جنوب الوادي يسكنها أفراد من بني هزر .

شُدَيْق : تصغير شدق وهي قرية قديمة وكبيرة ، تكثر فيها بيوت الطين الأثرية وبساتين النخيل ، تقع على جانبي الوادي شمالاً وجنوباً ، ويسكنها بنو سعد ، وبنو هزر .

قوز الشّريف : قرية صغيرة تقع شمال الوادي يسكنها بنو هزر وترجع تسميتها بهذا الاسم إلى نزول الأمير خالد الشريف فيها .

الباطن : وهي قرى كثيرة متناثرة وهي الشفا والرطرطية ويشملهما اسم الباطن ، تقع شمال الوادي وتكثر فيها المزارع ، يسكنها قبيلة بنو سعد ، وبها

تنتهي القرى الواقعة على وادي تبالة ، وجميع هذه القرى الآنفة الذكر متصل بعضها ببعض ويطلق عليها اسم (الثُّنَيَّة) ويستمر الوادي في اتجاهه الشرقي حتى يلتقي بوادي بيشة من تحت الصبيحي .

وادي بيشة : هذا الوادي الذي كثر ذكره في كتب الأدب والتاريخ ، واشتهر بكثرة الأسد ، وبكثرة الغابات والأشجار خاصة الأثل والغضا .

قال الشاعر البدوي لإبله :

كلي الرمْثَ والخُضَّار من هدبة الغضا بيشـة حتى يبعث الخـير آمِـرُهْ

ولاتزال هذه الغابات في وادي بيشة ، إلا أنها بعد التقدم الحضاري الذي عم مملكتنا الحبيبة ، واتجاه الناس إلى الزراعة وإصلاح الأراضي البور ، قل نماؤها وأخذت في الانقراض . وعلى ضفاف هذا الوادي يقع الجزء الثاني من قرى وبلاد أكلب بعد التقائه بوادي تبالة من تَحْت قرية الصبيحي وهي :

الْعَطْفُ : وهي قرية قديمة تكثر فيها حدائق النخيل ، وتمرها من أجود التمور . تسمى أحياناً عطف الجبرة نسبة إلى قبيلة الجبرة ، تقع شمال الوادي ويسكنها من قبائل أكلب : آل سمرة ، الجبرة ، والجياهين .

حليبة : وهي قرية حديثة تكثر فيها المزارع الحديثة ، وتربتها من أجود التُرب تقع على شمال الوادي ، يسكنها من قبائل أكلب بنو سعد ، الجنبة وبعض آل منيع .

النقيع : وهي قرية قديمة جدًا فيها بساتين النخيل ، مزدحمة السكان تقع شمال الوادي ، ويسكنها من قبائل أكلب : بنو سعد ، الجنبة ، المزايدة ، آل منيع .

الخرسعة : قرية صغيرة تقع شمال الوادي يسكنها آل منيع ، وتكثر بها مزارع النخيل .

الحشرج : وهي قرية قديمة وصغيرة ، تكثر فيها النخيل القديمة ، وتقع شمال الخرسعة ويسكنها آل منيع .

خيبر : وهي قرية تقع شمال الوادي بعد قرية الخرسعة ، وتكثر فيها المزارع القديمة والحديثة ، ويسكنها قبيلة آل منيع .

الشُقيقة : وهي قرية قديمة تكثر فيها حدائق النخيل ، وتقع شمال الوادي . وتسكنها قبيلة بني سعد .

المحتجبة : وهي قرية قديمة تقع شمال الوادي ويسكنها قبيلة بني سعد .

الجنينة : وهي تصغير جنة ، وهي قرية قديمة تشتهر بالمزارع والبساتين الجميلة والمناظر الخلابة ، وتكثر بها بيوت الطين القديمة المتهدمة ويسكنها قبيلة بني سعد ، وبها تنتهي القرى الواقعة على وادي بيشة . إلا أن هناك مزارعاً وبيوتاً حديثة تسمى (عيدان) تقع تحت الجنينة .

٣) وادي رنية : هذا الوادي الكبير الذي ينطلق من أعالي السراة حتى يلتقي بوادي بيْشة من تحت ضَلْفَع ، وعلى أطرافه بعد هبوطه من السراة تتجمع بعض قبائل أكلب حتى العفيرية من بلاد سبيع ، وأهم القرى الواقعة على جوانبه هي :

١) الـجُليبات : وهي قرية كبيرة ومزارع تقع شمال الوادي ، ويسكنها قبيلة المزايدة .

٢) القريحا : وهي قرية حديثة قائمة على أنقاض قرية القريحا القديمة التي ذكرها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» وهي كثيرة المزارع والبيوت ، تقع شمال الوادي ويسكنها قبيلة المزايدة .

٣) قرية بجيّد : وهي قرية قديمة ، يطلق عليها أحياناً اسم قرية الشُريِّف تقع شمال الوادي ، ويسكنها قبيلة المزايدة ، وفيها وقعت معركة بين قبيلة المزايدة والأتراك . قال عنها الشاعر الشعبي سالم بن عجروف المزيدي الأكلبي :

يـاليت مِنّـا حَضـرةٍ في بْجَيِّـدْ   يوم إن خَيْل التّركْ خلّيَت ظهورها
لولا بني سيار كَلّ الذيب حَيِّنا   أجواد ماتَلْقى الحرج في صدورها

٤) قرية أبو سُرَيحة : هكذا تنطق ـ مركب إضافي وهي قرية حديثة تقع شمال

الوادي ويسكنها قبيلة المزايدة .

٥) شِرْس : وهي قرية حديثة تقع جنوب الوادي ، وتكثر فيها المزارع الحديثة ، ويسكنها قبيلة الأعامشة .

٦) قرية الجنبة : قرية قديمة يطلق عليها الآن (الجعبة) وبها مركز إمارة تابع لإمارة بيشة ، تقع جنوب الوادي ويسكنها قبيلة الجنبة .

٧) قرية القِري : قرية قديمة تقع شمال الوادي ، ويسكنها قبيلتا المزايدة والجنبة .

٨) قرية الخالدية : وهي قرية حديثة تقع شمال الوادي ، وتكثر فيها المزارع الحديثة ويسكنها قبيلتا المزايدة والجنبة .

٩) مهد الحشاء : وهي بيوت حديثة متناثرة ، ومزارع تقع شمال الوادي ويسكنها قبيلة الجنبة ، وبها تنتهي القرى الواقعة على جوانب الوادي لقبائل أكلب .

ورغم أن قبائل أكلب ومنازلها تقع على ثلاثة أودية رئيسة لها شهرتها في التاريخ إلا أنَّ باديتها تمتلك بعض المناهل والمياه ، التي لازالت تحتفظ بأسمائها حتى الآن ، ومن أهم هذه الموارد والمياه مايلي :

١) ثملا : وهي موضع ماء من مياه أكلب القديمة يقع على وادي بيشة من تحت الجنينة بين جبل الجفر وخشيم الذيب ، وفي أعلى المكان هضاب حمر كثيرة تسمى هضاب ثملا ، ويطلق عليها أيضاً اسم الصديات قال عنها الشاعر : الشعبي الصهيبي الأكلبي :

حطوني على الصديات من مشرقيها حيث إنها لجرعات الحنين مراد[١٦]

٢) عقيلان : وهو موضع ماء من مياه أكلب ، يقع على وادي بيشة ، ويبعد عن الجنينة ٤٥ كيلاً باتجاه الشمال ويبعد عن جبل الجفر ستة أكيال تقريباً باتجاه الشرق .

٣) دويرج : وهو موضع ماء من مياه أكلب يقع من تحت عقيلانَ على وادي بيشة .

٤) إرْوَا : وهو جبل أحمر يقع في وادي بيشة بالقرب من حلبية ، وبه فضابا وآبار قديمة تعد من مناهل وموارد قبائل أكلب وتسمى باسم الجبل .

٥) المقيبلية : وهي موضع فيه ماء من مياه أكلب يقع وسط الجفر ، والجفر جبل أحمر يقع تحت جبل (يحامر) يمر الطريق المعبّد المتجه من رَنْية سبيع إلى مدينة بيشة منه غرباً ، ويبعد عن قرية حلبية ٣٠ كيلاً وأرَى أنه تصحيف (جُفار) الوارد في بيت السليك بن السلكة :

لخثعم إن بقيت وإن أبوه أوارُ بين بيشة أو جُفار

٦) مورد الحزيم : وهو موضع ماء من مياه أكلب يقع في وادي بيشة ، وينبت حوله شجر الغضا والأثل .

٧) الباردة : وهي آبار قديمة من مياه أكلب القديمة تقع في وادي ذي خش بين رنية وبيشة .

٨) السباع : وهي آبار كثيرة تردها بادية أكلب تقع في وادي ذي خش بالقرب من الباردة .

وهناك موارد ومناهل تشترك فيها قبائل أكلب مع خثعم قديمة وحديثة لكنني اقتصرت هنا على ما انفردت به قبائل أكلب ، ولازالت من مواردها حتى الآن .

بيشة الكلية المتوسطة : محمد بن جرمان السعدي

الحواشي :

(١) بسقان : جبال في الميثب .
(٢) الجرى موضع ماء في خشيم الذيب .
(٣) جبال في المثيب .
(٤) ستنشر هذه القصيدة كاملة بأذن الله عن قريب في كتاب «شعراء من أكلب» للكاتب .
(٥) جرعات الحنين : الإبل .

آل حنتوش من آل خثلان من سبيع

كانت «العرب» قد نشرت ـ س ٢٤ ص ٨٠٥ ـ مقال بتوقيع محمد بن ناصر الفراج جاء فيه : ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ١٩٧ و ١٧٥ و ٦٤٤ أن آل حنتوش وآل فرحان من آل خثلان ، وهذا غير صحيح ، إذ أنَّ هاتين الأسرتين من النُّبَطَةِ من سُبَيْع ، أما قول البعض أنهم من آل خثلان فهو بحجة أن آل خثلان من سُبَيع ولكن آل خثلان من الجبور ، أما هاتان الأسرتان فهما من النبطة . انتهى .

وقد اتصل بالمجلة بعض الإخوان من آل حنتوش وقدموا أوراقاً موقعة بأسماء عبدالله بن سعود بن سعد الخثلان وسعد بن سعود الخثلان وزيد بن سعود بن محمد البرازي الخثلان أمير الزلفي سابقاً ، تحوي تقريراً من مقدميها بأن آل حنتوش الذين في بلدة الْـحَرِيْق من آل خثلان ، وقد أبدى الاخوة من آل حنتوش تأثرهم مما نشرته «العرب» التي لا تريد فيما تنشر إلا إيضاح الحقيقة .

وقد ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» نسبة الأسرة إلى آل خثلان ولكن الكاتب المذكور أَبْدَى رأيه ، وليس من المستطاع الحيلولة بين أيِّ إنسان وبين إبداء رأيه وخاصة فيما لا يبلغ النيل من كرامة أحد أو انتقاصه .

وهو لم يَنْفَ نِسبة آل حنتوش من سبيع ، بل عدهم من فرع من فروع هذه القبيلة وهم النبطة وسواء كانوا من هاؤلاء أو هاؤلاء فهم أسرة كريمة من قبيلة ذات أصالة أَصْلٍ ، وعراقة حسب ، وصدق الله العظيم : ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ ﴾ .

حول أنساب أسَرِ من سُبَيْع

في أثناء زيارتي لشيخنا حمد الجاسر . أخبرني أن قد ورد مقال من محمد بن ناصر آل فراج ، وله ملاحظات على مقالي : (أنساب أسر قبيلة سبيع في الحريق ونعام والحوطة والحلوة) مجلة العرب ج ١/٢ س ٢٤ ص ١٣٤ .

فقلت : إن كان مصيباً فجزاه الله خيراً ، فيجب أن تتضافر جهود عديدة من أجل خدمة هذا العلم الجليل .

وقرأت مقال الأستاذ محمد فوجدتُ ملاحظاته تنحصر في أربع هن :

أ ــ قال محمد آل فراج : آل حنتوش وآل فرحان ليسوا من آل خثلان بل هم من النبطة من سُبَيْع .

أقول : هذا الأمر سبق أن قال به أحمد بن علي آل سليمان في مجلة «العرب» ج ۹ ، ۱۰ س ۲۲ ص ٦٩١ وأيضاً ج ۷ ، ۸ س ۲۳ ص ٥٧٠ وأنا سأعرض عن هذا ، وليس لك يا أخي إلا قَوْل أصحاب الشأن وأتركُ لهم هذا الأمر .

ب ــ قال محمد آل فراج : جاء في مقال الأخ عبدالله ، أن آل إدريس من آل رُمَيَّان من سُبيع معتمداً في هذا على كتاب «الحريق» .

أقول : كلا لم أقل بذالك ، والذي قلته حرفياً : (آل إدريس: يسكنون نعام ، وقال الدُّبل : إنهم من آل رُمَيَّان من سبيع وأن الحقيل ذكرهم من عائذ ، ولكن الصحيح ماذكرنا . هذا قول الدبل «منطقة الحريق» ص ٧٥ ، ط ١ . ولكن علي الصرامي ذكرهم من عائذ في كتابه «حوطة بني تميم» ص ٦ ، ط ١) . فلو تدبرت كلامي لعلمت أني أتوقف في إلحاقهم بِسُبَيْع وإلاَّ فماذا يعني أنْ أورد كلام الدبل ثم كلام الصرامي بدون أن أعلق عليه .

جـ ــ قال محمد آل فراج : أما الحريق فإنه لم يُنْشَأ ولم يعرف بهذا الاسم زمن إمارة آل ذَوَّاد .

أقول : كان الحريق روضة تابعة لنعام وقد كانت أحرقت أشجارها فسميت بالحريق لهذا السبب .

وكان القواودة (آل ذواد) أمراء لنعام وللحريق أيضاً ثم انتزع الإمارة المزازنة منهم ، وقام رُشَيْد المزالي ببناء الحريق وغرسه .

وقد اتفق مؤرخا نجد (ابن بشر وابن عيسى) على ذالك . قال ابن عيسى : وفي سنة أربعين وألف استولى الهزازنة على نعام والحريق ، أخذوه من القواودة من سبيع والذي بنا الحريق وغرسه رشيد بن مسعود بن سعد بن سعيدان بن فاضل الهزاني الجلاسي الوائلي . . «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» ص ٥١ .

د ـ قال محمد آل فراج : من المعروف أن مساكن قبيلة سُبَيع كانت في الوديان (الخرمة ورنية) . . ثم حدثْت حروب طاحنة بين بني عامر من جهة وبين القريشات من الغلبا من جهة أخرى وكلاهما من سبيع . . الخ .

وهذا الكلام نقله أخونا محمد آل فراج من كتاب عاتق البلادي «معجم قبائل الحجاز» ط ٢ ص ٢١١ ، ص ٣٨٥ وكان من الأمانة الإشارة إلى كتاب البلادي ، وأيضاً للبراءة من الأخطاء التي قد يقع فيها البلادي .

فالبلادي جعل بني عمر وبني عامر وآل عمير هم قبيلة سُبيع ، وجعل الزكور والقريشات وبني ثور والرُّوبَة هم سُبيع الغلباء ولكن الغلباء لقب لكافة قبيلة سبيع .

قال رشيد بن ختلان من الجبور من بني عمر :

أنا من الغلبا أهل الجوخ والشان ومْسَكَّنَة بَذْوٍ رَبَوْا في مَدَرْهَا

وقال ابن مخشوش من الصُّمَلَة من بني عمر :

أنا مْنَ الغلبا سْبيع آل عامر أهل الشجاعة والفعول الجزايل

والشواهد الشعرية على هذا كثيرة .

وقال محمد آل فراج : ملاحظة عامة على مقال الأخ عبدالله وهي إرجاعه كثير من الأسر التي ذكرها إلى مجيئها من (رماح) و(الرمحية) .

أقول : هلا عُدت أيها القاريْ الكريم إلى مقالي ونظرت فيه بنفسك فسيتبين لك أني قد ذكرت فيه (٢٤ أسرة) وأرجعت منها إلى (رماح) و (الرمحية) (٩) أسر فقط فكيف تقول أني أرجعت الكثير منها ؟!

قال محمد آل فراج : فرماح لا تعتبر ولم تكن منبثقاً لِأُسَرِ سُبيع المتحضرة والمنتشرة في نجْد الآن . وهذا لا يمنع نزوح البعض منها :

أقول : أنا لم اعتبر (رماح) منبثقاً للأسر السبيعية وقد ذكرت في مقالي (٢٤) أسرة وأن (٦) أسر من هذا المجموع ـ ست قد قدمتْ من رماح ، فتمعن في المقال جَيِّداً . وقد ذكرت أنه في عدة مواضع من كتاب «الجمهرة» ورد لفظ بني عمرو من سبيع والصحيح بني عمر وأن هذا نقلاً عني وأقول انظر مقالي ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ ستجدني أقول بنو عمر لا بني عمرو .

وفي نهاية هذا المقال أُحِبُّ أنْ أُنَوِّه وأصحح أمراً لا علاقة له بمقالة محمد آل فراج ولكنه يتعلق بما ورد في مجلة «العرب» ص ٥٧١ ج ٧ ، ٨ س ٢٤ حيث ثبت لدي أن الشيخ عيسىٰ (١٣٠٦ ـ ١٤٠٨هـ) هو الشيخ عيسى بن سعد بن عيسى ابن رشود القويزاني ، وآل قويزاني أُسرة عريقة من القبابنة من الشميسات من سبيع ، وتسكن هذه الأسرة في الحريق والرياض ، وقد ولد الشيخ عيسى في بلدة الحريق وتتلمذ على أبيه الذي كانِ قد أنشأ مدرسة لتعليم القرآن في الحريق ، واشتغل الشيخ عيسىٰ بالقضاء والفتيا أكثر من ستين عاماً وذلك في بلدان كثيرة .

الرياض ـ كلية العلوم الإدارية: عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

من كتاب «العرب» :

الدكتور جابر الطيب

وجه الأخ أحمد بن سعيد السعيدي من بيشة سؤالاً إلى «العرب» حول ترجمة كاتب البحث المتعلق بمدينة بيشة وقراها وسكانها في المجلة ـ س ٥ و ٦ و ٧ ـ وتمنى أن تقدم المجلة معلومات موجزة عن كل كاتب يمدها بشيء من كتاباته وأبحاثه .

واستجابة لرغبة الأخ الكريم ، هاهي معلومات عن الدكتور الشيخ جابر الطيب رئيس محكمة بيشة سابقاً والقاضي في محكمة التمييز بمكة المكرمة مما اقتبس من حديث أفضى به لجريدة «الدعوة» بتاريخ ١٣٩٢/٢/٩هـ : ←

■ «مختصر تاريخ مدينة دمشق» :

صدر عن دار الفكر بدمشق مختصر كتاب «تاريخ مدينة دمشق» والأصل للحافظ ابن عساكر ، والمختصر لابن منظور صاحب «لسان العرب» وقد أفضل أستاذنا الدكتور شاكر الفحام بإتحاف قراء «العربي» بلمحة عن هذا المختصر هذا نصها : لقد صدر هذا المختصر عن دار الفكر بدمشق في تسعة وعشرين جزءًا . ولم يكن الأصل المخطوط تامًّا ، فقد نقصت منه عشرة أجزاء وهي : الرابع ،

← هو جابر الطيب بن علي بن مهدي ، ولد سنة ١٣٤٧هـ ونشأ يتيم الأبوين بكفالة أخيه الأكبر الشيخ محمد الطيب ، قاضي محكمة هِرْجَاب سابقاً ، وتلقى عليه مباديْ القراءة والكتابة ، وحفظ على يديه سوراً من القرآن الكريم ، ثم انضم إلى مدرسة بيشة الابتدائية عند افتتاحها سنة ١٣٥٦هـ حتى سنة ١٣٦٢هـ ، ثم اتجه إلى مكة المكرمة والتحق بمدرسة دار الحديث التي كان يديرها الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي ، وذالك سنة ١٣٦٤هـ ، وفي عام ١٣٦٨هـ التحق بمدرسة دار الحديث في الطائف ، وواصل دراسته فيها حتى نال شهادتها عام ١٣٧٢هـ ، ثم التحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة فنال شهادتها سنة ١٣٧٦هـ ، وفي مطلع عام ١٣٧٧هـ عين ملازماً قَضَائِيًا في المحكمة الكبرى بمكة المكرمة ، وفي شهر ربيع الثاني من العام نفسه (١٣٧٧هـ) عين قاضياً بمحكمة بيشة خلفاً للشيخ عبدالله بن حسن بن إبراهيم آل الشيخ ، واستمر في محكمة بيشة رئيساً لها إلى مابعد سنة ١٣٩٢هـ . وقد انتقل بعد ذالك إلى محكمة التمييز في مكة المكرمة قاضياً ، وكان يواصل دراسته العليا منتسباً إلى كلية الشريعة في جامعة الأزهر ، وتقدم برسالة لنيل إجازة (الدكتوراه) في قسم الفقه المقارن ونال تلك الإجازة .

هذا ملخص ترجمة صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ جابر الطيب .

والثالث عشر ، والخامس عشر ، والتاسع عشر ، والحادي والعشرون ، والثاني والعشرون ، والثالث والعشرون ، والرابع والعشرون ، والسابع والعشرون ، والثامن والعشرون . فكلف صاحب (دار الفكر) المحققين أن يختصروا هذه الأجزاء من أصل كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ، على الطريقة التي انتهجها ابن منظور . وبهذا التلفيق بَيْنَ ماوُجِد من مخطوط ابن منظور ، وما اختصره من كتاب التاريخ لابن عساكر استطاع أن يصدر نسخة كاملة من المختصر .

[صدرت جميع الأجزاء ماعدا الجزأين ٢٢ ، ٢٧ ، فما زالا رَهْن التحقيق] .

وقد أفاد هذا المختصر في سَدِّ جملة من الخروم التي وقعت في نسخ تاريخ ابن عساكر نفسه . لم يلتزم ابن منظور بذكر جميع التراجم التي أوردها ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، بل أهمل في كل حرف طائفة منها .

ولم ينهج نهج ابن عساكر في تخصيص جزء في آخر الكتاب لتراجم النساء ، بل أنه أورد تراجم النساء في ختام تراجم الرجال موزعة على الحروف ، وهي على الجملة أكمل مما جاء في تاريخ ابن عساكر الذي أصابه خرم ذهب بتراجم النساء مابين حرفي الباء والراء .

وقصر ابن منظور قسماً من الجزء الثامن والعشرين ، وتمام الجزء التاسع والعشرين لذكر من سمي بكنيته من الرجال والنساء ، ولذكر المجهولة أسماؤهم .

ومما أغفله ابن منظور في هذا الباب ذكر الباهلي الشاعر الذي وردت الترجمة له في أصل تاريخ ابن عساكر . بل أنه أهمل كل ما أورده ابن عساكر تحت عناوين : (الألقاب ومن عرف بالقرابات والأنساب) .

■ **الإكليـــل :**

تحدثت عن كتاب «الإكليل» للهمداني بتفصيل في موضع آخر ، وذكرت أن مما وصل إلينا منه الجزء الأول والثاني بتحقيق مؤرخ اليمن وعالمه القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي ، والجزء الثامن طبع مراراً ، والعاشر صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٨٦ بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ وهاهو الصديق

الكريم العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع الْـحَفِـيُّ بالهمداني ومؤلفاته وبتاريخ اليمن بصفة عامة ، يعيد تحقيقه ونشره مرة ثانية ، ولاشك أن عناية عالم يمني بمؤلف عن تلك البلاد له ميزته ، وقد تجلت في تحقيق هذا الكتاب ، ولعل من أبرز ميزاتها ربط فروع القبائل الحديثة بأصولها ، والتنبيه على من لا يزال باقياً منها على اسمه القديم ، وتحقيق ماورد في الكتاب من أسماء المواضع وأمكنتها ، وغير ذالك مما تَجَلَّى من أثر جهد هذا المحقق الجليل الذي لم تقعده الشيخوخة عن مواصلة البحث والتحقيق ، فزاده الله قوة وتوفيقاً .

ولعل مما يبعث على الاستغراب ، أن أستاذنا القاضي محمد قام بتحقيق هذا الجزء وهو في (نافع) سجن حجة سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨م) .

ويظهر من اسم (نافع) التشبث بآل المصطفى حتى بأسماء السجون ، فنافع كان سجنا للإمام علي كرم الله وجهه ، وفيه قال :

ألا تَـراني كَـيِّسًـا مُـكَـيَّسَـا بنيتُ بَعْـدَ (نـافـع) مُخَـيَّسَـا

ويظهر أن للسجن آثاره المحمودة في توجيه العلماء إلى النسخ والتحقيق والتأليف ، فشيخ الإسلام ابن تيمية أملى كثيراً من فتاواه ومؤلفاته وهو في السجن ، وكتاب «التيجان» لابن هشام و«أخبار عبيد بن شريه» وصلا إلينا من آثار عالم يمني كان محبوساً في الدار الحمراء التي هي السجن بقصر صنعاء اليمن ، فرغ من الأول في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٠٣٤ ، وفرغ من الثاني في ٢٦ رجب سنة ١٠٣٤ وهو المطهر بن عبدالرحمن بن المطهر بن الإمام شرف الدين ، فرغ من كتابتهما بعد أن مضى له سبع سنين وخمسة أشهر . ومن طريف مايروى عن أحمد فؤاد وهو صحفي مصري كان يصدر مجلة تدعى «الصاعقة» كان يهاجم فيها الشيخ علي يوسف فسجن ثم أخرج ، وعاد لمهاجمة الشيخ ، فطلب معاقبته ، فتوسَّط ببعض أصدقائه ليحول دون ذالك ، ولكن الشيخ علي أصر على طلب سجنه ، فما كان من صاحب «الصاعقة» إلا أن قال على مسمع منه : دعوه إلى لعنة الله سأحفظ كتاب «الأغاني» على حسابه رغم أنفه .

إن أستاذنا القاضي الأكوع لم يحل السجن دون اشتغاله بالتأليف والتحقيق الذي لم يقتصر على هذا الكتاب وحده .

ويظهر أن ماعمله أولاً فقد منه أو بتعبير أصح : أُغير عليه فأُخْفِيَ فعاود التحقيق مرة أخرى ، ولاشك أنه في هذه المرة تمكن من الاستزادة مما يتطلب تحقيق هذا الكتاب من معلومات بزيارة القبائل في مساكنها ، والتثبت من صحة نصوص الكتاب التي ترد الأسماء فيها خالية من الإعجام والضبط في النسخ المخطوطة مما أربك محقق الكتاب في طبعته الأولى ، ودعاني إلى نشر نقد تلك الطبعة في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق ـ المجلد الخامس والعشرين ص ٦٢ إلى ٧٧ عام ١٣٦٩ ـ.

ولاشك أن طبعة أستاذنا القاضي محمد بن علي أتقن من الأولى إذْ هو خبير بالقبائل التي تحدث عنها المؤلف وبمنازلها ، وهو من أهل هذه البلاد و(أهل شُعَبَى أدْرَى بشعابها) .

وقد صَدَّر الكتاب بمقدمة أشار فيها إلى الأسباب التي دعته إلى إعادة تحقيقه ونشره ، وأوضح في التحقيق وأورد لمحة عن ترجمة مؤلفه ، أشار فيها إلى أن ولادته سنة ثمانين ومئتين وأن وفاته فيما بين سنة ثلاث مئة وخمسين وثلاث مئة وستين .

جاءت المقدمة في ٢٩ صفحة ثم الكتاب من ٣٠ إلى ١٩٩ ففهارسه المفصلة إلى ٣٢٨ ، والطباعة حسنة من حيث الورق والحروف إلا أن التطبيع ـ الأخطاء المطبعية ـ فيها كثير ، ويظهر أن أستاذنا لم يشرف على تصحيح تجارب الطبع الذي لم يذكر مكانه ، أما الناشر فمكتبة الجيل الجديد في صنعاء وصدر الكتاب سنة ١٤١٠ (١٩٩٠م) .

تنبيـــه :

١ ــ ص ١٦٩ : عن حرة نجد : لا أعرف حرة نجدٍ .

والهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٤٣ ط دار اليمامة ـ قد ذكر هذه الحرة فأورد قول الراجز :

حـــرة نجـد لاسقيت الْـمَـطَرا   من الكـرَاعَـيْنِ إلى وادي كَـرَا

وكانت تعرف قديماً بحرة بني هلال ، وتعرف الآن بحرة البقوم لاتصالها ببلادهم تُرَبَة وماحَوْلَهَا .

٢ ـ ص ١٧٩ : (الربذة موضع شمال المدينة المنورة على ثلاث منها) .

والربذة اكتشف موقعها حديثاً وهي تقع في عالية نجد في الجنوب الشرقي من المدينة ، وألف عنها الدكتور سعد الراشد كتاباً أوضح فيه كثيراً من المعلومات المتعلقة بها باسم «الربذة صور للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية» .

■ ديـوان شعـر حاتـم :

كان الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال قد حقق «ديوان شعر حاتِم بن عبدالله الطائي» صنعة يحيى بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، ونشر الديوان حوالي سنة ١٣٩٧هـ فتحدثت عنه في مجلة «العرب» س ١٣ ص ٧٢/٤٧٧/٦٠١ ـ محاولاً أن أحدد المواضع الواردة في شعر حاتم ، لأنني رأيت كثيراً ممن كتب عن تحديد الأمكنة الواردة في الأشعار القديمة كالسائر في بيداء مُضِلَّة ، لا يهـدي لغاية فضلاً عن أن يهتدى بسيره ، كَأَنْ يقول حاتِـمٌ ـ ديوانه ٢٦٥ ـ:

وتَـوَاعَـدُوا وِرْدَ القُـرَيَّـةِ غُـدْوَةً   وَحَلَفْتُ بـالله الْعَـزِيْـزِ لَنَحْبِسُ

فَيُحَاول البكريُّ صاحبُ «مُعْجَم ماسْتَعْجَمَ» أَنْ يُحَدِّدَ هذه القُريَّةِ فَيَخْلِطَ بَيْنَهَا وبَيْنَ قُرَيَّةٍ أُخْرَى تَبْعُدُ عَنْهَا مِئات الأَمْيَال ـ: القُرَيَّة لبني سَدُوس مِنْ بني ذُهْلٍ بِالْيَمَامَةِ . ويَفُوْتُه ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ أَنَّ الْقُرَيَّات كَثِيْرَةٌ ، وأَنَّ حاتِـماً أَرادَ قُرَيَّةَ قَوْمِهِ بني سِنْبِس من طَيِّءٍ في جَبَل أَجَإٍ ، لا تِلْكَ الَّتي في الْيَمَامَةِ الـمَعْرُوْفَة الآنَ باسم (سَدُوس) سكانها الأَقْدَمِين .

وقد أعَادَ الدكتور عادل نشر الدِّيْوَانِ ، فنقَّحَ وَزَادَ ، وأَضَافَ إلى صَنْعَةِ ابْنِ

مُدْرِكٍ من شعر حاتم مالم يَرِدْ فيها . بعد أنْ قَدَّمَ لها بمقدمة ضافية عن حياة حاتم وشعره في نحو ١٣٠ صفحة ، وكان أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر قد أطلعه على ما كتبته عن الديوان ، فلم يكتف ـ زاده الله توفيقاً وإحساناً ـ بالإشارة إليه إشارة من ينظر إلى أعمال إخوانه نظرة المتصف بالفضل ، المتحلّي بالسموّ والنُّبل ، بل أضاف إلى ذالك بأنْ أفسح له من صفحات الديوان (٥٣) صفحة ٣٠١/٣٥٤ ثم الفهارس الوافية التي بها بلغت الصفحات ٤٣٢ ـ وطباعة الديوان تُعَدُّ في الْقِمَّةِ مِنَ الجودة والإتقان بالنسبة للمطبوعات العربية ، أمّا جهد المحقق الجليل فيتجلى في إبراز عمله بهذه الصورة التي تروق العين ، وتمتع الفكر .

وأجدها مناسبة طيبة لِأُعبّر للمحقق الكريم الدكتور عادل عما أُحِسُّ به من تقدير لصنيعه حيال هذا الديوان بوقفات قصيرة عند جمل اعترضتني أثناء المطالعة السريعة ، وقوف المستفيد المستنير برأي الأستاذ :

١ ــ كنتُ فهمت مما كتب فوق طرة الديوان : (صنعة يحيى بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي) أنَّ ابن الكلبي هو الراوي عن ابن مدرك ، على ما اعتدت أن أرى مثل هذه العبارة تتصدر الصفحة الأولى من كثير من المؤلفات القديمة ، وعلى هذا الفهم الخاطيِّ قلت فيما تحدثت عنه حين صدرت طبعته الأولى : (وطبع ديوانه الذي رواه ابن الكلبي عن أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي) ـ «العرب»: ١٣ ص ٧٢ ـ :

ولكنني ـ وقد أدركت الآن ما أوضحه المحقق الكريم في المقدمة ـ ١٠٢ ـ من أن (الديوان من صنعة أبي صالح يحيى بن مدرك ، وهو وإن روى أكثر الشعر وأخباره وشروحه عن ابن الكلبي إلا أنه أضاف أشعاراً من عنده . . . كذالك أضاف أبو صالح أخباراً وشروحاً عن غير ابن الكلبي . .) .

أدركت أن جملة (رواية هشام . .) قَلِقَةٌ في موضعها ، بل لا داعي لها مادام صانع الديوان لم يكتف بما روى عن هشام .

٢ ـ يكثر هشام بن محمد الكلبي الرواية عن أبيه عن شيخ له كُنْيَتُهُ أَبُو صالح ، وهو الذي يصفه علماء الجرح والتعديل بصاحب الكلبي وعندما يذكرون سلسلة الذهَبَ في الرواية (مالك عن نافع عن ابن عمر) يصفون سَنَدَ (هشام عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس) بسلسلة الكذب وأبو صالح هذا اسمه باذام (باذان) مولى أُمِّ هانئٍ بنت أبي طالب يروي عن علي وابن عباس وأبي هريرة ، ومولاته أم هانئ ، ويروي عنه الكلبي وغيره ـ انظر «تهذيب التهذيب»: ١/٤١٦ و ٩/١٧٨ ـ . وقد مَرَّ بي في مقدمة الأستاذ عادل ـ ١٠٩ ـ نقلاً عن ابن قتيبة: (المعلمون: أبو صالح صاحب الكلبي) في الكلام على أبي صالح يحيى بن مدرك صانع الديوان ، الراوي عن هشام ابن الكلبي ، ومفهوم كلام ابن قتيبة أنه يريد أبا صالح صاحب الكلبي ، المتقدم على عهد هشام ، لا راوي شعر حاتم عن ابن الكلبي .

٣ ـ أوقفتني كلمة (حَصيران من جريد مقيدان) ـ هامش ٢٦٥ ـ فيما نقل الأستاذ عادل عن كتاب «الإيناس» لابن الوزير المغربي تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري ـ كيف يقيد الحصيران ؟ فرجعت إلى الكتاب وكنت نشرته في الرياض سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) وأشرت إلى بعض المآخذ على عمل الأستاذ الإبياري ـ كتحريف بعض الكلمات ، وحذف ما لايستطيع قراءته من مخطوطة الأصل التي بين يديه . والخلط بين اسمين . مما لا داعي لتفصيله ، وله العذر فهو لم يرجع إلى مخطوطتين للكتاب على درجة من الجودة والاتقان قَلَّ أن يعهد مثلهما فيما بين أيدي القراء من المخطوطات ـ رَجَعْتُ إلى الكتاب فوجدت :

أ ـ كلمة (مقيدان) مصحفة صوابها: (مُقَيَّران) بالراء ، أي مَطْلِيَّانِ بالقير ، لئلا ينفذ فيهما النبل ، فذو الْـحَصِيْرَيْنِ ـ الرجل السنبسي الطائي الشجاع ـ يتخذ من حصيرين مُقَيَّرَيْنِ درعاً له ، ويُسْنِد نَفْسَهُ بإزاءِ السُّلف ـ وهو أشهر أَوْدِيَةِ أَجَإٍ ، ومنه يُدْخَلُ إلى الْـجَبَل ، فيصدُّ الأعداء .

ب ـ في هامش مخطوطة المتحف البريطاني من «الإيناس» وهي مخطوطة جليلة قديمة: (وجدت بخط الفزاري في شعر حاتم...

وفي موضع آخر من هذه المخطوطة ـ ص ٢٢٤ من المطبوعة: (وعايذ بن عمران ـ بالياء والذال المعجمة ـ منهم ميسرة بن أبي وهب بن عبد بن عايذ وابنه جعدة كذا وجدت بخط أبي عبدالله الفزاري، وهو من الموثوق بهم).

فمن هو الفزاري هذا؟ وماصلته بشعر حاتم؟

جـ ـ وجاء في الديوان ـ ٢٦٥ ـ:

أَوْ ذُو الْحُصَيرِ وَفَارِسٌ ذو مِرَّةٍ ... بكتيبة من يدركوه يُفْرَسُ

وأشار المحقق في الحاشية إلى ورود البيت في كتاب «الإيناس»:

وَذُو الْحُصَيرين امرؤٌ في أسرة ... غُلْبُ السوالف من يلاقوا يفرسوا

ويحسن أن يضاف إلى هذا ماجاء في هامش مخطوطة المتحف البريطاني ونصه: (مخروم) وبعد هذا: (ليس مخروماً بل هو موقوص، والوقص حذف الثاني المتحرك في آخر الكامل) كما تحسن الإشارة إلى ورود البيت الذي بعده في كتاب «الإيناس» مع الاختلاف بين ماورد فيه وماورد في كتاب «الأغاني» في (في الحيِّ مَشَّاءٌ) الخ وفي «الإيناس»: (بالحيِّ مشاءٌ) وَأَضَافَ المؤلف: (أراد في الحيِّ).

٤ ـ عَدَّ المحقق الكريم من مصادره: (النوادر والتعليقات للهجري مخطوط بمكتبة الأستاذ محمود شاكر) ـ ٣٩٥ ـ.

ونقل عن هذا الكتاب القصيدة الرائية ـ ٢٦٠ ـ:

إذا أَزَرُوْا بِالشَّوْكِ أَعْجَازَ نَخْلِهِمْ ... رَأَيْتُ عِذَاقِي بَيْنَهَا مَا تُؤَزَّرُ

وجاء في تخريجها ـ ٣٧٨ ـ: (النوادر والتعليقات: ٢: ٢٥٤ ـ ٢٥٥) كما نقل ـ ٢٤٦ ـ القطعة الـ (٦٢):

لنا بيت تهب الريح فيه ... كأن شقاقه ريش الجراد

وقال عن تخريجها : (نوادر الهجري ٢ : ٢٣٩) .

والوقفة هنا :

أ ـ لدى أستاذنا أبي فِهْرٍ الأستاذ محمود محمد شاكر من «التعليقات والنوادر» قطعتان مصورتان من أصلين مختلفين أحدهما في الهند والآخر في مصر ، ففي أيّ الأصلين وردت القصيدة ؟ إنها وردت في المخطوطة الهندية (٢٥٤).

ب ـ كلمة (أَزَرُوا) ألاّ يكون ضبطها بتشديد الزاي (أَزَّرُوا) كما تدل كلمة (تُؤَزِّر) والتأزير التغطية ، فهم يُغَطُّونَ أَعْجَازَ النَّخْلِ بالشوك ـ ولازالوا كذالك ـ لِيَحُولُوا دُوْنَ صعودَها لأخذ ثمرها .

جـ ـ ورد لحاتم في كتاب التعليقات والنوادر ـ القطعة المصرية (١٠) ـ بيت لم أره في الديوان ، ونَصُّ مافي ذالك الكتاب : (زيادة لحاتم :

دَعِيْنِيَ أَنْفَعْ في حَيَاتِي فإنَّني مَتَى مَا أَمُتْ لاَتَبْكِ نَابٌ ولا بَكْرُ)

وفي «ديوان حاتم» ـ ١٩٨ ـ قصيدةٌ من بحر هذا البيت وقافيته ولكنه لم يرد بين أبياتها الـ ١٨ ـ.

تطبيـــع

لفت نظر المجلة الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز بن سعود البليهي ، مدير التعليم في الوشم إلى وقوع خطأ في «العرب» س ٢٤ ص ٢٠٦ سطر ١٧ وهو كالآتي :

الخطـــــــــأ	الصــــــــواب
﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكن أن ترثو النساء كرها ﴾ . سورة النساء ـ الآية : ١٩ .	﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ . سورة النساء ـ الآية : ١٩ .

فشكر الله للأخ الكريم ولمن يعين على الحق . إذ (المؤمن مرآة أخيه المؤمن) .

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر هـ ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ١١، ١٢ س ٢٥ الجماديان سنة ١٤١١هـ ـ كانون ١ و ٢ (ديسمبر/يناير) ٩٠-١٩٩١م

كلمة عن التاريخ والمؤرخين

كان مندوب جريدة «الشرق الأوسط» قد وَجَّهَ إليَّ هذه الأسئلة:

* هل ترى أن المؤرخ العربي المعاصر يؤدي واجبه كما ينبغي . . ؟
* لماذا اختفى المؤرخ القديم الذي درج على الاحتفاظ بيوميات تفصيلية للوقائع والأحداث . . ؟
* بالرغم من انتشار أقسام التاريخ بالجامعات العربية ـ أكثر من ٥٠ جامعة ـ لماذا لم تقم هذه الأقسام بعمل إعادة كتابة التاريخ العربي . . ؟
* انتشرت في السنوات الأخيرة كتابة المذكرات واليوميات والذكريات فهل تصلح هذه الوثائق كبدايات لتدوين التاريخ المعاصر . . ؟
* ما المصاعب التي يواجهها المؤرخ العربي المعاصر في رأيك . . ؟

فكان هذا الجواب]:

تمهيد: توقعت أن يكون بين الأسئلة: ماهي فائدة التاريخ؟ ولماذا يوليه المسلمون والعرب خاصة عناية قد تفوق عناية الأمم الأخرى؟

والواقع أن النظرة إلى التاريخ بالمقارنة بينه وبين غيره من العلوم العملية كالطب والهندسة والزراعة وغيرها تبرزه أقل أهمية ـ إن لم يكن ذا أهمية ـ إذ تلك العلوم هي التي تُوَجِّه تلك الحياة وتدفعها إلى التقدم، وتمدها بالقوة والبقاء، بخلاف علم التاريخ المرتبط بحوادث الماضي الذي ذهب بخيره وشره.

ولكن هناك اعتبارات أخرى لابد من مراعاتها، من أهمها:

بالجزء التالي لهذا الجزء تبتدئ مجلة "العرب" سنتها السادسة والعشرين - إن شاء الله تعالى

التفريق بين أمم العالم في هذا العصر ، من حيث نظرتها إلى هذه الحياة ، إذ تكاد تُطْبِقُ أكثرها ـ إن لم يكن كلها ـ على الاهتمام بالحياة الحاضرة والانصراف التام عما عداها وعدم الاهتمام به .

إلا أن الأمة الإسلامية لها نظرة أخرى ، بل لها وجهة أخرى في سيرها ، فهي تنظر ـ أو ينبغي أن تنظر ـ إلى الحياة الحاضرة باعتبارها وسيلةً لاغاية ، وأنَّ هناك حياة أُخرى يجب السعي لها ، والاتجاه بمختلف الوسائل لبلوغها ، تلك هي الحياة الأُخرى التي جاءت الأديان السماوية موجهة لها ، بإيضاح الأعمال النافعة التي تكون سبباً للسعادة فيها .

من هنا كانت نظرة المسلمين إلى تاريخهم تغاير نظراتِ الأمم الأخرى إلى التاريخ بصفة عامة ، فالمسلمون يتخذون منه نبراساً يوضح لهم مناهج الهداية والرشاد ، مما أُثِرَ عن سلفهم الصالح من أفعال وأخلاق ، وآداب وسلوك ، فهم الأسوة ، وبهم القدوة ، وبدون معرفة تاريخهم تنطمس معالم تلك المناهج .

من هنا يتضح أن عناية المسلمين بتاريخهم ترتكز على قاعدة أصيلة في وجودهم وفي سلوكهم ، وفي مختلف اتجاهاتهم في هذه الحياة .

أما عن نظرة العرب إلى ذالك التاريخ فلها ـ بالإضافة إلى ماسبق إيضاحه ـ لها مبررات أخرى ترتكز على دعائم :

منها أن الله سبحانه وتعالى اختار هذه الأمة ففضلها على غيرها من الأمم وميزها ، بأن اصطفى منها أشرف خلقه ، وخاتم أنبيائه محمداً ﷺ لابلاغ دينه القويم ، الذي اختاره لعباده ولم يقبل منهم سواه ﴿ إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامِ ﴾ الآية ١٩ سورة (آل عمران) ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْـخَاسِرِيْنَ ﴾ الآية ٨٥ سورة (آل عمران).

ومنها أن الله أنزل القرآن الكريم الذي هو دستور ذالك الدين القيم بلغة تلك الأُمة ، واختيار هذه اللغة الكريمة من بين لغات أمم العالم يُحِلُّهَا الْـمَحَلَّ الأرفع ، لاسيما وأنها الوسيلة لفهم تعاليم ذالك الدين القيم ، وبدونها تبقى مستغلقةَ

الفهم على كل أحد .

ومنها أن الله أوجب على كل مسلم أن يقصد بيته الذي بَوَّأ مكانه ، واختار موقعه في بلاد تلك الأمة الكريمة ، لحكمةٍ هو أعلم بها ـ وكان من أثر هذا أن أوجب الاتجاه إلى ذالك البيت في هذه البلاد الكريمة اتجاهاً بالروح وبالجسم من كل مسلم ، وهذه ميزة خاصة لهذه البلاد الكريمة، فكما شرف الله العرب باختيار خاتم الرسل ، بوأ بيته الذي أوجب على كل مسلم حجه في العمر مرة ، والاتجاه إليه في اليوم خمس مرات في بلاد تلك الأمة، ألا يستلزم كل ذالك البحث والاستقصاء والتعمق في الدراسات والأبحاث لمعرفة ما لهذه الأمة وللغتها ولبلادها من خصائص وميزات ، ولن يكون ذالك إلا بالدراسات المفصلة لأحوال هذه الأمة ، وبغير فهم تاريخها على حقيقته لا تتضح تلك الأحوال .

وعلى ضَوء ماتقدم يقال : وهل دُوِّنَ تاريخُ العرب بطريقة تبرز الأهداف التي تقدمت الإشارة إليها ، وتوضح تلك الغايات ؟

والواقع أن بدء تدوين التاريخ ـ بصفة عامة ـ حدث في القرن الثاني الهجري ، فما بعده ، والعرب سبقوا ذالك العهد بقرون ، والذين عُنُوْا بالتاريخ اتجهوا أوَّلَ ما اتجهوا إلى ماله صلة بالدين الإسلامي ، وصرفوا جهودهم بالعناية به ، وأهملوا ـ بل تحاشوا ـ ماعداه ، وحاول كثيرٌ منهم إبراز مالهذا الدين من مزايا بالمقارنة بما كانت الحالة عليه فيما سبقه من العصور التي خفيت عليهم فيها معالم تاريخها ، فبدت قاتمةً فيما كتب بعضهم ، ومُشَوَّهَةً عند الآخرين ، ولولا ماللغة العربية من ارتباط بمأثور تلك العصور شعرها ونثرها وأخبارها لتورع أكثر مؤرخي المسلمين عن الإشارة إلى شيء من تاريخها ، ولهذا لم يسلم من حاول أن يتناول جانباً من تلك الجوانب المظلمة من تاريخ العرب من أن توجه إليه سِهام النقد والتجريح ، كهشام بن محمد بن السائب الكلبي صاحب كتابا «الأصنام» و«الخيل» والمؤلفات المعروفة في أنساب العرب ، ومحمد بن إسحاق صاحب كتاب «السيرة» والواقدي صاحب «المغازي» وغيرهم ، مما كان سبباً في الانصراف عن العناية بتاريخ العرب القديم ، بل لم يتحاشَ كثير من أولئك المؤرخين من محاولة إبراز ذالك التاريخ بأبشع الصور ، خَشْيَةَ المساس بالجانب الديني ، واعتقاداً أن إحياء جميع مأثِرِ

الجاهلية مما لا يتفق مع تعاليم الإسلام .

ولولا ما لِأثر الدراسات الحديثة من توجيه إلى مصادر أخرى لذالك التاريخ خلاف مادَوَّن متقدمُو المؤرخين ـ وذالك باستيحاء أخبار هذه الأمة الكريمة من آثارها ، واستنطاق تلك الآثار بمكنون علمها ، لكان الجهل بتاريخ تلك الأحقاب بالنسبة للعرب ـ مطبقاً عامًّا .

وليس معنى ما تقدم الغض من أقدار علماء التاريخ الإسلامي في مختلف عصورهم ، أو أن جهودهم في هذا السبيل غير مجدية بالنسبة لتاريخ العرب ، وإنما المراد إيضاح مدى حرصهم على أداء واجبهم ـ فيما وجَّهُوا إليه هممهم ، فقاموا بالواجب ـ حسبما أدركوا وتصوروا واتجهوا ـ خير قيام ، بتقديم هذه الثروة العظيمة الممثلة في هذه المؤلفات التي تزخر بها المكتبات .

ويقتضي الباحث المنصف ـ بعد الاعتراف بفضل أؤلئك المؤرخين ـ أن لا يلجأ إلى الجمجمة ، وعدم الإفصاح بما يراه حقًّا من الأخذ على كثير من أؤلئك المؤرخين بسبب موقفهم من تاريخ العرب ـ خاصة في عهده القديم ـ وعلى آخرين بأنهم باتصافهم بحسن النية وطيب القلب والثقة ببعض نقلة الأخبار ـ ماكانوا يتحرون الحقائق في بعض ماوصل إلينا من مؤلفاتهم ، فكما ابْتُلِيَ العربُ في الأزمنة الحاضرة بأعداء دَيْدَنُهَم تَنَقُّصُهُمْ ، والنيلُ منهم ، وتشويه تاريخهم ـ لم يسلموا من مثل هاؤلاء منذ العصر المبكر إبَّان بَدْءِ تدوين التاريخ الإسلامي ، فانطلى كثير من أفكارهم بما خدع بعض المؤرخين إلى تقبلها ، ودسها في ثنايا التاريخ ، وبلغت الثقة بهاؤلاء ممن أتى بعدهم إلى تقبل ما أتوا به دون تمحيص أو تثبت .

لقد انتشرت أفكار (الشعوبية) التي تنفي كل فضل للعرب ، وتفضل عليهم بعض الأمم الأخرى ، فأحدَثَتْ أثاراً سيئة في المجتمع الإسلامي منذ القرن الثاني الهجريِّ ، ومع تصدِّي علماء الإسلام لإبطال تلك الأفكار ـ كابن قُتيبة وابن حزم وغيرهما ـ وإبراز ما للعرب من فضل ، وإيراد الأدلة القاطعة على ذالك عَقْلاً ونقلاً ـ إلا أنها مع كل ذالك وجدت من كثير من المؤرخين والأدباء والشعراء من يُرَوِّجُهَا

وبَثُّها ، ولقيتْ من آخرين ـ عن حسن نية ـ تقبلاً وترديداً ـ إلى عصرنا الحاضر .

ولن أتوسع في هذا الموضوع ، ففي كتاب «باهلة ـ القبيلة المفترى عليها» وهو كتاب لم أحاول به الدفاع عن قبيلة فحسب بل أردتُ إبراز فكرة أعَمّ وأشمل ، فيه أوضح مثالٍ على أن تاريخنا في خلال مايزيد على عشرة قرون ، اعتراه من الأوهام والأخطاء ما أصبح لكثير من مؤرخي عصرنا مَزَلَّةَ أقدام ، ومظلة أفهام ، وعثرة أقلام ـ في خلال تلك الحقبة الطويلة ـ.

وأراني استطردت في القول استطراداً أفْضَى بي إلى بيداء طامسة الصُّوَى ، كصحراء المتنبي :

يَتَلَوَّنُ الْـخِرِّيْتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى　　فِيْهَـا كَـمَا تَـتَلَوَّنُ الْـحِـرْبَـاءُ

فَلأَعُدْ لِلنظر فيما وُجِّهَ إليَّ من أسْئلة :

١ ـ الحكم للمؤرخ العربي أو عليه ـ مجرداً من الإحاطة التامة بعمله ـ ليس من الإنصاف في شيء ، فهو امرؤ عامل ، يهدف بعمله إلى غايات ، ويسير في اتجاهات ، ترسمها له مآرِبُه وأغراضه ، وهو كغيره من بني الإنسان العاملين في هذه الحياة ، وهم متغايرون في غاياتهم ، وفي سلوكهم ، وفي اتجاهاتهم نحو تلك الغايات ، وقَلَّ أنْ تجدَ عاملاً ليس محاطاً بظروف وأحوال لا يستطيع التخلص من تأثيرها .

وتأدية الواجب تختلف باختلاف الأفهام لهذه الكلمة (الواجب) فقد ينظر إليها المؤرخ لقُطْرٍ ما ، نظرة تغاير النظرات الأخرى ، كَأَنْ يرى أن من واجب اخلاصه لأمته وبلاده تحاشِي مايمس بهما ، فيقسر مايسجل من حوادث لتطابق هذه النظرة ، ومن الظلم له أن تَصِمَهُ بتقصيره في واجبه ، كما أن من العدل والإنصاف أن لا تنظر إلى عمله هذا كنظرته تلك ، من هنا يصح القول بأن المؤرخ ـ أيًّا كان وفي أيِّ زمان ومكان ـ هو إنسان يتحلَّى بكل ما يتحلى به الإنسان من مزايا ، ولا يبرأ من أية نقيصة .

ومع ماتقدم فقد برز في عصرنا عدد من المؤرخين بمؤلفات لا تقل إمتاعاً وفائدة

عن مؤلفات من سبقهم ، وحسبنا الإشارة إلى الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» والأستاذ عبدالرحمن الرافعي في مؤلفاته عن تاريخ مصر ، والأستاذ محمد كرد علي عن خطط الشام والأستاذ فؤاد أفرام البستاني في «دائرة المعارف» والأستاذ أحمد السباعي في «تاريخ مكة» وغير هاؤلاء مما يحسن ألَّا يبخسوا حقهم أو يهضم قدرهم .

٢ ــ تتنوع أساليب كتابة التاريخ منذ أقدم عصوره ؛ فما كانت كتابة التاريخ يوماً ما محصورة بالطريقة التي سـار عليها أصحاب الحوليات الذين كانوا يسجلون الوقائع والأحداث بحسب تسلسلها التاريخي يوماً فشهراً فعاماً . لقد كان من أوائل المؤرخين من سار على نهج آخر ، ومن هاؤلاء الذين تصدُّوا لتاريخ المدن كالأزرقي والفاكهي في كتابيهما «أخبار مكة» حيث جمعا كل مايتعلق بهذه المدينة الكريمة مما يهم المؤرخ إدراكه ، وكذالك فعل ابن زبالة والسيد يحيى بن الحسن الحسيني المدني وابن شبة في «تاريخ المدينة» وغيرهم . وهناك مؤرخون آخرون سلكوا مناهج في كتابة التاريخ تخالف أساليب أصحاب الحوليات التاريخية .

ومن المدرك بداهةً أن النظرة العامة إلى الحياة تتغير في كل لحظة من لحظات الزمن ، بتغير المؤثرات التي تحدث في هذا الكون . ولقد كان المؤرخ قديماً ـ من المسلمين ـ ينظر إلى عالمه الذي يحاول أن يسجل حوادثه ويكتب تاريخه باعتباره عالماً واحداً متماسكاً متكاملاً ، متحداً في جميع اتجاهاته ، وإن اختلفت السلطة التي تُصَرِّف شؤونه ، بين خلافة أو حكومة أو إمارة قوية ، فيحاول ذالك المؤرخ أن يشمل جميع حوادثَ عالِمِهِ بالتسجيل ، ولهذا يعمد إلى اليوميات يسجل فيها حوادث على تباعد أُمكنتها ، ولكنه يراها داخلةً في اختصاص مايكتب لارتباطها بالعالم الذي يؤرخه .

وقد تغيرت تلك النظرة بزوال الخلافة أو الحكومات القوية المسيطرة على جميع أقطار العالم الإسلامي ، فأصبح كل مؤرخ مشغولاً بقطره أو بلدته حين أصبح العالم الإسلامي كما قال الشاعر :

وتفرقوا شِيَعاً فكل (ولاية) فيها أمير المؤمنين، ومِنْبَرُ

٣ ــ من المعروف أن هذه الجامعات على كثرتها تخضع لاتجاهات متغايرة ، وتسيطر عليها قوى متعددة ، تُسَيِّرُهَا إلى وجهات مختلفة ، ولهذا فمن المستبعد أن تتفق تلك الجامعات على الوسائل التي تمكن من توجيه أية ناحية من نواحي العلم ـ سواء التاريخ أو غيره ـ لخدمة المجتمع الذي أنشئت تلك الجامعات لخدمته .

وخير للتاريخ وللمؤرخين ألا تكون هناك قوة مسيطرة للتوجيه ورسم الخطط ، ولعل من أبرز عيوب تاريخنا الإسلامي أنه نشأ في ظلال حكومات أثَّرَتْ في تدوينه تأثيراً لعله من الأسباب التي تحفز إلى النظر في إعادة كتابته .

٤ ــ التاريخ كما عرفه اللغويون هو تعريف الوقت ، أي تعريفه بِـمَا جرى فيه من حوادث وقعت . إذَنْ هو ينبني على الواقع ، فإذا خالف هذا فليس تاريخاً ، والمذكرات ونحوها ـ مما ينشر في السنوات الأخيرة ـ ماطابق منها الواقع فما المانع من الحكم بصلاحه ، وعده وثائق تاريخية ، ولكن يؤخذ على أكثر هذه المذكرات أنها كُتِبت تحت تأثير العاطفة ، وَأَنَّ أكثرها ينشر بعد مرور فترة من الزمن على حدوثها ، والذاكرة خَوَّانَةٌ ـ كما يُقَال ـ وقد تتعلق بأشخاص رحلوا عن العالم مما يحدث في نفس القارِئْ كثيراً من الشك والريبة فيما تضمنته تلك المذكرات عنهم . والغريب في الأمر أنك تقرأ مذكرات لكاتبٍ وأخرى لكاتب آخر ، عن حوادث متماثلة ذات صلة بأناس تناولتهم تلك المذكرات بالحديث ، ثم تجد تضارباً وتناقضاً بين ماتحويه المذكرات مما يتعلق بتلك الحوادث ، فكيف يصح التعويل على مثلها في كتابة التاريخ ؟!

لاشك أن الثقة بالكاتب تحمل على تقبل أقواله ، ولكن ليس كل كاتب محلاً للثقة ، لاسيما وأن أكثر المذكرات التي لها رواج بين القراء ـ في عصرنا ـ تُنْسَب إلى أناس برزوا في أعمال مشهورة ، وكانوا ذوي صلة برجالٍ أصحاب حَوْلٍ وَطَوْلٍ في تصريف الأمور العامة ، ومن المستبعد أن يتجرد كاتب مثل تلك المذكرات من عواطفه ورغباته ، وميوله الخاصة .

٥ ــ قد تتمثل المصاعب بأهمها ، وهي أنَّ الأفكار في عالمنا العربي لا يتسنَّى لها الانتشار مالم تخضع لاعتبارات مختلفة ، وتلك سنة أزلية ﴿ وَلَا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذَالِكَ خَلَقَهُم ﴾ .

الشعر والشعراء
في «النوادر والتعليقات» للهجري
- ٤ -

٣٤ ــ جابر بن حوثرة النهدي

قال وأنشدني(١) أبو مُحَمَّدٍ الرَّنَويُّ مِنْ سَاكِنِ رَنِيَّةَ لِلسِّنَانِـي من نَهْدٍ ، واسمه جابر بن حَوْثَرَةَ إلَى مُرَّةِ نَهْدٍ :

١ ـ ألَا أيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِيْ لَيْسَ بَارِحًا   بِـهِ سَقَمٌ مِنْ لَاعِجِ الْحُبِّ يَصْـدَعُ
٢ ـ أفِقْ لَا تَكُنْ أَسْبَابَ أَمْرِ غواية(؟)   فَلَيْسَ عَلَى إلْفٍ سَلَا عَنْـكَ مَطْمَـعُ
٣ ـ سَـلا نَـائِيـاً أَوْ مُسْتَقِيْـداً لِغَيِّهَـا   عَلَى كُلِّ حَالٍ صَاحِبُ الْوَصْلِ يَقْطَعُ
٤ ـ . . . موقفاً يُخْبِـرْكَ قَبْلَ افْـتِرَاقِنَا   وَقَبْـلَ نَـوًى قَـذَّافَةٍ كَيْفَ نَصْنَـعُ
٥ ـ نَصُوْنُ الْهَوَى صَوْنَ الصَّفَا عُقْدَةَ الثرى   عـلى حيـن يَبْـلَى الْـمَاءُ سِرٌّ وَمَنْقَعُ
٦ ـ ويلمحـك الْوَاشِـيْ فَيَلْهُـوْ بِغَيْرِنَـا   إذا بَـاحَ مِنْ سِرِّ الْعَبَامِ الْمُضَيَّـعُ

(١) :(٣١هـ) أبو محمد هو الرنوي جاء في «أنساب البليسي»: رَنْيَة بالحجاز قال الهجري: أبو محمد الرنوي أفصح من رأينا ولقينا بهجر . انتهى ورنية ليست من الحجاز بل من أعراض نجد ، ومرة نهد : هو مرة بن زوي بن مالك بن نهد ، منهم عدد من المشاهير ، وبلاد بني نهد هاؤلاء حددها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» في الأودية المنحدرة من سراة عَبِيْدَةَ شرق بلاد عَسِير منها طَرِيْب وأراك وتَثْلِيْث وكُتَنَة ـ منازل قَحْطَانَ الآن ـ.

ولكن هناك أمران اثنان ـ بالنسبة لمن يُرْغب منه التصدِّي لكتابة التاريخ في عصرنا وفي محيطنا ـ: المقدرة ، وحسن القصد ، فمتى تهيأ لمؤرخ بلغ بعلمه وسعة إدراكه ، وعقله ، ما استحق به هذا الوصف ، ثم كان مع ذالك ذَا هدفٍ سام ، ونية صادقة سليمة في اتجاهه ، يسير غير مُوَجَّهٍ برغبة أو رهبة ، بل عن قناعة ورضا واطمئنان ، وتُوَفَّرُ له من وسائل الحياة ما يُهَيِّءُ له الراحة والاطمئنان ، وعدم إشغال ذهنه بشيء من متطلبات الحياة ـ ومنها الوسائل المتعلقة بعمله ـ.

بهذين الأمرين ـ المقدرة التامة وحسن القصد ـ ولكن أنَّى وكَيْف وَمَتى يتم هذان ؟!

حمد الجاسر

٧ - فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ ذِي رَصَارِيصَ دُونَهَا مُنِيفُ ٱلأَعَالِي مِنْ ذُرَى الطَّوْدِ مِيفَعُ
٨ - نَأَتْ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ثُمَّ تَمَنَّعَتْ لَهَا بَرَضٌ عَذْبٌ زُلَالٌ وَمَدْفَعُ
٩ - بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا ولا قَسرَقْفِيَّةٌ مَضَى وَهْيَ فِي حَانُوتِهَا الدَّهْرُ أَجْمَعُ
١٠ - بَرُودُ النَّشا[١] كَالثَّلْجِ يُطْوَى بِذِكْرِهَا عَلَى الْيَعْمِلَاتِ الْمَهْمَهَانُ الْمُوَقَّعُ
١١ - وَمَا وَجْدُ نَائِي الشَّوْقِ مُغْتَرِبِ الْهَوَى لَهُ أَثَرَ ٱلْأُلَّافِ صَوْتٌ مُرَجَّعُ
١٢ - يُرِدُّ لِإِخْنَا مَرْتَعٍ لَا يُرِيدُهُ بِهِ الشَّيْحُ وَٱلْأَفْنَانُ لَوْكَانَ يَقْنَعُ
١٣ - بِأَكْبَرَ مِنْ ذَا الْوَجْدِ لَوْ أَنَّ مَامَضَى عَلَى مَاخَلَا مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ يَرْجِعُ

قال: وأنشدني[٢] عبيدالله بن عبدالعزيز السُّدْرِي من بني عامر. . . . . للسِّنِانِيِّ من نَهْدٍ، واسمه جابر بن حَوْثَرَة:

١ - أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ خَافِقٍ يَمَانٍ وَمِنْ دُونِي جِبَالُ الشَّرَائِقِ
٢ - سَرَى فِي رُكَامِ الْعِرْضِ تَنْحَرُهُ الصَّبَا هَزِيمُ الْكُلَى ذُو حَوْمَلٍ مُتَسَاوِقِ
٣ - شَرِى الْبَرْقِ عَرَّاضٍ كَأَنَّ غِفَارَهُ لَدَى سَرِبٍ مِنْ أَفْكَلِ الْمَاءِ دَافِقُ
٤ - كَأَنَّ الْعِشَارَ الْجُونَ فَوْقَ مُتُونِهِ خَنَاطِيلُ لَمْ تَهْبِطْ عِفَاءَ الْعَقَابِقِ
٥ - وَحَنَّتْ رَوَايَا عُوذِهِ الْجُونِ وَارْعَوَى عَلَيْهَا مَقَانِيعُ الْغَمَامِ الْفَوَارِقِ
٦ - هَزِيمُ الْكُلَى وَاهِي الْعُرَى يَتْرُكُ الرُّبَا بِبَطْنِ الرُّغَامِ الْمَرْتِ مِثْلَ الْخَنَادِقِ
٧ - حَرًى مِنْ سَنَاهُ (ذُو قضِينٍ) فَمَا يَرَى فَذُو الْغَمْرِ فَالْأَعْلَامُ حَوْلَ الْمَسَارِقِ[٣]
٨ - هُنَاكَ هَوًى أَسْرَرْتُ مِنْهُ ضَمَانَةً مَعَ الْقَلْبِ يُخْفِيهَا مَضَمُّ الْبَنَايِقِ
٩ - هَيَا مَنْ لِقَلْبٍ هَائِمٍ لَيْسَ زَايِلًا رَهِينٍ لِمَكْتُومٍ مِنَ الْحُبِّ شَائِقِ
١٠ - أَلَا إِنَّ جُمْلًا فِي خَرَائِدَ كَالدُّمَى مُثَقَّلَةِ ٱلْأَعْجَازِ بِيضِ الْعَوَاتِقِ
١١ - يُجَلِّينَ عَنْ بِيضِ الصَّحَايِفِ صُرِّحَتْ بِجُونٍ مِنَ الْجَادِيِّ وَالْمِسْكِ لَايِقِ
١٢ - وَيَبْسِمْنَ عَنْ غُرٍّ كَأَنَّ غُرُوبَهَا أَقَاحِي الْحِمَى وَاجَهْنَهَا فِي الْمَشَارِقِ

---

(١) في الهامش: (هي النشوة).

(٢) (٣٥هـ) - وفي الأصل: (عبيدالله بن عبدالله العزيز).
السدري منسوب إلى سدرة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وسدرة هذا هو أخو هوذة، كما في أنساب البلبيسي.

(٣) في الهامش: (المسرق بلد من زَنِئة).

الجَبَلاَنِ .. ويعقوب وبنوه

لاأزال أذكر لأخي الأستاذ محمد حسين زيدان ـ ذِكْرَ الشاكِر ـ موقِفَهُ في محاولة الدفاع عني ، حين نسب إليَّ بعضهم ـ زوراً وبهتاناً ـ أنني أحاول تجريد مكة من فضائلها ، لما ألقيت محاضرة في (جامعة أم القرى) أوردت خلالها أقوال المؤرخين عن المكان الذي وُلِدَ فيه المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنهم أشهر علماء مكة وأوسعهم علماً ومعرفة في تاريخها ، تقي الدين الفاسي ، إذ أوردت كلامه وكلام غيره عن ذالك المكان ، فبدت بوادر كانت لها دوافع لا تَمُتُّ إلى العلم بصلة لكي تَنْسِبَ إليَّ مالم أقُلْ ، وتَصِمَنِي بما أنا منه بريْءٌ ، فتصدَّى الأخ الأستاذ محمد حسين زيدان للدفاع عنِّي بِكلمة نشرتها جريدة «عكاظ» ـ بتاريخ ١٣/٨/١٤٠٢هـ الـ(عدد ٥٨٤٩) .

ولعلي لم أتَجَنَّ عليه حين تَمَثَّلْتُ وأنا أقرأ ماكتب بالمثل المشهور : (يَدٌ تَشُجُّ وأخرى منك تأْسُوْنِي) ولعله كان معذوراً ، أو أن ذالك مبلغ علمه .

وأنا الآن حين أتحدث عن موضوع طرقه الصديق في فاتحة مجلة «الدارة» ـ العدد الأول من السنة السادسة عشرة ، الصادر عن شهور شوال وذي القعدة وذي الحجة ـ سنة ١٤١٠هـ لاَ أتَحَدَّثُ في معرض الدفاع عن الصديق فحسب ، بل لإيضاح جوانب فيما بحثه في موضوع متشعب بحاجة إلى البحث .

لقد كان كما اختار عنوانه الأستاذ محمد : (بنو إسرائيل كانُوا بَدْوًا ومازالوا) ثم بدأه بقوله : (بنو إسرائيل ـ يعقوب عليه السلام ـ كانوا بَدْوًا رحل) إلى أن قال :

١٣ ـ كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا طَعْمَ عَاتِكٍ[1](؟) ... مِنَ الْخَمْرِ نَشَّاجِ الْحَوَانِيْتِ حَاذِقِ
١٤ ـ إلَى دَسَمِ الشُّبَّانِ أغْيَدَ شَابَهُ ... بِأزْرَقَ مِنْ مَاءِ النِّطَافِ الْفَوَاتِقِ(؟)
١٥ ـ بَلَيْلِ الْقَذَى بَاتَتْ تَطَرِّدُهُ الصَّبَا ... وَيَضْرِبُهُ ثَلْجُ النُّجُوْمِ الطَّوَارِقِ
١٦ ـ بِأَجْلَحَ طَوْدِيٍّ قَرَى فَضْلَ سَيْلِهِ ... بِأوْعَرَ مِنْ أَلْهَابِهِ مُتَضَايِقِ
١٧ ـ فَطَوْلُ النَّدَى جَعْدُ الثَّرَى مُكْتَسِيْ الرُّبَا ... لِأحْوَى أَعَالِي نَبْتِهِ مُتَعَانِقِ

(١) في الهامش فوق كلمة عاتك: (عتيق).

(حتى أنني قرأت في بعض التفاسير ، ولعل ذالك كان في تفسير سورة يوسف ، للأستاذ العلمي ، فقد ذكر ـ وهو يفسر ماتضمنه قول الله تعالى من الأخبار التي أخبر بها بعدَ كلمة الحمد لله من الرسول النبي الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، حين استقبل أباه يوم وصل إلى مصر ، قال حامد الله : والذي جاء بكم من البدو ، فهذه الآية لا ينكرها إلا كافر ، فبنو إسرائيل كانوا بَدْوًا . . . يعقوب وبَنُوهُ الْأَحَد عشر ، ومن تبعهم فهم من البدو ، ويعني ذالك أن ليس لهم حضارة ، وإنما كانوا أهلَ عِيْر ، فقد قال العلمي : إن رحلتهم ـ ويعني بني إسرائيل الأَحَدَ عشر ـ كانت من بين أَجَا وسَلْمَـى ـ جَبَلَيْ طَيِّءٍ ـ كأنما فلسطين قد ضاقتْ بهم ، فرحلوا وهم البدو على عيرهم من مكان إلى مكان) ثم ختم الأستاذ كلمته بقوله : (ولعلي عرفت سنداً مما ذكره الأستاذ العلمي إذ رأيت قينة (؟) وهي مشخص ، قطعة ذهبية ، مصور عليها صورة النبي الرسول موسى عليه السلام ، يمسك بعصاه يهش على غنمه ، وكان يملكها الشيخ أحمد الموصلي ـ رحمه الله ـ وقال لي : إنه اشتراها مِنَ الذي وجدها في رمال الجبلين ـ أجا وسلمى ـ ولا أدري أين هذا المشخص الآن) ومابين الأقواس هو نص كلام الأستاذ .

وما أريد إيضاحه ينحصر في أمور ستة :

الأمر الأول : أن كلمتي هذه تتعلق بالنبي الكريم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وبأبنائه الأسباط الاثني عشر الأنبياء عليهم السلام ، ولا صلة بما سأقوله بموضوع حضارة اليهود ، ولا بِأَيِّ أَمْر من أمورهم الأخرى ـ مما لا يعنيني ، لأنني رأيت في كلمة الصديق عن ذالك النبي الكريم وأبنائه الأنبياء ماهو بحاجة إلى إيضاح .

الأمر الثاني : لقد نص الله في القرآن الكريم ، أنه لم يُرْسِل إلاَّ رجالاً من أهل الْقُرَى ، كما في الآية الـ (١٠٩) من سورة يوسف : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُوْحِـيْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ وإمام المفسرين ابن جرير ـ رحمه الله ـ وغيره أوضح أن المقصود من أهل الأمصار دون أهل البوادي .

الأمر الثالث : أن الأسباطَ الاثْنَا عَشَر من الأنبياء بنص القرآن الكريم كما في الآية الـ (١٦٣) من سورة النساء ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ والنَّبِيِّيْنَ

مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ .

والأَسْبَاطُ : هم ولد يعقوب الاثنا عشر ، وتكرر ذكر الإيحاء إليهم في القرآن الكريم في سورة البقرة ـ الآية الـ(١٣٦) وسورة آل عمران الآية الـ(٨٤) وإثْبَاتُ نُبُوتهم مما لا يُمَارِي فيه مسلم .

الأمر الرابع : أنَّ قَسْرَ معاني الآيات القرآنية الكريمة على ماقد يَتَّجِهُ لبعض المفسرين أو العلماء أو الباحثين من المعاني ، وحَصْرَهَا مالم يردْ نَصٌّ صحيح صريحٌ في ذالك ، مما لا يرتضى ، وكثير من السلف كانوا يتوقفون عند تفسير آيات قد تكون واضحةً لهم ، إذْ قَدْ يكون الـمُرَادُ منها خلافَ ما اتَّضَحَ لهم ، إذ الله أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ .

الأمر الخامس : أنَّ الآية الكريمة التي استدل بها الأستاذ زيدان وهي الآية الـ(١٠٠) من سورة يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيْلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِيْ إِذْ أَخْرَجَنِيْ مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِـيْ وَبَيْنَ إِخْوَتِـيْ ، إِنَّ رَبِّـيْ لَطِيْفٌ لِـمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ الْـحَكِيْمُ ﴾ ويظهر أَنَّ الأستاذ تحدث عنها بالمعنى ، هذه الآية الكريمة وإنْ كان أكثر المفسرين يفسرونها بأن يعقوب وَبَنِيْه أصحابُ باديَةٍ ذَوُوْ إبلٍ وَشَاءٍ وبَرِّيَّةٍ ـ كما ذكر ابنُ جَرير وابن كَثير وغيرهما من المفسرين ـ إلَّا أَنَّ من المفسرين من أَوَّلَ الْبَدْوَ في الآية الكريمة تأويلاً آخر منسوباً إلى ترجمان القرآن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد قال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ المتوفى سنة ٦٧١ ـ في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»: ماهذا نصه : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ يُرْوَى أن مسكَن يعقوب كان بأرض كِنعان ، وكانوا أَهْلَ مَوَاشٍ وَبَرِّيَّةٍ ، وقيل : كان يعقوب تحول إلى بادية وسكنها ، وأن الله لم يبعث نبياً من أهل البادية ، وقيل : إنه كان خرج إلى بَدَا وهو موضع ، وإيَّاه عَنَى جميل :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ شَغْباً إِلَى بَدَا   إِلَيَّ وَأَوْطَـانِي بِـلَادٌ سِـوَاهُـمَـا

وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبلٍ، يقال: بَدَا القوم بُدُوًّا ، إذ أتوا بَدَا كما يقال : غَارُوْا غَوْراً إذا أَتَوْا الْغَوْرَ ، والمعنى وجاء بكم من مكان بَدَا . ذكره القشيري وحكاه الْـمَاوَرْدِيُّ عن الضحاك عن ابن عباس. انتهى.

والقشيري عالم جليل من مشاهير علماءِ الشافعية ، هو عبدالكريم بن هوازن ابن عبدالملك النيسابوري (٣٧٦/٤٦٥هـ) شيخ خراسان في عصره علماً وورعاً وزهداً ، ومن مؤلفاته «التيسير في التفسير» و«لطائف الإشارات» في التفسير أيضاً .

إذَنْ هناك من المفسرين من لم يَجْزِم بأن المراد في الآية الكريمة البداوة التي هي ضد الحضارة .

الأمر السادس : أنَّ مما يزيد بلادنا فضلاً وشرفاً نسبة الأنبياء والصالحين من عباد الله إليها ، ولهذا حين ننفي هذه النسبة عن بعضها ونثبتها لأخرى فإن هذا الأمر لا يرجع منا إلى هوى في النفس أو رغبة ، وإنما يقوم على أساس من العلم ، بحقائق التاريخ ، وبالاهتداء بما أُثِرَ عن متقدمي العلماء .

ولقد سبق أن قلت فيما علقت به على كتاب الدكتور كمال سليمان صَليبي من نسبة مواضع في جنوب بلادنا إلى بعض الأنبياء المتقدمين ، قلت مامعناه : إننا نعتز ونفخر بهذا لو كان صحيحاً ، ولكن التاريخ لا ينبني على الأوهام والظنون ، وهكذا أقول بالنسبة لبعض مواضع في شمال بلادنا ، ورد في نصوص متقدمي العلماء أن يعقوب والأسباط الأنبياء من بنيه حَلُّوْها ، فهذا مما تفخر به هذه البلاد ، ويعتز به سكانها ، وإثباته حسبما ورد عن المؤرخين من الأمور التي نحن بحاجة إليها .

المكان الذي قدم منه يعقوب وبنوه :

لاشك أن الأستاذ الكريم يدرك أن الحقائق التاريخية لا تقوم إلا على أسس قوية من الواقع من ثابت الأخبار أو واضح الآثار ، والحوادث التاريخية تُستقى من مصادرها الصحيحة ، وأحوال الأمم الماضية ممن عُنِـيَ بعضُ المؤرخين من أقدم عصور التاريخ إلى وقتنا الحاضر بتدوينها وخاصة منها مايتصل بالأمم الباقية .

وليس من المعقول أن يُهْمِلَ أولئك المؤرخون حادثةً تقع في تلك العصور الموغلة في القدم ، ولها صلة بما قص الله علينا أنباءه في القرآن الكريم عن أنبيائه ، وهم قد عُنُوا بالتَّصَدِّي لإيضاح جميع الجوانب المتصلة بقصص الأنبياء ، ثم يأتي أحد أهل هذا العصر ليتحدث عن تلك الحادثة بما لم يُسْبَقْ إليه ، ومن ذالك مانقله الأستاذ محمد عن العلمي ـ إن صح النقل عنه ـ من قوله : إن رحلة إسرائيل وبنيه الأحد عشر كانت من بين أجا وسلمى ـ جبلي طيء ـ.

وبصرف النظر عن وصف هاؤلاء الأحد عشر بالبداوة ، وهو ما يتنافى مع ما وصف الله به أنبياءه من أنهم من أهل القرى ، فإن الباحث حين يرجع إلى أقوال المفسرين ونصوص علماء التاريخ لايجد فيما بَيْنَ أيدينا من مؤلفات قدمائهم ذكراً لهذا القول من مواطن أولئك، مع أن بينهم من اهْتَـمَّ بذكر سكان الجبلين، فأشار إلى أن بقايا من العرب البائدة من قبيلة جَدِيس، التي كانت تحلُّ اليمامة قد نزلت بلاد الجبلين قبل نزول طيِّءٍ القبيلة القحطانية التي انتقلت من جنوب الجزيرة، فغلبت من وجدت من سكانها القدماء واستقرت بها ـ انظر «معجم البلدان» رسم (أجا) ـ ولاتزال فروع تلك القبيلة في هذه البلاد التي كانت تعرف قديماً باسم جبلي طيء، وهما أَجَا وسلمى، المعروفان الآن، ثم عُرِفَتْ فيما بعد باسم (الجبلين) ثم باسم (جبل شَمَّر) ثم (بمنطقة حايل) وشَمَّرُ فَرْعٌ مِنْ فروع طيِّءٍ انضمَّتْ إليه كثيرٌ من فروع القبيلة الأخرى وغيرها، وحايل أشهر بلدة في تلك البلاد في عصرنا الحاضر، وهي قاعدتها.

أما موطن يعقوب النبي الكريم الذي قص الله كثيراً من أخباره، وأخبار آله من عهد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ حين انتقل من بلاد مابين النهرين ، حتى استقر في البلاد المباركة بلاد الشام ، وقد أتى بابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ إلى مكة المكرمة ، فكان من عمران هذه المدينة الكريمة بِذُرِّيَّتِهِ ماهو معروف ، وقد بقي بعض أحفاد إبراهيم على الحالة التي وصفهم الله عليها في عهد يوسف عليه السلام .

ولقد كان مسكن يوسف وولده في ذالك العهد في أطراف بلاد فلسطين ، بالعربات أو بغور الشام في بعض أقوال متقدمي المؤرخين ، وقد أورد ابن جرير

فيما أورده بأنهم كانوا بالأولاج من ناحية الشعب في أسفل من جِسْمَى ، أورد هذا في «التفسير»[1] وفي «التاريخ»[2] وكلمة (الشعب) هنا يظهر أنها مصحفة ، فقدْ وردت في تفسير العلامة ابن كثير فيما نقل عن ابن جريج : كانوا بالأولاج من ناحية (شعب) أسفل من جِسْمَى قال : وكانوا أصحابَ باديةٍ وشاءٍ وإبلٍ .

إن كلمة (الشعب) في تفسير ابن جرير وتاريخه وردت في تفسير ابن كثير[3] (شعب) غير معرفة ، والقول بأنها بالأولاج أسفل من جِسْمَى يحمل على الجزم بأن الصواب فيها (شغب) بالغين المعجمة ، المتقدم ذكرها في نص كلام القرطبي ، فيما نسب من شعر إلى جميل ، وهو من شعر كُثَيِّر[4] الذي قرن الاسم باسم (بَدَا) والموضعان متقاربان ، ولزيادة الإيضاح يحسن إيراد بعض النصوص ، فقد ذكر الواقدي في «مغازيه»[5] في خبر سرية زيد بن حارثة إلى جذام : سار ومعه دليل من بني عُذْرَةَ ، حتى نزلوا بكراع رويَّة ، وأقبل العذريُّ ـ دليل زيد ـ فجاء بهم من قِبَلِ الأولاج ، حتى صبحوا رفاعة بن زيد الجذامي بكراع رويَّة بحَـرَّة لَيْلَى . وفي «السيرة النبوية»[6] لابن هشام : حتى نزلوا الحرة ، حرة الرجلاء ، ورفاعة ابن زيد الجذامي بكراع ربه(؟) لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب ، وسائر بني الضبيب بوادي مدان ، الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة فجمعوا ماوجدوا من مال .

والحرة المذكورة هنا ، هي المعروفة الآن باسم (حرة الرحا) وهي (حرة تبوك) الواقعة غربها ، وتدعى أيضاً (حرة الرجلاء) فقد ذكر ابن شبَّة في «أخبار المدينة»[7] في ذكر صدقات علي : وله أيضاً بِحَرَّةِ الرَّجْلاءِ مزارع من ناحية شَغْبٍ وبَدَا في وادٍ يدعى الأحمر ، وله أيضاً بِحَرَّةِ الرَّجْلاءِ وادٍ يقال له الْبَيْضَا فيها مزارع .

وفي نصوص العلماء المتقدمين مايؤيد كون (بَدَا) قرية يعقوب ، فقد جاء في كتاب «الممالك والمسالك» لأبي عبيد البكري مانصه[8]: في وصف الطريق من المدينة إلى مصر : من المدينة إلى ذي خُشُبٍ ، إلى السويداء إلى المروة إلى سقيا يَزيد إلى بَدَا يعقوب عليه السلام إلى ضبا .

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: ضبة قرية بتهامة على ساحل البحر ، مما يلي الشام . ويحذائها قرية يقال لها بَدَا ، وهي قرية يعقوب النبي - عليه السلام - بها نَهْرٌ جارٍ ، بينهما سبعون ميلاً ، ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف - عليه السلام - بمصرَ. وجاء البلبيسي في كتابه «الأنساب» فنقل نص كلام ياقوت .

وشَغْبٌ وبَدَا لايزالانِ معروفَيْن ، وهما واديان في منطقة ضبا ، شَغْبٌ يقع في الجنوب الشرقي منها ، ويمتدُّ منحدرًا نحو البحر حتى يجتمع مع وَادِي الْأَزْلَـمِ ، أما قرية شَغْب العامرة الآن فتقع بقرب خط الطول : ٣٦/٤٨° ، وخط العرض : ٢٧/١٥°.

وهي في أعلى الوادي ، وهذه هي قرية الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عالم الحجاز في عهده ، وكان شَغْبُ من بلاد بني عُذْرَةَ ثم أصبح من بلاد قبيلة بَلِيٍّ المعروفة الآن وقد تحدثت عنه في قسم شمال المملكة «من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

وأما وادي بَدَا فإنه يقع في الجنوب الشرقي من وادي شَغْب على نحو خمسين كيلاً ثم يتجه صوب الغرب حتى يصب في البحر جنوب بلدة ضبا على مقربة منها ، وفي أعلى هذا الوادي قرية بَدَا ، تقع بقرب خط الطول : ٣٦/١٥°، وخط العرض : ٢٧/٢٥° ، - وانظر عنها قسم شمال المملكة من «المعجم» المذكور .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) في «التفسير» ج ١٣ ص ٧١ - طبعة الحلبي بمصر -.
(٢) في «التاريخ»: ١/٣٥٠ - طبعة دار المعارف بمصر -.
(٣) «تفسير ابن كثير»: ٢/٤٩١ - طبعة احياء دار الكتب العربية - الحلبي وشركاه بمصر -.
(٤) انظر ديوانه - ٣٦٣ - وبعد البيت :

وحـلَّتْ بِهـذا حَلَّةً ثـم أصبـحـتْ ... بِـأُخْرَى فـطَابَ الْـوَادِيَـانِ كـلاهمـا

(٥) ٢/٥٥٧ . (٦) ٤/٦١٣ .
(٧) «أخبار المدينة» لابن شبة - ج ١ ص ٢٢٤ وقد وردت الجملة في المطبوع محرفة .
(٨) انظر «جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك» تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم - ص ٩٧ - و«الدرر الفرائد المنظمة» - ص ١٢٣٥ -.

خمسة كتب ... وملاحظات

١ ــ الدكتور محمود الربداوي «دراسات في اللغة والأدب والحضارة».

القسم الأول. بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٠/١٩٨٠م - ٣٣٤ صفحة.

١ ــ سعَة مواد الكتاب تدلُّ على سعة ثقافةِ المؤلف وحُبِّهِ للمعرفة.

٢ ــ ولو قال «مقالات» كان أقرب إلى حقيقة المعروض في كتابه من قوله «دراسات». إنها أولى أن تكون ثمرة دراسات.

٣ ــ يحاول المؤلف أن يُيَسِّرَ مادَّتَهُ، ويجتذب إليها عامة القراء، وهو قد يبالغ في ذالك فيبدو مُمِلًّا، وقد يطيل في المقدمة حتى إذا قارب النهايةَ قَدَّم القليل جدًّا من موضوعه، ففي مقالته (انتشار اللغة العربية في مصر وليبيا) أمضي ست صفحات خارج المطلوب، ولم يبق للمطلوب إلا أقل من صفحة واحدة، وجرى الموقف نفسه في موضوع (تسلل العربية إلى المعجم الفرنسي).

٤ ـ ذكر ص: ٦٥ ـ ٦٦ : قصيدة يستدل منها على اندماج الانسان اليهوديِّ في الحياة العربية، وأضاع المعالم الأولى له. استمع إلى هذا الشعر يقول:

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عِرْضه فكل رداءٍ يرتديه جميل (..)

قلت: استمع إلى هذا الشاعر، فإنك (...) إلى أن الصفات التي عددها (...) ماهي إلا خصائص الإنسان العربي (...) وقل: إنها للسمَوْءَل الشاعر الذي احتضنته صحراء العرب (...) إذا صح، وكانت هذه القصيدة للسموءل كما يزعم بعض الناس.

فإذا لم يكن الباحث مقتنعاً بنسبة القصيدة إلى السموءل، فما الداعي إلى الاستشهاد بها لتبين اندماج اليهود بالعرب.. الخ؟

والباحث مقتنع بأن اللامية ليست للشاعر اليهودي السموءل بن عادياء، فهو يقول ص ٢٦٨: إن الموثوق من المصادر مثل «شرح الحماسة»

للمرزوقي، في نسب هذه الأبيات اللامية للشاعر عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي، وقال بهذه النسبة أبو العلاء المعري، والإمام التبريزي في شرحيهما على «الحماسة». وعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي، هذا شاعر إسلامي معروف، والأبيات من حيث طابعها العام عليها الطابع الإسلامي (...) استمع إلى بعض أبياتها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل (...)

تلاحظ معي أن هذه النفحة المشبعة بروح الشمم العربية، لا تصدر عن نفس يهودية:

(١) أين رأينا قول أبي العلاء المعري، وشرحه مفقود؟
(٢) التبريزي نسبها إلى السموءل أولاً، ثم قال وهو يشرح البيت: ويقال إنها لعبد الملك.
(٣) المرزوقي نسبها لعبد الملك أولاً، ثم قال: ويقال إنه للسموءل.

مجال الشك وارد، ومجال النفي ممكن، ولكننا ـ هنا ـ نلاحظ وهنا في عرض القضية.

٥ ـ ص ٣٠١: أَلَّفَتِ المؤلفاتُ العربية في تخليد انتصارات صلاح الدين الأيوبي، كالذي ألفه ابن العماد الأصبهاني، عن فتح صلاح الدين للقدس.

اسم الكتاب «الفتح القدسي أو الفتح القسي في الفتح القدسي» وهو مطبوع. والمؤلف هو العماد ـ عماد الدين، وليس ابن العماد.

٦ ـ ص ٣٠١: وهو يذكر كلمات استعارتها اللغة الفرنسية من العربية فقال: والصبغ المسمى بـ(ليلاك) أي (الليلكي).

رجعت إلى المعجم الفرنسي فرأيته يقول LILAK عن العربية عن الفارسية LILAG ترى أين نجد (ليلاق) من الاستعمال العربي؟ لم أسمع ليلكي إلا في العامية اللبنانية، والأولى أن تكون لديهم عن الفرنسية.

«**العرب**»: فات أستاذنا الجليل الإشارة إلى أن السموأل يهوديُّ الديانة، ولكنه عربي الأصل وليس يهودياً، فهو السموأل بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقياء بن عامر الأزدي ـ انظر «النسب الكبير» لِهشام ابن محمد بن السائب الكلبي ـ المتوفى سنة ٢٠٤هـ ـ ج ٢ ص ١١٣ ـ تحقيق محمود فردوس العظم. و(أسطورة اليهود في تيماء) من كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٣٣٢ ـ

وما أكثر من اعتنق اليهودية من العرب وعُدَّ من الشعراء، في الجاهلية وفي صدر الإسلام.

٢ ـ الدكتور عبدالتواب شرف الدين، عبدالفتاح الشاعر «**المعجم الموسوعي لعلوم المكتبات والتوثيق والمعلومات**» ـ الطبعة الأولى ـ الكويت ١٩٨٤م ـ شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ـ انكليزي عربي ـ ٤٤٨ ص ـ ٢:

١ ـ لم يذكر اسم المطبعة؟

٢ ـ جاء في الاسم الانكليزي للكتاب GLOSSARY CYELOPAEDIE GLOSSARY ولا تقابل معجم (من هذا النوع).

٣ ـ وضعت المقدمة وهي باللغة العربية من يسار الكتاب إلى يمين؟

٤ ـ وضع المؤلفان في المقدمة، تفريقاً بين «القواميس والمعاجم» ـ فالقواميس تعطي عادة الكلمة بلغة معينة ومايقابلها بلغة أخرى، بينما المعاجم تعطي الكلمة بلغة معينة ومايقابلها مع شرح لمعناها.

وهذا التفريق خاص بهما، لأننا لا نفرق في العصر الحاضر بين قاموس ومعجم، فمن القواميس مايعطي الكلمة باللغة العربية، ويشرحها باللغة العربية، ومنها ماكان للغة الأجنبية، ومثل ذالك المعجم.

ولنقرر أن استعمالنا الحديث متأثر بالترجمة أكثر من عودته إلى التراث، فقد وقفنا إزاء كلمة DICTIONNAIR فترجمناها «قاموس» وربما كان ذالك متابعة للقاموس المحيط» للفيروزآبادي الشائع الاستعمال. . . ثم ترجمناها «معجم»

واستعملنا «المعجم» للغة ولغير اللغة، وربما اتصل استعمالنا بما كان خارج اللغة بكتاب ياقوت «معجم البلدان» أو كتابه «إرشاد الأريب» الذي ورثنا استعماله «معجم الأدباء».

وتبقى بعد ذالك كلمة GLOSSARY

وكلمات أخرى وردت في الكتاب مثل ص 285 LEXIEON ووضع مقابلها «معجم» ووضع مقابل: LEXIEOLOGY النحو، ولم يفرد

٥ ــ ص ١٥ رسالة جامعية ولم يفرد أطروحة DICTIONARY ص : ١٥٠ مقابلاً AEADEMIE DISERTALION البحوث التي يقوم بإعدادها طلاب الدراسات العليا والبحوث بعد حصولهم على الدرجة الجامعية الأولى، وهي رسائل الماجستير والدكتوراه.

ومعلوم أن رسائل الماجستير والدكتوراه هي : والـ DISSERTATION أي بحث مدرسي حتى قبل الليسانس، وحتى في الثانويات.

٦ ــ ص ٦٢ المكتبة القومية BIBLIOTHEAUE NATIONAL أقدم المكتبات القومية الأوربية، تأسست في باريس في القرن الرابع عشر الميلادي. الصحيح: تأسست في القرن السابع عشر الميلادي، وكان اسمها: المكتبة الملكية.

٧ ــ ص ١٣٩ : شخص متوفي - متوفَى -.

٨ ــ ص ١٧٢ : طبعة نافذة EXHASTED EDITION.

طبعة من كتاب نفذت عن آخرها ولم تعد تتوفر منه أية نسخ للبيع أو للتوزيع.

نافذة، نفذت: نافدة، نفدت.

٣ ــ «في الميزان الجديد» بقلم الدكتور محمد مندور ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .د.ت ـ ١٩٦ ص:

١ ــ لم تذكر تاريخ هذه الطبعة، ولم تذكر تاريخ الطبعة الأولى، وجاء الاهداء، وجاءت المقدمة بدون تاريخ.

٢ ــ لمن يؤرخ لكلمة (تراث). و(التراث) ص ١، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٥ .

٣ ــ ص ١٠٩ : حامد الصواف في كتابه عن عمر الخيام: حامد الصراف ـ بالراء.

٤ ــ لعل الثناء ـ بالأوصاف ـ الذي ورد هنا، على محمد بن سلام، يفوق ماورد في كتاب مندور «النقد المنهجي»:

(١) : ص ١٣٠ : الناقد العربي الكبير.

(٢) : ص ١٣٩ : ناقدنا العظيم .

(٣) : ص ١٥٨ : النقاد الكبار أمثال ابن سلام والآمدي وعبدالعزيز الجرجاني.

٥ ــ وقال في طه أحمد إبراهيم وكتابه مالم يقله عنه في كتابه «النقد المنهجي» قال ص ١٧ : (الأديب الصادق الذوق المرحوم طه إبراهيم في كتابه القيم «تاريخ النقد عند العرب».

٦ ــ في ص ١٨٦ : ناقش الاتباعية والابتداعية: يسمي الأستاذ الزيات الكلاسيكيين بالاتباعيين والرومانتيكيين بالابتداعيين، ولكنهم جميعاً كانوا في الحق اتباعيين. الكلاسيكيون أخذوا عن اليونان واللاتين، والرومانتيكيون اخذوا عن القرون الوسطى، أي عن الأدب الروماني وهو ذالك الأدب الذي كتب باللغة أو اللغات الرومانية .
واللغة الفرنسية إحدى هذه اللغات، فالرومانتيكيون قد فضلوا أن يستوحوا أدبهم القومي من القرون الوسطى بدلاً من الرجوع إلى قدماء الإغريق واللاتين، وهذا هو سبب تسميتهم بالرومانتيكيين.

والمناقشة سليمة ـ ولكنَّ في الجملة الأخيرة نظراً طويلاً ـ.

٧ ــ ص ١٦٨ : يستقرئون : يستقرون .

٨ ــ ص ١٦٨ : مناهج . . . تقريرية DOQMATIQUE الكلمة أقوى من تقريرية فهي ـ مثلاً ـ جازمة ، تحكم أحكاماً بتارة انطلاقاً من معتقد سابق ، ولا يجهلها الدكتور مندور.

٩ ــ كان المناسب أن يذيل الدكتور مندور مقالات الكتاب ـ وفصوله ـ بمكان النشر وتاريخه، والذي أذكره أنه كان ينشرها ـ أساساً ـ في مجلة «الثقافة»، أوائل الأربعينيات (حوالي ١٩٤٢م) العقد الخامس.

١٠ ــ ص ١٤٣ : «الدلائل» ـ «دلائل الاعجاز» للجرجاني ـ تشمل على نظرية في اللغة الصحيح : تشتمل على . . . أو تشمل بدون حرف جر .

١١ ــ مقالات الكتاب ـ ولا سيما ماجاء في موضوع الشعر المهموس ـ أحدثت هزة في وقتها وبدت اكتشافاً. ولكنها فقدت مع الزمن هذه القوة، وأشك في أن الكتاب يطبع مرة أخرى لقيمته النقدية. . وربما كان أبقى مافيه الكلام على الجرجاني ـ عبدالقاهر . . . في «دلائل الاعجاز».

١٢ ــ للكتاب قيمة تاريخية أخرى قلما أشير إليها، هي قيمته في التحقيق، تحقيق المخطوطات في قواعدها وأصولها كما فقهها مندور ـ صحيحاً ـ في فرنسا وطبقها في نقده لتحقيق كتاب «قوانين الدواوين» للأسعد بن مماتي ، الذي عمله الدكتور ـ عزيز سوريال عطية ، ويلاحظ أن كلمة (تحقيق) لم تجر في البحث ، وإنما وردت النشر تأثراً بالمصطلح الفرنسي EDITION ـ (ص ص ١٧٠ ــ ١٨١) .

٤ ــ كتاب «**المواقف**» لمحمد بن عبدالجبار بن الحسن النِّفَّري ،

ويليه كتاب «**المخاطبات**» له أيضاً .

طبعت للمرة الأولى بعد مقابلة سبع نسخ ، بعناية وتصحيح واهتمام أرثر يوحنا أربري ، محاضر بالجامعة المصرية ، زميل كليم بمبروك في جامعة كمبردج سابقاً ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٤م ــ ٢١٨ + ١ القسم العربي + ١ للقسم الانكليزي وفيه ترجمة الكتابين أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب ـ د.ت:

١ ـ ليس للكتابين مقدمة .

٢ ـ جاءت مقدمة المحقق باللغة الانكليزية وفيها : محمد بن عبدالجبار بن حسن النِّفَّري وجه مجهول (غامض) في تاريخ التصوف الإسلامي ، يبدو أنه برز في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وقد توفي على رواية حاجي خليفة سنة ٣٥٤ ، وصفته مخطوطة كوتا بالعراقي .

وخلاصة القول في نِفَّر، أنها منطقة أو قرية قرب بابل وهي نيبور (NIPPUR) أو نمرود ونفر (NOPHER) في أرض الكوفة.

وفي كثير من مواد هذه الأخبار اختلاف، وربما قيل أن نفر على نهر نرس (NARS) في فارس وربما لقب النفري بالبصري . . . ، كما أنك لا تعدم شكوكاً في نسبة الكتاب إلى النفري نفسه .

وقد ورد ذكر النفري عند ابن عربي في «الفتوحات المكية» ولدى الشعراني في «الطبقات الكبرى».

٣ ـ عرف به الزركلي في سطور من «الأعلام» ٦/١٨٤ : نسبته إلى بلدة نِفَّر ، بين الكوفة والبصرة ، وأشار في مصادره إلى «شذرات الذهب» ٥/٤٣٣ ، و «معجم البلدان» ٨/٣٠٣ ، ومجلة «المجمع العلمي العربي» ١٣/٣١٣ .

ولدى الرجوع إلى «شذرات الذهب» ٥/٤٣٣ ، نقرأ :(وفيها أي في سنة ٦٩٥ ـ الوجيه النِّفَّري ـ بكسر النون وفتح الفاء المشددة وراء نسبة إلى النفر بلد على النرس) والنرس : نهر . فنفهم أن الاحالة لم تكن على ترجمة لِلنِّفَّري ، صاحب «المواقف» وإنما لِنِفَّريٍّ آخر ، وإنما وردت الإحالة من أجل النسبة فقط ، وللتعريف بِنِفَّرَ ، هكذا يجب أن نفهم دون إلحاح على ماكان من قصد الزركلي نفسه .

٤ ـ اهتمامي بالنِّفَّريِّ في مواقفه ومخاطباته من اهتمام عصري متأخر جدًّا به ، وبالتصوف عموماً ، وفي الصوفية ابن عربي صاحب «الفتوحات المكية» خصوصاً . . . اكتشفه جماعة الشعر الحر دعاة المعاصرة جدًّا ، فإذا

هو مرجع وموضوع وأثر وتأثر ، وقد يرجع الاكتشاف إلى الستينيات وقد يأتي في الصدارة من المكتشفين أدونيس ، ثم تكأكأ الآخرون ، وطبيعي أن يمضي البياتي بالكرة ـ وقد تلقفها ورأى أثرها ـ أبعد من غيره ، وكأنه المكتشف الأول ، وللاكتشاف والتأثر والإكبار عجائب أقلها : أن المعاصرين جدًّا ليسوا من الدين في شيء .

٥ ـ مخاطبة ٢١ ص ١٧٥ : ياعبد كلما كان أشعث كان أنظر ، وكلما كان أعرف كان أشعث ، وكلما . . . وكلما . . .

الصحيح : كل ما ، بمعنى كل الذي . ويبدو أن الصحيح ورد في خمس نسخ مخطوطة ولكن المحقق فضل الخطأ الوارد في نسختين ، وصحح انظر : انظر ، وقد ورد الصحيح (أنضر) في نسخة واحدة ، ولكن المحقق تبع الخطأ في النسخ الخمس .

٥ ـ «**أمين الخولي**» ـ د. كامل سعفان، القاهرة، سلسلة أعلام العرب (١٠٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع الهيئة، ١٩٨٢م ـ ٣٠١ + ١ :

١ ـ المؤلف الدكتور سعفان قريب من الخولي نفسه، وقد أفاد منه مادة للتأليف ـ والخولي جدير بأن يؤلف عنه، ولكنه صعب المآتي، وقد ظهر ذالك على الكتاب، مع مابذل المؤلف من جهد.

٢ ـ ومن عجائب الخولي اهتمامه بالمسرح عموماً، ومبكراً بل إنه كتب مسرحيات، وهو طالب بمدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٣ ، وكتب أولى محاولاته باسم «جريمة الآباء» ثم «الراهب المتنكر» سنة ١٩١٧م ، ثم «سفير الرشيد أو الانتقام».

٣ ـ تخرج في مدرسة القضاء الشرعي وعين سنة ١٩٣٠م مدرساً فيها ، وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣م ، صدر مرسوم ملكي بتعيينه إماماً للسفارة المصرية في روما ، وقد أبحر إلى منصبه مساء الجمعة ١٤ ديسمبر ١٩٢٣م ، وفي إيطاليا توفر الأستاذ الخولي على تعلم الايطالية حتى أجادها وفي سنة ١٩٢٦م ، انتقل إلى برلين ليباشر نفس المهام التي وكلت إليه في روما ،

ويتعلم الألمانية ، ويكتب مقالين عن الخلافة في جريدة «العلم المصري» التي كان يصدرها طلاب الحزب الوطني بالألمانية في النمسا (. . .) ونشر، وجاء الوفديون فألغوا وظيفة الإمامة سنة ١٩٢٧ وعاد الأستاذ الخولي إلى مدرسة القضاء الشرعي - ص ص ٥٥ - ٦٦ -.

وهنا نلاحظ أن وظيفته في روما كانت لأقل من ثلاث سنوات ، وهي مدة لا تمنح صاحبها تخصصاً في شؤون الأدب ، ولاسيما إذا علمنا أن الهم الأول للخولي انصرف إلى شؤون الدين (واللاهوت) وكنت قد تنبهت لضآلة تحصيله الأدبي لدى قراءتي كتابه «فن القول» ولم يكد يعتمد فيه على أكثر من كتابين إيطاليين في الأسلوب .

وإذا كان هذا أمره مع الايطالية، فكيف يَتّسِقُ القول في قدرته على الكتابة بالألمانية ووظيفته في برلين لمدة محدودة بحدود عام واحد.

أقول : يفهم من هذا أن المحصول الأدبي الغربي للشيخ أمين الخولي قليل ، ولكن الذي يُذْكَرُ له أنه كان من الذكاء بحيث يتصرف بالقليل كثيراً ، ولاسيما لدى مواجهة البلاغة العربية .

٤ ــ ص ٥٢ : والحديث عن ابنة عمه : لقد توفي والده في هذه الأثناء (١٩١٩م) فتزوج مكرهاً من ابنة عمه التي تربت في بيتهم بعد أن مات والدها ، وقد خطبت له منذ الصِّبَى . ولكن الزمن تقدم به واتسعت مداركه ، وتغيرت صورة المرأة في نظره ، واشتدت به الحيرة لحرص والدته الشديد على الزواج من قريبته . . . وكان المتنافسون عليها كثيرين لأنها بيضاء (الماء يبين من زورها) ولأنها ممتلئة، تهتز باهتزاز أعطافها قلوب الشباب في القرية، وكان النزاع يغلو بطلابها، فقرر الزواج منها، حسماً للخلافات :

(١) منذ الصبى : منذ الصبا ـ وفي المعجم : الصبا والصباء ، إذا فتحت مددت ، وإذا كسرت قصرت ، ومن يدري فقد ترجع سيادة الصبا على الصباء لخفتها .

(٢) تزوج من ابنة عمه: تزوج ابنة عمه، أما تزوج بابنة عمه، والآية الكريمة ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ فاللغويون أميل إلى التعدية المباشرة (بدون باء): تزوج ابنة عمه. قال يونس: (ليس من كلام العرب زوّجه بامرأة بالباء)،ولاتزوج بامرأة بل بحذفها، وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي قَرَنَّاهم بهن، ونقول: أَلَيْسَ الزواج قِرَاناً ؟ قال الْفَرَّاءُ: تزوجت بامرأة، لغة في أزد شنوءة، وأدل على التعدية المباشرة الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾.

(٣) يغلو . ماذا يريد بها ؟ في المعجم : غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، وبابه سما ، وغلا السعر يغلو ، ومعنى ذالك في عبارة الدكتور سعفان : (كاد النزاع يغلو بطلابها) : أن النزاع كاد يتجاوز الحد ، فيؤدي ـ حينئذ ـ إلى مالا تحمد عقباه، ويكون الفعل (يغلو) على هذا صحيح ، من باب سما يسمو ، وهو استعمال حسن نادر في لغتنا المعاصرة . والعجيب أننا لدى الكلام على السعر نستعمل الماضي غلا ، والمصدر الغلاء وقلما استعملنا المضارع (يغلو) ولعلنا لم نستعمله ، وقد يذكرنا حديث تنافس الخاطبين إلى المهر ، ويذكرنا ذالك ببيت أبي فِراسٍ الحمداني .

تَهُون علينا في المعالي نفوسُنَا ومن خطب الحسناء لم يُغْلِهَا الْـمَهْرُ

ويكثر المعاصرون من استعمال (يغلي) والفعل (غلت القِدْر من باب رمى) أي غلا يغلي ، وتكون حينئذ ـ عبارة الدكتور سعفان : وكاد النزاع يغلي بطلابها ، أي يفور ويشتد . وفي ذالك أيضاً تجاوز للحد ، ويبقى في ـ حسباني ـ استعمال الدكتور سعفان أدق وأدل .

(٤) في حديث الدكتور سعفان تسويغ لطلاق ابنة العم هذه ، وتزوج الشيخ ـ من ثَـمَّ ـ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطي).

٥ ـــ أكرر أن الدكتور كامل سعفان ـ على قربه من الشيخ أمين الخولي ـ لم يستطع أن يؤلف فيه الكتاب الجامع المانع ، لصعوبة ـ أو استحالة ـ النفاذ إلى سِـرِّ الخولي ، ولصعوبة نقل مايتراءى من السر إلى القراء .

بغداد: د. علي جواد الطاهر

الروضـــة الفردوسيـــة

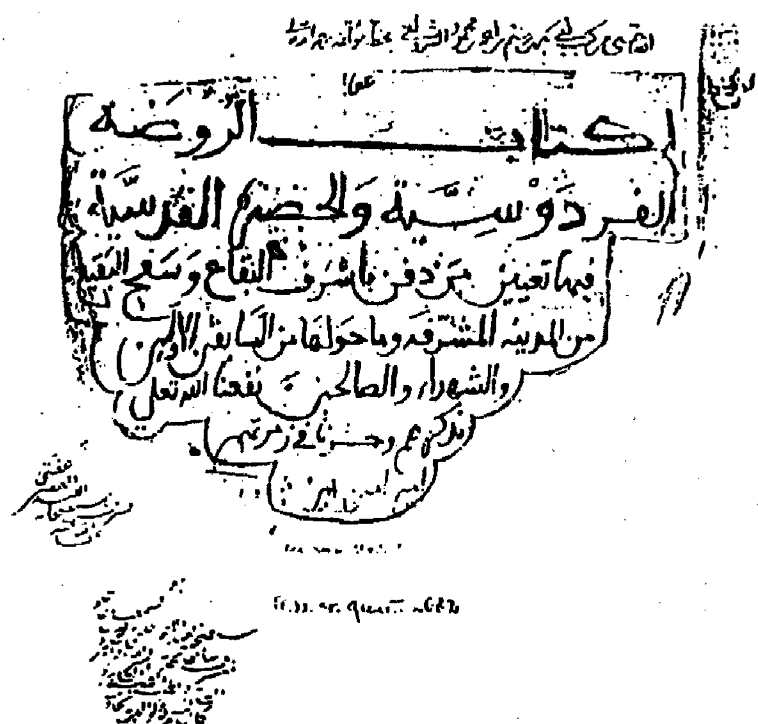
أتحفني أخي الأستاذ الدكتور عبدالله عُسَيْلان بالاطلاع على مخطوطة من كتاب «الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية» فيها تعيين من دُفِنَ بأشرف البقاع ، وسفح البقيع من المدينة المشرفة وماحولها ، من السابقين الأولين ، والشهداء الصالحين .

وَيُعَدُّ هذا الكتاب من نوادر المخطوطات لأمور :

١ ــ محاولة مؤلفه ذكر من عُرِف من الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح ، الذين دفنوا في المدينة الطاهرة .

٢ ــ الكتاب بخط مؤلفه كما سيأتي في وصف المخطوطة .

٣ ــ من مصادر تاريخ المدينة المشرفة التي رجع إليها مؤرخها نُوْر الدين علي ابن أحمد السمهودي (٩١١/٨٤٤هـ) في كتابه «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» .



(طرة المخطوطة)

المؤلف :

ومؤلف هذا الكتاب هو الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري ، نسبة إلى بلدة (آق شِهْر) التي لا تزال معروفة يمر بها المتجه بطريق البر من الشام إلى اسطنبول ، قبل الوصول إلى أنقرة .

قال تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (٧٧٥/٨٣٢هـ) في «العقد الثمين» ـ ١/٢٨٦ ـ: محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن سعاد الآقشهري ، يلقب بالجلال ، ويكنى أبا عبدالله ، وأبا طيبة .

روى عن الأستاذين أبي جعفر بن الزبير الغرناطي[1]، وناصر الدين أبي علي المسدالي[2] وجماعة من أهل المغرب سماعاً ، وإجازة عن جماعة من أهل المشرق منهم: العز الفاروقي .

وسمع الكثير بالحرمين على الصفيِّ والرضيّ . ومن جماعة كثيرين عاش منهم بعده غير واحد ، وخَرَّج لبعضهم ، وله عناية كبيرة بهذا الشأن ، إلا أنه لم يكن فيه نجيبا ، لأن له تعاليق مشتملة على أوهام فاحشة .

وله مجاميع كثيرة ، وإلمام بالأدب ، وحظٌّ وافرٌ من الخير .

وقد حدثنا عنه غير واحد من شيوخنا ، وجاور سنين كثيرة بمكة والمدينة ، وبها مات في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وهو في أثناء عشر الثمانين ، لأنه ولد سنة أربع وستين وست مئة . كذا وجدت مولده بخط الذهبي . وترجمه : بنزيل مكة .

وترجمه الحافظ ابن حَجَرٍ في «الدرر الكامنة» ـ ٣/٣٠٩ ـ وقال: منسوبٌ إلى (آقشهر) بقونية ، ولد بها سنة ٦٦٥ ، ورحل إلى مصر ، ثم إلى المغرب ، فسمع من أبي جعفر بن الزبير ، بالأندلس ، ومحمد بن محمد بن عيسى بن منتصر[3]،

بفاس، وغيرهما وجمع رحلته إلى المشرق والمغرب في عدة أسفار ، وجمع كتاباً فيه أسماء من دفن بالبقيع سماه «الروضة» قال القطب الحلبي : تناولته منه ، وحدث عنه أبو الفضل النُّوَيْري قاضي مكة ، وجاور بالمدينة ، ثم اتخذها موطناً إلى أن مات سنة ٧٣١ . انتهى .

وعلى هذا التاريخ عول الأستاذ الزركلي في «الاعلام» مع إشارته إلى الاختلاف في تاريخ وفاته بين (٣١ أو ٣٧ أو ٣٩) ولكن القول الأول يرده ماجاء في آخر مخطوطة كتابه ، وهي بخط المؤلف نفسه من سماع الكتاب في مجالس آخرها (يوم الخميس الموفي ٢٠ شعبان المعظم من عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة) وفي بعض مخطوطات «الدرر الكامنة» أن وفاته سنة ٧٣٩ ، وهذا يتفق مع ماذكره الفاسي ، مؤرخ مكة ، وصاحب «كشف الظنون» ـ ١/٩٢٨ ـ وأشار هذا في «الكشف» إلى أنه أطال المكث في بلاد الأندلس ، ويظهر هذا من كثرة روايته عن علماء أندلسيين في كتابه «الروضة» كما أن صورة كتابته تأثرت بالخط المغربي .

موضوع الكتاب :

وقد أوضح المؤلف غايته من تأليف هذا الكتاب فقال في مقدمته ما ملخصه : (أما بعد ، فلما استقر بي القرار بالمدينة المشرفة ، واختلط دمي بحب ساكني أهل طيبة من السلف الأخيار ، عيبة رسول الله ـ ﷺ ـ المسمَّيْنَ بالأنصار ، وأهل بيته من الأولاد والبنات وذوي الأرحام الطيبين الطاهرين ، فرأيت أن أجمع أسماءهم في ديوان . . . وأذكر من نسبهم ومناقبهم وطرفا من طرف رسومهم ليعتبر . . . . ، واسمه «الروضة الفردوسية والحَـضِيرة القدسية» فيها تعيين من دفن بأشرف البقاع ، وسفح البقيع من المدينة المشرفة وماحولها من السابقين الأولين ، والشهداء والصالحين ، وأجعله على حروف المعجم المغربية مرتباً على الطبقات في خمسة أبواب .

الباب الأول : في حكم الزيارة وكيفيتها ، وفيه فصول : الفصل الأول : في كيفية زيارة قبر رسول الله ـ ﷺ ـ وقبر صاحبيه ، وقبر سيدة نساء أهل الجنة البتول ، وذكر قبر ابن عم أبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ، والفصل الثاني : في كيفية الصلاة والسلام عليه وعليهم ، الفصل الثالث : في زيارة أهل بيته وأولاده وأقربائه بالبقيع ، وبجبل أحد مع الشهداء.

الباب الثاني : في ذكر خلاصة الوجود وأشرف الموجود ـ يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ـ وذكر آبائه وجداته ، وأبنائه وبناته ، وأزواجه ومواليه ، وأقربائه مع الخلفاء الراشدين .

الباب الثالث : في ذكر الوقائع التي كانت سبباً لوفاة الفضلاء بالمدينة المشرفة كقصة أُحُدٍ ، وقصة الأحزاب ، وأخبار وقعة الْـحَرَّةِ .

الباب الرابع : في ذكر الصحابة المشهورين المذكورين .

الباب الخامس : في ذكر من عُرِفَتْ وفاتُه بالمدينة المشرفة غير الصحابة من أهل العلم والدين .

ثم شرع في سرد محتويات الباب الأول .

وهو يروي الأخبار التي يسوقها على طريقة المحدثين فيورد سنده ابتداء من شيخه حتى يصل إلى نص الحديث النبوي .

ومع أنه أوضح في مقدمة الكتاب محتوياته بما ساقه من تعريف أبوابه ، إلا أنه ألحق في آخره تفصيلاً وافياً لما تضمنه الكتاب قائلاً بعد الحمدلة والصلاة على سيدنا محمد: (أما بعد فإني لما تصفحت صفحات هذه الصحيفة الموسومة بـ«الروضة» علمت أنه يطول على متأملها حصر محصولها علماً في البرهة ،

فَجَرَّدْتُ أسماء المرسومين بها في جريدة تغني الناظر فيها بالسرعة ، لأن تكون جالية لاستيفاء النظر في إظهار تلك الحضيرة والروضة ، فابتدأت على مافيها من الترتيب في التراجم والتبويب ، وقربت البعيد به وبينت بالتقريب) .

ثم سرد الأبواب ومافيها من فصول ، وساق جميع الأسماء الواردة فيها مرتبة على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي .

ويعد هذا الكتاب من أحفل مارأيت في موضوعه، على أَنَّ مِـمَّا يُلْحَظ على مؤلفه ما أوضحه مؤرخ مكة الفاسي حين أشار إلى منزلته في الحديث من حيث الرواية عن محدثي عصره فقال: (إلا أنه لم يكن فيه نجيباً) ويتجلّى هذا فيما ورد في هذا الكتاب من عبارات لا يرتضيها محققو العلماء من الـمُحَدِّثين أثناء السلام على المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مما وقع في عبارات كثير من أهل ذالك العصر، والله يتغمده برحمته الواسعة ـ:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا   كَفَى الْـمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وصف النسخة : أصل المخطوطة في إحدى المكتبات الألمانية كما فهمت من الدكتور عبدالله عسيلان ، وهي ـ كما ذكرت ـ مخطوطة المؤلف ، ويظهر أنها هي النسخة التي اقتناها السمهودي مؤرخ المدينة ونقل عنها ، فقد جاء في هامش الورقة الـ (٦ ب) مانصه : (بلغ قراءة في الأولى على بقية . . . . الجمال عبدالله ابن عبدالرحمن بن محمد بن صالح ، كتبه علي بن الحسن السمهودي) ويؤيد هذا ماجاء في كتاب «وفاء الوفاء» ـ ص ٤٥١ ـ تحقيق الشيخ محيـي الدين عبدالحميد ونصه : (ورأيت بخط الأقشهري ، لعله مما يلي دوره ، وفي صفحة ـ ٥٧٧ ـ: لكن قال الأقشهري ومن خطه نقلت : أخبرنا الإمام العالم رضي الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد ، وساق خبراً قال في آخره : هذا ما نقلته من خط الأقشهري بحروفه . انتهى :

ولم أُعْنَ بتتبع النصوص التي نقلها السمهودي عن كتاب الأقشهري للمطابقة بينها وبين ما ورد في هذا الكتاب ، ويحسن هذا لمن يحاول دراسة الكتابين دراسة وافية ، لاسيما وكتاب السمهودي «وفاء الوفاء» على جلالة قدره ـ مشحون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن الطاهر بن أمين الآقشهري رحمه

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء في وحدانيته، وجاد بإيجاد الوجود
من العدم بجوده وقدرته، ثم أبادهم بعد ذلك الإيجاد وطول مدته
أظهر الكائنات من غير مثال سابق، وجعلها دارا بين العدم السابق
واللاحق بلا العالم وجدته، و[illegible] ميراث السموات والأرض إذ أذاق كل
شخص من مخلوقاته طعم الفناء بفناء الوجود على جبريته، وأورث عباده
البقاء من ذكر البقاء في دار الخلد من جنته، التي جعلها دار الجزاء
المرضي بفضله ووفاء بوعده لا ما يستحقه عباده، وجعل النار دار [illegible]
لكل جاحد [illegible] من أهل شقاوته، سبحانه ما أعظم شأنه يبدي
ويعيد ويفني ويعيد وهو على كل شيء شهيد، وصلى الله على النبي
البشير قرة عين الوجود وخاتم [illegible] محمد المصطفى الهاشمي الأبطحي
الحرمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه [illegible] ومحبيه وأهل حرمته، صلاة
ترضيه وترضيهم وترضي ربنا ما لاح نجم في السماء ونجم نبت في الغبراء وتولع
المستهترين بذكرهم والوالهين بمودته. أما بعد فلما استقر
بي القرار بالمدينة المشرفة وبعدت عن الأهل وشط المزار وعز [illegible] ثم
كدني بحث سالفي أهل طيبة من السلف الأخيار، الفقراء المهاجرين إلى الله
ورسوله أولي البصيرة والأبصار، وأهل الخصوصية والإيثار، عيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تليما السبقين من عند الله تعالى بالأنصار، وأهل بيته من الأولاد ٣
والبنات وذوي الأرحام الطيبين الطاهرين الأبرار، منهم وممن بعدهم من
أهلها المستوطنين بها عند انتهاء الأعمار، المنتظمين في سلك عقد
صلوات الله عليهم ورضوانه ما اختلف الليل والنهار، وما دعا داعي
الفلاح بالأسحار، فرأيت أن أجمع أسماءهم في ديوان تذكرة

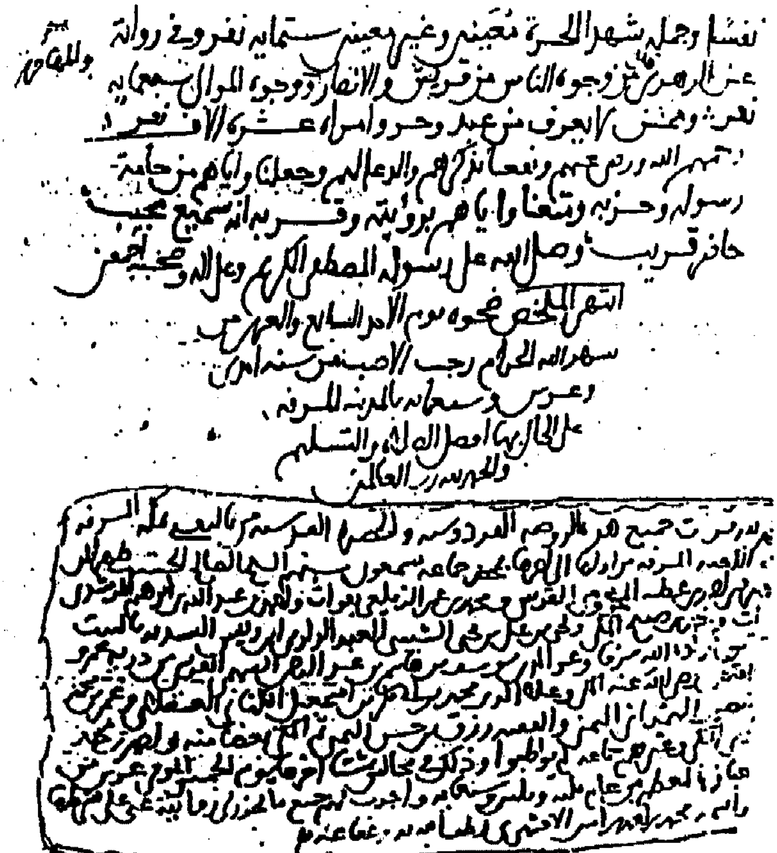
(أول الكتاب في المخطوطة)

بالأخطاء ـ وجدير بإعادة تحقيقه ، بتتبع مصادره التي لا يزال أكثرها معروفاً كـ «أخبار المدينة» لابن شبة ـ على نقصه ـ وغيره من المؤلفات التي نشر بعضها .

ومما يوضح صحة نسبة المخطوطة هذه إلى مؤلفها ماجاء في آخرها : (الحمد لله قرأت جميع هذه «الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية» من تأليفي بمكة المشرفة [تجاه] الكعبة المشرفة ، من أولها إلى آخرها ، بمحضر جماعة يسمعون ، منهم الشيخ الصالح الحبيب ظهير الدين . . . بن أحمد بن عطية المخزومي القدسي ، ومحمد بن عمر الزيلعي ، بفوات ، وأحمد بن عبدالله بن إبراهيم المرشدي ، بِفَواتٍ ، ومحمد بن صبيح المكي ، ويحيى بن علي بن يحيى الشيبي العبد الدَّاري بن رئيس السدنة بالبيت الحرام ، زاده الله شرفاً ، وعزالدين يوسف بن عبدالرحمن السهمي القدسي من ذرية عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ المكي ، وعلاء الدين محمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني العسقلاني ، وعمر بن محمد . . . . الهمداني اليمني ، والفقيه رزق بن حسن اليمني ، ثم المكي ، بعضاً منه ، وأحمد بن محمد . . . . المكي وغيرهم جماعة لم يواظبوا ، وذالك في مجالس شتا ، آخرها يوم الخميس الموفي عشرين من شعبان المعظم من عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة ، وأجزت لهم جميع ما تجوز لي روايته عني على شرطها ، رَاسِمُهُ : محمد ابن أحمد بن أمين الأقشهري لطف الله به وعفا عنه) .

أما تاريخ الجمع والتأليف : فقد أوضحه المؤلف (ص ٢٥٢) بقوله : (انتهى والحمد لله جمعاً وتأليفاً ضحوة يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ذي قعدة من عام تسعة عشر وسبع مئة وذالك بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) .

ويتضح تاريخ النسخ في نهاية الفهرس الذي وضعه المؤلف في آخر الكتاب وتقدمت الاشارة إليه فهناك : (انتهى الملخص يوم الأحد السابع والعشرين من شهر الله الحرام رجب الأصب من سنة إحدى وعشرين وسبع مئة بالمدينة المشرفة) .

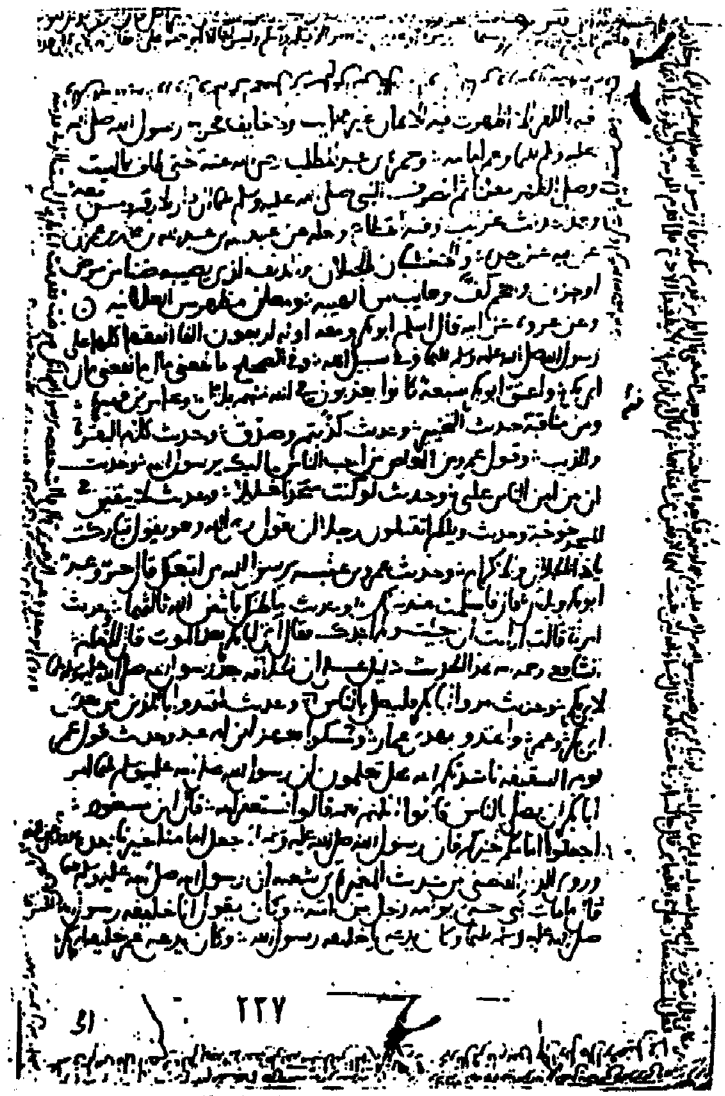


(آخر المخطوطة)

وتقع المخطوطة في (٢٥٨ ورقة = ٥٢٨ من الصفحات) في الصفحة الأولى اسم الكتاب وفوقه: (الله حسبي من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني بخط مؤلفه ـ رحمه الله ـ) وتحت اسم الكتاب: (تشرف باستصحابه العبد الفقير عفتي عفا الله عنه) وفي أسفل الصفحة: (استصحبه العبد الفقير . . . . ١١٥٩) ولم يتضح الاسم.

والصفحة الثانية بيضاء، ويبتدئ الكتاب من الصفحة الثالثة، وفي الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً، وفي بعضها إضافات في الهامش قد تكون من أصل الكتاب، أو من إضافات السمهودي، وبعض الصفحات لم تظهر في التصوير، والخط مقروءٌ وإن لم يكن متقناً.

حمد الجاسر



(إحدى صفحات المخطوطة)

الحواشي :

(١) في «الروضة» - ص ١١٥/٣٥ : (أخبرنا الشيخ العالم الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي - رحمه الله - قراءة عليه ، وأنا أسمع بالمسجد الجامع بمدينة اغرناطة سنة أربع وسبع مئة) وتكرر اسمه في الكتاب .

(٢) المسدالي : الصواب ، المشدالي كما في «الروضة» - ص ٩ -: (أخبرنا الشيخ الفقيه المفتي ببلاد المغرب أبو علي منصور بن أحمد الزواوي ثم المشدالي - رضي الله عنه - قراءة عليه بالمسجد الجامع ببجاية النجية ، يوم السبت الرابع من شهر جمادى الآخرة عام تسعة وسبع مئة) ووصفه - ص ١٢ - بأنه مفتي أهل المغرب قاطبة - ٤٨ -: الزواوي ثم البجائي الافريقي من افريقية القصوى .

(٣) ورد اسمه في مواضع من المخطوطة ، وفي إحدى المخطوطات «الدرر» (بن مَعَنْصَر) ففي - ص ١١٥/٦٦ - (أخبرنا جماعة منهم الشيخ الوزير أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن مَعَنْصَر الموماني ، بمدينة فاس كلأها الله من بلاد المغرب ، حاضرة السلطان ، عام تسعة وتسعين وست مئة - رحمه الله -).

مواضع سيناء في النصوص القديمة

ـ ٣ ـ

قَــــــسٌّ : قال أبو عبيد البكري في «معجم ما استعجم» قال أبو علي : قَسٌّ بفتح القاف موضع تنسب إليه الثياب القسية ، ولم يزد على ذالك .

قلت : هو الموضع المعروف في يومنا هذا بتل القلس ، وإليك البيان :

قال ياقوت في «معجم البلدان» ـ الْقَسُّ ـ وحدثني أحد اثبات المصريين قال : سألت عرب الْـجِفار عن القَسِّ فَأَرِيْتُ شبيهاً بالتَّلِّ عن بُعْدٍ ، فقيل لي : هذا القس هو موضع قريب من الساحل ، بين الفرما والْعَرِيشِ ، خراب لا أثر فيه ، وقال الحسن بن محمد المهلبي : الطريق من الفرما إلى غزة على الساحل : من الفَرَما إلى رأس الْقَسِّ ، وهو لسان خارج في البحر ، وعنده حصن يسكنه الناس ، ولهم حدائق وأجِنَّة ، وماء عذب ، ويزرعون زرعاً ضعيفاً بلا ثور ميلاً ، وهذا يؤيد ماحكاه لي المقدم ذكره .

قلت : يستفاد مما أورده ياقوت أن القس عبارة عن تلٍّ ، وهذا التل يذكر المهلبي أنه رأس القس ، وهو لسان خارج من البحر ، وهذا الوصف ينطبق تماماً في زماننا هذا على الموضع المعروف بتلِّ القلس ، ذكره نعوم بك شقير فقال : القلس كثيب عظيم من الرمال ، يمتد نحو ميلين على شاطيء البحر ، عند منتصف البحيرة ـ يعني بحيرة البردويل ـ وعليه خرائب بلدة قديمة ، طمرتها الرمال ، وهناك بئر عذبة ، في وسط كثبان عظيمة من الرمال . ويرتفع كثيب القلس نحواً من ستين متراً فوق مستوى سطح البحر ، وقال في موضع آخر : أما تل القلس فهو كثيب عظيم من الرمال . . . وهو يمتد نحو ميلين على شاطيء البحر ويعلو ثمانين قدماً عن سطح البحر ، وفي شرقيه خرائب بلدة قديمة طمرتها الرمال ، أخبرني البدو أنهم وجدوا فيها قطعاً كثيرة من النقود والفسيفساء ، وفي وسط التل تجويف عظيم ، فيه بئر عذبة الماء ، أعلى من سطح البحر ، وذكره الدكتور عباس مصطفى عمار فقال : بحيرة البردويل وهناك نجد لساناً من الأرض يسير بين البحر وبين البحيرة يتسع حيناً ويضيق حيناً آخر إلى أن نصل إلى

منتصف ساحل البحيرة تقريباً فنجد ذالك التل المرتفع المعروف بتل القلس ، وقد اتسعت الأرض عنده ، ثم يستمر الطريق إلى غربيه كما كان ، إلى أن نصل إلى طرف البحيرة الغربي لنتبع ساحل البحر حتى أكوام الفرما ، ويتابع الدكتور عباس مصطفى عمار حديثه حول تل القلس فيقول : يكاد يكون مسلماً به عند الكتاب جميعاً ، محطة في منتصف تل القلس فكاسيوس وكاسيوم وكاسيو أسماء واحدة غاية الأمر أنها محرفة ، ولفظ القصر الذي ذكره قدامة إما أن يكون تحريفاً للقلس أو نعتاً للبناء الذي كان موجوداً هنالك ، والذي كان يراه الرحالة العربي ضخماً يطلق عليه اسم القصر ، وهذا البناء أقيم أولاً ليكون حصناً يحمي الطريق ، وكان به معبد كبير ، ظلّ قائماً معروفاً يشير البدو إليه ، ولا يبعد أن يكون المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم» قد تأثر فسمّى المحطة دير النصارى نسبة إلى ذالك المعبد ، وتابع يقول : أما كاسيوس فموقعها في مكان تل القلس الحالي : يشير كُتّابُ الفترة الرومانية والبيزنطية إلى وجود حصن هام ومعبد بها كما يشير بعض الكتاب العرب إلى وجود حصن للنصارى فيها ، وإذا لم تكن آثار القلس ظاهرة الآن فما يبعد أن تكون الرمال تغطي جزءاً منها ، وأن يكون البحر قد أغار على جزء آخر ، وليس في اللسان الموجود بين البحيرة والبحر مكان يمكن أن يقوم فيه حصن ومعبد خير من منطقة القلس هذه ، فهنالك نخيل وماء على عكس باقي اللسان فهو مجدب يندر فيه النبات .

قلت : إن تحديد صاحب «معجم البلدان» لم يترك مجالاً لمن بعده في الاختلاف على تحديد هذا الموضع فليس من تلٍّ على لسان خارج من البحر على ساحل سيناء شرقاً وغرباً سوى تل القلس ، وعن توقع الدكتور عباس مصطفى عمار أن تكون الرمال قد طمرت آثار القلس فهذا أمر قد أشار إليه نعوم بك شقير الذي سبقه بأكثر من ٣٠ عاماً ، وماذكره أن بالقس حصناً يسكنه النصارى نقلاً عن صاحب «معجم البلدان» ليس صحيحاً ذالك أن كلمة النصارى تصحيف للناس فعبارة ياقوت المنقولة عن المهلبي الذي ألف كتاباً للعزيز صاحب مصر وكانت ولايته في سنة ٣٦٥هـ ووفاته في سنة ٣٨٦هـ ، وقال في ذكر القس : وعنده حصن يسكنه الناس . ومعروف أن حملات النصارى لم تظهر في ذالك الوقت ، فلم تكن لهم

حصون أو قلاع ، وإنما كان ذالك في زمن لاحق ، كما وأننا نختلف مع الدكتور عباس مصطفى عمار أن اسم القس تحريف للقلس ذالك أن اسم القس ذكره كثير من كتاب العرب القدماء ، كما جاء له ذكر في حديث نبوي شريف ، وممن ذكره من القدماء صاحب «لسان العرب» ابن منظور الذي قال : القَسُّ : موضع ، والثياب الْقَسِّيَّة منسوبة إليه ، وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر ، وفي حديث علي كرم الله وجهه أنه ﷺ نهى عن لبس الْقَسِّيِّ ، هي ثياب من كتَّانٍ مخلوط بحرير ، يؤتى بها من مصر ، نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريباً من كنيس يقال لها الْقَسّ بفتح القاف ، وأصحاب الحديث يقولونه بكسر القاف ، وأهل مصر بالفتح ينسب إلى بلاد القس ، قال أبو عبيد : هو منسوب إلى بلاد يقال له القس ، قال وقد رأيتها ولم يعرفها الأصمعي ، وقيل : أصل الْقَسيِّ الْقَزِّي ، بالزاي ، منسوب إلى الْقَزِّ ، وهو ضربٌ من الإبريسم ، أبدل من الزاي سين وأنشد لربيعة بن مقروم :

جَعَلْنَ عَتِيْقَ أَنْمَاطٍ خُدُوراً وأَظْهَرْنَ الكَرَادِيَّ والعُهُونَا
على الأَحْدَاجِ واسْتَشْعَرْنَ رَيْطاً عِراقِيّاً وَقَسِّيّاً مَصُوْنَا

وقيل هو منسوب إلى القس وهو الصقيع لبياضه .

وقال الفيروزآبادي في «القاموس» : القس موضع بين العريش والفَرَماء من أرض مصر ، منه الثياب الْقَسِّيَّةُ ، وقد يكسر أو هي الْقَزِّيَّةُ أُبْدِلَتْ الزاي ، وقال فيها أيضاً : بلدة بمصر .

وأما سبب تسمية القس بالقلس فإنه يعود إلى أن بلدة القس وقد كانت ذات شهرة وازدهار تقع على ساحل بحيرة البردويل ، وبعد اندثار مدينة القس ، وانحطاط أمرها أسمى البدو هذه المنطقة بالقلس ، ويكمن السبب في أن بحيرة البردويل كان لها فم ضيق ، تدخل منه مياه البحر المتوسط ، شرقي القلس ، وكانت العقبة دائماً أن الرواسب تسدُّ هذه الفتحة في أشهر كثيرة ، إلاّ أن العمل قد جرى على إبقاء اتصال بين البحيرة والبحر المتوسط ، وهذا العمل عبارة عن قلس من البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة البردويل ، فهو يُدْفَع إليها باستمرار

من بحره وأسماكه وأحيائه ، وهذا العمل يعدّه البدو والعرب من أهل الجفار ـ بلاد العريش ـ قلساً أي تَقَيُّؤاً ، قال الليث : القلس ماخرج من الحلق ملء الفم أو دونه ، وقال أبو زيد : قلس الرجل قلساً وهو ماخرج من البطن من الطعام أو الشراب إلى الفم أعاده صاحبه أو ألقاه ، قال ابن منظور : وقلس الإناءُ إذا فاض . وهذا هو سبب تسمية هذا الموضع بالقلس والله أعلم .

قطيـــة : قرية معروفة في شمال غرب سيناء على نحو ٤٠ كيلاً عن القنطرة باتجاه الشرق ، قال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة :

قَدْ قُلْتُ لِلطَّاعُونِ وَهْوَ بِغَزَّةٍ　　قَدْ جَالَ مِنْ قَطْيَا إلَى بَيْرُوْتِ
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سُكَّانِهَا　　وَأَتَيْتَ يَاطَاعُونُ بِالطَّاغُوت

وقال أبو المعالي الطالوي :

وَجَاوَزَ وَادِي الصالِحِيَّةِ كَالْقَطَا　　لِقَطْيَةَ لَيْلاً قَبْلَ وِرْدِ الْحَوَائِمِ

وقال السيد كبريت :

والظُّلْمُ فِي قَطْيَةَ كُلُّ الظُّلْمِ　　يُضْرَبُ فِي الْأَمْثَالِ بَلْ فِي النُّظُمِ
قَدْ أُنْشَأ(؟) بِهَا هَنَادُ　　وَقَامَ فِي مَقَامِهِ الْأَوْغَادُ

وقال الشيخ عبدالغني النابلسي :

مِنَ الْعَرِيْشِ أَتَيْنَا　　لِقَطْيَةٍ يَوْمَ ظُلَّهْ
وَالْغَيْمُ مَدَّ رِوَاقًا　　مِنْ تَحْتِ ضَوْءِ الْأَهِلَّهْ
وَكَانَ سَيْراً طَوِيْلاً　　مَعَ الصِّحَابِ الْأَجِلَّهْ
فَتَارَةً كَانَ غَيْثٌ　　وَتَارَةً هِيَ بَلَّهْ

المغناطيس : قال القزويني في ذكر جزائر بحر القلزم ـ أي البحر الأحمر ـ: ومنها جبل المغناطيس ، وهو جبل في هذا البحر ، يوجد فيه المغناطيس الذي يجذب الحديد ، والمراكب المستعملة في هذا البحر لا يجعل فيها شيء من الحديد خوفاً من أن يجذبها ، وقال في ذكر الجبال : جبل المغناطيس : قال المهلبي : جبال المغناطيس إنها متصلة بجبال القلزم ، وقد علا الماء عليها ، ولهذا المعنى

لا يستعمل في مراكب هذا البحر المسامير الحديد ، خوفاً من جذب المغناطيس .

قلت : فيما ذكره القزويني مبالغات كثيرة ، فالمراكب قديماً والناقلات الكبيرة حديثاً والتي تعتمد الحديد أساساً في إنشائها لاتزال تمخر عبابَ هذا البحر .
وماذكره المهلبي أن هذا الجبل متصل بجبال القلزم ينطبق على موضع يعرف اليوم برأس محمد ، وهو جبل داخل في البحر ، له ذكر كثير ، وهو يشكل بوضعه هذا حجرعثرة أمام السفن التي تتغير اتجاه الرياح ضد سيرها فتجرفها لترتطم بهذا الجبل ، فكانت تلك الأسطورة المختلقة . والله أعلم .

الـمُنْصَـرِف : اسم لوادي الرمل الذي عرف بوادي الحاج غربي بلاد التِّيْه في سيناء الوسطى قال الشاعر :

نَـزَلَ الرَّكْبُ بـوادِيْ الْـمُنْصَرِفْ وَعَـلَى لُقْيَاهُ كَمْ مَـالٌ صُـرِفْ
نَحْمِـدُ الله الَّـذِي جِئْنَـا لَـهُ وَجَمِيْـعُ الْـهَمِّ عنـا مُنْـصَـرِفْ

بطن نجد/ بطن نخل : قال أبو عبيد البكري في الحديث عن الطريق بين مدينة النبي ﷺ ومصر على الجادّة : . . . إلى مدينة أَيْلَة إلى بطن نجد إلى قبر أبي حميد ، وهو القباب ، إلى القلزم إلى جُبِّ عَميرة ، إلى مصر ، وقال في الحديث عن التيهِ : وأول حده مابين قبر أبي حُمَيْد وبطن نجد ، وفيه مات موسى وهارون عليهما السلام ، وبطن نجد قرية ليس بها نخل ولاشجر ، يسكنها نفر من الناس . ويقال لها أيضاً بطن نخل لسوافي تسفى على الناس فيه تراب رقيق ، كأنما نُخِلَ بِمُنْخُلٍ .

قلت : لم يشتهر هذا الموضع أو يعرف باسم غير نخل ، أما بطن نجد فعند البكري ـ فيما أعلم ـ الذي ذكر أن نَخْلاً تعرف باسم بطن نجد ، ذالك أننا نجد أن اسم نخل ذكر قبل البكري بعهد بعيد فقد جاء لها ذكر في شعر كثير عزة (ت ١٠٥هـ وعلى قول ١٠٧هـ) قال كثير عزة وكانت قد هاجرت مع قومها من ديار الحجاز إلى الديار المصرية ، قال :

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لَمْ نَجِدْ لَهُمَا أَهْلَا بِحَقْلٍ لَكُمْ يَاعَزَّ قَدْ زَانَتَا حَقْلَا
نِجَاءُ الثُّرَيَّا كُلُّ آخِـرِ لَيْلَةٍ تَجُودُهُمَـا جَوْداً وتُـرِدفُـه وَبْـلَا

وقالِ يذكر نخلا :

وَكَيْفَ يَنَالُ الْحَاجِبِيَّةَ آلِفٌ بِيَلْيَلَ مُمْسَاهُ وَقَدْ جَاوَزَتْ نَخْلاَ

يتساءل الشاعر كيف ينال عزة وهو مقيم بيليل وهي في[وادي الصفراء متصل ببدر]وقد تجاوز ركب عزة نَخْلاً قاصداً الديار المصرية بعد مروره بحقل البلدة الواقعة جنوبي العقبة ، في شمال الحجاز . كما ذكر هذا الموضع صاحب المناسك المتوفى سنة ٢٨٥هـ باسم نخل ، وذكرت في قصيدة للمتنبي في ربيع الأول سنة ٣٥١ باسم نخل ، قال المتنبي :

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا
إِذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا
فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى

وجميعهم (كثيرة عزة وصاحب المناسك والمتنبي) سبقوا البكري المتوفى في سنة ٤٨٧هـ . مع الإشارة أن نجداً هذه قد تكون تصحيف نَخْر التي ذكرها الجزيري نقلاً عن البكري ، وسواء أكانت نجداً أم نخراً فإنهما ـ فيما أعلم ـ اسمان لم يردا في غير ماكتب البكري ، والصحيح أن الاسم كما هو معروف حتى اليوم هو نخل .

ونخل : هي قاعدة بلاد التِّيهِ ، وأكبر محطة على درب الحاج المصري في سيناء ، قال المتنبي :

فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى

وقال كثيِّر عزة :

وَكَيْفَ يَنَالُ الْحَاجِبِيَّةَ آلِفٌ بِيَلْيَلَ مُمْسَاهُ وَقَدْ جَاوَزَتْ نَخْلاَ؟

وقال بدر الدين بن جماعة :

ولـمّا رأتْ وادِي الْقِبَابِ تَبَادَرَتْ وَفي نَخلٍ أَمْسَتْ وطاب مساها

وقال الجزيري :

فَسِرْ بِأَرْضِ التِّيهِ سَيْراً مُعْتَدِلْ تَشْرَبُ لِلْمَاءِ الزُّلاَلِ مِنْ نَخِلْ

فَهْيَ إِذَنْ مَنْزِلَةٌ ضَوِيَّهْ وسوقُهَا أَجْبَانُهُ مَغْلِيَّهْ
لكِنَّ فِيْهَا الْبَرْدُ يَا فُلَانُ تَهْتَزُّ مِنْ شِدَّتِهِ الأَبْدَانُ
وَكَمْ بِهَا مِنْ كلِّ لِصٍّ سَارِقِ يَضْرِبُ بِالْعَصَا عَلَى الْمَرَافِقِ

وقال البكري :

إِلَى نَخْلِ الْحَصِيْنَةِ سِرْ حَمِيْداً تَرَى فِيْهِ الْمُنَى وَالْخَيْرَ بَاقِي
وَلَا تَشْكُو الظَّمَاءَ لِفَقْدِ مَاءٍ فَسَاقِيْهَا مُقِيْمٌ بِالفَسَاقِيْ

وقال المتالي الزبادي :

وأبردْ غليلاً في النُّخَيْلِ بِبِنْدَرٍ بِبِيْرِ الصَّعَالِكِ بعد ذاك وجار

وقال الشيخ عبدالغني النابلسي :

قَالُوا لَنَا الْبَرْدُ فِي قُنَيْطِرَةٍ وَالنَّبْكِ مَعْ قَارَةٍ بِهِ قُولُوا
فَقُلْتُ نَخْلُ بِدَرْبِ مِصْرَ إلى الْحِجَازِ بَرْدٌ هُنَاكَ مَنْخُولُ
فِي كُلِّ فَصْلٍ مِنَ الْفُصُوْلِ لَدَى لَيْلٍ وَصُبْحٍ مَاذَاكَ مَفْصُولُ

وقال أيضاً :

لَمَّا وَصَلْنَا قَلْعَةً تُدْعَى نَخَلْ بِهَا عَلَيْنَا الْجَوُّ بَرْدُهُ نَخَلْ
صَحْرَاءُ قَفْرٌ صَفْصَفٌ لَيْسَ بِهَا مَاءٌ سِوَى الْمَاءِ الَّذِي فِي الْبِئْرِ حَلّ
وَالْبِرْكَةُ الَّتِيْ يُسَاقُ مَاؤُهَا مِنْ ذَالِكَ الْبِئْرِ بِثَوْرٍ أَوْ جَمَلْ
مَنْزِلَةٌ مِنَ الْمَنَازِلِ الَّتِيْ يَنْزِلُهَا مِنْ مِصْرَ حَجٌّ قَدْ رَحَلْ
حَتَّى بِهَا بِتْنَا وَكَانَ الْبَدْرُ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ طَالِعاً وَمَا أَفَلْ
وَنَحْنُ فِي أَمْنٍ وَفِي بَسْطٍ وَفِي خَيْرٍ مِنَ الْمَوْلَى لَنَا عَزَّ وَجَلّ
إِلَى أَنِ انْشَقَّ الصَّبَاحُ مُسْفِراً وَحَيْعَلَ الدَّاعِي عَلَى خَيْرِ الْعَمَلْ
فَزُمَّتِ النِّيَاقُ لِلسَّيْرِ وَقَدْ عَلَّ بِهَا مُوْرِدُهَا وَقَدْ نَهَلْ
حُمُولُهَا ثَقِيْلَةٌ شُدَّتْ عَلَى مُتُوْنِهَا بِالْحَبْلِ تُشْبِهُ الْجَبَلْ
وَكَانَ مَدَّ الْبَرْدُ بَاعَهُ لَنَا بِشِدَّةٍ تَكَادُ تُورِثُ الْخَبَلْ
حَتَّى بَعُدْنَا وَانْقَضَتْ صِقْعَتُهُ شَيْئاً فَشَيْئاً ثُمَّ الْوَقْتُ اعْتَدَلْ

وَنَحْنُ ذَاهِبُــوْنَ مِنْ مِصْرَ إلَى أَرْضِ الْـحِجَازِ وَالْـمُرَادُ قَدْ حَصَلْ

النواطير : هي ثلاثة عمد بين شرفة الحاج بوادي الحاج غربي سيناء في التِّيهِ وقناة السويس ، قال المتالي الزبادي :

إن النّـواطِرَ إنْ قَـطَعَتْ جَمِيْعَها فَـانْزِلْ بِـوَادِي الرَّمْـلِ لَا يَنْهَـارُ

هذا ماتوفّر للباحث من شعر في مواضع سيناء وستكون لنا جولة أخرى مع الشعر الشعبي حول مواضع سيناء ، ولعل فيما كتبناه يعطي سيناء (الأم) شيئاً من حقوقها على أبنائها ، وكاتب هذه السطور واحد منهم .

الـوَرّادَةُ : قال اليعقوبي في ذكرها : ومن العريش إلى قرية يقال لها الوَرّادة في جبال من رمال ومنها إلى قرية يقال لها البقّارة .

قلت : قد سبق القول في رسم البقارة أن نص اليعقوبي الذي ذكر أن الورّادة تجيء بعد العريش تتلوها البقّارة ، فالفرما . وفي تحديدها يذكر محمد رمزي أنها بموقع المزار قال : وبالبحث عن الورّادة تبين أن مكانها محطة المزار ، الواقعة شرقي القنطرة بمسافة ١١٠ أكيال ، على السكة الحديد بين القنطرة والعريش في قسم سيناء الشمالي التابع لمحافظة الحدود المصرية ، وأضاف يقول في ذكر أوستراسين : أوستراسين : قال جوتييه هي الورّادة وتعرف باسم الفلوسية ، ولم يبين موقعها ووردت في كتاب أميلينو ص ٢٨٨ باسم استراكين ، وقال : إنها وردت في خط السير الروماني على بعد ٢٥ كيلاً غربي العريش ، وقد اختفت ، قال : وبالبحث تبين لي أن محلها اليوم يعرف باسم محطة المزار إحدى محطات السكة الحديدية الواقعة بين القنطرة والعريش على بعد ١١٠ أكيال شرق القنطرة ، ويوجد في شمالها على شاطئ البحر الأبيض المتوسط آثار قلعة قديمة تعرف باسم الفلوسيات ، وكانت من توابع الورّادة ، فيما يرى الدكتور عباس مصطفى عمار أن الورّادة قد تكون بموضع الفلوسيات وربما بقرب محطتي البردويل والميدان قال : وتتقدم الآثار إلى شرقي القلس حتى تأتي طرف البحيرة الشرقي عند الزرانيق التي يسكنها الآن صيادون يعيشون في أكشاك . هنالك نجد آثار الفلوسيات يقع نصفها فوق كثيب رملي مرتفع نوعاً ، ويقع النصف الآخر فوق

أرض ملحية يغير ماء البحر عليها ويصعب أن تصل الإبل إليها ، إذ تغوص أقدامها فيها . هذه التسمية تسمية حديثة ربما تكون مشتقة من الفلوس لكثرة ماكان يجد الناس هنالك من عملة قديمة . هذا الموضع هو في الغالب مكان (استراكين) التي سماها العرب المخلصة ويشير (اميلينو) وغيره من الكتاب الذين كتبوا في القرن التاسع عشر إلى وجود قرية في هذا الموضع تعرف باسم (ستراكي)، وهذا الاسم غير معروف في سيناء الآن ولعله كان موجوداً ثم نسي منذ عهد قريب ، ولقد درس هذه المنطقة دراسة مفصلة (M. Jean Cledat: Fouilles Akhirbet Elflfsiat) وهو يراها آثار مدينة (استراكين) التي كانت لها أهميتها الحربية بصفتها واقعة على تفرع الطريق الساحلي في شمال البردويل والطريق الذي كان يسير جنوب البحيرة إلى وادي النيل ولقد لفت هذا الموقع نظر الامبراطور VASPASIAN) حين كان يهاجم سوريا فاهتم به وإن كان الاهتمام الأكبر إنما جاء أيام (جستنيان) الذي وسع المدينة ، وواصل مبانيها إلى البحر وأصبحت هذه المدينة فيما يذكر (اميلينو) في الفترة الرومانية عاصمة (Avqustamnie Provincel) ومركزاً لكرسي ديني مهم ، ولا تزال آثار كنيستها واضحة تشغل مساحة كبيرة ، والذي يزور المنطقة يجد عمودين من الرخام هناك على أحدهما صليب ، كما يشاهد آثار الفخار والزجاج بكثرة ، وأضاف يقول بشأن تحديدها : أما الورادة فتسمية لا أثر لها في الخرائط الحديثة لكننا في أطلس البرنس كمال نجد أن الورادة موضوعة قريبة جداً من الطرف الجنوبي الشرقي لبحيرة البردويل ، أي أنها قريبة من محطتي البردويل والميدان الحاليتين ، وفي منطقتي البردويل والميدان آثار متهدمة متسعة يطلق عليها اسم الخرابات ، فعند الميدان على بعد دقائق غربي الدرب السلطاني توجد أكوام قيل لنا : إنها تمتد إلى البحيرة ، رأينا فيها آثار جدران يظهر أن كثيراً منها قد هُدِمَ أثناء إعداد الأرض لزراعة الشعير والبطيخ ، ومثل هذه الآثار نراها قرب محطة البردويل أيضاً ، ومن المحتمل أن تكون هذه المنطقة الجفار إلى مصر .

أما نعوم بك شقير مؤرخ سيناء فإنه يذهب إلى أن الورادة هي بموضع الفلوسيات ، قال : أما الفلوسيات فهي خرائب بلدة قديمة مبنية بالحجر المنحوت ، على نحو سبع ساعات شرقي القلس ، ونحو نصف ساعة إلى الجنوب

من فم بحيرة الزرانيق ، وفيها وجد أهلُ البلاد كثيراً من النقود النحاسية أو الفلوس ، وهذا على الأرجح سبب تسميتها بالفلوسيات ، والظاهر مما كتبه مؤرخو العرب أنها خرائب بلدة الورّادة .

ونخلص مما سبق إلى الآراء التالية في تحديد موضع الورّادة :

الرأي الأول : يقول : أن الورّادة هي بموضع الفلوسيات ، ومن يقول بهذا الرأي (جوتييه) و(كليدات) و(اميلينو) ونعوم بك شقير .

الرأي الثاني : يقول : إنّ الورادة بنواحي محطتي الميدان والبردويل ، وهو مايراه الدكتور عباس مصطفى عمار .

الرأي الثالث : يقول : إن الورادة هي بموضع المزار وصاحبه محمد رمزي .

والسؤال المطروح هو هل كانت الورادة على الساحل أم كانت إلى الداخل في رمل الجفار ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول : إنّ الورادة كانت بلدة على ساحل البحر في موضع الفلوسيات ، وَعَدَا الآثار المسيحية التي وجدت فيها فإننا نشير إلى أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد عمر فيها مسجداً سنة ٤٠٨هـ ، وعندما بدأت الحملات الصليبية وأخطارها الفعلية تمتد باتجاه سيناء من البر والبحر منذ سنة ٥١١هـ ، أخذت الورّادة بالاضمحلال والخراب والاندثار ، وقد كان سبب اشتهارها وازدهارها وقوعها على الدرب الساحلي بين الشام ومصر ، فلما توقف استخدام هذا الدرب بسبب الحملات الصليبية وتهويدها للساحل ، انتقل الدرب بين الشام ومصر إلى الداخل في الرمل المعروف بالجفار ، وانتقلت البلدة لتصبح محطة في طريق الرمل قبالة موقعها القديم على الساحل ، في الموضع المعروف بالمزار ، على بعد بضعة أكيال من الساحل . ولا نزعم هذا اعتباطاً ، فقد ذكر المقريزي أنّ طريق الرمل لم تُسْتَخْدَمْ إلا بعد سنة ٥٠٠ للهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية حيث كان الدرب قبل استيلاء الفرنج على السواحل الشامية يمر بالساحل لا بالرمل ، ومما يدلك على أنها كانت بالساحل عدا ماذكرنا

ماكتبه القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمس مئة حيث كتب يقول : صابحنا الورّادة فبتنا على مينا الورّادة ، ودخلنا الورّادة فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربع مئة ، واسم الحاكم بأمر الله عليها ، وهذه السنة أي ٥٦٧هـ كانت في عهد صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - الذي حرر البلاد من الصليبيين ، فكيف يكون للورّادة ميناءٌ إن لم يكن على الساحل ؟ إلا أن التهديد الصليبي الذي استمر نحو مئتي سنة للسواحل الإسلامية في الشام ومصر دفع المسلمين إلى طرق واستخدام درب غير درب الساحل ، فكان درب الرمل في الجفار بموازاة درب الساحل ، وقد عرف هذا الدرب باسم الدرب البدرية ، ويشير إلى ذالك الدواداري الذي قال في ذكرها : الطريق البدرية : وهي الطريق الفوقانية بالبرية ، عرضها ثمانية أيام يسلكها التجار المشورين عن الحقوق السلطانية الموجبة بقطيا ، وهذه الطريق كانت المسلك إلى الديار المصرية من الشام أيام كانت الفرنج ملاك الساحل ، ثم لما فتح الله تعالى البلاد على يد السلطان المرحوم صلاح الدين الملك الناصر بن أيوب أول ملوك بني أيوب ارتجعت هذه المستقرة ، ودثرت هذه الطريق البدرية ، ومابرحت الملوك بالديار المصرية مجتهدين في دثور هذه الطريق بالإجماع ، ومنع السالك فإنها عادت مضَرَّةً على الديار المصرية . وعلى هذه قامت الورَّادة البرية قبالة الورَّادة الساحلية ، وكان موقعها في الرمل على موضع عرف فيها بعد بالمزار ، وقد ذكر المقريزي أنَّ الورَّادة كانت بلدة في غير موضعها الآن ، أي إنها انتقلت من موقعها القديم إلى موقع آخر وهو ماذكرناه آنفاً . وذكر الحميري (ت ٧٢٧هـ) أن الورّادة من محطات درب الرمل . والموضع الذي قامت عليه الورَّادة البرية وهو المزار ذكره نعوم بك شقير فقال : بئر المزار : وهي بئر شهيرة على خمس ساعات من الخشوم ، وسبع ساعات من مدينة العريش ، وعندها قبر يزار للشيخ أبو جلبانة من عرب الجريرات السواركة ، وبه سميت البئر بالمزار ، ونخلص من هذا إلى القول أن الورَّادة الساحلية القديمة الشهيرة بآثارها كانت تقوم على موقع الفلوسيات ، فيما كانت الورَّادة البرية تقوم على موقع المزار ، وفوق كُلِّ ذِيْ عِلْـمٍ عَلِـيْمٍ .

العقبة ـ الأردن: راشد بن حمدان الأحيوي

« المعجم الكبير »

[لايزال (مجمع اللغة العربية) يوالي العمل في تأليف «المعجم الكبير» وقد بلغ فيه أثناء حرف الحاء ، وأثناء الدورة الخامسة الخمسين لمؤتمر مجمع اللغة العربية عقدت الجلسة الحادية عشرة يوم الأحد ١٤ شعبان ١٤١٠هـ (١١ آذار ١٩٩٠م) ، جرى عَرْض الأنموذج المعد من ذالك المعجم من حرف الحاء (حرم) إلى (حشي) ، وكان المقرر الأستاذ الدكتور مهدي علام ، نائب رئيس المجمع ، والخبيران هما الأستاذان الدكتور حسين شرف ، ومصطفى حجازي وقد أبدى بعض الأعضاء ملاحظاتها على الأنموذج المعروض ، ومن بينها هذه الملاحظات التي توليت عرضها أثناء الجلسة] .

١ ــ ص ٣ : (وقال مِسْكين الدّارِمِيّ (؟) :

أَحَلُّوا عَلَى عِرْضِي وأَحْرَمْتُ عَنْهُمُ   وَفِي اللهِ جَارٌ لا ينامُ وطالِبُ)

* * *

(١) : اسم مسكين : ربيعةُ بن عامر ، وهو شاعر أمويٌّ عاصر الفرزدقَ ، وتوفي سنة ٨٩ ، على مافي «الاعلام» للزركلي .

٢ ــ ص ٦ : (حَرَامُ بنُ أبي كَعْبٍ السُّلَمِيُّ : (ويقال له حِرام بالكَسْر) صحابيٌّ رضي الله عنه (ت) .)

* * *

(١) : الصواب : (حرام بن أُبَيّ بن كعب) فأبوه أبي الصحابي الجليل المعروف .

(٢) : الحافظ ابن حجر قال في «تبصير المنتبه» ٤٢٣ ـ : لكثرة من تسمى بحزام ، ينبغي استيعاب حرام ، فلم يذكر حرام بن أُبَيّ بن كعب .

(٣) : اسم حرام بن أبي ، مختلِف فيه ، هل هو حزم كما أورده ابن عبدالبَرّ في كتاب «الاستيعاب» وورد في «سنن أبي داود» أم حرام كما ورد في كتاب ابن عبدالبر مرة أخرى ، ولهذا قال الحافظ ابن حجر في «الاصابة» : وقع في إحدى الروايتين تصحيف .

(٤) : الحافظ ابن حجر ، ترجمه في «الإصابة» باسم : حزم بن أبي بن

كعب ، وقال : لم أر من ترجم لحزم بن أُبَيٍّ بن كعب من المتقدمين إلا ابن حبان .

(٥) : (السُّلَمِي) هذه النسبة ليست صحيحة ، فحزم بن أبي كعب ليس سلمياً ، بل من بني النَّجّار ، من الْـخَزْرَج .

الخلاصة : لماذا تُذكر الأسماء المختلف فيها ، كحرام هذا ؟

وحرام بن معاوية الذي أورد الحافظ بن حجر ، في «الاصابة» في صحبته اختلافاً كثيراً ، وكذالك في اسمه ، هل هو : حرام بن معاوية أو حرام بن حكيم ؟

أرى الاكتفاء بذكر حرام بن ملحان ، من الصحابة ، وعدم الجزم في غيره .

٣ ــ ص ٧ : (آلُ حَرامٍ : بُطُونٌ في العَرَبِ منهم بَطْنٌ في تَمِيمٍ ، وَبَطْنٌ في جُذامٍ ، وبَطْنٌ في بَكْرِ بن وائِل) .

* * *

لم يذكر ابنُ حبيب في «مختلف القبائل ومؤتلفها» ولا الوزير المغربي في «الإيناس» : حرام بطن في بني بكر بن وائل ، ولكنهما ذكرا البطنين اللذين في جذام وتميم وزادا بطون خزاعة وعُذْرَةَ وبَلِيٍّ ، فيحسن الرجوع إلى قولهما .

٤ ــ ص ٧ : (وفي سُلَيْمٍ حَرَامُ بن سماكِ بن عوفِ بن امريءِ القَيْس بن بُهْثَةَ بن سُلَيم) .

* * *

سماك بن عوف هذا صوابه : سَمَّال ـ باللام بعد الميم المشددة المفتوحة الممدودة ـ كما نص على ذالك ابن الأثير في «اللباب» وقبله ابن دريد في «الاشتقاق» ـ ص ٣٠٧ ـ ثم صاحب «التاج» رسم ـ سمل ـ مع أن التصحيف هنا ورد في مطبوعة «التاج» كما ورد في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ـ ٢٦٢ ـ .

ولا أدري هل لنا أن نتثبت من صحة مدح الفرزدق لبني حرام السلميين وهجاؤه في بني سُلَيْم معروف ، مع أنني لم أر البيت في ديوانه المطبوع .

٥ ــ ص ١٢ : قال الأعشى (٧هـ - ٦٢٩م) :

لَا تَـأْوِيَنَّ لِجَـرْمِيٍّ مَـرَرْتَ بِـهِ ... يوماً وَإِنْ أُلْقِيَ الْجَرْمِيُّ فِي النَّارِ
الْبَـاخِسِينَ لِمَـرْوَانٍ بِـذِي خُشُبٍ ... والدَّاخِلِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

وقد روى : لا تأوين لجرمي ظفرت به) .

* * *

يلاحظ على هذا :

١ ــ أن الشعر ليس للأعشى ، فقد ورد فيه ذكر وقعة الدار في عهد عثمان ، والأعشى توفي في حياة الرسول ﷺ ، قبل ذالك العهد بزمن .

٢ ــ جملة وقد روي : لا تأوين لجرمي : لا محل لها هنا .

إذ صواب الشعر : لَا تَأْمَنَنَّ لِحَزْمِيٍّ ـ بالزاي المعجمة بعد الحاء المهملة ـ .

٣ ــ والشعر للأحوص عبدالله بن محمد الأنصاري المتوفى سنة (١٠٥) يهجو أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْمٍ لأنه جلده حين كان أمير المدينة ، وأمر بأن يُطافَ به ثم يُغَرَّب إلى جزيرة دَهْلَكَ في مَحْمَلٍ عُرْياناً «الأغاني» ـ ٢٤٢/٤ ـ، وكان عمرو بن حزم الأنصاري ممن فتح بابه للثوار لِيَلِجُوا على عثمان ، وكانت دارُهُ إلى جنب دار عثمان «تاريخ ابن جرير» ـ ٣٨٣/٤ ـ و«أخبار المدينة» لابن شبة ـ ١٢٧٨ ـ. والبيتان أوردهما ابن شبة في «أخبار المدينة» مع اختلاف في بعض الألفاظ مثل : (الباخسين) صوابها (الناخسين) كما أوردها صاحب «الأغاني» ـ ٢٤١/٤ ـ مع زيادة .

٦ ــ ص ١٣ : (حُرَيْم : بَطْنٌ من حَضْرَمَوْت ثم من الصَّدف ، منهم : عبدالله بن يُحَيّ ـ وقيل ، نُحَيّ بن سلمة بن جُشَم بن جذام ، المعروف بالأجذوم (ت) .).

١ ـ عبدالله بن بُحي وقيل نُحي ـ وص ١٤ : (أبوهم بُجي) هو في «الإكمال» ـ ٣/١٣٤ ـ وفي «تبصير المنتبه» ـ ٢/٥٨ ـ وفي «تهذيب التهذيب» ـ ٦/٥٥ : (نُجي بالنون والجيم مصغراً) .

٢ ـ جُشم في «الإكمال» جُعْشُم بن حريم بن الصدف ، وكذا في «تهذيب التهذيب» .

أما ابن جُذَام ٍ فهو جِشْمٌ «الاشتقاق» ـ ٣٧٥ ـ .

٧ ـ ص ١٣ : (جَدُّ الخير بن خليبَة بن موصب بن جعشم) .

* * *

(جد الخير) صوابها : (جد جعشم الخير) .

و(موصب) صوابها : (مَوْهِب) بالهاء المكسورة .

٨ ـ ص ١٧ : (الـمُحْرِمُ : لَقَبُ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن مُحْرِم ٍ : من شيوخ أبي جعفر الطَّبَري) .

* * *

القول بأن ابن مُحْرِم ٍ من شيوخ أبي جعفر الطبري ، منقول عن «التاج» وقد تصفحت فهارس «تاريخ ابن جرير» فلم أرَه بين شيوخه . وأوثق من صاحب «التاج» الحافظُ ابنُ حجر ، فقد قال في «تبصير المنتبه» ـ ١٢٦٨ ـ عن ابن محرم هذا : صاحبُ أبي جعفر الطبري ، روى عن الحارث بن أسامة ، وغيره ، وقول الحافظ أحق بالتقديم .

٩ ـ ص ٢١ : (حَرْمَلاَءُ : موضع تلقاءَ مَلْهَمَ ، وَمَلْهَم : حِصْنٌ بأرْض اليَمامَةِ لبني غُبَرَ من بني يَشْكُرَ ، قال أَوْسُ بن حُجْر (٢ ق.هـ ـ ٦٢٠م) :

فإن يأتكم مني هجاء فإنما حباكم به مني جميل بن أرقما

* * *

سقط الشاهد من شعر أوس وهو :

تجلل غدراً حرملاء وأقلعت سحائبُهُ لما رَأى أهل مَلْهَمَا

٢ ــ وحرملاء : تدعى الآن حُرَيْملاء ـ بالتصغير ـ مدينة واقعة غرب بلدة مَلْهَمَ في أعلى الوادي وتقع بقرب خط الطول : ٨َ°/٤٦° ، وخط العرض : ٨َ°/٢٥° .

ومَلْهَمُ منذ القدم مشهورة بالنخل ، ولاتَزال معروفاً به .

٣ ــ حَجَرٌ ـ أبو أَوْسٍ ـ بفتح الحاءِ والجيم ، لا كما ورد هُنا .

١٠ ــ ص ٢٣ : (جِزْنَةُ : قَرْيَةٌ في عِرْضِ الْيَمَامَةِ لبني عَدِيٍّ بنْ حنيفة) .

* * *

أشار ياقوت في «معجم البلدان» إلى الاختلاف في ضبط هذا الاسم ، ولا تعرف قرية الآن في عرض بني حنيفة (وادي الرياض) بهذا الاسم ، وكانت من القرى القريبة الواقعة غرب حَجْرٍ ، قال في «صفة جزيرة العرب» ـ ٢٨٤ ـ: ثم تخرج من حَجْرٍ مُصْعَداً ، فأول ما يلقاك عن يمينك فيشان والروضة ، وتسمى حزنة ، ثم تخرج إلى قرية بني عدي النُّقْب ثم ذكر أُبَاضَ وَعَقْرَبَاء .

١١ ــ ص ١٣ : (الحريم: مَوْضِعٌ باليَمَامَةِ ، كانتَ فيه وَقْعَةٌ بين كِنَانَةَ وخُزاعَةَ) .

* * *

١ ــ هذا الكلام مختصر مما ورد في «تاج العروس» ونصه : الحريم موضع باليمامة وقال نصر : بالحجاز ، كانت فيه وقعة بين كنانة وخزَاعَة ، وفي «معجم البلدان»: والحريم : موضع بالحجاز كانت به وقعة بين كنانة وخُزَاعَةَ .

وَإِذَنْ فَهنَاك موضعان ، موضع في اليمامة وموضع في الحجاز .

وكنانة وخزاعة يسكنان في الحجاز بقرب مكة ، ولا صلة لها باليمامة .

من هنا يتضح القول بأن الوقعة التي حدثت بينهما كانت في الموضع الذي في الحجاز لافي اليمامة .

٢ ـ والحريم الذي في اليمامة في ناحية سُدَيْرٍ (الفَقْءِ قَدِيماً) قال في «بلاد العرب» ـ ص ٢٥١ ـ: وبنو عوف بن مالك يسكنون الْفَقْءَ وينزلون الْـحَرِيْم ، وقال ـ ص ٢٦١ ـ: بَطْنُ الْـحَرِيْمِ وادٍ لبني الْعَنْبَرِ بِالْفَقْءِ . ولا يزال يطلق اسم حَرْمَةَ على قرية في شمال تلك المنطقة معروفة .

أما حريم الحجاز : فليس معروفاً الآن بهذا الاسم .

١٢ ـ ص ٨ : (حَرِمٌ : مَوْضِعٌ ، وقيل : وادٍ بأَقْصَىَ عَارِضِ الْيَمامَةِ ذو نَخْلٍ وزَرْعٍ ، قال ابن مُقْبِلٍ (مخضرم):

حَـيِّ دَارَ الْحَـيِّ لا دَارَ بهـا ⁂ بِـسَـخَـالٍ فَـأُثَـالٍ فَـحَـرِمْ

* * *

حَرِمُ هذا يقع بمنطقة الأفلاج ، كما نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي : حَرِمُ فَلْجٌ مِنْ أَفْلاَجِ اليمامة ونقل ياقوت من وَرَاءِ أُكْمَةَ بَيْنَهَا وبين مهب الجنوب .

وحرم هذا : لايزال معروفاً يقع بين وَادِيَيْ أُكْمَةَ (الْـحَمَر) وَ(الْهَدَّار) وتنحدر فروعه من أعالي العارض ، وهو وادي بلدة الْبَدِيْعِ ، منها يتجه شرقاً حتى ينتهي مع أودية الأفلاج ، في موضع يعرف باسم الْجَدْوَلِ يبتلع السيول ، في طرف صحراء البياض ، وليس في أعلى وادي حرم الآن سُكَّانٌ ، وإنما في الْبَدِيْعِ حيث توجد آثار عمران قديم وفيها سكان، وفي البَدِيع هذه الواقعة في وادي حرم عيون قائمة ، وآثار عيون دارسة ، (ويقع حرم هذا بين خطي العرض : ٠٠/٢٢° و ٣٠/٢١° ، وخطي الطول : ١٥/٤٦° و ٢٥/٤٧° تقريباً) .

وحَرِمُ هذا هو الوارد ـ ص ١٠ ـ حيث قال نصرٌ : وادٍ بأقْصىَ عارضِ اليمامة ذو نخل وزرع .

١٣ ـ ص ٣٢/٣١ : (حِرَاء : جَبَلٌ في أَعْلَى مكة عن يَمِين الْمَاشي إلى مِنًى... واجْمَعْ منه قَوْلُ عبد الملكِ العِصاميِّ الْمَكِّيِّ :

قَدْ جاء تَثْلِيثُ حِرَا مَعْ قَصْرِه ⁂ وَصَـرْفِـه وضِـدّ دين فـاذْرِه)

***

١ ــ القول بأن حراء (عن يمين الماشي إلى منى) خطأ محضٌ فجبل حراء لايزال معروفاً وهو عن يسار الماشي من بطن مكة إلى منى .
٢ ــ عبدالملك العصامي : (١٠٤٩ ـ ١١١١) صاحب كتاب «سمط النجوم العوالي» .
٣ ــ وكلمة (وضد دين) صوابها : (وضِدُّ ذَيْن) أي ضِدُّ القصر وضِدُّ الصرف ، فيقال فيه حراء ولا يصرف .

١٤ ــ ص ٣٦ : (قال النابغة : (١٨ ق.هـ ــ ٦٠٤م) :

أَقَبُّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِيِّ مُعَقْرَبٌ حَزابِيَةٌ قد كَدَّمَتْهُ المَساحِلُ

أقب : ضامر ـ الأندري : الجبل الغليظ ـ معقرب : شديد ـ كدّمته : غضضته ـ المساحل : جمع مسحل وهو اللجام) .

* * *

البيت في وصف حمار الوحش ، إذ قبله :

كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ حِينَ تَشَذَّرَتْ عَلَى قارِحٍ مِمَّا تَضَمَّنَ عاقِلُ

فالشاعر يقصد بالقارح حمارَ الوحش ، وحُمُرُ الوحش لا تُلْجم ، إذ اللجام للفرس .
وعلى ماتقدم ، فالمساحِلُ التي كدمت (أي عضضت) ذالك القارح هي حُمُرُ الوحش واحدها مِسْحَل ، وانظر «ديوان النابغة» شرح الأعلم ـ ص ١١٦ ـ ط دار المعارف بمصر .

١٥ ــ ص ٣٨ : (مَسْجِدُ الأَحْزابِ : من المَساجِدِ المَعْرُوفَةِ التي بُنِيَتْ على عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وأَنْشَدَ ثعلب لعبد الله بن مسلم بن جندب الهُذَلِيِّ ـ إسلامي ـ :

إِذْ لا يَزَالُ غَزَالٌ فِيهِ يَفْتِنُنِي يَأْوِي إلى مَسْجِدِ الأَحْزابِ مُنْتَقِبَا)

* * *

سُمِّيَ مسجدَ الأحزاب ، لأن النبي ـ ﷺ ـ لما صلى فيه أثناء غزوة

الأحزاب ، دعا عليهم .
ويعرف الآن باسم مسجد الفتح ، ويقع على طرف مرتفع من جبل سَلْعٍ في مغربه، وغرب هذا المسجد مجرى وادي بُطْحَان - انظر «وفاء الوفاء» - ٨٣٠ -.
ونسب صاحب كتاب «منازل الأحباب» البيت في مقطوعة من الشعر لعتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح ، ولكن السمهودي نقل عن عالم الحجاز الزبير بن بكار نسبتها لعبدالله بن مسلم ، وعلى قول الزبير المعول .

١٦ ـ ص ٥٠ : (قال زفر بن الكلابي - إسلامي -:

وقد يَنْبُتُ الْـمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى   وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا)

* * *

زفر : هو ابن الحارث الكلابي تابعي ، توفي في الجزيرة الفراتية سنة ٧٥ ، والبيت أورده مع ثلاثة أبيات أخرى صاحب «الأغاني» - ١٩/ ١٩٦ - تحقيق الأستاذ عبدالكريم عزباوي .

١٧ ـ ص ٥٢ : (عليّ بنُ حَزَّاز بن كاهل ، جَدُّ حَمْزَةَ بن النّعمان الْعُذْرِيّ : وهو أوَّلُ عُذْرِيٍّ قَدِمَ على النَّبِـيِّ - ﷺ - بالصَّدَقَةِ ، أَقْطَعَه النبيُّ - ﷺ - وادِي الْقُرَى) .

* * *

١ ـ حمزة بن النعمان صوابه (جَمْرة) قال الحافظ بن حجر في «الاصابة» القسم الرابع في بيان الغلط : حمرة بن النعمان العذري ، ذكره ابن شاهين ، واستدركه ابن بشكوال فصحفا ، وإنما هو بالجيم وهو الصواب .
وقد ترجمه في حرف الجيم .
٢ ـ وادِي القُرَى طويل عريض ، والرسول - ﷺ - أقطع جَمْرَةَ منه حَضْرَ فَرَسِهِ ورَمْيَةَ سَهْمِهِ ، كما في «الاصابة» ، وفي «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم - ٤٤٩ - أقطعه رميةً بسوطه من وادي القرى . .

٣ ـ علي بن حزاز : صوابه : عدي بن حزاز ، كما في كتاب «النسب الكبير» - ٧١٩/٢ - تحقيق الدكتور ناجي حسن .

١٨ ـ ص ٥٦ : (حازُوق : اسمُ رجُلٍ من الخوارِج ، رَثَتْه أُخْتُه وقد جعل اسمه للضرورة الشعرية جِزاقاً ، قالت الخِرْنِق : (٥٠ ق.هـ - ٥٧٤م) :

أُقَلِّبُ طَرْفِي في الفَوارِس لا أَرَى   جِزَاقاً وعيني كالحَجاةِ من القَطْرِ)

* * *

١ ـ كيف تدرك الخرنق المتوفاة قبل الهجرة بنصف قرن ، عهد الخوارج الذي حدث بعد الهجرة بـ (أربعين عاماً) .

٢ ـ لو صحت نسبة البيت إلى الخرنق الجاهلية لكانت تعني رجلاً يدعى حزاقاً ، وليس الحازوق الخارجي ، ولكن صاحبا «اللسان» و«التاج» أوردا الاختلاف في قائل الشعر ، وذكرا أن الرائية هي محياة من بني حنيفة ، وليست الخرنق الشاعرة أخت طرفة .

١٩ ـ ص ٦٤ : (حازم . . . الحازمي : الإمام أبو بكرٍ محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان الحازمِي الحافظ النسّابة ذو التصانيف ، مات سنة أربع وثمانين وخمس مئة عن خمس وثلاثين سنة قاله الذَّهَبِيّ) .

* * *

في نسبة الحازمي هذه يحسن أن يقال : وحازم أحد أجداد الحازمي ، ويوصل النسب به فيقال : عثمان بن حازم .

٢٠ ـ ص ٦٨ : (الحزيمة ، وأبو حزيمة والحَزِيمَتانِ : الحزيمتان والزَّبِينَتانِ : قَبيلتان من باهِلَةَ بن عَمْرِو بن ثَعْلَبَةَ ، وهما حَزِيمَةُ وزَبِيْنَةُ . قال أبو مَعْدانَ الباهِلِيُّ :

جَاءَ الحَزَائِمُ والزَّبائِنُ دُلْدُلاً   لا سابِقِينَ ولا مَعَ القُطّانِ
فَعَجِبْتُ من عَوْفٍ وماذا كُلِّفَتْ   وَتَجِيءُ عَوْفٌ آخِرَ الرُّكْبان

(باهلة بن عمرو بن ثعلبة): لعل هذه الجملة سبق قلم ، فباهلة اسم امرأة ، عرف ولدها بها ، وهي زوجة مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وليس في آبائها من اسمه عمرو أو ثعلبة .

٢١ ــ ص ٧٣/٧٤ : (الحزن: حَزْنُ بَني يَرْبُوع : وهو مَرْبَعٌ من مرابع العَرَبِ فيه رياضٌ وقيعان).

(الحزن ـ الحزون : حَزْنُ غاضِرةَ : مَوْضِعٌ معروفٌ من أرْضِ بني أسد ، كانت تَرْعَى فيه إبِلُ المُلوكِ . (ل، ت، مي).

(حَزْنُ مُلَيْحَةَ : مَوْضِعٌ وردَ في قَوْلِ جَرير (١١٠هـ ـ ٧٢٨م) .

* * *

الحزون : جمع حزن ، أمكنة مشهورة عند العرب لما فيها من رياض وأمكنة تنبت أطيب المراعي للإبل ، وتقع جميعها شرقَ الجزيرة ، يحدها غرباً رمالُ الدَّهناء ، وجنوباً وادي فَلْجٍ (باطن الْـحَفَرِ الآن) وشمالاً بادية السماوة ، وشرقاً منخفضات ريف العراق ، وشهرتها لكونها من أجود مراتع العرب ومرابعها ، ومن أشهرها (حزن بني يربوع) وهو الواقع في الجانب الجنوبي الغربي منها ، يوالي وادي فَلْج (الباطن) وفي جانبه الغربي (حَزْنُ مُلَيْحَة) ثم يليه حَزْن بني أسد (غاضرة) وغيرها من بطونهم ، وهذا يمتدُّ بامتداد طريق الحج الكوفي إلى الكوفة ، وفيه كانت ترعى ملوك المناذرة لقربه من الْـحِيرَة ، ثم يلي حزن بني أسد حَزْنُ كلب ، وهذا من أوسع الحزون ، ويمتد شمالاً بامتداد بلاد بني كلب حتى السماوة .

ويطلق الآن على الجانب الشرقي الشمالي من هذه الحزون اسم (الحزول) و(الْـحَجْرَة) لخشونة أراضيها .

٢٢ ــ ص ٧٦ : (الـحَزِينُ الكِناني : وهو عمرو بن عبد وهيب ، (ت مستدرك) وفدَ على عبدالله بن عبدالـمَلِك بن مَرْوَانَ في مصر وهو واليها ، ومَدَحه بأبْياتٍ منها :

يغْضي حياءً ويُغْضى من مَهابَتِه فما يكلّم إلاّ حينَ يَبْتَسِم)

* * *

١ ـ (عمرو بن عبد وهيب) : صوابه (عمرو بن عبيد بن وهيب) - «الأغاني» - ١٥/٣٢٣ -.

٢ ـ البيت تنوزع فيه ، فقد نسب إلى الفرزدق في علي بن الحسين ، رضي الله عنه ، ولكن صاحب «الأغاني» رَدَّ هذا وأيَّدَ نسبته إلى الحزين في أبيات أخر .

٢٣ ـ ص ٧٧ : (وأنشد أبو عثمان (السرقسطي) :

تُريكَ علَى عِزَّاتِ أشْوَسَ يُتَّقى بِهِ الطَّيْرُ، لو يَخْزُو له الطيرَ عائِفُ

(سرقسطي : ١/٣٧٢).

* * *

البيت لمزاحم بن عمرو العقيلي في قصيدة طويلة ، هو البيت الأربعون منها ، ومزاحم شاعر أموي بدوي توفي نحو سنة ١٢٠ ، على مافي «الاعلام» .

٢٤ ـ ص ٧٨ : (الـحَزَا : شَجَرَةٌ تَرْتَفِعُ على ساقٍ مقدار ذِراعَيْنِ أو أقَلَّ ، ولها وَرَقَةٌ طويلَةٌ) .

* * *

في الجملة نقص ، كما يتضح مما جاء في «اللسان» قال أبو حنيفة : الحزا نوعان . . . والثاني : شجرة . الخ .

٢٥ ـ ص ٧٩ : (حُزْوَاءَ : حُزْوَى : جَبَلٌ من جِبالِ الدَّهْناءِ . (ل ، ت) قال ذُو الرُّمَّةِ : (١١٧هـ ـ ٧٣٥م) :

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْ صُدُورِ الرَّوَاحِلِ بِجُمْهُورِ حُزْوَى فَابْكِيَا في المَنَازِلِ)

* * *

حزوى ليست جبلاً، فالدّهناء لا جبال فيها ، وإنما صواب العبارة (حَبْلٌ من حبال الدُّهناء) . والحبل : هو كثيب الرمل الممتد . والدهناء : تتكون من أكثبة كثيرة .

وحُزْوى في الواقع كما قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٢٩٨ ـ ط . دار اليمامة : كَثِيبٌ منقطع وحدَه طويل ، ولا يزال هذا الكثيب معروفاً ، وقد أُحْدِث بالقرب منه قرية عرفتْ بهذا الاسم ، تقع حُزْوى هذه شرق الدهناء متصلة بها ، وقد عمرت المنطقة التي حولها بحفر الآبار الارتوازية الغزيرة الماء : (تقع حُزْوى بقرب خط الطول : ٢٠/٤٧° ، وبقرب خط العرض : ٤٠/٢٦°).

٢٦ ــ ص ٨٥/٨٦/٩١ : (الأحاسِبُ : مَسَايِلُ أَوْدِيَةٍ تَنْصَبُّ مِنَ السَّراة في أَرْضِ تِهامَة : (ت).

والأَحْسَبَةِ : يَومٌ بَيْنَ العَرَبِ بالسَّراةِ ـ الخ ـ.

الـحَسَبَةُ : وادٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ السَّرَّيْنِ سُرَى لَيْلَةٍ ـ الخ ـ).

* * *

التعريفات المتقدمة تنطبق على موضع واحد هو وادٍ من أشهر أودية تهامة ينحدر من سراة الحجاز أسفل بلاد غامد وماحولها ، وتصب في البحر ، وقد يجمع معه ماحوله من الأودية فيقال : (الأحاسب) وقد يسهل همزه فيقال (الحسبة). ولايزال هذا الوادي معروفاً باسم (الحسبة) والأحسبة ـ (ويقع بين خطي الطول : ٣٠/٤١° إلى ٣/٤١°) عند مصبه في البحر (وبقرب خطي العرض : ١٥/١٩° إلى ٣٥/١٩°) .

٢٧ ــ ص ٩٣ : (وفي كتاب «الجيم» قال أوس (٢ ق.هـ ــ ٦٢٠ م):

أَعَيَّـرْتَنَـا تَمْـرَ العِـراق وَبُـرَّهُ ۝ وزادُك أَيْرُ الكَلْبِ حَشْحَشَه الـجَمْرُ

رادُك : طَلَبُك ، ويُرْوَى : شَوَّطَه) .

* * *

البيت ورد في «الحيوان» ـ ٢٦٨/١ ـ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ـ

طيب الله ذكره وغفر له ـ بهذا النص :

قال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدي :

وعـيرتنـا تمـر العـراق وبـره   وزادك أير الكلب شيطه الجمر

وكذا وردت كلمة (وزادك) في ديوان «أوس بن حجر» ـ ١٣٤ ـ.

وَلَيْسَ في كتاب «الجيم» ـ ١/٢٠٤ ـ ولا في «الديوان» تفسير للكلمة أو ضبط .

٢٨ ـ ص ٩٥ : (الحسد: والحسدُ أنْ يَرَى الحاسِدُ لأخِيه نعمةً فيَتَمَنَّى أنْ تَزُولَ عنه وتكونَ له دُونَه ، وفي الـخَبَر : أنَّه صلّى الله عليه وسلّم قال : لاحَسَدَ إلاّ في اثْنَتَيْن : رَجُلٌ آتاهُ الله مالاً فهو يُنْفِقُه آنَاءَ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، ورَجُلٌ آتاهُ الله قُرآناً فَهُوَ يَتْلُوه) .

* * *

لا أرى انطباق تعريف الحسد هنا على المراد من الحديث ، وأصح انطباق منه ماجاء في «اللسان»: وقوله ـ ﷺ ـ لا حسد إلا في اثنتين هو أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله مالاً ينفق منه في سبيل الخير ، أو يتمنى أن يكون حافظاً لكتاب الله فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ولا يتمنّى أن يُرْزَأ صاحب المال في ماله ، أو تالي القرآن في حفظه . انتهى .

٢٩ ـ ص ١٠٢ : (مُـحَسِّر : وبَطْنُ مُحَسِّرٍ : مَوْضِعٌ بِمنًى ، وقيل : وَادٍ قربَ الـمُزْدَلِفةِ بين عرفات ومِنًى ، سُمِّيَ بذالك لأَنَّ فِيلَ أَبْرَهةَ كَلَّ وأَعْيَا فحسر أَصْحابَه بِفعْلِه وأَوْقَعَهم في الـحَسَراتِ) .

* * *

١ ـ محسر : اسم وادٍ صغير ، ينحدرُ سيله من شرقي جبل ثَبير ، متجهاً نحو الجنوب ويجتمع بشعاب أخرى ثم بوادي عُرَنَة .

٢ ـ يمر وادي محسر بين مزدلفة ومنى ، فمزدلفة بينه وبين عرفات ، وهي متصلة به من جانب ، كما أن مِنى متصل به من الجانب الآخر ، ولكنه

ليس معدوداً من أحدهما .
٣ ـ الفِيْلُ صُدَّ عن الوصول إلى الحرم حين بلغ الْـمُغَمَّس ، ولم يصل المشاعر المقدسة كمنى ومزدلفة ، لكي يقال بأنه بلغ مُحَسِّراً ، ولهذا لا أرى مايدعو لإيراد جملة (سمي بذالك) كلها .

٣٠ ـ ص ١٢١ : (حُسَيْكة : موضعٌ بالمدينةِ في طرف ذباب (جبل في طرف المدينة) وكان به يهود من يهود المدينةِ ، ولهم بها منازل . («البلدان» ص ٢٧٩ ، ل ، ت ، ق ، مع ، نه) . تحال على الشيخ حمد الجاسر) .

* * *

جبل ذباب : هو الذي يقع عليه الآن مسجد الراية ، وكان على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام في الشمال الغربي من المدينة ، أما الآن فقد أصبح داخل العمران ، ولا يعرف باسم حُسَيكة ، ولكن موقعه بقرب مسجد الراية ، الذي لايزال معروفاً (انظر «وفاء الوفاء» - ٨٤٥ -) .

٣١ ـ ص ١١٧ : (حسفل : أبو الذؤيب :

جِسْفِـلُ البَطْنِ فــما يَمْلأ شيْ ءٌ ولَـوْ أَوْرَدْتَـه حَفْـرَ الـرِّبـاب

وضبطت حَسْفل في «التهذيب» بفتح السين وسكون الفاء ، حفر الرباب : ماء بالدَّهناء من منازل تَيْم بن مرة (عن ياقوت) .) .

* * *

١ ـ القول بأنها ضبطت بفتح السين يوهم أنَّ الضبط من المؤلف ، وليس كذالك فقد وردت في البيت ، وفوق السين فتحة ، وفي الشرح فوقها سكون (جِسْفِل) وعلق محقق الكتاب في الحاشية : (ضبطها «القاموس» كَزِبْرِج) .
٢ ـ حفر الرباب ليس في الدهناء ، والدهناء لاماء فيها ، بل بقرب الدهناء غربها .
٣ ـ تيم بن مُرٍّ ـ لا مُرَّة ـ .

٣٢ ــ ص ١٢٩ : (حُسُمٌ : مَوْضعٌ بالبادية . (ل ، ت ، مي ٢٨٦/٣ ، ق ٩٨/٤) وَرَدَ في قول النابغةِ :

عَفَا حُسُمٌ مِنْ فَرْتَنَى فَـالْفَوَارِعُ   فَجَنْبـا أَرِيكٍ فَـالتِّلاَعُ الـدَّوافِـعُ

ورواية الديوان (عفا ذُو حسا) (الديوان ٧٨ تحقيق كرم البستاني) .
(فَرْتَني : اسم امرأةٍ ـ الفَوارِعُ : تِلاَلٌ مُشْرفاتٌ على الـمَسايِلِ ـ أَرِيك : وادٍ (مي) .
ذُو حُسُمٍ : موضع بالباديةِ (وادٍ بنَجْدٍ) . (ل ، ت ، مي ٢٧٦/٣ ، ته ٣٤٤/٤) .
(تحال على الشيخ حمد الجاسر) .

* * *

حُسم ورد كثيراً في الشعر العربي القديم ، ويُرَاد به موضعان أحدهما يقع في الشمال الشرقي من الجزيرة ، ويسمى الآنَ (حسب) بإبدال الميم باءًا كعادة العامة في مثله كالرقم (الرقب) وهذا الوادي يمتدُّ بالقرب من منهل الشَّبَاك شمالاً ، نحو بلدة المدراي القريبة من النجف في العراق (بين خطي العرض ٠٠/٣١° ، ٤٠َ/٣١° وخطي الطول : ٣٠/٤٣° ، ٤٠َ/٤٤°) . وهذا الوادي كان موصوفاً بالخصب ، وقد ورد في شعر الأعشى ولبيد والكميت .
أما الموضع الثاني الوارد في شعر النابغة ، وفي شعر مهلهل عند ياقوت فيقع في عالية نجد .

٣٣ ــ ص ١٢٩ : (حِسْمَى : أرضٌ بالباديةِ نَزَلَتْها جُذامٌ . (عن ل) . ويقال : إن الماءَ بَقِيَ بحِسْمَى بعد نُضُوب الماء في الطُّوفانِ ثَمانِينَ سنة وبقيت منه كَبِقِيَّةٍ فهو ماء حِسْمَى ، وفيها جِبالٌ شَواهِقُ مُلْسُ الْـجَوَانِبِ لا يكادُ القَتامُ يُفَارِقُها) .

* * *

حِسْمَى : منطقة جبلية واسعة تتخللها أودية فيها مناهل ، وفيها جبال

شامخة ، وهي متصلة بشمال الحجاز ، وكانت قديماً من منازل جذام .
تقع بين خطي الطول : ٣٠/٣٥° ، ٣٠/٣٦° وخطي العرض : ٣٠/٢٨° ، ٣٠/٢٩°) .

٣٤ ـ ص ١٣٣ : (الأحاسِنُ : جِبَالٌ قرب جَبَلِ الأَحْسَن بين ضَرِيَّة واليَمامة . (مي) وفي «معجم البلدان» قال السَّرِيُّ بن حاتم :

تَبَصَّـرْتُهُم حتى إذا حَالَ دُوْنهم   يَحَامِيمُ من سُوْدِ الأَحَاسِنِ جُنَّحُ

يحاميم : جمع يَحْمُوم ، وهو الأسْودُ ، جُنَّح : جمع جانح وهو المائلُ) .

* * *

الأحاسن المعروفة الآن : جبال تقع غرب بلدة ضرية وشمال بلدة عفيف ، وليست بين ضرية واليمامة ، فضرية دونها إلى اليمامة ، وهي تقع بقرب (خط الطول : ٥٥/٤٢° ، وخط العرض : ١٥/٢٤°) .

٣٥ ـ ص ١١٩ : (السِّيُّ : قال زُهَيْرُ بن أبي سُلْمَى : (١٣ ق.هـ ـ ٦٠٩م) في وَصْفِ القَطاةِ :

جُـونِيَّةٌ كحَصَـاةِ القَسْمِ مَرْتَعُهـا   بالسِّيِّ ما يُنْبِتُ القَفْعاءُ والـحَسَكُ

الجونية : ضرب من القطا فيه سواد ، حصاة القسم : حصاة تلقى في إناء يصب فيه الماء مقدار ما يغمر الحصاة ، ثم يشربه واحدٌ واحدٌ إذا كانوا في سفر ولا ماء ، والسِّيُّ : ما استوى من الأرض ، القفعاء : بقلة يريد أن هذه القطاة في خصب فذالك أشد لها وأسرع لطيرانها . (ديوانه ١٧١) .)

* * *

١ ـ في «اللسان» السِّيُّ ـ غير مهموز بكسر السين ـ: أرض في بلاد العرب معروف قال زهير :

بالسِّـيِّ تَنُّومٌ وآءُ

٢ ـ زهير أراد بالسِّـيِّ أرضاً بعينها تنبت القفعاء والحسك . وذكر في موضع آخر :

أصـكُّ مُصَلَّمُ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَـهُ بِـالـسِّـيِّ تَـنُّـومٌ وآءُ

٣ ـ وجاء في «المعجم الكبير» : ٥٩٢/١ : السِّيُّ : موضع .

٣٧ ـ ص ١٣٥ : (الحسن : والحسن نَقاً في ديار بني تميم . (ت) (تحال على الشيخ حمد الجاسر) . قال جرير : (١١٠هـ ـ ٧٢٨م) :

أَبَتْ عَيْنَاكَ بِالحَسَنِ الرُّقَادَا وأَنْكَرْتَ الأَصَادِقَ والْبِلادَا

* * *

الحسن : نقا من أنقية الدهناء مما يلي منهل تعْشَارٍ الذي يطلق عليه الآن اسم أم الجماجم في شرقي سُدَيْرٍ ، وكانت الدهناء كلها من بلاد تميم . وقد يقرن الحسن هذا بكثيب آخر ، فيثنيان باسم (الحسنين) كما في ـ ص ١٣٧ ـ.

٣٧ ـ ص ١٤١ : (الأَحْسَاءُ : وادٍ في طريق مَكّة بحذاءِ حاجز . قال الحُسَيْنُ بن مُطَيْرِ الأسَدِيّ :

أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الأَحْسَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الأَطْوَاءِ
فَارَقُونَا وَالأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأَقَاحِي يُجَادُ بِالأَنْوَاءِ

الأَطْواءُ : قريةٌ ذاتُ نَخْلٍ وزَرْعٍ بالْيَمَامَةِ) .

* * *

١ ـ الأَحْسَاءُ وصفٌ لآبارٍ قريبةِ القَعْرِ تحفر في الأودية فيخرج ماؤها لقربه من سطح الأرض ، ثُمَّ أُطلقت علماً لمواضع .

٢ ـ ليست الأحساء المتقدم ذكرها علماً لِوادٍ ، ونص كلام ياقوت : وبحذاءِ الحاجر في طريق مكة أَحْسَاءٌ في وادٍ متطامن ذِي رَمْلٍ ، وإذا رويتْ في الشتاء من السيول لم ينقطع ماءُ أَحسائها في القيظ . والوادي الذي تقع فيه هذه الأحساء يدعى (الثَّلَبُوت) يقع شرق الحاجر بسبعة أميال وتلك الأحساءِ آبار عذبة الماء شبيهة بالأحساء في قرب مائهن («المناسك» ـ ٣١٦ ـ).

٣ ــ قول الحسين بن مطير : لا ينطبق على الأحساء المذكورة ، ورقة هذا الشعر تدعو للتأمل في صحة نسبته .

٤ ــ الشاعر يتشوق إلى أمكنة اجتماعه بأحبابه وتلك الأمكنة التي تختلف باختلاف فصول السنة، ففي بعضها يجتمعون على الأحساء ، وهي الآبار القريبة الماء ، وذالك في الفصل التي تتوفر فيه مياه الأمطار .
وفي بعض الفصول حين تشح الأمطار يكون الاجتماع على الآبارْ العميقة المطوية (الاطواء) .

٥ ــ لم يرد ذكر أهَمِّ موضع عرف باسم الأحساء ورد في الأخبار والأشعار كثيراً ، انه المدينة التي كانت قاعدةُ لبلاد البحرين الممتدة من قرب البصرة إلى قرب عُمان ، كما لم يرد في «المعجم الكبير» في حرف الباء ذكر الْـبَحْرَيْن ، وإنما عُرِّفَتْ جزيرة صغيرة تدعى البحرين الآن ، وكانت تعرف باسم (أوال) وهي جزء من بلاد البحرين الواسعة ، وقد عرفت الأحساء التي هي قاعدة البحرين بأحساء بني سعد ، وبأحساء القرامطة ، ولها تاريخ حافل (انظر قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية») .
وهناك أحساء أخرى في بلاد العرب ، ورد بعضها في الأخبار والأشعار .

٣٨ ــ ص ١٤٢/١٤١ : (الـحُسَاء ـ ذو الـحُسَاء : موضعٌ . قال لبيد : (٤١هـ/٦٦١م) :

عَفَا ذُو حُساً من فَرْتَنَا فالفَوارِعُ

فرتنا : قَصرٌ بمَرْو الرُّوذ ـ الفَوارِعُ : تِلالٌ مشرِفات على المسايِلِ (مي ٤/٢٧٩).

الحساء : مياه لبني فزارة بين الربذة ونخل . قال عبدالله بن رواحة الأنصاري نحو (٨هـ/٦٢٨م):

إذا بــلغــتــني وحــمــلت رحــلي مســيرة أربــع بعــد الحــســاء

* * *

١ ــ ذو الحساء : (ذو حساء) .
٢ ــ فرتنا ـ اسم امرأة وليس قصراً بمرو الروذ .
٣ ــ الشعر للنابغة الذبياني ـ انظر ديوانه ٣٠ طبعة دار المعارف بمصر ، وتقدم هذا البيت في رسم (حسم) .
٤ ــ الحساء المذكور كان من مياه فزارة وهو بين الربذة ونخل ، وأصبح الآن قرية تدعى (الـحِسْوُ) و(الـحِسيّ) و(حِسيّ علياء) في عالية نجد .
٥ ــ الفوارع : هي هضاب حُمْرٌ مطلة على المكان .
٦ ــ بيت عبدالله بن رواحة لا ينطبق على الحساء الواقع في عالية نجد ، وإنما ينطبق على موضع معروف في أدنى الشام (شرق الأزدن) وقال هذا الشعر في مسيرة لغزوة مُؤْتة التي قتل فيها .

٣٩ ــ ص ١٧٠ : (حُشاش : ويوم حُشَاشٍ : من أيام العربِ ، قال عُمَيْرُ بن الـجَعْدِ :

أأُمَيْمُ هل تَدْرِينَ أنْ رُبَّ صَاحِبٍ ... فارَقْتُ يَوْمَ حُشَاشَ غيرِ ضَعِيفِ
يَسَرٍ إذا هَبَّ الشِّتاءُ ومُطْعِمٍ ... لِلَّحْمِ غَيْرِ كُبُنَّةٍ عُلْفُوفِ

يسر : سهل كريم ـ الكبنة : الكز اللئيم ـ العلفوف : الجافي المسن .
(ت ، «شرح أشعار الهذليين» ٤٦٣) .

* * *

١ ــ حشاش المذكور هنا : ورد في «معجم ما استعجم» بحرف الخاء المعجمة وكسرها ـ خِشاش ، وقال عنه : موضع في ديار بني لحيان من هذيل ، وأورد قول عمير . كما ورد الاسم في كتاب «النوادر والتعليقات» لأبي علي الهجري في نسخة قديمة الخط وهي «المخطوطة الهندية (ص ٤٥١ : خشاش) والخاء معجمة .
٢ ــ خُشاش بالخاء ـ لايزال معروفاً، وهي أرض جبلية واسعة بقرب عُسْفَان .
وبقربها حَرَّةُ نَقَرَى ، الوارد ذكرها بعد البيت الشاهد :

لَـمَّا رَأَيْتُـهُـمُ كَـأَنَّ نِـبَـالَهُـمْ بِالْـجَزْعِ مِنْ نَقَرَى نِجَاءُ خَرِيفِ
أَيْقَنْتُ أَنْ مَنْ يُـدْرِكُوهُ يَتْـرُكُوا لِلضَّبْعِ أَوْ يَصْطَافُ شَرَّ مَصِيْفِ

رواية البيت في الكتاب المذكور : (يسر إذا كان الشتاء) .

٣ ــ ليس يوم حشاش من أيام العرب المشهورة ، ولكنه يوم جرى بين بني لحيان من هذيل وبين بني كعب بطن من خزاعة ، انظر تفصيل خبره في كتاب «شرح أشعار الهذليين» (يوم حشاش) ـ ص ٤٦٣ ـ.

٤٠ ــ ص ١٧٣/١٩١ : (حُشَّان : الْـحِشَّانُ أُطُمٌ بالمدينةِ على طريق قُبُورِ الشُّهَداءِ ، وهو من آطام اليهود . (مي ٢/٢٦٢) . تحال على الأستاذ حمد الجاسر) .

* * *

كان هذا الأطم يقع شمال المدينة على طريق قبور شهداء أحدٍ ، وقد درس فجهل موقعه ، وشمل عمران المدينة الجهة التي كان فيها .

٤١ ــ ص ٢٠٠ : (الحشا : مَوْضِعٌ قرب المدِينةِ ، وقيل : هو وادٍ بالحجاز . (ل ، ق) وفي «اللسان» قال الشاعر :

فـإنَّ بأَجْـزاعِ البُرَيْـرَاءِ فَالْحَشَى فَـوَكْدٍ إلى النَّقْعَـيْنِ من وَبِعـان

البُرَيْراءُ : من أسماءِ جِبالِ بني سليم ـ وَكْدٌ والنَّقْعُ وَوَبِعَانُ : مواضعُ قُرْبَ مَكّةَ والمدينة) .

* * *

١ ــ الحشا : هو جبل الأبواء الواقع بين مكة والمدينة ، كما في رسالة عرام بن الأصبغ السلمي «أسماء جبال تهامة وسكانها» ـ ص ٤١٠ ـ نوادر المخطوطات ، ويطلق الاسم على غير ذالك الجبل .

٢ ــ الشاعر هو : غَزْلَانُ الثُّمَامِـيّ السُّلَمِـي ، على ماذكر الهجري في «التعليقات والنوادر» مخطوطة دار الكتب المصرية ـ ص ٢٩٧ ـ ونص البيت :

فـإنَّ بِوَكْـدٍ فَالْبُـرَيْـرَاءِ فَـالْحَشَـا فَخَلْصٍ إلى الزُّنْقَاءِ مِنْ وَبِعانِ

وبعده :

أَوَانِسَ مِنْ حَيَّيْ عِـدَاءٍ كِلَيْهِمَا طَـوَامِـحَ بِـالْأَزْوَاجِ غَـيْرَ عَـوَانِ

وعِدَاءُ : فرع من قبيلة مُزَيْنَة ، التي كانت تسكن تلك الجهات .
والمواضع المذكورة في البيت بقرب المدينة في جهة الْفُرْع .

كلمات لغوية لم أرها مذكورة
وذكرها من شرط المعجم

١ ــ حزفــر ٢ ــ حزرف

(ومحلها ص ٤٧) .

جاء في «تاج العروس»: حَزْفَرَ أهمله الجوهري ، وفي «النوادر» : حَزْمَرَ الْعِدْلَ وحَزْفَرَهُ إذَا ملأه ، وكذالك العيبة والقربة إذا ملأهما ، وكذا حزفره وحزرفه وحَزْفَرَ المتاعَ : شدَّهُ ، من النوادر أيضاً ، وحَزْفَرَ القومُ للقوم : استعدُّوا وتَهَيَّؤوا للحرب ، والذال لغة في الثلاثة ، والْـحَزْفرة : الـمَلْسَاءُ من الأرض ، المستوية فيها حجارة ، نقله الصغاني ، والْـحِزْفَرَّةُ كَإرْدَبَّةٍ الْـمكانُ الصُّلْبُ الشَّديد ، والـمُحَذْفَرُ المملوء من الأواني كالـمُحَذْرَفِ . انتهى .

وحزرف : ملأ القربة ، لغة في حزفر ، كما تقدم .

٣ ــ الـجِزْقُ :

الـجِزْق ـ بالكسر (محلها ص ٥٦) .
قال في «التاج» مَركَبٌ شبيه بالْبَاصِرِ .
والباصِرُ : القتب الصغير المستدير .

٤ ــ الـحُزُقَّةُ :

(محلها ص ٥٧) .

نوع من لَعِب الجواري ، قال في «اللسان» و«التاج»: الْـحُزُقَّةُ ضرب من اللعب ، أُخِذَ من التحزق ، وهو التجمع ، ومنه حديث الشعبيِّ : اجتمع جوارٍ فَأَرِنَّ وأَشِرْنَ ولَعِبْنَ الـحُزُقَّةَ .

٥ ــ الْـحَزَوْلَقُ :

(محلها ص ٨٠) .

قال في «التاج»: الْـحَزَوْلَقُ كَفَدَوْكَسٍ : القصيرُ المجتمعُ الْـخَلْقِ ، كما في «العباب» .

٦ ــ حشيش :

(محلها ص ١٧٣) .

لم تَرِدْ كلمات وردت في «المعجم الوسيط» مثل الْـحشَّاشُ : مدمِن تدخين الحشيش (مولدة) .

الحشَّاشُون : فرقة من الإسماعيلية الشيعة السبعية ، أسسها حسن بن الصَّبَّاح .

حشيشة الدينار : نبت معمر من فصيلة القِنَّبيات ، يُنبت بالشرق ، ويزرع في أوربة حيث تستعمل أخاليط أزهاره في تعطير الجعة .

ونقل صاحب «متن اللغة» عن «صبح الأعشى»: ـ ٢/١٤٦ ـ: الحشيشة غلبت على بذر القُنَّب الهندي ، وهو الشُّهْدَانَج ، وهي من مغيبات العقول معروفة . انتهى .

ومما لم يرد في محله من أسماء المواضع وذكره من شرط المعجم

١ ــ حَـرَّان :

محل هذا في رسم (حرن) .

وحَرَّان : من بلاد الشام المشهورة ، والنسبة إليه حرناني ، على غير قياس كما قالوا مَنَانِـيٌّ في النسبة إلى مانِـي ، والقياس مانَوِيّ ، وزاد في «تاج العروس»: ولا تقل حَرَّاني على ماعليه العامة ، وإن كان قياساً .

وقد ورد اسم (حران) في الأخبار والأشعار كثيراً ، ونسب إلى هذا البلد كثير من المشاهير .

٢ ـ حُزْنـة :

بالضم ثم السكون ، جبل في ديار بني شَكْرٍ إخوة بارق (ياقوت) ورد في شعر يعلى الأحول الأَسْدِي («الأغاني» ـ ١١١/١٩ ـ الساسي) في قوله :

وَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ حُزْنَةَ شَرْبَة ... مــبردة بـاتَتْ عَـلَى الـطَّهَيَـانِ

وحُزْنَةُ هذه : جبل أسود مستدير ، يطل على مدينة بَلْجُرَشِـيٌّ في جنوبها الغربي على بعد خمسة أكيال ، وبقرب الجبل هذا قرية تدعى حُزْنة أيضاً ، وهذا في بلاد غامد في سراة الحجاز ، (تقع حُزنة بقرب خط الطول : ٤١/٣٠° وخط العرض : ٢٠/٠٠°) .

٣ ـ حَسْلَـةُ :

بسكون السين ، ويقال له حسلة وحسلات ، قال في كتاب «بلاد العرب» ـ ٩٥ ـ وحَسَلاتُ أجبال بِيْضٌ إلى جانب رمل الْغَضا قال الشاعر :

عَـلَى أنِّي أرِقْتُ وهَـاجَ شَـوْقِي ... بِـحَسْـلَةَ مُـوقِـدُ لَـيْـلاً وَنَـارُ

وذِكر نحو هذا ياقوت :

وحَسَلات هذه : جمع حَسْلة ، هِضَابٌ حُمْرٌ تقع في الشمال الغربي من جبل شُعَبَا ، ورمل الغضا يعرف الآن باسم (نفود العُرَيْق) ، وتقع حسلات بقرب خط الطول : ٤٢/٣٣° ، وخط العرض : ٢٤/٤٠° .

٤ ـ حَسْنَـا :

قال كُثَيِّرٌ (ديوانه ـ ٢٦٩ ـ) :

عَفَتْ غَيْقَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَجَنُوبُهَا فَرَوْضَةُ حَسْنَا قاعُها فَكَثِيبُهَا

وقال أيضاً : (ديوانه - ٢٧٥ -) :

عَفَا مَيْثُ كُلْفَا بَعْدَنَا فَالأَجَاوِلُ فَأَثْمَادُ حَسْنَا فَالْبِرَاقُ الْقَوَابِلُ

وحَسْنَا لاتزال معروفة ، تقع في المنتصف بين مَصَبّ وادي الأبواء حيث مِيناء (مَسْتُورة) ومصب وادي الصفراء ، وبدر حيثُ ميناء الرايس (الجار قديماً) بقرب ساحل البحر ، وهي أرض سهلة يخترقها الطريق بين مكة والمدينة ، وفيها برقة تدعى (برقة حسنا) بقرب خط العرض : ٢٥/٢٣° ، وخط الطول : ٤٥/٣٨° .

وكتبت في المصور الجغرافي (الخريطة) خطأ (برقة حسنة) .

حول «المعجم الكبير» أيضًا

ووجه إليَّ الأستاذ العلامة الجليل الدكتور مهدي علام ، نائب رئيس المجمع ومقـرِّر لجنة «المعجم الكبير» كتاباً بتاريخ ٢٢/٢/١٩٩٠م ، جاء فيه (عرضت لجنة «المعجم الكبير» بعض أسماء لمواضع ، ورأت اللجنة إحالتها إلى سيادتكم لتتفضلوا بتعريفها ، راجية أن يصلها ردكم في وقت قريب ، حتى يتسنى لها الإفادة في تحرير المادة) وهاهي الأسماء وهي من حرف الجيم الـمُعَدِّ للطبع : -

١ ــ ص ٨٧ : (الـجُثّي : جبل من جبال أجأ مشرف على رمال طيء) .

٢ ــ ص ١١٣ : (الـجُحْفَة : موضع على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل (نحو ١٦٠ كم) بالقرب من رابغ ، وهي ميقات أهل الشام ومصر وبلاد المغرب إن لم يمروا بالمدينة وقد كان اسمها مَهْيَعة ، وسميت الـجُحْفَة لأن السيل اجْتَحَفها) .

٣ ــ ص ١٤٨ : (الأَجْدَاد : أرضٌ كانت لبني مُرَّة وأشجع وفَزارة) .

٤ ــ ص ١٥٩ : (الـجُدَيِّدَة : موضع بنجد فيه روضة ، ومناقع ماء ، وهو

عامر الآن بين الحرمين) .

٥ ــ ص ١٦٨ : (جَدِيس : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، قيل : كانت مساكنهم باليمامة والبحرين ، وحربهم مع طسم جارتهم مشهورة ، وقيل : انتهت بفناء القبيلتين ، وكان لـجَدِيس وطسم صنم يسمونه (كُثرى) بقي إلى ظهور الإسلام ، وكسره نهشل بن الربيس) .

٦ ــ ص ١٨١ : (جَدِيلة : اسم لعدة بطون من العرب منها :

بطن من أسد ، نسبة إلى جديلة بن أسد بن ربيعة ومنهم عبدالقيس .

بطن من قيس عيلان ، منهم فهر وعدوان ، نسبوا إلى أمهم جديلة بنت مر بن أُدّ .

وحي من طيء ، نسبة إلى أمهم جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير) .

٧ ــ ص ٤٢٦ : (جُزْرَة : موضع باليمامة . قال متمم بن نويرة :

فيا لعُبَيْدٍ حِلْفَةً إنَّ خيركم بجُزْرَة بين الوَعْسَتَيْنِ مقيم

(عُبيد : عشيرة من يربوع التميمية . حِلْفَةً : يميناً . الوَعْسة : اللينُ من الرمل) .

و ــ : ماء لبني كعب بن العنبر . قال جرير :

يا أهل جُزْرة لا حِلمٌ فينفعَكم أو تَنْتَهُوْنَ فَيُنْجِي الخائفَ الحَذَرُ

يا أهلَ جُزْرَة إني قد نَصبْتُ لكم بالمَنْجنيق ولمّا يُرْسَلِ الحَجَرُ

٨ ــ ص ٤٤٦ : (جَزْل : موضع قرب مكة . قال عمر بن أبي ربيعة :

ولقد قلتُ ليلة الجَزْل لمّا أَخْضَلت رَيْطَتي عليّ السماءُ

٩ ــ ص ٥٥٣ : (الجَعْموسة : ماءٌ لبني ضبيئة من غني قرب جبلة) .

١٠ ــ ص ٧٦٨ : (خَبت الجميش : صحراء واسعة بين مكة والمدينة لا نبات فيها) .

١١ ــ ص ٧٨٣ : (جواثى : وفي الخبر ، أول جمعة جُمعت بالمدينة بجواثى

(بالتسهيل والهمز) . جُمعت : صليت . جواثي : موضع) .

وهاهو الجواب :

١ ــ الجثـى :

١ ــ الجبل الذي ذكر بعضهم أنه من جبال أجإ مشرف على رمل طيء ، ليس ذكره من شرط هذا المعجم .

٢ ــ الـجثَا بجيم مضمومة وتخفيف الثاء والقصر ، موضع بين فَدَك وخيبر في وسط الحرة يطأه الطريق ، قال فيه بشر بن سعد الخزرجي الأنصاري (١٢هـ) .

لعمـري لحيٌّ بين دارِ مـزاحـم   وبين الجُثَا لايَجْشُم الصبر حاضِرُهْ

وقال عمر بن عون الصاردُي :

يُهِيجُ عَلَى الشوقَ أَنْ شَطَّتِ النَّوى   بِسَهْمِيَّـةٍ مـاشَـمْلُهَـا بمُـدَانِي
تَحـلُّ جُثَـا وَالـظُّهْـرَ رَابِعَـةً بِـهِ   ومحضرهـا بـالصَّيْفِ جَـوُّ عِتَـانِ

سهمية : من بني سهم بن مرة غطفان ، ومابين خيبر وفدك من بلادهم .

٢ ــ الجحفة : بلدة كانت على طريق المدينة من مكة قبل بلدة رابغ في الجنوب الغربي منها على بعد تسعة عشر كيلاً ، وكانت ميقات أهل الشام ومصر وبلاد المغرب إن لم يمروا بالمدينة ، وقد درست وانحرف عنها الطريق .

٣ ــ الأجداد : أرض كانت لبني مرة وأشجع وفزارة ، وهي روضة فيها آبار قديمة ذات مياه ، واحدها جُدٌّ ، وقد عمر فيها الآن بلدة سكانها بنو رَشِيد ، وتقع في الشمال الشرقي من بلدة الحايط (فَدَك قديماً) على بعد خمسة وعشرين كيلاً ، بقرب خط الطول ٣٢/٤٠° وخط العرض ٧/٢٦° ، وقد قرنها النابغة بيثقب في قوله :

أرسْـماً جَديداً من سعاد تَجَنَّبُ   عَفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدَادِ مِنْهَا فَيَثْقُبُ

ويثقب : جبل لايزال معروفاً بقربها .

٤ ــ الـجُدَيِّدَةُ : المواضع المسماة بهذا الاسم كثيرة وليس ذكرها من شرط المعجم ، سوى موضع واحد هو عَيْنٌ فيها نخل وسكان ، وهي واقعة في وادي الصَّفْراء بعد بَدْرٍ لِلْـمُتَّجه إلى المدينة ، ولاتزال معروفة ، وقد تكرر ذكرها في كثير من الرحلات ، ولاتزال عامرة ، وهي التي خلط صاحب «التاج» بينها وبين الموضع الذي في نجد ، وشتان بين الموضعين .

٥ ــ جَدِيس : أمة من العرب البائدة كانت تسكن اليمامة بمنطقة الرياض والخرج ، وكانت قاعدة بلادها خضراء حَجْرٍ على ماذكر الهمداني ، التي عرفت فيها بعد باسم الرياض ، وقد غزا الملك الحميري اليمني أبو كَرِب أسعد الكامل جديساً في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي (٤١٥م) غزا الأمة هذه فقضي عليها وتفرق من بقي منها في القبائل العربية الأخرى وبقيت آثارها إلى القرن الرابع الهجري تَتَمثَّلُ في حصون كانت تسمى (بُتُلّا) الواحد (بتيل) وصَفَهَا الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» .

٦ ــ جَدِيلة : أشهر من عرف بهذا الاسم أحد فروع قبيلة طيء العظيمة ، وله ذكر كثير في الأخبار والأشعار خاصة في حرب الردة .

٧ ــ جُزْرَة : الموضع الوارد في شعر مُتَمِّم ، وفي شعر جَرِيرٍ هو واحد ، ففروع بني تميم كانت مختلطةً في المنازل ، وجزرة هذه لاتزال معروفة وهي قرية تقع في شمال منطقة سُدَيْرٍ من نجد في طرف جبل عارض اليمامة الشمالي ، حيث انْـجَزَرَ (أي انقطع) فلبَّثْ به الرمالُ المتصلة بالدهنا ، وهذه القرية معدودة في مِنْطقة الزُّلْفِـي ، تقع من هذه المدينة شمالاً بنحو خمسة

وعشرين كيلاً بقرب خط الطول ٤٥/٤٤° وخط العرض ٢٩/٢٦° .

وبيت متمم بن نويرة من قصيدة له يرثي بها بُجَيْرَ بن عبدالله بن الحارث اليربوعي أوردها صاحب «النقائض» - ١/ ٢٠ - وقبله :

كَأَنَّ بُجَيْراً لَمْ يَقُلْ لِيَ: مَاتَرى مِنَ ٱلْأَمْرِ أَوْ ينظرْ بوجهٍ قَسِيْمِ

- البيت مكفأ وصاحبه يكفيءُ كثيراً - والقسيم الجميل . . .

وَلَوْ شِئْتَ نَجَّاكَ الكُمَيْتُ ولم تكن كَـأَنَّـكَ نَصْبٌ للرجـالِ رَجِيْمُ
ولكن رأيتَ المـوتَ أَدْرَكَ تُبَّعـاً ومَنْ بَعْـدَهُ مِنْ حادِثٍ وقَـدِيْمِ
فيـآل عُبَيْدٍ حَلْفَـةٌ أنَّ خَيْـرَكُمْ بجُـزْرَةَ بَـيْنَ الْـوَعْسَتَـيْنِ مُقِيْمُ

أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وجزرة من أرض الكُرْمَةِ من بلاد اليمامة . والوعس من الرمل اللين الذي قد وعسته السائلة .

وكان بجير قتل يوم نعف قُشَاوة وهو يوم لبني شيبان برئاسة بسطام من قيس علي بني يربوع .

٨ - جزل : لا أعرف هذا الموضع ولكن في مكة جبل يدعى جزلّ آخره مشدد ، وهو جبل قعيقعان كانت طائفة من الحبوش تقيم فيه تسمى بهذا الاسم .

وجبل قعيقعان لايزال معروفاً ، ولكنني لا أرى الشاعر قصده ، فهو وَرَّى باسم هذا الموضع ولم يكن صادقاً كما يتضح من قصة أوردها صاحب «الأغاني» - ج ١/ ٦٨ - حين قالت له محبوبته : تَزْعُمُ أنك في الجزل وأنت في الجنبذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب .

٩ - الجُعْمُوسة : هذا الاسم يطلق على مَاءَتَيْنِ إحداهما ماءة لبني ضَبينة (بعد الضاد المفتوحة باء موحدة فياء مثناة تحتية فنون فهاء) من غني في عالية نجد قرب جَبَلَةَ الهضبة المشهورة ، والثانية ماءة في سواد باهلة في العرض

(عِرْض شَمَام) ولكن الماءتان ليس ذكرهما من شرط المعجم ، فليس لهما شهرة ، وقد درستا فجهلتا .

١٠ ــ خبت الجميش : أرى أن كلمة الجميش وصف للخبت وليست علماً ، ويحسن الرجوع إلى «المغازي» للواقدي ـ ١١١٢ ـ و «النهاية» لابن الأثير و«غريب الحديث» للهروي و«غريب الحديث» لابن قتيبة ، واسم الخبت يشمل منطقة واسعة تمتد بامتداد البحر الأحمر فيما بين طرفيه .

١١ ــ جُوَاثَى :

١ ــ نص الحديث كما في «صحيح البخاري» وغيره عن ابن عباس : أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عَبْدِ القيس بجُوَاثَى .

٢ ــ إذَنْ جُوَاثَى كانت بلدة مسكونة ، وموضعها لايزال معروفاً ، وقد درستْ وبقيتْ أطلالها وبنيت حديثاً حول المسجد أبنيةٌ حديثة أزالت معالم القرية القديمة حتى كادت تختفي ماعدا آثار المسجد ، فقد أحيطت ببناء وغرس ماحوله بالأشجار .

٣ ــ بلدة جُواثى : لما ارتد من ارتد من العرب بعد وفاة النبي ﷺ ، بقي أهل جُوَاثَى على الإسلام فحاصرهم المرتدون حتى استنقذهم جيش العلاء بن الحضرمي في عهد أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

٤ ــ وتقع جُوَاثَى في الشمال الشرقي من مدينة الْـمُبَرَّز ، المدينة الثانية في الأحساء على بعد خمسة عشر كيلاً بقرب خط الطول ٤٠/٤٩° ، وخط العرض ٢٨/٢٥° وقد تحدثت عنها في جلسة المؤتمر التي عقدت في غرة جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ (٤ آذار ١٩٨٤م) ونشر حديثي في (محاضر بحوث مؤتمر المجمع في الدورة الخمسين من ص ١٧٣ إلى ص ١٨٧) .

حمد الجاسر

٢٩١ ـ بَابُ حَوْصَاء ، وَحَوْضَا(١)

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَالصَّادِ الْـمُهْمَلَةِ وَالْـمَدِّ ـ: مَوْضِعٌ بَيْنَ وَادِيْ الْقُرَى وَتَبُوْكَ ، نَزَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَيْثُ سَارَ إِلَى تَبُوْكَ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : اسْـمُ الْـمَوْضِعِ أَحْوَص ، كذالك وَجَدْتُهُ مَضْبُوطاً بِـخَطِّ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَقَالَ : بَنَى بِهِ مَسْجِداً(٢).

وأَمَّا الثَّانِـي : ـ بِالضَّادِ الْـمُعْجَمَةِ والْقَصْرِ ـ: اسْـمُ مَاءٍ لِطَهْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ بْنِ سَكَنِ بْنِ قُرَيْطِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِـي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ(٣).

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ حَوْضَا ، وَحَوْصَاة ، والْـحَوْصَاء) .

(٢) قال نَصرٌ : وأَمَّا ـ حَوْصَاءُ ـ بالصَّادِ والْـمَدِّ ـ: بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وتَبُوكَ ، مَنْزِلٌ نَزَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ في مَنْزِلِهِ (؟) إلى تَبُوكَ ، وهُنَاكَ مَسْجِدٌ مَكَانَ مُصَلَّاهُ في ذَنَبِ حَوْصَاء ، ومَسْجِدٌ آخَرَ بِذِي الْـجِنفَة مِنْ صَدْرِ حَوْصَاء . انتهى . وَكَلِمَةُ (فِي مَنْزِلِهِ) سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ النَّاسِخِ وَالصَّوابُ (فِي مَسِيْرِهِ) وَ(الْـجَنَفَة) صَوَابُهَا (الْـجِيْفَة) كَمَا سَيَأْتِـي ـ وَأَوْرَدَ صَاحِبُ «معجم البلدان» كَلَامَ الْـحَازِمِيِّ مَنْسُوباً إِلَيْهِ بِزِيَادَة (وَمَسْجِدُ آخَرُ بِذِيْ الْـجِيْفَةِ). وَنَصُّ قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ عِنْدَهُ : حَوْضَا ـ بِالضَّادِ الْـمُعْجَمَةِ والْقَصْرِ . إِذَنْ فَمَا وَقَعَ فِي مَخْطُوطَتِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ (حَوْض) فِي الأَصْلِ و(أَحْوَص) فِي الثانية ـ خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ ، فَحَوْضَا ـ بالضَّادِ الْـمُعْجَمَة والْـقَصْرِ هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَايَزَالُ الاسْـمُ مَعْرُوْفاً بِقُرْبِ الْـحِجْرِ ، يُطْلَقُ عَلَى وَادٍ صَغِيرٍ يَنْحَدِرُ مِنْ حَرَّةِ الْعُوَيْرِضِ مُتَّجِهاً صَوْبَ الشَّرْقِ حَتَّى يَفِيْضَ فِي أَعْلَى وادِي الْـحِجْرِ الَّذِي هو أَعْلَى وَادِي الْـعُلَا فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِـيِّ مِنْهُ وطَرِيْقُ تَبُوكَ مِنْ وَادِي الْقُرَى (الْعُلَا وَمَا حَوْلَهَا) يَمُرُّ بِأَسْفَلِ حَوْضَا . وَأَمَّا ذُو الْـجِيْفَةِ فَكَمَا وَرَدَ فِي «المعجم» وَلَا يَزَالُ الاسم يُطْلَقُ عَلَى وادٍ مِنْ فُرُوْعِ وَادِي الْـجِزْلِ ـ بِمَنْطَقَةِ الْعُلَا (وَادِي الْقُرَى) يَنْحَدِرُ مِنْ حَرَّةِ الْعُوَيْرِضِ صَوْبَ الْغَرْبِ ، وَيَقَعُ بِالنِّسْبَةِ لِحَوْضَا شَمَالاً بِنَحْوِ عِشْرِيْنَ كِيْلاً ـ وانظر مَجَلَّة «العرب»: س ١٢ ص ١٧٩ ومَابَعْدَها .

(٣) قَالَ نَصْرٌ : أَمَّا بعد الْـحَاءِ ضَادٌ معجمة ـ حَوْضَا ـ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ كِلَابٍ يُقَالُ لَهُ حَوْضَا الْـمَاءِ ، وهُنَاكَ آخَرُ يُقَالُ لَهُ حَوْضَا الظَّمْيِ ، لِطَهْمَانَ بْنِ عَمْرِو بن سَلَمَةَ بْنِ سَكَنِ بن قُرَيْطِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِـي بَكْرِ بْنِ ـ

٢٩٢ ـــ بَابُ حَوْرَان ، وَحَوْزَان ، وَخُوْزَان(١)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَبَعْدَ الْوَاوِ رَاءٌ ـ: نَاحِيَةٌ بِالشَّامِ قَصَبَتُهَا بُصْرَى ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ الشَّامِيُّ الْـحَوْرَانِيُّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، رَوَى عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَمَضَا بْنِ عِيسَى ، وَغَيْرِهِمَا(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ بَعْدَ الْوَاوِ زَايٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ ٱلْأَوَّل ـ: نَاحِيَةٌ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا الرَّجَالية الْـحَوْزَانِيَّةُ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الَّذِيْ قَبْلَه ـ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى أَصْبَهَانَ ، رَأَيْتُهَا ، وَقَالَ لِي أَبُو مُوسَى الْـحَافِظُ : يُنْسَبُ إِلَيْهَا(٤).

ـ كِلَابٍ ، وَقِيلَ : حَوْضَا اسْمُ مَاءٍ لَهُمْ ، يُضِيفُونَ إِلَيْهِ الْمَضْبَ . انتهى . وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ هَذَا الْقَوْلَ بِنَصِّهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ وَفِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ١٦٦ ـ: وَحَوْضَيَانِ مَاءَانِ لِبَنِي كِلَابٍ ، وَهُمَا عَامَّانِ لَهُمْ كُلِّهِمْ . وَحَوْضَا الْمَضْبُ لايَزَالُ مَعْرُوفًا ، يَمْتَدُّ مِنَ الشَّمَالِ إلى الْـجَنُوبِ ، كانَتْ فِيْهِ مَنَاهِلُ . وَهُوَ وَاقِعٌ شَرْقَ مِنْطَقَةِ رَنْيَةَ في عَالِيَةِ نَجْدٍ (بَيْنَ خَطَّي العرض : ٢١/٥٥° و ٢٢/١٠° وبِقُرْبِ خطِّ الطُّوْل : ٤٣/٢٥°) وقَدْ يُسَمَّى هَذَا الْمَضْب حَوْضِيَات «العرب»: ٥/١٠٩٣ ـ وَطَهْمَانُ شَاعِرٌ أُمَوِيٌّ ، اتهمَ بالسَّرِقَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ بِأَمْرِ نَجدَةَ بن عَامِرٍ الْـحَنَفِي الْـخَارِجِيِّ ، وَوَفَدَ عَلى عبدالملك بن مَرْوَانَ ، وفَصَّلَ الْـحَدِيْثَ عَنْهُ الْـمُسْتَشْرِق (سالِم الكرنكوي) في «دائرة المعارف الإسلامية» ج ٥ ص ٥٢٥ المعربة وورد اسمُهُ خطأ فيها في حَـرْفِ التاءِ (تَهْمَان). ويُطْلَقُ اسْـمُ حَوْضَا على غَيْرِ هَذَا ، فَقَدْ وَرَدَ في شِعْرِ هُذَيْلٍ ، وبِلَادُهُـمْ تِهَامَةُ وما اتَّصَلَ بِهَا مِنْ سَرَاةِ الْـحِجَاز ، وَفي شِعْرِ ذِيْ الرُّمَّةِ مَقْرُونا بِمَوَاضِعَ في الدَّهْنَاءِ ـ وانظر عَنْهُ قسم (المنطقة الشرقية) مِنَ «المعجم الجغرافي» .

وَمَازَادَهُ نَصْرٌ :

الْخَوْصَاء ، قَالَ : وَأَمَّا بِالْـخَاءِ الْـمُعْجَمَةِ وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ وَمَدٍّ ـ: نَاحِيَةٌ بِالْـبَحْرَيْنِ ـ أَظُنّ ـ انتهى وعِنْدَ يَاقُوتٍ : خَوْصَاءُ ـ تَأْنِيثُ الأَخْوَصِ وَهُوَ ضِيقُ الْعَيْنِ وَغُئُورُهَا ـ: مَوْضِعٌ عَرَبِيٌّ أَظُنُّهُ بِالْبَحْرَيْنِ ـ وَلَكِنِ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْـحَقِّ شَيْئًا .

(١) وَفِي كِتَابِ نَصْرٍ : (بَابُ حَوْرَانَ وَحَوْزَانَ وجَرْدَان) .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ : أَمَّا بِالرَّاءِ بَعْدَ الْوَاوِ ـ: نَاحِيَةٌ بِالشَّامِ ، بُصْرَى قَصَبَتُهَا ، وَأَيْضًا : مَاءٌ بِنَجْدٍ ، أَظُنُّهُ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَمَكَّةَ . انتهى . شُهْرَةُ حَوْرَانَ تُغْنِي عَنِ الْـحَدِيْثِ عَنْهُ .
أَمَّا الْـمَاءُ الَّذِي بِنَجْدٍ فَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى مَاذَكَرَ نَصْرٌ عَنْهُ . وَمَا أَوْسَعَ تَحْدِيْدَهُ !!

(٣) حَوْزَانُ : قَالَ نَصْرٌ : ـ وَبِالزَّاي الْـمَنْقُوطَةِ ـ: نَاحِيَةٌ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، والرجَّالَةُ الْـحَوْزَانِيَّةُ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ . ولَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هَذَا وَنَسَبَ الْقَوْلَ لِلْـحَازِمِـيِّ ، وَنَحْوَ هذَا في «تاج العَرُوس» ولكن الْـجِيمِ من «الرَّجَالة» مُعْجَمَة ـ كما في كتاب نَصْرٍ ، وَهِـيَ مُهْمَلَةٌ (الرحالة) في «معجم البلدان» وَفي كتابِ الْـحَازِمِـيِّ (الرجالية) ؟ ولَعَلَّ الصَّوابَ (الرَّحَالَة) بِالْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ جَمْعُ رَحْلٍ ، وهُوَ الْـمَرْكَبُ .

(٤) خُوزَانُ : قَرْيَةٌ وَصَفَهَا السَّمْعَانِيُّ بأنها كَثِيرَةُ الْـخُضْرَةِ وَاسِعَةُ الْفَضَاءِ ، بِنواحي (بَنج دَيْه). وأَبُو مُوسَى ـ

٢٩٣ ـ بَابُ حَوْرَة، وَحَوْزَة، وَجُوْدَة(١)

أَمَّا ٱلأَوَّلُ: بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَبَعْدَ الْوَاوِ رَاءٌ مَفْتُوْحَةٌ ـ: قَرْيَةٌ بَيْنَ الرَّقَّةِ وَبَالِس يُنْسَبُ إِلَيْهَا صَالِحُ الْـحَوْرِيُّ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي الْـمُهَاجِرِ سَالِـمِ بْنِ عَبْدِ الله الرَّقِيِّ الْكِلاَبِيِّ، رَوَى عَنْهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْكِلاَبِـيُّ ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيْدٍ فِي «تَارِيْـخِ الرَّقَّةِ»(٢).

وَأَمَّا الثَّانِـي ـ: بَعْدَ الْوَاوِ زَايٌ وَالْبَاقِـي نَحْوَ ٱلأَوَّلِ ـ: وَادٍ حِجَازِيٌّ كَانَتْ عِنْدَهُ وَقْعَةٌ لِعَمْرِو بْنِ مَعْدِي كِرَبَ مَعَ بَنِـي سُلَيْـمٍ(٣).

ـ الْـحَافِظُ هُوَ شَيْـخُ الْـحَازِمِيُّ مُحَمَّد بنِ عُمَرِ الاَصْفَهَانِـي الْـمُتَوَفَّى سَنَة ٥٨١ (إِحْدَى وَثمانِيْنَ وَخَمس مِئَة).

وَزَادَ نَصْرٌ:

جَرْدَان، وَقَالَ: وَأَمَّا بِجِيْـمٍ مَفْتُوحَةٍ وَرَاءٍ سَاكِنَةٍ ثُـمَّ دَال ـ: بَلَدٌ قُرْب آبُلِسْتَان بَيْنَ غَزْنَةَ وَكَابُل، بِهِ يُصَيِّفُ أَهْلُ ٱلْبَانَ وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هذا. وَقَالَ عَنْ أَلْبَانَ: ـ بِالتَّحْرِيك بِوَزْنِ رَمَضَانَ ـ: اسْـمُ بَلَدٍ

ـ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ غَزْنِيْن، بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَابُل، وَأَهْلُهُ مِنْ فَلِّ ٱلأَزَارِقَةِ الَّذِيْنَ شَرَّدَهُـمُ الْـمُهَلَّبُ، وَهُـمْ إِلى الآنَ عَلَى مَذْهَبِ أَسْلاَفِهِـمْ، إِلاَّ أَنَّهُـمْ مُذْعِنُوْنَ لِلسُّلْطَانِ، وَفِيْهِـمْ تُجَّارٌ وَمَيَاسِيْرُ، وَعُلَمَاءُ وَأُدَبَاءُ، يُخَالِطُوْنَ مُلُوكَ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ الَّذِيْنَ يَقْرِبُوْنَ مِنْهُـمْ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ رُؤَسَائِهِـم اسْـمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ واسْـمٌ بِالْهِنْدِيَّةِ ـ عَنْ نَصْرٍ ـ وَلَعَلَّ طَرَافَةَ مَاذُكِرَ عَنْ هَاؤُلاَءِ يَشْفَعُ فِي الاسْتِطْرَادِ بِذِكْرِهِـمْ.

(١) عِنْدَ نَحصرٍ فِي حَرْفِ الْـجِيْمِ ـ: (بَابُ جُوْدَةَ وَحَوْزَة).

(٢) لَـمْ أَرَ لِهَذَا الْـمَوْضِعِ ذِكْراً فِي كِتَابِ نَصْرٍ، وَلاَ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَان» وَمِثْلُ كَلاَمِ الْـحَازِمِيِّ فِي «الإِكْمَال» لاِبْنِ مَاكُوْلاَ ـ ٣/٧ ـ وَ «ٱلأَنْسَابِ» لِلسَّمْعَانِـي رَسْـم (الْـحَوْرِيُّ) وَابْنُ سَعِيْدٍ مؤرِّخُ الرَّقَّةِ تَرْجَمَهُ الْـحَافِظُ الذَّهَبِـيُّ فِي «سير أَعْلاَمِ النُّبَلاَءِ»: ١٥/٣٣٥ ـ وفِي «تذكرة الْـحُفَّاظِ»: ٣/٨٤٦ ـ وَقَالَ: لا أَعْلَـمُ وَفَاتَهُ إِلاَّ حُدِّث فِي سنة ٣٣٤ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِيْنَ.

(٣) حَوْزَة قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ ـ: وَادٍ حِجَازِيٌّ ـ ثُـمَّ مَافِي كِتَابِ الحَازِمِـيِّ ـ وَمِثْلُهُ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَزَادَ: وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ:

وَإِذْ هِيَ كَالْمَهَاةِ غَدَتْ تُبَارِي ... بِحَوْزَةَ فِي جَوَازِ آمِنَاتِ

يَظْهَرُ أَنَّ اسْـمَ هَذَا الْوَادِي الَّذِي كَانَتْ سُلَيْـمٌ تَحُلُّهُ اعْتَرَاهُ التَّصْحِيْفُ مِنْذُ الْقِدَمِ، فَالْبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَم مَا اسْتَعْجَم» سَمَّاهُ (حَوْرَة) بِالْـحَاءِ وبِالرَّاءِ الْـمُهْمَلَتَيْنِ، وَذَكَرَ بَعْضَ الْـمُجَاوَلاَتِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ بَنِي سُلَيْمٍ وَغَيْرِهِـمْ فِيْهِ، وَأَضَافَ: وَقَدْ شَكَّ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي هذا الاسْم فقالَ فِي «مَقَاتِلِ الفُرْسَانِ» وَذَكَرَ هَذَا م ـ وَذَالِكَ بِمَكَانٍ يُدْعَى (الْـحَوْرَة) أَو (الْـجَوْرَة) وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ (الْـحَوْرَةُ). وَأُضِيْفُ: حَوْرَةُ فِي سُلَيْـم ٱلآنَ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي سِتَارَةَ، لاَيَزَالُ مَعْرُوْفاً، يَنْحَدِرُ مِنَ الْـحَرَّةِ نَحْوَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ، نَيْضَ فِي أَعْلَى وَادِي سِتَارة فَوْقَ وَادِي مَرْخٍ، بِقرب خَطَّي الطُّوْلِ: ٥٠َ/ ٣٩ْ وَ ٤٥َ/٣٩ْ وخط ٣٥/٢٢ْ ـ وَقَدْ كُتِب اسْمُهُ فِي الخَرِيطة [B ٢١٠] حوارة خَطَأً واسْـمُ حَوْرَة يُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِعَ

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ الرَّاءِ دَالٌ ـ: قَلْتٌ فِي وَادٍ بالْيَمَنِ[1].

٢٩٤ ـ بَابُ حَيْزَانَ وَجِيْرَانَ[2]

أمّا ٱلأوّل : بِفَتْح الحاءِ وبعد الياء زاي : ـ من بلادِ ديارِ بكرٍ من فتوح سَلمان بن رَبيعة ، تذكرُ مع أرمينية في الفتوحِ ، ينسب إِلَيْهِ أبو الحسن حمدون بن علي الحيزاني . روى عن سَليم بن أيوب الرازي الفقيه الشامي روى عنه أبو بكر الشاشِيُّ الفقيه[3].

وَأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ جيم مكسورة وبعد الياء راء : ـ جزيرةٌ في البحر ، بَيْنَ البصرة وسيراف قَدرها نصف ميل في مثلهِ فارسية معربة ، وأيضاً صُقْعٌ من أعمالِ سيراف بينها وبين عُمَانَ[4].

---

(١) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ . وفي «المعجم» لِيَاقُوت: قَلْتُ جُوْدَةَ : فِي وَادٍ بِالْيَمَنِ . وَلَيْسَ الْـمَوْضِعُ مَعْرُوْفاً الآنَ فِي الْيَمَنِ ـ كَمَا يَبْدُو مِنْ صَنِيعِ الْقَاضِـي الْأَكْوَعِ فِي كِتَابِهِ «البلدان الْيَمَانِيَّةِ عِنْدَ يَاقُوت» .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ: بَابُ جِيْرَانٍ ، وَحَيْزَانَ ، وَجِبْرَان .

(٣) حَيْزَانُ : قَالَ نَصْرٌ : ـ بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ كَمَا هُنَا ـ: مِنْ مُدُنِ ارمينية ، قَرِيَةٌ مِنْ شَرْوَانَ مِنْ فُتُوحِ سَلْمَانَ بن رَبِيعَةَ . وفي «مُعْجَمِ البلدان» : حِيْزَانُ ـ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُوْنِ ثَانِيهِ وَزَايٍ وَأَلِفٍ وَنُوْنٍ ـ: بَلَدٌ فِيهِ شَجَرٌ وَبَسَاتِينُ كَثِيْرَةٌ وَمِيَاهٌ غَزِيْرَةٌ وَهِـيَ إِسْعِرْتَ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، فِيهَا الشَّاهُ بَلُّوط والبُنْدُقُ ، وَلَيْـسَ الشاهُ بَلُّوط فِي شَيْءٍ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْـجَزِيْرَةِ والشَّام إِلاَّ فِيهَا . وَقَالَ نَصْرٌ : إِنَّ حَيْزَانَ ـ بِفَتْحِ الْـحَاءِ مِنْ مُدُنِ أرمينية قَرِيَةٌ مِنْ شَرْوَانَ ، مِنْ فُتُوحِ سَلْمَانَ بن رَبِيعَة ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا ابو الحسن حَمْدُوْنُ ـ إلى الشَّاشِـي الفقيه ـ ثم بَعْدَهُ : والصَّوَابُ الأَوَّلُ . وفي هذا : (١) خَلْطٌ بَيْنَ كَلَامِ نَصْرٍ وَكَلَامِ الْـحَازِمِيِّ (٢) اخْتِلَافٌ فِي ضَبْطِ الاسْـمِ (٣) تَصْحِيحُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْـمَوْضِعَ فِي دِيَارِ بَكْرٍ ـ كَمَا فِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ . لَا مِنْ مُدُنِ أَرْمِينِيَّةَ . أَمَّا السـمعانـيُّ فضبط الاسْم بِكَسْرِ الْـحَاءِ ـ حِيْزَانَ ـ وقال عنه : مَوْضِعٌ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ وَظَنِّـي أَنَّها مِنْ قُرَى أَسْعَرْد .

(٤) جِيْرَانُ : قَالَ نَصْرٌ : جَزِيْرَةٌ بَحْرِيَّةٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وسِيْرَافَ ـ إِلَى آخِرِ مَا أَوْرَدَ الْـحَازِمِيُّ ـ وَلَـم يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَيْهِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى نَصْرٍ . وَذَكَرَ السَّمْعَانِـي جَيْرَانَ ـ بِفَتْحِ الْـجِيمِ ـ مِنْ قُرَى أَصْفَهَانَ ، وَنَسَبَ إِلَيْهَا . وَزَادَ نَصْرٌ :

جِبْرَان ـ بِكَسْرِ الْـجِيمِ ثُم بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَةٌ ـ: جَبَلٌ ، وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ شَاهِدَيْنِ مِنْ شِعْرِ زَيْدِ الْـخَيْلِ وَالرَّاعِي ـ وَهَذَا الْـجَبَلُ لَا يَزَالُ مَعْرُوْفاً . وانظر لتحديد موقعه (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

آل موسى من آل فارس من الوهبة

كتب الأخ محمد بن سعد بن محمد الموسى لـ «العرب» عن نسب أسرته آل موسى ما خلاصته : نحن آل موسى نرجع في النسب إلى آل فارس سكان بلدة الداهنة المعروفين ، من مَشارفة الوُهَبَة ، وهذا مثبت وموضح في خمس وثائق قديمة. وسكن آل فارس الجريفة فيما بعد .

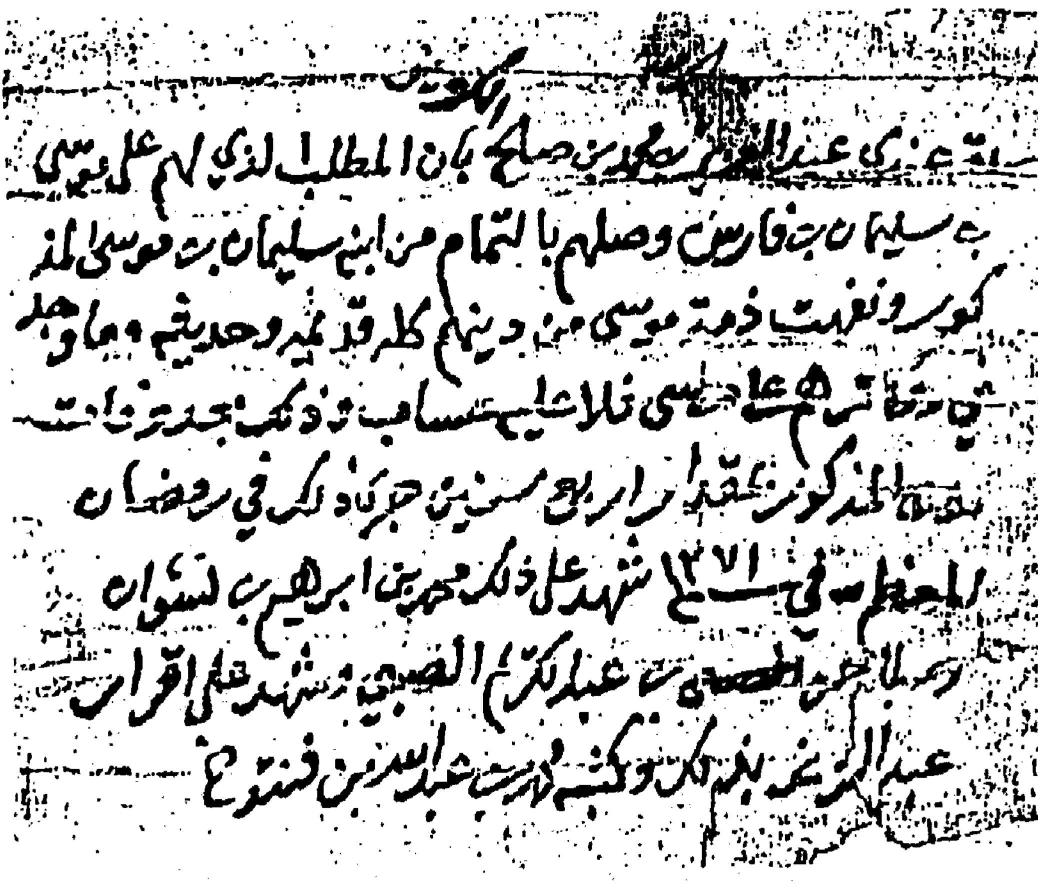
الأولى : تثبت أننا - أي آل موسى وآل عبدالوهاب (آل فيَّاض) - نرجع جميعاً لآل فارس سكان الداهنة، وهذه الوثيقة كتبت عام ١٣٤٥هـ تنص على أن أقرب مَنْ لِآل فارس أهلِ الداهنة آل مُوسى ، ومِنْ بَعْدِهم آل عبدالوهاب ، آل موسى في الجد الرابع ، وآل عبدالوهاب في الجد السادس (وهاهي صورة الوثيقة).



بسم الله الرحمن الرحيم
شهد عندي ناصر بن عبدالرحمن بن حميد بالاستفاضة من ابيه عبدالرحمن
ان اقرب من لآل فارس اهل الداهنة ال موسى ومن بعدهم
ال عبدالوهاب ال موسى في الجد الرابع وال عبدالوهاب
في الجد السادس هكذا اشهد به

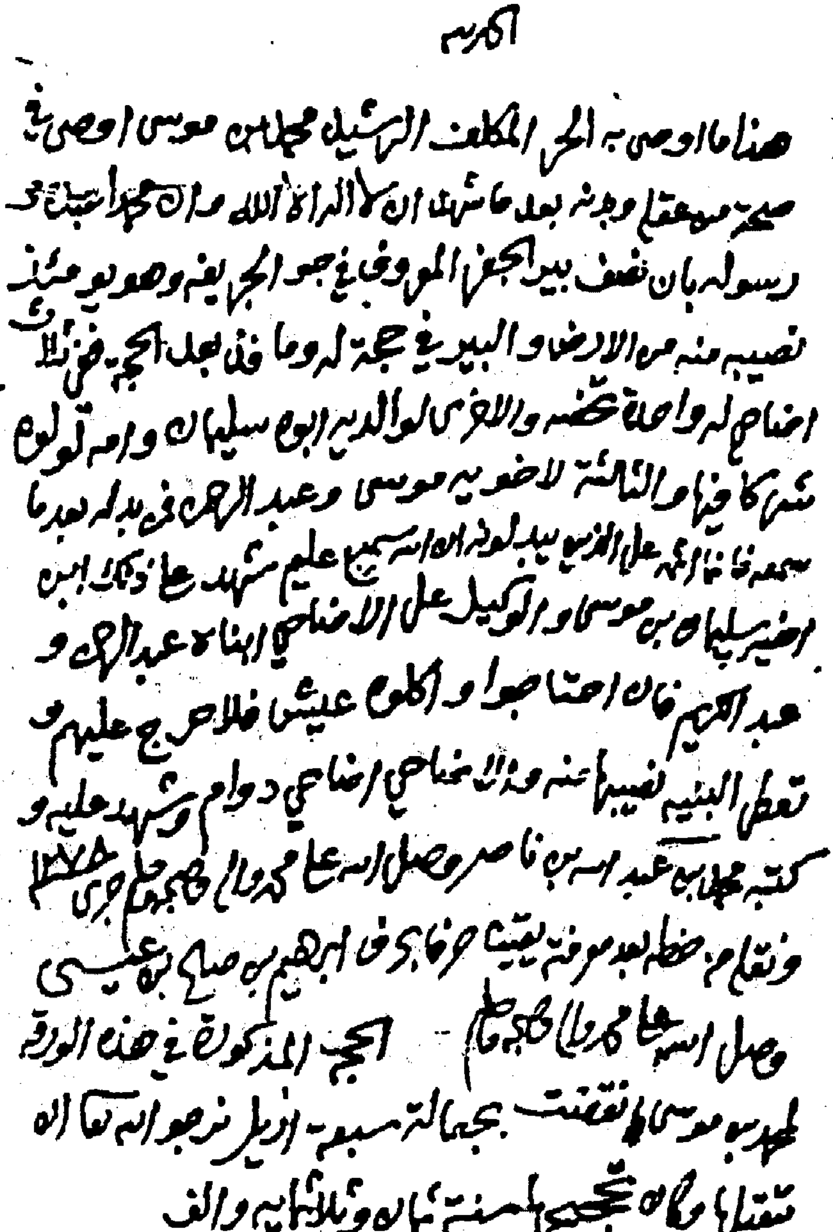
وفي الوثيقة الثانية : إثبات أنَّ محمد بن عبدالكريم بن موسى هو أقرب لآل فارس من غيره (انظر صورتها مع الوثيقة الأولى) .

أما الوثيقة الثالثة : (وهاهي صورتها) فهي إقرار من عبدالعزيز بن محمد بن صالح الكويز ، بأن المطلب الذي لهم على موسى بن سليمان بن فارس ، وصلهم بالتمام من ابنه سليمان بن موسى المذكور .

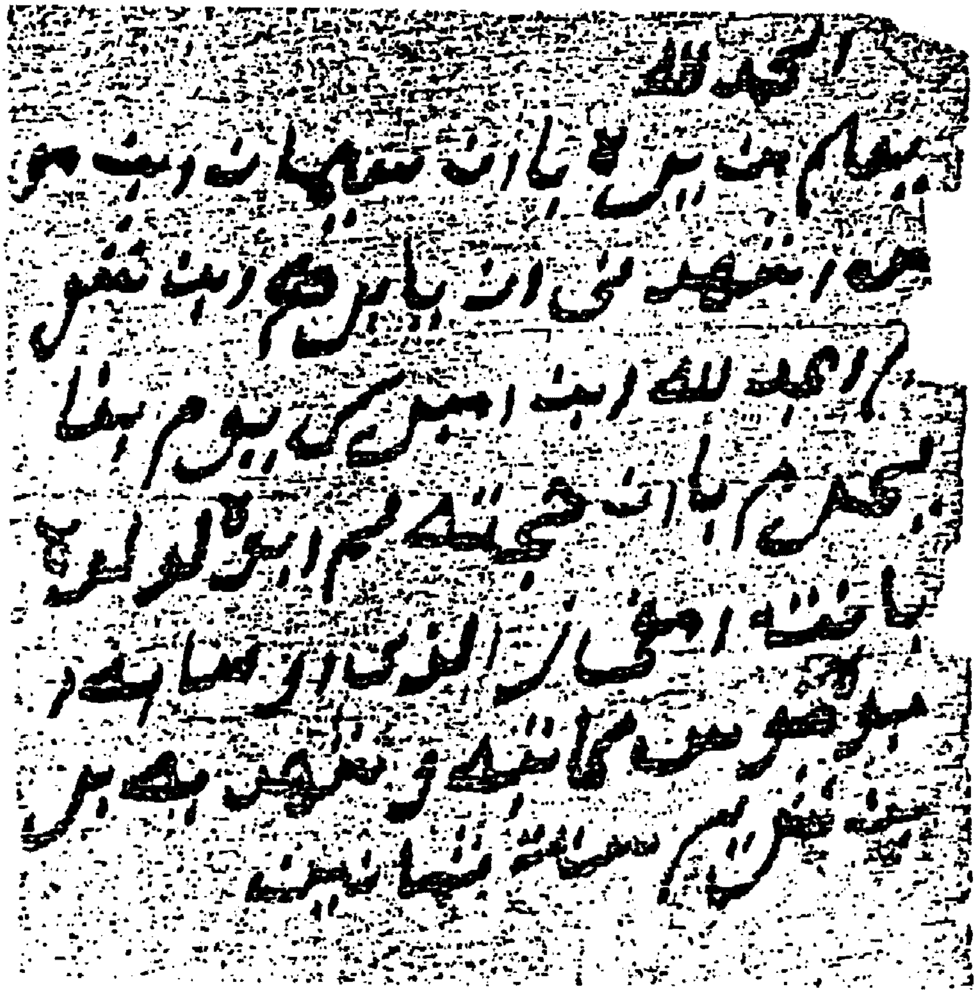

عبدالعزيز بن محمد بن صالح بأن المطلب الذي لهم على موسى
بن سليمان بن فارس وصلهم بالتمام من ابنه سليمان بن موسى المذ
كور ونعرف ذمة موسى من دينهم كل قديم وحديثهم [illegible]
[illegible]
[illegible] شهد على ذلك محمد بن ابراهيم [illegible]
[illegible]

وعن إثبات صلتنا بموسى بن سليمان بن فارس المتقدم ذكره ، فيتضح جلياً في وثيقتين هما (الرابعة والخامسة) ، فالرابعة : وصية لمحمد بن موسى (محمد بن سليمان بن موسى) ويتضح فيها أن والد محمد بن موسى ، هو سليمان ، وأن موسى

ابن سليمان هو أخوه وسليمان بن موسى هو ولد أخيه (وهاهي صورتها) وهي بخط المؤرخ المعروف الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى .



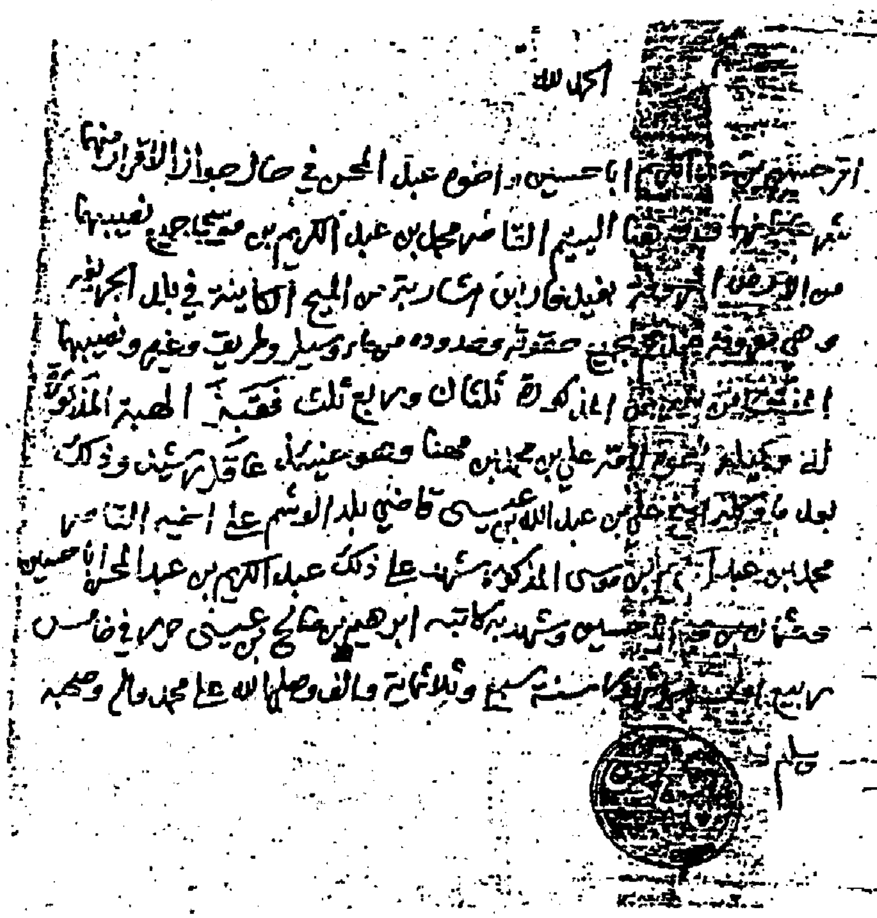
وفي الخامسة : ما يثبت أن موسى بن سليمان بن فارس أخ لمحمد بن موسى (أي محمد بن سليمان بن موسى) من الأم أيضاً ، إذ أمهما لولوة بنت مفيز .


الحمد لله

وعصبة محمد بن سليمان بن موسى بن فارس ، هُـمْ نحن آل موسى

وأما عصبة أخيه موسى بن سليمان بن موسى بن فارس فهم آل سليمان في الكويت ، وتفصيل هذا : أننا آل موسى كنا مستقرين في بلدة الـجُرَيْفة ، ولا زال لنا هناك بعض أملاك لدينا عليها مستندات ، ثم انتقلنا إلى جُلاَجِل في عام ١٣٠٠هـ تقريباً عندما قُتِلَ عبدالكريم بن محمد بن موسى ، قتله لصوص (حنشل) في جو الجريفة ، وكان له ابن وحيد هو محمد ، أصبح يتيم الأب والأم ، أمه من آل تويم ، ماتت قبل مقتل أبيه ، فتولى أخوه لأمه علي بن مهنا

الوكالة عليه من قبل قاضي الوشم الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى كما يتضح هذا من الوثيقة السادسة، وكان علي بن مهنا ساكناً في جلاجل ، فنقل الطفل محمد


الحمد لله

[illegible] أبا حسين [illegible] عبد المحسن في حال جواز الإقرار منها

[illegible] التاصر محمد بن عبد الكريم بن موسى جميع نصيبها

من الأرض [illegible] الكائنة في بلد [illegible]

[illegible] وطريق وغير ونصيبها

[illegible] ثلثان وربع ثلث [illegible] الهبة المذكورة

[illegible] علي بن محمد بن مهنا [illegible]

بعد ما [illegible] علي بن عبدالله بن عيسى قاضي بلد الوشم على أخيه التاصر

محمد بن عبد الكريم بن موسى المذكور شهد على ذلك عبد الكريم بن عبد المحسن أبا حسين

[illegible] وشهد به كاتبه إبراهيم بن صالح بن عيسى [illegible]

ربيع [illegible] سنة سبع وثلاثماية والف وصلى الله على محمد وآله وصحبه

وسلم

ابن عبدالكريم بن موسى معه ، ومن ذالك التاريخ كان استقرارنا في جلاجل ، وبقي محمد في جلاجل مع أخيه لأمه علي بن مهنا ، نحو خمس سنوات، ثم لحق بعمه سليمان بن موسى في الكويت، واستقر نحو أربعين عاماً ، انقطعت أخباره حتى ظُنَّ أنه مات ، وكان قد تزوج هيلة بنت عبدالعزيز بن جماز ، ولما رجع عبدالعزيز هذا إلى نجد أُخْبَرَ بأن محمداً لايزال حياً ، وفي سنة ١٣٤٢هـ ، رجع محمد إلى نجد للزيارة عازماً العودة إلى جلاجل ، ولكنه عاد إلى الكويت ثم رجع إلى جلاجل عام ١٣٤٧هـ ، وتوفي عام ١٣٥١هـ .

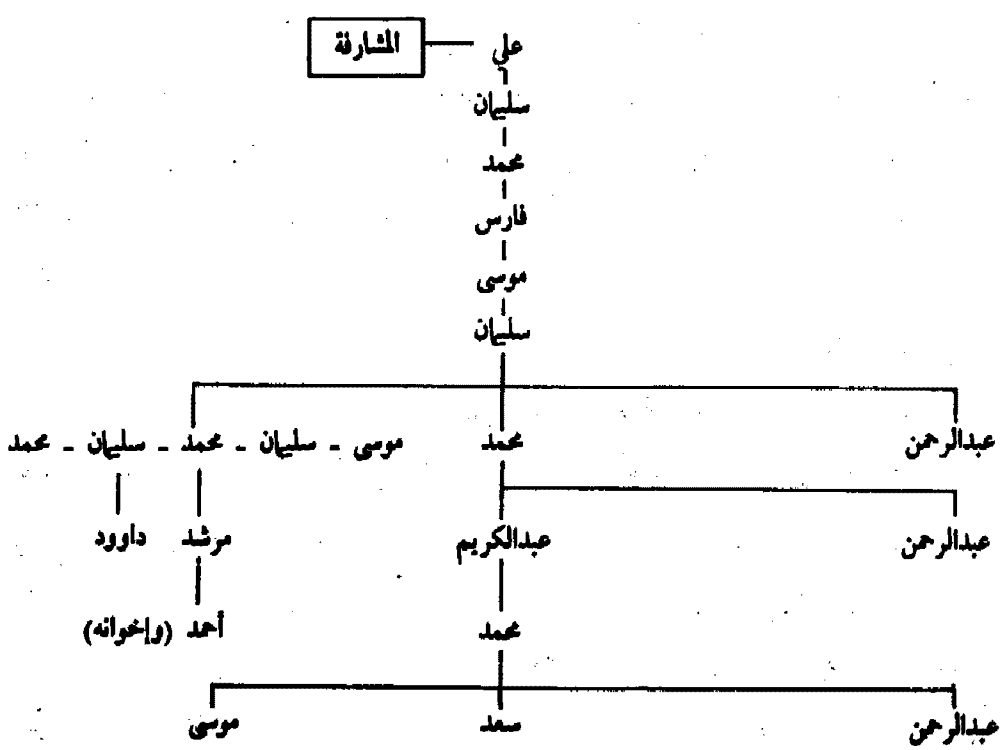
وفي سنة ١٣٥٦هـ ، اتجه عبدالرحمن بن محمد بن موسى إلى بلدة قَرْيَةَ العليا في المنطقة الشرقية ، وتبعه أخوه سعد ووالدتهما ، ثم أخوهم موسى في سنتي ١٣٥٨هـ و ١٣٥٩هـ . هذا ماكان من أمر عصبة محمد بن سليمان بن موسى .

أما عصبة موسى بن سليمان بن موسى ، فإن ابن الأخير ويدعى سليمان بن موسى ، انتقل إلى الكويت فيما بين عامي ١٢٨٠هـ و ١٢٩٠هـ ، في وقت غير معروف ، فاستقر به المقام هناك ، ورزق بولدين هما محمد وعبدالله وقد انقطع نسل عبدالله ، أما محمد فله ولدان سليمان ومرشد ولسليمان محمد وداود ، ومحمد هذا كان عضواً في مجلس الأمة الكويتي .

وأما مرشد ، فله سبعة أولاد أكبرهم سناً أحمد ، سفير دولة الكويت في قطر الآن .

«العــــرب» :

هذا ملخص ماكتب به الأخ محمد بن سعد بن محمد بن موسى ، وأرفق بذالك مشجراً يحوي سلسلة نسب المذكورين ، وأنهم يرجعون إلى المشارفة من الوهبة .



ليس الغريب غريب الشّام ....

لِمَنْ هذا النظم ؟!

قرأت في جريدة «البلاد السعودية» تاريخ ١٣ ذي الحجة ١٤١٠هـ عدد ٩٥١٧ صفحة ١٢ نظماً بعنوان (وعين الله تنظرني) موقعاً باسم عبدالمحسن العتيبي في جدة مطلعه :

إن الغريب له حقاً(؟) لغربته   على المقيمين في الأوطان والسكن

وبصرف النظر عن ركاكة هذا النظم وما وقع فيه من تحريف ، فالذي لفت نظري نسبته لصاحب التوقيع .

والذي أعرف أن في عشر الأربعين من القرن الماضي كان يفد إلى بلاد نجد من أحد الأقطار المجاورة أناس تلجئهم الحاجة إلى أن يطوفوا بالقرى ، متخذين من إنشاد بعض الأشعار بطريقة مؤثرة وسيلةً للاستجداء ، وكان مما ينشده هاؤلاء قصائد ينسبونها لعبدالرحيم البرعي وهي ملحونة ، ولا تبلغ مستوى شعره الفصيح ، ومما ينشدونه أيضاً قصيدة ميمية تنسب إلى الوعيظي ، ولعله من قبيلة الواعظات التي تعيش في تهامة اليمن ، وهي تنسب إلى قبيلة عَكٍّ ، وهذه القصيدة من بحر البسيط ، وهي طويلة أشرت إليها في مقدمة كتاب «مع الشعراء» .

ومما حفظته في الصغر مما كان يردده أؤلئك الذين كانوا يسمون (المداحين) - واحدهم مداح - لأنهم يبتدؤن أغانيهم بمدائح نبوية وتوجد إحدى الأسر بمكة المكرمة باسم (المداح) لعلها من أؤلئك - كان مما حفظته قصيدة طويلة مطلعها :

ليس الغريب غريبَ الشام واليمن   إن الغريب غريب اللحد والكفن
لا تنهرن غريباً طال غربته   والدهْرُ ينهره بالذل والمحن
دربي طويل وزادي لا يوصلني   وهمتي لم تزلْ، والموت يطلبني
ولي ذنوب عظام لست أعلمها   الله يعلمها في السر والعلن

ثم أبيات أخرى وردت في الصحيفة محرفة وأخرى لم ترد .

من هنا أردت التنبيه، ولعل الأخ الفاضل عبدالمحسن العتيبي أرسلها للصحيفة بصفتها من محفوظه لا من نظمه .

ثم اطلعت أخيراً على كتاب «لب اللباب في لطائف الحكايات» لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ، وهذا من أهل القرن السادس الهجري ، ومن مشاهير علماء تهامة اليمن ، اطلعت على القصيدة في ذالك الكتاب ـ الورقة ١٠٤ ومابعدها ـ من مخطوطة مكتبة (دير الاسكوريال) في أسبانيا ـ أوردها الأشعري غير منسوبة في تسعة وعشرين بيتاً ، بل اكتفى بقول: (وقال بعض الصالحين يرثي نفسه) ويظهر أنها من نظم أحد فقهاء أهل عصره كما يتضح هذا من ضعف أسلوبها .

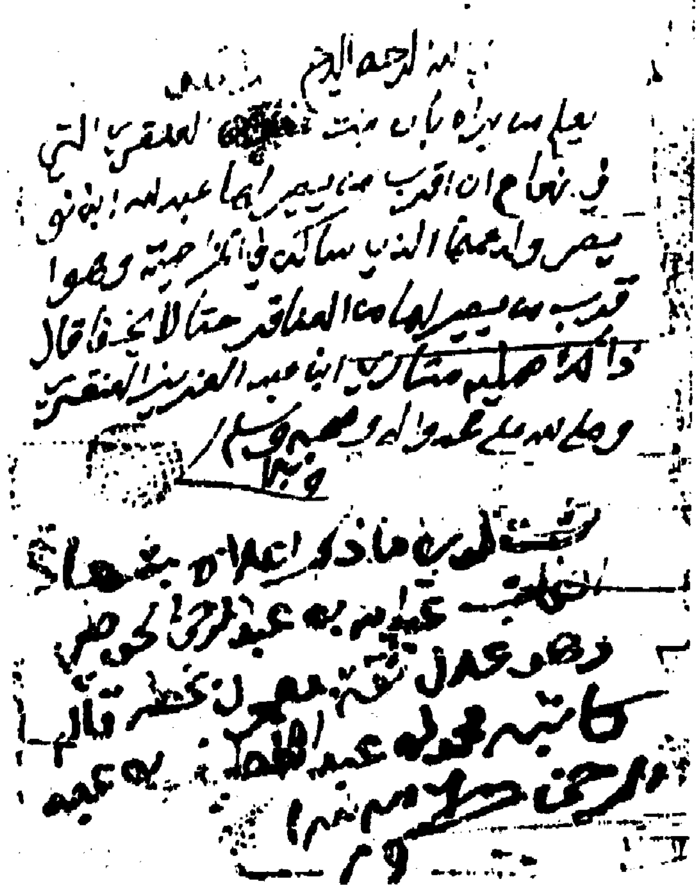
حمد الجاسر

آل نويصر من العناقر من تميم

كتب إلى «العرب» الأخ فهد بن ناصر بن عبدالله بن نويصر ، وصالح وعبدالعزيز ابنا عبدالرحمن بن عبدالله بن نويصر ، بأن أسرتهم الكريمة آل نُوَيْصر في المزاحمية بمنطقة ضرما ، لم يرد لها ذكر في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» .

وقد سقط اسم هذه الأسرة من الكتاب سهواً ، فمن المعروف أنهم من العناقر من بني سعد من تميم ، وقد قدم الإخوة وثيقة نصها ـ بعد البسملة ـ: يعلم من يراه بأن بنت راشد العنقري ، التي في نَعَام ، أن أقرب من يصير لها عبدالله بن نويصر ، ولد عمها ، الذي ساكن في المزاحمية ، وهو أقرب مَنْ يصير لها من العناقر حتى لا يخفى ، قال ذالك ممليه مشاري بن عبدالعزيز العنقري ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، سنة ١٣٠٩هـ (ختم) . وتحت هذا ما نصه : ثبت لديَّ ماذكر أعلاه بشهادة الكاتب عبدالله بن عبدالرحمن الحوطي ، وهو عدل ثقة

معمول بخطه ، قاله كاتبه محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن (٩ م سنة ١٣٣٦هـ). (ختم) .



حول الشعر العامي

أول ما عرفت الشاعر الكبير أحمد عبدالمعطي حجازي معرفةَ لقاءٍ واجتماعٍ كان يوم الاربعاء ١٦/١١/١٤٠٦هـ (٢٣/٧/١٩٨٦م) حين زرت آثار مَأرِب ، وكان قد دعي من قبل جامعة صنعاء لزيارتها ، فكان اللقاء أثناء التجول بين تلك الآثار التي منها السد ، فمعبد بلقيس ، فآثار مدينة سَلْحِين ، وكان مما كتبت عن ذالك اليوم في مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٤ : (كانت القيلولة قد اشتدت بحيث أن بعضنا وأنا أحدهم أسرع إلى الجلوس داخل السيارة ، بينما هناك من كان يسير في تلك الرمضاء المحرقة ، وقت اشتداد حرارة الشمس ، كان يسير على مهلٍ ،

ويجمع بعض الأحجار الأثرية الصغيرة ، ومن هاؤلاء السيدة سهير زوجة الأستاذ الشاعر أحمد ، لقد أعجبت بتحملها لشدة الحر ، مع أن من عاش في هذه الأجواء أو ما يشابهها لم يُطِقْ حرها ، ثم كان تناول الغداء جميعاً في فندق هناك يدعى (فندق أرض الجنتين) ، وقد تحادثنا برهة من الوقت فعلمت أن الأستاذ أحمد كان ـ إذ ذاك ـ مقيماً في فرنسا منذ عشر سنوات إثر خلاف بينه وبين الرئيس أنور السادات .

ثم بعد ذالك عاد إلى مصر ، وكان أن رأيته داخلاً دار الكتب ذاهباً إلى هيئة الكتاب التي يرأسها الأستاذ الدكتور سمير سرحان ، فتحادثنا وتواعدنا أن نلتقي ، ويظهر أن أعماله لم تمكنه من ذالك .

وكنت أثناء إقامتي في القاهرة إبَّان اجتماع مؤتمر (مجمع اللغة العربية) في شهر رجب ومابعده أتابع قراءة ما يكتب الأستاذ أحمد في جريدة «الأهرام» .

وقد اجتمعت به أثناء (مهرجان الجنادرية) منذ ثلاثة أعوام ، ومع شدة تطلعي إلى ما يكتبه إخواننا من أدباء مصر عن ذالك المهرجان إلا أنني لم أر فيها قرأت ماهو عميق الصلة به سوى بحثين كتبهما الأستاذ أحمد في جريدة «عكاظ» أحدهما في ١٥ ذي الحجة بعنوان (بين الشعر النبطي والشعر الجاهلي) والثاني بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٤١٠هـ عن (تسمية ظالمة) ويقصد إطلاق الشعر النبطي على الشعر المنظوم باللهجات البدوية الدارجة. كذا عبر الأستاذ .

والواقع أن ذالك الشعر ليس خاصًا باللهجات البدوية ، بل جل مُجِيدي هذا النوع من الشعر من الحضر كابن لعبون وابن سبيل والقاضي وغيرهم ، ومنهم الشاعر الذي استشهد ببيت من شعره وقال : إنه شاعر عنيزة عبدالرحمن الابراهيم الربيعي .

إذَنْ فالقول بأن الشعر العامي ينظم باللهجة البدوية الدارجة ليس صحيحاً بل وباللهجة الْـحَضَرِيَّةِ العامية.

ومادام لدى الأستاذ مجموعة «الأزهار الندية من أشعار البادية» فسيجد فيها

كثيراً من شعر أبناء المدن كآل القاضي ، وابن سبيل ، وابن ربيعة ، وابن لعبون وغيرهم .

كما يجد أشعاراً لبعض مشاهير أبناء البادية مثل بُدَيْوِي الوقداني ، وتركي بن حُمَيْد ، وراكان بن حثلين وغيرهم .

ولكن الذي ينبغي أن يلاحظ أن اللهجة بين أبناء البادية وأبناء المدن كانت إلى عهد قريب تقل فيها الفوارق ، وكانت أقرب إلى اللهجة الفصحى منها إلى ماعليه هذا النوع من الشعر الآن، بعد أن توحدت أجزاء المملكة ، فكثر الاختلاط بين السكان وقوى الاتصال ببعض الأقطار المجاورة مما أثَّر في جميع مظاهر الحياة في هذه البلاد ، لا في اللغة وحدها ، بل في كل نمط من أنماط الحياة .

أما إطلاق اسم الشعر النبطي على هذا النوع من النظم فأنا لا أراه منسوباً إلى الأنباط وإنما هو مشتق من (تنبط الكلام): استخرجه ، وفي رجز رؤبة :

يكفيك أثر القول وانتباطي عوار مالم ترم بالإسقاط

فالانتباط كَدُّ القريحة لنظم الشعر ، ومن تعبيرات العامة في نجد : (فلان ينبِّط ببويتات) أي إنه يُعْمِلُ قريحته فينظم أبياتاً قليلة وهو مأخوذ من : (أنبط البئر : استخرج ماءها) فكأنَّ الشاعر يكدُّ قريحته فتنبط الشعر كحافر البئر ، حين يصل إلى أرض صلبة فَيَنِزُّ منها ماءٌ قليل ، فيقال : (انبط الماء) .

قد يبدو هذا المعنى متكلفاً ، ولكنني كثيراً ماكنت اسمع قولهم : (فلان ينبط ببعض الأبيات) مع ملاحظة أن هذا النوع من النظم كان قديماً ، كما أشار الأستاذ أحمد عبدالمعطي إلى الصلة بينه وبين الشعر الجاهلي في مقاله الأول .

وفي «مقدمة ابن خلدون» نماذج كثيرة منه ، وله رأي قيم حوله .

ولكن هذا النوع من النظم تغير منذ منتصف القرن الماضي ، فبعد أن كان أقرب إلى السليقة العربية في ألفاظه ومعانيه وأهدافه ـ كما أشار إلى هذا ابن خلدون ـ أصبح أكثر الذين يعانون نظمه على درجة من السذاجة والجهل فملأوا

الصحف بالكلام الفج التافه المعنى ، وتصرف رواة الشعر القديم تصرفاً غير كثيراً من مميزاته ، فبعد أن كان مصدراً من مصادر دراسة لهجات القبائل ، إذ كل شاعر قبيلة تبدو في شعره لَـمَحَاتٌ من لهجة قبيلته ـ فأصبح الرواة يتصرفون في ذالك الشعر بلهجاتهم الخاصة ، بل إن بعضهم كان يتصرف بتغيير بعض الأبيات لتتفق في معانيها مع ميوله هو ، وحدثني بعض المشرفين على برنامج (البادية) بأنه كان يفعل هذا في بعض الأشعار لئلا تكون محلاً للنقد ، وخير له ترك تلك الأشعار ، من أن يتصرف فيها ذالك التصرف السيء .

وعلمت من آخر أنه غير كثيراً من أشعار بدويات نشرت أشعارهن في كتاب وفيها مالا يتفق مع ميول من لا يستبيح سماع الأشعار الرقيقة المتعلقة بالحب ، فأضاف إليها من نظمه ماغير معانيها .

وبالإجمال : فجلُّ هذا النظم الذي بين أيدينا مما تنشره الصحف لا ينبغي الاعتماد عليه في دراسة هذا النمط من النظم وإنما ينبغي الرجوع إلى ما سجل قبل منتصف القرن الهجري الماضي .

أما عن تسمية أحد بحوره بالهُجَيْني ، فلكون هذا البحر مما ينشد أثناء إرقال الإبل وهو الاسراع في سيرها ، وتسمى عندهم (الهجْن) ولهذا أصل في اللغة العربية ، يقال : (ناقة هجان وإبل هجان وهجائن) والهجان من الإبل : البيض وهي أكرم الابل) وهذا البحر الذي أورد الشاعر الأستاذ أحمد مثالاً منه :

يـالله يَـالْمـطْلُوب يـاعـالْمَ النيَّـهْ   سامِعْ دبيبَ النَّمِلْ قَسَّامَ الأَرْزَاقِ

يتفق في إيقاعه مع سير العنق ، ويسميه عامة أهل نجد (الدرهام) وهو أسرع أنواع سير الابل .

هذه كلمة عنت لي ، لأتخذ منها وسيلة لأحيي شاعرنا المبدع الأستاذ أحمد ولأستزيده من مثل هذه الأبحاث التي هي ـ والحق يقال ـ تُنبِيءُ عن عمق إدراك تذوق وفهم لهذا النوع من النظم مما قل أن تجد مثله بين أدبائنا وشعرائنا وكتابنا ممن يعيش خارج هذه البلاد).

حمد الجاسر

العُبَدَة من المساعيد من هُذَيل

طالعنا العدد الصادر من مجلة «العرب» في غرّة ذي الحجة من سنة ١٤١٠هـ بما كتبه الشيخ حمد الجاسر عن العُبَدَة في هذيل حيث قال : (العبدة في هذيل : ذكر الأخ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي في العرب [س ٢٥ ص ٢٣٩] العبدة : بطن من هذيل . وتحسن الإشارة هنا إلى قدم هذا البطن فقد جاء في كتاب إسماعيل بن إبراهيم بن محمد البلبيسي (٨٠٢/٧٢٨هـ) الذي جمع فيه بين كتابي ابن الأثير والرشاطي في الأنساب مانصّه : (العُبَدِيُّ ـ بضم العين وفتح الباء ـ حكي سِيْبَوَيْه : حيٌّ من عديّ يقال لهم بنو عُبَد قالوا فيه عُبَدِي ، وهم من بقايا جُرْهُم دَخَلُوا في هذيل) . انتهى) [العرب س ٢٥ ص ٤٢٦] .

قلت : العُبَدَة الذين ذكرتهم في «العرب» س ٢٥ ص ٢٣٩ نقلاً عن الذهبي الذي ذكر بعض أعلامهم في كتابه «المشتبه» ص ٤٣٥ واحدهم عبدوي لا صلة أو علاقة لهم بالعُبَدة واحدهم عُبَدِيٌّ ، وهم من جُرْهُـمَ ، ودخلوا في هذيل كما ذكره سيبويه ولعل عبدة جرهم هم بطن العبدة وهم بطن من الحسنة من دعد من هذيل ذكرهم غير واحد : قال الجاسر : (العبدة : من جميل من هذيل في الشرقة جهة الْهَدَة وفي الحزم ، وسلاسل في سراة الطائف) «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ج ٢ ص ٤٤٣].

وقال الحتيرشي الهذلي : (ومن الحسنة من دَعْدٍ : العبدة : منهم من يسكن الشفا ، ومنهم من حالف قبيلة حرب) وقال : (العبدة: قال الشيخ خبيط الندوي : هم من الحسنة من دعد من هذيل ، تركوا ديار دعد من زمن قديم ويسكنون الآن الحزم وسلاسل) [العرب س ١٨ ص ١٠٨٨] وقال البلادي : (العبدة بطن من هذيل يسكن الشرقة شمال هدأة الطائف ، ولهم هناك قرية باسمهم ، مجاورين طُوَيْرِقاً من ثقيف ، وينضمون إلى جميل في تقسيم هذيل ، ويقول عائش الدعدي : إنهم من دعد خاصة ، ومنهم فرع في بحرة مع بني جابر

لازال يعترف بأصله ومن فروعهم :

١ ــ آل إبراهيم . ٢ ــ وآل جبارة .
٣ ــ وآل حامد . ٤ ــ وآل حسن . ٥ ــ وآل معيش .

[«معجم قبائل الحجاز» ط ٢ ص ٣٠٩]. هؤلاء هم العبدة الذين قد يكونون بقية العبدة من جرهم الذين دخلوا في هذيل والله تعالى أعلم .

أما العبدة واحدهم عبدوي وهم مدار بحثنا فإنهم بطن من المساعيد من هذيل ، وهم بنو عبدَوَيْه بن سدوس بن علي بن عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عُتْبَةَ بن مسعود الهذلي ذكرهم غير واحد قال ابن القيسراني (ت : ٥٠٧هـ) في كتابه «الأنساب المتفقة» ص ١٠٤ : (أحمد بن إبراهيم بن سدوس العبدوي من ولد عتبة بن مسعود» وجاء في تاريخ بغداد مجلد ١١ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ذكر عمر بن أحمد بن عبدويه بن سدوس بن علي بن عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أبو حازم الهذلي العبدوي الأعرج من أهل نيسابور) (ت ٤١٧هـ) وذكر السمعاني (ت : ٥٦٢هـ) بعضاً من أعلامهم ومنهم .

١ ــ أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن علي بن عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود العبدوي الهذلي ذكره الحاكم أبو عبدالله الحافظ وقال : أبو حازم بن الحسن العبدوي ابن أخي شيخنا أبي عبدالله العبدوي .

٢ ــ وأبوه أبو الحسن أحمد بن إبراهيم العبدوي أخو أبي عبدالله العبدوي وكان عارفاً (ت : ٣٨٥هـ) .

٣ ــ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عَبْدَوَيْه بن سدوس بن علي بن عبدالله ابن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود العبدوي الهذلي (توفي شهيداً سنة ٣٢٣هـ) «الأنساب» ج ٨ ص ٣٥٤ و ٣٥٥] وفي كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب» ذكر ابن الأثير (ت ٦٣هـ) أبا عبدالله محمد بن إبراهيم وساق نسبه كما ذكر أبو حازم عمر بن أحمد [«اللباب» ج ٢ ص ١١٣]. وفي كتاب «البداية

والنهاية» ج ١٢ ص ٢٣ ذكر ابن كثير أبا حازم العبدوي الهذلي وكذلك أشار إلى هؤلاء الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي في حاشيته على كتاب «الاكمال» لابن ماكولا ج ٦ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ وغير هؤلاء من علماء النسب هذا عن العبدة بنو عبدويه بن سدوس بن علي بن عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود العبدوي المسعودي الهذلي . ومما فاتني ذكره وتجدر الإشارة إليه مايلي :

* آل أبي فردة : هم بطن من هذيل قال ابن سعد «آل أبي فردة من هذيل» [«الطبقات الكبرى» مجلد ٨ ص ٣٥١].

* آل عجرة من بني لحيان بن هذيل : وهم بطن من لحيان [«العرب» س ٢٣ ص ٢٣٠] ومما فاتنا ذكره عنهم هناك إن منهم سلمى بنت عمرو بن يعمر ابن عجرة من هذيل زوجة أبي سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة الأوسي ، وأم ابنَتيه مريم [وعلى قول عائشة] وليلى «الطبقات الكبرى» مجلد ٨ ص ٣٤٧].

* بنو عمير من هذيل : وهم بطن من هذيل [العرب س ٢٣ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ و ٢١٨] ومما فاتنا ذكره أنهم كانوا مقدمي هذيل في عهد ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) الذي قال في كتابه «المشترك» (رسم الخيف) : (خيف بني عمير بوادي نخلة من أعمال مكة بنخلة فيها قلعة وعين سارحة ونخل وأهله مقدمو هذيل في عصرنا).

قلت : ومن ديارهم بهذه النواحي وادي الزِّبارة ، ولهم فيه قرى ويعرف بوادي بني عمير . نسبةً إليهم ، ومن فروعهم على ماذكره الحتيرشي [«العرب» س ١٨ ص ١٠٧٧] البطون التالية :

١ ـ ذوو حسين . ٢ ـ ذوو جبر . ٣ ـ ذوو عبدالله .

٤ ـ ذوو صالح . ٥ ـ ذوو عادي . ،

هذا ما جادت به القريحة مما توفر من معلومات .

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي

آل سحمان من قبيلة خثعم

كتب إلى «العرب» الأخ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سحمان ، منبهاً إلى خطإ وقع في كتابي «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي ، و «علماء نجد خلال ستة قرون» للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، فقد جاء في الكتاب الأول في ترجمة العالم الجليل الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٨ - ١٣٤٩هـ) مانصه : سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي **الدوسري بالولاء** .

وجاء في الكتاب الثاني : هو العالم المصنف واللسان المدافع عن الدعوة السلفية سليمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن مالك بن عامر **الخثعمي ، مولاهم** ، التبالي العسيري أصلاً ومولدا ، النجدي منشأ ومستقراً .

وقد أوضح الشيخ عبدالرحمن ، بما لا يقبل الشك أن آل سحمان من قبيلة خثعم ، صَلِيْبَةً لَا وَلَاءًا ، وأورد نصوصاً تؤيد هذا منها : قول الشيخ سليمان - رحمه الله - عن نسبه فقال :

سليمان سحمان، وسحمان مصلح ومصلح حمدان، وحمدان مُسْفِرُ
أولئك أَجْدَادي سلالةُ عامر إلى خَثْعَمٍ يُعْزَى، وبالخير يذكر

ومنها أن الشيخ صالح بن الشيخ سليمان نقل سلسلة النسب على هذا النحو : سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الْفَزَعِيُّ الخثعمي ، فهو من فرع الْفَزَع ، الْفَرْعُ المشهور في خثعم ، وأشار الشيخ عبدالرحمن إلى أن الزركلي في «الأعلام» أحال إلى كتاب «تذكرة أولي النهي والعرفان» وإلى جريدة «أم القرى» الصادرة بتاريخ ١٣٤٩/٢/٢٩هـ .

وبالرجوع إلى هذين المصدرين اتضح عدم ورود كلمة (الدوسري بالولاء) في واحد منهما أما الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، فقد كتب إلى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سحمان كتاباً مؤرخاً في ١٤٠٨/١٢/٤هـ ، جاء فيه : (من ألف فقد استهدف ، إذ الكمال لله تعالى ، والمثل الثاني يقول : وما آفة الأخبار إلا رواتها ، والله ماقلت إلا ماورويت ، والحمد لله أنني لم أنقل كُلَّ

ماقيل ، وإنما اقتصرت على لفظة صغيرة) ثم ذكر أنه عازم ومصمم على تعديل الخطإ في الطبعة الثانية إن شاء الله .

ومما جاء في كتاب الشيخ عبدالرحمن أن والدة الشيخ سليمان ـ رحمه الله ـ من مُغَيْدٍ القبيلة المعروفة ، وهو أخ لفايع بن يحيى بن عيسى التهامي ، وآل تَمّام من مُغَيْدٍ، أخ له من أمه وفايع المذكور تنسب إليه الأسرة الموجودة الآن بأبها.

هذا خلاصة ماكتب به الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سحمان .

وقد اطلعنا على ترجمة مطولة للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ في أحد المؤلفات نقتطف منها مايلي :

ولد سليمان بن سحمان عام ١٢٦٦هـ ، في بلدة آل تمام (القدة) جنوب شرقي (السقا) بناحية أبها بعسير . وكان أبوهُ سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر بن محمد بن صالح بن عبدالله من آل عامر أحد بطون قبيلة الْفَزَع ، وليس من قبيلة بني عامر النخعية ببيشة . وكانت قبيلته تقطن (تَبَالة) ثم (بِيْشَة) وسحمان أحد قادة عائض بن مرعي ، كما كان من قبل من قادة علي بن مجثل ، ويرابط في (تبالة) وتمكن من اقتحام الطائف بعد معركة (جلدان) التي انتصر فيها على الأتراك ، وذالك في نهاية عام ١٢٦٢هـ ، وكان هدف ذالك الضغط على الأتراك كي يتركوا جهات (المخا) في تهامة ، حيث كانت هناك قوة لعائض بن مرعي ، بإمرة صالح بن عبدالملك الطاهري أميره على (اللحية) وقد تم الغرض من دخول الطائف ، إذ رحل الأتراك من جهات (المخا) ، واتجهوا إلى الحجاز للدفاع عنه ، وعندها أمر عائض بن مرعي قائده بمغادرة الطائف ، والمرابطة في (تبالة) خوفاً من مجيء الأتراك عن طريق وادي الدواسر واحتلال (بيشة) ثم استقدمه إلى أبها ليكون أميناً على بيت المال هناك بعد الحفظي ، وليعمل أيضاً في الإرشاد والوعظ ، وتدريس الدين ، واستخلف مكانه في (تبالة) أخاه (مسفر بن مصلح) الذي قاد حملة ذهبت مدداً لأحمد بن ضبعان في وادي الدواسر ، والأفلاج ، والقصيم نجدة للسكان حينما ضايقهم الترك بجمع المال ، وتسخير الإبل ، وحيث ضمت الأفلاج ووادي الدواسر إلى عسير ، بقي فيها حتى

مات عام ١٢٤٩هـ ، وأثناء إقامة القائد سحمان في أبها ، ولد ابنه الشاعر سليمان ، ولم يكد يدرك الشاعر مرابع صباه حتى سار مع والده وأخيه محمد إلى نجد ، وبقي أخوه عبدالكريم في عسير في قرية (العكاس) وقد توفي عن ابنه محمد الذي خلف سعيداً .

وفي عام ١٢٧٢هـ استأذن الشيخ سحمان عائضاً للسفر إلى نجد مع القوة التي بعثها للأفلاج للالتقاء بأحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب للإفادة منهم ، وفي الوقت نفسه طلب الإمام فيصل بن تركي من عائض بن مرعي قوة لقتال الأتراك الذين ضايقوه في نجد ، فأرسل له عائض بن مرعي حملة بقيادة زيد بن شفلوت مع قبائل قحطان ومشايخها ، وكان الشيخ سحمان مرشداً لتلك الحملة وقاضياً لها ، وقد جعل في خدمته الحديدي ورفاقه ، وبذا حقق الشيخ سحمان رغبته أيضاً إذ كان يود ملازمة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ عالم نجد وفقيهها . سار سحمان مع هذه القوة ، ودعمت فيصلاً ، وبعد مدة لحقت به أسرته ، وبقي سحمان بجوار فيصل حتى توفي الثاني منهما فاضطربت أوضاع نجد من بعده ، فانتقل سحمان إلى (العمار) في منطقة الأفلاج ، وكانت منيته هناك ، وعاد ابنه سليمان إلى الرياض ، ولازم عبدالله بن فيصل ، وارتحل معه إلى حائل أيام محمد بن عبدالله بن رشيد ، ورجع معه إلى الرياض حتى ضعفت سلطة آل سعود ، وسيطر على نجد آل رشيد ، فانتقل سليمان بن سحمان عندها إلى (العمار) وكان أخوه محمد قد بقي فيها للتدريس ، وله ذرية فيهم فضل وعلم .

ودخل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل ، الرياض عام ١٣١٩هـ ، وظهرت قوته ، فانتقل إليها الشاعر سليمان بن سحمان ولازمه ، واشترك معه في كثير من المعارك ضد ابن رشيد وفي بعض مراحل الراحة تذكر الشاعر مغاني صباه، ومرابع حياته الأولى، وأخواله وأقرباءه ، وأحباءه ، فنظم قصيدة طويلة تقرب من مئتي بيت ، ذكر فيها انتصارات الملك عبدالعزيز ، ومواقعه مع خصومه ، وكان الشاعر مشاركاً فيها ، وذكر حنينه وشوقه إلى مرتعه الأول ، وتساءل عن أولاد الأمير محمد بن عائض ، ووضعهم مع الأتراك ، والحياة التي

يعيشونها، وبعث بهذه القصيدة إلى عبدالحميد بن سالم الدوسري ، إذ أنهما أبناء خالة ، أمهما من آل مريح من أهل (المسراب) من قرى آل تمام بالسقا ، أحد بطون قبيلة آل مغيد ، فكانت هذه القصيدة سجلاً تاريخياً لما فيها من ذكر لبعض الوقائع ، وتمتاز بالسهولة والاستطراد في المعنى والبعد عن التكلف . وأرسلها عام ١٣٢٥هـ .

ثم أورد القصيدة في (١٩٧) بيتاً ومطلعها :

فتوح التهاني والبشائر بالنصر   تلألأ منها ساطع العز والبشر

آل حسين وآل مرشد

حظي كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» بعناية لم تتهيأ لكثير من كتب الأنساب الأخرى ، فملاحظات القراء وتصحيحاتهم كانت تنشر في مجلة «العرب» ليطلع عليها بقية القراء .

وكنت بعد صدور الطبعة الثانية منه كتبت في «العرب» - ٥٦٩/٢٤ - (تصحيحات وإضافات) ثم ظهرت لي ملاحظات أخرى - ٢٨٢/٢٥ -.

ولأن شيخنا لايزال يطمع في المزيد من ملاحظات القراء رأيت تدوين ملاحظات أخرى تصحح ماورد في الطبعة الأخيرة وتوضح بعض ما أثاره أحد القراء : -

١ - جاء في (ص ١٤٠): أن سكان الحوطة هم آل حسين وآل مرشد أبناء محمد بن سعيد بن مانع من المزاريع من تميم .

وجاء في (ص ٢٨٥): أن آل مرشد من آل حماد من بني العنبر من تميم .

والمعروف أن آل حسين وآل مرشد ليسوا من المزاريع ولا من بني العنبر لأن أبناء مزروع أربعة : راجح وسعيد وهلال وسليمان ، كما ذكر ابن لعبون وابن بشر وغيرهما .

وأن آل حسين وآل مرشد من ذرية محمد بن سعود بن عثمان من آل حماد من

بني عمرو بن تميم . قال الأمير تركي بن ماضي في «تاريخ آل ماضي» - ١٧ -: وفي سنة ١٢٨٥هـ ورد من رؤساء بني تميم أهل الحوطة كتاب للجد تركي بن فوزان بن ماضي يسألونه عن نسبهم فكتب لهم : . . . ومن قبل جدكم فهو محمد بن سعود الملقب هميلان . . . وجدنا يا آل ماضي وجدكم وجد أهل عشيرة وجد أهل الجبل هاؤلاء من ذرية حماد بن الحارث بن عمرو الندى . . من ذرية عبدالله بن المنذر الذي قتل في وقعة الحديقة في مسير خالد على اليمامة . . ومنها المنظومة التي جاءتكم . . . قول عبدالعزيز بن ماضي :

ترى فرعهم ياذا: (حسين) و(مرشد) كرام اللحى عند اختلاف القبايل
كذا مرشد اخا حميد وحارث والأصل: (حماد) لكل الحمايل

انتهى ص ١٧ ، وجاء في ورقتي الشيخ عبدالله بن زاحم التي نقلتموها في كتاب «الجمهرة» (ص ٨١٤): وأهل حوطة بني تميم القصيا والمناعات أهل عشيرة ، كل هاؤلاء هم والمزاريع من بني عمرو بن تميم ، إلا آل أبو حسين وآل رشيد من بني العنبر بن عمرو بن تميم والنواصر ولفيفهم والمزاريع من بني الحارث - الحبط - بن عمرو بن تميم والحبط أخو العنبر . انتهى ، وعلى هذا فإن تفريع آل حسين (ص ١٤٠) تنقصه الدقة ، والصحيح أن آل حسين خمسة فروع هي :

١ ـ محمد : جد آل نَصِيِّه والشّياتا - واحدهم شيتي -.
٢ ـ راشد : جد آل صفيف وآل حويل والضُّمَيِّدَة والعظم وآل منصور ومنهم قاب الحمار .
٣ ـ رشود : جد آل شريم .
٤ ـ عبدالله : جد آل بيطارة ، وآل ناصر في الكويت .
٥ ـ سعود : له ستة أولاد .

أ ـ حمد : جد الحكاما ومنهم الأستاذ نبيل بن عبدالله آل حسين ، وجد آل ولّاد وآل كليفيخ .
ب ـ حسين : جد القروش والرمادي وأبو حليقة .
جـ ـ محمد : جد الحربي وهذا لقب له فقط .

د ـ زيد : جد العوجان وآل موتان وآل أبو ضَمِيْدة .
هـ ـ مرشد : جد آل فرحان والهررة وآل حسين ومنهم أبو شيبة .
و ـ إبراهيم : جد آل مياح وآل منحوف والرزاقا وآل أبو بطين وآل محيميد وآل فهيد وآل أبو علي .

أما مرشد بن محمد بن سعود فهم تسعة فروع هي :

١ ـ عثمان : جد آل عثمان .
٢ ـ إبراهيم : جد آل (أبو ضب) وأبناء عمهم .
٣ ـ حمد : جد آل رقيب .
٤ ـ أحمد : جد آل عميقان .
٥ ـ سعود : جد آل خشيبان وآل رويغان .
٦ ـ علي : جد آل ابن رشيد ومنهم (أبا التيوس) .
٧ ـ محمد : جد الصواتا - واحدهم صويتي - وآل فواز وآل مرشد .
٨ ـ زيد : جد المتواسين وآل وحير وآل (أبو عبدالله) .
٩ ـ رشود : وله ولدان :

أ ـ آل موسى : وهم آل رشود ، وآل سعود ، وآل فواز ، وآل فهيد ، وآل محمد ، والزمايمة ، وآل حييلان - بالتصغير -.
ب ـ مَرْشَد : وهو جد آل مبارك ، ومنهم الوسواس والـحَبَارَى وآل مريفق .

وهناك آل مرشد بن علي بن محمد بن سعود وهم : الصناقرة وآل قريد .

ومادمنا قد تحدثنا عن آل حسين وآل مرشد في حوطة بني تميم فسأذكر أبناء عمهم القريبين في القويع والحلوة وهم من ذرية مرشد بن ربيعة بن عثمان بن مانع من بني الحارث بن عمرو بن تميم وأبناء مرشد هذا خمسة وهم :

(١) عمر وبنوه في القويع وهم :
أ ـ آل عون ومنهم آل مهنا أمراء القويع .
ب ـ آل أبو حاضر .

جـ ــ آل مبارك .
د ــ آل قريع .

(٢) شامان وبنوه يسكنون في الحلوة وهم :
أ ــ آل خريف وهم أمراء الحلوة .
ب ــ آل معدي ومنهم آل جحيش .
جـ ــ آل مشاري .

(٣) آل عبدالله في الحلوة نسبة إلى أبيهم عبدالله بن مرشد .

(٤) علي وهو جد : آل مسلم في الحلوة ومنهم آل جغيمان .

(٥) عثمان وأبناؤه : آل مفرّج وآل درويش في الشرقية .

الرياض: عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

مخطوطة من تاريخ المنقور

مع عدم أهمية ما يحويه تاريخ حمد بن محمد المنقور من معلومات جلها ـ إن لم تكن كلها ـ وردت في سوابق «عنوان المجد» إلا أنه وجد عناية من معالي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر ، فقام بنشره نشراً علمياً دقيقاً ، وقد كتب إلى «العرب» الأستاذ محمد بن عبدالله الحمدان ـ صاحب مكتبة قيس في الرياض ـ يصف مخطوطة من هذا التاريخ اطلع عليها ، وهاهو ملخص ماذكر عنها :

هذه المخطوطة مختصرة جدًّا وأقل بكثير من اللتين حققهما الدكتور عبدالعزيز الخويطر حيث أنها في أربع صفحات ونصف فقط ، ولكن بها شيء جديد لم يرد في الكتاب المطبوع ، وبالذات أكثر من نصف صفحة من أولها ، فالكتاب المحقق يبدأ من نصف حادثة من سنة أربع وأربعين وألف الهجرة (١٠٤٤هـ) وأوله : وقتل فيها محمد بن عثمان . بينما المخطوطة تبدأ من سنة إحدى عشرة وألف (١٠١١) وفيها كما اسلفت نقص ، ولكن فيها زيادات وتصحيح لبعض الكلمات مثل : حوادث سنة (١٠٤٥هـ): (وفيها ـ ١٠٤٥ ـ مناخ آل عسّاف من الظفير وآل زهمو ..) علق عليها المحقق في الهامش بقوله (مطموسة في ب) وفراغ

بعدها ، علق عليه بقوله (مكانها ممزق في الأصل ويتسع لكلمة وهذا هو بدء النسخة أ) .

وتبين هذه المخطوطة كل ذالك ، وهذا نص ماجاء فيها : (وفي سنة أربع وأربعين وألف باق بكر ولد علي باشا الحساء في (أبوه) ، وفيها قتل محمد بن عثمان بن عبدالرحمن راعي القارة ، وفي سنة خمس وأربعين وألف مناخ آل عساف وابن زُهْمُول على الجبيلة) .

وكما زادت هذه المخطوطة من أولها فقد نقصت من آخرها حيث انتهت في سنة (١١٠١) للهجرة بينما انتهت النسخة المطبوعة في سنة (١١٢٣) هجرية .

الرياض : محمد بن عبدالله الحمدان

الهزمة والهزمية

أنْحَى الأخُ حسين بن سعد من طلبة كلية الآداب (جامعة الملك سعود) في الرياض على ماجاء في كتابه ـ أنْحَى باللائِمة على هاؤلاء الذين ألَّفُوا مؤلفاتٍ كثيرة عن جغرافية بلادنا ، ولكن الباحث ـ كما يقول الأخ ـ: عندما يرجع إلى تلك المؤلفات لايجد فيها بغيته ، ومَثَّلَ لذالك بأنه حين قرأ في الصحف نبأ اكتشاف وزارة النفط (البترول) بئر الْهَزْمِيَّةِ التي تقع جنوب الرياض بحوالي مئتي كيل ، بحث عن هذا الاسم (الهزمية) في المؤلفات الجغرافية القديمة والحديثة ، ولكنه لم يهتد إلى تحديد المكان .

لقد وجد في أحد الكتب القديمة أنَّ (الْهَزْمَةَ) بلدةٌ في قَرْقَرَى ، ولكنه حين رجع إلى المؤلفات الحديثة ليعرفَ موقع قَرْقَرَى وجد من بينها من يُحَدِّدُ هذا الموقع بأنه الأرض المنبسطة الواسعة ، الممتدة غرب جبال العارض أي المنطقة المعروفة الآن باسم (الْبَطِيْن) التي تنتشر فيها قرى ضَرَما ورغبة والبرَّة . ولكنه قرأ في أحد المؤلفات الحديثة أنَّ الهزمة منبسطٌ من الأرض شمال الأفلاج غَرْبِيَّهُ ، تتجمع فيه سيول تلك المنطقة وشعابها التي حولها ، وتسمى الآن الهزمية ـ «معجم اليمامة» ٢/٤٦٠ ـ ، ثم ساق في هذا الكتاب ماورد عن الهمداني من أنَّ قَرْقَرَى من

اليمامة ، والهزمة وفيها اليوم بنو شهاب بن ظالم من نمير ، كما ساق قول الهجري : الهزميُّ منسوب إلى قرية من اليمامة لبني نُمَيْر . فأصبح أمام الباحث ـ كما يقول الأخ الكاتب ـ لتحديد هذا الموقع : ـ

١ ــ أنه في قَرْقَرى . ٢ ــ أنه شمال الأفلاج غَرْبَهُ

ومع التباعد بين التحدِيْدَيْنِ إلَّا أنَّ الشواهد هِـيَ هِـيَ ، مما يدلُّ على أنَّ الموضعَ واحِدٌ ـ كذا قال : ـ

لَا أُرِيد الاسْتِرْسَال بذكر ماكتب به الأخ السائل ، ولكنني أُوْجِزُ له الجوابَ عما رغب تحديده ، موضحاً أُمُوْراً : ـ

أوْلُها : أنَّ اسم الهزمة يطلق على موضعين اثنين في بلادنا ، وليس موضعاً واحداً ، وهذا ليس بغريب فالهزمة لغة : مُؤَنَّثُ الْهَزْمِ وهو ما اطْمَأَنَّ من الأرض .

وعلى هذا فهو في الأصْل وصفٌ أصبح عَلَـماً ، وكثير من الأوصاف تسمى بها المواضع فتكثر .

أما ما أشار إليه السائل الكريم من الارتباط بين اللُّهْزُوْم والْهَزْمة واستدل على ذالك بما ورد في كتاب «معجم اليمامة» ـ ٢/ ٣١٨ ـ فليس هذا واضحاً ، فاللهزوم من (لَهْزَمَ) والهزمة من (هَزَمَ) وَفَرْقٌ بين الكلمتين ، قد يقال : إن اللُّهْزُوْم محرف عن الهزوم جمع هَزْمٍ ، وهذا أمر آخر ولكنه بحاجة إلى دراسة ، إذ مدلول كلمة (اللهزوم) عند المعاصرين يُضَادّ كلمة (الهُزُوْم) .

ثانيها : الهزمة بلدة ذكرها الهجري عرضاً إذ روى عن شيخ من أهلها فقال : حدثني الهزمِـيُّ وسألته عن ذِي بَهْدَى ، فقال : هو في سَنَدِ العارِضِ ، مُنْجِدٌ في مقناة العارض ، بأسفل الْوَشْـمِ ، مَطْلِعِيًّا من بلاد امرئ القيس بن زيد مناة ، وبه القرى والمحارثِ ، والْهَزْمِـيُّ منسوب إلى قرية من اليمامة لبني نُمَيْر . ـ «التعليقات والنوادر» ٤٢٥ المخطوطة المصرية و «أبو علي الهجري» ٣٨٨ ـ وهذا يدل على أن البلدة كانت في عهد الهجري معروفة ، كما ذكرها الهمداني وهو

معاصر للهجري في أول القرن الرابع الهجري فقال : قَرْقَرَى من اليمامة ، والهزمة ، وفيها اليوم بنو شهاب بن ظالم من بني نُمَير ، والدُّخول ناحية الهزمة ، وقَرْقَرَى وتُوْضِحُ ـ «صفة جزيرة العرب» ٣١٠ ط دار اليمامة ـ وقال أيضاً : ومن ميامين أَوْدِيَةِ اليمامة : نَسَاحَ وَمِلْك ولِـحَا والْعِرْض ، في كلها قرى ميتة وحية ، ومن فِرَاعِها قَرْقَرَى والْهَزْمَةُ والنِّهـيُ والسِّبَاعَةُ والْـمَحْضَةُ وقراها والْبَرِّتَيْنْ ، والديار كلها رَبَعِيَّة ، وهي بين بطن قُفِّ العارض وبين رملة الْوَرِكَة ـ المصدر ٢٨٣ ـ.

إِذَنْ الهزمة هذه واقعة بين قُفِّ العارض وبين رملة الوركة ، ورملة الوركة هذه هي مايعرف الآن باسم (نفود قنيفذة) ، إِذْ قبل هذا النفود صفراء (قُفُّ) يعرف الآن باسم (الْـمِيْركة) حرفت كلمة (الوركة) ونُقِلَتْ من الرملة إلى الأرض المجاورة لها .

وقال صاحب «معجم البلدان»: والهزمة من قرى قَرْقَرَى باليمامة ، ويروى بفتح الزاي ، وقال في قَرْقَرَى : إِذَا خرج الخارج من وَشْـم اليمامة يريد مهبَّ الجنوب ، وجعل العارضَ شمالاً فإنه يعلو أَرْضاً تسمى قَرْقَرَى ، فيها قُرًى وزروع ونخيل كثيرة ، ومن قراها : الهزمة ، فيها ناس من بني قريش ، وبني قيس بن ثعلبة ، وقَرَما والْـجِوَاءُ والأَطْوَاءُ وتوضح ، وعلى قَرْقَرَى يَـمُرُّ قاصِدُ اليمامة من البصرة ، يدخل مَرْأَةَ قَرْية الْـمَرَئِي الشاعر ينسب إليها ، وفي قَرْقَرَى أربعة حصون : حصنٌ لِكِنْدَةَ ، وحصن لتميم ، وحصنان لثقيف ، قال ذالك كله أبو عبيدالله السكوني . انتهى .

وعلى ماتقدم فالبلدة المشهورة في أول القرن الرابع الهجري كانت في منطقة قَرْقَرَى التي درس كثير من قراها سوى (قرماء) المعروفة الآن باسم (ضرما) والبرة وغيرهما ، ووقوع الهزمة البلدة المذكورة كما تدلُّ النصوص القديمة في هذا المكان مما لاشك فيه ، ولا يحتاج إلى إيضاح ، ولكن تلك البلدة قد زالت فَجُهِلَ مَوْقِعُها .

ثالثها : الهزمة أيضاً مكان كان تجتمع فيه مياه الأمطار ، شمال منطقة الأفلاج ، وليس غربها كما ورد في بعض المؤلفات ، وهذا المكان هو الذي ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٢٩٥ ـ بقوله : الهزمة غَدِيْرٌ ماءٍ يرده المتجه

من الأفلاج على البياض ، ثم الْـحَيْفانة ، ثم انحدر في حوجان في طريقه على الثُدَيَّيْن وكِبِد ـ كِبِد البياض ـ قارة سوداء مشرفة .

الهزمة التي ذكر الهمداني واقعةٌ فيما يعرف باسم البياض في غربيّه ، والثُّدَيَّانِ لايزالان معروفين باسم النُّهَيْدَيْنِ ، وكَبِدِ البياض تدعى الآن (اكْباد) قال فيها الشاعر العامي :

شَوْف الْـخُزَيْزَة هِـيْ وَخَدٌ وَرَا اكْبَاد أحبّ عِنْـدِي مِنْ مقَـابَـلْ غَصِيْبَـهْ

هذا بيت أملاه علي الشيخ سعود بن رشود قاضي الرياض ـ رحمه الله ـ في ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ ، ولعل الذاكرة خانتني ببعض ألفاظه .

وهذه الهزمة تعرف الآن باسم (الْهَزْمِيَّة) وهي كما وصف الهمداني مكان تجتمع فيه السيول حتى اسْتَرَاضَ أصبح روضةً واقعة في غرب البياض شمال الأفلاج بـ (٧٥) كيلاً بعد أن يجتاز المُتَّجِه إلى الشمال جَسْرَ وادِي شِطَاب بنحو ثلاثين كيلاً ، وتبعد عن حوطة بني تميم جنوباً بإحدى وثمانين كيلاً ، وقد أُحْدِثَ في تلك الروضة في العهد الأخير آبَارٌ ارتوازيةٌ قامتْ عليها زراعة قوية .

ومما تقدم يتضح التغاير بين الموضعين ، وبُعْدُ أَحَدِهِما عن الآخَرِ ، فالأولُ غرب سلسلة جبال العارض ، والثاني شرق تلك السلسلة ، أي إن أرض قَرْقَرَى التي تقع فيها الْهَزْمَة البلدة القديمة التي درست هي في منطقة واقعة بين خَطَّـي الطول ٠٠/٤٦° و ١٥/٤٦° وخطي العرض ١٥/٢٤° و ٠٠/٢٥°.

بينما الهزمة المعروفة الآن باسم (الهزمية) واقعة بقرب خَطّي الطول : ٥٨/٤٦° وخط العرض : ٥٥/٢٢°.

وماكنتُ أَوَدُّ من الأخ الكريم أن يَغْلُوَ ويشتد في عتاب هاؤلاء الإخوة الذين أَمَدُّوه بما استطاعوا إمداده به من أبحاث جغرافية تتعلق ببلادنا ، وهم يعترفون بأن ماقدموا ليس وافياً ولا كاملاً ولا خالياً من النقص ، ولكنه هو ما استطاعوا تقديمه ، وهم معترفون أيضاً بتقصيرهم ، وأنهم بحاجة إلى من يُمِدُّهُـمْ بما لديه من معلومات تبرز عملهم بصورة أكثر فائدة وأعم نفعاً ، ومن أجدر بذالك من

هاؤلاء الإخوة الذين هيأ الله لهم من مختلف الوسائل ما مكنهم من مواصلة دراساتهم على أحدث المناهج ، ومن أيسر السبل ، في هذه الجامعات المتعددة الفروع ، وأَجْدِرْ بهاؤلاء الإخوة أَنْ يتجهوا لدراسة هذه الموضوعات التي يطرقونها ، وأن يبرزوا من أعمالهم خيراً مما بين أيدينا مما استطاع من سبقهم أَنْ يُمَهِّدَ لهم السبل به ، وأن يضع علامات الطريق لسيرهم وهذا أَجْدَى وَأَوْلَى من توجيه اللوم لِأولئك .

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبًا لِأَبِيْكُم   مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِيْ سَدُّوْا

حمد الجاسر

نسب الأسرة السعودية الكريمة

قرأت في جريدة «الندوة» الغراء (تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٤١٠هـ - ع ٩٥٦٨ الصفحة السابعة) كلمة بعنوان (من هم آل سعود ؟) جاء فيها : أن النسابين الثقات يقفون في نسب آل سعود عند مانع المريدي من الدروع ، بطن من بني حنيفة .

وبعد كلام عند انتقال مانع من بلد الدروع شرق الجزيرة إلى وادي حنيفة واستقلاله بإمارة الدرعية ، وسرد تناسل ذريته إلى سعود ، جد الأسرة السعودية الذي ينسبون إليه ، قال الكاتب : (هذا هو نسب آل سعود نقلناه عن النسابين الثقات والمؤرخين ، ومنهم مؤرخ الدولة السعودية عثمان بن بشر) ثم إضافة هذا نصها : (ولكن الأرجح الموثق هو أن آل سعود من العدنانيين ، وبناء على هذا الترجيح الموثق أوصل فؤاد حمزة النسب في تتابع حققه علميًا إلى معد بن عدنان) ثم سياق نسب الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مانع ، في أربعة عشر رجلًا ، ثم سياق أسماء من المسيب أبي مانع إلى عدنان في تسعة وعشرين أباً .

والواقع أن سرد تلك الأسماء من المسيب إلى همام لا يقوم على أساس صحيح ، فمانع كما هو معروف عند مؤرخي نجد عاش في القرن التاسع الهجري ، وهمام بن مرة عاش في العهد الجاهلي ، والآباء بين مانع وهمام عددهم أحد عشر رجلًا وهم : المسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن

غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث بن سعد .

وقد نص علماء التاريخ كابن خلدون وغيره على أن لكل قرن ثلاثة أجيال ، وعلى هذا الأساس فينبغي أن يكون عدد الأسماء أكثر من ثلاثين اسماً ، إذ بين مانع وهمام أكثر من عشرة قرون .

ولعل أول من وضع هذه الأسماء راشد بن علي بن جُريس ، في كتابه «مثير الوجد في أنساب ملوك نجد» الذي ألفه للأمير عبدالله باشا بن عبدالله بن ثنيان ، من الأسرة السعودية الكريمة ، وكان يعيش في اسطنبول ، فألف ذالك الكتاب سنة ١٢٩٨هـ ، وأضاف إلى كل اسم من الأسماء التي فوق مانع معلومات تاريخية ، لا يُدْرَى من أين استقاها .

والأمر الذي يكاد يتفق عليه مؤرخو نجد هو أن الأسرة الكريمة السعودية تنتسب إلى بني حنيفة ، القبيلة التي وصفها الله في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ الآية ١٦ من سورة الفتح .

وحنيفة هذا هو ابن لُجَيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعِمِيٍّ بن جَديلة بن أسد بن رَبيعة بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان ، فهم من ربيعة ، وربيعة من عدنان باتفاق النسابين .

ولا منافاة بين هذا وبين ماورد في أول الكلام من نسبتهم إلى الدروع أحد بطون بني حنيفة ، فبنو حنيفة عدنانيون باتفاق النسابين .

أما سلسلة النسب التي ساقها الأستاذ فؤاد حمزة ـ رحمه الله ـ فقد نقلها عن كتاب «مثير الوجد» لراشد بن علي ، المعروف بابن جُريس ، والكتاب ألف تحت تأثير خاص ، في زمن لم تنتشر فيه المؤلفات المفصلة لتاريخ آل سعود ، وفيه معلومات بحاجة إلى التثبت .

ولهذا لا يصح التعويل على ما انفرد به ، والله الموفق .

حمد الجاسر

فهارس السنة الخامسة والعشرين

١ ـ الكتاب والمعلقون
٢ ـ الموضوعات العامة
٣ ـ الأعـــلام
٤ ـ الأسر والقبائل والجماعات
٥ ـ الكتب والصحف والمجلات
٦ ـ المواضع
٧ ـ اللغة
٨ ـ الآثار
٩ ـ الشعر والشعراء

أولاً: الكتاب والمعلقون

ثانيا: الموضوعات العامة

ثالثا: الاعــلام

ولم يذكر سوى المترجين أو من لهم مؤلفات أو أبحاث

رابعا: الأسر والقبائل والجماعات (لم يذكر من ورد عرضا)

خامسا: الكتب والصحف والمجلات

سادسا: المواضـــع

سابعا: اللغـــة

ثامنا: الآثـــار

تاسعا: الشعر والشعراء